الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنـة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإجتماعية

الرقم التسلسلي............

شعبة الفلسفة

رقم التسجيل..............

من أطروحة صدام الحضارات في فلسفة صموئيل هنتنجتون الى حوارها وتحالفها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالب

عبد الغنى بوالسكك

إشراف الأستاذة

الدكتورة: حسينة حماميد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
العربي فرحاتي	أستاذ	جامعة الحاج لخضر_باتنة_	رئيسا
حسينة حماميد	أستاذة	جامعة الحاج لخضر_باتنة_	مقررا
موسى معيرش	أستاذ	جامعة عباس لغرور _خنشلة_	عضوا
اسماعيل زروخي	أستاذ	جامعة عبد الحميد مهري_قسنطينة2_	عضوا
رابح مراجي	أستاذ	جامعة عبد الحميد مهري_قسنطينة2_	عضوا
الحاج دواق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الحاج لخضر_باتنة_	عضوا

السنة الجامعية 2014_2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أمي الخالدة

إلى أبي وزوجتي وأولادي أيمن وأكرم

إلى العلم والعلماء والفلاسفة والحكماء

أهدي هذا العمل

عبد الغني

شكر و تقدير

الشكر لله أولا

أتقدم بالشكر لأستاذتي و مشرفتي الدكتورة: "حسينة حماميد"

على كل ما قدمته لي من أجل إنجاز هذه الأطروحة. وإلى لجنة المناقشة

الموقرة التي تحملت عبء القراءة .

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد و أخص بالذكر:

- الأستاذ: هادف زكريا بجامعة فرنسا 5 .

- الأخ: علي رأس العين

عبد الغني

الْمُقَدِّمَةُ

المقدمــة

باعتبار الإنسان مدني بطبعه كما يقول الفلاسفة وعلماء الاجتماع، فإنه انتقل من مجتمع طبيعي إلى مجتمع مدني، وفي هذا المجتمع أنشأ علاقات مع بني جنسه، ومن خلالها تكونت لديه عادات وتقاليد وأعراف، أي ثقافة تعبّر عن إنسانيته، مستخدما عقله في تسخير الطبيعة، ومحاولة السيطرة عليها فأبدع وسائل مادية، حيث بنى البيوت، والسدود، ومد الجسور، وأخضع كثيرا من مظاهر الطبيعة لصالحه محاولا من جهة السيطرة عليها، ومن جهة أخرى فهمها والتحرر من قساوتها، ومن هنا بدأت تتشكل الثقافة والحضارة، وإن كانت الثقافة عند الكثير، سواء علماء الاجتماع وفلاسفة الحضارة والأنثروبولوجيون هي المعبّر عن الحضارة.

ونتيجة لتطور المجتمعات ونموها تعددت الثقافات والحضارات، وتشكلت وتمايزت فيما بينها، إلا أن الكلام عن تاريخ الثقافة والحضارة يقودنا بالضرورة للكلام عن مفهومهما، ومحاولة تتبع هذين المفهومين إنثروبولوجياً وسوسيولوجياً، لأنهما قد شكلا نقطة اختلاف في التفسير والتمايز أو التداخل عند الكثير، إلى درجة أنه وجد من لايميز ولا يفرق بينهما، والسبب في اعتقادنا يعود إلى ذلك الخلط في التعبير عن مظاهر الثقافة بمظاهر الحضارة والعكس، فإذا كانت الثقافة هي كل ما أنتجه الإنسان في مقاومته للطبيعة، من طرق ووسائل ليعبّر بها عن معتقداته وأفكاره وقيمه وطرق عيشه وبالتالي ترتبط بما هو فكري معنوي مجرد، فإن الحضارة هي كل ما أبدعه الإنسان وأنتجه بيده وعقله من أشياء مادية تجسيدا لكثير من مظاهر الثقافة، وقد ارتبط مفهوم الحضارة عند بعض العلماء والمؤرخين بالإقامة في الحضر، على خلاف البادية، وارتبط مفهوم الثقافة بالرقي العقلي والسلوكي والقيمي للإنسان، وهنا نجد نوعا من التداخل بين الثقافة والحضارة، ولا نستطيع بالتالي تبين أين يبدأ الثقافي لدى الإنسان وينتهي الحضاري، والعكس أين يبدأ الحضاري وينتهي الثقافي، وهو ربما ما وقع فيه فيلسوفنا صموئيل هنتنجتون ولكن يمكن القول أنه إذا كانت الحضارة كائنا يفنى ويموت، فإن الثقافة لا تزول، لأنها تقوم على التراكمية، بدليل أن ثقافة كثير من الحضارات لا زالت بيننا اليوم، رغم أفول حضاراتها واندثارها.

إن الحضارة كائن يولد وينمو ويتغير ويتطور، وهي مثل الإنسان تولد لتموت، إلا أن فناء الفرد لا يعني فناء النوع، فكذلك الحضارات فهي تمر بأطوار ومراحل الولادة والشباب، بعدها الأفول والزوال إنه قانون الطبيعة الذي تخضع له جميع الحضارات، بل إنه الحتمية التاريخية، وتبقى في النهاية الثقافة أكبر تعبير وشاهد على حضور الحضارات في التاريخ، ومدى فاعليتها وتأثيرها في الإنسان والحضارة والتاريخ رغم عدم التمييز لدى الكثيرين بين الثقافة والحضارة أمثال هنتنجتون، صاحب أطروحة صدام الحضارات والسبب يعود في ذلك إلى المنظومة الفكرية التي ينتمي ويحتكم إليها، ألا وهي المنظومة الفكرية الأنجلوسكسونية، على خلاف المنظومة الفكرية الألمانية التي تقيم حدا فاصلا بين الثقافة والحضارة، من هنا يعتقد هنتنجتون في الحضارة أنها أرقى أشكال التعبير عن الثقافة وعن الاختلافات الهوياتية بين الأمم والشعوب والحضارات، وهنا ندرك التعدد والتنوع الحضاري الذي عرفه التاريخ، وأنه لا توجد حضارة بل

حضارات، فالحضارات كيانات لها بنيتها ومكوناتها الجوهرية التي ترتكز عليها، والتي تستمر بها في التاريخ، ومن خلالها تحافظ على بقائها وتمنع أي محاولة اختراق وذوبان وتهجين وادماج كما أنها مكونات تعبّر عن الذات الحضارية وفعلها في التاريخ، وتمايزها من غيرها وتجعل منها حضارة منغلقة أو متفتحة، محمية أم مخترقة، قوية أم ضعيفة، وما يمكن أن نؤكده من خلال التعدد الحضاري واختلاف المكونات بينها، أن الحضارات طوال التاريخ قد عرفت تفاعلات وتواصلات عبّرت مرة عن الحوار ومرة عن النزاع والصراع، ومرة تركن إلى الهدنة، ولقد انتهت الحضارات في التاريخ إلى الحضارة الغربية المعاصرة، معبرةً عن نهاية التاريخ كما يقول فرنسيس فوكوياما، فالحضارة الغربية اليوم هي الشكل النهائي لكل الحضارات، بل هي المرحلة الأخيرة في تاريخها كما يعتقد فلاسفة الحضارة الغربيون أمثال فوكوياما وأستاذه صموئيل هنتنجتون، هذه الحضارة التي تشكلت عبر حقب إلى أن وصلت الى الشكل الأرقى اليوم، هي أرقى حضارة باعتبارها تعبّر عن منتهى التطور والرقي والتحديث والتحضر، ومن هذا فإنها الحضارة السائدة، والتي ينبغي أن تسود وتهيمن.

وبعد أن عرف العالم وعرفت البشرية حروباً مدمرة كادت أن تعيدها إلى مرحلة الهمجية والبربرية وبعد أن شهد العالم حربا باردة لو اندلعت لقضت عليها ومحتها من على وجه الأرض، عُرفت بالحرب الإيديولوجية بين معسكرين مختلفين إيديولوجياً، الأول يدافع عن الإشتراكية الشيوعية نهجا والثاني عن الرأسمالية الليبرالية، وانتهت تلك الحرب الباردة بتفكك المعسكر الشيوعي، وإعلان انتصار المعسكر الغربي، ونهاية التاريخ، والذي أريد به إعلان انتصار الليبرالية، كأرقى شكل من أشكال الدولة وانتصار الديمقراطية كارقى شكل من أشكال الحكم، من هذه المنطلقات أراد الغرب أن يفرض قيمه وثقافته وحضارته، وأن يجعل منها حضارة فريدة وعالمية بل وكونية، من منطلق أن من يملك المعرفة يملك القوة والهيمنة والسيطرة، كما أن الغرب آمن بسمو قيمه وثقافته وحضارته بعد انتصاره التاريخي على الشيوعية مما دفعه إلى أن يعتقد فيها أنها النموذج أو البراديغيم الذي يجب أن يسود العالم، وأن محاولته لنشر تلك القيم تعد واجباً دينياً مقدساً، لأنها تعبّر عن الخير والحضارة، وتقاوم قيم الشر والبربرية والهمجية، وبدأ الغرب ينظر إلى ثقافته وحضارته على وجه الخصوص، على أنها المركز وباقي الحضارات هامشاً، مما خلق لدى كثير من الحضارات نوع من االتصدي لمحاولة التغريب باسم الحضارة والتحديث، وهو ما يعرف بالفعل ورد الفعل.

وجاءت الصدمة بالنسبة للغرب الذي تخلص من عدو وبدأ في البحث عن عدو جديد، الصدمة كانت بأحداث 11 سبتمبر 2001 عندها أدرك الغرب بأن العالم الذي أراد أن يحتويه ويجعله حضارة واحدة، ويقوم بتأحيده وتنميطه يرفض ذلك، بل ويريد أن يعبّر عن حضاراته المختلفة والمتنوعة، من خلال المطالبة بنظام عالمي جديد يقوم على تعدد الأقطاب، ورفض فلسفة الأحادية والقطبية الأحادية، كما أن تلك الأحداث قد أيقظته من سراب الخلود، وتفتحت عيناه على عالم قد تشكل وفق سياسة ثقافية كونية جديدة، اللاعب الأساسي فيها هو الثقافة، ومنه بدأت ترتسم خارطة جديدة رسمت على مدى خطوط

التقسيمات الحضارية والثقافية، كما أدرك الغرب بأن هناك بعض الحضارات تحمل طموح العودة والهيمنة والعالمية، ومقاومة البراديغيم الغربي، فسماها الغرب بحضارات التحدي، معتبرا أياها خطرا على حضارته وقيمه، بل وكينونته، لأنها تحمل التهديد الأخطر من التهديد الإيدولوجي، إنه التهديد الثقافي الحضاري من هنا خلق في مخياله فكرة العدو، فكان العدو الجديد بعد زوال العدو القديم_الإتحاد السوفياتي_هو الإسلام بثقافته وحضارته إلى جانب العدو الآسيوي، والمتمثل في الحضارة الصينية وثقافتها الكونفوشيوسية.

ومن هنا تنبأ الفكر الغربي وعلى رأسه صموئيل هنتنجتون، بأن العالم المعاصر سيشهد صدامات حضارية، فكانت أطروحته حول صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، والتي أسسها على نقيض فكرة نهاية التاريخ لتلميذه فرنسيس فوكوياما، ولقد كانت الأطروحة عبارة عن مقال بعنوان "صدام الحضارات" نشره هنتنجتون في مجلة **(فورين أفيرز Foreign affairs)** سنة 1993 ثم طوره على شكل كتاب سنة 1996 معتبرا أن العالم سيشهد صراعات من نوع جديد، تحمل طابعا إثنيا ثقافيا وبالتالي حضاريا، وأن الحضارة المهيمنة والأقوى اليوم ستعرف تهديدا إستراتيجيا من باقي الحضارات وعلى رأسها الحضارة الإسلامية كما جاء في أفكار برنارد لويس أستاذ هنتنجتون، ومن هنا نشأ الخوف من مصير الغرب، الذي قد يؤول إلى التفكك مثله مثل باقي الحضارات التي سبقته، وأنه على الغرب حتى يتفادى التصدع من الداخل عليه أن يقوّي من الروابط الثقافية والبعد الهوياتي، وأن يفرض قيمه وحضارته على باقي الحضارات، وأن يقف ضد فكرة التعدد الحضاري، ويمنع أي حضارة من البروز والظهور، ولا يكون ذلك إلا بزرع الصراعات والصدامات داخل الحضارات وبين الحضارات، تلك الصراعات هي التي تقوم بدور مزدوج فهي من جهة تضعف باقي الحضارات، ومن جهة مقابلة تقوّي من الحضارة الغربية، كما على الغرب أن يمنع أي اختراق خارجي لحضارته، وربما ذلك يكون بالحد من الهجرة، لأن المهاجرين يحملون معهم قيمهم الثقافية والحضارية، وقد يشكلون جماعات موازية داخل قلب الحضارة الغربية، بل وقد يطالبون بالحقوق والاعتراف، مما يخلق مجتمعا متعدد الإثنيات، وهذا سيقود إلى الصراعات والصدامات، وبالتالي التفكك والانحلال.

ولقد أدرك الغرب أن أهم مقوم تقوم عليه باقي الحضارات والثقافات، ويعتبر عامل تماسك هوياتي تفتقر إلى فاعليته الحضارة الغربية، ألا وهو الدين فهو عامل حاسم سيقود الحضارات إلى العودة إلى أصولها ومن ثمة الظهور، كما أنه يقوم بفعل التوحد هوياتيا ومقاومة أي اختراق حضاري، ومن هنا كان الدين من بين أهم الروابط الهوياتية بين الشعوب والأمم ومن خلاله فإن العلاقات بين الحضارات تقوم على أساس القربى الثقافية، وبهذا تغيرت الخارطة العالمية سواء السياسية أو الثقافية.

وبعد أن فرض الغرب سيطرته واعتقد بأحاديته في العالم، وبدأ في نشر قيمه الثقافية والحضارية معتبرا أياها قيماً كونيةً، جاءت أحداث11 سبتمبر 2001 التي أيقظت الغرب من سباته، وأنزلته من عليائه، ورغم أن الكثير اعتقد بأنها توكيد ودليل على صحة أطروحة صدام الحضارات لهنتنجتون، وأن

الإسلام هو العدو الجديد، بما يحمله من قيم الشر والدمار والهمجية، إلا أنه بالمقابل تعالت الأصوات لتنادي بضرورة ضبط النفس، وتحكيم العقل والحوار بين الغرب والإسلام، فكانت أطروحة حوار الحضارات، التي نادى بها أولا الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي، وأعاد طرحها الرئيس الإيراني محمد خاتمي، والتي لقيت استجابة من كثير من المفكرين والعلماء والساسة، وكان من نتائجها إعلان سنة 2001 سنة للحوار بين الحضارات، إلا أن شروط الحوار البنّاء والفعّال لم تكن متوافرة، فغياب الإرادة والنية والاستعداد وغيرها، وضع فكرة الحوار بين الحضارات على المحك، لكن علماء ومفكرين نادوا مرة أخرى بضرورة تفعيل فلسفة الحوار بين الحضارات، لكن هذه المرة باسم أطروحة جديدة، ألا وهي أطروحة التحالف بين الحضارات، انطلاقاً مما وصلت وخلصت إليه البشرية من محاولات الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان، هناك دعوة للوصول الى تحالف حضاري حقيقي، ولا يكون ذلك إلا بالمرور أولا بالإيمان بفلسفة التعايش والتعدد الحضاري، ثم تحقيق التقارب بين الحضارات، عن طريق الدعوة إلى التعارف بينها، لنصل بعدها إلى التحالف الذي يكون ضد كل ما يهدد البشرية والإنسانية، ويقف أمام رقيها وتطورها.

ومن منطلقات التحالف، تكون البداية من ضرورة وضع نظام عالمي جديد تحترم فيه جميع الحضارات، مع ضرورة إشراكها في كل القضايا المصيرية التي تهم البشرية، وإقامة حوار بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، أي بين الحضارات، وصولا إلى مبدأ المشاركة والمثاقفة مع توظيف وسائل العلم والتكنولوجيا، لتحقيق هذا التقارب والتقليل من فرص التباعد والنزاع، ومن هنا يمكن أن نتكلم عن حضارة عالمية واحدة بمفهومها وبعدها الإنساني، لا ببعدها الأحادي المفروض من قبل حضارة تنظر إلى ذاتها على أنها منتهى البشرية، وتريد أن تكونن وتعولم قيمها وثقافتها، والتي تقوم على الإنتاج والإستهلاك، وجعلت الإنسان الغربي يشعر بالاغتراب اتجاه ذاته واتجاه الطبيعة والدين، لأنها قامت على البعد المادي، وأهملت الجانب الروحي والقيمي في الإنسان، وإذا وصلنا إلى هذه الحضارة العالمية لعالم واحد تجاوزنا الصراعات والصدامات، وقضينا عن المقدمات والمسببات التي قد تقود إلى حرب بين الحضارات، التي إن قامت قضت على البشرية، وقادتها إلى الأفول والزوال.

إن تعاقب الحضارات حقيقة تاريخية، ومن هنا فالحضارات تتفاعل فيما بينها وتستفيد من منتجاتها وبالتالي فكل الحضارات قد شاركت في بناء الإنسان والإنسانية، وهذه هي النسقية التي تؤمن بكينونة الحضارات ووجودها ودورها في التاريخ.

ومن هنا يمكن أن نبلور **الإشكالية** على الشكل التالي: ما هي الأسس التي بنى عليها هنتنجتون أطروحة صدام الحضارات؟ وهل أطروحتا حوار الحضارات وتحالفها هما البديل المنطقي لأطروحة صدام الحضارات؟

ومن خلال هذه الاشكالية الكبرى يمكن أن نطرح اشكاليات وتساؤلات جزئية تناقش في كل فصل ومبحث ومن هذه الاشكاليات: هل الصدام صدام حضارات أم هل هو صدام ثقافات أم أديان؟ هل هناك

حضارة واحدة ام حضارات، هل يمكن للحضارة ان تعبّر عن البعد الهوياتي والثقافي لأمة ما؟ وكيف يمكن تجاوز فلسفة الصدام إلى الحوار ومن ثمة التحالف الحضاري؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وما ينتج عنها من إشكاليات جزئية فإننا إعتمدنا على **المنهج** التحليلي النقدي، على اعتبار أنه منهج يتماشى وطبيعة الأطروحة والإشكالية المدروسة، حيث قمنا بعرض مختلف الأفكار لهنتنجتون، وقمنا بتحليلها ثم ممارسة النقد عليها، من أجل تفكيكها وتبيان حقيقتها، وصولا إلى نتائج تلخص أهم الأفكار التي وصلنا إليها في أطروحتنا، كما قمنا بتحليل أطروحة حوار الحضارات وتحالفها كأطروحة بديل، وبيّنّا امكانية الانتقال من الصدام الى الحوار ومن ثمة التحالف، ووجهنا نقدا لهذه الأطروحة البديل، ووصلنا من خلال كل هذا الى اهم نتائج البحث.

أما بالنسبة **لأهمية البحث**، فتكمن في أننا قمنا بتحليل ونقد لأطروحة استقطبت الفكر العالمي بكل تياراته واتجاهاته، خاصة وأنها صدرت عن أحد أكبر ممثلي الفكر الغربي، وهو أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية والدراسات الإستراتيجية، في جامعة هارفارد، كما أن هذه الأطروحة تنطلق من معطيات واقعية وحقائق تاريخية، ومما آل إليه العالم بعد الحرب الباردة، كما أن الأهمية التي تكتسيها الحضارات جعل فلاسفة الحضارة يولون إهتماماً كبيراً بدراستها، فهي التي تعبّر عن الإنسان وكينونته وهويته في التاريخ، فالحضارات كيانات لها بنيات وأسس جوهرية، تسافر في التاريخ وفق المراحل التي ذكرها فلاسفة الحضارة، فهي تولد وتنمو وتقوى ثم تموت، وتبقى الصلة بين الحضارات هي المحدد لطبيعة العلاقات إن كانت تفاعلية، أم صدامية، أم حوارية، ومن هنا فإن أهمية تحديد الأطروحات وتبيان الأسس التي بنيت عليها، هو ما يفسر انتماءاتها الإيديولوجية وأبعادها الثقافية والحضارية، فالتفكيك طريق الفهم والتحليل والتأويل، وأساس التفنيد أو التأييد، والأهمية الفكرية والعلمية، النظرية والعملية لتحليل ونقد العلاقة بين الحضارات هو تبيان كيف تم الانتقال من فلسفة الصدام إلى الحوار إلى التحالف، مع تأكيد أنه لا يمكن تجاوز أي أطروحة إذا وضعناها في السياقات التاريخية المؤسسة لها، ولكن علينا أن نبعدها عن التفسيرات والتاويلات والاحتكام إلى منظومة وإيديولوجية دون أخرى، فعلينا أن نحررها ونزيحها من الانغلاق لنضعها في بعدها التاريخي، لتصبح بالتالي متجاوزة في إطار فكر معين والتحول إلى الأهمية الإنسانية للحضارات هو ما يجعلنا نتجه إلى فعل التدافع، بدل الصراع كبديل كوني رباني، دون إفناء ولا مطلقية، فيصبح بالتالي الصدام فعلاً تاريخياً بالمفهوم الحضاري، لا بالمفهوم الهنتنجتوني المؤدلج، والذي يدعو في طياته إلى الحرب، بدل السلام، والى تدمير منتجات الحضارة لا البناء، والتقهقر بالإنسان والإنسانية إلى درجات الصفر التي انطلقت منها وتجاوزتها، والتراجع عن العودة إلى البربرية والهمجية مع ضرورة خلق فضاء عمومي يقوم على التواصلية، لا القطيعة الباشلارية التي تلغي الآخر وتفنيه في هامش التاريخ، والتعلم من الآخر، بل وتعلم حسن الإنصات لأن ذلك مدعاة لحسن الكلام في فلسفة وفعل حواري راق، يعبّر فعلا عن إنسانية الإنسان، وهنا تكمن الأهمية الفكرية والعلمية والحضارية للأطروحة.

وككل بحث، فهناك **دوافع** ذاتية، وأخرى موضوعية تدفع الباحث لأن يبحث ويجد ويجتهد لتفكيك المشكلات والإشكاليات، وعناصر البحث، بغية الوصول إلى نتائج وكشف المنطلقات التي أسست عليها الأفكار، لانجلاء الحقائق وفهم الأبعاد والمآلات، فبالنسبة للدوافع الموضوعية، فتكمن بالأساس في محاولة تفكيك أطروحة صدام الحضارات، لأنها خلقت عالما متصورا يقوم على فكرة أن العلاقات بين الحضارات قامت وتقوم وستقوم على فلسفة الصدام من منطلقات داروينية، وأبعاد براغماتية، عالم تهيمن فيه الحضارة الغربية، ولا مجال فيه للتفكير في الحضارة خارج حضارته، كما أن المنطلقات التي أسست عليها الأطروحة لا بد من تفكيكها وتبيان حقيقتها، وهذا بدوره يقود أولا إلى تحليل العلاقة بين الثقافة والحضارة، وإزالة ذلك الاستشكال بينهما، وهنا لا بد من فهم فلسفة الحضارة بصورة أعمق، إضافة إلى محاولة تبيان الأسس والبنى التي أسست عليها أطروحات الحضارة الكبرى الثلاث (الصدام والحوار والتحالف) وكيف تم التفكير في جدلية الحضارة، كيف انتقل الفكر من المركب إلى الأحادي، ومنه إلى المركب مرة أخرى، وتوضيح تجليات الحضارة في الإنسان والإنسانية، أما بالنسبة للدوافع الذاتية فتكمن في الميل للتعمق في فهم الحضارات وفلسفتها، خاصة العلاقات فيما بينها، وتوضيح أن الصدام حدث عارض، وأن كل الحضارات قد شاركت في بناء السلم الذي ارتقت به البشرية إلى مصاف الرقي والتطور والإزدهار، والتخفيف من تلك الهجمة الحضارية على العالم الاسلامي، واتهام الإسلام بأنه دين صدامي عنيف، وأن حدوده دموية، وعكس كل ذلك من خلال تبيان أن الإسلام دين يؤمن بالسلام ويدعو إلى التسامح والحوار والتفاهم، ومن هنا تأكيد البعد الايديولوجي الذي انطلقت منه أطروحة صدام الحضارات فهي دعوة غير بريئة تختزل الحضارات في كيانات مهيمن عليها، وتمنعها بالتالي من دورها في التاريخ.

كما نود أن نشير من خلال أبحاثنا التي قمنا بها، أنه _في حدود علمنا_ لا توجد **دراسات سابقة** في الجامعات الجزائرية، ولا حتى الفرنسية، حيث قمت بالبحث في كثير من المكتبات الجامعية الفرنسية إلا أنني لم أعثر على دراسات أكاديمية، ونفس الشيء في المكتبات الجامعية السورية والتونسية حيث بحثت عن دراسات سواء عن هنتنجتون، أو أطروحته، أو حتى أطروحة حوار الحضارات وتحالفها، فلم أجد دراسة أكاديمية في الموضوع، وربما هذا ما دفعني أكثر للبحث والتقصي والإجتهاد في طلب المعرفة إلى درجة أن طلبت كتب صموئيل هنتنجتون في باريس عن طريق المكتبة الإنجليزية الكبرى الذي قال لي صاحبها أنه لا جدوى من البحث عن كتب صموئيل هنتنجتون في أوروبا، وإن أردتها طلبتها لك من الولايات المتحدة الأمريكية، فوافقت رغم غلاء سعرها واضطررت أن أؤخر رحلتي أياماً بغية الحصول على الكتب، فكان لي ذلك، وهنا ننوّه **بالصعوبات** الجمّة التي واجهتني في أثناء التحضير لأطروحتي حيث لم أعثر في الجزائر ومواقع الإنترنت إلا على كتاب هنتنجتون الشهير(صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي) مما دفعني للسفر الى سوريا مرتين وإلى تونس مرتين، وإلى المغرب لأختم رحلة بحثي عن الكتب بفرنسا، ومن الصعوبات الكبرى التي واجهتني إلى جانب صعوبة الحصول على المصادر صعوبة الترجمة، مع العلم أن هنتنجتون يكتب باللغة الإنجليزية الأمريكية، حيث أخذت عملية

الترجمة وقتا طويلا وجهدا كبيرا بالإضافة إلى ترجمة بعض مقالاته ومحاوراته، إلا أنني اجتهدت وحاولت حتى وصلت.

ولتحليل الأفكار والأطروحات الواردة في البحث، فقد اعتمدت على **خطة** مكونة من أربعة فصول معنونة بعناوين كبرى، وتحت كل فصل هناك مباحث جزئية تعالج مشكلات جزئية، ففي الفصل الأول التمهيدي تطرقت إلى مركز المفاهيم في الأطروحة، حيث قدمت تعريفا موجزا بهنتنجتون بما أن الأطروحة تدور حول فلسفته في صدام الحضارات بين الصدام ومن ثم الانتقال إلى الحوار والتحالف، ثم قدمت مفاهيم عن الثقافة والحضارة، وبنية الحضارات، ومفهوم الصدام، لأنتقل بعدها مباشرة إلى الفصل الثاني، الذي يناقش جوهر الأطروحة إضافة إلى باقي الفصول، وفيه وتحت عنوان أطروحة صدام الحضارات، بينت الأسس الفكرية والفلسفية التي بنيت عليها الأطروحة، وما نظّرت له من إعادة تشكيل سياسة ثقافية كونية جديدة، وأن الغرب في موقع الصدام يتأرجح بين البقاء والاضمحلال، خصوصا أمام حضارات متحدية، وأن أكبر ما يشكل صداما فعليا هو الهويات الثقافية باعتبار الثقافة هي أهم لاعب في السياسة الكونية المعاصرة، أما الفصل الثالث فإنه يعالج قضية الصدام بين الحضارات، خاصة بين الاسلام والغرب، ومآلات الصدام، كالاعلان عن نهاية التاريخ والعولمة وأحداث 11 سبتمبر 2001 وظهور نظام عالمي جديد، وصولا إلى الفصل الرابع، الذي تناولت فيه أطروحتا حوار الحضارات وتحالفها كأطروحتين مناقضتين لأطروحة الصدام بين الحضارات، تناولت فيه حقيقة الحوار بين الحضارات، من حيث أسسه ومنطلقاته وأهدافه ونتائجه، ثم أطروحة تحالف الحضارات، التي تعد بديلا للصدام المرفوض تاريخيا، وللحوار الفاشل حضاريا، ولو أننا سنؤكد أن التحالف هو امتداد للحوار لا قطيعة معه، كما خصصت مبحثا لنقد أطروحة صدام الحضارات، لأن الأيمان بها بالمفهوم الهنتنجتوني هو دعوة إلى حرب الحضارات والاستعداد لأفولها، وفي كل فصل قمت بوضع مقدمة وخاتمة، منهيا أطروحتي بخاتمة حوصلت فيها أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال بحثي وأطروحتي.

وقد اعتمدت على أهم **مصادر** صموئيل هنتنجتون، سواء المترجمة إلى اللغة العربية أو بأصولها الإنجليزية رغم صعوبة الحصول عليها، وصعوبة ترجمتها_ وهو ما ذكرته في الصعوبات_ وهذه المصادر منها ما يخدم موضوع الأطروحة، ومنها ما هو بعيد عنها، حيث ألّفها هنتنجتون في سنوات سابقة عن فكرة صدام الحضارات، وبالتالي فهي لا تحتوي على أية إشارة لموضوع بحثنا، أما الكتب التي تناولت فكرة الصدام فهي مرتبة ترتيبا زمانيا على الشكل التالي: كتاب الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، والذي تناول فيه هنتنجتون قضية الهوية بصورة عامة، والهوية الأمريكية على وجه الخصوص، معتبرا أن أزمات الهوية قد تخلق صدامات إثنية وصراعات داخل الحضارات وبين الحضارات، أما الكتاب الثاني الذي ألف سنة 1993 فقد حمل عنوان: النظام السياسي لمجتمعات متغيرة ويتحدث فيه عن التحولات التي حدثت في الأنظمة العالمية بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، كما يتناول فكرة التحديث وارتباطها بالغرب، وصولا إلى أهم كتاب لهنتنجتون، والذي أثار ضجة عالمية وردود فعل قوية

على ما احتواه من أفكار ونظريات، وما نظّر له من أطروحات، أهمها أطروحة صدام الحضارات، وجاء بعنوان: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، وكتتمة للأفكار الواردة في كتاب صدام الحضارات أصدر هنتنجتون كتاب الإسلام والغرب، آفاق الصدام، معتبرا فيه أن الإسلام هو العدو الجديد القديم للغرب، أما باقي الكتب التي أعقبت هذه الكتب فإنها كلها تدور حول نفس الفكرة ألا وهي فكرة صدام الحضارات، ومن بينها: صدام الحضارات_ إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟ وكتاب صدام الحضارات وردود نقدية، وكتاب: الغرب متفردا وليس عالميا، وكتاب آخر بعنوان: صدام الحضارات، وكتاب جماعي بعنوان: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها (إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟ نماذج من عالم ما بعد الحرب الباردة) بالإضافة إلى الكتاب الذي اشترك فيه هنتنجتون مع بيتر إل بيرغر، بعنوان عولمات كثيرة، وكتاب آخر بتأليف ثنائي مع إي هاريزون، حمل عنوان: الثقافات وقيم التقدم، وكتاب آخر أثار بدوره ردود فعل قوية على الساحة الفكرية العالمية، ألا وهو كتاب: من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية.

بالإضافة إلى عشرات المقالات والحوارات، التي نشرت في أشهر المجلات العالمية، كمجلة فورين أفيرز، وفورين بوليسي وغيرها، كما يجب أن نشير إلى بعض الدراسات المهمة التي تطرقت إلى بعض عناصر الأطروحة، بالنقد والتحليل، ونخص بالذكر كتاب جودت سعيد وعبد الواحد علواني: الإسلام والغرب والديمقراطية، قراءات وتعليقات على مقالين: صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، وكتاب: غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات وكتاب محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، وكتاب: محمد جربوعة، مهلا هنتنغتون...مهلا فوكوياما_نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة_ وكتاب: محمد سعدي حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، وكتاب: مصطفى شريف، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات _تحليل نقدي لكتاب صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون_ وأخيرا كتاب: هارالد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول

في الحضارة وبنية الحضارات

مقدمة

المبحث الأول: هنتنجتون والحضارة

المبحث الثاني: بنية الحضارات

المبحث الثالث: في مفهوم الصدام ومقوماته

خاتمة

الفصل الأول: في الحضارة وبنية الحضارات

مقدمة:

من المفاهيم الشائعة والمتداولة على ألسنة الناس والعلماء مفهوم الحضارة، وكذلك مفهوم الثقافة فالحضارة عند اللغويين تعني الإقامة في الحضر، أما عند الموسوعيين فتعني كل ما أنتجه الإنسان وأبدعه من أشياء مادية وقيم معنوية، كما أن الحضارة شاهد على تاريخ تطور الإنسان، وانتقاله من مرحلة إلى أخرى، وما خلّفه من إبداع، أما الثقافة فهي كذلك كل ما أنتجه الإنسان من قيم وغيرها باعتباره عضوا في المجتمع، وقد كثرت مفاهيم الحضارة والثقافة وتداخلت وإمتزجت إلى درجة أن هناك من لا يميز بين الحضارة والثقافة، ويعتبرهما شيئاً واحداً، لكن بعض العلماء ميزوا بينهما، على أساس أن الحضارة هي التعبير المادي عن الثقافة التي تمتاز بأنها قيم معنوية، ولكن التمييز بين الثقافة والحضارة في الحقيقة يخضع للمنظومة الفكرية لكل حضارة، فإذا كان الفرنسيون والإنجليز لايميزون فإن الألمان يميزون بينهما، أما بالنسبة لفيلسوفنا صموئيل هنتنجتون، فرغم أنه ينتمي للمنظومة الفكرية الأنجلوسكسونية، إلا أنه في قضية التمييز بين الثقافة والحضارة يتبع في بعض الأحيان المنظومة الألمانية، مما أوقعه في خلط بين المفاهيم في كثير من الأحيان، معترفا بأن الثقافة والحضارة ينموان ويتطوران، كما يخضعان للحتمية التاريخية، وتمر الحضارة بمراحل عبر تطورها، لذا شهد التاريخ ولادة حضارات وأفول أخرى.

إلا أن هنتنجتون يرى أن الحضارة مهما كانت، هي أكبر ما يعبّر عن الهوية لشعب ما وثقافة ما، وهو ما دفعه للتمييز بين مستويين للحضارة، مستوى أعلى ومستوى أدنى، ولكن كلا المستويين يعبّران عن الهوية، ومن خلال هذين المستويين تتمايز الحضارات وتختلف، مما يكّون لنا حضارات وليس حضارة واحدة، وذلك يعود في الأساس إلى بنية كل حضارة وخصائصها المكونة لها، والتي دخلت في تشكيل جوهرها، وهو ما يساعد الحضارة على التميز والبقاء والاستمرار والمقاومة، وهذا طرح يرى أصحابه بأنه لاتوجد في الحقيقة حضارة مركز وباقي الحضارات هامش، لأن هيمنة حضارة وسيطرتها لا يعني أن باقي الحضارات لا دور لها في التاريخ، فلم يشهد التاريخ حضارة استقلت بنفسها في نشأتها ونموها وتطورها عن باقي الحضارات، بل هنالك تفاعل وتواصل وتثاقف بين الثقافات والحضارات.

وإن من أكبر ما يحرك الحضارات هو الدين، فهو ما يؤكد الهوية والتماسك الهوياتي لدى شعب ما، وعليه يرى فيه هنتنجتون قوة محركة ودافعة للحضارات، وهو أكبر ما يؤكد التعدد والتنوع الحضاري، وهذا العامل هو ما جعل هنتنجتون يفرق بين الحضارة بمعناها المفرد والحضارات بصيغة الجمع، كما أنه يعد من بين العناصر التي تتمايز فيها الحضارات، ومنها الحضارة الغربية، التي لها خصائص ومميزات جعلتها عالمية وفردية، رغم أنها ليست كونية، فالغرب رائد للتحديث على خلاف

باقي الحضارات، وهو ما جعل حضارته متميزة بل ومسيطرة ومهيمنة، وهذا بدوره خلق نوعاً من الصراع والصدام بين الحضارات، ولنا أن نتساءل قبل أن نفصل في قضايا الصدام والحوار، وغيرها بين الحضارات عن مفهوم الحضارة وبنيتها، من هو صموئيل هنتنجتون؟ وما مفهوم الحضارة؟ وهل يمكن التمييز بينها وبين الثقافة؟ وهل يمكن أن نصل الى مفهوم واحد لها؟ وما العناصر الأساسية التي تدخل في بنية الحضارات وتجعلها متمايزة؟ وهل هذا يعد دافعا للصدام بينها؟

المبحث الأول: هنتنجتون والحضارة

1_ نبذة موجزة عن حياة صموئيل هنتنجتون:

ولد صموئيل فلبس هنتنجتون Samuel Phillips Huntington في 1927 بنيويورك وتوفي في 24 ديسمبر 2008 عن عمر ناهز 81 عاما، تلقى تعليمه بالولايات المتحدة الأمريكية، بجامعة "ييل" وتحصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد، ثم درس فيها مدة ثمان وخمسين سنة، ولم ينقطع عن التدريس إلا سنة 2007. وهو أستاذ العلوم السياسية أشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات، وليس الدول القومية، كما استحوذ على الانتباه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة.

برز اسم هنتنجتون أول مرة في الستينيات بنشره بحثا بعنوان "النظام السياسي لمجتمعات متغيرة"، وهو العمل الذي تحدى النظرة التقليدية لمنظّري التحديث، والتي كانت تقول بأن التقدم الإقتصادي والاجتماعي سيؤديان إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في المستعمرات حديثة الاستقلال.

وينتمي هنتنجتون إلى الساحل الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية، الذي يحتضن مثقفين كانوا من رواد التنظير للحرب الباردة، ثم لحروب المواجهة الجديدة بعد نهاية الإتحاد السوفياتي، ويحظى هنتنجتون بتأثير كبير في الأوساط الحاكمة الأمريكية، وقد مكّنه مركزه كأستاذ في جامعة هارفارد من تمتين حضوره وتأثيره السياسي، وقد تخرج من تلك الجامعة سياسيون كبار أمثال: كيسنجر وبريجنسكي وهما من أصدقائه، ومن بين تلامذته كذلك فرنسيس فوكوياما، صاحب كتاب: "نهاية التاريخ" الذي اشتغل كباحث في وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، كما تخرج على يديه كثير من الدبلوماسيين الأمريكيين.

ومنذ سنة 1959 احتل هنتنجتون منصب مدير معهد دراسات الحرب والسلام institute of war and Peace Studies وبعد ذلك أسس مجلة "السياسة الخارجية" Foreign Policy وعمل في البيت الأبيض كمنسق لبرنامج التخطيط الأمني، وقام ببحوث معمقة في السياسات العسكرية، وقد أصدر العديد من الكتب منها: الجندي والدولة سنة: 1957، بين فيه أن مهمة العسكريين هي إدارة العنف والعناية المستمرة بعظمة الدولة، كما قدم فيه أفكاراً تقول أن العسكريين يمتازون عن المدنيين

بكونهم يمثلون كتلة متحدة، في حين أن السياسيين يميلون إلى الانقسام، لذلك اقترح أن تحال السلطة السياسية إلى رؤساء المؤسسات الكبرى تحت إشراف العسكريين، ثم ألف كتابا آخر بعنوان: "النظام السياسي لمجتمعات متغيرة" بيّن فيه أن الأنظمة التسلطية وحدها مؤهلة لتحديث العالم الثالث، ثم ألف كتابه الشهير"صدام الحضارات"، بعدها ألف كتاباً بعنوان: "من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية"، وقد شغل هنتنجتون خطة مستشار في مجلس الأمن القومي في فترة الرئيس **جيمي كارتر** وقبلها خطة مستشار في إدارة الرئيس **جونسون**، مكلفاً بتقديم تصورات لإجهاض الثورة الفيتنامية، وفي سنة 1974 عينه هنري كيسنجر في لجنة العلاقات مع أمريكا اللاتينية، وقد أسهم في تنصيب أنظمة فاشية مثل نظام **بينوشي** في الشيلي، **ورفائيل فيديلا** في الأرجنتين.

ويعتبر صموئيل هنتنجتون أحد المفكرين الذين صمموا " اللجنة الثلاثية" وقد أعد لهذه اللجنة دراسة حول أزمة الديمقراطية، اقترح فيها مجتمعا نخبويا تكون فيه الجامعات مخصصة لبعض النخب وتفرض فيه الرقابة على وسائل الإعلام. وكان من المفكرين الذين يتقاضون راتبا من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، مقابل نشر مقالات في مجلات جامعية، وشغل خطة عضو منتدب في مؤسسة "دار الحرية" Freedom House التي ترأسها في وقت من الأوقات **جيمس وولسي** James Woolsy مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الأسبق[1]

من أهم أقواله: "نظريتي هي أن المصدر الرئيسي للنزاع في العالم الحديث لن يكون في الأساس عقائدياً أو اقتصادياً. التقسيمات الكبرى للجنس البشري ومصدر الصراع الحاكم ستكون على أساس الثقافة. الدول القومية ستبقى كأقوى اللاعبين في العلاقات الدولية، ولكن النزاعات الرئيسية في السياسة العالمية ستحدث بين الأمم والمجموعات المختلفة من الحضارات، صراع الحضارات سيحكم السياسة العالمية، الفوارق بين الحضارات ستكون خطوط القتال في المستقبل".

في 1993، أشعل هنتنجتون نقاشاً مستعراً حول العالم في العلاقات الدولية بنشره في مجلة فورين أفيرز (العلاقات الخارجية) مقالاً شديد الأهمية والتأثير بعنوان "صراع الحضارات"،صنف فيه العالم إلى ثنائي الحضارات، هذا التصنيف الثقافي سيصف العالم بطريقة أفضل من النظرة التقليدية للدول المختلفة ذات السيادة، خلص إلى القول بأنه لكي نفهم النزاع في عصرنا وفي المستقبل الخلافات الثقافية يجب أن تُفهم، والثقافة (بدلاً من الدولة) يجب أن يتم القبول بها كطرف وموقع للحروب. لذلك فقد حذّر أن الأمم الغربية قد تفقد زعامتها إذا فشلت في فهم الطبيعة غير القابلة للتوفيق للاحتقانات المتنامية حالياً، وأكد كذلك أن هذا التغيير في البنية السياسية الجغرافية يتطلب من الغرب أن "يقوي نفسه داخلياً ويتخلى عن عالمية الديمقراطية والتدخل المُلِّح". يجدر بنا مقارنة

---

[1] _ محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 2009، ص ص 35_36.

هنتنجتون ونظريته عن الحضارات، وتأثيره في صانعي السياسة في الإدارة الأمريكية والبنتاغون بأرنولد توينبي ونظريته التي اعتمدت بشدة على الدين، والتي لاقت انتقادات مماثلة، بعد أن أحدثت كتاباته العلمية جدلا واسعا على مستوى العالم، وخاصة كتابيه "صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي" الصادر في عام 1996، وكتابه: "من نحن؟: التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية" الصادر في عام 2004. وعندما نشر كتابه صدام الحضارات في صيف 1993 في صورة مقالة في البداية بمجلة الشئون الخارجية الأمريكية، أثار هذا المقال أكبر قدر من التعليقات والحوارات منذ أربعينيات القرن الماضى وفقا لما رصدته المجلة.

سلك صامويل هنتنجتون نفس طريق المؤرخ البريطاني الكبير أرنولد توينبي (1889_ 1975) بإتخاذه من الحضارات وليس الدول أو الايدولوجيات مجالا لدراسته، وكان توينبي يرى أن الحضارات هي المجالات المعقولة لدراسة التاريخ وهنتنجتون أيضا يرى الحضارات والثقافات، وليس الدول مجالا لدراسة مستقبل الصراعات الكونية. كما هو معلوم ركز هنتنجتون على التحديات التي تواجه الحضارة الغربية وخاصة من الحضارتين الإسلامية والصينية، وركز بشكل أكثر تفصيلا في كتابه على الحضارة الإسلامية، وبعد 11 سبتمبر كتب صاموئيل هنتنجتون مقالة مشهورة أخرى في عدد مجلة النيوزوييك السنوى في ديسمبر 2001 بعنوان: "عصر حروب المسلمين" مكررا رؤيته التي سبق أن طرحها في كتابه ومفسرا لأبعاد هذه الحروب بما يعني أن نظريته قد تحققت، وأن حروب المسلمين ستشكل الملمح الرئيسي للقرن الحادي والعشرين، قراءة هنتنجتون تنبع من قراءة الأوضاع السياسية وليس الدينية أو الاجتماعية، وقد ذكر ذلك صراحة في مقدمة كتابه بقوله: "لا يهدف هذا الكتاب لأن يكون عملا في علم الاجتماع، وإنما ليقدم تفسيرا لتطور السياسة الكونية بعد الحرب الباردة"، إذن هو كتاب يبحث في تقديم رؤية استراتيجية مستقبلية. وقد ذكر قبل رحيله في حوار مع صحيفة "دي فيليت" الألمانية أن العلاقات بين دول العالم سوف تشهد تغيرا في طبيعتها في السنوات العشر القادمة على أقصى تقدير، ويرى هنتنجتون أن السياسة الكونية المعاصرة تتمثل الآن في عصر حروب المسلمين فالمسلمون يحاربون بعضهم بعضا، كما أنهم يحاربون غير المسلمين، وذلك بمعدل أكثر بكثير مما تقوم به شعوب الحضارات الأخرى، وأن حروب المسلمين قد احتلت مكانة الحرب الباردة كشكل أساسي للصراع الدولي، وهذه الحروب تتضمن حروب الإرهاب، حروب العصابات والقرصنة، الحروب الأهلية والصراعات بين الدول، وقد يتخذ هذا العنف وهذه الحروب أبعادا تصل بها إلى صراع رئيسي وحيد بين الإسلام والغرب أو بين الإسلام وباقي العالم.[1]

ولقد ألف هنتنجتون وشارك في تأليف 17 كتابا و90 مقالا علميا. ورغم علمه الغزير لم تأت شهرته إلا من كتابه صدام الحضارات الذي ترجم إلى 39 لغة، وأهم كتبه مرتبة ترتيبا زمانيا هي كما يلي:

[1] _ ويكبيديا، الموسوعة الحرة **ar.wikipedia.org/wik**

1. *Soldier and the State: The Theory and Politics of Civil-Military Relations* (1957). الجندي والدولة: النظرية السياسية للعلاقات العسكرية المدنية
2. *The Common Defense: Strategic Programs in National Politics* (1961). الدفاع المشترك: البرامج الاستراتيجية في السياسة الوطنية
3. *Political order in changing societies*, New Haven, Conn. London Yale University Press, 1968. النظام السياسي لمجتمعات متغيرة
4. *The Crisis of Democracy: On the Governability of Democracies* (1976). أزمة الديمقراطية: الحكم الجيد للديمقراطيات
5. *American politics : the promise of disharmony*, Cambridge, Mass, Belknap Press, 1981. سياسة أمريكا: وعد التنافر
6. No Easy Choice: Political *Participation in Developing Countries*.
7. *The third wave : democratization in the late twentieth century* Norman, University of Oklahoma Press, 1991. لايوجد خيار سهل: المشاركة السياسية في البلدان النامية
8. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*, New York, Simon & Schuster, 1996. صدام الحضارات: اعادة صنع النظام العالمي
9. *Who are we? : the challenges to America's national identity*, New York, Simon & Schuster, 2005. من نحن: التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية

ومنه فلقد ترك هنتنجتون كتبا كثيرة حاول من خلالها تشريح الواقع السياسي والثقافي للمجتمعات، ومن منطلق انه استاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة هارفارد، فان جل دراساته كانت تنطلق من الواقع ومن معطيات واقعية لتستشرف المستقبل، ولعل اشهر كتبه كان الكتاب الذي ترجم الى كثير من اللغات، والذي تنبأ فيه بالصراع بين الحضارات، الا وهو كتاب"صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي".

2_ في مفهوم الحضارة (Civilization).

أ) من الناحية اللغوية:

الحضارة من المفاهيم الفلسفية التي اختلف حولها المفكرون والعلماء، سواء من حيث الضبط اللغوي أو الاصطلاحي، فهناك من يميز بين الحضارة والثقافة، وهناك من لا يضع خطا فاصلا بينهما، وهذا يعود إلى اختلاف التصورات والمفاهيم من منظومة فكرية إلى أخرى، وحتى نتبين حقيقة هذا المصطلح كان لا بد لنا أن ننطلق من الضبط المفاهيمي اللغوي له، ثم الاصطلاحي، وقد عدنا في ذلك إلى أشهر القواميس والموسوعات، سواء في الفكر العربي الإسلامي، أو الغربي.

حيث يعرّف **إبن منظور**(630هـ/1232 م-711هـ/1311م) الحضارة لغة بقوله: "إن الحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي والحضارة هي الإقامة في الحضر، والحضر والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف"[1].

فالحضارة وفق هذا التعريف، ضد البداوة، وهنا يميز إبن منظور بين المدن والريف، من خلال التمييز بين الحضارة والبداوة، ومنها جاءت كلمة حضارة، وفي المعجم الوسيط جاء تعريف الحضارة متفقا تقريبا مع تعريف إبن منظور لها، حيث جاء فيه: "الحضارة الإقامة في الحضر، ضد البداوة وهي مرحلة متقدمة من مراحل التطور الإنساني، مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي في الحضر"[2].

إلا أن هذا التعريف يرى أن الحضارة تعني جملة مظاهر التقدم والتطور الإنساني، سواء منها الفكرية أو المادية، بمعنى أنه لا يميز بين الحضارة والثقافة، كما ترى كذلك قواميس أخرى، أما إذا عدنا إلى العلامة **عبد الرحمن ابن خلدون*** صاحب كتاب المقدمة الشهير، فإنه يعرّف الحضارة على أنها: "تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من التاريخ والملابس"[3]. والملاحظ أن ابن خلدون يقابل دائما الحضارة بالبداوة بمعنى أن الحضارة من الحضر والعمران والإقامة في الحضر، بينما البداوة فهي من البادية والريف، وعليه فالمعاجم العربية لها نفس التوجه في تعريف الحضارة، فهي مرحلة متقدمة من التطور الإنساني من الجوانب الاجتماعية والعلمية والأدبية. وهو نفس التعريف تقريبا نجده في المعجم الفلسفي **لمراد وهبة** حيث جاء مصطلح "حضارة **(Civilization)** هي الحالة المقابلة للبداوة والفطرة، تطلق على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة"[4].

أما إذا عدنا إلى المنظومة الفكرية الغربية فنجد كلمة "الحضارة في اللغة الأجنبية **(Civilisation)** مشتقة من كلمة **(Civitas)** في اللاتينية بمعنى المدنية أو **(Civis)** ساكن المدينة حيث تقام الحياة عادة في المدن"[5].

1- ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، دار المعارف، ج 6، ص 907.

2- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، سوريا، دار الفكر، ج1، (د ط)، (د ت)، ص 181.

*عبد الرحمن ابن خلدون(784هـ/1332م_808هـ/1406م) مؤرخ عربي ومؤسس علم الإجتماع، من أهم مؤلفاته المقدمة.

3- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ص 172.

4- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة دار قباء الحديثة، (د ط)، 2007، ص 280.

5- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986، ص 24.

ولقد ارتبط مفهوم الحضارة في اللغة اللاتينية بالمدنية أو المدينة أي الحضر، فالمدينة هي التي تعبّر فعلا عن حياة الإنسان من حيث هو عضو في الجماعة أو حسب الفكرة الأرسطية الإنسان مدني أو اجتماعي بطبعه، وتمييزا لساكن المدينة عن البرابرة، من حيث إنه يمتاز بأخلاق وثقافة المجتمع الذي هذّبه وأخرجه من الهمجية إلى الحضارة، وربما هو ما نجده في المعجم الفرنسي روبير الذي يعرّف الحضارة، من حيث إنها تعبّر عن المشترك الإنساني، بمعنى أن الحضارة هي كل ما أنتجه الإنسان لصالح الإنسان، وكل ما جعل الإنسان ينتقل من حالة الطبيعة والهمجية إلى حالة الثقافة والحضارة فـ"الحضارة مجموع الميزات المشتركة العامة للمجتمعات الأكثر تطورا، مجموع مكتسبات المجتمعات الإنسانية مضادة للحالة الطبيعية والهمجية"[1].

وعليه أصبح مفهوم الحضارة معبّراً عن الرقي الثقافي والفكري والأخلاقي للإنسان والإنسانية وهنا بدأ مفهوم الحضارة يعولم، لأنها أصبحت تعبّر عن المشترك الإنساني، والتثاقف بين الحضارات بل والتبادل والتفاعل الحضاري، بعد أن كانت الحضارة تعني إجتماع الناس في مكان من أجل القيام بشؤون الحياة، وكل ما يرتبط بتطور ورقي الإنسان، وهو ما جاء في القاموس المحيط **للفيروز أبادي** عندما يتكلم عن الحضارة واصفا إياها بقوله: "ثم أريد منها ما يستتبع الإقامة في الحضر من تعاون وتآزر وتبادل للأفكار والمعلومات في شتى شؤون الحياة من علوم وعمران وثقافة وعرفان، وما إلى ذلك مما يتصل بتقدم الإنسان وترقيه في مناحي الحياة المختلفة، وذلك أن إجتماع الناس في مكان واستقرارهم به، إنما يكون للتعاون على دفع الضرر وتحصيل أسباب المعاش بالزراعة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم المختلفة والترقي بها حتى تصل إلى مداها المقدر لها"[2].

وعلى اعتبار الانسان مدني بطبعه لا يستطيع ان يعيش بعيدا عن المجتمع، فانه قد استطاع ان ينتقل من مجتمع طبيعي الى مجتمع مدني سياسي، ربط فيه واقام علاقات مع بني جنسه فتشكلت الثقافة ومن ثمة الحضارة.

إذن فالمفهوم اللغوي مفهوم يركز على حالة الحضارة، بمعنى كيف انتقل الإنسان من البداوة إلى الحضارة، وأن الحضارة هي التي تعبّر عن الرقي والتقدم الإنساني في شتى مناحي الحياة، في مقابل البداوة التي تعني الإقامة في البدو، وما يستتبع ذلك من همجية وتخلف.

ب) من الناحية الاصطلاحية:

فالتعريف اللغوي لم يشر إلى ذلك التمايز أو عدم التمايز بين الحضارة والثقافة الذي نلحظه في المفاهيم الإصطلاحية عند بعض المفكرين وعلماء الإنثروبولوجيا، أمثال **رالف لنتون** (**Ralph**

---

[1] *-Le Robert, Dictionnaire de la langue français,Paris, 1992, p 320.*

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، نقلا عن إبراهيم محمد تركي، في فلسفة الحضارة، قضايا ومناقشات، القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، ص 27.

Linton)* في كتابه: "شجرة الحضارة" والإنثروبولوجي الفرنسي كلود **ليفي شتراوس(Claude Lévi-Strauss)****من خلال أعماله خاصة "البنى الأولية للقرابة"، فهناك من العلماء والفلاسفة والإنثروبولوجيين من لا يقيم تمييزا بين الثقافة والحضارة أمثال **إدوارد برنت تايلور**، معتبرين الحضارة والثقافة شيئاً واحداً، وعموما فالفكر الألماني على خلاف الفكر الفرنسي والإنجليزي يقيم حدا فاصلا بينهما، وهنا يقول **هارلد موللر** في كتابه: "تعايش الثقافات" "إن كلمة ثقافة **(Cultur)** في الاستعمال اللغوي الألماني، تسود حيث تستخدم حضارة **(Zivilisation)** في الخطاب الإنجليزي أو الفرنسي وهذا الفرق ليس صدفة، بل يعكس أساسا مفهومات متباينة تضرب بجذورها في التواريخ العقلية المختلفة"(1).

فالتمييز بين الثقافة والحضارة حسب هارالد موللر ليس اعتباطيا أو عفويا، بل إنه يعبّر عن الخلفية الفكرية لكل منظومة، وأن التمييز بينهما له أكثر من معنى وهدف.

"وقد اختلطت كلمة حضارة مع كلمة ثقافة في كثير من الأحيان، وعند عدد كبير من علماء الإجتماع، وبات التمييز بينهما صعبا ودقيقا، ولكن أصبح هناك شبه اتفاق على تحديد كل من الكلمتين، فكلمة حضارة أخذت تطلق على مظاهر الحياة المتقدمة والمتطورة في المجتمعات الغنية (الآلات والخبرة في ميدان الإنتاج، الثروة المادية) أما الثقافة فأصبحت تطلق على مظاهر الحياة الروحية والفكرية في كل مجتمع متقدما كان أم متخلفا"(2).

ويفهم من هذا الطرح أن التمييز بين ما هو ثقافي وما هو حضاري، يخضع للمنظومة الفكرية لكل أمة، رغم أن معظم المفكرين والعلماء يرون أن الحضارة هي التعبير المادي للثقافة التي أنتجتها وعليه فإن "جيراننا الأوروبيين والأمريكيين كذلك يفهمون تحت كلمة حضارة العدة الكاملة لمجتمع من المجتمعات للتغلب على مشكلات الوجود في حقبة تاريخية، وذلك يشمل الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية المميزة وآداب اللياقة السياسية، وبنية الاستيطان والتربية، وأخيرا أيضا الدين ونظم القيم وعلم الجمال"(3).

فالحضارة مفهوم عام يشمل كل ما أنتجه الإنسان من أجل أن يقاوم الطبيعة في تحديه الطويل لها، وذلك من أجل إخضاعها والتحكم فيها، بل ومن أجل أن يؤكد وجوده، ويصبح سيدا عليها وذلك

* رالف لينتون (1893_1953) فيلسوف أمريكي، من أهم كتبه: دراسات حول الإنسان.

** كلود ليفي شتراوس (1908 _2009) عالم إجتماع فرنسي. من أهم كتبه: البنى الأولية للقرابة.

1- هارالد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2005 ص 53.

2- لحميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي، (عربي إنجليزي)، بيروت مكتبة لبنان، ناشرون ط1، 2000، ص 206.

3- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 53.

بالقوة العاقلة التي وهبته الطبيعة ذاتها إياه وهي ايضا _أي الحضارة_ "مفهوم شامل للممارسة الاجتماعية، وحيثما حملت ممارسة المجتمعات سمات جوهرية مشتركة فذلك يعني أنها تنتمي للحضارة نفسها"[1].

فالحضارة هي التعبير عن المشتركات الانسانية الواحدة، وهذا ما يعني أن لدينا حضارات وليس حضارة واحدة من حيث التكوين والاختلافات والتعدد، أما الاعتقاد بوجود حضارة عالمية واحدة، فهو طرح جديد يحمل في طياته نظم العولمة الثقافية والحضارية، تحت غطاء قيم الكونية والعالمية والسلام والتسامح.

وكما ذكرنا سابقا، فإن الفكر الألماني يقوم على فلسفة التمييز بين الحضارة والثقافة، ومن أشهر الفلاسفة الذين قدموا تعريفا واسعا للحضارة مميزين بين الثقافة والحضارة، نجد فيلسوف الحضارة **أوزفالد شبنغلر(Oswald Spengler)*** فهذا الأخير"صاحب العمل الذي ما يزال حتى اليوم الأهم في اللغة الألمانية حول نشوء الثقافات والحضارات وأفولها، نظر إلى الحضارة بوصفها مرحلة انحلال الثقافة، أي المرحلة التي يتصرف فيها شعب متمدين نحو الأشياء العملية وفي مقدمتها التجارة وليس بعداً نحو القيم والفضائل والفن وهو فهم مميز جدا لألمانيا"[2].

وهذا المفهوم الذي جاء في كتاب شبنغلر "أفول الغرب" أو "تدهور الحضارة الغربية" يؤكد حقيقة الحضارة وحقيقة الثقافة، لكن المهم هو التأكيد أن إنحلال الثقافة هي المرحلة التي تسبق وتنذر بأفول الحضارة، ولقد لاحظ شبنغلر الانحطاط الذي يسود الثقافة الغربية، في القيم والأخلاق، ولهذا تنبأ بأفول الغرب أو الحضارة الغربية.

ولقد اعتمدت على كتاب هارالد موللر "تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنجتون" في ضبط مفهوم الحضارة على أساس أنه مفكر ألماني، اهتم بفلسفة الحضارة في الفكر الغربي، خاصة في فكر شبنغلر، وهنتنجتون، ومتطرقا للفكرة الأساسية التي ننطلق منها في موضوع صدام الحضارات، في هذا العنصر، ألا وهي التمييز بين الحضارة والثقافة، حتى نستطيع أن نجيب فيما بعد على السؤال: هل الصدام صدام ثقافات أم صدام حضارات؟ وانطلاقا من أفكار شبنغلر يقول هارالد موللر: "ومن هنا كانت المفاجأة الهائلة في أن هنتنجتون قد استخدم في عمله الضخم في أصله الأمريكي مفهوم "حضارة" كما في المأثور الألماني للثقافة، وحدد فهمه للحضارة بنظم القيم وجعل الدين في أثناء ذلك معيارا حاسما"[3].

---

[1]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 53.

* **أوزفالد شبنغلر** (1880_1936) فيلسوف ألماني من أهم كتبه: أفول الغرب.

[2]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 54.

[3]- المرجع نفسه، ص 56.

وهي الفكرة التي أكدها **وجيه كوثراني** في المقال المشترك الذي ألّفه رفقة هنتنجتون، حينما يقول: "كان شبنغلر في كتابه "انحطاط الغرب" قد أطلق لفظ **"culture"** على الحضارة بمعنى الوحدة الأساسية أو الحدث الأول في الاجتماع والتاريخ، كما كان قد أطلق التعبير نفسه على دور الفتوة وطور الإنتاج الروحي من الحضارة، في حين أطلق تعبير الحضارة نفسه على طور الهرم والركود وفي رأيه يتميز هذا الطور بالإنتاج المادي وحده"[1].

وهنا نلاحظ أن شبنغلر يتكلم على أطوار الحضارة التي ذكرها من قبل إبن خلدون، كما ذكرها **أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)*** أما هنتنجتون، فيعتقد بأن الحضارة تعني الثقافة وفقا للمنظومة الفكرية الألمانية، واعتقد المفكرون أن هذا يعد مفاجأة، على أساس أن المنظومة الفكرية الأنجلوسكسونية والفرنسية لا تقيم تمييزا بين الثقافة والحضارة، وهنتنجتون ينتمي إلى هذه المنظومة وعليه"إن الثقافة (بمفهوم هنتنجتون) لا تمتلك بتاتا احتكاراً عند تعبئة جماهير مأزومة فاقدة لليقين فالموضوعات الاجتماعية الإثنية والقومية تفعل ذلك، وفي الحقيقة بشكل أفضل، وهذه الحقيقة هامة في أي تقدير لهويات ثقافية قادمة ولعمليات النبذ في مناطق العالم، ومن أجل فهم قوة تأثير عملية التعبئة هذه وثباتها وعنفها، لا تكفي النظرة في انعدام اليقين والطمأنينة، فالتعبئة تحقق أيضا للمجتمع ككل واجبات هامة"[2].

فالحضارة لا يمكن أن تطلق على بعض الثقافات الفرعية الهامشية، لأنها أبلغ من تجميع بعض السلوكيات، والعادات والتقاليد، فالحضارة مرحلة أرقى من مجرد مظاهر ثقافية تمارسها بعض الجماعات في مرحلة ما، ولهذا يجب تبين المعنى اللغوي الدقيق لكل من الثقافة والحضارة، حتى يتضح المعنى الاصطلاحي، لأن "نفس الإرتباط يحدث على المستوى اللغوي عندما نقصر "الحضارة" على المستوى الكوني، ونعتبر الجماعات الثقافية الكبرى التي كانت تسمى حضارات على مدى التاريخ مجرد ثقافات أو حضارات فرعية"[3].

ولهذا فقد انتبه علماء الإجتماع من حيث إن الثقافة ظاهرة اجتماعية، وعلماء الإنثروبولوجيا من حيث إن الثقافة عمل الإنسان في التاريخ، وعلماء الحضارة من حيث إن الحضارة الشكل الأرقى والتعبير المادي للثقافة، وتوصلوا إلى أن الكلام على الثقافة لا يعني الحضارة ولا العكس، وهذا ما دفع

---

[1]- وجيه كوثراني وآخرون، صدام الحضارات أم إدارة الأزمات، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ط1، 1995، ص ص 93_ 94.

* أرنولد توينبي (1889_1975) فيلسوف إنجليزي، من أهم كتبه: دراسة للتاريخ.

[2]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 93.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة دار سطور، ط2، 1999، ص 94.

هنتنجتون إلى التمييز بين الحضارة بمعناها المفرد والحضارات بصيغة الجمع عندما يقول: "هناك فرق بين الحضارة بمعناها المفرد والحضارات بصيغة الجمع، وقد كشف المفكرون الفرنسيون عن فكرة الحضارة وطوروها في القرن التاسع عشر كنقيض لمفهوم البربرية، فالمجتمع المتحضر يختلف عن المجتمع البدائي، لأنه كان مستقرا ومدنيا وليس أميّاً، كان من الحسن أن تكون متحضرا، ومن السيئ ألا تكون"[1].

يفهم من هذا، أن هنتنجتون يعتقد أن مصطلح الحضارة من اكتشاف المفكرين الأوروبيين، الذين طوروا هذا المصطلح، معتبرينه مناقضا للبربرية والهمجية، فالمجتمع المتحضر مختلف تماما عن البدائي المتخلف، وهنا اعتبر هنتنجتون الحضارة خيراً والبداوة شراً، وهي في الحقيقة فكرة خلدونية نجدها عند العلامة عبد الرحمن إبن خلدون، وبهذا أصبحت الحضارة معيارا للحكم على المجتمعات المتحضرة والبربرية، وهذا ما فعله الأوروبيون عندما اعتمدوا هذا المعيار، جاعلين الحضارات غير الأوروبية كلها حضارات بربرية "ومفهوم الحضارة قدّم معيارا نحكم به على المجتمعات، وخلال القرن التاسع عشر، كرّس الأوروبيون الكثير من الجهد الفكري والدبلوماسي والسياسي لشرح المعيار الذي يمكن على أساسه الحكم على المجتمعات غير الأوروبية إن كانت متحضرة بما يكفي، حتى يمكن قبول عضويتها في النظام العالمي الذي تسيطر عليه أوروبا، في الوقت نفسه كان الناس يتكلمون بشكل متزايد عن الحضارات بصيغة الجمع، وكان هذا يعني رفض الحضارة التي تعرف على أنها نموذج، أو بالأحرى على أنها المثال الذي يجب أن يحتذى، كما يعني تحولا عن الإفتراض الذي يقول: إن هناك معيارا واحدا لما هو متحضر، أو بعبارة "**بروديل (Fernand Braudel)***" مقصور على قلة متميزة من الشعوب أو جماعات النخبة الإنسانية"[2].

وما يؤكده وجيه كوثراني، أن هنتنجتون يستخدم تعبير الثقافة والحضارة بنفس المعنى، وهو ما يجعل الحضارة تشتمل على ما هو ثقافي، وما هو حضاري لشعب ما، يقول في ذلك وجيه كوثراني "يبدوا أن هنتنجتون يستخدم تعبير "ثقافة" وحضارة بمعنى واحد، بل إن تعبير الحضارة عنده يشمل الثقافة بمعناها الإنتولوجي، أي بما تحمله هذه الأخيرة من معان ترتبط بالدين وأنماط الحياة والعلاقات والطقوس والعبادات، فهي بهذا المعنى تشمل سمات الأقوام، والشعوب والجماعات الدينية المذهبية والعرقية"[3].

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ص 67.

* فرناند بروديل (1902_1985) مؤرخ فرنسي وزعيم من زعماء مدرسة أنال في التاريخ.

[2]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ص 68.

[3]– وجيه كوثراني وآخرون، صدام الحضارات أم إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 93.

فهذا المعيار ذاتي، يحكم على مجتمعات بأنها متحضرة، وأخرى غير ذلك وفق نظرة وحدوية ذاتية فلا وجود لحضارة كنموذج لباقي الحضارات، ولا يمكن القول بأن هناك حضارة عالمية واحدة بل هناك حضارات، وهو ما سنتناوله في الفصول القادمة، إذن هناك حضارات، ولكل حضارة طريقتها في التعبير عن التحضر، وعن الثقافة التي أنتجتها.

إن "الحضارة كيان ثقافي خارج ألمانيا، لقد وضع المفكرون الألمان في القرن التاسع عشر تمييزا حادا بين الحضارة التي تتضمن الآلات والتكنولوجيا والعوامل المادية، وبين الثقافة التي تتضمن القيم والمثل والصفات الذهنية والفنية والأخلاقية الراقية في المجتمع، وظل هذا التمييز قائما في الفكر الألماني، وإن كان لم يقبل في أي مكان آخر، وقد عكس بعض علماء الأجناس العلاقة وفكروا بثقافات لها سمات المجتمعات البدائية الجامدة غير المدينية، بينما اعتبروا المجتمعات الأكثر تعقيدا وتطورا ومدنية وحركة حضارات، إلا أن هذه المحاولات للتمييز بين الثقافة والحضارة لم تنتشر"(1).

وعليه ففي الفكر الألماني، يوجد تمييز كبير بين الثقافة التي كانت تشير إلى الملكات العقلية وكل ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه من قيم وأخلاق، وبين الحضارة التي تعني كل ما أنتجه الإنسان من أمور مادية، وهذا التمييز هو الذي يعتمده هنتنجتون، أما الفكر الفرنسي والإنجليزي فلا يرى تمييزا بين الثقافة والحضارة، والدليل الذي يقدمه هنتنجتون عن ذلك هو موقف المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل حيث يقول عنه "ومع برودل من المضلل أن نحاول على الطريقة الألمانية فصل الثقافة عن أساسها (الحضارة)...الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما والحضارة هي ثقافة على نطاق أوسع، وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علّقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما، "الحضارة عند برودل" فضاء "مساحة ثقافية" مجموعة من المواصفات الثقافية"...وظاهرة ويعرفها "**ولتر شتاين** (***Walter Stein***)*"بأنها "نظرة مركزة إلى العالم والعادات والبنى الثقافية (المادية والراقية معا) التي تكّون نوعا من الكل التاريخي والتي تتعايش (وإن لم يكن دائما في نفس الوقت) مع ظواهر أخرى متنوعة"(2).

فلا يمكن وفق الفكر الفرنسي أن نفصل بين الثقافة والحضارة، من حيث إنهما نتاج للفكر الإنساني، فهما طريقة في الحياة تعبّران عن رقي الإنسان، وعن كل ما أنتجه وأبدعه، سواء كنشاط عقلي أو مادي، كما تعبران عن نظرة كل مجتمع للحياة والكون والعالم، وربما هو ما يعبّر عنه مصطلح الحضارة عند **داوسن** التي هي عنده" نتاج عملية أصلية خاصة من الإبداع الثقافي والتي

1– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ص ص68 _ 69.

* ولتر شتاين 1970 أديب وصحفي الماني.

2– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 69.

هي من صنع شعب ما، بينما هي عند "**دوركهايم**"(**Émile Durkheim**)* و"**ماوس**" نوع من وسط أخلاقي يضم عددا معينا من الأمم، كل ثقافة وطنية هي شكل خاص من الكل، وعند شبنغلر "الحضارة هي المصير الحتمي للثقافة... والثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة تقريبا"(1).

فالثقافة هي التعريف العام للحضارة، بمعنى إذا أردت أن تعرف حضارة ما، فعليك أن تعود إلى الثقافة التي أنتجتها، فهي كيانها العام والأشمل الذي يحتويها، فقد نجد داخل الحضارة الواحدة ثقافات فرعية تختلف من حيث الجزئيات، إلا أنها تنتمي لحضارة واحدة وثقافة أوسع، لها ملامحها الخاصة التي لا نجدها في حضارة أخرى، وعليه فإن "الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع ،القرى والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية، كلها لديها ثقافات محددة، وعلى مستويات مختلفة من التمايز الثقافي، فثقافة قرية الجنوب الإيطالي قد تختلف عن ثقافة قرية في الشمال، ولكنهما يشتركان في ثقافة إيطالية عامة تميزهما عن القرى الألمانية، والمجتمعات الأوروبية بالتالي ستشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات الصينية أو الهندية، الصينيون والهندوس والغربيون ليسوا جزءًا من أي كيان ثقافي أوسع، وهم يشكلون حضارات"(2).

فالحضارة عند هنتنجتون من خلال ما تقدم، هي أوسع تجمع ثقافي من البشر، وأكبر ما يعبّر عن هوية شعب ما، وهي أساس التمييز بين الإنسان ككائن ثقافي، وغيره من الكائنات التي لا تمتلك هذه الخاصية، تحتوي الثقافة على جواهر ذاتية تعبّر من خلالها على تميزها واستقلالها ووحدتها وإختلافها عن غيرها، كالدين واللغة والتاريخ، وهو ما يشكل ما يسمى بالهوية، التي هي عند هنتنجتون مستويات، مستوى محلي ومستوى حضاري كوني، عندما يضع الفرد نفسه في مقابل الآخر "وعلى هذا فإن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر، وأعرض مستوى من الهوية الثقافية، يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى، وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة، مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس، وهناك مستويات للهوية لدى البشر، فساكن روما قد يعرّف نفسه بدرجات مختلفة من الإتساع: روماني كاثوليكي، مسيحي، أوروبي_غربي والحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف الذي يمكن أن يعرف به نفسه، الحضارة هي "نحن" الكبرى التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل أي "هم" عند الآخرين خارجيا"(3).

---

* إميل دوركايم (1858_1917) فيلسوف وعالم إجتماع فرنسي، يعتبر أحد مؤسسي علم الإجتماع الحديث، من أهم كتبه: قواعد المنهج في علم الإجتماع.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 69.

2- المصدر نفسه، ص 71.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتصبح بالتالي الحضارات وفق تلك الخصائص الجوهرية للثقافة، مجرد كيانات ثقافية لها سلطتها المجردة، وليست كيانات سياسية، التي تقوم على القانون والنظام السياسي، أو ما يسمى بالدول، رغم أن الحضارات تحتوي على دول، و"إن الحضارات كيانات ثقافية، وليست كيانات سياسية فهي لا تحفظ النظام، ولا تقيم العدل أو تجمع الضرائب أو تخوض الحروب، أو تتفاوض على إتفاقيات أو تفعل شيئا آخر مما تفعله الحكومات، والتركيب السياسي للحضارات يختلف من حضارة إلى أخرى، كما يختلف مع الزمن داخل الحضارة الواحدة، وبالتالي فإن الحضارة الواحدة قد تحتوي على وحدة سياسية واحدة أو أكثر "[1].

وعليه، عندما نقول ثقافة أو حضارة ما، فإننا نعني جميع الجوانب التي تشملها هذه الثقافة أو الحضارة من تقنية وأساليب العيش والتنظيم الاقتصادي والسياسي، وكل المكونات الاجتماعية من قيم وأخلاق ودين، وعليه يحتوي مصطلح الثقافة والحضارة الجوانب الفكرية والمادية، على أساس عدم التمييز بين ما هو فكري ثقافي، وما هو مادي حضاري، وعليه "إذا أردنا أن نصف إحدى الثقافات بشكل كامل فيتوجب علينا أن نتناول الأمور التالية: مستوى تطور التقنية، وأسلوب الاقتصاد ونظام السلطة والعناصر الاجتماعية، والنظام القانوني، ونظام القيم"[2].

من هذا المفهوم، ينطلق المفكر الأمريكي صاحب فكرة نهاية التاريخ، التي أكدت نهاية الصراعات الإيديولوجية بعد نهاية الحرب الباردة، وانتصار الديمقراطية الليبرالية، ومحاولة تعميمها على جميع دول العالم، في نظام أحادي لا يؤمن بالتعددية، بل يؤمن بالأحادية القطبية، إلا أن نظرية صدام الحضارات أثبتت بداية تاريخ جديد ينطلق بصراع جديد بين الحضارات، يقول **فرنسيس فوكوياما (Francis Fukuyama)*** عن الحضارة "لا يجب أن ننظر إلى التاريخ على أنه ليس مجرد تتابع للحضارات المختلفة أو مستويات مادية من الإنجاز، بل أيضا تتابع لصور الوعي المختلفة، والوعي هو الأسلوب الذي يفكر به البشر حول مسائل جوهرية خاصة بالحق والباطل والأنشطة التي يحدثونها مرضية ومقنعة ومعتقداتهم عن الآلهة، وحتى الطريقة التي يتصورون بها العالم، هذا الوعي قد تغير تغيرا أساسيا عبر الزمن"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 73.

[2]- هارالد مولر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 56.

* فرنسيس فوكوياما (1952_) ولد في شيكاغو كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية، يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد، من أهم كتبه: نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

[3]- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي، إشراف مطاع صفدي، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1993، ص 76.

ففوكوياما يرى أن الحضارة ليست مفهوماً يصدق على ما هو مادي فقط، بل إن التاريخ وسيرورته وإرتباطه بالحضارات يثبت أن ظهور الحضارات وأفولها بمصطلح شبنغلر، لا يعني مدى ما أنجزته ماديا، بدليل أفول حضارات كان لها من الإنتاج المادي ما كان، واستمرار حضارات رغم نقص إنتاجها المادي، لأنها تحمل الفكرة أو الروح على حد تعبير **فريدريك هيجل** (**Georg Wilhelm Friedrich Hegel)***.

ومن خلال الكلام عن الحضارة والثقافة في الفكر الغربي، ورغم التعريفات الكثيرة التي عرّفت بها الحضارة والثقافة، إلا أننا سنركز على مفهوم الحضارة عند صموئيل هنتنجتون، لارتباطها بأطروحته التي نناقشها، ألا وهي أطروحة صدام الحضارات.

وعليه يعرّف صموئيل هنتنجتون الحضارة بقوله: "هي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب، ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي تحدد في آن معا بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة، الدين، التاريخ، العادات والمؤسسات، وبالتحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب لنفسه، فمن يقطن روسيا قد حدد نفسه بدرجات من الحدة بأنه من أهل روسيا أو إيطاليا أو كاثوليكي مسيحي أو أوروبي غربي، والحضارة التي ينتمي إليها هي أوسع مستوى للتحديد يعرف نفسه بصورة مكثفة، ويستطيع الناس أن يعيدوا تحديد هويتهم وهم يفعلون ذلك، والنتيجة هي تغيّر تكوين الحضارات وحدودها"[(1)].

من خلال هذا التعريف لمفهوم الحضارة، يؤكد هنتنجتون على الطابع العام والشامل للحضارة فهي التي تعبّر عن الهوية لشعب ما، وهنا نجده يستخدم مصطلح الهوية الثقافية وما يستتبعه، لأن الهوية الثقافية تعني الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد، وكل ما يعبّر عن الذات الحضارية لشعب ما، وحتى البعد الجغرافي المادي هو بعد محدد للثقافة والحضارة، وهنا نؤكد_كما سبق وان ذكرنا_ أن هنتنجتون لا يفرّق بين الحضارة والثقافة، وأن عناصر مقومات الثقافة والحضارة، هي التي تجعل أي شعب يحدد أو يعيد تحديد هويته، سواء من خلال الانتماء الحضاري لمنطقة ما، أو الانتماء الحضاري لعقيدة أو لغة ما أو تاريخ ما.

وهذا المفهوم الهنتجتوني للحضارة، يدفعنا إلى الرجوع إلى فلاسفة الحضارة في الفكر الغربي لاستعراض مفهوم الحضارة عندهم، وربما من أشهر المفاهيم للحضارة نجد تعريف كل من **ألبرت**

* فريديريك هيجل (1770_1831) فيلسوف ألماني يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، من أهم كتبه: فينومينولوجيا الروح.

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995 ص 19.

اشفيتسر(Albert Schweitzer)* وأرنولد توينبي، ففي كتابه: "فلسفة الحضارة" يعرّف ألبرت اشفيتسر الحضارة بقوله: "هي التقدم الروحي والمادي للأفراد على السواء"(1).

وهو ما يؤكد البعد المادي والروحي الفكري للحضارة، والتي يراها هنتنجتون ميزة جوهرية لكل حضارة، مؤمنا بتعدد الحضارات، وفقا لاختلافاتها الجوهرية الروحية والمادية المكّونة لها، أما صاحب نظرية ثنائية التحدي والاستجابة في قيام الحضارات أرنولد توينبي، فيعرّف الحضارة تعريفا مرتبطا بنظريته حيث يقول: "هذا التحدي بالشيء وللشيء، وتنمو الحضارات بالتحدي الأقصى بدافع حيوي تكون منه الاستجابة لرد وحيد مكلل بالنجاح باكتساب قوة للدفع إلى الأمام بانتهاج معارك جديدة"(2). ووفق قانون التحدي والاستجابة التي تواجهها حضارة ما، يكون تقدمها وتطورها، كلما اكتسبت معركة من معاركها، فيحدث التطور والتغير الحضاري، أما إذا فشلت الحضارة في التحدي أو الاستجابة لتحديات تواجهها، فإن مصيرها الزوال والأفول، مهما امتلكت من مقومات مادية.

وإذا عدنا إلى الفكر العربي الإسلامي، فإن مفهوم الحضارة مفهوم يرتبط بالبعد الحضاري للأمة الإسلامية ومقوماتها الثقافية، حسب تعبير المفكر الجزائري، فيلسوف الحضارة **مالك بن نبي**** الذي تطرق في كتبه إلى مفهوم الحضارة، ومقوماتها وإلى الثقافة وأزماتها، مؤكدا على البعد المادي والفكري لصناعة الحضارة في ثلاثيته الشهيرة(الوقت، التراب، الإنسان) هذه الثلاثية بما تحمله من عناصر مادية وفكرية روحية في تفاعلها تنتج الحضارة، بالإضافة إلى العوالم الثلاثة التي ذكرها مالك بن نبي ألا وهي: (عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم الأشخاص) والتي بتفاعلها تنتج لنا كذلك حضارة وتساعد في بقائها واستمرارها. وإذا فالحضارة عند مالك بن نبي "إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا صياغة خصائص تتحكم في جميع خصائصه التي تميزه على الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى"(3).

وربما هذا التعريف يتوافق مع تعريف المفكر المصري **محمد عمارة** الذي تناول قضايا الفكر الإسلامي بالدراسة والتحليل والنقد، كما تناول بعض المفاهيم كمفهوم الحضارة، والتي تعني عنده مستويات

---

*ألبرت اشفيتسر(1875_1965) فيلسوف ألماني، من أهم كتبه: فلسفة الحضارة، نال جائزة نوبل للسلام سنة 1952.

1- ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الأندلس، ط3، 1983، ص 34.

2 -*Arnold Toynbee, L'histoire, Edition Bordas, Belgique, 1985, p 194.*

** مالك بن نبي (1905/ 1323 هـ_1973م/1393 هـ) مفكر جزائري، معاصر، من أهم كتبه: مشكلة الثقافة.

3- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دمشق، دار الفكر، 1988 ص 49.

التطور والرقي التي وصل إليها الإنسان، فهو يقول: "الحضارة هي ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان"[1].

وهذا التعريف ربما يتفق مع تعريف آخر لمفكر آخر، ينتميان لنفس المنظومة الفكرية، ألا وهي المنظومة الفكرية الإسلامية إنه **توفيق محمد سبع**، حيث يعرّف الحضارة بأنها "تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية"[2].

أما التعريف الموسوعي للحضارة، فقد جمع الخصائص الذاتية والموضوعية المعبّرة عن كل حضارة، والمقصود بالخصائص الذاتية المراحل الأولى لكل حضارة، وهي مرحلة التوحش والبداوة والهمجية، أما الخصائص الموضوعية، فالمقصود بها جملة مظاهر التقدم والرقي، سواء أكانت فكرية أم مادية، والتي انتقلت من جيل إلى جيل، وهو ما يشكل لنا المفهوم الإنثروبولوجي للحضارة، وعليه "الحضارة هي مجموعة الخصائص التي تتميز بها المجتمعات المتصورة، وللحضارة اليوم عند علماء الإنثروبولوجيا معنيان: أحدهما موضوعي والآخر ذاتي، أما المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظة حضارة على مجموعة من مظاهر التقدم العلمي والفني والتقني، التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد، وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد، فتطلق على مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية"[3].

وبالعودة إلى المفهوم الغربي للحضارة، وحتى يصل هنتنجتون إلى مفهوم خاص للحضارة، فإنه تناول ما يسمى ببنية الحضارات، من حيث إن الحضارات بناءات مستقلة تتكون عبر التاريخ وعناصرها هي مجموع المعطيات المادية والروحية، ومن خلال تبيان طبيعة الحضارات، يصل هنتنجتون إلى الإيمان بأن هناك حضارة محركة أو مركزاً، وباقي الحضارات هامش، وهو ما يؤكده **عمار جيدل** من خلال كتابه: "حوار الحضارات" عندما يقول: لقد "حدد هنتنجتون الحضارة المحركة ويقصد بها تلك التي تستعمل كنموذج للتحديث، وتحقيقا لهذا المسعى تناول فكرة طبيعة الحضارات ...وذكر الملاحظات الآتية: التمييز بين الحضارات بمعناها المفرد، والحضارات بصيغة الجمع، وقد طور المفهوم حتى أصبح نقيضا للبربرية...(لمحاجته) عن حضارة عالمية عامة واحدة _الحضارات

1- محمد عمارة، التراث والمستقبل، القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1997، ص 215.

2- توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم ما قبل القرآن، القاهرة، دار المنار، ج1، (د ط)، (د ت) ص 31.

3- لحميل الحاج، الموسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي، مرجع سابق، ص 206.

الرئيسية في التاريخ البشري كانت دائما متوحدة مع ديانات العالم وبدرجة كبيرة _ شمولية الحضارات فلا يمكن فهم جزء منها إلا بالرجوع إليها، وهي كيانات ذات معنى وهدف"(1).

ما نستنتجه من خلال هذه التعريفات المختلفة للحضارة أنه ليس لها مفهوم واحد، فمفهومها يختلف من منظومة فكرية إلى أخرى، كما أن بعض التعاريف تتحكم فيها النزعة الايديولوجية، من حيث انها تعلي حضارة على اخرى، كما انها تنطلق من نفس النزعة في ترتيب الحضارات وبنياتها المختلفة ودورها في التاريخ، ومن هذا المنطلق استعرضنا مجموعة من التعريفات تمس بمختلف التيارات الفكرية والمنظومات سواء في الفكر الغربي أو العربي الاسلامي، كمحاولة لفعل المقاربة المفاهيمية، كما نشير إلى الاختلافات التي كانت بين العلماء والفلاسفة حول الفرق بين الحضارة والثقافة، حيث وجدنا من المفكرين من لايفرق بينهما، ومنهم من يضع حدا فاصلا مميزا الحضارة عن الثقافة.

المبحث الثاني: بنية الحضارات.

من خلال هذه المعطيات، ومن خلال البحث في بنية الحضارات، يريد هنتنجتون أن يبين أن الحضارة الغربية اليوم هي حضارة المركز، أما باقي الحضارات فهي حضارات الهامش، ويقصد بحضارة المركز الحضارة الأمريكية والأوروبية، أو ما يسمى بالحضارة الغربية، لينتقل بعد ذلك للكلام عن ما يميز هذه الحضارة من خصائص ومميزات، جعلتها تنفرد عن غيرها من الحضارات، وتكون البنية الأساسية في بنائها وتكوينها "ويسعى (هنتنجتون) جاهدا إلى بيان مكونات الحضارة الغربية، فيحصرها في أوروبا، أمريكا اللاتينية والشمالية...ولكن أمريكا التي تعرّف نفسها بأنها جزء من الغرب، أصبحت لقوتها المادية قائد الكيان الواسع (الغرب) الذي يمثل حسب رأيه ممثل العالم المسيحي الغربي"(2).

وربما هذا الطرح من هنتنجتون سببه الخلط المفاهيمي في المصطلحات، بين الحضارة والثقافة حيث يقول في هذا الصدد **هاني إدريس** في كتابه: "حوار الحضارات" " الخلط الاصطلاحي بين الحضارة والثقافة...يؤكد ذلك **جون جراي (John Gray)*** قائلا: "والمعيار الذي يستخدمه هنتنجتون ضمنا في أغلب الأحوال، إنما يعكس الفكرة الأمريكية المتسلطة بشأن تعدد الثقافات، فالثقافة أو الشعب يعد حضارة، إذا كان له ما لأقلية أمريكية من فاعلية سياسية، وفي غير هذه الحالة فهو يتجاهلها"(3).

1- عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، عمان، دار الحامد، ط1، 2003 ص 76.

2- المرجع نفسه، ص 77.

* جون جراي (1951_) كاتب ومؤلف أمريكي.

3- هاني إدريس، حوار الحضارات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2002، ص 116.

وعليه فإن هدف هنتنجتون من التمييز بين الحضارة بمعناها المفرد، والحضارة بمعناها العام، هو الوصول إلى مستويات الحضارة وبنيتها، فالمعنى المفرد يعني أن الحضارة هي عبارة عن مزيج من المعرفة والقيم والأخلاق والتقنية والفلسفة، والدين، والفن، وكل ما هو مادي وروحي، وهذا يعبر عن تأرجح الحضارة عبر التاريخ من خلال هذه الثنائية المادي والروحي، وطغيان أحدهما على الآخر "الحضارة بمفهومها المفرد تشير إلى مزيج معقد من الأخلاق والدين والتعليم والفن والفلسفة والتكنولوجيا والرخاء المادي، وأشياء أخرى ...إلا أن الدارسين يمكنهم بسهولة أن يحددوا نقاطا عليا، ونقاطا دنيا في مستوى الحضارة عبر تاريخ الحضارات"[1].

وعلى اعتبار أن للحضارة مستوى أعلى ومستوى أدني، وأن هذين المستويين يتحددان في التاريخ فإنه لا يمكن أن ننكر أنه "من المتعارف أن الحضارة بناء متعدد ومتنوع"[2].

فهي متعددة في جوانبها المادية والروحية، ومتنوعة من حيث إن لكل شعب حضارته التي تعبّر عن هويته، ومتنوعة عبر مسار التاريخ، فليس لدينا حضارة واحدة، بل هناك حضارات، وربما تمييز هنتنجتون بين مستويات الحضارة، هو السبب الذي جعله يقدم مفهوما جديدا للحضارة، حيث "ينطلق هنتنجتون في تحديده وتعريفه لمفهوم الحضارة من منطلقين: على المستوى الأدنى، يعرف الحضارة بأنها كيان وهوية ثقافية قائمة على أساس التمايز الثقافي الترابطي، انطلاقا من أصغر الوحدات الثقافية، أي من المحلي مرورا عبر الإقليمي وحتى القومي الوطني، وربما حتى القاري، أما المستوى الثاني لتعريف الحضارة، وهو الأهم، فهو تعريف شمولي موسع، وهنا يعرّف هنتنجتون الحضارة باعتبارها كيانا ثقافيا واسعا، يمثل أوسع مستويات الهوية الثقافية، بحيث لا يوجد مستوى أعلى للتحديد والتمايز الهوياتي من مستوى الحضارة، يقول هنتنجتون "الحضارة هي الشكل الأعلى للتجمع والمستوى الأسمى للهوية الثقافية الذي يحتاج إليه البشر للتمايز عن باقي الأنواع"[3].

فمفهوم هنتنجتون للحضارة مبني على التمييز بين مستويين: أدنى، ويضمّ كل ما يميز هوياتيا حضارة عن أخرى، سواء على المستوى المحلي أو العالمي، ومستوى أعلى شمولي، من حيث إن الحضارة كيان ثقافي يجسد هذه الهوية ويعبّر عنها، ولكن هنتنجتون يتساءل بخصوص أي المستويات أساسي في تطوير الحضارة قائلا: "لكن كيف يمكن أن يحدد المرء المرتفعات والمنخفضات في تطوير البشرية للحضارة؟ إذا كان هناك اتجاه هكذا، فهل هو نتاج عمليات التحديث التي تزيد من سيطرة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 518.

2- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، ترجمة محمد معتصم، إشراف المصطفى شادلي وليزا غارون، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2005، ص 39.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق (د ط) 2006، ص ص 19_ 20.

البشر على بيئتهم...هذه القضية هي إحدى التجليات الأخرى للجدل حول الطبيعة الخطية أو الدائرية للتاريخ"[1].

فالإنسان حسب مفهوم هنتنجتون للحضارة، قام ببناء الحضارات، وأكثر ما عبّر عن هذا البناء والتطور الحضاري هو عملية التحديث التي شهدتها الحضارات، وهنا يعود هنتنجتون إلى فلسفة التاريخ ليبين أن مسار تطور الحضارات، إما أن يأخذ شكلا دائريا أو شكلا خطيا، حسب النظريات المفسرة له، "من المتصور أن التحديث والتطور الأخلاقي الإنساني الذين ينتجان عن طريق التعليم الأرقى والوعي والفهم للمجتمع الإنساني وبيئته الطبيعية، يفرزان حركة مستمرة نحو مستويات من الحضارة أعلى فأعلى...إن مستويات الحضارة وببساطة قد تعكس مراحل في تطور الحضارات"[2].

وبالرجوع إلى مفهوم الحضارة وعلاقته بالثقافة، نؤكد مرة أخرى وفقا لرأي **محمد سعدي** أن " هنتنجتون لا يميز أويفصل بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة، فهو يرفض التمييز بينهما...ويعتقد هنتنجتون أن للحضارة طبيعة جوهرية موضوعية تتحدد وتتكون من مجموعة عناصر موضوعية مشتركة هي اللغة التاريخ المشترك، العادات، المؤسسات والدين، الذي يشكل القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم لذلك فالحضارة يمكن تعريفها إلى حد كبير من خلال الدين، الذي هو العلاقة الفارقة للتمييز بين الحضارات"[3].

وربما يعود هنا هنتنجتون إلى هذه القضية، وإلى المفهوم، ليؤكد مرة أخرى على عناصر بناء الحضارة، مركّزا هذه المرة على عنصر فعّال ألا وهو الدين، والذي سيجعل منه علامة فارقة في التمييز بين الحضارات، وربما في علاقاتها المختلفة كصراعاتها، فالاختلاف بين الحضارات قام ويمس جوهرها الذي تتميز به عن غيرها، رغم احتوائها على عناصر حيوية متغيرة أخرى، إلا أن الثابت فيها لا يتغير، بل هو سر البقاء والاستمرارية،"لهذا فإنه يتصور أن لكل كيان حضاري خصائصه الجوهرية الثابتة التي تجعله متميزا عن الكيانات الثقافية الأخرى...إن الحضارات بالمفهوم الهنتنجتوني هي كائنات غائية حيوية، ولكنها أيضا كيانات مغلقة إلى حد بعيد، حيث تتمحور حول جواهر وخصائص ثابتة تميزها وتفصلها عن باقي الحضارات"[4].

وهذا ما نجده في أي حضارة أثناء ظهورها أو بزوغها، كما نجد هذه الحضارة تحاول أن تتطور، ولا يكون ذلك إلا إذا امتاز شعبها بالحركية الحضارية والثقافية والنشاط الخلاق، وهنا نجد هذه

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 518_ 519.

2- المصدر نفسه، ص 519.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق ص ص20_ 21.

4- المرجع نفسه، ص ص 21_22.

الحضارة تتخلص تدريجيا من مظاهر البداوة والتخلف، لتكوّن لها كيان خاص بها، متمايز عن غيرها من الحضارات، وبعد أن تصبح بإمكانها أن تؤثر في غيرها من الحضارات، تصل إلى درجة العالمية ومنه "عندما تبزغ الحضارات أولا، فإن شعوبها عادة ما يكونون نشطاء وحركيين ودقيقين وتوسعيين ونسبيا يكونون غير متحضرين، وعندما تتطور الحضارة تصبح أكثر استقرارا وتطورا، الأساليب والمهارات التي تجعلها أكثر تحضرا، وحيث إن المنافسة بين عناصرها المكونة تتناقص تدريجيا، وتنشأ حالة عالمية تصل الحضارة إلى مستوى حضاري"[1].

فالتمايز بين الحضارات حقيقة تاريخية، وهذا التمايز يمس المظهر والجوهر، وعلى أساسه تكون الحضارة ذاتاً مستقلة وهوية معبّرة عنها، وتكون فريدة في التاريخ، حتى ولو لم تكن كونية، فهي عالمية، فالحضارة الغربية على حسب هنتنجتون وصلت إلى هذه العالمية، بما تمتاز به في بنيتها من ثوابت حضارية، كاللغة والدين، ومؤسسات لا نجدها في حضارات أخرى، وذلك كان بفضل التحديث "وهذا التمايز الحضاري هو ما يعتبره بمثابة فرادة ثقافية، فبالنسبة له مثلا الحضارة الغربية هي حضارة فريدة وليست كونية...لأنها تتمركز حول مجموعة من عناصر وثوابت تاريخية، تراثية لغوية ومؤسساتية ودينية، تتحدد من خلالها كحضارة، يقول هنتنجتون في هذا الإطار، وجوابا على سؤال ما الذي يجعل الغرب غربيا؟ إن مختلف المختصين الذين أجابوا عن هذا السؤال يختلفون حول بعض الخصوصيات، ولكنهم يتفقون حول عدد من المؤسسات والممارسات والمعتقدات التي يمكن أن تتحدد كروح للحضارة الغربية"[2].

وكما يتكلم هنتنجتون عن بنية الحضارات بما فيها الحضارة الغربية، يتكلم عن انهيار الحضارات مؤكدا أن الانهيار الذي يستتبع الانهيار الأخلاقي أخطر من الانهيار المادي، ولهذا سنجده في الفصول المقبلة يتكلم عن انهيار الغرب وأفوله، لأنه اهتم بالتحديث المادي على حساب الأخلاق، وهنا يقول: "عندما تدخل في الإنهيار كحضارة، فإن مستواها الحضاري ينهار أيضا، حتى تختفي تحت أنقاض حضارة أخرى منتفضة ذات مستوى حضاري أقل، التحديث عموما يعزز المستوى المادي للحضارة في كل العالم، ولكن هل عزز الأبعاد الأخلاقية والثقافية للحضارة؟"[3].

فالثقافة هي التي تعبّر عن هوية الحضارة، في المفهوم الهنتنجتوني، بل وتدخل في بنيتها كمكون أساسي، بل هي سر التمايز بين الكيانات الحضارية، ولهذا تجد شعباً ما مستعداً أن يموت دون ثقافته، لأن الموت الثقافي يستتبعه بالضرورة الموت الحضاري، "ويتبين أن الحضارة عند هنتنجتون هي كيان شمولي جوهراني ذو خصائص ومكونات ثابتة متجذرة في التاريخ والتراث والثقافة، وذات

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 519.

[2]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 22.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 519.

تمايزات واختلافات واضحة عن باقي الكيانات الحضارية، وبالتالي فإن الحضارة تشكل أقوى الهويات، وقاعدة الإختلاف الجوهرية بين البشر في النظر إلى الأشياء والحكم عليها، وهذا ما يجعل هنتنجتون يعتقد بأن الثقافة هدف يموت الإنسان من أجله"[1].

فالثقافة هي التي تحدد أفكار وأحكام وسلوكيات من ينتمون إليها، وقد زالت مظاهر الهمجية في الحضارة اليوم، وربما يعود ذلك الفضل في اعتقاد هنتنجتون إلى الحضارة الغربية، ولكن النتيجة التي يراها هنتنجتون لمقدمة سلّم بها، أن الانهيار الأخلاقي في الحضارة الغربية سيقودها إلى الانهيار والأفول والزوال "في بعض الجوانب تبدو الحال هكذا، العبودية والتعذيب وسوء معاملة الأفراد أصبحت أقل قبولا فأقل في العالم المعاصر، ولكن هل ذلك مجرد نتيجة لأثر الحضارة الغربية على الثقافات الأخرى، وبالتالي يمكن أن يحدث انهيار أخلاقي عندما تنهار الحضارة الغربية؟"[2].

لماذا؟ لأن هذه الحضارة تفتقر إلى الروح، إلى ما هو أخلاقي قيمي، وخصوصا الدين، لأن "الحضارة هي الامتداد الكبير للهوية الحضارية للفرد، والحضارة يمكن إلى حد كبير تعريفها بالدين، فالدين هو العلامة الفارقة للتمييز بين الحضارات"[3].

وعليه فالثقافة هي التي تحدد الانتماء الهوياتي للفرد إلى الحضارة، ويعد الدين أساس التمايز بين الحضارات، ولهذا يعتمد هنتنجتون في تعريفه لمفهوم الحضارة على هذه العلامة الفارقة، ألا وهي الدين، بالاضافة الى باقي المكونات التي تدخل في تكوين أي حضارة والتي تجمع الأفراد داخل كيانها حيث يقول: "سأعرّف الحضارة باعتبارها أوسع كيان ثقافي يمكن للأفراد الانتساب إليه، كلنا لدينا مستويات مختلفة للهوية ونتماهى مع عائلتنا، مدينتنا، مهنتنا، جماعتنا الإثنية، أمتنا، ديننا وأعلى مستوى للانتماء الهوياتي هو الحضارة"[4].

فلا يمكن حصر الثقافة والحضارة في مظاهر سطحية، لا تعبّر عن تلك الثقافة والحضارة تعبيرا جوهرانيا، بل يجب تحديد وتمييز الثقافات والحضارات بمكوناتها الجوهرية الذاتية التي تشكل هويتها، ولا نجد أدق من تعبير هنتنجتون عن هذه الفكرة وعن أساس بنية أي حضارة بقوله: "إن أنصار مقولة استعمار(الكوكا) يعتبرون الحضارة صنواً لاستهلاك السلع المادية، ولكن جوهر أي حضارة يشمل اللغة والدين والقيم والتقاليد والعادات، وشرب الكوكا كولا لا يجعل الروس يفكرون مثل

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 24.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 519.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 110.

4- المرجع نفسه، ص 118.

الأمريكيين...وطوال تاريخ الإنسان كانت البدع والسلع المادية تمتد من مجتمع إلى آخر، من دون أن تحدث تغييرا ذا شأن في الحضارة الأساسية للمجتمع الذي يتلقاها" [1]

فقشور أي حضارة لا يؤثر في حضارة أخرى ما دام لها جوهر ثابت بُنيت عليه، وربما التاريخ يؤكد أن التفاعل الحقيقي بين الحضارات، كان تفاعلا إيجابيا في مقومات كل حضارة لا في قشورها وإذا أخذت حضارة من حضارة أخرى هذه القشور، فإن هنتنجتون يجعل الحضارة المتلقية والحضارة الأصلية تافهتين، وهو ما يحدث اليوم بين بعض الحضارات، كالحضارة الغربية وغيرها، "والحجة القائلة أن انتشار "حضارة البوب" والسلع الاستهلاكية في جميع أنحاء العالم، يمثل انتصارا للحضارة الغربية إنما هي حجة تنتقص من قدر الحضارات الأخرى، وتتفّه الحضارة الغربية عندما تجعلها مرادفة للأطعمة الدسمة والسراويل....إذ أن جوهر الحضارة الغربية هو "الماجنا كارتا" وليس "الماجنا ماك" وحجة التحديث، هي من الناحية الفكرية أكثر جدية من ادعاء استعمار "الكوكا"، ولكنها تساويها في الخطأ، وقد أتاح الامتداد الهائل للمعرفة العلمية والهندسية في القرن 19 للبشر أن يتحكموا في بيئتهم ويشكلونها بطرق لم يسبق لها مثيل، والتحديث يشمل التصنيع والتحضر" (من حضر) وارتفاع مستويات القراءة والكتابة والتعليم والثروة والمكانة الاجتماعية، ونشوء هيكليات مهنية أكثر تعقيدا وتنوعا، إنها عملية ثورية بالمقارنة بالانتقال من مجتمعات بدائية إلى مجتمعات متحضرة"[2].

فالتحديث هو الذي ساعد الحضارة على التطور ومقاومة الطبيعة، وخروج الإنسان من سيطرتها، وبعد أن شارك التحديث في تأسيس الحضارة الغربية، حاولت كثير من الحضارات أن تأخذ به لتتطور، ولكن الأخذ به لا يعني التغريب كما يرى هنتنجتون، فللحضارة الغربية سمات تميزها عن غيرها من الحضارات، هذه السمات أساسية في تكوينها وبنيتها، وبما أن الحضارة الغربية رائدة التحديث على حسب اعتقاد هنتنجتون نجده يطرح السؤال التالي: "ما هي السمات المميزة للحضارة الغربية في خلال مئات السنين السابقة على تحديثها؟ يختلف الدارسون الكثر الذين أجابوا عن هذا السؤال حول بعض الخصائص، ولكنهم يتفقون على عدد من المؤسسات والممارسات والمعتقدات التي يمكن تعريفها تشريعيا بأنها قلب الحضارة الغربية"[3]

وهذه الخصائص المميزة للحضارة الغربية، والتي أدت إلى نشأتها وتطورها وتحديثها، واختلافها بالتالي عن باقي الحضارات وتمايزها عنها، وساهمت في بنياتها تشتمل على:

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، (د ط) (د ت)، ص ص 03_ 04.

[2]- المصدر نفسه، ص 04.

[3]- المصدر نفسه، ص 05.

"**الموروث الكلاسيكي:** ورث الغرب باعتباره حضارة تنتمي إلى الجيل الثالث للحضارة الكثير من الحضارات السابقة، ومنها بصفة خاصة الحضارة الكلاسيكية، والموروث الكلاسيكي في الحضارة الغربية متعدد، ويشمل الفلسفة والمذهب العقلي اليوناني، والقانون الروماني، واللغة اللاتينية والمسيحية وقد ورثت الحضارتان الإسلامية والأرثوذوكسية أيضا من الحضارة الكلاسيكية، ولكن ليس بدرجة مساوية لدرجة ما ورثه الغرب منها"[1].

وهنا يرى هنتنجتون أن الحضارة الغربية قد تفاعلت مع الحضارات السابقة، وأخذت منها أسس بنائها وتطورها، ويذكر على الخصوص الحضارة اليونانية والرومانية، حيث أخذت من الأولى الفلسفة والمنهج العقلي، وأخذت من الثانية القانون، ولا ننسى اللغة اللاتينية القديمة، وكذلك الديانة المسيحية وربما هذه هي أهم العناصر التي يجب أن تحتويها أي حضارة، وحول فكرة التفاعل الحضاري، يقدم هنتنجتون مثالا عن الحضارة الأرثوذوكسية والحضارة الإسلامية، اللتين أخذتا واقتبستا من الحضارة الكلاسيكية، ولكن بمستوى أقل، ولهذا عرفت الحضارة الغربية التحديث والتطور أكثر من غيرها، وبعد أن يؤكد هنتنجتون على الموروث الكلاسيكي في الحضارة الغربية، يتجه إلى العناصر الجزئية التي لعبت دورا مهما في تكوين هذه الحضارة، بل وسميت باسمها ألا وهي:

"**المسيحية الغربية:** المسيحية الغربية الكاثوليكية أولا ثم البروتستانتية، هي أهم سمة تاريخية واحدة للحضارة الغربية والحقيقة أن الحضارة الغربية كانت تسمى المسيحية الغربية"[2].

ونحن نعلم أن الدين أهم مقوم في الثقافة والحضارة، لذا يعتقد هنتنجتون أن الدين المسيحي من أهم خصائص الحضارة الغربية، ثم تأتي اللغة، على أساس أن اللغة من العلامات المميزة للأفراد داخل الحضارات، وهنتنجتون يرى أن اللغات الأوروبية على تنوعها، نتجت عن اللغة الأم، ألا وهي اللغة اللاتينية القديمة وعن اللغة يقول:

"**اللغات الأوروبية:** اللغة تلي الدين مباشرة باعتبارها من العوامل التي تميز المنتمين إلى حضارة ما على المنتمين إلى حضارة أخرى، ويختلف الغرب عن معظم الحضارات الأخرى في تعدد اللغات...وقد ورث الغرب اللغة اللاتينية ولكن نشأت في الغرب مجموعة من الأمم، ومعها نشأت لغات قومية"[3].

ولعل من أبرز سمات الحضارة الغربية وخصائصها، هي فصل الدين عن الدولة، أو ما يسمى بالعلمانية، فهنتنجتون يعتقد أن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي تفصل بين السلطتين الروحية والزمنية، وفي اعتقاده أن هذا كان سببا في تطور هذه الحضارة وتفوقها:

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 06.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"**انفصال السلطتين الروحية والزمنية :** طوال تاريخ الغرب هناك أولا الكنيسة، ثم كنائس كثيرة منفصلة عن الدولة، وكان الله وقيصر، والكنيسة والدولة، والسلطة الروحية والسلطة الزمنية ثنائية سائدة في الحضارة الغربية...والانفصال والمعاودة بين الكنيسة والدولة، اللذان يرمزان إلى الحضارة الغربية لم يحدثا في أي حضارة أخرى، وهذا التقسيم للسلطة ساهم مساهمة لا حد لها في نشأة الحرية في الغرب[1].

ومن أبرز ما اقتبست الحضارة الغربية من التراث الكلاسيكي القديم والحضارات السابقة، القانون الروماني، وإعتبار القانون شيئاً مقدساً يحتكم إليه، لأنه يحمي حقوق الإنسان التي تعد مقدسة بالنسبة لهذه الحضارة، ولأنه يحفظ حق الملكية ويجسد الحرية، وعلى أساسه ستظهر الأنظمة الدستورية والديمقراطية الليبرالية، التي يرى فيها هنتنجتون، مثل مواطنه فوكوياما أنها النظام الأصلح والأوحد الذي يجب أن يسود جميع الحضارات، في محاولة لعولمته.

"**حكم القانون:** إن مفهوم مركزية القانون في الوجود المتحضر هو مفهوم موروث من الرومان...وتقاليد حكم القانون أرست أساس النظام الدستوري وحماية حقوق الإنسان، بما في ذلك حقوق الملكية ضد الممارسة الاستبدادية للسلطة، وفي الحضارات الأخرى كان القانون عاملا أقل أهمية إلى حد كبير في تشكيل الفكر والسلوك"[2].

فهنتنجتون يعلي من شأن وقيمة الحضارة الغربية، لأنها في رأيه تقوم على حكم القانون، الذي يتجسد في جميع المؤسسات، بل ويظهر في الفكر والسلوك لدى الفرد في هذه الحضارة على خلاف كثير من الحضارات، فانتقال المجتمع الغربي من مجتمع كنسي إلى مجتمع مدني، وظهور المدنية فيه سابق على جميع الحضارات، والسبب في ذلك هو هذه الخاصية:

"**التعدد الاجتماعي والمجتمع المدني:** ظل المجتمع الغربي من الناحية التاريخية على درجة كبيرة من التعدد، وما يميز الغرب كما قال **كارل دوتش (Karl Deutsch)*** "هو قيام واستمرار مختلف الجماعات المستقلة التي لا تستند إلى أساس علاقة الدم أو الزواج ... تشتمل على الأديرة وأنظمة الرهبنة والرقابات...واستمر في الغرب مدة تزيد على ألف سنة مجتمع مدني ميزه عن الحضارات الأخرى"[3].

ونتيجة لحكم القانون، وظهور النظام الدستوري، الذي يقوم على حفظ حقوق الإنسان الأساسية وظهور المجتمع المدني، والتعدد الاجتماعي، قاد هذا بدوره إلى ظهور :

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 07.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* كارل دوتش (1912_1992) باحث ألماني في الشؤون الإجتماعية والسياسية.

3- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص ص 07_08.

"**الهيئات التمثيلية:** أدى التعدد الاجتماعي إلى أن تقوم هيئات مشتركة في الحكم، وبرلمانات ومؤسسات أخرى، كانت تمثل مصالح الأرستقراطية، ورجال الدين والتجار والجماعات الأخرى ووفرت هذه الهيئات أشكالا تمثيلية، تحولت في مجرى التحديث إلى مؤسسات الديمقراطية الحديثة..ولا توجد حضارة أخرى اليوم لها مثل هذا التراث من الهيئات التمثيلية، التي يعود عمرها إلى ألف سنة[1].

فهذه الهيئات أدت إلى نشوء النظام البرلماني التمثيلي في الغرب، فبعد أن كان النظام الأرستقراطي سائدا ومسيطرا في أوروبا، وكان لرجال الدين فيه دور كبير، وكان نظاما يحفظ مصالح الأقلية ظهرت الهيئات التمثيلية، وانتقل المجتمع إلى الديمقراطية الحديثة، التي تجسد حكم القانون وحقوق الإنسان.

والمعروف أنه في أوروبا في عصر النهضة، ظهرت النزعة الإنسانية التي تمجد الفرد، وتمجد الحرية الفردية، بجميع أشكالها، وهذا ما قاد إلى ظهور:

"**المذهب الفردي:** كثير من السمات التي سبق ذكرها للحضارة الغربية، ساهم في ظهور شعور بالفردية وتقاليد حقوق الفرد وحرياته التي تنفرد بها المجتمعات المتحضرة، وقد نشأ المذهب الفردي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، كما أن قبول حق الاختيار الفردي... ساد في الغرب... حتى المطالب الخاصة بمساواة الجميع في الحقوق...ولا يزال المذهب الفردي سمة مميزة للغرب في حضارات القرن العشرين...إن المذهب الفردي هذا العلامة الرئيسية التي تميز الغرب"[2].

هذه هي أهم الخصائص والمميزات التي انبنت عليها الحضارة الغربية، وهي وفق فلسفة هنتنجتون علامات فارقة للحضارة الغربية، أسست هذه الحضارة، وشاركت في قوتها واستمرارها، وهي خصائص لا نجدها في أي حضارة أخرى، وربما هو ما جعل الغرب متفردا فيها، تمتاز بالتلاحم والتكامل والسبب في تركيزنا على خصائص الحضارة الغربية عند هنتنجتون، يعود إلى أن هذه الحضارة بهذه المميزات والخصائص، هي التي ستجعل الحضارات الأخرى تدخل في صدام حضاري معها، على حد زعم هنتنجتون، لأن باقي الحضارات لا يمكنها أن تمتاز بهذه المميزات والخصائص، فهي يمكن أن تصبح حديثة، لكن لا يمكن لها أن تصبح غربية، والغرب يريد أن يفرض قيمه وخصائص حضارته على الحضارات الأخرى، مما يعني الصدام الحتمي للحضارات. وهذه الفكرة ستتأكد لنا في الفصول القادمة عندما نتطرق إلى فكرة صدام الحضارات، وهنا يلخص لنا هنتنجتون تصوره الشامل لمفهوم الحضارة كمفهوم مركزي حيث يقول: "الحضارات الإنسانية محدودة والثقافات لا حد لها، إن ما يميز الحضارة

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 08.

[2]- المصدر نفسه، ص 09.

كمصطلح أساسي، هو مصطلح رؤية العالم، الحضارة تعني مجموعة من القيم والمعايير والمبادئ تجمعها ما نسميه رؤية العالم، وهي بحسب التعريف نظرة محددة للكون والطبيعة والإنسان"[1].

ثم يعلق هنتنجتون على هذه الخصائص والمميزات التي تمتاز بها الحضارة الغربية دون غيرها، عندما يحاول أن يبين أن بعض هذه السمات قد تحتويها حضارات أخرى، لكن ليس بنفس المعنى، وليس بنفس القيمة والبنية، حيث يؤكد ذلك بقوله: "ولا يقصد أيضا القول إن شيئا من هذه السمات لم يظهر في حضارات أخرى، فمن الواضح أنها ظهرت في حضارات أخرى، فالقرآن والشريعة يكونان القانون الأساسي للمجتمعات الإسلامية...وأي من هذه العوامل إذا أخذ وحده لا ينفرد به الغرب تقريبا، ولكنها مجتمعة أعطت ولا تزال تعطي الغرب صفته المميزة، وهذه الأفكار والممارسات والمؤسسات ظلت سائدة في الغرب أكثر منها في الحضارات الأخرى، إنها تكون ما هو غربي، وإن لم يكن حديثا، وقد ولّدت هذه السمات أيضا الالتزام بحرية الفرد التي تميز الآن الغرب عن الحضارات الأخرى...وهذه الأفكار والخصائص هي أيضا وإلى حد كبير، عوامل مكّنته من قيادة تحديث نفسه وتحديث العالم، وهي تجعل الحضارة الغربية متفردة...إن الحضارة الغربية ثمينة، لا لأنها كلية عالمية ولكن لأنها متفردة"[2].

وهنا يعود هنتنجتون ليؤكد على فردانية الحضارة الغربية، رغم أنه يؤمن بأنها ليست كونية بمعنى أن خصائصها مجتمعة لا توجد في الحضارات الأخرى، وكذلك أنها لم تعمم حتى تصبح كونية، وإذا عدنا إلى تلك الخصائص فهنتنجتون يؤكد على أهميتها مجتمعة، ولكن العنصر الأهم هو الدين، إلى جانب التاريخ واللغة، وهو ما يؤكده محمد سعدي في كتابه "حول صراع الحضارات" عندما يقول: إن "الدين هو المعيار الأكثر أهمية لتحديد الحضارات، ولكنه ليس الوحيد، هناك أيضا التاريخ اللغة والثقافة، وخصوصا المعنى الذي يمنحه الأفراد للهوية...على المستوى الأعلى، فإن معيارهم للتماهي (**Identification**) هو كونهم مسلمين"[3].

وبناء على تلك العناصر والمميزات التي بنيت وامتازت بها الحضارة الغربية، والتي جعلت منها رائدة التحديث والتطور، وجعلتها متفردة، يتساءل هنتنجتون عن الحضارات غير الغربية، هل من الضروري أن تتخلى عن خصائصها الجوهرية، وتتبنى خصائص الحضارة الغربية حتى تتطور؟ هل التغريب ضروري للتحديث؟ وهو تساؤل يحمل في طياته الإجابة، وهذا التساؤل كما طرحه هنتنجتون جاء بالصيغة التالية: "هل ينبغي على الحضارات غير الغربية أن تتخلى عن حضارتها، وأن تتبنى العناصر الجوهرية للحضارة الغربية؟ من حين لآخر يظن بعض زعماء هذه المجتمعات أن ذلك أمر

---

[1]- السيد يسين صراع حضارات أم تعدد ثقافات؟ مجلة المستقبل العربي، العدد 238، 1998/12، ص 81.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 10.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 118.

ضروري، وقد صمم **بطرس الأكبر** و**مصطفى كمال أتاتورك** على أن يجعلا مجتمعيهما حديثين، وكانا مقتنعين أن هذا يعني تبني الحضارة الغربية، حتى إلى حد استبدال غطاء الرأس التقليدي بغطاء الرأس الغربي، وقد أوجدا في هذه العملية بلدين (ممزقين) غير واثقين بهويتهما القومية، كما أن الواردات الثقافية الغربية لم تساعدهما مساعدة ذات شأن في سعيهما إلى التحديث"[1].

وهنا يقدم هنتنجتون في تساؤله هذا نموذجين لمجتمعين أرادا أن يقلدا الحضارة الغربية، وأن يستعيرا منها تلك الخصائص والمميزات التي جعلتها رائدة، منبهرين بما وصلت إليه، هذان النموذجان يعدان من أكبر دعاة التغريب في مجتمعيهما، حينما أرادا من خلال تقمص الحضارة الغربية ومعطياتها أن يجعلا مجتمعيهما أكثر تحديثاً، وهما كما جاء في كتاب هنتنجتون، "الغرب متفردا وليس عالميا"، بطرس الأكبر، ومصطفى كمال أتاتورك، وبإعتبار أنهما يمثلان السلطة أو الدولة أي يمثلان الإرادة السياسية، فقد حارب كمال أتاتورك كل مظاهر الدين الإسلامي، وحاول تعويضها بمظاهر الحضارة الغربية، سواء في الأكل أو اللباس أو غيرها، وهنا طرحت إشكالية النهضة في الفكر العربي الإسلامي، وإشكالية الحداثة والتراث وغيرها، لكن النتيجة حسب هنتنجتون هي حدوث تفتت الهوية وشعور بتمزقها.

"وفي أحوال كثيرة كان زعماء المجتمعات غير الغربية يسعون إلى التحديث، ويرفضون الطابع الغربي وهدفهم تلخصه العبارة التي قالها _**تي يونغ دا**_ تعليم صيني من أجل المبادئ الجوهرية وتعليم غربي من أجل الفائدة العملية...وكما قال **بندر بن سلطان** من المملكة السعودية عام 1994 إن الواردات الأجنبية جيدة بإعتبارها (أمورا) زاهية أو ذات تكنولوجيا عالية، ولكن النظم الاجتماعية والسياسية التي يصعب إدراكها لغموضها والمستوردة من أماكن أخرى، يمكن أن تكون مهلكة، واسألوا شاه إيران...فالإسلام عندنا ليس مجرد دين، بل طريقة حياة ونحن _السعوديين_ نريد التحديث، ولكن ليس التغريب بالضرورة"[2].

فهناك في مقابل الذين دعوا إلى التغريب فريق آخر لا يرى ضرورة التغريب بل التحديث، أي الأخذ من الحضارة الغربية بأسباب قوتها من العلم والتقنية، دون الأخذ بمظاهرها وقيمها الغربية المناقضة لقيمنا الإسلامية وأخلاقنا الدينية، وهذا يصدق على الإسلام خاصة الذي تتنوع فيه الثقافات وتتعدد، وربما هذا سيؤدي إلى ضعف الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية التي كانت مقسمة إلى دول، والتي بمجرد أن تجاوزت فترة النزاعات بينها استطاعت أن تؤسس لحضارة عالمية هي السائدة اليوم، وهنا يقول هنتنجتون: "أصبح للإسلام كغيره من الحضارات عدة ثقافات فرعية (**sous cultures**) داخل الإسلام، هناك الثقافة العربية والثقافة التركية...إن ثمة مجموعة من الثقافات

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 11.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفرعية داخل الإسلام الذي يشكل بلا شك حضارة كبيرة...داخل الحضارات توجد عدة نزاعات يمكن أن تستمر طويلا، نعرف أن تاريخ الحضارة الغربية هو تاريخ دول كانت في حروب مع بعضها بعض، ولكن الباحثين يميلون إلى الإعتقاد بأنه داخل جذور هذه الحضارة، يوجد مسار تطورها السياسي، فرغم أنها اجتازت مراحل عصيبة ومراحل النزاعات بين الدول، ولكن في النهاية تولد عن ذلك حضارة وضعية كونية، الحرب بين الدول الغربية أصبحت أمرا لا يمكن تصوره، إن الغرب تطور وأصبح في وضعية كونية"[1].

فالحضارة اليوم بدأت تأخذ الطابع الكوني من خلال المشترك الإنساني، رغم وجود ما يسمى بالتنوع والتعدد الثقافي والحضاري، وأكبر ما يجسد هذا التنوع الثقافي هو الدين والتاريخ، ولكنها كلها مشترك إنساني، مما يسمح بالحديث عن حضارة كونية واحدة، "وإذا رفعنا مصطلح "الحضارة" وقصرناه على ما هو مشترك بين الإنسانية ككل، يكون علينا إما أن نخترع مصطلحا جديدا للإشارة إلى أكبر الجماعات الثقافية الأقل من الإنسانية ككل، أو أن نفترض أن تلك الجماعات الكبيرة، ولكن ليس إلى درجة استيعابها للإنسانية ككل تتبخر، يقول "**فاكلاف هافيل** (**Václav Havel**)*" مثلا: "نحن نعيش الآن حضارة كونية واحدة" وأنها "ليست أكثر من قشرة رقيقة" وهي "قشرة تغطي أو تخفي التنوع الكبير في الثقافات في الشعوب في عالم الأديان، في التقاليد التاريخية والاتجاهات التي تشكلت على مر التاريخ، وجميعها يوجد تحت تلك القشرة على نحو ما"[2].

ولكن هنتنجتون لا ينفي أن الحضارات تتفاعل وتقتبس من غيرها، فلا وجود لحضارة خالصة "وقد وجدت دائما تفاعل واقتباسات فيما بين الحضارات، وهي أكثر اتساعا بقدر كبير مع وسائل النقل والاتصال الحديثة، ولكن معظم الحضارات الكبرى في العالم، وجدت لمدة لا تقل عن ألف سنة...وهذه الحضارات لها سجل واضح للاقتباس من حضارات أخرى، بطرق تعزز فرصها في أن تظل على قيد الحياة"[3].

ونتيجة لهذه الاختلافات بين الحضارات، ولما حدث بينها من تفاعلات، وربما كان هناك تصادم وصراع بين الحضارات أحيانا أخرى، فإن الحضارة "مركز وحدود، يشهد عصرنا نهاية الحضارات

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص 118 _ 119.

* فاكلاف هافيل (1936_2011) رئيس تشيكي سابق وكاتب.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 94.

3- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص ص 11_ 12.

المعزولة، كما يشهد الدخول إلى جماعة بشرية موحدة...تجد الاحتكاك بين الجماعات الثقافية (إثنيات وقبائل) وبين الحضارات الكبرى، كان احتكاكا هادئا أحيانا وتصارعيا أحيانا أخرى"[1].

فهناك حضارات وفق رأي هنتنجتون، استطاعت أن تستوعب بعض العناصر في الحضارة الغربية، وتعتمد عليه ليس فقط في عملية التحديث، بل حتى لتقوية الجانب الثقافي والهوياتي بداخلها ومثال هذه الحضارات، نجد اليابان وبعض المجتمعات الآسيوية، ورغم ذلك يبقى هناك في العالم تنوع للحضارات والثقافات "وتستوعب اليابان ومجتمعات غير غربية أخرى اليوم بطريقة مماثلة عناصر مختارة من الحضارة الغربية، وتستخدمها لتقوية هويتها الحضارية، ويكاد يكون جهلا. كما يدلل بروديل الاعتقاد أن انتصار حضارة مفردة سيؤدي إلى نهاية تعدد الثقافات المتجسد طوال قرون في الحضارات العظمى في العالم"[2].

وتبقى بالتالي، الحضارة هي المعبَّر الحقيقي عن ثقافة شعب ما وفق رأي هنتنجتون، لهذا لا يمكن القضاء على التنوع الثقافي، إن باسم الكونية، وإن باسم العولمة، فما يوجد بين الحضارات هو التثاقف لا التصارع والإقصاء، فهي أرقى من الأنظمة السياسية، لأنها تعبّر عمّا هو جوهري وثابت فإذا كانت الثقافة هي ما يميز الإنسان عن غيره، فإن "الحضارات كيانات ثقافية كبرى لا كيانات سياسية فهي لا تحفظ النظام، ولا تقيم العدل أو تجمع الضرائب أو تخوض الحروب أو تتفاوض على اتفاقيات، أو تفعل شيئا مما تفعله الحكومات"[3].

وعليه، فإن هنتنجتون لا يميز بين الحضارة والثقافة، وكما ذكرنا سابقا، فإن الثقافة عند كثير من المفكرين تمثل الجانب الفكري الروحي، أما الحضارة فتمثل الجانب المادي التقني، وإذن "صموئيل هنتنغتن، ومعه كل أصحاب النظرية الاقتصادية، يختزلون الحضارة في الثقافة، في حين أن الحضارة تضم البعد الثقافي، إلى جانب أبعاد أخرى كالتطور الصناعي والتكنولوجي...ويختزل الثقافة في الدين في حين أن الثقافة هي في ذات الوقت الدين واللغة والفنون بأنواعها، وفي النهاية تصبح الحضارة في مفهوم هنتنغتن جوهرا دينيا خالصا يدخل في صدام مع الأديان الأخرى، أو الحضارات الأخرى المختزلة في ديانتها"[4].

ويصل هنتنجتون إلى نتيجة من خلال كلامه عن فكرة التغريب والتحديث، حيث يستنتج أن العصرنة أو التحديث ليس بالضرورة تغريباً، بل التحديث يعني عصرنة المؤسسات والقطاعات

1- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الثقافات على المحك، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 2004، ص 25.

2- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 12.

3- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، بيروت، دار الهادي، ط1، 2005، ص 51.

4- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 78.

الاقتصادية، حتى تشارك في التنمية والتحضّر، ولهذا يوجد من لم يفهم الفرق بين التغريب والتحديث فهذا الأخير يساهم في رقي الحضارة وتطورها، والتمسك بثوابتها، ويدفع لنهضة بعض الأمم، حيث تؤكد حقائق التاريخ أن كثيراً منها عادت إلى تراثها في عملية النهوض والتقدم، وربما اعتمدت عملية النهوض بشكل أكبر على الدين، وعليه فإن "إسباغ الطابع العصري (التحديث) والتنمية الاقتصادية لا يتطلبان التغريب الحضاري كما لا ينتجانه، والأمر على خلاف ذلك، إذ أنهما يعززان نهضة الحضارات...وعلى المستوى الفردي توليد مشاعر الاغتراب والشذوذ وإيجاد أزمات هوية، كثيرا ما يقدم لها الدين حلا، وعلى مستوى المجتمع، يعزز التحديث الثروة الاقتصادية والقوة العسكرية للبلد بأسره ويشجع الناس على أن تكون لهم ثقة بتراثهم، وأن يصبح لهم تيقن حضاري، ونتيجة لذلك شهدت مجتمعات غربية كثيرة عودة إلى الحضارات الوطنية، وهي تتخذ في أحوال كثيرة الشكل الديني"[1].

وهنا يعود هنتنجتون ليؤكد على حقيقة هي في نظر الكثير متناقضة، وهي في الواقع غير ذلك، حيث يعتقد الكثير أن الدين يقف في وجه التحديث والعصرنة، وربما هذا كان نتيجة أنه في المجتمعات غير الغربية، أن ربطت بصورة غير صحيحة التحديث بالتغريب، خصوصا عند المسلمين والآسيويين، لأنهم نظروا إلى لحضارة الغربية على أنها علمانية معادية للدين، تدعو إلى الإنحلال والتفسخ وغيرها، مما جعلهم يرتدون إلى ثقافاتهم وتراثهم، في محاولة لإحيائه في مقابل التغريب، أما هنتنجتون فيريد أن يصحح هذه الفكرة، حيث يرى "أن إحياء الدين في العالم نتيجة مباشرة للتحديث وهذا الإحياء يكاد يتخذ بالضرورة في المجتمعات غير الغربية شكلا معاديا للغرب، وهو يرفض في بعض الحالات الحضارة الغربية لأنها مسيحية هدامة، ويرفضها في حالات أخرى لأنها علمانية منحلة، والعودة إلى الحضارات الوطنية ملحوظ في غالبية المجتمعات الإسلامية والآسيوية...وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي يعادي الناس التسميم الغربي لمجتمعاتهم"[2].

وهنا يستشهد هنتنجتون بالحضارة الآسيوية، حيث إن هذه الحضارة وما عرفته من نمو اقتصادي، لا يعود في الحقيقة إلى الأخذ بخصائص الحضارة الغربية، بل بالتحديث، إضافة إلى تمايز ثقافتهم وحضارتهم عن الغرب، بل وقد عد الأسيويون اختلافهم عن الغرب أساس قوة حضارتهم، لأن التمايز والتغاير يعزز الوحدة ويقوي الانتماء الحضاري "إن مواطني شرق آسيا لا يعزون تنميتهم الاقتصادية الهائلة إلى استيرادهم الحضارة الغربية، بل إلى تمسكهم بحضارتهم، وهم يزعمون أنهم نجحوا ليس لأنهم أصبحوا مثل الغرب، ولكن لأنهم ظلوا مختلفين عنه"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 13.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ولكن هناك مفارقة في هذه الثقافات والحضارات، حيث يرى هنتنجتون أن زعماء هذه البلدان عندما رأوا التفوق الغربي الحضاري، قاموا باستيراد قيمه من ديمقراطية وحرية وحقوق الإنسان، وغيرها ولكنهم بالمقابل تهجموا عليها، واعتبروها إمبريالية وكولنيالية واستعماراً من نوع جديد، وكان هدفهم من ذلك هو الحد من تغريب العالم "فعندما شعرت مجتمعات غير غربية بضعفها في العلاقة بالغرب، عهد كثير من زعمائها إلى الاستعانة بالقيم الغربية، الخاصة بتقرير المصير والتحرر والديمقراطية والحرية لتبريرهم معارضتهم لهيمنة الغرب على العالم، ولما لم يعودوا ضعافا وأصبحوا أقوياء، أدانوا القيم نفسها التي سبق أن استعانوا بها لتعزيز مصالحهم، فاعتبروها "إمبريالية حقوق الإنسان" ومع إنحسار قوة الغرب تنحسر أيضا جاذبية القيم والحضارة الغربية، ويواجه الغرب الحاجة إلى أن يتكيف مع تدهور قدرته على فرض قيمه على المجتمعات غير الغربية، وهكذا يصبح الكثير من أنحاء العالم حديثا بقدر أكبر وغربيا بدرجة أقل"[1].

وكأن الغرب قد قدم السلاح الذي ستحاربه به الحضارات المختلفة عنه، وقدم أسباب زواله وأفوله فقدم التحديث لكنه فشل في التغريب، ومحاولة تغريب المجتمعات، جعل هذه الأخيرة تنظر إليه بعدائية دائمة، وهنا ظهر ما يسميه هنتنجتون بصدام الحضارات، فخصائص الحضارات ومميزاتها هي التي تجعل منها تصل إلى العالمية، وعليه توجد حضارات بلغت هذا المستوى، وأخرى لا زالت على هامش التاريخ، وقد أدى هذا إلى تنوع ثقافي حضاري، لأن لكل حضارة النموذج الذي تراه مناسبا ومتلائما مع ثوابتها وجوهرها، وإذا كان" لكل حضارة من الحضارات خصائصها التي تميزها عن غيرها فقد اكتسب بعضها على سبيل المثال صفة العالمية، في حين وقف بعضها الآخر عند حدود الإقليمية أو القومية ولذلك تعددت النماذج الحضارية عبر عصور التاريخ، وتعايشت مع بعضها متعاونة أحيانا ومتحاربة أحيانا أخرى...وكان تقدم البشرية رهينا بمدى تفاعل الحضارات بعضها مع البعض"[2].

وربما هذا ما دفع هنتنجتون للتمييز بين العصرنة والتحديث والتغريب، من حيث إن العصرنة فعل متجدد، تقوم من خلالها الشعوب بالتغيير في مجالات كثيرة، منها ما يمس الفكر، ومنها ما يمس الجانب المادي المعبّر عن الحضارة، إن"العصرنة عملية متعددة الوجوه، تفترض تغيرات في كافة حقول الفكر والنشاط الإنسانيين...إن المظاهر الأساسية للعصرنة كالتمدن والتصنيع والعلمنة وتطبيق الديمقراطية والتعليم ومشاركة وسائل الإعلام، لا تظهر بأسلوب اتفاقي وغير مترابط، لقد كانت تاريخيا

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 14.

[2]- بشير عبد الفتاح، الخصوصية الثقافية، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007، ص 58.

مترابطة للغاية إلى درجة إثارة التساؤل فيما إذا كانت أصلا عناصر مستقلة. مما يفترض أنها ربما تتزامن على هذا النحو المنتظم، لأنها بمعنى تاريخي ما يجب أن تكون متوافقة"[1].

العصرنة تقوم على التغيير والتطور، وتمس جميع مناحي الحياة، وتمس الحضارة جانبا آخر مرتبطاً بالجانب القيمي والسلوكي، وتحاول أن تجعل من هذه القيم عالمية متجاوزة الخصوصية، لأنها ترتبط بمدى عصرنة الجانب الحضاري، ومنه"على المستوى السيكولوجي تفترض العصرنة نقلة جوهرية في القيم والمواقف والتوقعات، ويتزايد التعويل على القيم الشمولية بدلا من القيم الخصوصية وعلى مقاييس للإنجازات بدلا من النسبية في الحكم على الأفراد"[2].

أما على المستوى الفكري، فإن العصرنة تدفع إلى التجديد الفكري، والتخلص من الأفكار التي قد تعيق تطور الثقافة والحضارة، فلا يمكن تصور عصرنة تمس الجانب المادي والقيمي، ولا تمس الفكر الذي أنتجها، كما تساعد العصرنة في توسيع معارف الإنسان وتبادلها، وربط علاقات بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، مما يؤدي إلى تغير أنماط العيش وطرق الحياة وباختصار "على المستوى الفكري تفترض العصرنة توسعا هائلا في مدى معرفة الإنسان لبيئته، ونشر هذه المعرفة في المجتمع...والعصرنة تعني ديمغرافيا تغيرات في أنماط العيش...وتميل العصرنة اجتماعيا إلى استكمال دور العائلة وغيرها من الجماعات الأولية التي لها أدوارها المنتشرة"[3].

فاجتماعيا تعمل العصرنة على تشجيع دور العائلة في المجتمع، وجعله دورا فعالا منتجا، أما من الجانب السياسي، فإنها تقود إلى تعزيز الوحدة السياسية، والدفاع عن الهوية والقومية، في وجه أي تحد خارجي، و"تفترض العصرنة السياسية التوكيد على السيادة الخارجية للدولة القومية لمواجهة العوامل المؤثرة من خارج حدودها القومية، والسيادة الداخلية للحكم القومي لمواجهة القوى المحلية والإقليمية"[4].

وأبرز ما تقود إليه عملية العصرنة في أي مجتمع وحضارة، أنها تقود إلى الصراع بين الجماعات التي تدعو إلى التمسك بالقديم والتقليدي، وترى فيه سر البقاء والتطور، والجماعات العصرانية التي ترى في الماضي بكل ما يحمله من تراث قديم سببا في التأخر والزوال، فتسعى جاهدة لإشاعة قيم العصر، والدفاع عن فكرة أن الانخراط في العصر بكل معطياته هو سر التقدم والبقاء، وقد يقود ذلك على حسب رأي هنتنجتون إلى الاقتتال بين هذه الجماعات، وقد حدث ذلك فعلا في كثير من

1- صموئيل هنتنجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، دار الساقي، 1993 ص 45.

2- المصدر نفسه، ص ص 45_ 46.

3- المصدر نفسه، ص 46.

4- المصدر نفسه، ص 48.

الحضارات "إن العصرنة تفاقم الصراع بين الجماعات التقليدية، وبين الجماعات التقليدية والعصرية وما بين الجماعات العصرية، وتخوض النخبة الجديدة التي تستند إلى ثقافة غربية أو عصرية صراعا مع النخبة التقليدية التي ترتكز سلطتها على وضع موروث ينسب إليها...والعديد من هذه الصراعات إن لم يكن معظمها يصل في وقت أو في آخر إلى حد العنف"[1].

إن الحديث عن بنية الحضارات وعناصرها الجوهرية، ومدى تفاعلها مع غيرها إيجابا وسلبا توضحه لنا فلسفة التاريخ، من أن الحضارات تظهر وتزول، تصعد وتهبط، وإنها تستفيد من خبرات وتجارب الحضارات التي سبقتها أو المعاصرة لها، لكنها لا تأخذ الوافد إليها كما هو، بل تقوم بعملية تمحيص وغربلة، "فالحضارات الصاعدة تستفيد من نقاط قوة الحضارات المنحدرة وتطورها إلى أبعد الحدود، وتقوم بعملية غربلة لاختيار الأفضل، ورفض ما هو أسوأ، وقد كان الإغريق واثقين من قوة حضارتهم، فلم يروا من العيب أن يعترفوا بأسبقية الحضارات الأخرى، مثل الحضارة المصرية أو البابلية التي استلهموا من روافدها الكثير من علومهم وفلسفتهم، أما الحضارات الوافدة أو المسقطة تاريخيا فإنه ينتابها مركب النقص إزاء الحضارات القديمة، فتعمل على تدميرها لتتخلص من شاهد على انتهازيتها"[2].

إنها لعبة الحضارات في التاريخ، وتمر الحضارات بعدة مراحل، وهي المراحل التي ذكرها كل من ابن خلدون، وشبنغلر، وتوينبي، فهي تولد وتزدهر، ثم تأفل وتموت، وتبدأ الحضارة في الذوبان والأفول عندما تحدث تغيرات في عناصرها الجوهرية، فهناك حضارات عبارة عن دول، وهناك دولة حضارة وقد يحدث صراع داخل الدولة أي الحضارة مما يؤدي كذلك إلى انحلالها.

"ومع تطور الحضارة تحدث عادة تغيرات في عدد وطبيعة الوحدات السياسية المكونة لها، وقد يصل الحد إلى أن تتصادم حضارة مع كيان سياسي، يقول "**لوسيان باي**" إن الصين عبارة عن حضارة تتظاهر بأنها دولة، اليابان حضارة ودولة، ومع ذلك فقد تضم معظم الحضارات أكثر من دولة أو كيان سياسي آخر، وفي العالم الحديث معظم الحضارات تضم دولتين أو أكثر"[3].

وفي هذا السياق، لاحظ هنتنجتون أن العالم شهد بعد الحرب الباردة إنضواء هذه الدول في حضارات من حيث كونها مركزا، أو دولاً محايدة، أو ينتابها الصدع، أو أنها ممزقة، وكأن الحرب الباردة قد حددت الانتماءات السياسية، وبالتالي الحضارية لدول العالم، "في عالم ما بعد الحرب الباردة، الدول في علاقاتها بالحضارات إما دول أعضاء، أو دول مركز، أو دول وحيدة، أو دول مصدوعة، أو دول ممزقة، والحضارات مثل القبائل والأمم لها بنية سياسية، الدولة العضو هي دولة متوحدة ثقافيا مع

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، مصدر سابق، ص 53.

[2]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 81.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 73.

إحدى الحضارات مثل مصر مع الحضارة العربية الإسلامية، وإيطاليا مع الحضارة الأوروبية الغربية"[1].

لكن الملاحظة التي يقدمها هنتنجتون هنا، أن الأفراد قد ينتمون إلى دولة لا تنتمي إلى نفس الحضارة مثلا المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية، ينتمون إلى هذه الدولة سياسيا، ولكنهم ينتمون إلى الحضارة الإسلامية ثقافيا، أما الدول التي تشكل حضارة متطابقة معها فيسميها هنتنجتون دول المركز كاليابان، "والحضارة أيضا يمكن أن تضم أناسا يشتركون في نفس الثقافة ويتوحدون بها، ولكنهم يعيشون في دول يسيطر عليها أناس من حضارة أخرى، والحضارات لها مكان أو أكثر يراه أعضاؤها المصدر أو المصادر الرئيسية لثقافة تلك الحضارة، هذه المصادر غالبا ما تكون موجودة في داخل دول، أو دول مركز في تلك الحضارة، أي أنها تكون الدولة، أو الدول الأقوى وذات الثقافة المركزية يختلف دور وعدد دول المركز من حضارة إلى أخرى، وقد يتغير بتغير الزمن: الحضارة اليابانية متطابقة فعلا مع الدولة اليابانية المركزية الوحيدة، الحضارات الصينية والأرثوذوكسية والهندوسية، لكل منها دولة مركز ذات سيادة شاملة، ودول أعضاء أخرى، وأناس مرتبطون بحضاراتهم في دول يسيطر عليها أناس من حضارة مختلفة"[2].

وبالعودة إلى الغرب، يعتقد هنتنجتون أن للغرب دول مركز، من حيث البنية، على خلاف الحضارة الإسلامية، فالغرب تاريخيا لم يفتقد لدول المركز، أما في عالم اليوم فإن دولة المركز بالنسبة للغرب هي الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا، وبريطانيا في أوروبا. "تاريخيا كان للغرب عادة دول مركز عديدة، الآن له اثنتان" الولايات المتحدة ومركز آخر فرنكو_ألماني في أوروبا مع بريطانيا كمركز إضافي للقوة...حضارات الإسلام وأمريكا اللاتينية وأفريقيا ليس لها دول مركز، وهذا في جزء منه راجع إلى استعمار القوى الغربية لها"[3].

والسبب في عدم وجود دولة مركز في باقي الحضارات كالحضارة الإسلامية وحضارة أمريكا اللاتينية وإفريقيا، يعود في اعتقاد هنتنجتون إلى القوى المستعمرة لدول الغرب التي عملت على تفتيت هذه الحضارات والدول وتشتيتها ثقافيا وحضاريا، بل وجعل الغرب كثيراً من هذه الدول في حضارتها غربية ومرتبطة به، فلا وجود لدولة مركز في الحضارة الإسلامية، لأن لهذه الدولة دوراً محورياً وحضارياً من حيث إنها توحد باقي الدول في نفس الحضارة، وتجعلهم مرتبطين بنفس المصير المشترك، ولهذا عمل الغرب على تفتيتها حتى لا تظهر دولة مركز تقف منافسا للغرب وحضارته يقول هنتنجتون: "عدم وجود دولة مركز إسلامية يمثل مشكلات مهمة لكل من المجتمعات الإسلامية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 220.
2- المصدر نفسه، ص ص 220 _221.
3- المصدر نفسه، ص 221.

وغير الإسلامية، وبالنسبة لأمريكا اللاتينية كان من المتصور أن تكون إسبانيا هي دولة المركز لحضارة ناطقة بالإسبانية، أو حتى حضارة (يبيرية) ولكن زعماءها اختاروا _بوعي_ أن يصبحوا دولة عضوا في الحضارة الأوروبية، وفي نفس الوقت يحافظون على الروابط الثقافية مع مستعمراتها السابقة"(1).

فالدول المركز هي التي تقود الحضارات وتحافظ عليها، لكن إذا وجد داخل هذه الحضارات جماعات ثقافية كثيرة متمايزة ثقافيا وهوياتيا، فهذا يكون خطرا على دولة المركز وعلى حضارتها وربما ظهر بينها العنف الإثني، خصوصا إذا كانت جماعة ثقافية تعتقد أنها الأصل، وباقي الجماعات الثقافية هجينة يجب القضاء عليها، وهذا عموما يشكل خطرا على الحضارة "فالدول ذات الجماعات الثقافية المتمايزة، والتي تنتمي إلى نفس الحضارة قد يتعمق انقسامها بالإنفصال...وغالبا ما تتطور مثل تلك الانقسامات وما يصاحبها من تغيرات، عندما تكون هناك مجموعة تمثل أغلبية تنتمي إلى حضارة واحدة وتحاول أن تعتبر الدولة أداتها السياسية، وأن تجعل لغتها ودينها ورموزها، هي لغة ودين ورموز الدولة"(2).

ولهذا بالضبط نجد هنتنجتون يتساءل حول المقصود بالحضارة ليس الآن كمفهوم، بل ككيان ثقافي يحافظ على هويتها واستمرارها، فنجده يطرح السؤال ليجيب عليه كما يلي: "وماذا نعني عندما نتحدث عن حضارة؟ الثقافة كيان ثقافي، فالقرى والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية، جميعا ثقافات متميزة بوضوح على مستويات مختلفة من عدم التجانس...والمجتمعات الأوروبية بدورها تشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية، ومع ذلك فإن العرب والصينيين ليسوا جزءًا من أي كيان ثقافي أشمل، إنهم أصحاب حضارات"(3).

ويجيب هنتنجتون مرة أخرى بنفس الإجابة، معتبرا الثقافة هي أرفع، وستبقى أرفع تجمع للبشر، لأنها أساس الحفاظ على الجوهر، ألا وهو الهوية، التي تعد الكيان الثقافي لأي تجمع بشري حضاري.

فالحضارات تتفاعل إيجابا، وقد تضم حضارة ما حضارات فرعية، كما تضم ثقافة ما ثقافات فرعية، والمثال على ذلك هو الحضارة الغربية، والحضارة الإسلامية، "ومن الواضح أن الحضارات تتمازج وتتداخل، وربما تضم حضارات فرعية، فهناك تنوعان أساسيان للحضارة الغربية: هما الأوروبية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 221.

2- المصدر نفسه، ص 224.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مصر، مكتبة مدبولي، ط1، 1995 ص 08.

والأمريكية الشمالية، كما أن الحضارة الإسلامية تضم ثلاث حضارات فرعية هي العربية والتركية والملايو "[1].

وتبقى الحضارات ذات هدف، وذات كيان معبّر عن الإنسان في كيانه وثقافته، فهي كالكائن تولد، تتفاعل، وقد تتصادم، أو تتصارع مع غيرها من الحضارات، سواء من أجل إثبات الذات والدفاع عن الوجود، أو محاولة فرض السيطرة. والوصول إلى العالمية والكونية، "والحضارات مع ذلك كيانات ذات مغزى، وفي الوقت الذي نادرا ما تتسم فيه الحدود بين الحضارات بالحدة، إلا أنها حدود حقيقية فالحضارات كيانات ديناميكية، فهي تصعد وتسقط وتنقسم وتندمج...وتختفي وتدفن تحت رمال الزمن"[2]

وعلى هذا فكل ما أنتجته الحضارات معبّر عن تاريخ الإنسان في الفعل والإبداع، والحضارات التي لم تستطع الاستمرار في هذا الفعل، ولم تستطع المقاومة اندثرت، وهو ما يؤكده أرنولد توينبي "وما كان النتاج الأشمل للتاريخ الإنساني إلا تاريخ الحضارات، وفي مؤلفه "دراسة للتاريخ" رصد أرنولد توينبي إحدى وعشرين حضارة كبرى، لا توجد منها في عالمنا المعاصر سوى ست حضارات فقط"[3].

والتمايز بين الحضارات يشمل التمايز بين الثقافات، وعلى هذا الأساس كان للحضارة عناصر ذاتية وأخرى موضوعية، فالاختلاف في التصورات والمفاهيم حول حقائق الوجود الكوني بما يحتويه من علاقة بين الإنسان والله، في بعدها الميتافيزيقي، والعلاقة بين الأفراد داخل المجتمع الواحد والاتفاق حول بعض المفاهيم السياسية والثقافية، كالمواطنة والمجتمع والقيم والعائلة والحرية والمساواة والعدالة كلها تشكل في أساسها الاختلافات بين الحضارات، وهي اختلافات جوهرية، لا تشبه الاختلافات الإيديولوجية."(الحضارة) إنها كيان ثقافي يتحدد بعناصر موضوعية مثل اللغة والتقاليد والأهم الدين للناس في الحضارات المختلفة آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان والفرد والمجموعة والمواطن والدولة، إنها فروق أساسية بدرجة كبيرة من الاختلافات بين الإيديولوجيات السياسية"[4].

وربما هذا الاختلاف الجوهري بين الحضارات في الدين واللغة والتاريخ والقيم والعلاقات، الذي يجعلها كيانات ثقافية شاملة، هو الذي يجعل منها في مرحلة ما تتصادم وتتصارع، وفق المفهوم الهنتنجتوني والأكثر من ذلك، فالتضاد مع الآخر هو أساس الهوية، إنني أعرف نفسي من خلال أنني

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص ص 09_ 10.

2- المصدر نفسه، ص 10.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، بيروت، مركز البحوث والدراسات العربية، (د ط)، 1995 ص 20.

لست الآخر الذي يختلف عني ثقافيا وحضاريا، إن وجودي متوقف على إلغائه، وهنا تتشكل صورة العدو، ممثلا في الآخر، وتصبح الحضارة "عند هنتنجتون تعني الكيان الثقافي الشامل الذي يضم المجتمعات والأمم الثقافية والعرقية والدينية، فعنده الحضارات هي القبائل الكبرى، وما صدام الحضارات سوى صراع عالمي للتكتلات الثقافية، والأمر الخطير عنده هو: إن التضاد مع الآخرين هو الذي يحدد الهوية الثقافية، فالحروب هي التي ترسخ تلك الهوية وتحقق التماسك الاجتماعي، بدلا من الانقسام أمام عدو مشترك"[1]

وربما هذا التصور هو الذي يقود إلى الكلام على قوة الثقافة والحضارة، فكل حضارة تمتاز بالقوة في عناصرها مؤهلة لأن تبقى وتقاوم غيرها من الحضارات، ولهذا هناك من يرى أن صراع الحضارات بالمفهوم الهنتنجتوني، هو مرحلة أخيرة من صراع الثقافات، فما نشهده في الحقيقة هو صراع الثقافات والثقافة المتفوقة ستفرض حضارتها بالضرورة، ولذا أصبح "مفهوم الحضارة الآن يأخذ معنى الحضور بشرط القوة، وكل ثقافة تحقق حضورا قويا في المجال، معناه أصبحت مؤهلة لكي تمسك بزمام الحضارة، ومن هنا إذا قلنا إن كل أمة تملك حضارة تصارع من أجلها وتحاور بها العالم، وقعنا في غموض...فالصراع إذا كان بين حضارات فبلا شك ستكون إلى جانب الحضارة المتفوقة...وبالتالي الحديث هو عن صراع ثقافات...هذا التخوف على الهويات الثقافية، هو ما يسميه البعض صراع حضارات، هنتنجتون وقع في هذا المأزق الذي هو مأزق الإنثروبولوجيا الأمريكية"[2].

ووفق هذه الأفكار، فإن هنتنجتون قد وقع في خلط، عندما لم يميز بين الحضارة والثقافة، مما جعله يعلن عن صراع حضارات، وكان يقصد منه صراع الثقافات، لما لاحظه من محاولة كل حضارة فرض هويتها والدفاع عنها، لأنه حسب بعض الدارسين أن الحضارة اليوم حضارة واحدة، وما نشهده هو ثقافات متنوعة، و"هنتنجتون نفسه يؤكد على أن الحضارات هي هويات ثقافية، في التقليد الإنثروبولوجي الأمريكي قلّما يفرقون بين الثقافة والحضارة...إن الخلط بين المفهومين هو ما يؤدي إلى الصراع الحضاري، أقول إن الحضارة واحدة والثقافات متعددة، ففي عصر ثورة الاتصالات هناك حضارة واحدة"[3].

1- سعيد محمد السقا، فلسفة الحضارة وحوار الحضارات، مصر، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2010، ص 176.

2- هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 145.

3- أبو يعرب المرزوقي، نقلا عن هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 167.

المبحث الثالث: في مفهوم الصدام ومقوماته.

أ) في مفهوم الصدام:

إن الأطروحة الأساسية التي تناولها هنتنجتون في كتابه صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، هي أطروحة"صدام الحضارات"، وهي الأطروحة التي نشرها أولا كمقال في مجلة (فورين أفيرز) ثم طورها على شكل كتاب، وبعد أن تناولنا مفهوم الحضارة وخصائصها، وتحديدا خصائص الحضارة الغربية كما جاءت في كتب هنتنجتون، على أساس أن تلك الخصائص هي التي جعلت الغرب متفردا وحديثا، وأوصلته إلى مرحلة من التقدم والرقي، مما جعل الحضارات الأخرى تقف إما حذرة أو في عداء له، وبعد أن تناولنا إشكالية العلاقة بين الثقافة والحضارة، نتناول في هذا العنصر الأطروحة الأساسية في فلسفة هنتنجتون، بالتحليل والنقد، ولكن قبل ذلك ارتأينا أن نضبط مفهوم الصدام، أو كما يسميه البعض الصراع من الجانب اللغوي والاصطلاحي، فما معنى الصراع؟

"جاء في منجد اللغة والأعلام، كلمة صرع صرعا وصرعا ومصرعا، أي طرحه على الأرض... تصارع واصطرع الرجلان حاولا أيهما أن يصرع الآخر"[1].

فالصراع يعني وجود طرفين في وضعية قتال أو مشادة، محاولا كل واحد أن يصرع الآخر ويرديه على الأرض، أما **جميل صليبا** فيعرّف الصراع في معجمه بقوله: "الصراع هو في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الآخر بقوته البدنية...كالصراع بين الدول في الحروب ويطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى"[2].

وهنا نستنتج أن الصراع قد يكون بين فردين أو دولتين أو حتى بين الأفكار، كما يحدث في الصراعات الإيديولوجية، والثقافية، وتختلف النظرة إلى الصراع، فهناك من يعده دليلا على الضعف والانهيار وهناك من يجعله آلية للتطور والبقاء والاستمرارية والقوة، فالصراع بين الأشياء والأشخاص والقيم والثقافات حقيقة، كونه حتمية لا يمكن التخلص منها أو رفضها، فهي جدلية تساعد على التغير والتجديد، وهذا ما يراه كثير من الفلاسفة أمثال **أفلاطون** (***platon***)* وهيجل، الذي تحدث عن الصراع بين العبد والسيد، و**كارل ماركس** (***Karl Marx***) ** الذي تكلم عن صراع الطبقات وغيرهم كثير

1- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، (دط)، 2000، ص 422.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج1، 1979، ص 725.

* أفلاطون فيلسوف يوناني (427 ق م) من أهم ما وصلنا عنه: المحاورات.

** كارل ماركس (1881_1883) فيلسوف مادي ألماني من أهم كتبه: رأس المال.

وعليه يرى **ريمون آرون** (***Raymond Aron***)* أن "الصراع هو أداة المجتمع في امتلاك المزيد من الأشياء والعيش نحو الأفضل، يجعل من الصراع كآلية"[(1)].

أما فيما يخص الصراع بين الحضارات، فإنه من خلال تحليلنا السابق لمفهومي الثقافة والحضارة وخصائص هذه الأخيرة، والحديث عن التمييز بين الثقافة والحضارة، عرفنا أن هنتنجتون يستخدم مصطلح الحضارة والثقافة بمعنى واحد، ولهذا اعتقد الكثير أن المصطلح الصحيح هو صراع الثقافات، لأن الحضارات لا تتصارع، وهنا يقول **عبد الكريم الكريمي:** "يكون التعبير الصحيح أن نقول عن هذه الحالة صدام الثقافات، ونقصد بهذا المصطلح، تلك الحالة التي يتحسس الآخر مسدسه رغبة في حسم الحوار بينه وبين الآخر لصالحه"[(2)].

فصدام الهويات الثقافية حقيقة في عالم اليوم، عالم التنوع والتعدد الثقافي، الذي أرادت منه العولمة أن تجعله عالما واحدا ثقافياً وحضارياً، لصالح الثقافة والحضارة الأقوى، حضارة الغرب، وربما أصدق تعبير عن هذا نجده لدى المفكر المصري **حسن حنفي،** عندما يقول عن صراع الحضارات كما عبّر عنه صموئيل هنتنجتون "صراع الحضارات المقصود منه، أن الصراع بين المعسكرات وبين الإيديولوجيات، والنظم السياسية الاشتراكية والرأسمالية، الشرق والغرب، الشمال والجنوب، الأغنياء والفقراء، المركز والمحيط، الاستعمار الجديد وحركات التحرر الجديدة، قد انتهى لصالح طرف واحد هو الطرف الأول، فقد كان الطرف الأقوى، وعلى الطرف الثاني أن يعترف بالهزيمة، الصراع الآن لم يعد بين نظم سياسية وقوى اقتصادية، بل صراع حضارات، والمتفوق في السياسة والاقتصاد، قد يكون بالضرورة متفوقا في الحضارة، لأنها هي التي جعلته متفوقا، وحتى يتم زعزعة ثقة شعوب الأطراف في ثقافتها ونزعها عن حضارتها"[(3)].

فمعظم الدراسات التي تناولت فكرة صراع الحضارات، تؤكد على المفهوم الغربي لهذا الصراع والذي يعتقد أنصاره كما قلنا سابقا، أنه في عالم اليوم عالم الكونية والعولمة، انتهت جميع أنواع الصراع وكل أشكاله، إلى انتصار الطرف الأقوى، والمتمثل في الحضارة الغربية، "صراع الحضارات المقصود منه، أن الصراع بين المعسكرات وبين الإيديولوجيات والنظم السياسية، الاشتراكية والرأسمالية الشرق والغرب...قد انتهى لصالح طرف واحد"[(4)].

---

* ريمون أرون (1905_1983) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، من أهم كتبه: صراع الطبقات.

1- ريمون آرون، صراع الطبقات، ترجمة عبد الحميد الكاتب، بيروت، منشورات عويدات، (د ط) 1965، ص 37.

2- عبد الكريم الكريمي، صراع أم حوار بين الحضارات، مجلة النهج /33/ سنة 19، شتاء 2003، ص 124.

3- حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز الإنماء القومي ربيع/ صيف 2000، عدد 114_115، ص 35.

4- حسن حنفي وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، القاهرة، دار السلام، ط1، 2004، ص 56.

فتاريخية الصراع بين الأمم والشعوب حقيقة لا يمكن إخفاؤها، وفي عالم اليوم اشتد الصراع نتيجة لما حملته قيم العولمة من أحادية وكونية، بدأ هذا الصراع كما كان يسمى بين المعسكرين الشرقي والغربي، بما عرف بالحرب الباردة، كما عرف العالم صراعا اقتصاديا سمي صراع المصالح أو الصراع بين الشرق والغرب، أو الشمال والجنوب، الفقراء والأغنياء، وأصبح حضاريا بين المركزية الغربية، والهامش أو باقي الحضارات، هذه الجينالوجيا الصراعية انتهت بما عرف بصدام الحضارات والبحث عن عدو جديد، بعد انهيار المعسكر الشرقي، ويعود استخدام مصطلح صدام الحضارات إلى أستاذ هنتنجتون، ألا وهو **برنارد لويس (Bernard Lewis)*** يقول في ذلك **محمد العربي بن عزوز**: "لقد استخدم برنارد لويس لأول مرة مفهوم صدام الحضارات سنة 1964 حيث كتب أن "أزمة الشرق الأوسط ...لا تنبع من مجرد خصومة بين الدول، بل من صدام بين حضارتين، وقد بدأ ذلك بزحف العرب المسلمين نحو الغرب الكبير بين الإسلام والمسيحية، بالهجوم المسيحي المضاد أثناء الحروب الصليبية وفشله، ثم بتقدم الأتراك نحو أوروبا، وصراعهم المرير من أجل البقاء فيها ثم تراجعهم، ومنذ قرن ونصف يرزخ الشرق الأوسط تحت هيمنة الغرب السياسية والاقتصادية والثقافية...وقد حاولت أن ترتقي بنزاعات الشرق الأوسط، التي تعتبر عادة خصومات بين الدول إلى مستوى صدام الحضارات"[1].

فالواقع صدام الحضارات ظهر قبل الحرب الباردة، إنه في الحقيقة صراع قديم، كان ولا يزال في حقيقته بين المسيحية واليهودية والإسلام، وقد عبّر عن ذلك برنارد لويس عندما تناول نشأة فكرة الصدام بين الحضارات قائلا: "إن فكرة صدام الحضارات لم تبرز كما ادعى صموئيل هنتنغتن بعد نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعية، وإنما قبل ذلك بكثير...يقول برنارد لويس "إنه ليس أقل من صدام الحضارات...يمكن أن يكون رد الفعل غير عقلاني، ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لخصم قديم لتراثنا اليهودي _المسيحي ولحاضرنا الدنيوي"[2].

وفي الحقيقة وقبل صدور كتاب هنتنجتون الشهير "صدام الحضارات" الذي كان في الحقيقة عبارة عن مقال، تكلم المفكر المغربي المهدي المنجرة عن فكرة صدام الحضارات، معتبرا أن حرب الخليج التي كانت في سنة 1991 هي في الحقيقة حرب بين الحضارات، أي بين الحضارة الغربية والإسلام فـ"قبل صدور مقال صموئيل هنتنجتون حول صدام الحضارات بسنتين، أعلن المهدي المنجرة في

* برنارد لويس (1916_) أستاذ فخري بريطاني أمريكي. تخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب من أهم كتبه: أين يكمن الخطأ؟.

1– محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 15.

2– المرجع نفسه، ص 16.

حديث نشرته له المجلة الألمانية "**دير شبيجل (Der Spiegel)** بتاريخ 11فيفري 1991 أن حرب الخليج التي اندلعت سنة 1991 هي الحرب الحضارية الأولى"[1].

وسميت بالحرب الحضارية، لأنه قد شاركت فيها دول تمثل الحضارة الغربية، ضد دولة تحسب على الحضارة الإسلامية، فالصدام في الحقيقة ضد الحوار، آمن به بعض المفكرين في الحضارة الغربية ونظّروا له، بعد أن اعتقدوا أن الحضارة الغربية قد انتصرت، وأصبحت هي النموذج الذي يجب على باقي الحضارات أن تحتذيه فكان "صراع الحضارات أو صدامها أو الجدل والحوار معها...مفاهيم طرحها صموئيل هنتنجتون...ثم أضحت تلك المفاهيم نظرية يدافع عنها العالم الرأسمالي، حيث استمدوا منها أن جميع الحضارات سقطت على طريق التاريخ سقوط القتلى، فلم يبق شامخا منيعا غير الحضارة الرأسمالية"[2].

وفي مقابل الصراع، ظهرت أصوات تنادي بالحوار والتعايش، لأن الاعتراف بالصراع سبب لزيادة حدة النزاعات، سواء بين الحضارات أو الثقافات، أو حتى بين الأديان في العالم، ولقد بدأت فكرة الحوار كنقيض للصراع بعد أن نادى بها **روجيه غارودي (Roger Garaudy)*** و**محمد خاتمي** واعتمدتها الأمم المتحدة في المواثيق والقوانين الدولية، "ولما كان الصراع هو نقيض التعايش فإن العالم لن تستقر أحواله في ظل الأسباب التي تؤدي إلى تأجيج نار الصراع بين الحضارات وبين أتباع الديانات والثقافات...ولذلك نجد في المواثيق الدولية تأكيدا قويا على وجوب إقرار مبادئ التعايش ليستتب السلم، ولتنأى العلاقات الدولية عن التوتر الذي ينشأ عنه النزاع، الذي ربما يؤدي إلى الصراع، ثم الصدام فالحرب"[3].

فالصدام أدى أكثر من مرة إلى العنف والحروب، وعليه يجب أن تسعى الحضارات إلى نشر قيم التعايش والتسامح والحوار، بدلا من الصراع، رغم أن هناك من يرى أن الصراع ضروري للحفاظ على المصالح وعلى مكتسبات الحضارة الغربية، فالصراع موجود في المخيال الغربي، منه تنطلق الحضارة الغربية لعولمة وفرض قيمها الحضارية على باقي الحضارات، وهو سر بقائها وديمومتها وتفوقها ووفق هذه المنظومة الغربية "فإن الصدام ضروري لحسم الصراع بين مصالح الدول، إنه نتيجة طبيعية ونهائية في مراحل صراع المصالح، في رأي الإستراتيجية الغربية السائدة الآن، فهي ترى أن إستمرار

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، ص 25.

2- أحمد عمران الزاوي، تكامل الحضارات، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، عدد 568، سنة 49، كانون الثاني 2011، ص 303.

* روجيه غارودي (1913_2012) فيلسوف فرنسي، من أهم كتبه: حوار الحضارات.

3- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، القاهرة، دار الشروق، ط1، 2008، ص 107.

الصراع على الصعيد العالمي، يشكل عاملا من عوامل ديمومة الحضارة الغربية، وللمحافظة على تفوقها"[1].

ولقد كان الهدف الحقيقي من وراء الإقرار بصراع الحضارات وصدامها، هو محاولة القضاء على الثقافات المحلية، بما تحمله من لغة ودين وقيم، وتعويضها بقيم معولمة، ولقد حاولت نظرية صدام الحضارات أن تفعل ذلك تحت غطاء التثاقف والمثاقفة، التي تعني في ظاهرها تبادل الثقافات وحوارها، والاستفادة من ثقافة الغير، بما يتلاءم ومعطيات العصرنة، وفي باطنها تعني التغريب والهيمنة والإقصاء، والقضاء على الخصوصيات الثقافية للحضارات الأخرى، "صراع الحضارات محاولة القضاء على الثقافات الوطنية واللغات المحلية باسم التثاقف أو المثاقفة **(Acculturation)** وتعني في الظاهر التحديث والتمدن والتفاعل الثقافي، والحوار المتبادل، والأخذ والعطاء، وفي الحقيقة تعني التغريب"[2].

ونظرية صراع الحضارات، لا تهتم بالصراعات السياسية والاقتصادية، بقدر ما تهتم بالصراع الحضاري، وهذه النظرية تؤمن بأن المتفوق سياسيا واقتصاديا متفوق حضاريا، ولقد تنبأ هنتنجتون، في دراساته وأبحاثه، بأن الصراع بين الحضارات هو المرحلة النهائية في نشوء الصراع في العالم معارضا في ذلك مواطنه فوكوياما، الذي اعتقد بنهاية التاريخ، بعد انتهاء الحرب الباردة وانتصار الديمقراطية الليبرالية، والواقع أن الصراع الذي نشهده اليوم ليس صراعا حضاريا، بل هو صراع مصالح، لأن الغرب لا يؤمن إلا بالمصلحة، "إن الصراع الدائر في عصرنا هو صراع مصالح وهيمنة رأسمالية، وليس صراعا بين حضارات مختلفة بالمعنى الثقافي الخالص لمفهوم الحضارة، الذي يغلب عليه التوجه الديني"[3].

والصراع في حقيقته محاولة للسيطرة والهيمنة والإخضاع، وهو ليس قانونا طبيعيا تحتكم إليه الحضارات، بل هو ظاهرة عابرة، وربما يخضع للقوانين الاجتماعية المتغيرة أكثر، "فالصراع بمعنى التصادم الدائم الذي لا محيد عنه أو الناجم عن ميل للهيمنة والإخضاع والسيطرة، ليس متأصلا في النظام الطبيعي واستمراره في النظام الاجتماعي، لا يجعله بالضرورة هو القاعدة والقانون"[4].

لكنه في المنظومة الغربية يعني السيطرة والسيادة، نتيجة لانبهار الغرب بقوته وجبروته في المجال العلمي والعسكري والاقتصادي، وربما نتج عن عقدة التفوق وشهوة الطمع فيما عند الآخر، ويسعى

[1]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الحضارات صدام أم حوار؟ إعداد هشام البرازي، دمشق، دار حوران، ط2، 2004 ص 67.

[2]- حسن حنفي وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 62.

[3]- محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، الرياض، مكتبة الملك فهد، م1، (د ط)، 2004 ص 43.

[4]- منى أبو الفضل وآخرون، الحوار مع الغرب، آلياته_أهدافه_ دوافعه، دمشق، دار الفكر، ط1، 2008، ص 53.

الغرب إلى أن يضفي عليه نوعاً من العقلانية، ويجعله من الوسائل والغايات في نفس الوقت، فهو يقوم على النظرة البراغماتية للأشياء، "لا أنفي وجود الصراع، فالصراع قانون تاريخي والصراع ليس بالضرورة عنفا، كما أن الصراع يفترض وجود أشياء حقيقية ونقائضها، لكن السؤال الآن من يصارع من؟هل الحضارات تتصارع فيما بينها أم أن هناك ثقافات تتنافس؟...أما هنتنجتون ككل الأمريكيين يصرون على مغالطة في استخدام مفهوم الحضارة، فهم يخلطون بين لفظ حضارة ولفظ ثقافة"[1].

وهنا نجد الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه يرى من وجهة نظر فلسفية أن "القرن التالي سيجلب معه الصراع من أجل السيطرة على الأرض"[2].

ولهذا ينتمي موضوع صراع الحضارات إلى ما يسمى بعلم المستقبليات، أو الدراسات الإستراتيجية التي تبحث في المستقبل، ونحن نعلم أن صاحب أطروحة صدام الحضارات، صموئيل هنتنجتون أستاذ للعلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية، يرى بأن السياسة المستقبلية ستحمل صراعا أخطر من أنواع الصراعات التي سبقت ألا وهو الصدام بين الحضارات كما يسميه، وهنا نجده يقول :"إن البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة، سوف يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة"[3].

ولكن كيف تصطدم الحضارات؟ أو كيف يقع الصدام بين الحضارات؟

المعلوم كما يرى هنتنجتون، وكما ذكرنا في الفصل السابق أن الحضارات تعبّر عن الثقافات وبالتالي فهي لا ترمز إلى ما هو سياسي، أي الدولة، رغم أنه قد يوجد صراع بين الدول داخل الحضارة الواحدة، إلا أن المقصود بصراع الحضارات، هو صراع الثقافات التي تشكل كيانات وهويات مختلفة.

"فلا أحد يجهل أن الحضارات كيانات ثقافية معنوية، وليست كيانات سياسية...هذا يعني إمكانية الصدام بين المكونات السياسية في الحضارة الواحدة، الانتماء للحضارة الغربية لم يمنع الدول الغربية من الحرب، كما أن الصراع الذي جرى خلال حربين عالميتين لم يكن بين حضارات، وإنما بين دول يفترض أنها من ذات الحضارة"[4].

ويصرح هنتنجتون أن مقاله حمل عنواناً أساسياً جاء في صيغة سؤال، ليوضح المرحلة المقبلة من العلاقات بين الثقافات والشعوب والأمم، وهي مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وزوال العدو الشيوعي

1- هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 145.

2- فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر _تباشير فلسفة للمستقبل_ ترجمة: جيزيلا فالفور حجار، لبنان، دار الفارابي ط1، 2003، ص 167.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق ص 29.

4- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، ليبيا، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط1، 2006، ص ص 92_93.

وانتصار النموذج الغربي على الشرقي، وأن هذا التنبؤ حسب هنتنجتون قد أصاب الحقيقة، وفسر ما هو كائن وما سيكون عليه الوضع بين الحضارات. فنجده يقول: "إن مقال "هل هو صدام بين الحضارات" هو محاولة لتحديد عناصر نموذج ما بعد الحرب الباردة...ومثلما هي الحال في أي نموذج، فإن نموذج الحضارات لا يفسر كل شيء...وتبين المجادلات التي أثارها نموذج الحضارات عبر العالم، أنه بمقياس ما أصاب كبد الحقيقة"[1].

لأن الانتماءات والتقسيمات في عالم اليوم تغيرت، فقد زال مصطلح العالم الحر في مواجهة الشيوعية كما زال التقسيم الذي يقوم على الجغرافيا شمال وجنوب، وبعد انحسار الاستعمار التقليدي زال النظر للبلدان على أساس الغنى والفقر، ولم يعد المعيار بعد الحرب الباردة هو هذه التقسيمات، بل أصبح في الانتماءات الثقافية والحضارية، و"إن البلدان لم تعد تنتمي إلى العالم الحر والكتلة الشيوعية أو إلى العالم الثالث، وأن التقسيمات الثنائية البسيطة للبلدان إلى غنية وفقيرة، أو ديمقراطية وغير ديمقراطية قد تفيد قليلا، لكنها لا تنفع كثيرا...إن الحضارات هي الخلق الطبيعي لعوالم الحرب الباردة الثلاثة، وعلى المستوى الكلي من المرجح أن تتضمن السياسات العالمية منازعات، وتحولا في موازين قوة الدول المنتمية إلى مختلف الحضارات"[2].

فهذا التغير في السياسة الثقافية الكونية، رسم معالم عالم وحضارة جديدة، بل وعلاقات جديدة بين الدول والأمم والشعوب والحضارات، ويعتقد هنتنجتون أن الخطر لم يعد في الشيوعية أو الفاشية أو النازية، إن الخطر الذي قد يقود إلى حرب كونية أخرى يكمن في صراع الحضارات، الذي يهدد السلم والأمن العالميين، لهذا يرى هنتنجتون أنه لتفادي هذه الحرب الكونية الرابعة، والتي تعد أخطر من سابقاتها، لا بد من قيام نظام عالمي واحد، يقوم على أساس الحضارة الإنسانية، وهنا نجده يقول "إن صدام الحضارات هو الخطر الأكثر تهديدا للسلام العالمي، وإن نظاما عالميا يقوم على الحضارات هو الضمان الأكبر ضد حرب عالمية"[3].

فالفترة التي جاءت بعد الحرب الباردة، على حد اعتقاد هنتنجتون هي فترة استرخاء، لكنه خادع لأن فيه أعادت الحضارات تنظيم معطياتها للدخول في عالم جديد، ربما يقوم على القوة والصراع فنجدها تتسابق نحو التسلح، والأكثر من ذلك أنها تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، مما جعل هنتنجتون يعتقد أن الحرب المقبلة إذا نشبت ستقضي على البشرية جمعاء، ولتجنب ذلك لا بد من الاستفادة من جميع الحضارات في تحالف وتفاعل لا صراع فيه، ومنه "يدعو هنتنجتون إلى اعتماد

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها (إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟ نماذج من عالم ما بعد الحرب الباردة) بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 2000 ص 74.

2- المصدر نفسه، ص ص 74_ 75.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 30.

أمرين أساسيين الأول: هو عدم الانخداع بالاسترخاء الذي ساد جبهات الصراع بعد انتهاء الحرب الباردة، وبالتالي عدم الإقدام على نزع التسلح أو وقف إنتاج الأسلحة الأكثر تقدما، والثاني هو المبادرة إلى دراسة حضارات الآخرين، لاكتشاف العوامل المشتركة التي يمكن أن تشكل قاعدة لتفاهم أفضل يؤدي إلى تعايش أضمن"[1].

فتعايش الحضارات أفضل من صراعها المميت، وحتى يكون هذا التعايش ممكنا على الحضارات أن تتفاعل لمواجهة التحديات التي تواجهها في عالم اليوم، ولكن دعوته هذه مثالية ومتناقضة، لأنه في الواقع بالمقابل يرى أن "ميزان القوى بين الحضارات يتغير، الغرب يتدهور في تأثيره النسبي الحضارات الأسيوية تبسط قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، الإسلام ينفجر سكانيا مع ما ينتج عن ذلك من عدم استقرار بالنسبة للدول الإسلامية وجيرانها، والحضارات غير الغربية عموما تعيد تأكيد ثقافتها الخاصة"[2].

فملامح عالم جديد، عالم تصارعي بدأت تتشكل، وهي كلها ضد الغرب ومصالحه، فالغرب بدأ يتدهور كحضارة، قيميا وعلميا وتكنولوجيا وإقتصاديا، وفي المقابل هناك نمو وظهور حضارات أخرى وكل واحدة تحمل ميزة تهدد بها الغرب، فهناك تحد اقتصادي عسكري آسيوي، وهناك تحدّ سكاني إسلامي، وحتى باقي الحضارات عادت لإحياء ثقافتها، والتمسك بها، "ويخشى هنتنجتون من أن يتغير ميزان القوى الحضاري لغير مصلحة الغرب، فهو ينظر بقلق إلى النهوض الاقتصادي الأسيوي...ويرى أن هذا النهوض يشكل خطرا ليس فقط على مصالح الغرب، بل على قيمه وثقافته أيضا"[3].

وباعتبار هنتنجتون أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد، فإنه يقوم بدراسة العلاقات السياسية الثقافية والحضارية بين الدول والحضارات، متنبئا طبعا بالصراع، "إن هنتنجتون يسعى لتشخيص واقع الصراع العالمي الراهن وآفاقه المحتملة، على المدى المتوسط والبعيد، فهو يقدم نظرة جديدة، حول الصراع في العلاقات الدولية"[4].

هذا الصراع تجدد بعد الحرب الباردة، بعد سقوط الشيوعية وانتصار الليبرالية، على حد تعبير فوكوياما، وإعلان نهاية التاريخ، إلا أن تاريخاً جديداً سيبدأ عندما تعيد الحضارات التمسك بكياناتها الثقافية، والعودة إلى الثقافة، وربما الصراع بين الدول القومية، كما يرى هنتنجتون عندما قال "تدخل

1- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، بيروت، دار النفائس، ط2، 1999 ص154.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 37.

3- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص154.

4- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 08.

السياسة الدولية مرحلة جديدة، لم يتردد المفكرون معها في طرح رؤاهم لما ستكون عليه نهاية التاريخ وعودة التنافس التقليدي بين الدولة القومية، وتراجع القومية عن التجاذب المتضارب بين النزعة القبلية والنزعة الكونية إلى جانب قضايا أخرى"[1].

ففكرة صدام الحضارات من الوجهة الفلسفية أو السياسية، تستطيع أن تفسر مظاهر ما بعد الحرب الباردة، كعودة القوميات إلى الظهور وإحياء الثقافات المحلية، وإعادة تشكيل التكتلات الثقافية والعسكرية والسياسية، وتحديد الإنتماءات الإثنية، وظهور ما يسمى بالدولة الأمة، التي تحمل بعدا ثقافيا وحضاريا وسياسيا، وعن هذا كله يقول **الفن توفلر**(**Alvin Toffler**)* "إن فكرة اصطدام الحضارات هذه تساعدنا على فهم الكثير من الظواهر التي تبدو غريبة، مثل اشتعال حركة القوميات فالقومية هي إيديولوجية دولة الأمة"[2].

فالصراعات في المستقبل لن تكون صراعات إيديولوجية ولا اقتصادية بالأساس، لأن الطابع الذي يحمله عالم اليوم هو الاختلافات الثقافية، فيمكن للفرد أن يقبل أو يرفض أفكاراً أو يغيّرها، يمكن له أن يتبنى منظومة اقتصادية أو أخرى، لكنه مستعد أن يموت لأجل هويته الثقافية، وعليه "إن المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون إيديولوجيا أو اقتصاديا في الأساس، فالتباينات بين الجنس البشري والمصدر المحوري للصراع ستكون ثقافية"[3].

ولكن هناك من يرى بأن الإقتصادي والسياسي في خدمة الإيديولوجي والحضاري، فالغرب فارض لهيمنته وحضارته، لأنه أقوى اقتصاديا وعسكريا وليس ثقافيا، وربما هذا أكبر ما تعانيه الحضارة الغربية المهددة بالأفول والزوال، لأنها تفتقر إلى الروح الحضاري، فما يجمع الغرب اليوم براغماتيا هو المصالح، ومعلوم أنه عندما تنتهي المصلحة ينتهي الصديق، بينما الثقافة لا تقوم على هذا الأساس لأنها تُوحّد على أسس روحية، فمهما تضاربت المصالح، إلا إن المشترك الثقافي بين أفراد الأمة يجعلهم يشعرون بوحدة الانتماء، وهذا ما لا يصدق على الغرب، "إن ما يوحد الغرب حاليا ليس الإنتماء لحضارة واحدة، وإنما نظام اقتصادي يتجه إلى العولمة، ونظام سياسي في خدمته...الحضارات الأخرى ضد الغرب، ليس لأنه حضارة، وإنما لأنه نظام مبني على الاستغلال والهيمنة"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص05.

* ألفين توفلر (1928_) كاتب ومفكر أمريكي.

2- ألفن توفلر، بناء حضارة جديدة، ترجمة سعد زهران، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ط1 1996، ص 35.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص05.

4- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 97.

فالإمبريالية الغربية هي التي جعلت باقي الحضارات تقف ضد كل ما هو غربي، وتخاف منه حتى من التحديث والعصرنة، على اعتبار أنهما من صنع الغرب، فالغرب استعماري إمبريالي كولونيالي استغلالي، ينظر إلى باقي الحضارات على أنها خادمة له، وهنا تنطلق أطروحة الصدام بين الحضارات، والتي بدأها هنتنجتون بمقولته الشهيرة، حينما قال: "غير أن الصراعات الأساسية في السياسة الدولية ستقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة، وسيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل"[1].

ولقد وصل هنتنجتون إلى هذه النتيجة، مما لاحظه من اختلافات بين الحضارات، وهي اختلافات ثقافية بالأساس، وهذه الفوارق ستكون أساس الحروب إذا ما نشبت في المستقبل، أما الدول التي لا تستطيع دخول الصراع لاعتبارات ثقافية أو دينية، أو أنها لا تمتلك وسائل الصدام، فإنها ربما ستشهد بدورها صدامات ثقافية داخلية أو داخل الحضارة التي تنتمي إليها، "فالأمر إذن لا يتعلق بصدام الحضارات بعضها ببعض، فهذه لا تملك أدوات الصدام...ولا تدخل صداما لاعتبارات ثقافية، ولا حتى دينية...هذا يدخل الدول...في صدام مع تكوينات وثقافات اجتماعية عرقية داخلها، لأن هذه الدول نشأت أصلا عن عوامل واعتبارات تتناقض مع الهويات الثقافية...الاجتماعية، وهذا يمكن أن يكون داخل الحضارة الواحدة"[2].

والنتيجة على حد قول هنتنجتون، أن الصراع بين الحضارات هو آخر أنواع الصراع، لأنه نهاية تطور فكرة الصراع، وفلسفة النهايات هذه تؤمن بأن كل شيء له نهاية، فهناك نهاية الفلسفة والتاريخ ونهاية الحضارات، ونهاية الصراع، والمعنى بالعكس أي أن الصراع لا يتوقف، ولكنه الشكل الأخير من أشكال الصراعات التي عرفتها البشرية على مر التاريخ، "وسيشكل الصراع بين الحضارات آخر مراحل تطور الصراع في العالم المعاصر...وبدءًا بالثورة الفرنسية باتت الخطوط الأساسية للصراع بين الدول لا الأمراء...(ثم أصبح) الصراع بين الإيديولوجيات"[3].

وفي استعراضه لتاريخ الصراع، يذكر هنتنجتون أن الصراع داخل الغرب كان صراعا بين الدول المشكلة للحضارة الغربية، لكن الغرب أنهى تلك الصراعات بانتهاء الصراع داخل الدولة القومية بعدها بدأ الغرب في محاولة جعل حضارته عالمية، فحدث نوع من التفاعل الحضاري، "وكانت تلك الصراعات...أساسا صراعات داخل الحضارة الغربية...ومع انتهاء الحرب الباردة خرجت السياسة الدولية من طورها الغربي، وأصبح واسطة عقدها هو التفاعل بين الحضارات الغربية، وغير الغربية

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، 05.

[2]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص ص 100_101.

[3]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 06.

وفي سياسة الحضارات، لم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية موضوعا للتاريخ كأهداف للإستعمار الغربي، بل إنها تنضمّ للغرب كمحرك وصانع للتاريخ"[1].

أما الحضارات التي رفضت التغريب، فإنها بالنسبة إليه أصبحت تمثل العدو، وهنا بدأت فكرة عالم جديد تتشكل، خصوصا أن هذه الحضارات بدأت تبحث عن هويتها ووحدتها العرقية، وفي كتابه "الإسلام والغرب_آفاق الصدام_ يتساءل هنتنجتون قائلا: "لماذا سيقع الصدام بين الحضارات؟ (ليجيب أنه) ستتزايد أهمية الهوية الحضارية في المستقبل، وسوف يتشكل العالم إلى حد كبير نتيجة التفاعل بين سبع أو ثماني حضارات كبرى"[2].

فالسبب في اعتقاد هنتنجتون في ظهور ما يسميه بصدام الحضارات، هو تزايد أهمية الهوية الثقافية الحضارية بالنسبة إلى الشعوب التي تطمح إلى بناء حضارة تنافس الحضارة الغربية، ولقد تشكل عالم ما بعد الحرب الباردة على أساس هذه الفكرة، وعليه أحصى هنتنجتون ثماني حضارات أساسية في عالم اليوم، "وتشمل هذه الحضارات الحضارة الغربية، والكونفوشية واليابانية والإسلامية والهندوسية والأرثوذوكسية السلافية، والأمريكية اللاتينية، ويحتمل أن تنضمّ إليها الحضارة الإفريقية"[3].

هذه الحضارات الثماني، تتمايز فيما بينها من حيث الخصائص الثقافية، ومن حيث الانتماءات العرقية، ومن حيث البنية والقوة، ولكن الملاحظ على هذا التصنيف أنه يقوم في أغلبه على البعد الثقافي والانتماء الحضاري، والأساس الديني، وهذه الحضارات هي التي ستتشكل نظاماً عالمياً جديداً ستكون فيه القوة للثقافة المسيطرة، وإن الحروب فيه ستكون حضارية، كما يؤكد المهدي المنجرة في كتابه الحرب الحضارية الأولى، حيث "يذهب إلى أن الحروب المستقبلية ستكون قبل كل شيء حضارية، وإن أكبر تحديات المستقبل هو بناء نظام عالمي جديد مبني على صراع الحضارات"[4].

فالحضارات كيانات ثقافية بالأساس، ولقد حدد هنتنجتون حدودا بين تلك الحضارات، وهي حدود سماها بخطوط الهوة الثقافية، أي التمايز الثقافي الهوياتي بينها، لكن لماذا ستقع هذه الصراعات بالتحديد على حدود خطوط الهوة الثقافية؟ وهل هذا الصراع حتمي؟

في الإجابة عن هذا السؤال يرى هنتنجتون: أنه "ستقع أهم الصراعات في المستقبل على إمتداد خطوط الهوة الثقافية التي تفصل تلك الحضارات بعضها عن بعض، ولماذا سيكون الحال كذلك؟ لأن التباينات بين الحضارات ليست حقيقية فحسب، بل إنها أساسية، فالحضارات يختلف بعضها عن

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 07.

[2]- المصدر نفسه، ص 11.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى _مستقبل الماضي وماضي المستقبل_ الجزائر، شركة الشهاب، ط1 1991، ص48.

بعض بفعل التاريخ واللغة والتقاليد، والأكثر أهمية عامل الدين، فأصحاب الحضارات المختلفة يعتنقون معتقدات مختلفة"[1].

فالاختلاف جوهري بين الحضارات، يشمل كلاً من اللغة والدين والتاريخ والقيم، وكل ما يعبر عن ثقافة الذات، وربما هذا الصراع بهذا المفهوم وعلى هذه الأسس، لم يكن موجودا في الماضي، لأن الصراع السابق كان إيدولوجيا سياسيا، لكن حدث أن انتقل العالم من هذا الشكل من الصراع إلى صراع أعم وأشمل وأخطر، إنه الصراع بين الحضارات، حيث "يرى هنتنجتون أن العالم ينتقل من الصراع السياسي _الإيديولوجي الذي كان أساس الحرب الباردة، إلى الصراع الثقافي الذي يشكل أساس الحضارات ويبرر ذلك بقوله: "إن ما يهم الشعوب، ليس المصالح الاقتصادية أو السياسية العقدية، بل ما يهمها هو الإيمان والعائلة والدم والمعتقد، وهذا ما يميز الشعوب عن بعضها، ويدفعها للقتال وللموت من أجل ذلك، فإن صراع الحضارات يحل محل الحرب الباردة كظاهرة مركزية في السياسة العالمية"[2].

أما عن سبب هذه الاختلافات بين الحضارات، فيعود إلى عناصر كل حضارة، كما أن هذه الاختلافات هي تراكمات تاريخية، إلا أن هنتنجتون باهتمامه بفلسفة الحضارة وتنظيره لصدام الحضارات، يعتقد مبدئيا أن الصدام ليس ضرورة حتمية بين الحضارات، ولا أن يقود هذا الصراع بالضرورة إلى حروب عنيفة، هذا من الجانب النظري، أما من الجانب التاريخي والواقعي، فإن هنتنجتون أقر بوجود صراعات بسبب الاختلافات بين الحضارات، "وهذه الاختلافات نتاج عدة قرون...ولا تعني الاختلافات وقوع التصادم حتى، ولا يعني الصدام حدوث عنف بالضرورة، ومع ذلك وعلى مدار قرون ولدت الإختلافات بين الحضارات أكثر الصراعات طويلة الأمد وأشدها عنفا"[3].

ولكن ما صرح به هنتجتون عند بعض الدارسين من انتهاء الصراع بين الاديولوجيات لصالح الصراع بين الحضارات غير صحيح، لأن الحضارات في تصادمها يعني ذلك أنها تدافع عن إيديولوجيتها في البقاء، لأن الصدام بين اللغة والدين وحتى التاريخ غير معقول، وعليه فإن "ادعاء نهاية الإيديولوجيات هو أيضا إيديولوجيا، استبعاد هذه يجعل صدام الحضارات غير ذي قيمة، إذ لا يعقل الصدام من أجل اللغة أومن أجل الدين، ثمة لغات تنتشر حاليا في حضارات أخرى، دون أن يثير هذا صداما بين الحضارات"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 11.

2- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 157.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 12.

4- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص ص 104_105.

واليوم نشهد انتشار اللغات والأديان، دون أن يحدث ذلك صداما، بل إن هذا يساعد على المثاقفة بين الحضارات والتفاعل بينها، لصالح الإنسان والإنسانية، ولقد زاد هذا التفاعل بفعل العولمة ووسائل العلم والتكنولوجيا، فأصبح العالم قرية صغيرة، يمكن أن تنقل فيه المعلومات والثقافات بأسرع وقت وبأسهل وسيلة، إلا أن هذا من جانب آخر كما يرى هنتنجتون، من شأنه أن يعمق من جهة أخرى الاختلافات ويدفع إلى وعي الثقافات والحضارات وتحديد الانتماءات، حيث "أصبح العالم يشكل بقعة أصغر بتزايد التفاعل بين أصحاب الحضارات المختلفة، ويكشف هذا التفاعل المتزايد الوعي والإدراك الحضاري للاختلاف بين الحضارات والجماعات الدخيلة على هذه الحضارات"[1].

وقد يقود ذلك التفاعل بين الحضارات المختلفة إلى تعزيز الوعي الحضاري، وإيقاظ الاختلافات التي تدركها الشعوب على أنها تمتد إلى عمق التاريخ.

وهنا تحدد الانتماءات الإثنية والثقافية والحضارية، فكأن الصراع هو أساس العودة إلى الذات والتمسك بالهوية، فهو الذي يوقظ الوعي، رغم أن هناك من يعتقد أن حقيقة الصدام تقوم على المصالح، وبالدرجة الأولى المصالح الاقتصادية، بعد أن ظهرت المنافسة في ميادين الصناعة والتجارة العالمية.

إن "الصدام جرى ويجري من أجل مصالح...إن صدام الحضارات يفترض هكذا ضمنيا أن النظام الاقتصادي نظام السوق والنظام السياسي البرلماني، صار مقبولا مسلما به في كل الحضارات وبالتالي لن يكون عامل صدام وصراع، عندئذ لا يتبقى من عوامل الصدام إلا الجوانب الثقافية التقليدية من الحضارات كاللغة والدين والعرق"[2].

فبعد أن زالت الشيوعية، وتبنت مختلف الدول للنظام الرأسمالي كنظام اقتصادي، والديمقراطية النيابية كنظام سياسي، لم تعد هناك صراعات إيديولوجية، بل أصبحت في عمومها اقتصادية ثقافية فالدين واللغة في ذاتهما لا يشكلان عاملا للصدام، بل توظيفهما السياسي والاقتصادي، وحتى الإيديولوجي، "نحن لا نقول إن الدين واللغة، لن يكونا عوامل صدام، لكن هذا يشترط أولا التسليم فيما هو سياسي واقتصادي، والإقرار بإيديولوجيا واحدة سائدة...الصدام لن يكون بين حضارات، هذه أمنية وخدعة، وإنما بين أغنياء وفقراء العالم"[3].

وبداية فعل الصراع، يعود ربما بعد أن سعت مختلف المجتمعات إلى ما يسمى بالتحديث والعصرنة والتي مست الجانب الاقتصادي والعلمي والعسكري، وكذلك الجانب الاجتماعي، وربما هو ما قاد إلى السؤال حول الهوية، لأن عملية التحديث قد تتصادم مع المعطيات الثقافية والحضارية لأمة

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 12.

[2]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص ص 105_ 106.

[3]- المرجع نفسه، ص 108.

ما، ولأنه فعل لا ينبع من الذات، بل إنه معطى من الحضارة الأقوى، "إن عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي في مختلف أنحاء العالم، تنزع الناس عن هوياتهم المحلية طويلة الأمد، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية"[1].

ويرى كثير من الباحثين، أن الهدف من فكرة صراع الحضارات، كفكرة إستراتيجية صدرت من مركز الحضارة الغربية، وهي في حقيقتها محاولة لتوجيه نظر الشعوب إلى الاهتمام بالهوية والثقافة دون الالتفات إلى سبب استعبادها واستعمارها من طرف الغرب، ألا وهو الجانب الاقتصادي، الذي جاءت به العولمة، والنظام العالمي الجديد، لأنه حسب فكر هنتنجتون من يملك القوة بكل أشكالها يملك السيطرة والحضارة.

و"ربما يكون المقصود هو انشغال شعوب الأطراف بشيء عزيز عليها متمسكة به، ترى فيه سبب بقائها في التاريخ واستقلالها، وهويتها وهو الحضارة، وبيان أن هذا الشيء العزيز في خطر يتهدده صراع، حتى تتمسك به الشعوب وتشغل نفسها بالدفاع عن هويتها، حتى تشيح بوجهها عن الصراع الحقيقي، وهو الصراع الاقتصادي في عصر العولمة"[2].

وقد انتبه هنتنجتون إلى هذه الفكرة، واعتبر أن السيطرة الإقتصادية هي أساس تعزيز الوعي الحضاري، ودليله في ذلك هو التكتلات الاقتصادية التي عرفتها المجتمعات الأوروبية والآسيوية، "وإن الإقليمية الاقتصادية الناجحة ستعزز الوعي الحضاري...وربما تنجح فقط عندما تنمو جذورها في حضارة مشتركة، فالمجموعة الأوروبية تعتمد على الأساس المشترك للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية"[3].

وعليه فإن الصدام، هو في حقيقته محاولة للهيمنة والسيطرة، ليس من أجل فرض حضارة وقيم على أخرى كما هو ظاهر، وإنما من أجل حفظ المصالح التي تأتي في مقدمتها المصالح الحيوية الإستراتيجية والإقتصادية، وظهور بؤر الصراع في أماكن دون غيرها لدليل على ذلك، "إذن الصدام يترتب عن إرادة الهيمنة، وهذه ليست لأسباب حضارية، ولا يعني أن الحضارة الغربية كحضارة تدخل في صدام مع حضارات أخرى، إن زعم الغرب عالمية حضارته المستند إلى إرادة الهيمنة على الحضارات الأخرى في خدمة مصالحه، هو الذي يقود إلى الصدام"[4].

وأكبر ما يحقق هذه الفكرة، فكرة الحفاظ على مصالح الغرب هي العولمة، فالعولمة في حقيقتها اقتصادية تحمل في طياتها أبعادا ثقافية، والسعي ضد عولمة العالم من طرف بعض القوميات

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 13.

2- حسن حنفي وآخرون، حوار الحضارات، أعده وقدم له، عطية مسوح، دمشق، دار الينابيع، ط1، 2009 ص 24.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 16.

4- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 109.

والحضارات، الهدف منه هو تحقيق ما يسمى بتفاعل الحضارات وتحالفها، وهنا يقول هنتنجتون عن هذا التفاعل على لسان أحد المفكرين "وقد أشار "**جورج فايجل**" إلى أن إلغاء علمنة العالم هي إحدى الحقائق الاجتماعية المهيمنة على الحياة في أواخر القرن العشرين، فإحياء الدين كما يسميه "**جيل كيبل**" يوفر أساسا للهوية والإلتزام الذي يتجاوز حدود القومية ويوحد الحضارات"[1].

فالمكونات الاجتماعية لحضارة ما، هي من يدخل في الحقيقة في صدام مع نظام معولم تحكمه قوانين البقاء للأقوى والشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات، وهو ما يولد لحضارة دون أخرى عقدة التفوق، فتحاول أن تهيمن على باقي الحضارات، "هذه المكونات الاجتماعية ستدخل في صدام مع مؤسسات النظام الاقتصادي العالمي، وليس مع حضارات أخرى...إن احتمال صدام الحضارات ليس لأن الصدام في طبيعة الحضارات...الصدام ينشأ من زعم حضارة بأنها وحدها عالمية، مثل زعم الغرب العالمية، والذي يقود إلى صدام أكثر فأكثر مع حضارات أخرى خاصة الإسلام"[2].

وما يحدث حسب هنتنجتون أن الغرب يؤدي دورا مزدوجا، فمن جهة يحاول أن يوهم الحضارات الأخرى بالنتائج الإيجابية للتحديث، ومن جهة أخرى يسعى إلى تغريبها والهيمنة عليها اقتصاديا، وكل طرف يحاول أن يشكل نظاما عالميا يتماشى وحضارته وقيمه، مما يولد الصراع الحضاري، لأن محاولة الهيمنة الغربية تدفع باقي الحضارات والثقافات إلى أن تعي ذاتها، وربما هذا في غير صالح الغرب.

"إن الدور المزدوج للغرب عزز الوعي الحضاري، فمن ناحية يعيش الغرب أوج قوته، ومع ذلك وربما نتيجة لذلك تحدث ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية...فالغرب في ذروة قوته يواجه غير الغرب الذي بات وبشكل متزايد يملك الرغبة والإرادة والموارد لتشكيل العالم بأساليب غير غربية"[3].

إذن صدام الحضارات في ظاهره، يبدو أن هناك حضارة معولمة تريد أن تفرض قيمها ومؤسساتها على باقي الحضارات، مما يجعل هذه الحضارات تقوم برد الفعل، ويدفعها ذلك إلى محاولة إحياء ثقافاتها الوطنية، أما صراع الحضارات في جوهره، فهو من أجل مصالح اقتصادية، لأن الحضارة الغربية أدركت البعد الاقتصادي في السيطرة على الشعوب والأمم، فعليها أن تخلق صراعات محلية وإقليمية، وأن توجد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، لأن ذلك يدعم اقتصادياتها، ويحمي شركاتها من الإفلاس، ويوطن سياساتها الخارجية، ويضعف بالمقابل أي حضارة منافسة.

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 13.

2- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 109.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 14.

لذا "من السذاجة الحديث عن صدام حضارات، بينما هذا ليس ستارا لصراع مصالح، وإرادة هيمنة لا تضيع قيم ومعايير الحضارة نفسها...(يجب) قبول عالم متعدد الحضارات، والتخلي عن إرادة الهيمنة...الصدمة الحضارية إذن نتاج ادعاء عالمية حضارة وهيمنة مصالح، وبالتالي إرادة الهيمنة ورفض الحضارات الأخرى، وليس لأن العالم متعدد الحضارات، وإنما لأن العالم متعدد المصالح، قبول هذا يجعلنا نتفادى ما يبدو على أنه صدام حضارات"[1].

فكل ما يشكل الهوية الثقافية للحضارات في الحقيقة أمر جوهري، وهو يشبه ما هو ثابت في الشخصية وغير قابل للتغير، فهي صعبة للتسوية، لأنها تحدد بمن أنت؟ وهو سؤال يخص الهوية الثقافية، على خلاف الصراعات الإيديولوجية، التي تحدد إلى أي جانب أنت؟ "إن الإختلافات والخصائص الثقافية أقل قابلية للتغير، ومن ثم فإنها أقل سهولة في تسويتها وحلها عن الاختلافات السياسية والاقتصادية...وفي الصراعات الطبقية والإيديولوجية يكون السؤال الأساسي: في أي جانب أنت؟ ...ولكن في الصراع بين الحضارات يكون السؤال من أنت؟ وهذا معطى لا يمكن تغييره"[2].

ونتيجة لهذا الاختلاف والتمايز، فإن الإجابة عن السؤال من أنت؟ في الصراعات الإثنية والدينية، هو الذي يحدد الانتماء والعلاقات الثقافية بين شعب وآخر.

"وفي رؤيته لصراع الحضارات وآفاقه، يرى هنتنجتون أنه ومع تحديد الناس هويتهم بمقاييس إثنية ودينية، فإنه من المرجح أن يروا أن هناك علاقة بين "نحن" و"هم" تقوم بينهم وبين شعب من عرق مختلف أو دين مختلف"[3].

فالدين في نظر هنتنجتون من أكبر العوامل والخصائص التي تميز بين الناس، فيمكن لأي فرد أن يمتلك لغتين، ويعيش في دولتين مختلفتين في اللغة، إلا أنه من المستحيل أن يحمل عقيدتين أو يكون مسلماً ومسيحياً في نفس الوقت، "إن الدين يميز كليا وبحدة بين البشر، يمكن أن يكون المرء نصف فرنسي ونصف عربي...ولكن من المستحيل كلية أن يكون المرء نصف كاثوليكي ونصف مسلم"[4].

فالتعدد الإثني والثقافي والحضاري، على حسب اعتقاد هنتنجتون سبب للصدام بين الحضارات وإن الحضارات التي تشترك في نفس الثقافة، تكون العلاقات الاقتصادية بينها أسهل، وهذا ربما هو ما أدى إلى زوال الصراعات الإيديولوجية، وظهور الصراعات الثقافية الحضارية، "إن الثقافة المشتركة

1- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 110.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 15.

3- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص63.

4- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 16.

تسهل بوضوح التوسع السريع للعلاقات الاقتصادية...ومع انتهاء الحرب الباردة تغلبت الشراكة الثقافية بشكل متزايد على الاختلافات الإيديولوجية"[1].

ولقد أصبح المعيار في تحديد الانتماء هو نحن وهم، أي الأنا والآخر، فكل ما يمثلني وينتمي إليّ ثقافيا فهو يمثل نحن، وكل من اختلف عني وتمايز عني هوياتيا وثقافيا فهو يمثل هم، نحن لنا ديننا ولغتنا وتاريخنا وثقافتنا وهويتنا، وهم لهم نفس العناصر المختلفة عن التي نمتلك، وهنا ظهر مفهوم جديد للعدو، فالعدو هو الآخر المختلف عنا ثقافيا، ومن هذا بدأت الصراعات العرقية والإثنية تأخذ مكان النزاعات الإيديولوجية، "وكما يحدد الناس هويتهم وفقا لمعايير عرقية ودينية، فمن المرجح أن ينظروا إلى علاقة "نحن" مقابل "هم" تقوم بينهم وبين أصحاب ديانة أو عرق مختلف، وسمح انتهاء الدول الإيديولوجية في شرق أوروبا، والإتحاد السوفياتي السابق بأن تحتل العداوات والهويات العرقية صفوف المقدمة، وتخلق الاختلافات في الثقافات والدين خلافات حول قضايا السياسة تتراوح من حقوق الإنسان إلى الهجرة إلى التجارة والبيئة"[2].

وربما الصراعات كانت في الحقيقة وسيلة لمعرفة الذات ومعرفة الآخر، وإقامة علاقات مع هذا الآخر سواء بالتفاعل والتعايش والتأثير والتأثر، أو بالصراع والصدام والاختلاف، فالآخر ضروري لمعرفة الذات وإحياء خصائصها الجوهرية التي تساعد على وعيها والشعور بهويتها واستمرارها وبقائها.

فالغرب كان يسعى، ولا يزال يريد ترويج القيم التي اعتقد أنها تشكل حضارته المتفوقة، معتقدا أن حضارته متفردة في هذه الخصائص عن غيرها من الحضارات، ولهذا أراد أن ينشر قيمه عن الليبرالية والديمقراطية، وهذا في الحقيقة ليس لصالح الدول والحضارات بل للهيمنة والسيطرة ، وهو ما أدركته باقي الحضارات، وأدركت أن الغرب يسعى لعولمة قيمه للحفاظ على مصالحه الاقتصادية، وسيطرته العسكرية، وهو ما جاء على لسان هنتنجتون حينما يقول: "إن مساعي الغرب لترويج قيمه في الديمقراطية والليبرالية كقيم عالمية للحفاظ على هيمنته العسكرية وتعزيز مصالحه الاقتصادية قد خلقت ردودا مضادة من جانب الحضارات الأخرى، ومع تضاؤل القدرة على حشد التأييد وتشكيل التحالفات والاختلافات على أساس إيديولوجي، ستحاول الحكومات والجماعات بصورة متزايدة حشد التأييد باللعب على وتر الدين والهوية الحضارية المشتركة"[3].

وعلى اعتبار أن هذه الحضارات ليست في قوة الغرب اقتصادياً وعسكرياً، فإنها تعقد تحالفات مبنية على أساس ثقافي وديني، وهوياتي، وهذا ما يعطي الصدام بعدا ثقافيا، وهو ما يسميه **رجب بودبوس**

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 17.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 19_20.

[3]- المصدر نفسه، ص 20.

بالضد حضارة عندما يقول: "الضد حضارة يشعل ويغذي الصراعات بين الحضارات، إن لم يكن خالقها، لأنه في صراعها سيكون الضد حضارة هو المنتصر الوحيد"[1].

ويلخص هنتنجتون من خلال ما سبق، رأيه في مستويات الصراع، حيث يرى أن الصدام يقع على مستويين، مستوى صغير أو بين الجماعات في الحضارات التي تتمايز هوياتيا، وهذا حسب هنتنجتون غالبا ما يقود إلى عنف بين هذه الجماعات، ومستوى أعلى أو أكبر، وهو الذي يكون بين الحضارات التي تريد السيطرة والهيمنة اقتصادياً وعسكرياً، والسيطرة على المؤسسات الدولية، ومن ثم تروج قيمها وثقافتها وسياساتها لغرض السيطرة كذلك.

"وهكذا فإن صدام الحضارات يقع على مستويين، وعلى المستوى الميكرو يدور صراع جماعات التخوم على طول حدود الهوية الفاصلة بين الحضارات، هذا الذي غالبا ما يتخذ شكلا عنيفا حول السيطرة على الأراضي وكل منها على الآخر، وعلى المستوى المايكرو، فإن الدول صاحبة الحضارات المختلفة التي تتنافس للإستحواذ على قوة اقتصادية وعسكرية نسبية، تتصارع حول السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة، كما تتنافس في ترويج قيمها الدينية والسياسية"[2].

إن الصراع موجود بين الأمم التي تدافع عن هويتها الحضارية ووجودها الثقافي، والتي ترفض الهيمنة، وهو صراع في حقيقته صراع مصالح، وربما هناك من رأى بأن هذا الصراع طبيعي بين الأمم، حتى ولو قام على المصلحة، لكن المصلحة الأخلاقية لا المصلحة غير الأخلاقية، "إذا الصراع لا يقوم بين الحضارات...لكن الصراع موجود بين الأمم، ولما كانت الأمم لا تظهر إلا في إهاب الحضارة، فبدا للبعض أن الصراع بين الأمم هو صراع حضارات، إن الصراع بين الأمم صراع على المصالح ونزوع نحو الهيمنة والسيادة"[3].

وتبدأ معالم جديدة لعالم جديد وعلاقات جديدة بين الحضارات، مكان الحدود السياسية بين الحضارات وحتى الإيديولوجية، فلقد اختفى تقسيم العالم إلى العالم الشيوعي والرأسمالي، عالم الشمال والجنوب، الفقراء والأغنياء، وأصبح التقسيم على أسس ثقافية حضارية، حيث "تحل الهوة الفاصلة بين الحضارات محل الحدود السياسية والإيديولوجية خلال الحرب الباردة كنقاط اشتعال للأزمات وإراقة للدماء...مع اختفاء الانقسام الإيديولوجي لأوروبا عاد إلى الظهور الانقسام الثقافي"[4].

ولهذا في عالم اليوم، لم يعد يهم الناس الإيديولوجيا أو المصالح الاقتصادية، بل الثقافة والعلاقات الأسرية التي تحكمها المعطيات الثقافية، والانتماء إلى نفس الهوية، والدين الذي يعد أساس جميع

1- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 162.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 20.

3- حسن حنفي وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 91.

4- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 21.

الروابط والعلاقات بين الناس داخل أي حضارة، فالنموذج الحضاري عند هنتنجتون، هو الذي يمكن أن يفسر حركية التاريخ وتغيراته، وظهور عالم ونظام عالمي جديد، وتحديات أمام الحضارات، وكيف يمكن مواجهتها، "يقول هنتنجتون: إن ما يهم الناس في نهاية المطاف، ليس هو الإيديولوجيا أو المصالح الاقتصادية، بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة (يقصد الدين) فذلك هو ما يجمع الناس وما يحاربون من أجله ويموتون في سبيله، وهذا هو السبب في رأيه في أن صدام الحضارات يحل محل الحرب الباردة، باعتباره الظاهرة المركزية للسياسات العالمية، وفي أن النموذج الحضاري (أي نظرية الحضارات وصراعها) وهو ما يصطلح عليه هنتنجتون بالنموذج الحضاري، يوفر أفضل من أي بديل آخر سبيلا لفهم التغييرات الجارية في العالم ومواجهتها"[1].

وربما هي نفس النتيجة التي وصل إليها برنارد لويس، عندما أكد أن الصراعات في العالم المعاصر ستكون حضارية ثقافية، متجاوزة الصراعات الجيوسياسية، وستكون هذه الصراعات بين حضارات وقفت وتفق ضد التراث اليهودي المسيحي، ويقصد هنا بالتحديد الحضارة الإسلامية، معتبرا إياها العدو الجديد للغرب، "وخلص برنارد لويس إلى نتيجة مماثلة، إننا نواجه مزاجا وحركة تتجاوز كثيرا مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تنتجها، وليس هذا أقل من صراع بين الحضارات متمثلا في رد فعل غير رشيد، لكنه تاريخي بالتأكيد من جانب منافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي، وضد حاضرنا العلماني، فضلا عن الانتشار العالمي لكليهما"[2].

فالإحياء الثقافي هو سمة ستميز القرن الواحد والعشرين، خصوصا من الحضارات غير الغربية وكأن الحتمية التاريخية تدفع بالحضارات إلى الوصول إلى نتائج التحديث في التطور والرقي، وهذا ما يدفعها في الوقت نفسه أن تعود إلى ماضيها وثقافتها وهويتها، وهنا يحصل الصدام الحضاري المرتقب حيث "يقول هنتنجتون: السنوات الأولى للقرن 21 من المحتمل أن يطبعها انبعاث مستمر لقوى وثقافات غير غربية، وصدام الحضارات الغربية وغير الغربية، وليس صداما بين الشعوب فيما بينها"[3].

ووفقا لهذا الطرح، ووفقا لتغير حركية التاريخ، فإن هنتنجتون يرى أن قضايا الهوية، وقضايا الدين واللغة والثقافة بصورة عامة، سيحل محل الصراع الإيديولوجي الذي كان بين الشرق والغرب، وهنا نجده يطرح سؤالا أساسيا مفاده: هل يفسر منظار "صدام الحضارات" كل الأحداث العالمية المهمة

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق ص ص 72_ 73.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 26.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 180.

التي حدثت خلال الشهور القليلة الماضية؟ بالطبع لا...إن القضايا المثارة فيما بين الحضارات تحل بصورة متزايدة محل القضايا التي كانت مثارة في ما بين الدولتين العظيمتين"(1).

فالنماذج الحضارية اليوم متعددة ومتنوعة، كما تعددت وتنوعت في الماضي، وكل نموذج يريد أن يبسط سيطرته ويؤكد قوته الحضارية، وقد يؤدي النموذج الحضاري غير المرتبط أو المتآلف إلى فعل التفكك كما حدث ليوغسلافيا والاتحاد السوفياتي، الذي قام نموذجه الحضاري على تعدد وتنوع ثقافي تصادمي يحتوي على إثنيات وأعراق متصادمة، مما قاده إلى الانحلال والتفكك الحضاري، لأنها تقف على ما يسميه هنتنجتون خطوط التقسيم الحضاري، وما جعل الغرب ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية بعيدا عن مثل هذا التفكك هو أن حضارتها الغربية قامت على دعامتين أساسيتين: الثقافة الأوروبية، بما تحتويه من عناصر ذاتية، والديمقراطية السياسية الليبرالية، وعليه كان "من وظائف أي نموذج أن يلقي الضوء على ما هو مهم (مثل احتمال التصعيد في المصادمات بين المجموعات المنتمية إلى حضارات مختلفة)...إن النموذج الحضاري، قد تكون له آثاره بالنسبة إلى الولايات المتحدة وتميل بلدان مثل الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا، وهي تمتد عبر خطوط التقسيم الحضاري إلى التفكك وقد اعتمدت وحدة الولايات المتحدة تاريخيا على دعامتين توأم من الثقافة الأوروبية والديمقراطية السياسية، وكان هذان العنصران جوهريين بالنسبة إلى أمريكا"(2).

فالولايات المتحدة من الناحية الحضارية والثقافية، تعد في الأصل بلدا متنوعا إثنيا، ولهذا عرف مظاهر العنصرية أكثر من غيره، كما أن هذا التنوع الإثني يعود إلى كمية المهاجرين الأوروبيين الذين حملوا معهم الثقافة الأوروبية إلى أمريكا، وقد شهدت أمريكا بفعل الهجرة تعدداً ثقافياً مهدداً لها بصدامات داخلية، وإن قيام الولايات المتحدة الأمريكية واعتبارها ممثلا للغرب، يعود إلى مقوماتها الكثيرة، ومنها الليبرالية وجذورها الأوروبية، ولو زالت هذه المقومات، فإن الولايات المتحدة الأمريكية محكوم عليها بالزوال، "إن الولايات المتحدة تعد بلدا متنوعا من الناحية الإثنية، والعنصرية بصورة متزايدة...هل يتم استيعاب المهاجرين الجدد في الثقافة الأوروبية التي سيطرت على الولايات المتحدة؟ وإن لم يفعلوا ذلك وأصبحت الولايات المتحدة متعددة الثقافات حقا، وسادتها الصدامات الداخلية بين الحضارات، فهل تستمر باعتبارها ديمقراطية ليبرالية؟ إن الهوية السياسية للولايات المتحدة راسخة بجذورها في المبادئ التي عبّرت عنها وثائق تأسيسها، فهل يعني نزع الطابع الغربي عن الولايات المتحدة إن حدث نزع الطابع الأمريكي عنها أيضا؟ لو تحقق ذلك وكفّ الأمريكيون عن الالتزام

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 77.

2- المصدر نفسه، ص 78.

بإيديولوجيتهم السياسية الديمقراطية ذات الجذور الأوروبية، فإن الولايات المتحدة كما نعرفها، تكفّ عن الوجود وتتبع الدولة العظمى التي كانت محددة إيديولوجيا إلى كومة من رماد التاريخ"[1].

إن البراديغيم الذي أسسته أطروحة صدام الحضارات، هو براديغيم بديل لبراديغيم الحرب الباردة بين الشرق والغرب، حيث تجاوز هذا البراديغيم الطرح التقليدي في تقسيم العالم إلى بلدان ليبرالية وأخرى شيوعية، فالنموذج الحضاري عند هنتنجتون، يفسر كثيراً من الأحداث في عالم ما بعد الحرب الباردة، وعليه يتساءل هنتنجتون عن فكرة الصدام بين الحضارات وفق التساؤل الذي يحمل علامة استفهام تعجبي حيث يقول: "إن لم تكن الحضارات فماذا؟ إن الردود المنشورة في مجلة: "**فورين أفيرز**" **(Foreign affairs)** على مقالتي لم تقدم أي صورة بديلة مقنعة للعالم، وهي في أفضل الأحوال تقترح بديلا زائفا وبديلا غير واقعي، والبديل الزائف هو نموذج دولاني يخلق تعارضا مصطنعا وغير ذي أهمية إجمالا بين الدول والحضارات، إذ يقول فؤاد عجمي: "إن الحضارات لا تسيطر على الدول، وإن الدول تسيطر على الحضارات" لكن ليس معنى للحديث عن الدول والحضارات من زاوية السيطرة، بالطبع إن الدول تحاول موازنة القوى، ولكن لو كان هذا كل ما تفعله، لانضمت بلدان أوروبا الغربية إلى الاتحاد السوفياتي في مواجهة الولايات المتحدة...إن الدول تستجيب في المحل الأول للتهديدات المتصورة"[2].

ولهذا فإن الدول ستحارب من أجل الروابط والعلاقات والولاءات الثقافية والحضارية، التي تشكل هويتها، فالحضارات في داخلها تضم دولة أو دولاً، وكما ذكرنا في السابق، أن هناك دول مركز في حضاراتها هي ما يسمى بالدولة الأمة، أما الحضارات التي لا توجد بها دول مركز فهي مهددة من غيرها من الحضارات.

وعليه "إن الحضارات تضمّ دولة أو أكثر وإن الدول _الأمم_ ستظل أقوى العناصر الفاعلة في الشؤون العالمية، وتماما مثلما كانت الدول الأمم تنتمي بصفة عامة إلى واحد من العوالم الثلاثة في الحرب الباردة، فإنها تنتمي أيضا إلى الحضارات، ومع اختفاء العوالم الثلاثة، فإن الدول الأمم تحدد هويتها ومصالحها بمقاييس حضارية على نحو متزايد، وترى الشعوب والدول الأوروبية الغربية حاليا أن هناك خطرا ثقافيا عليها يجيء من الجنوب، ويحل محل التهديد الإيديولوجي الذي كان يجيء من الشرق"[3].

وهذا التفاعل بين الحضارات يقوم على أن الحضارة المركز تريد فرض قيمها على الغير، بداعي التحديث، ونقل أسباب التقدم والتحضر، لكن كلما زاد نقل الحضارات الأخرى من الحضارة الغربية زاد

1– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 79.

2– المصدر نفسه، ص ص79_80.

3– المصدر نفسه، ص 80.

التغريب، وهنا يكون رد الفعل من هذه الحضارات التي تريد حماية هويتها، والتمسك بثقافتها ضد ثقافة الآخر. فنحن اليوم نعيش في مجتمعات يعيش أفرادها تحت هيئة الدولة، ومجموع هذه الدول التي تشترك في الدين واللغة والتاريخ، وحتى الموقع الجغرافي، تشكل حضارات، "إننا لا نعيش في عالم من البلدان التي تتسم بعزلة الدول (وفق تعبير عجمي) ولا صلات بينها، بل إن عالمنا هو عالم التجمعات المتداخلة من الدول، التي يجمع بينها بدرجات متباينة التاريخ والثقافة والدين واللغة، والموقع والمؤسسات، وعلى المستوى الأعرض، فإن هذه التجمعات هي حضارات، وإنكار وجودها إنكار للحقائق الأساسية للوجود الإنساني"[1].

ومن بين التحديات التي تواجه الغرب وحضارته، النمو الديمغرافي لبعض الحضارات كالصين وحضارتها الكونفوشيوسية، والإسلام وحضارته كما يرى هنتنجتون، حيث "يعتقد هنتنجتون أن الصدام الحضاري في شكله الحاد والعنيف سيكون نتيجة للحيوية الديمغرافية في الجنوب، مقابل التراجع الديمغرافي للغرب"[2].

فأزمة الهوية التي تعرّض لها عالم ما بعد الحرب الباردة، هي التي ستشكل خارطة الطريق بالنسبة لكل الحضارات والثقافات، خصوصا عندما حدث صراع حضاري بين الأمم، وهنا بدأت تلك الأمم تتساءل من نحن؟ وفي كتابه من نحن؟ يطرح هنتنجتون هذه الأفكار التي سنجيب عنها في فصول لاحقة، فالأمم تعود إلى مقوماتها الثقافية، وكل ما هو عزيز عليها، كاللغة والتاريخ، وخصوصا الدين الذي أصبح المحرك للمشاعر والموقظ للهويات، والموحد للأمم، ولهذا فانتهاء الصراع الإيديولوجي لا يعني نهاية الصراعات بين الأمم، بل إن هنتنجتون يرى بأن الصدام الجديد أخطر وأكبر من ذلك الصراع الإيديولوجي.

فالدين بالنسبة إلى مختلف الحضارات هو المحور الذي يجمع ويفرق، ولهذا فالغرب يدرك هذه الحقيقة، ويجب أن يعي بأن انتصاره في الحرب الإيديولوجية الباردة مع الشيوعية، لا يعني أنه الانتصار النهائي والأبدي، لأن الدين سيوقظ الهويات الميتة والقاتلة بالنسبة إلى الغرب، "إن الدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، والاعتقاد بأن الغرب قد كسب العالم إلى الأبد بسبب انهيار السوفياتية محض غرور أجوف"[3].

فالهويات الثقافية، ستكون سببا للنزاعات في العالم الجديد، سواء داخل الحضارة الواحدة، أو بين الحضارات، والصراع بدأ من فكرة القيم الكونية، وهنا يقول المهدي المنجرة: "إن الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الاجتماعية والدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني والدولي واحدة من

---

[1]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 80.

[2]– محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 34.

[3]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 81.

أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون مصدرا من مصادر الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، وبين مجتمع وآخر، فنحن نواجه صراعا جدّياً في مجال القيم"[1].

وما زاد من افتراض الصدام العالمي بين الحضارات في زمن العولمة، هو وسائل العلم والتكنولوجيا، المتمثلة خاصة في وسائل الاتصال والمواصلات، التي بإمكانها أن تخلق ذلك الشعور بالانتماء لنفس الثقافة والحضارة، وفي نفس الوقت تعزز فكرة الرفض ومواجهته، أي رفض قيم الغرب أو الآخر.

"هناك الافتراض القائل بأن التفاعل المتزايد _الاتصالات والمواصلات على نطاق متنام_ ينتج ثقافة مشتركة، قد تكون الحال كذلك في بعض الظروف، لكن الحرب تنشب في غالب الأحوال بين المجتمعات التي توجد فيما بينها مستويات عالية من التفاعل، والتفاعل يدعم عادة الهويات القائمة وينتج مقاومة ورد فعل ومواجهة"[2].

فالاحتكاكات بين الثقافات بمصطلح هنتنجتون في تزايد كبير وبسرعة نتج عنها تفاعل، لكن التفاعل قد يكون إيجابيا، وقد يكون سلبيا أي تصارعيا، والصدام قد يكون داخليا بين جماعات إثنية أو خارجيا من طرف هذه الجماعات التي ترفض القيم الحضارية للغرب، سواء أكانت ممثلة في الثقافة أو النظم الاقتصادية والسياسية التي أنتجها.

ولهذا نجد هنتنجتون يبرر كل ما يحدث في عالم اليوم بالصدام بين النماذج الحضارية التي تشكله، كما يبرر ذلك التناقض الموجود في هذا العالم، وستؤدي العوامل الثقافية والدينية دورا كبيرا في حسم الصراعات المستقبلية، أكثر مما تحسمها العوامل الاقتصادية والسياسية، ولهذا يوصي بعض علماء أوروبا وساستها الغرب بأن يقوي من أسس ومنطلقاته الثقافية في مواجهة أي تحد في المستقبل. "أينما ولّى الإنسان وجهه، يجد أن العالم متناقض مع نفسه، فإن لم تكن الخلافات في الثقافة مسؤولة عن هذه المنازعات فما هو العامل المسؤول؟ إن منتقدي نموذج الحضارة لم يتوصلوا إلى تفسير أفضل لما يجري في العالم، وعلى النقيض من ذلك فإن النموذج الحضاري يجد استجابة ويضرب على وتر حساس في العالم كله...أيّد رئيس المفوضية الأوروبية **جاك ديلور**(**Jacques Delors**)* صراحة مقولته عن أن منازعات المستقبل ستشغلها عوامل ثقافية، وليس اقتصادية أو إيديولوجية، وحذر من أن

1- المهدي المنجرة، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 09.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 81.

*جاك ديلور (1925_) سياسي فرنسي.

الغرب في حاجة إلى تطوير فهم أعمق للافتراضات الدينية والفلسفية الكامنة وراء الحضارات الأخرى"[1].

وهنا يقدم هنتنجتون نقدا لأطروحة نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما، عندما يؤكد أن التاريخ لم ينته ولن ينتهي، ما دام الصراع حقيقة تاريخية وحتمية، وأن انتصار الليبرالية على الشيوعية لا يعني بأي معنى أننا نشهد نهاية للتاريخ، لأن الحضارات متعددة ومتنوعة، فليس لدينا حضارة واحدة وعالم واحد، وهذا الاختلاف سيقود مجددا إلى انقسامات وصدامات جديدة، وإن الحضارات التي لا تقوى على هذا الصدام فعليها أن تتعلم لغة التعايش، وإلا فإنها ستزول.

"إن التاريخ لم ينته والعالم ليس واحداً، والحضارات توحد الجنس البشري وتقسمه، ويمكن احتواء القوى التي تثير الصدامات بين الحضارات من خلال الاعتراف بها فحسب، ففي عالم الحضارات المختلفة "سيتعين على كل حضارة" أن تتعلم التعايش مع الحضارات الأخرى"[2].

وبالعودة إلى الحرب الباردة التي كانت بين الغرب والشرق، ندرك أن كل طرف كان ينظر إلى الآخر على أنه العدو، ويدفعه هذا التصور إلى التسلح بمختلف الأسلحة مخافة المواجهة والحرب، إلا أن العداء الذي كان إيديولوجياً انتهى بمجرد انتهاء أو زوال طرف من أطراف الصراع وانهيار أفكاره وعقائده، وإننا نشهد اليوم عودة الصدامات لكنها أخطر، لأنها تقوم على ما هو ثقافي وحضاري وسيظهر تاريخ جديد يكون فيه الصدام بين الحضارات، هو المحور في العلاقات العالمية بين الحضارات.

"يقول هنتنجتون في حوار: أثناء الحرب الباردة كان السوفيات والأمريكان يصنفان نفسيهما كأعداء إيديولوجيين، ولكننا الآن نشهد نهاية هذا الصراع العقائدي، وأعتقد أننا أيضا وصلنا إلى نهاية مرحلة في العلاقات الدولية، كان الغرب هو المسيطر الوحيد فيها على المسرح العالمي، فصراع الحضارات سيزداد حدة، وسيصبح هو القضية المركزية عالميا"[3].

ويعود هنتنجتون إلى علم النفس ليحدد مفهوم الهوية عند الفرد وعند الجماعة، فالهوية تعني الإنية، أي كل ما يشير إلى الذات في استقلاليتها السيكولوجية والفيزيولوجية والعقلية والنفسية، وحتى الاجتماعية عن الآخرين، وتمايزها عنهم، ويحدد كينونتها ووجودها، وهو المعنى الذي نجده في المفهوم السوسيولوجي الثقافي للجماعات، فعلماء النفس يؤكدون أن شعور الفرد أو الجماعة بذاتيتها المستقلة عن الغير نابع من التمايز عن هذا الغير والتناقض معه، وما تشتته السياسة قد تجمعه الثقافة، بدليل أن الشعور بالهوية لدى الأفراد يزداد عند اشتراك العدو، وهنا يقول هنتنجتون في المقال

---

[1]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 84.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 84 _ 85.

[3]–محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص ص 109_ 110.

الذي نشره في مجلة (فورين أفيرز) سنة 1997 "يتفق علماء النفس عموما على أن الأفراد والجماعات يحددون هويتهم بتمايزهم ووضع أنفسهم في مواجهة وتضاد مع الآخرين... وفي الوقت الذي تكون فيه الحروب عامل انقسام في مجتمع ما، فإن وجود عدو مشترك من شأنه أن يساعد على ترسيخ الهوية والانسجام بين الشعب"(1)

فالروابط الثقافية بين الشعوب تستيقظ عندما تكون مهددة في كينونتها الثقافية، والناس قد يختلفون اقتصاديا أو سياسيا، لكنهم في حالة الخطر الثقافي يتوحدون هوياتيا، وإن التمايز بين الهويات وخصوصية كل منها قد يكون دافعا للتصادم والصراع، رغم أن بعض الثقافات قد تستفيد من ثقافة الغير وتمثلها وتطوعها، إلا أن تمسكها بهويتها قد يقودها إلى التصادم مع غيرها المختلف عنها. "إن مقال الصدام بين الحضارات، هو محاولة لتحديد عناصر نموذج ما بعد الحرب الباردة مثلما هي الحال في أي نموذج، فإن نموذج الحضارات لا يفسر كل شيء...وتبين المجادلات التي أثارها نموذج الحضارات عبر العالم أنه بمقياس ما أصاب كبد الحقيقة"(2).

فالنموذج الحضاري لما بعد الحرب الباردة، هو نموذج يفسر التحول العالمي من مرحلة تاريخية إلى أخرى، رغم أن المرحلة التي ظهر فيها الصدام هي كذلك مثل باقي المراحل، يفسر مرحلة دون أخرى، فالواقع الصدامي بين الحضارات حقيقة لا يمكن رفضها، وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأت عملية التعبئة داخل الحضارات، استعدادا ودفاعا في وضعية الفعل ورد الفعل.

"واستنادا إلى ما يؤمن به من أن المستقبل هو مستقبل صدامي بين الحضارات، يرى أن التعبئة على أساس حضاري سوف تتعاظم وتنمو، ويتوسع انتشارها إلى مدى أبعد، بالرغم من أنها ما زالت محدودة حتى الآن"(3).

فالنموذج الحضاري الذي يؤكد من خلاله هنتنجتون التمايز بين الحضارات، وسعي كل منها إلى التعبئة في مجابهة أي صدام محتمل في الحقيقة يفسر ما تشهده الساحة الدولية من تطورات تُنبئ بنوع من التعبئة الثقافية الحضارية، مما يجعل الجو مشحوناً حضارياً، "إن نموذج الحضارة هذا، أي نظريته في التأكيد على تمايز الحضارات وتعددها، يفسر كثيرا من التطورات المهمة في الشؤون الدولية في السنوات الأخيرة"(4).

[1] *-Samuel Huntington, The erosion of American, national interests, Foreign affairs, V 76 September/ October 1997, p 30-31.*

[2] – صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995، ص 78.

[3] – غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 64.

[4] – المرجع نفسه، ص 71.

هذا النموذج الحضاري، أو براديغيم الحضارة، هو نموذج قام من أجل تأكيد الثقافات الوطنية في مقابل الحداثة والتحديث، وهو نموذج يجمع الثقافات التي تشترك في نفس المقومات والخصائص، وإن هذه الحضارات والثقافات بدأت تستشعر الخطر على هويتها، وتؤمن بوجود هويات قاتلة، بعد أن زادت وسائل الاتصال انتشارا، وطرحت مشكلة الهجرة بحدة في الغرب، سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا.

وتؤكد **كيرك بارتريك** على أهمية النموذج الحضاري لهنتنجتون قائلة: "لا شك في أن الحضارات مهمة، وإذ تقوض الحداثة قوة الثقافات المحلية والوطنية، فإنها تعزز أهمية تطابق الوحدات الأكثر مثل الحضارات، كما أنه ليس من شك في أن هنتنجتون كان على حق عندما أكد أن الاتصالات العالمية والهجرة المتصاعدة تفاقم الصدام"[1].

إن الانتماء للبراديغيم أو النموذج الحضاري، قد عوض الانتماء الإيديولوجي في عالم اليوم فالحضارات هي التي تفسر اليوم مختلف الاختلافات والنزاعات، سواء بين الجماعات الإثنية أو بين الدول/الأمم، وعليه يحدد هنتنجتون دور البلدان في مثل هذا الوضع متسائلا: "ما هي تجمعات البلدان التي ستكون أكثر أهمية في الشؤون العالمية الأكثر ضرورة لفهم السياسات العالمية وإدراك مغزاها؟ إن البلدان لم تعد تنتمي إلى العالم الحر والكتلة الشيوعية، أو العالم الثالث...إن الحضارات هي الخلف الطبيعي لعوالم الحرب الباردة الثلاثة، وعلى المستوى الكلي من المرجح أن تتضمن السياسات العالمية منازعات وتحولا في موازين قوة الدول المنتمية إلى مختلف الحضارات، وعلى المستوى الجزئي، من المرجح أن تثور أكثر المنازعات عنفا وطولا وخطورة (بسبب حتمال التصعيد) فيما بين الدول والمجموعات المنتمية إلى حضارات مختلفة"[2].

ولقد سيطرت فكرة الصدام بين الحضارات على تفكير هنتنجتون، ودفعته إلى أن يخضع جميع أفكاره عن الصراعات والسياسات والثقافات لهذه الأطروحة، وأن أي حضارة لا تملك مقومات قوية ثقافيا، فإن مصيرها الزوال لهذا فقد كان "لب تفكير هنتنجتون قائم على أن الصراع اليوم أصبح بين الحضارات المختلفة، ويعتبر أن الاختلاف بين الحضارات والثقافات ليس عنصر ثراء، وإنما هو سبب المواجهة وأن الحضارة التي لا تدافع عن نقاوتها مصيرها الذوبان"[3].

ففي العالم الجديد، عالم الحضارات والثقافات، أصبحت الشعوب تحدد هويتها بالعناصر الثقافية التي تنتمي إليها، وهذه العناصر هي التي حددت السياسة العامة لعالم اليوم، "إن نموذج الحضارة هذا

1- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 238.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص 78.

3- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 37.

يفسر كثيرا من التطورات المهمة في الشؤون الدولية في السنوات الأخيرة...هل يفسر منظار "صدام الحضارات" كل الأحداث العالمية المهمة التي حدثت خلال الشهور القليلة الماضية؟ بالطبع لا"[1].

رغم أن هنتنجتون يؤمن بأن صدام الحضارات هو النموذج الذي يفسر كثيراً من التطورات التي يعرفها العالم اليوم، إلا أنه لا يفسر كل الأحداث في زمن العولمة، وتبقى الثقافة بالنسبة إليه عاملاً محدداً ومشكلاً للهوية.

وعن النموذج الحضاري الذي يتكلم عنه هنتنجتون، والذي يحكم السياسة الثقافية اليوم، فإنه قد بناه على أساس تقسيمه العالم إلى ثماني حضارات متمايزة فيما بينها، حيث "يعتبر أن كل حضارة قائمة على دين محدد وعلى قيمه، ويعتبر أن الصدام بين هذه الحضارات حتمي لأسباب منها:

_ التزايد الديمغرافي يقلل من فضاء العيش على وجه الأرض.

_ العولمة تعزز التداخل بين مختلف البلدان.

_ التحديث يجبر الناس على الابتعاد عن هويتهم التقليدية، فيخلق ردة فعل معاكسة تؤدي إلى العودة إلى الدين، إذ أن الغرب وهو في قمة المعاصرة لم ينجح في تغريب بقية العالم، لأن الفوارق الثقافية تحول دون ذلك، مما يدفع غير الغربيين إلى العودة إلى جذورهم الأصلية"[2].

وأكبر الاختلافات بين هذه الحضارات الثماني حسب هنتنجتون، والتي تجعلها متصادمة هي الاختلافات الثقافية، وفي أساسها الدين وما يتبعه من قيم، كما يؤكد هنتنجتون وفق هذا المنظور حتمية الصدام، كذلك التزايد السكاني في بعض الحضارات يجعل من الحضارات الأخرى، خاصة الغرب تخشى هذا النمو الديمغرافي، رغم أن العولمة اليوم تسعى إلى أن تجعل العالم والحضارة واحدة وتقضي على التنوع والتعدد، إلا أن الشعوب تقوم برد فعل معاكس وتسعى لتأكيد قيمها وثقافتها وهويتها، ولقد فشل الغرب بشهادة هنتنجتون في تغريب الأمم، إن باسم التحديث، وإن باسم العولمة بل على العكس دفعهم ذلك إلى التمسك أكثر بدينهم ولغتهم وتاريخهم.

ويبين هنتنجتون في مقارنته الصدام الحضاري اليوم بالإختلاف أو الصراع الإيديولوجي الذي كان بين الغرب والشرق، أن هناك نوعاً من المماثلة من حيث إن الصراع الإيديولوجي والصدام دفع إلى نفس ما دفع إليه الصدام الحضاري، من حيث التسابق نحو التسلح، ومحاولة الهيمنة العسكرية وزيادة عدد الصراعات العنيفة الطائفية، وزيادة الهجرة، وهي في الحقيقة قضايا تؤثر في الغرب أكثر من غيره من الحضارات، لأنها تعد مصدر تهديد له، ولمصالحه الحيوية في العالم، "إن القضايا المثارة فيما بين الحضارات، تمثل بصورة متزايدة محل القضايا التي كانت مثارة في ما بين الدولتين العظيمتين، بإعتبارها موضوعات لها الأولوية في جدول الأعمال العالمي، وتتضمن هذه القضايا

1– صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟_مصدر سابق، ص ص 79_80.

2– محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص ص 39_40.

إنتشار الأسلحة وحقوق الإنسان والهجرة، وفيما يتعلق بهذه القضايا الثلاث يقف الغرب في جانب وتقف معظم الحضارات الكبيرة الأخرى في جانب آخر...ويتفق المدى الذي تراعي به البلدان حقوق الإنسان بصورة غالبة مع التقسيمات فيما بين الحضارات...إن تزايد الهجرة من مصادر غير غربية يثير قلقا متزايدا في كل من أوروبا وأمريكا"[1].

وما لاحظه من اختلاف بين الصراع الإيديولوجي والصدام الحضاري بين الأمم، هو أنه في الصراع الإيديولوجي لم تكن أية دولة، سواء الولايات المتحدة أو الإتحاد السوفياتي يمثل دولة/أمة أي لم يكن الصراع حضارياً بل إيديولوجياً، وتم تحديد هويتهما على هذا الأساس.

والنتيجة التي وصل إليها هنتنجتون، والتي أكدها في كثير من مقالاته وكتبه ولقاءاته وحواراته هي: أنه "تدخل السياسة العالمية مرحلة جديدة لم يتردد المتفقون إزاءها في تقديم رؤى لما ستكون عليه نهاية التاريخ، وعودة النزاعات التقليدية بين الدول/الأمم، وانهيار الدول/الأمم من جراء الدوافع المتعارضة للنزعة القبلية والنزعة العالمية"[2].

فهناك خارطة سياسية لما ستكون عليه السياسة العالمية بعد نهاية الحرب الباردة، أو نهاية التاريخ كما يسميه فوكوياما، ستشكلها الاختلافات الثقافية، وإن العوامل التكنولوجية والصناعية ستحدد نتيجة الصراع بشكل كبير، وإن الكفة مرشحة لأن تكون مرجحة للدول التي تمتلك وسائل الدفاع العلمية والصناعية، وإن تخلف الحضارات المختلفة في هذا الجانب، يجعلها لا تستطيع أن تقاوم حضارة الغرب وتفوقه، "لقد افترض هنتنجتون أن صداما للحضارات لا بد حاصل، مفترضا أن التكنولوجيا الأمريكية والصناعية بشكل عام حضارة بكل المقاييس، ويريد من وراء ذلك أن يقول إن الصدام لابد حاصل بين الدول المختلفة والدول الصناعية، ومفترضا أيضا أن التخلف سمة الشرق وحضارة الشرق، ومفترضا أن التقدم الغربي سمة الغرب وحضارة الغرب"[3].

والملاحظ أن هنتنجتون رغم هذه الأحكام على الحضارات غير الغربية، وعلى الحضارة الغربية وإيمانه بأطروحة صدام الحضارات كأطروحة أساسية في رسم معالم المرحلة القادمة، إلا أنه كأستاذ للعلوم السياسية يؤمن بأن هذه الأطروحة مجرد فرض، وليس نظرية علمية صادقة، وهذا الفرض منطلقه أن ما ستعرفه البشرية من اختلافات لن يكون اقتصادياً أو إيديولوجياً، كما حدث في الماضي بل إن الاختلافات بينهم ستحمل طابعا ثقافيا حضاريا، وأن من سيقود الصدامات في المستقبل هو الدول/الأمم كما يسميها، بل إنه شبههم باللاعبين الذين يلعبون لعبة الأمم، التي تقوم على خطوط القتال الفاصلة، وكأن صدام الحضارات لعبة بين الأمم، وليس مصيرا حضاريا، وهنا نجده يقول

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص 81.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 17.

3- حسن الباش، صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية، دمشق، بيروت، دار قتيبة، ط2، 2005، ص07.

"والفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد، لن يكون مصدرا إيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وستظل الدول/الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية ولكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة ويسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل"[1].

فالسياسات الداخلية للدول ستبنى حسب هنتنجتون على إثنية عرقية دينية، أما السياسات الخارجية الدولية أو لعبة الأمم، فستكون على أسس حضارية، وسيعوض الصدام بين الحضارات المنافسة التقليدية بين الدول الكبرى، فهذا الصراع هو بالنسبة إلى هنتنجتون المرحلة الأخيرة من مراحل تطور النزاعات في العالم. فهي المحرك للتاريخ الجديد، وعليه "حدد خطاب صدام الحضارات المصدر الأساسي للصراع في المستقبل، بأنه لن يكون الإيديولوجيا أو الاقتصاد، بل سيكون مصدره الهوية الحضارية أو الثقافية، والنتيجة التي يقودنا إليها المؤلف هي حتمية الصراع الحضاري، والذي سيكون نتيجة أساسية للتطور التاريخي"[2].

ويحدد هنتنجتون طبيعة هذه النزاعات، بأنها كانت داخل الحضارة الغربية، وبعد الحرب الباردة وحدوث نوع من الالتقاء التفاعلي بين الحضارات الغربية وغير الغربية، انتهت الهيمنة التاريخية للصراعات الإيديولوجية، وبدأت صدامات من نوع جديد، إنها صدامات حددت الانتماءات الحضارية لمختلف الشعوب، خاصة بعد أن انتهى عهد الاستعمار التقليدي لمختلف تلك الشعوب، وأصبحت هذه الحضارات مشاركة في حركية التاريخ الجديد، ومنه "كانت هذه النزاعات بين الأمراء والدول/الأمم والإيديولوجيات في المحل الأول نزاعات داخل الحضارات الغربية...ومع نهاية الحرب الباردة تحركت السياسة الدولية في مرحلتها الغربية، وأصبح المركز الرئيسي لها هو التفاعل بين الحضارات الغربية والحضارات غير الغربية، وفي سياسات الحضارات لم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية موضوعات للتاريخ، باعتبارها أهدافا للاستعمار الغربي، بل انضمت إلى الغرب باعتبارها من محركي التاريخ ومشكليه"[3].

أما فيما يخص العلاقات بين الدول أو الجماعات في مختلف الحضارات، فإنها ستمتاز بعدم الثقة، بل قد تحمل طابع العداء، وبعض منها سيأخذ طابع الصراع والصدام والعنف، وملخصها

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 17.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر_ منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون_ بيروت، دار أكاكوس، طرابلس، دار الرواد، (د ط)، 2001، ص 38.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 18.

عموما، إن "أكثر خطوط الصراع عنفا عندما تكون بين الإسلام وجيرانه الأرثوذوكس والهندوس والأفارقة والمسيحيين الغربيين، على المستوى الكلي يكون التقسيم بين (الغرب والشرق) مرتبطا بصراعات شرعية بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الأسيوية من جهة، والمجتمعات الغربية من الجهة الأخرى الصدامات الخطيرة في المستقبل من المحتمل أن تنبع من التفاعل مع العجرفة الغربية وعدم التسامح الإسلامي والإصرار الصيني"[1].

ومما يؤكد هذا الصراع بين هذه الحضارات، هو الاختلافات الثقافية، وأشدها هو بين هذه الحضارات الثماني التي ذكرها هنتنجتون وأحصاها في عالم اليوم، وربما هذه الحضارات تتمايز فيما بينها دينيا بالدرجة الأولى، مما يعطي الصراع بعداً إثنياً، وسيكون الصراع على امتداد خطوط التقسيم الثقافي، وهو ما يؤكده بقوله: "تكتسب الهوية الثقافية أهمية متزايدة بالتفاعل في المستقبل، وسيكون الشكل العام مرتبطا إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثماني حضارات كبيرة، تشمل الحضارات الغربية الكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية والأرثوذوكسية والأمريكية اللاتينية، وربما الإفريقية، وستحدث أهم النزاعات في المستقبل على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل هذه الحضارات الواحدة عن الأخرى"[2].

فيما يخص هذه الصراعات التي تسمى بخط الصدع في حقيقتها هي صراعات طائفية، تأخذ في كثير من الأحيان طابعا عنيفا، وهي ممتدة في التاريخ، أما الصدامات الحضارية التي تمتد على خطوط التقسيم الثقافية فإن أسبابها جوهرية، وتعود بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في الدين وتصوراته واللغة والتاريخ، وحتى المفاهيم عند أفراد حضارة ما تختلف عند أفراد من حضارة أخرى، وهذا من شأنه أن يخلق التمايز بينهم، سواء أكانت مفاهيم دينية أم سياسية أم اجتماعية، وهي نتيجة تراكمات تاريخية طويلة من الصعوبة أن تزول، ومن طبيعتها أنها ليست حتى مثل الاختلافات الإيديولوجية وهذه الاختلافات في طبيعتها وحقيقتها لا تعني الصدام الحتمي ولا العنف، رغم أنها قادت في كثير من الأحيان إلى ذلك، "إن الفروق بين الحضارات ليست فروقا حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى، بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والأهم الدين، وللناس في الحضارات المختلفة آراء مختلفة عن العلاقات بين الله والإنسان، والفرد والمجموعة، والمواطن والدولة والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وآراء مختلفة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات، والحرية والسلطة، والمساواة والتسلسل الهرمي، وهذه الفروق نتاج قرون، ولن تختفي سريعا، إنها فروق أساسية بدرجة أكبر من الاختلافات بين الإيديولوجيات السياسية...والاختلافات لا تعني النزاع بالضرورة

---

[1]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر_ منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون_ مرجع سابق، ص 117.

[2]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 19.

والنزاع لا يعني العنف بالضرورة، بيد أنه على مر القرون ولّدت الاختلافات بين الحضارات أطول النزاعات وأكثرها عنفا"[1].

والصراع ينشأ حسب بعض الباحثين المهتمين بنقد الفكر الغربي من بعض المعطيات، فنجد على سبيل الذكر **مالك عبيد أبو شهيوة** يقول عنه: "الصراع بالمقابل ينبع من القرابة والتجاور الجغرافي والاختلاف الديني والثقافي...حروب خط الصدع متقطعة، صراعات خط الصدع طويلة وغير منتهية"[2].

إضافة إلى هذه المعطيات، يضيف هنتنجتون معطى التفاعل الحاصل بين الحضارات وشعوبها، وأن وسائل الاتصال ونقل العلم والمعرفة أصبحت أسهل، مما جعل العالم قرية صغيرة بلغة أنصار العولمة، وأن هذا التفاعل جعل الحضارات تعي ذاتها وتمايزها وإدراك خصائصها المميزة وفي نفس الوقت إدراكها للمشترك الحضاري بداخلها، "إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تعزز الوعي بالحضارة لدى الناس، الأمر الذي عزز بدوره الاختلافات والعداوات التي تضرب، أو يعتقد أنها تضرب بجذورها في أعماق التاريخ"[3].

ولكن بعد أن تطورت الحضارات وبدأ التفاعل بينها، حدث أن حاولت الحضارات أن تأخذ بمعطيات الغرب في التحديث، ونتج عن ذلك تغير في بعض القيم والمعطيات الاجتماعية، وحدث ضعف في الهوية ومفهوم الأمة، وظهرت نتيجة لذلك عملية مضادة ارتكزت على إحياء الدين كعنصر جوهري لإحياء الثقافة والحضارة ووحدتها، وعن عملية التحديث وما رافقها يقول هنتنجتون: "إن عملية التحديث الاقتصادي، والتغيير الاجتماعي في كل أنحاء العالم تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة والراسخة، كما تضعف الدولة/الأمة كمصدر للهوية، وفي كثير من أنحاء العالم ترك الدين ليملأ هذه الفجوة...إن إحياء الدين أو "ثأر الإله" مثل ما وصفه جيل كيبل يوفر أساسا للهوية والالتزام يتجاوز الحدود الوطنية ويوحد الحضارات"[4].

فرغم أن الحضارات واجهت عملية غزو ومحاولة هيمنة من الحضارة الغربية، إلا أنها بقيت ثابتة لأن المميزات الجوهرية لأي ثقافة لا يمكن أن تتغير، فيمكن أن نغير نظاماً اقتصادياً أو سياسياً ولكن لا يمكن أن نغير منظومة ثقافية بأكملها، ولهذا ميز هنتنجتون بين سؤالين من خلال التمييز بين نوعين من الصراع، في الصراع الإيديولوجي يكون السؤال إلى أي جانب تقف؟ فهو سؤال يحدد

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 20.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر_منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون_ مرجع سابق، ص 243.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 20.

4- المصدر نفسه، ص ص 20_ 21.

الانتماء الإيديولوجي، أما السؤال من أنت؟ فإنه سؤال يحدد الانتماء الثقافي الحضاري، وهذا السؤال يعني ما دينك ما لغتك ما انتماؤك؟ وهي جوهر الذات التي تتميز عن الآخر.

"إن الخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للتبديل، ثم أقل قابلية للحلول الوسط، والتسويات من نظيرتها السياسية والاقتصادية...في النزاعات الطبقية والإيديولوجية كان السؤال الأساسي هو: "إلى أي جانب تقف...إنما في النزاعات بين الحضارات، فإن السؤال هو: "من أنت" وتلك مسلمة لا يمكن تغييرها...والدين يفصل بين الناس بصورة أكبر حدة وحصرا حتى من العرق الإثني، فالمرء قد يكون نصف فرنسي أو نصف عربي، بل حتى مواطنا في بلدين في نفس الوقت، لكن من الصعب أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم"[1].

وهذه هي الأفكار حول الصراع الإيديولوجي، والصدام الحضاري، ومقومات كل منهما، وأن المرحلة المقبلة ستعرف صداما حضاريا، في حين ستختفي الصراعات الإيديولوجية، في الحقيقة هي أفكار ليست جديدة، فقد تكلم عنها المفكر المغربي المهدي المنجرة الذي افترض "أن المصدر الرئيسي للنزاع في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا، أو اقتصاديا بالدرجة الأولى، فالانقسامات الكبرى التي ستعرفها الإنسانية، والمصدر الرئيسي للنزاع ستكون ثقافية، إن صدام الحضارات سيهيمن على السياسة الشاملة وستكون الخطوط الفاصلة بين الحضارات خطوطا للمواجهات في المستقبل"[2].

ورغم أن الصراعات الاقتصادية السياسية الإيديولوجية قد انتهت، إلا أن هنتنجتون رفقة المهدي المنجرة يؤكدون على الدور الأساسي للقضايا الاقتصادية والسياسية في رسم معالم المرحلة المقبلة وتحديد شكل الصراعات والصدامات بين الحضارات، فأوروبا الاقتصادية هي أوروبا الثقافية والمسيحية، بمعنى أن القضايا الاقتصادية والسياسية لا يمكن أن نفصلها عن الصراعات الحضارية.

"إن النزعة الإقليمية الاقتصادية آخذة في الزيادة...فالنزعة الإقليمية الاقتصادية الناجحة ستدعم من ناحية الوعي بالحضارة، إلا أن النزعة الإقليمية الاقتصادية من الناحية الأخرى قد تنتج فقط عندما تضرب بجذورها في حضارة مشتركة، فالجماعة الأوروبية تقوم على الأساس المشترك للثقافة الأوربية والمسيحية الغربية"[3].

فالثقافة المشتركة تجعل العلاقات الاقتصادية أسرع وأسهل، ولهذا شهد العالم نوعاً من التكتلات الاقتصادية كانت في معظمها بين الدول التي لها ثقافة مشتركة، وسعت هذه الدول إلى أن تتغلب

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 21.

2- المهدي المنجرة، حوار التواصل، قراءة عبد الكريم غريب، مجلة عالم التربية، العولمة وحوار الحضارات والثقافات عدد 2007/17، ص 46.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 22.

على صراعاتها الداخلية والإيديولوجية، ولهذا يعتقد هنتنجتون أن الوحدة الثقافية شرط مهم للتكامل الاقتصادي، فالثقافة والدين قد يكونا أساس منظمة اقتصادية إسلامية حسب هنتنجتون.

فأكبر شكل وصلت إليه البشرية من أشكال الصراع اليوم هو الصراع الحضاري، إنه صراع القيم التي أنتجتها كل حضارة، وبما أن الغرب يعتقد أن القيم التي أنتجتها حضارته قيم عالمية، يجب أن تسود باقي الحضارات، وبما أن الحضارات الأخرى ترى في فرض تلك القيم محاولة للهيمنة والقضاء على الثقافات والتنوع والتعدد، فإن الصدام سيحدث بين الحضارات، ولقد اعتبر الكثير أن حرب الخليج سنة 1991 هي الإعلان الرسمي للانتهاء الحرب الباردة، وانطلاق الحرب الجديدة، ألا وهي الحرب الحضارية بين الغرب والإسلام والكونفوشيوسية على الخصوص، لأنهما الحضارتان اللتان تهددان الغرب وتشكلان تحديا حسب تصوره.

و"إن الصراع الكبير حاليا هو صراع حضاري...وليس هناك صراع آخر في الحياة، فالغرب يتكلم عن قيم يهودية مسيحية من جهة، وعن القيم الآتية من مناطق غير أوروبية من جهة أخرى وهي قيم الإسلام والكونفوشيوسية، وكل ما هو غير مرتبط بالحضارة اليهودية المسيحية، إن حرب الخليج 1991 كانت إيذانا بأن الحرب الحضارية قد انطلقت"[(1)].

ولقد اعتقد الكثير بأن الحرب الحضارية التي نتجت عن بداية الصدام الحضاري، كانت وستكون بين الغرب والإسلام، والحرب الحضارية بين الغرب والكونفوشيوسية، هي حرب اقتصادية تقوم على أساس المصالح، فهي في ظاهرها حرب حضارية، ولكن في باطنها هي حرب اقتصادية أما الحرب الحضارية ضد الإسلام فيغذيها الماضي الحضاري لكل من الحضارتين، واعتبار الغرب الإسلام هو العدو الجديد بعد زوال العدو القديم ألا وهو الشيوعية، فمقولة الصدام بين الحضارات في عمومها تخص الصدام الحضاري بين الغرب والإسلام، وهو ما عبّرت عنه أطروحة هنتنجتون منذ أن صاغها في سنة 1996 إلى أن تأكدت أكثر بعد هجمات 11سبتمبر 2001.

"إن اختفاء ظاهرة الصدام بين الشرق والغرب، بسقوط الإتحاد السوفياتي، هو تحول نحو بروز صراع آخر بين الغرب والإسلام، معلنا أن هذه المرحلة من صدام الحضارات هي مرحلة المستقبل القريب ذلك ما أعلنه الأمريكي صموئيل هنتنجتون...الذي صاغ هذه المقولة"[(2)].

فبعد زوال الدول المحددة إديولوجيا، زال الصراع الإيديولوجي، ليفسح المجال لصراع جديد مبني على الاختلافات الدينية والعرقية والإثنية والثقافية، وهو في نظر هنتنجتون صراع خطير لما سيقود إليه كذلك فهو صراع لا ينتهي ولا يتوقف بل إنه حتمي، لأنه يقوم على فكرة الهوية، فالفرد أو المجتمع أو

---

[1]- المهدي المنجرة، حوار التواصل، العولمة وحوار الحضارات والثقافات، مرجع سابق، ص 46.

[2]- محمد الكتاني، من تساؤلات عصرنا عن الهوية والعولمة وحوار الثقافات ومستقبل العلوم الإنسانية، الدار البيضاء مطبعة النجاح، ط1، 2001، ص 119.

الحضارة لا يمكن أن تتخلى عن هويتها، والتي تتحدد أكثر في مقابل الآخر، فنحن لسنا هم، وهذه المحددات الثقافية هي التي تحدد نظرة الناس إلى أهم القضايا العالمية، كحقوق الإنسان والقيم والحريات، وحتى علاقة الإنسان ببيئته.

"ومع تحديد الناس هوياتهم بمقاييس إثنية ودينية، فإنه من المرجح أن يروا أن هناك علاقة بين "نحن" و"هم" تقوم بينهم وبين شعب من عرق إثني مختلف، أودين مختلف...وتخلق الخلافات في الثقافة والدين، خلافات حول قضايا سياسية تراوح من حقوق الإنسان، إلى الهجرة والتجارة، والتبادل والبيئة"[1].

وعلى هذا الأساس، فإن هنتنجتون يفسر كل ما يحدث، وسيحدث على الساحة العالمية، وفق فكرة صدام الحضارات، هذه الفكرة التي سيطرت على الفكر الغربي، وحتى على مراكز صنع القرار في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث "يعطي صموئيل هنتنجتون الحظوة للثقافة والهوية بصفتهما عاملين تفسيريين للصراعات على صعيد الكرة الأرضية، ويرى أن العالم المعاصر توجد به سبع حضارات أساسية، ويسعى إلى توقع التشكيل العالمي المحتمل جدا لما بعد الحرب الباردة، ويبدو أن الصراع أو الوفاق بين الحضارات هو الدينامية البانية جدا للقرن المقبل"[2].

إن الصدام وفق النظرة الهنتنجتونية سيقع على مستويين، المستوى الأصغر، عندما تتصارع المجموعات الثقافية على محاولة بسط سيطرتها على أكبر قدر ممكن من الأراضي، وهذا يقود بدوره إلى حروب ونزاعات طائفية عنيفة، أما على المستوى الكلي الكبير، فإنه مستوى تتنافس فيه الحضارات عسكريا واقتصاديا، من أجل القوة والهيمنة، وبين هذا وذاك توجد أطراف أخرى تمرر لقيمها وثقافتها ومعتقداتها الدينية، وحتى نظمها السياسية والاقتصادية مما يخلق الفعل ورد الفعل، فيكون الصدام الحضاري.

فالصراع الحضاري شهدته مختلف الحضارات بما فيها الحضارة الغربية ففي أوروبا على سبيل المثال، كان الصراع بين الدول والقوميات الإثنية، نتجت عنها حروب أهلية رغم الانتماء الحضاري وعليه "وحتى منظّر صدام الحضارات نفسه، يعترف أن هذه الصراعات كانت "حروبا أهلية غربية" لم تتمكن الوحدة الحضارية الغربية أن تمنع اندلاع أكثر الحروب دموية في التاريخ"[3].

وبعد أن انتهت الحروب الدموية داخل أوروبا، ظهر المستوى الثاني من الصراع، وتجسد أولا في الصراع الإيديولوجي، وثانيا في الصدام الحضاري، وتحددت معالم التقسيم الحضاري الثقافي في

---

[1]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 23.

[2]- جان بيير قارنيي، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003 ص149.

[3]- غازي عبد الرحمن القصيبي، العولمة والهوية الوطنية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2002، ص 90.

ثماني حضارات، توجد بينها اختلافات جوهرية في الثقافة والحضارة لأن"البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة سوف يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة"[1].

وأكبر الاختلافات الصدامية الحضارية ستكون محددة على الدين، ولقد عرفت أوروبا انقسامات جديدة كان أساسها الدين، بعد أن اختفت منها الصراعات والحروب الدموية، فهي تشهد اليوم صراعا من نوع جديد ذا بعد ثقافي حضاري، متمثلا أولا في الانقسام داخل الديانة المسيحية، وما يحدث بين البروتستانت والكاثوليك، وبين المسيحية والإسلام من ناحية أخرى، لأن الإسلام انتقل إلى أوروبا وأصبح مصدر خطر هوياتياً، حيث انتقل بواسطة الهجرة، ومنه "أخذت خطوط التقسيم بين الحضارات تحل محل الحدود السياسية والإيديولوجية للحرب الباردة، باعتبارها نقاطاً تفجّر الأزمات والمذابح...ومع اختفاء الانقسام الإيديولوجي لأوروبا، فإن الانقسام الثقافي لأوروبا بين المسيحية الغربية، من ناحية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام، من ناحية أخرى، قد عاد إلى الظهور، وقد يكون أهم خط تقسيم في أوروبا"[2].

وسيطرح هنتنجتون فكرته حول الصراع بين الإسلام والغرب في كتاب مستقل، وحتى داخل الغرب فإن الصراع سيكون على المستوى الأعلى، أي مستوى الثقافة، لأن في أوروبا تمايزات ثقافية لا يمكن تجاوزها والنتيجة أنه "قد حل الستار المخملي للثقافة محل الستار الجديد للإيديولوجيا، باعتباره أهم خط للتقسيم في أوروبا"[3].

ومن خلال ما سبق يؤكد هنتنجتون أن الصراع الحضاري قد يكون داخل الحضارة الواحدة أوبين حضارتين من أجل السيطرة والهيمنة، أو بين حضارتين مختلفتين ثقافيا من أجل نشر القيم أوالدفاع عن عنها وغيرها، والنتيجة أن الصراع متعدد وليس واحداً، وأنه ميزة عالم اليوم، وعليه:

"يوضح هنتنجتون أنواع الصراع الحضاري كالتالي:

أ) صراع بين حضارتين لهما حدود مشتركة.

ب) صراع بين حضارتين إحداهما غربية بسبب الهيمنة.

ت) صراع داخل نفس الحضارة على السلطة.

ث) صراع داخل بلد متعدد الثقافات"[4].

1- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، بيروت، دار النفائس، ط1، 2002، ص ص 95_ 96.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 24.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- علال بن العزمية وآخرون، التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط1 2001، ص 56.

ومن هنا، فإن أنواع الصراعات تتعدد وتتنوع وفقا للعلاقة بين الحضارات والالتقاء فيما بينها، فهناك صراع على المستوى المحلي داخل نفس الحضارة بين القوميات والطوائف المختلفة إثنيا ودينيا وهناك صراع على المستوى العالمي بين حضارات تلتقي في خطوط التقسيم الحضاري، كما يوجد صراع القيم والأفكار من أجل الهيمنة الثقافية، بالإضافة إلى الصراعات السياسية داخل الدول حول السلطة، ولقد ذكر هنتنجتون هذه الأنواع ليقرر بعدها أن أخطر أنواع الصراعات هي المحلية التي تؤدي الى أعمال عنف ودمار، وقد تقود الى تحلل وزوال الحضارة، والنوع الثاني الخطير هو الصراع بين الحضارات على المستوى الأعلى، وعلى هذا "تتباين التفاعلات بين الحضارات بصورة كبيرة إلى حد أنها قد تتسم بالعنف، ومن الواضح أن المنافسة الاقتصادية تهيمن بين الحضارتين الفرعيتين للحضارة الغربية، الأمريكية والأوروبية"[1].

وحتى الغرب كما يرى هنتنجتون، يقوم في داخله نوع من الصراع على المصالح والهيمنة الاقتصادية، معتبرا أن الحضارة الغربية واحدة في أصلها، ولها فرعان هما الأوروبية والأمريكية.

أما إذا عدنا إلى حضارة الإسلام، فنجد كذلك صراعات داخلية إثنية شهدتها الحضارة الإسلامية بين دولها، وعليه فالعلاقات التي تكون داخل الدولة، قد تختلف جزئيا عن العلاقات داخل الحضارة الواحدة، خاصة إذا كان لهذه الحضارة دولة مركز، كما يسميها هنتنجتون، و"من الواضح أيضا أن الصراعات تحدث في داخل الحضارات، وبخاصة في الإسلام، بالإضافة إلى أن العلاقات بين الجماعات على امتداد خطوط التقسيم، قد تختلف جدا عن العلاقات بين دول المركز في نفس الحضارة، إلا أن هناك اتجاهات واضحة، ويمكن أن تخرج بتعميمات معقولة عما يبدو أنه الانحيازات والعداءات الناشئة بين الحضارات ودول المركز...الثنائية القطبية للحرب الباردة والبسيطة نسبيا تفسح الطريق للعلاقات الأكثر تعقيدا في عالم متعدد الأقطاب...متعدد الحضارات"[2].

فرغم أن هناك تعدداً، إلا أن ثقافات تنتمي إلى حضارة واحدة يمكن أن تتوحد، أو تتحالف في مقابل حضارات معادية، وهذه الحضارات ستقف ضد الحضارة المهيمنة ألا وهي حضارة الغرب.

حيث"وصف هنتنجتون ظاهرة صدام الحضارات وصاغها وتوقعها، فقد توقع أن حضارات من نوع معين (ثقافة واحدة عبر التاريخ) ستشكل تحالفات ثقافية واقتصادية، لتؤسس كتلا سياسية وعسكرية ضد الغرب، وأكد أن الأطراف المنتمية إلى حضارات مختلفة ستنهمك_على تخوم هذه الكتل_ في صراعات عنيفة بعضها ضد بعض"[3].

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 28.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 397.

3- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 85.

ومن بين القيم التي يدافع عنها الغرب، ويريد تعميمها لأنها تخدم مصالحه بشكل مباشر، قيم الليبرالية الغربية، حيث اعتقد الغرب بأن الليبرالية انتصرت على الشيوعية، وأنها النظام الذي يجب أن يسود باقي دول العالم، وبدأت في التخطيط لفرضه على الباقي، فحدث نوع من الصدام الحضاري بالتدخل في شؤون الدول بداعي نشر الحرية، والدفاع عن حقوق الإنسان وغيرها.

وحيث قد "شاركت الليبرالية المؤسسية الجديدة على العموم في حملة تشهيرية على الأمم غير الغربية، وابتدعت ما يعرف بصدام الحضارات "وبذلك شجعت على صراع ثقافي أرهق عالم ما بعد الحرب الباردة، وتنبأ باستمرار "الحروب الإسلامية""[1].

فبعد احدث 11 سبتمبر 2001 اعتبر هنتنجتون أن **أسامة بن لادن** يريد أن يحدث صداما بين الإسلام والغرب، ورغم انهيار الإتحاد السوفياتي، وانتهاء الحرب الباردة وظهور الأحادية القطبية، إلا أن الصراع بين الغرب وروسيا مازال قائما على مناطق النفوذ وعلى التسلح، ومازال الصراع الاقتصادي والتدخل في شؤون الدول، وهذا ما ينبئ بحدوث صدام بينهما مرة أخرى، وهو ما يبرر "أن الاختلافات بين الحضارات اختلافات حقيقية وهامة، وأن الوعي الحضاري أخذ في التزايد، وأن الصراع بين الحضارات سيحل محل الصراع الإيديولوجي، وكافة الأشكال الأخرى للصراع كشكل كوني مهيمن للصراع"[2].

فعولمة الصدام الحضاري، هي إحدى نتائج الصراعات التاريخية، التي كانت بين الشعوب والأمم والحضارات، وعليه سيصبح الصدام لغة التداول، التي سيتحدث بها العالم، ورغم أن الصراعات الداخلية ستشهدها كل الحضارات، إلا أن الصدامات الكبرى بين الحضارات هي التي ستهيمن على المشهد العالمي.

"فالغرب يحشد ما شاء من المفاهيم، ليبرهن على صراع الحضارات، فنراه يصف حضارته بالعقلانية والحداثة أو ما بعد الحداثة، والعلمانية والحرية والديمقراطية، وانتصار الإنسان مقابل حضارات شعوب لا عقلانية وغير حداثوية، وحياتها تخلو من الحرية والعلمانية والديمقراطية وحقوق الإنسان"[3].

كما أن هنتنجتون عندما يتكلم عن دوافع الصدام الحضاري، فإنه يضع دائما النمو الديمغرافي للحضارات غير الغربية موضع التأكيد، مع ملاحظة التراجع الكبير في هذا النمو بالنسبة إلى الغرب فالحضارة الغربية تعد مجتمعاتها مجتمعات الشيخوخة، وهذا سيؤثر في بقاء الغرب وإستمراره بل إنه

---

[1]- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 96.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 60.

[3]- أحمد برقاوي وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 92.

سيحكم عليه بالزوال والأفول، والنتيجة التي يصل إليها من خلال دراساته لفكرة الصدام بين الحضارات، ومن خلال بنية الحضارات، وما يطبع العالم المعاصر هي قوله:

"في الربع الأول من القرن المقبل من المحتمل أن تكون الصراعات مطبوعة بأربع مميزات أساسية.

أولا: أغلب الصراعات بين الشعوب لن تكون ذات مصدر سياسي اقتصادي أو إيديولوجي، بل ذات مصدر ثقافي.

ثانيا: شكل الصراع العنيف الذي سيفرض نفسه سيكون نتيجة للحيوية الديموغرافية للشعوب الإسلامية، وهذا ما يجعل من الانبعاث الإسلامي إحدى المميزات الأساسية للعالم الإسلامي.

ثالثا: أشكال الصراع الأكثر تدميرا ستكون ناتجة عن الحيوية الاقتصادية للدول الأسيوية وخاصة مع صعود الصين.

رابعا: رغم أن الانبعاث الإسلامي وتصاعد قوة الصين يشكلان التحديين الأكثر أهمية للغرب وللنظام العالمي الدولي...إلا أنهما سيكونان محددين على المستوى الزمني"[(1)].

إنها نتائج استشرافية للمستقبل، وتصور عام للعالم في زمن العولمة، والصدام الثقافي والحضاري وإن هذا الصدام لن يكون بدافع اقتصادي أو سياسي رغم أهميتهما بل بدافع ثقافي، ومن معطياته النمو الديمغرافي للشعوب الإسلامية، وما ينتج عنه من إحياء للقيم الإسلامية والعودة إلى الدين، وقد يكون ذلك سببا لظهور العنف، أما بالنسبة إلى الحضارات الآسيوية، فإن محركها الأساسي هو الإقتصاد ممثلة خاصة في الصين، وهذا كله سيرسم معالم نظام عالمي جديد، رغم أن هنتنجتون يتنبأ بأن التحدي الحضاري للإسلام والصين لن يدوم وسيزول يوما. إلا أنه "يلمح لأصحاب القرار السياسي الأمريكي بأخذ حذرهم، لأن الخطر سيأتي من العالم غير اليهودي المسيحي"[(2)].

ولقد بدأ الانشغال بمشكلة الصراعات بين الدول، وداخل الدول من جانب المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، ممثلة في مجلس الأمن الدولي، حيث ظهرت دعوات تنادي بحوار الحضارات لا صدامها وهذا العنصر سنتناوله في الفصول القادمة، فميزة العصر هو عودة الصراعات الإقليمية إلى الساحة الدولية، وربما كان سببها الرئيسي هو القرب المكاني والبعد الثقافي، مما يجعل فرص الصراع والحرب أكثر، وعليه فإن "الصراعات الإقليمية حلت محل الصراع الكوني على جدول أعمال الأمن

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 171.

[2]- عبد الكريم غريب وآخرون، التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، مكتبة النجاح الجديدة، ط1 2010، ص 14.

الدولي... قد تندفع نحو صراعات بين الحضارات المختلفة، أو في داخل الحضارة الواحدة... والقرب المكاني إذا كان بعيدا عن الثقافة لا ينتج عوامل مشتركة، بل إنه قد يؤدي إلى العكس"[1].

ورغم انتهاء الحرب الباردة، التي كادت أن تتحول إلى حرب كونية ثالثة، والتي لو اندلعت لكانت نتائجها أخطر على البشرية جمعاء، فالأمم المتحدة بعد أن كانت تسعى لمحاربة الفقر والأمية وغيرها أصبحت تسعى إلى إيقاف الصدام بين الحضارات، وإشاعة روح التسامح والحوار.

"وباعتقاد هنتنجتون أن انتهاء الحرب الباردة، أنهى عهد المنافسة الإيديولوجية وابتدأ عهد تحت اسم "صدام الحضارات" يرى أن الحضارات الكبرى في هذه الدنيا هي سبع حضارات، العربية الكونفوشيوسية، اليابانية، الإسلامية، الهندية والإسلاو_أرثوذوكسية الأمريكية، اللاتينية (واحتمالا الحضارة الإفريقية)" [2].

إلا أن الفكر الغربي المنظّر لهذه الأطروحة، تتخلل مخياله وأفكاره فكرة الصدام، وها هو برنارد لويس المستشرق الأمريكي، أستاذ هنتنجتون يتكلم قبل تلميذه على أن صدام الحضارات من القضايا التي لا يمكن الوقوف ضدها أو القضاء عليها، فحتى ولو وصف الصدام بأنه عمل غير عقلاني، إلا أنه حتمية تاريخية، يقف ضد كل ما يناقض التراث اليهودي المسيحي، وهنا يكتسب الصدام طابعا ثقافيا حضاريا، كما أنه يدافع عن الخصائص التي بنيت عليها الحضارة الغربية، كالفردانية والقانون الروماني، وخصوصا فصل الدين عن الدولة، يقول في هذا الصدد برنارد لويس: "نحن نواجه حالة وحركة تفوق مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي يسعون وراءها، ولا يعد هذا أقل من صراع الحضارات، وربما كان هذا عملا لا عقلانيا، ولكنه بالتأكيد ردة فعل تاريخية للند القديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي، وضد وجودنا العلماني على مستوى انتشار كل منهما"[3].

والصدام وفق هذه النظرة هو صدام حضاري، صدام الأديان، وبالتحديد المسيحية ضد الإسلام رغم أن الصراع في تاريخه قديم، ناتج عن طبيعة الإنسان في السيطرة، وطبيعة الدول في الهيمنة سواء على مراكز القوة أو الثروة أو على الناس أو الأرض أو حتى الطبيعة، لهذا يستخدم الإنسان مختلف الوسائل لأجل تأكيد سيطرته، سواء أكانت ثقافية أم حضارية، مادية أم معنوية "إن الصراع بين الدول والجماعات دائما ما تولد نتيجة للرغبة في السيطرة على شيء ما، كالناس والأرض والثروة والقوة، وفكرة الصراع الإنساني قديمة في حد ذاتها"[4].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 212.

[2]- سيد صادق حقيقيت، حوار الحضارات وصدامها، ترجمة السيد علي الموسوي، بيروت، دار الهادي، ط1، 2001 ص 39.

[3] *-Bernard Lewis, Le retour de l’Islam, Ed Gallimard, Paris, 1985, p 140.*

[4]- صبري سعيد وأسامة نبيل، العنصرية وصدام الحضارات، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007، ص 67.

ويؤمن هنتنجتون بأن فكرة الصراع، هي الأطروحة التي ستشهد نهاية التاريخ، رغم أنه لم يحدد لها وقتاً أو زماناً، بل إعتبرها المرحلة الأخيرة في تطور العلاقات بين البشر والحضارات، ووفقا للجدل الهيجلي فإن هذه الأطروحة نتجت عن صراع المتناقضات، فبالتالي تعد تجاوزا لجميع أنواع الصراعات الماضية، وهي التي ستدور في فلكها كل القضايا العالمية في عالم اليوم والغد، وكما يذكر محمد عمارة في دراسته لهذه الأطروحة أنه "سوف يكون الصدام بين الحضارات هو الطور الأخير في منحى تطور الصراع في العالم الحديث"[1].

فالمواجهات التي حدثت بين الحضارات، سواء أكانت محدودة أو متقطعة، لم يكن لها التأثير الكبير مثلما يحدث اليوم في المواجهة الأكثر خطراً بين الغرب وبقية الحضارات، فالصراع كان، وهو كائن وسيكون، والواقع يفرض الإقرار بصدام حضاري، انتقل من الصدام المتقطع الجزئي، إلى صدام مستمر شامل وكلي، بل لقد أصبح كونيا، "وعلى هذا اعتمد هنتنجتون مقولة **(الصدام The clach)** كتعبير عن لحظة الصراع الذي يجري ويستمر في أرض الواقع، ولكي تكون هذه المقولة ذات دلالات عامة وشمولية، فقد حقنها بقوة دلالية مضافة لتصبح أكثر تعبيرا عن جوهرية هذا الصدام واتساع شموليته، فمن الصدام الحضاري إلى الصدام الكوني، ومن الصدام الجزئي بين طرفين أو ثلاثة، إلى صدام كلي، تشترك فيه مجمل القوى البشرية على اختلاف تشكيلاتها"[2].

ومما يؤكد أن الغرب في مواجهة باقي الحضارات، هو أن العالم تغيرت معطياته، فالدول المستعمرة تحررت، وبدأت تحدد انتماءاتها الثقافية والحضارية، وهذا لم يكن في السابق، كما أن العالم يشهد تكتلات جيوسياسية مبنية على المصلحة الاقتصادية، كما أن المعطيات تغيرت، وقد تجاوزت البلدان القضايا التي كانت تشغلها، وأصبح "الغرب يواجه عصرا تبدلت فيه أساليب صعدت فوق مستوى القضايا والمعضلات، وفوق مستوى الحكومات التي تطرحها، لتتجاوز إلى ما يصل إلى مستوى الصدام بين الحضارات"[3].

وحقيقة الصراع يبينها هنتنجتون، في أن الصراع يهدف إلى السيطرة على الأرض، والناس والثروات وما تعرفه بعض المجتمعات مما يسمى بالتطهير العرقي، يعود بالأساس إلى أن الأرض رمز للهوية ومرتبطة بتاريخ شعب ما، كما يحدث في فلسطين، في القدس، وكما حدث في يوغسلافيا وكشمير وغيرها، ويسميها هنتنجتون بصراعات خطوط التقسيم الحضاري، التي يقول عنها: "صراعات خطوط التقسيم الحضاري، هي صراعات للسيطرة على الناس، وكثيرا ما تكون القضية قضية صراع للسيطرة على أرض..."التطهير العرقي" هذه الصراعات غالبا ما تكون عنيفة وفظيعة...وغالبا ما تكون الأرض

1- محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع...أم صراع؟ مصر، نهضة مصر، ط1، 1998، ص 05.

2- صبري سعيد وأسامة نبيل، العنصرية وصدام الحضارات، مرجع سابق، ص ص 70_71

3 -*Bernard Lewis, The roots of Muslim rage , Athantic Monthly, N° 266, September, 1995 p 66.*

المتنازع عليها رمزا للهوية، وتاريخ طرف من طرفي الصراع، أو هما معا، قد تكون أرضاً مقدسة لهما فيها حتى لا يجوز المساس به، مثل الضفة الغربية أو كشمير"[1].

وربما في مجال الصراع العرقي والحضاري، هناك حضارات متصارعة، وتوجد دول لا تنتمي لأي حضارة، إلا أنها تجد نفسها مدفوعة لأن تنظّم لهذا الصراع، كما حدث في الصراع الإيديولوجي بين الغرب والشرق، حيث أقحمت دول في هذا الصراع دون إرادة منها، بل وأصبحت طرفا فيه وبالعودة إلى عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن النزاعات الطائفية عادت إلى الظهور، وبدأت خارطة جديدة للدول والعالم ترسم، وبدأت هذه النزاعات الجزئية الطائفية تتسع، مما نقلها إلى مستوى أعلى هو مستوى الصدام الحضاري، ولاحتواء هذه الصدامات والحد من توسعها، لا بد من تحالف بين الحضارات، "ففي عالم ما بعد الحرب الباردة، حلت صراعات طائفية كثيرة محل صراع القوة الكبرى الواحدة، وعندما تضم هذه الصراعات الطائفية جماعات من حضارات مختلفة، فإنها تميل إلى الاتساع والتصاعد...إن إمكانية تصعيد صراعات خطوط التقسيم بين الحضارات أكبر من إمكانية تصعيدها داخل الحضارات، وتحتاج دائما إلى تعاون بين الحضارات لاحتوائها و وضع نهاية لها"[2].

ومما يزيد من توقع الصدام الحضاري، هو التقارب الجغرافي، واختلاف المتقاربين حضاريا ودينيا وتاريخيا، أي ثقافيا مما يزيد فرص الصدام، وعلى هذا الأساس فيجب ألاّ ننتظر نهاية قريبة للصدام بين الحضارات، رغم أنه يمكن أن نجد لبعض الصراعات الجزئية حلا مؤقتا، إذا تدخل طرف ثالث لا ينتمي لكلا الطرفين المتصارعين بغية إيجاد حل للقضايا المختلف حولها، رغم أن هنتنجتون يؤكد أن هذا الطرف قد لا يحظى بثقة أحد طرفي الصراع أو كلاها، لأن لغة المصلحة تميل إلى كفة طرف دون آخر، وكثيرا ما تجسد هذا الطرف في دور الأمم المتحدة، إن "الصراعات بدورها تنبع من تقارب جغرافي وأديان وثقافات مختلفة، وبنى اجتماعية منفصلة، وذكريات تاريخية لكلا المجتمعين...حروب خطوط التقسيم وصراعات خطوط التقسيم ليس لها نهاية، الصراعات بين الدول أو الجماعات الثقافية المشتركة يمكن أن تحل أحيانا عن طريق وساطة طرف ثالث لا مصلحة له يكون مشتركا في نفس الثقافة، له شرعية معترف بها داخل تلك الثقافة، ومن هنا يتمتع بثقة الطرفين لإيجاد حل له جذور في تلك القيم الثقافية"[3].

وهنا نجد هنتنجتون يقدم مثالا عن محاولة طرف أن يحل صداما حضاريا وقع في عالم الحضارات اليوم، ألا وهو المعيار المزدوج الذي طبقه الغرب على العراق وعلى البوسنة والهرسك، ففي حين حشد الغرب كل القوى للوقوف ضد العراق في احتلاله للكويت، لم يحرك ساكنا اتجاه التصفية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 409.

2- المصدر نفسه، ص 441.

3- المصدر نفسه، ص ص 273_274.

العرقية التي مورست ضد مسلمي البوسنة والهرسك من طرف الصرب المسيحيين، وهنا لاحظ المسلمون التحيز الحضاري، وفقدوا الثقة في الغرب، كما أن القرارات التي تصدرها الأمم المتحدة تفرض على الدول الإسلامية ولا تطبق على إسرائيل، كمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وانطلاقا من هذه المعطيات فقد "قارن المسلمون التصرفات الغربية ضد العراق بإخفاق الغرب في حماية مواطني البوسنة من الصرب، وفرض عقوبات على إسرائيل، لانتهاكها قرارات الأمم المتحدة، ويدّعون أن الغرب يستخدم معايير مزدوجة، ومع ذلك فإن عالم الحضارات المتصادمة هو عالم يستخدم معايير مزدوجة، فالناس تطبق معيارا واحدا في الدول الشقيقة، وتطبق معيارا مختلفا مع الآخرين"[1].

وهنا يعترف هنتنجتون بأن الغرب يكيل بمكيالين، ويستخدم معايير مزدوجة مع جميع الصراعات في العالم، فإذا كان الطرف شقيقاً أو ينتمي للحضارة الغربية، فإنه تطبق عليه معايير مختلفة تماما عن تلك التي تطبق على غيره، ويعتبر هنتنجتون هذا الفعل بأنه عادي، لأنه حتى الناس تمارسه فيما بينهم، وفيما بين بلدانهم التي ينتمون إليها ثقافيا، وبين البلدان التي تختلف عنهم ثقافيا كذلك.

وهنا يرى محمد خاتمي، الذي نادى بدوره بفكرة حوار الحضارات، أن هنتنجتون قد عبّر فعلا عن الفكر الغربي القائم على الصدام والهيمنة والقوة، وأن هذه الفكرة هي التي تسيطر فعلا على مراكز اتخاذ القرارات في الغرب، ويمكن أن نصل إلى القول أن هنتنجتون يخلص "إلى أن الصراع في العالم ليس صراعا اقتصاديا، وإنما هو صراع ثقافات، كل واحدة منها تحاول عولمة ثقافتها وقيمها وأنماط سلوكها، ويقسم العالم إلى ثماني ثقافات، ليصل إلى استنتاج مؤداه أن الحضارة الغربية هي الأقوى والأصلح، وتستطيع هضم الحضارات الأخرى عدا حضارتين ستصطدمان معهما حتما، لأنهما ترفضان التغريب، وهما العربية الإسلامية والكونفوشيوسية"[2].

لقد بني الفكر الغربي في عمومه على فلسفة القوة والانتصار، وهي فلسفة تريد لحضارتها ان تهيمن وتسيطر غير معترفة بالآخر المختلف، وهذا يحمل في طياته فكرة الصدام الحضاري، لأنه ينطلق من صراع الثقافة والقيم ومحاولة عولمتها وفرضها عالميا.

ب_ مقومات الصدام الحضاري:

تشترك كل حضارة في خصائص ومميزات، تشكل هويتها ووعيها، وتميزها عن غيرها من الحضارات، ولعله من بين أهم هذه العوامل نجد الدين، إضافة إلى عامل القربى، واللغة والتاريخ المشترك، والرقعة أو الامتداد الجغرافي، وهي العوامل المكونة للأمة، فكل الحضارات في التاريخ كانت لها هذه المشتركات الإنسانية الجوهرية، التي انبنت عليها، وسارت على ضوئها، ويؤكد هنتنجتون قيمة هذه

1– صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 34.

2– خلف علي المفتاح، حوار الحضارات بين غارودي وهنتنجتون، مجلة الوحدة: www.alhawra.alwihda.gov.sy

العوامل قائلا: "الدم واللغة والدين وأسلوب الحياة، كانت هي العوامل المشتركة بين الإغريق وما يميزهم عن الفرس والآخرين من غير الإغريق، والدين هو أهم عامل بين العوامل الموضوعية التي تعرف الحضارات...والحضارات الرئيسية في التاريخ الإنساني، كانت دائما متواجدة ومتطابقة مع ديانات العالم الكبرى وبدرجة كبيرة"[1].

فلكل حضارة ديانة سائدة، ورغم وجود بعض الأديان الثانوية، إلا أن الدين السائد هو رمز الحضارة ومقومها الأساسي، ونتيجة لتطور الإنسانية تقنيا وعلميا، دفع الكثير إلى أن يتنبأ بأفول الدين، وأن العلم أصبح دين الإنسان في هذا العصر، إلا أننا نشهد عودة الدين بقوة في حياة الإنسان وهنتنجتون "يعتبر أن الدين، أصبح في العالم المعاصر قوة مركزية لتعبئة الطاقات، وأنه يشكل عبر التاريخ أعمق الفوارق بين الشعوب"[2].

فالدين أصبح هو الرابطة الروحية التي يمكن أن تجمع البشر أو تفرقهم، وفي القديم كان أساس الفوارق بين الشعوب، فهو أعلى رابطة بين الناس، أما اللغة والعرق وغيرهما، فهي عامل جزئي في الحضارة، بدليل أننا قد نجد اناس مشتركين في هذين العنصرين ومختلفين في الدين، يقتل بعضهم بعضا، وهو ما يسمى بالصراع الإثني، "والناس المشتركون في العرق واللغة، ويختلفون في الدين، قد يذبحون بعضهم البعض، كما جرت في لبنان ويوغسلافيا السابقة."[3].

وهنا يرى هنتنجتون أن الاختلاف في الثقافة والهوية شيء جوهري، ولهذا كانت معطياتها ثابتة تعبّر عن وحدة الثقافة، كما أن الخلافات السياسية والاقتصادية بين الأمم يمكن حلها، لكن الخلافات العرقية والدينية، فإنها صعبة التسوية ولا تقبل حتى الحلول الوسطى، ولهذا فإن "المميزات والاختلافات الثقافية غير قابلة للتغيير والتحول، وغير خاضعة للتسويات والحلول الوسطى، عكس الاختلافات السياسية والإيديولوجية والاقتصادية"[4].

فكما يتمايز الناس في صفاتهم الجسدية وبيئتهم الجغرافية، فإنهم يتمايزون كذلك في القيم والعادات والتقاليد والأخلاق والدين، ووفقا لهذا التمايز، فإنه لدينا حضارات وليس حضارة واحدة، رغم أنه يوجد اليوم من ينادي بحضارة واحدة لعالم واحد، بدعوى توحيد هذه المختلفات البشرية في حضارة واحدة وثقافة واحدة، وفي الحقيقة هذا قضاء على التنوع والاختلاف الذي أقرته الطبيعة، وتقسيم الشعوب على أساس الثقافة والجنس ليس معيارا، فهناك أجناس تشترك في نفس الصفات الجسمانية إلا أنها تنتمي لحضارات مختلفة، وهناك أجناس مختلفة ينتمون لحضارة واحدة، ونظرية الجنس في

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 70.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 32.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 70.

4- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 32.

تقسيم الشعوب إلى شعوب متحضرة، وأخرى همجية أو برابرة، أبطلها العلم والإنثروبولوجيا وعلم الاجتماع نظرا لتمازج الشعوب والأجناس عبر التاريخ الطويل للإنسانية، نعم "هناك تشابه كبير بين تقسيم الناس إلى حضارات طبقا للمواصفات الثقافية، وتقسيمهم إلى أجناس طبقاً لمواصفات جسمانية إلا أن الحضارة والجنس ليسا متماثلين، الناس المنتمون لنفس الجنس يمكن أن ينقسموا حضاريا، كما أن الناس المنتمين لأجناس مختلفة قد توحدهم الحضارة"[1].

فنظرية الجنس ليست معيارا للانتماءات والاختلافات الثقافية والحضارية، لأن الاختلافات الثقافية تحدد هوية الأفراد عندما يطرح عليهم السؤال "من أنتم؟" أو يقومون بطرحه على أنفسهم "من نحن؟" وهذا السؤال محدد للجماعات البشرية ولانتماءاتها الثقافية والعقدية، أما في حالة الاختلافات السياسية أو الإيديولوجية، كما حدث في الصراع بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، فإن السؤال يطرح بصيغة "مع من أنت؟" وحتى وإن تم تحديد الانتماء الإيديولوجي، فهو في الحقيقة لا يعبر عن الانتماء الهوياتي القائم بالدرجة الأولى على التحديد الديني.

ومن خلال الدين، يعتقد هنتنجتون أنه العلامة الفارقة الكبرى بين الحضارات، وما يتبعه من لغة وتاريخ، فالدين قد يضم أجناساً مختلفة في الشكل والجسم، وربما متباعدة جغرافيا، ولكنها تنتمي إلى نفس الدين كما في حالة الإسلام الذي يضم مجموعة كبيرة من الأجناس البشرية، كلها تنضوي تحت راية العقيدة الإسلامية، وكذلك بالنسبة إلى المسيحية في أوروبا وأمريكا وغيرها، فهي تضم أجناساً مختلفة تحت رايتها، رغم أن هذه الأجناس قد تختلف في مجموع القيم والمعطيات الاجتماعية، وحتى التركيبة البيولوجية، إلا أن الدين يجمعها، ويفرقها، فهو كما قلنا سابقا من بين أهم المقومات، وهو العلامة الفارقة بين الحضارات، وعليه قد يكون مصدرا للصدامات الحضارية.

"الأديان الكبرى ذات الرسالة مثل الإسلام والمسيحية على نحو خاص، تضم مجتمعات من أجناس مختلفة، أما الاختلافات الأساسية بين الجماعات الإنسانية فتتعلق بالقيم والمعتقدات والبنى الاجتماعية، وحجم الجسم وشكل الرأس ولون البشرة"[2].

وينطلق هنتنجتون في بناء نظريته حول الصدام بين الحضارات من هذه المقومات، لأنه يرى بأن الصراعات بين الشعوب ستشهد مرحلتها الأخيرة في صدام محتمل بين الحضارات، وهو الشكل الأخير من هذه المراحل السابقة، فعودة الدين، والتمسك بالخصوصية الثقافية للشعوب، في مقابل الغزو الحضاري والثقافي الغربي، إن باسم التحديث أو باسم التغريب وقيم العولمة، يعد أحد المصادر الأساسية للعودة إلى الذات والتمسك بالهوية الثقافية، مما يخلق رد فعل لدى هذه الشعوب، فكثير من الشعوب أصبحت ترى في الغرب العدو، وأن حضارته هي التي جلبت لها الشر والفقر، وأن الغرب

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 70.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

استعماري كولونيالي امتص خيرات الشعوب، وهو الآن يحاول أن يستعمرها من جديد وفق معطى جديد هو الحضارة.

"ويبدو أن مجموع هذه المبررات التي قدمها هنتنجتون، حتى يعزز بها تحليله ويقوي فرضيته حول التصادم الحضاري، هي مترابطة فيما بينها، وتتمحور جميعها حول صعود الخصوصيات الثقافية كرد فعل واستجابة لتحديات الغرب، ورهانات العولمة"[1].

والإشكالية الحضارية، هي أن الحضارة كل مركب لا يمكن فهم عنصر منها دون الآخر، كما لا يمكن أن نأخذ من حضارة عنصراً دون الآخر، فكل عناصرها شاملة لحياة الإنسان ولمقومات ثقافته، لا يمكن تجزئتها ولا تفتيتها، وإذا احتوت الحضارة على مجموعة من الدول، فلا بد أن تجمع بينها عناصر هذه الحضارة، والتي تعد مقومات لبقائها واستمرارها، فالحضارة "شاملة بمعنى أن أي جزء من مكوناتها لا يمكن فهمه تماما دون الرجوع إلى الحضارة التي تضمه، يقول توينبي "الحضارة تشمل ولا يشملها غيرها" الحضارة "وحدة كلية" ويقول **ميلكو** "الحضارة بها درجة معينة من التكامل أجزاؤها تعرف أو تحدد بعلاقاتها بالأجزاء الأخرى، وبالكل، وإذا كانت الحضارة مكونة من دول فإن هذه الدول ستكون بينها علاقات أكثر من بينها وبين دول من حضارات أخرى، وهي قد تناضل أكثر وتدخل في علاقات دبلوماسية أكثر، وسيكون اعتمادها الاقتصادي المتبادل على بعضها أكثر وستكون هناك تيارات فنية وفلسفية سائدة"[2].

ووفقا لهذه النظرة للحضارة وعناصرها ومقوماتها، بنت كل حضارة مفاهيمها وتصوراتها، والتي تختلف عن مفاهيم وتصورات حضارة أخرى، فلها مفاهيمها عن الله والإنسان والدين والأخلاق والقيم والحرية وحقوق الإنسان وغيرها، وهنا ندرك التمايز الجوهري الثقافي، الذي يذهب إلى عمق الحضارة ولقد حاول الغرب أن ينشر قيمه وأفكاره ومفاهيمه الإمبريالية على باقي الحضارات، مدعيا أنها عالمية وكونية، ويجب أن تحتكم إليها جميع الشعوب والحضارات، محاولا في نفس الوقت أن يبين أن مفهوم الآخر لمثل هذه التصورات ضد الإنسان والحرية والديمقراطية، وربما هذا ما جعل الغرب يحاول أن يفرض هذه التصورات حتى ولو كان ذلك بالقوة، وهنا نجد هنتنجتون يوجه خطابه إلى الغرب قائلا "على الغرب أن يدرك، أنه ولو أننا نعتقد بكونية قيمه كحقوق الإنسان، فإن شعوب الحضارات الأخرى لها آراء أخرى، والضغوط التي يمكن أن نمارسها لندفعها للتصرف كما نعتقد أن عليها أن تتصرف أصبحت لها محدوديتها، طبعا علينا أن نحاول تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكني أعتقد أن علينا أن نكون واعين بأنه ستكون هناك مقاومات وعراقيل كبرى"[3].

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 35.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 70.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 123.

وإن محاولة الغرب فرض هذه القيم، ليس لأنها قيم إيجابية أو حضارية، بل لكي يجد المسوّغ الذي يلج من خلاله إلى سياسات الدول، وقلب حضاراتها ليقوم بتفكيكها من الداخل، مادامت تمثل بالنسبة إليه التحدي الذي يهدد وجوده، والذي قد يكون سببا في أفوله، لأنه في الحقيقة كثير من الثقافات لها مفاهيم أرقى عن حقوق الإنسان والحرية، تجاوزت مفاهيم الغرب، كما نجدها مثلا في الإسلام.

أما عن طبيعة الصراعات، فإن هنتنجتون يتكلم عن نوعين من الصراعات، منها المحدودة ومنها غير المحدودة، بالنسبة إلى المحدودة فإنها صراعات تكون عادة داخل مجتمع واحد، وعادة ما تسوى من خلال الاحتكام إلى قوانين المجتمع الأساسية، أما الصراعات غير المحدودة فهي التي تكون بين الحضارات التي تتمايز في هويتها ودينها، وهي الصراعات التي يرى فيها هنتنجتون صعوبة الحل، وحتى الحلول الوسطى لا تقبلها، كما يحدث في فلسطين، "تكون الصراعات محدودة في مجتمع ينتمي فيه الجميع إلى القوة الاجتماعية نفسها، وتسوى الصراعات عبر بنية القوة الاجتماعية"[(1)].

وإذا كانت العوامل الثقافية إحدى مقومات الصراع الحضاري، فهذا لا يعني أن الاختلافات السياسية والاقتصادية لن تكون سببا لمثل هذه الصراعات، فميزان القوى العسكري والاقتصادي يعد أحد مقومات الصدام بين الغرب وباقي الحضارات، على اعتبار أن التفوق في هذه المجالات لصالح الغرب، والمتفوق عسكريا وسياسيا واقتصاديا متفوق حضاريا، وهذا التفوق هو ما يخوله محاولة الهيمنة بثقافته وحضارته، وأن يجعلها النموذج، من أجل أن يضمن بقاءه واستمراره، لأن الخطر يكمن في الاستيقاظ الثقافي الحضاري لهذه الحضارات.

فكما أن الفروق في القوة والصراعات على القوة العسكرية والاقتصادية والمؤسسية، تشكل أحد مصادر النزاع بين الغرب والحضارات الأخرى، فإن الاختلافات في الثقافة، أي القيم والمعتقدات الأساسية ستمثل مصدرا ثانيا للنزاع (فالقوة والثقافة، التغاير في الثقافة، سببان أساسيان للنزاع"[(2)].

وعليه، فالأسباب المباشرة التي تعد أهم مقومات النزاع والصراع في عالم اليوم بين الحضارات هو التمايز في الثقافة والاختلاف في المقومات الحضارية، أما المقومات الأخرى فإنها تؤدي دورا ثانويا، فالتعداد السكاني قد يجعل حضارة ما خطر على حضارة أخرى، كما يعتقد الغرب، وأكبر الحضارات نموا من حيث السكان هما الصين والإسلام، ولهذا عدّهما هنتنجتون من أكبر الحضارات المهددة للوجود الغربي، ويذكر هنتنجتون أنه على مدار التاريخ وجدت ثقافات متميزة، لكنها اندثرت بسبب اندثار العنصر البشري الذي كان يحملها، الفروق الحضارية لا تزال تقوم على هذا البعد الاستراتيجي الديموغرافي، وهو يحمل للغرب خطرا، لأنه يهدده داخل حضارته من خلال الهجرة.

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، مصدر سابق، ص 18.

[2]– غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 66.

و"الحضارات قد تضم عددا كبيرا من البشر مثل الحضارة الصينية، أو عددا قليلا مثل الكاريبي الأنجلوفوني، وعلى مدى التاريخ وجدت جماعات صغيرة كثيرة ذات ثقافات مائزة وتفتقر إلى معين ثقافي أوسع لهويتها، وكانت الفروق تتحدد حسب الحجم والأهمية بين الحضارات الرئيسية والفرعية "**باجباي**" أو بين الحضارات الرئيسية والحضارات المعتقلة أو الجهيضة (توينبي)" [1].

وما يشهده العالم اليوم من اختلافات ونزاعات تبدو في ظاهرها عوامل شكلية، إلا أنها في الحقيقة سبب كل النزاعات، وحتى الحروب وأعمال العنف يعود للتمايز الثقافي والصراع الثقافي، كما حدث في يوغسلافيا، وكما يحدث بين الهند وباكستان حول قطاع كشمير، وكما يحدث في فلسطين وغيرها، فإذن الثقافة هي العامل المسؤول عن كل هذه الصراعات، وهنا يؤكد هنتنجتون "على أن ما يشكل عنصر التمايز بين البشر هو الثقافة، وأينما ولّى الإنسان وجهه يجد أن العالم متناقض مع نفسه فإن لم تكن الخلافات في الثقافة هي المسؤولة عن هذه النزاعات فما هو العامل المسؤول إذن؟"[2].

فالحضارات لا يمكن أن نحدد لها بدايات ولا نهايات ولا حدودا جغرافية مثل الدول، والأفراد داخل هذه الحضارات يمكن لهم أن يحددوا هويتهم بما هو أساسي وجوهري كالدين، وعلى هذا الأساس تمتلك الحضارة مقومات ثابتة وأخرى متغيرة، وهذا ما يمكنها من التغير والتطور والتفاعل مع باقي الحضارات، لأن لها هدفاً ودافعاً ووجوداً، كما أن لها خطوطا فاصلة عن باقي الحضارات، إن "الحضارات ليس لها حدود حاسمة التحديد، ولا بدايات أو نهايات دقيقة، الناس بإمكانهم إعادة تعريف هوياتهم ويفعلون ذلك حقيقة، وكنتيجة لذلك فإن تكوين وشكل الحضارات يتغير مع الزمن، ثقافات الناس تتفاعل وتتداخل، ومدى التشابه أو الاختلاف بين الحضارات متباين كذلك إلى حد كبير، إلا أن الحضارات كيانات ذات معنى وهدف، بينما الخطوط بينها نادرا ما تكون حادة إلا أنها حقيقية"[3].

وعليه فكل هذه المقومات الحضارية والمعطيات الثقافية قد تجعل الحضارات في حالة صدام لأن الصدام إذا كان مقومه أو محركه الأساسي الثقافة، فإنه واقع حتمي لا يمكن تجاوزه، ولهذا نجد هنتنجتون في محاولة إثبات صدق نظريته، نجده يعود دائما إلى مقومات الصدام بين الحضارات مؤمنا بأن هذه المقومات موجودة في قلب كل حضارة، لأنها بالنسبة إليها تمثل الجوهر الذي تقوم عليه، "إن كل ما ساقه هنتنجتون لإثبات الركائز الإيديولوجية للحضارة الغربية وتميزها وانفصالها وبالتالي صراعها وصدامها مع الحضارات الأخرى...لإقناع القارئ بضرورة تعدد الحضارات وتمايزها وتصارعها، أو بعبارة أخرى صدام الحضارات"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 71.

2- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 82.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 72.

4- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 95.

ومن بين أكبر المقومات التي تقوم عليها الحضارات وتتمايز بها_كما ذكرنا سابقا_ وقد يكون مقوماً للصدام الحضاري نجد الدين، فهو ما يميز البشر ويجعلهم يشعرون بنفس الانتماء، بل ويوحدهم في حالات الخطر والنزاع، ولذا نجد الحضارات الكبرى مرتبطة بأديانها الكبرى، لأن "الدين من السمات الأساسية المحددة للحضارات، وكما يقول **كرستوفر داوسن (Christopher Dawson)*** "الأديان الكبرى هي الأسس التي تعتمد عليها الحضارات الكبرى، ومن بين أديان العالم الخمسة عند **ويبر**أربعة مرتبطة بحضارات رئيسية وهي المسيحية والإسلام والهندوسية والكونفوشيوسية، أما الخامسة البوذية فهو ليس كذلك"[1].

وما تعرفه الحضارات اليوم من العودة إلى الدين في فعل الإحياء، هو نتيجة ورد فعل لعملية التحديث الغربي الذي اعتقدت فيه باقي الحضارات أنه محاولة لتهديم أديانها، وأكثر من ذلك هو تغريبها واحتواؤها، وهذا الإحياء القائم على نقيض التحديث عند بعض الحضارات، هو عمل معادي للغرب، لأنه يحمل قيمه وديانته المسيحية، وعلمانيتها، وأكبر الحضارات مجابهة للغرب وقيمه الحضارة الإسلامية والصينية على الخصوص، "فالإحياء الديني في العالم هو نتيجة مباشرة للتحديث وهذا الإحياء يكاد يتخذ بالضرورة في المجتمعات غير الغربية شكلا معاديا للغرب، وهو يرفض في بعض الحالات الحضارة الغربية لأنها مسيحية هدامة، ويرفضها في حالات أخرى، لأنها علمانية منحلة والعودة إلى الحضارة الأهلية (الوطنية) أمر واضح وملحوظ في أغلبية المجتمعات الإسلامية والأسيوية"[2].

وهذا الفعل ورد الفعل بين الحضارات، عمل آلي تقوم به الحضارات في محاولة الدفاع عن هويتها وأسسها ومقوماتها، وأما عن النزاعات والصدامات داخل الحضارة الواحدة، فيعتقد هنتنجتون أنها صدامات محتملة، لكنها أقل عنفا وخطورة من تلك التي تقع بين الحضارات، والسبب يعود إلى أن الاشتراك في نفس الثقافة والحضارة قد يخفف من شدة التوتر والنزاع.

"وكذلك تحدث النزاعات بين الدول والمجموعات داخل الحضارة نفسها، بيد أنه من المرجح أن تكون هذه النزاعات أقل حدة، وأن يكون احتمال توسعها أقل، مقابلة بنزاعات ما بين الحضارات، ذلك أن الانتماء المشترك إلى حضارة ما، يقلل احتمال العنف في مواقف كان يمكن أن يحدث فيها، لولا هذا الإنتماء الحضاري المشترك"[3].

---

* كرستوفر داوسن (1889_1970) باحث إنجليزي.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 79.

2- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 98.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 26.

هذا على المستوى المحلي، أما على المستوى العالمي فإنه من المتوقع وفقا للأفكار التي ذكرناها سابقا من أن الغرب يريد أن يفرض حضارته على الباقي باسم التحديث، فإن الغرب سيقف في جانب وباقي العالم في جانب آخر، وهو ما سيشكل ويرسم معالم العلاقات الدولية في المستقبل، من حيث ردود الفعل على الغرب وقيمه، "ومن المرجح أن يمثل المحور المركزي للسياسات العالمية في المستقبل _على حد تعبير **كيشوري محبوباني**_ في النزاع بين الغرب وبقية العالم، وردود الحضارات غير الغربية على القوة والقيم الغربية"[1].

وعلى الحضارات أن تؤمن بوجودها المتميز، وأن يتفاعل بعضها مع بعض، وعلى كل إنسان أن يعرف انتماءه وانتماء حضارته، رغم ما يشهده العالم من التحول نحو الكوننة والعولمة والعالمية فالحضارات كيانات ثقافية، لها حدودها وطبيعتها ومقوماتها وعلاقات بداخلها بين شعوبها، وإن لم تع الحضارات كل هذه المعطيات في تفاعل إيجابي، فإنها ستكون على هامش التاريخ، ويكون مصيرها الأفول والزوال، ومن هذا المنطلق "حذر "فردناند برودل" بحكمة على قدر اهتمام أي إنسان في العالم المعاصر، وعلى قدر رغبة أي إنسان أن يعمل فيه، فإن الأمر يستحق أن نحدد الحضارات القائمة اليوم على خريطة العالم، حتى يمكننا أن نعيّن حدودها، مراكزها ومحيطاتها وأقاليمها والهواء الذي يمكن أن تتنفسه هناك، والصيغ العامة والخاصة الموجودة والمرتبطة بها، وإلا فإن النتيجة لن تكون سوى التحنيط الفادح"[2].

ويعود هنتنجتون إلى أطروحته ليبين أن هويات حضارات معينة ستقضي على أخرى، وأن العولمة ستقود حتما إلى زوال ما يسمى بالدولة الأمة، بل إن نظريته تقوم على إثبات التنوع الهوياتي وأن هذا التنوع سيقود إلى صراعات مستقبلية، وإن الحضارات لا يمكن أن تحل محل الدول لتصبح كيانات سياسية لا ثقافية، وإن الشعوب داخل هذه الكيانات تسعى للتوحد لا للصراع.

"لا يقول هذا المقال إن الهويات الحضارية ستحل محل الهويات الأخرى، وإن الدول/الأمم سوف تختفي، وإن كل حضارة ستصبح كيانا سياسيا متماسكا موحدا، وإن المجموعات داخل حضارة ما لن تتنازع أو لن تحارب بعضها بعضا"[3].

فالاختلافات الجوهرية بين الحضارات، تشتمل على الدين والتاريخ واللغة، وربما أهمها هو الدين وكأن الصراع في حقيقته هو صراع الأديان، وفي ظاهره هو صراع طبيعي بين الحضارات والثقافات من حيث إن الصراع حتمية طبيعية لا يمكن أن تنتهي، ومن أدرك هذه الحقيقة فإنه نادى بضرورة حوار الأديان لا حوار الحضارات، لأن الحضارات ممثل للدين، يقول في ذلك **عبد الوهاب المسيري**

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 29.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 65.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 35.

في كتابه: "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان" "يؤكد هنتنجتون أن أساس اختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والحضارة والتقاليد، ولكن أهم العناصر طرا هو الدين...فكأن هناك صراعا حضاريا في العالم هو في واقع الأمر صراع ديني"[1].

ويلخص لنا هنتنجتون أهم مقومات الصدام الحضاري، معتبرا أن هذه المقومات تظهر في صراعات دول المركز في كل حضارة، وتظهر هذه الصراعات في محاولة فرض السيطرة والهيمنة والتحكم في دور المنظمات العالمية، كذلك قضية أسلحة الدمار الشامل، والتجارة العالمية، والتدخلات في الصراعات الإثنية، ومحاولة فرض قيم ثقافية معينة على الحضارات، ومحاولة التوسع على حساب أراضي حضارات أخرى، ومما يزيد من حدة الصراع، هو دخول الصراع حضارات لم تكن طرفا فيه ولهذا قلنا من قبل أن المعطيات غير الثقافية والحضارية، قد تشارك في ظهور الصراع والصدام بين الدول والأمم والحضارات، ويلخص هنتنجتون كل هذه المقومات الصدامية في قوله:

"على المستوى الكوني أو الكبير تحدث صراعات دول المركز بين الدول الرئيسية في الحضارات المختلفة، والقضايا في هذه الصراعات هي القضايا الكلاسيكية في الصراعات الدولية وتتضمن:

1. النفوذ النسبي في تشكيل التطورات الكونية، وأداء المنظمات العالمية، مثل الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.
2. القوة النسبية التي تتجلى في الخلاف حول سياسات عدم الانتشار، والتحكم في التسلح وسباقات التسلح.
3. القوة الاقتصادية والرفاه، والتي تتبدى في النزاع على التجارة والاستعمار، وقضايا أخرى.
4. أناس يستخدمون جهود دولة من إحدى الحضارات لحماية أقارب لهم في حضارة أخرى، أو للتفرقة ضد أناس من حضارة أخرى، أو لطرد أناس ينتمون إلى حضارة مختلفة من أراضيها.
5. القيم والثقافة التي تنشأ حوله الصراعات، عندما تحاول دول ما أن تتبنى أو أن تفرض قيمها على شعب حضارة أخرى.
6. وأحيانا أراضي تصبح فيها دول المركز مشاركة في صراعات خطوط التقسيم، هذه القضايا بالطبع هي مصادر الصراع بين البشر عبر التاريخ، وعندما تتورط في الصراع دول حضارات مختلفة فإن الاختلافات الثقافية تجعل الصراع أكثر حدة"[2].

---

[1]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دمشق، دار الفكر، ط2، 2003، ص ص162 _ 163.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 336_ 337.

ومما يزيد شدة الصراع، هو حصول تنافس بين الحضارات التي تلجأ إلى الدعم الحضاري من طرف الجماعات المنتمية إليها حضاريا، وأن تحاول أن تجد دعما من حضارة ليست طرفا في الصراع وتحاول أن تستخدم كل الوسائل للدفاع عن ذاتها والانتصار على الحضارة العدو، كأن تسعى لدول هذه الأخيرة من أجل إحداث انقسامات وتصدعات، تضعف من الحضارة المنافسة، وقد تصل النزاعات إلى حد استخدام القوة العسكرية، وهنا تظهر ما يسمى بالحرب الحضارية، أو الحرب بين الحضارات، مثل ما حدث في الشرق الأوسط وغيرها، ففي "منافسات بعضها مع البعض تحاول دول المركز أن تحشد جماعاتها الحضارية، وأن تحصل على دعم من دول حضارة ثالثة، وأن تتبنى الانقسامات في الحضارات المعارضة والخروج عنها، وأن تستخدم أقصى ما تستطيع...إلا أنه من غير المرجح أن تستخدم دول المركز القوة العسكرية مباشرة ضد بعضها الآخر إلا في مواقف مثل تلك التي حدثت في الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية، حيث يجاور بعضها البعض على خط تقسيم حضاري"[1].

ولقد خلقت الصراعات بين الحضارات بيئة عالمية جديدة، وتغيرت حركية التاريخ، بعد أن انتهى الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي، واعتقاد الغرب بانتصار الليبرالية، وقيمه وحضارته، إلا أن العالم الجديد، والتاريخ الجديد، أظهر نوعاً جديداً من الصراع، إنه الصراع الثقافي الحضاري، بدأ بتحديد كل حضارة خصائصها الثقافية، ليمتد هذا الصراع إلى التجارة والاقتصاد خاصة بين الدول الآسيوية والغرب، حيث بدأت القيود والتضييق التجاري والاقتصادي، فبدأت حرب غير معلنة يمكن أن نسميها الحرب الحضارية الباردة، تحولت إلى صدام حضاري.

"هذه البيئة العالمية المتغيرة، دفعت إلى الواجهة بالفروق الثقافية الأساسية بين الحضارتين الأسيوية والأمريكية...مصادر الصراع هذه موجودة في الاختلافات الأساسية في المجتمع والثقافة"[2].

وهنا يقول محمد سعدي الذي تناول أفكار هنتنجتون حول صدام الحضارات بالتحليل والنقد، أن هنتنجتون انطلق في أطروحته على أساس أن الحضارة هي العامل الذي سيتحكم في العلاقات الدولية بين الدول والأمم والحضارات، ورسم خريطة العالم سيكون لأول مرة مبنياً على أسس ثقافية حضارية يقول في ذلك محمد سعدي في كتابه: "مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام" "إن المنطلق المركزي المحرك لأطروحة صدام الحضارات، هو تبنيها الصريح لفكرة اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية، وبالتالي فالانقسامات

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 337.

2- المصدر نفسه، ص 364.

الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية، تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة"[1].

ويعود هنتنجتون إلى علماء الحضارات، ليؤكد أن هناك مقومات صداميه للحضارات حيث يؤكد وفقا لأفكار **كويجلي**، أن من طبيعة كل حضارة أن تنمو وتتوسع، مستخدمة في ذلك كل الوسائل تحاول النمو عسكريا واقتصاديا وجغرافيا، والحضارات تبدأ في الذوبان والزوال عندما تتوقف عن فعل ذلك، وعن الانتاج خاصة، يقول هنتنجتون: "في سنة 1961 كان كويجلي يقول: إن الحضارات تنمو لأن لديها آلية التوسع أو التنظيم العسكري، أو الديني أو السياسي أو الاقتصادي الذي يراكم الفائض ويستثمره في ابتكارات منتجة، الحضارات تنهار عندما تتوقف عن تطبيق الفائض على أساليب جديدة لعمل الأشياء، وهو ما نعبر عنه بمصطلحات حديثة عندما نقول إن معدل الاستثمار يقل"[2].

فالمعطيات العسكرية والاقتصادية والقوة، هي من بين أسباب الصراع بين الحضارات، لكن أكبرها وأهمها حسب هنتنجتون، هو القيم والمعطيات الدينية والثقافية بين الحضارات، وعليه كانت وستبقى "الفروق في القوة والصراعات على القوة العسكرية والاقتصادية والمؤسسية، هي أحد مصادر النزاع بين الغرب والحضارات الأخرى، وتمثل الاختلافات في الثقافة، أي القيم والمعتقدات الأساسية مصدرا ثانيا للنزاع"[3].

ففي الصراعات السابقة الإيديولوجية، كان الصراع فكرياً بين الغرب والشرق، إلا أنه لم يكن يخلو من معطيات ثقافية، وقد تم حل بعض الاختلافات أو الصراعات، لكن الاختلافات الحضارية تضرب بعمقها في التاريخ، ويصعب حلها كما في حالة القدس، لأن المكان يحمل رمزية دينية، وله بعد ثقافي تاريخي، وعليه تحمل القضايا الثقافية إجابات قطعية بنعم أو لا، وهنا تكمن صعوبة حلها، إن "الصراع بين الجماعات المختلفة، قد يتضمن أيضا قضايا ثقافية، الاختلافات في الإيديولوجية العلمانية بين الماركسية اللينينية والديمقراطية الليبرالية، يمكن على الأقل أن يكون محل جدل، إن لم يتم حلها...نفس الأمر بين اليهود والعرب بخصوص القدس، طالما أن المكان له مغزى تاريخي وثقافي وعاطفي عميق لدى كل طرف...إجابات الأسئلة الثقافية من هذا النوع هي إما "لا" أو "نعم" ولا يوجد خيار آخر"[4].

---

[1]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006، ص 14.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 499_500.

[3]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 33.

[4]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 211.

فالصراع حقيقة كونية، وظاهرة طبيعية، وعلى أسسه يفكر ويعمل الإنسان، كذلك فإن الناس يندفعون للعمل تحت فكرة العدو، وعادة ما يثق الناس في المتفقين ثقافيا وحضاريا، ولا يثقون في المختلفين عنهم، بل إنهم ينظرون إلى الآخر على أنه العدو ومركز للشر، ويجب أن يحارب وتُرفض قيمه وحضارته، إن فكرة "النحن والهم" هي المسيطرة اليوم في عالم الحضارات، وعليه فإن "كلية وجود الصراع الكوني شيء إنساني، ولتعريف النفس ودفعها يحتاج الناس إلى أعداء: منافسين في العمل خصوصا في الإنجاز وفي السياسة، ومن الطبيعي ألا يثق الناس في المختلفين عنهم، ومن لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم، بل يرونهم خطرا عليهم، حل صراع ما أو اختفاء عدو ما، يولد قوى شخصية واجتماعية وسياسية، تؤدي إلى نشوء صراعات جديدة أو أعداء جدد، نزعة الـ "نحن" والـ "هم" كما يقول: "**علي المرزوقي**" عامة تقريبا في عالم السياسة، الـ "هم" في العالم المعاصر، وعلى نحو متزايد هم أناس ينتمون إلى حضارة أخرى، انتهاء الحرب الباردة لم يضع نهاية للصراع بين الجماعات التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، والتي هي على المستوى الأوسع حضارات"[1].

ومن هذا المنطلق، منطلق "النحن والهم" فإن القضايا المتنازع حولها ستحدد ثقافيا، وربما هذا يدفع بالجماعات المنتمية إلى نفس الحضارة إلى التماسك أكثر، مما يقوي الروابط الحضارية بينها وبالمقابل تنمي العلاقات الحضارية بهذا المفهوم، نوعاً من عدم الثقة والتربص بالغير، مما يخلق جوا مشحونا وحالات الترقب واللاأمن، وتصف حضارة حضارة أخرى بأنها تمثل قوى الشر، وغير ذلك.

"ومع إزدياد العنف، فإن القضايا المتنازع عليها تجنح إلى أن يعاد تحديدها على وجه الحصر بـ "نحن" و"هم" حيث يتعزز تماسك الجماعة والتزامها...بقوى الوعي بالحضارة في علاقتها بالهويات الأخرى ويظهر"محرك ضغينة" يشبه "مأزق الأمن" في العلاقات الدولية حيث تتغذى المخاوف المتبادلة وعدم الثقة والضغائن بعضها على البعض، كل جانب يعبّر عن الاختلافات بين قوى الخير وقوة الشر ويعظمها، وفي النهاية يحاول أن يحوّل هذه الاختلافات إلى تمييز نهائي بين السريع والميت"[2].

وفي الأخير، يمكن أن نقول بأن مقومات الصدام الحضاري وفق النظرة الهنتنجتونية، هي مقومات تقوم على المختلف الثقافي، وأكبر ما يمثل هذا المختلف هو الدين، لكن الملاحظ أن الدين استخدمه هنتنجتون مع الإسلام، وربما مع الكونفوشيوسية، وليس مع باقي الحضارات، كما أنه يتجاهل أن تركيبة الفكر الغربي تجعله يفكر بلغة الصدام لا بلغة الحوار، وهذه التركيبة جعلته يتعامل بلغة المهيمن، ولغة القوي على باقي الحضارات، "ولا بد من ملاحظة أن هنتنجتون استعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات فقط مع الإسلام وحده، أما الحضارات الأخرى فهو ينسبها إلى شيء آخر غير

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص211_ 212.

[2]- المصدر نفسه، ص 431.

الدين، وهو أيضا يغض الطرف عن الروح الصدامية الصراعية الموجودة في بنية الفكر الغربي الحديث، التي غذت نظرة الصراع عند الغرب في تعامله مع الحضارات الأخرى"[1].

فالغرب يقف موقف حذر من باقي الحضارات، فتراه مرة يعتبرها حضارات هامش بالنسبة الى حضارته، ومرة يعتبرها بمقوماتها قوة وخطرا، خاصة الحضارات التي تقوم على جوهر ديني، ومن هنا فالصدام حقيقة قائمة في تفكير الغرب، ولذا نجده يحاول ان يهيمن ويسيطر على العالم، ومن جهة يخلق بؤر توتر وصراعات داخل دول هذه الحضارات من اجل اضعافها ومنعها من النهوض، انها الاستراتيجية الغربية التي يمكن ان تكون ديناميكية حيوية لمنع بروز اي حضارة يمكن ان تتحدى الغرب، بل وتقوده الى الزوال والأفول.

---

[1]- إبراهيم الناصر، الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، الرياض، مجلة البيان، 1429هـ، ص08.

خاتمة:

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الحضارة من المفاهيم الأكثر استعمالا وأكثرها غموضا، وأن المفهوم اللغوي يركز على التمييز بين الحضر والبادية، أما المفهوم الاصطلاحي للحضارة، فإنه يعني كل ما أنتجه الإنسان وابتدعه بعقله ويده، في تحديه الطويل للطبيعة ومقاومته لها، وهنا نجد الكثير يقصر مفهوم الثقافة على ما هو معنوي، بينما يطلق مفهوم الحضارة على ما هو مادي، إلا أن فريقاً آخر يرى بأن الحضارة ماهي إلا التعبير المادي للثقافة، وأنه لايمكن الفصل بين البعد الروحي والمعنوي والمادي لأي حضارة مهما كانت.

ومن هذا فإنه لا توجد حضارة بل حضارات، تمتاز بالإختلاف والتنوع والتعدد، ولو أن الكثير لا يميز بين الحضارة والثقافة، ومن بينهم هنتنجتون، هذا الأخير يفرق بين الحضارة بمفهومها المفرد والحضارات بصيغة الجمع، متبعا في ذلك المفكرين الألمان، رغم أنه ينتمي إلى الفكر الأمريكي، ومن الحقائق التي آمن بها هنتنجتون في مفهومه للحضارة أن الحضارة كآئن ينمو ويتطور، ويمر بمراحل النمو والقوة، ثم الأفول والزوال، وهو قانون الطبيعة الذي لا تحيد عنه أي حضارة مهما كانت ومنها الحضارة الغربية، ولهذا نجده يؤكد العناصر الجوهرية التي تبنى عليها أية حضارة، مركزا على عناصر الحضارة الغربية، معتبرا أياها أرقى حضارة وصلت إليها البشرية، وأن عناصرها المؤسسة لها هي ما جعلها متفردة وعالمية، ومن هنا بسط الغرب بحضارته هيمنته وسيطرته، وإن البشرية قد وصلت الى أرقى حضارة في التاريخ.

وبما أن هناك حضارات إلى جانب الحضارة الغربية، فإن هنتنجتون يرى فيها حضارات تقف على هامش التاريخ لأن الحضارة الغربية هي المحرك للتاريخ باعتبارها مركزا، ومن هذا التمايز بين الحضارة الغربية وباقي الحضارات، فإن العلاقات بينها ستقوم على فلسفة الصدام والصراع، بين حضارة تريد أن تعمم وتعولم نموذجها الحضاري، وأخرى تقاوم الغزو الحضاري الغربي، مما أدى بباقي الحضارات إلى أن تعود إلى هوياتها الثقافية والحضارية للتمسك بها، وهنا يرى هنتنجتون أن الحضارة هي أرقى شكل معبّر عن الهوية، وأن الناس سيقاتلون من أجل الدفاع عن هويتهم الحضارية، وأكبر معبّر عن الهوية الحضارية هو الدين، فهو عامل وحدة وتفرق في نفس الوقت، إلا أنه يجمع الشعوب ويوحدها عندما تشعر بالخطر، خاصة شعوب القربى الثقافية، وإن النزاعات بين تلك الشعوب تزول في مقابل الصراعات الحضارية الكبرى، إننا نعيش عصر التحولات والتغيرات حيث أصبحت الثقافة والحضارة هما المحدد الرئيس للعلاقات بين الأفراد والشعوب، وانتهى زمن الإنتماءات الإيديولوجية، ومن هنا فإننا نشهد إعادة صنع نظام عالمي، ترتكز فيه العلاقات على الثقافة والحضارة، ونشهد بالتالي صدامات بين الثقافات والحضارات، وسيجد فيها الغرب نفسه في وضع الصراع بين البقاء أو الزوال.

الفصل الثاني

أطروحة صدام الحضارات

مقدمة

المبحث الأول: إعادة التشكيل الثقافي للسياسة الكونية

المبحث الثاني: صدام الحضارات بين بقاء الغرب واضمحلاله

المبحث الثالث: الغرب وحضارات التحدي

المبحث الرابع: صدام الثقافات والهويات الثقافية

خاتمة

الفصل الثاني: أطروحة صدام الحضارات.

مقدمة

بما أن الإنسانية قد عرفت في تاريخها حضارات مختلفة ومتنوعة، ربطت بينها علاقات التفاعل والتلاقح، وبما أن الحضارة هي الشكل الأعلى للهوية التي تعبّر عن الإنسان وما أبدعه في التاريخ فإنه لاتوجد في الحقيقة حضارة استقلت بنفسها، سواء في ظهورها أو نموها أو قوتها، فكل حضارة اقتبست من الحضارات التي كانت في زمانها، وهذا هو ما يسمى بالتثاقف الحضاري والذي يستتبعه التعاقب الحضاري، كما أن التاريخ لم يذكر أن حضارة أفنت حضارة أخرى، بل الحضارات تمر بأعمار الولادة والشباب ثم الكهولة فالموت.

وعلى اعتبار أننا نعيش في عصر جديد سيطرت فيه الحضارة الغربية، التي حاولت أن تهيمن على باقي الحضارات معتبرة نفسها مركزا وباقي الحضارات هامشا، فقد ظهر نوع من الصدام والصراع بين الغرب وباقي الحضارات، فجاءت بالتالي أطروحة صدام الحضارات، التي نظّر لها المفكر والفيلسوف الأمريكي صموئيل هنتنجتون، ولو أنه في الحقيقة فكرة صدام الحضارات كان قد طرحها قبله برنارد لويس و**المهدي المنجرة**، فالصراع معطى طبيعي ولكن هناك صراعاً مفتعلاً إفتعلته الحضارة الغربية بعد أن زال الخطر الشيوعي، لأن الغرب لا يفكر إلا بعقلية ضرورة وجود عدو، فبعد أن أعلن هذا الفكر عن نهاية التاريخ بشّر بظهور صدام بين الحضارات، وأن العالم سيشهد نوعاً جديداً من الصراع أساسه الثقافة والحضارة، ولو أن الغرب يبني فكرة الصدام على الحضارات، إلا أنه في الحقيقة هو صراع مصالح، فللحفاظ على تفوقه وهيمنته، نظّر الغرب لأطروحة صدام الحضارات وكذلك من أجل فرض قيمه الحضارية على الباقي، بل وجعلها نموذجاً لباقي الحضارات، إنه براديغيم الأحادية القطبية، التي لا تعترف بالتنوع والتعدد في عالم الحضارات.

ومن هنا فإن الغرب، انطلق في تشكيل عالم جديد يقوم على فكرة الحضارة الواحدة المهيمنة ومحاولة عولمتها وعولمة قيمها معترفا بأن الصراعات المقبلة ستحمل طابعا ثقافيا حضاريا، وحتى يحافظ الغرب على قوته وبقائه لا بد من خلق صراعات داخل باقي الحضارات تحمل طابعا هوياتيا وتحريك أهم عناصر الهوية الموقظة للصراعات ألا وهو الدين، ولكن من منطلق الفعل ورد الفعل فإن باقي الحضارات قامت بإحياء الثقافات المحلية والدين في مواجهة الغزو الغربي لكن ذلك أوقعها في أزمات في الهوية لأنها وجدت نفسها مختارة بين التغريب والتحديث، أو التمسك بالهوية والمحلية فحدثت بداخلها صراعات وصدامات، ومن هنا يمكن أن نصنف الصدام إلى مستويين: مستوى محلي داخلي ومستوى عالمي كوني، وإن الصدام الكوني، هو أخطر أنواع الصدام وفق الطرح الهنتنجتوني وهو سيكون على خطوط التقسيم الحضاري، ولقد بدأت معالمه تتضح، في ما سمي بالحرب الباردة الثانية، بين الغرب والباقي، وهنا يمكن أن نتساءل، ما المقصود بالصدام بين الحضارات؟ وكيف

سيرسم لنا خارطة سياسية ثقافية عالمية جديدة؟ وهل الصدام بين الغرب والباقي؟ وهل سيشكل نقطة نهاية الغرب؟ وهل نشهد صدام هويات؟ وهل الصدام هو صدام حضارات، أم هل هو صدام ثقافات أم هل هو صدام أديان؟

المبحث الأول: إعادة التشكيل الثقافي للسياسة الكونية:

تعد الثقافة من أهم الخصائص التي تميز أمة عن أخرى وحضارة عن غيرها، فهي تعبّر عن هويتها وشخصيتها وذاتيتها، ولقد شكلت الهويات الثقافية الحرب الباردة الثانية، بعد الحرب الباردة الأولى التي كانت بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، إلا أنها حرب تقوم على الصراع، لأن الأولى كانت حربا إيديولوجية، أما الحرب الحضارية الثقافية، فإنها بنيت على أسس الهوية والثقافة، ولقد رسمت هذه الحرب الجديدة معالم عصر ما بعد الإيديولوجيا، وشكلت سياسة كونية جديدة يسميها هنتنجتون بالسياسة الثقافية، أي أن الثقافة هي التي أصبحت تشكل السياسي، بمعنى أن الحرب الحضارية والثقافية التي ميزت عالم الأحادية ونهاية التاريخ، هي حرب رسمت خطوط تقسيم ثقافية جديدة بين الدول والأمم والشعوب، بنيت على خصائص كل ثقافة ومميزات كل حضارة، فالانتماءات الحضارية اليوم، هي التي أصبحت تحدد من نحن ومن هم، لقد أصبحت الثقافة عاملاً تبنى عليه العلاقات بين الدول.

والمقولة التي نجدها عند هنتنجتون، وهي أن المسيطر اقتصاديا وعسكريا مهيمن ثقافيا، ونتيجة لعملية التحديث التي قامت بها بعض الشعوب، ورفضتها شعوب أخرى، لأنه في اعتقادها التحديث يعني التغريب، فإن الثقافة أصبحت عاملاً أساسيا في تماسك أو تفسخ أو صراع بين الحضارات في عالم اليوم، عالم العولمة والأحادية، وأصبحت الثقافة هي التي ترسم معالم سياسة كونية على أساسها تحدد الانتماءات الحضارية والثقافية، وترسم شكل السياسات الدولية، المعبرة عن الحوار أو الصراع بين الحضارات، "إن الثقافة والهويات الثقافية، والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة"[1].

فالهوية الثقافية هي العامل الموحد للجماعات التي تنتمي إليها، كما أنها عالم مميز للجماعات التي تختلف عنها، وعليه إذا زالت الهوية زالت معها المجتمعات التي تنتمي إليها، وإن ادعاء الغرب بأن قيمه الليبرالية عالمية، وأنها مبنية على الانفتاح لا الانغلاق، فإن هذا يعني أنه يقبل الثقافات المضيفة، وهذا في نظر هنتنجتون يمثل خطرا على هوية الحضارة الغربية، وقد يكون أحد الأسباب في أفول الغرب، و"الهوية الثقافية التي توحد حياة الجماعات التقليدية أو القبلية، والأعراف والشعوب

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 37.

والأمم، وإذا دحض هذا الرصيد من الهوية الملازم للمجموعات البشرية كونية المجتمع الليبرالي، فإنه ينشط الثقافات المضيفة أيضا"[1].

فالسياسة كعامل محرك مغير في العالم شهدت تغيرا جوهريا، حيث ارتبطت بالثقافة، وأصبح الصراع الأساسي ثقافياً حضارياً، والعكس صحيح، فقد ولّدت العلاقات الثقافية الجديدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، سياسات جديدة، وأنماطاً وعلاقات ثقافية جديدة، بنيت على أساس الانتماء، كما ارتبطت بميزان القوة، وأصبح الصراع أساسه السعي وراء امتلاك أكبر لوسائل القوة، وعلى هذا الأساس بنيت العلاقات الدولية، فإذا كانت علاقات القوة في الحرب الباردة ثنائية، فإن اليوم أصبحت متعددة لتعدد الحضارات والهويات الثقافية، ولانتهاء الصراع الإيديولوجي، وبداية الصراع الحضاري لانتهاء الاستعمار التقليدي، وعودة الأمم والدول إلى مقوماتها الحضارية، وعليه "تبدلت السياسة العالمية خلال العقد الماضي تبدلا أساسيا بطريقتين: الأولى أنه أعيد تشكيلها على نحو جوهري وفق خطوط ثقافية وحضارية...والثانية أنها ترتبط دوما بالقوة والصراع من أجل القوة، وأن العلاقات الدولية تتبدل اليوم وفق ذلك البعد الحاسم، فالبنية الكونية للقوة في الحرب الباردة كانت ثنائية القطب بصورة أساسية، في حين أن البنية التي تتكون اليوم مختلفة تماما"[2].

فالفروق والسمات الثقافية الجوهرية، ستؤدي دورا حاسما في تطور المجتمعات وتحديد مصيرها كما أنها سترسم معالم السياسة الثقافية الكونية في المستقبل، وحتى ما يعرف بالهويات القاتلة والمتمردة عليها أن تعيد تحديد انتمائها، وستشارك في الأزمة الحضارية الراهنة.

وهنا يقر هنتنجتون بحقيقة تاريخية وهي أنه لأول مرة في التاريخ، نشهد ما يعرف بتعدد الثقافة الكونية التي أدت إلى تعدد الهويات والأقطاب والحضارات التي تمثلها، "ولأول مرة في التاريخ نجد الثقافة الكونية متعددة الأقطاب، ومتعددة الحضارات"[3].

وبهذا يعود هنتنجتون إلى البحث عن كيف انتقل العالم من تعددية حضارية الى ثنائية ثم إلى أحادية، ومن صراع أيديولوجي إلى صدام حضاري، حيث ينطلق من فعل التحديث، فالحضارة الغربية آمنت بالتحديث ووصلت إلى مستويات عالية من الحداثة، لكن ذلك التحديث ارتبط في الوقت نفسه بمقومات الحضارة الغربية، فهو في الحقيقة خلق مجتمعا حديثا وليس كونيا، وعلى هذا الأساس فإن الحضارات التي أخذت بالتحديث كانت تخشى التغريب، لأنه يمثل خطرا على هويتها الثقافية، رغم أن هنتنجتون يؤمن بأن "التحديث مختلف بدرجة بينة عن التغريب، ولا ينتج حضارة كونية بأي معنى، ولا يؤدي إلى

1- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص 38.

2- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، ترجمة هشام الدجاني، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 96، سنة 1999، ص 06.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 47.

تغريب المجتمعات غير الغربية، يقول فاكلاف هافيل "الصراعات الثقافية تتزايد، وهي الآن أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ" ويتفق "جاك ديلور" في أن "الصراعات المستقبلية سوف تشغلها عوامل ثقافية أكثر منها اقتصادية أو ايديولوجية، "كما أن أخطر الصراعات الثقافية هي تلك التي على طول خطوط التقسيم الحضاري في عالم ما بعد الحرب الباردة، الثقافة قوة مفرقة ومجمعة في الوقت نفسه، الشعوب التي تفصل بينها الإيديولوجيا تجمع بينها الثقافة وتقرب بينها، كما فعلت الألمانيتان والكوريتان، وكما بدأ يحدث بين أكثر من صين"[1].

فالعالم يشهد أخطر مرحلة في صراعاته التي عرفها، إنها مرحلة الصراع الثقافي الذي سيكون على طول الخطوط الحضارية، والثقافة هي أهم عامل فيه، لأنها سلاح ذو حدين، إنها عامل مجمع تجعل الجماعات الثقافية التي تنتمي لنفس الحضارة تتجمع وتشعر بهويتها، وتقف موحدة في وجه أي تهديد، كما أنها عامل مفرق، أي تفرق الشعوب التي تتمايز ثقافيا، وبالتالي تتمايز هوياتيا، وعملية تأكيد الهوية تعود لعدة عوامل كالصراعات التي تقع بين المجموعات الثقافية المتمايزة، وكذلك كرد فعل على الغزو الثقافي من طرف ثقافة أو حضارة مختلفة، وكذلك اختلاف الثقافتين في الدين، لأن هذا الأخير يعد عاملا حاسما في الشعور بوحدة الانتماء، كما أن الثقافات تنهض لتدافع عن قيمها وخصائصها في وجه الثقافات الغازية، التي تعتقد بأنها أفضل أو عالمية، وأن قيمها أفضل، ويجب أن تسود، وعليه "تتم إعادة تأكيد الهوية الثقافية...عن وعي حاد بأهمية الهويات العرقية والثقافية، في إعادة البناء المتوازن لمجموعات ثقافية أوسع...إن الكونية لا يسعها إلا أن تكون بين الثقافات وبالتالي بين الجماعات"[2].

وهذه الجماعات التي تنتمي لنفس الثقافة، تكون بينها روابط وصلات تتعاون اقتصاديا وسياسيا من حيث إنها تسعى للوحدة الاقتصادية المتوافقة مع وحدتها الثقافية، كما أن سياساتها تسعى لأن يطبعها طابع التكامل، وتصبح تلك الاتحادات منظمات دولية، تؤثر في السياسة الثقافية الكونية، فنحن في زمن التكتلات التي تسعى من خلالها الأمم إلى تأكيد هويتها والدفاع عن حضارتها، وكما يقول هنتنجتون عن هذه السياسة الثقافية الكونية، إن "الدول التي بينها صلات قربى ثقافية تتعاون اقتصاديا وسياسيا، المنظمات الدولية التي تعتمد على دول بينها عناصر ثقافية متماسكة مثل الاتحاد الأوروبي أكثر نجاحا من تلك التي تحاول أن تتجاوز الثقافات"[3].

فلقد تجاوزت الصراعات الدولية اليوم الصراعات الطبقية، أو القومية إلى صدامات أعنف وأكبر إنها صدامات عرقية وإثنيه، وربما تمظهرت هذه الصراعات بمظاهر محاولة الحد من أسلحة الدمار

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 47.

[2]- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص ص38_ 39.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 47.

الشامل، ونشر ثقافة التسامح والسلم، والقضاء على الأمية والجوع، إلا أنها في باطنها، محاولة لاحتكار وسائل القوة ونشر ثقافة الهيمنة، والقضاء على الخصوصية الثقافية والحضارية، وخلق مجتمعات هجينة أو موالية، ونشر قيم معادية لقيم الثقافات الأخرى، والادعاء بعالميتها وكونيتها.

فالهيمنة العسكرية والاقتصادية والتجارية للغرب جعلت منه قوة عظمى، خصوصا بعد زوال المنافس الإيديولوجي للغرب، ألا وهو الاتحاد السوفياتي، وقد عد ذلك فوكوياما نهاية للتاريخ، بمعنى أن انتصار الليبرالية وانحسار المد الشيوعي جعل الغرب القوة العظمى الوحيدة، مما خلق للغرب عقدة التفوق، وأصبح الغرب ممثلا للأمم في نزاعاتها ومهيمنا على المنظمات الدولية، إلا أن هنتنجتون يرى أن القوى العظمى الوحيدة هذه لم تدم وظهرت قوى عظمى أخرى، يمكن أن يكون لها تأثير في السياسة الكونية، وهنا بدأ تشكل جديد لعالم جديد، حيث "توجد اليوم قوة عظمى وحيدة، ولكن هذا لا يعني أن العالم بات عالما وحيد القطب، فالنظام أحادي القطب يعني وجود قوة عظمى وحيدة، من دون قوى كبرى ذات شأن، مع وجود كثير من القوى الصغيرة، وبالتالي فإن القوة العظمى هذه تستطيع أن تحل على نحو فعّال قضايا دولية مهمة بمفردها، ولا يستطع تحالف من دول أخرى أن يمنعها من ذلك...أما النظام الثنائي القطب، كالذي كان سائدا في فترة الحرب الباردة، فهو نظام قام على وجود قوتين عظيمتين...أما النظام متعدد الأقطاب، فهو نظام يضم دولاً كبرى عدة ذات قوة متشابهة تتعاون وتتنافس فيما بينها"[1].

وإن الفرق بين العالم الذي كان يضم قوتين عظيمتين متصارعتين وعالم اليوم، يكمن في أن عالم اليوم يضم مجموعة من الدول العظمى، أو كما يسميه هنتنجتون عالم متعدد الأقطاب متعدد الحضارات، وعلى أساس هذا التعدد فقد اختلف نوع الصراع والصدام بين هذه القوى، وعليه فقد آمن هنتنجتون بالدور المحوري والجوهري الذي تؤديه وستؤديه الثقافة في هذا العالم متعدد الحضارات، من حيث إنها مرتبطة بالاقتصاد والتجارة وغيرها، وإذن فقد أصبحت عاملا مشاركا بفعالية في تطور أو تخلف الدول والأمم والواقع أن معظم العلماء والمفكرين منذ القديم أكدوا الدور الذي تؤديه الثقافة في تنمية الدول أو تخلفها يقول هنتنجتون: "لقد أصبحت أكثر فأكثر اقتناعا بأن الثقافة تلعب دورا معتبرا في تنمية أو تخلف دولة ما، وبدأت التفكير في الثقافة وعلاقتها بالاقتصاد وانتشار الديمقراطية"[2].

وهنا يقدم هنتنجتون توصيفا عاما للسياسة الدولية المعاصرة، التي تشهد نظاما واحدا، ربما يقصد به النظام الدولي الجديد المعولم، إلا أنه في نفس الوقت هو عالم متعدد الأقطاب، وهنا ينفي وجود أحادية قطبية كونية، فالغرب وحضارته منفردا وليس كونيا أو عالميا، وعليه "لا تتوافق السياسة

[1]– صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص ص 06 _ 07

[2]– محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 117.

الدولية المعاصرة مع أي من هذه النماذج الثلاثة، إنها هجين غريب، نظام وحيد متعدد الأقطاب، ذو قوة عظمى وحيدة وعدد من القوى الكبرى"[1].

فبعد انتهاء الصراع الإيديولوجي، عرفت السياسة الكونية نوعين من التغير، فقد رسمت معالم عالم جديد على أسس جديدة، ممثلة في الثقافة والحضارة أو الانتماء الهوياتي، كما ارتبطت هذه السياسة بعامل القوة، وعلى هذين الأساسين أو العاملين تحددت مختلف الصراعات في العالم المعاصر.

لقد "عرفت السياسة العالمية في العقد الأخير تغييرين أساسيين، أولا أعادت التشكيل على المستوى الثقافي والحضاري...السياسة العالمية مرتبطة بالقوة والصراع من أجل القوة"[2].

وفي نظر هنتنجتون أن وجود قوة عظمى وحيدة مهيمنة، في الحقيقة ذلك ليس في صالحها ويقصد هنا الغرب، لأن عالم اليوم متعدد الأقطاب، حتى وإن افتقر إلى قوة عظمى منافسة، ووجود هذه القوة المنافسة هو في صالح الغرب، لأن وجود منافس، يساعد على بقائه، وهنا نجد مفكري الغرب يتبنون فكرة ضرورة وجود عدو، والذي على أساسه تبنى العلاقات الدولية المعاصرة، وتصورهم هذا كان حول الإسلام، "إن القوة العظمى أو المهيمنة في نظام وحيد القطب، تفتقر إلى قوى كبرى تتحداها، تكون قادرة عادة إلى المحافظة على سيطرتها على الدول الصغيرة، حتى يصيبها الضعف بسبب الاضمحلال الداخلي، أو بسبب قوى من خارج النظام...أما في النظام متعدد الأقطاب، فإن كل دولة قد تفضل أن تكون نظاما وحيد القطب قائما بذاته، بوصفها القوة المهيمنة الوحيدة"[3].

ولكن هنتنجتون رغم إيمانه بعالم متعدد الأقطاب، إلا أنه يؤمن بالمقابل بوجود قوة عظمى وحيدة هي الغرب وبالتحديد ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يؤكد أنه "لا توجد الآن إلا قوة عظمى واحدة ولكن هذا لا يعني أن العالم الحالي أصبح أحادي القطبية، إن نظاما أحادي القطبية سيستمر بقوة عظمى واحدة، وبعدم وجود أية قوة كبيرة، وبعدة قوى صغيرة"[4].

إنه عالم متعدد الأقطاب، كل نظام فيه يسعى لأن يكون قطبا أحاديا، وربما النظام الأحادي القطب اليوم تجسد في الولايات المتحدة الأمريكية، التي ترى في هذا النظام رمز الهيمنة والتفوق الحضاري والثقافي والعسكري والاقتصادي، وهي ترفض أي قوة عالمية صاعدة كالصين، في حين أن القوى الأخرى الناشئة تفضل عالماً متعدد الأقطاب وإن تعددت توجهاتها ومخططاتها، إلا أنه يحفظ مصالحها ويحد من الهيمنة الغربية الأمريكية.

1- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص 07.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 201.

3- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص 07.

4- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 201.

"ففي كل نظام من هذه الأنظمة، كان لأقوى اللاعبين مصلحة في المحافظة على النظام، ويبدو هذا أقل مصداقية في النظام أحادي القطب، فالولايات المتحدة تفضل بوضوح نظاما أحادي القطب تكون فيه القوة المهيمنة، وأن تعمل غالبا كما لو أن هذا النظام قائم فعلا، من جهة ثانية فإن القوى الكبرى تفضل نظاما متعدد الأقطاب، تستطيع في ظله أن تتابع مصالحها...وهي تشعر بالتهديد جراء ما تراه من سعي أمريكا المتواصل للهيمنة على العالم"[1].

فسعي الغرب والولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد نظام أحادي، وفق النظرة الغربية يجعل من القوة الكبرى ممثلا لباقي الحضارات، وما على هذه الأخيرة إلا أن تسعى، على النقيض لأن توجد عالماً متعدداً يؤمن بالاختلاف والتنوع، والملاحظ أن هذه القوة العظمى تختبئ تحت اسم العولمة وتحاول أن تجعل من العولمة المظلة التي يجب أن تستظل بها جميع الحضارات، فهي في ظاهرها تدّعي تقريب المشترك الانساني بين الشعوب، وتقليص المسافات، وإحياء روح الحرية والمساواة والتسامح والسلم ونشر الديمقراطية، أما في داخلها فهي فرض الهيمنة، ومحاولة الوقوف في وجه أي قوة تحاول النهوض والريادة، "إن جهود القوى العظمى لخلق نظام وحيد القطب تحفز مجهودا أكبر من جانب القوى الكبرى للتحرك نحو نظام متعدد الأقطاب، والحق أن جميع القوى الإقليمية الكبرى تؤكد على نحو متزايد تعزيز مصالحها المتميزة بنفسها، وهي المصالح التي تصطدم غالبا بمصالح الولايات المتحدة"[2].

فالسياسة الكونية على حد تعبير هنتنجتون، هجينة من نظام أحادي ومتعدد القطبية، من حيث إنه يتكون من قوة عظمى هي الولايات المتحدة الأمريكية، وقوى كبرى ممثلة في باقي الحضارات ونتيجة لغياب عدو واضح في السياسة الكونية، فإن القوة العظمى تسعى لفرض هيمنتها، إلا أن تظهر قوة عظمى منافسة، أو كما يعتقد شبنغلر بأفول الغرب، هذا الأفول إن حدث سيكون بسبب الانحلال من الداخل للحضارة الغربية، وكأن هنتنجتون يؤمن بالتفسخ أو الانحلال الذاتي، معتبرا أن الغرب لن يحدث له زوال بواسطة قوى خارجية، كما حدث في التاريخ لحضارات سابقة.

"يقول هنتنجتون: السياسة الدولية الراهنة...عبارة عن نظام هجين أُحادٍ متعدد القطبية، يتشكل من قوة عظمى وعدة قوى كبرى...ولغياب الخصم، فإن القوة العظمى أو القوة المهيمنة، هي عادة قادرة في نظام أحادي القطبية الحفاظ على هيمنتها على الدول الصغيرة لمدة طويلة، وحتى تصاب بالضعف بفعل انهيار داخلي أو بروز قوى خارجة عن النظام"[3].

1- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص 07.

2- المصدر نفسه، ص 08.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق ص ص 202_203.

والسياسة الكونية اليوم متعددة الحضارات، ويقدم هنتنجتون مثالا عن دولة تحسب للغرب، يمكن أن تكون قوة خارجة عن النظام تحاول أن تكون منافسا للولايات المتحدة، ألا وهي فرنسا، التي يمكن أن تقيم تحالفا مع روسيا، إلا أن هنتنجتون مقتنع بأن هذا التحالف لن يكون، والسبب هو الاختلاف التاريخي والثقافي والحضاري بين الدولتين، وسنعود إلى فكرة تحالف الحضارات عند هنتنجتون في الفصول القادمة.

إن"السياسة العالمية اليوم هي سياسة متعددة الحضارات، وقد يكون لدى كل من فرنسا والصين وروسيا مصالح مشتركة في تحدي الهيمنة الأمريكية، ولكن ثقافاتها المختلفة قد تجعل الصعوبة بمكان لهذه الدول أن تنظم تحالفا فعالا"[1].

فالسياسة الكونية اليوم هي سياسة متعددة حضاريا، وإن الحديث عن هذا التعدد وتأكيد وجود قوة عظمى وحيدة، وعالم متعدد الأقطاب، هو إشارة من هنتنجتون إلى وجود صدام للحضارات لأن ما يجعل هذا قائما هو أن هذه المعطيات تجعل العالم متعدد الأقطاب أو الحضارات في حالة دفاع عن هويتها، وفي حالة خوف وتوجس من القوة العظمى، مما يجعلها تبحث عن مصادر القوة ومن خلال هذا نقول: "إن تمثيل هنتنجتون للسياسة العالمية بأنها صدام للحضارات، تمثيل مزعج لسبب بعينه هو أنه يعتمد على أفكار أساسية، وبالتالي قوية جدا عن الهوية والخوف والاختلاف والقوة"[2].

والنتيجة التي يصل إليها هنتنجتون من خلال تكلمه على العالم متعدد الأقطاب، وما يحدث في السياسة الكونية، أن للثقافة الدور المحوري في رسم معالم العلاقات بين الدول والحضارات، وأنه على أساسها تحدد أنماط التفاعل والتصارع والتحالف بين الحضارات في عالم اليوم، وفي المستقبل حيث سيقع تحالف حضاري محتمل بين الحضارات التي تمتلك ثقافات متقاربة، في حين سيفتح المجال للصدام بين الحضارات التي تمتلك ثقافات مختلفة، أما دور القوة العظمى أو الغربية أي الولايات المتحدة، فيكمن في محاولة التحالف مع القوى التي تشترك معها في المصالح، وليس الثقافة من أجل مصلحتها، هذا من جهة، ومن أجل الوقوف في وجه تلك التحالفات المحتملة لباقي الحضارات من جهة أخرى.

"إن التفاعل ما بين القوة والثقافة، سيصوغ على نحو حاسم أنماط التحالف والتنازع بين الدول في السنوات المقبلة، وفي مجال الثقافة فإن التعاون يبدو أكثر احتمالا ما بين الدول ذات الثقافات المتقاربة، أما التنازع فيبدو الأكثر احتمالا بين الدول ذات الثقافات شديدة التباعد، وفي مجال القوة فإن

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص ص 14_15.

[2]– المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص 195.

للولايات المتحدة والقوى الإقليمية الثانوية مصالح مشتركة في تحجيم سيطرة الدول الكبرى في مناطقها"[1].

فالغرب ممثلا في أوروبا والولايات المتحدة يوجد بينه نوع من التفاعل، لكنه تفاعل مبني على القوة والمصلحة، وربما نتيجة للموروث الحضاري الغربي قام هذا التفاعل، لكن لا يعني أنه لا يوجد اختلاف بينها وربما صراع أحيانا، وربما تبنى العلاقات بين الغرب والآخر، وداخل الغرب على قاعدتين، قاعدة الثقافة المشتركة والتي تعني التعاون، وقاعدة القوة التي تعني التنافس، وفي الحقيقة توجد كلتا القاعدتين سواء في داخل أوروبا أو بين أوروبا وأمريكا، وهو ما يؤكده هنتنجتون قائلا "تفاعل القوة...الثقافة، يأخذ توافقا متميزا في إطار العلاقات الأوروبية الأمريكية، إن دينامية القوة تشجع على التنافس والانتماء إلى ثقافة مشتركة يدعم التعاون وتحقيق معظم الأهداف الأمريكية مستقبلا يتوقف على غلبة الفرضية الثانية (ثقافة مشتركة= تعاون) على الفرضية الأولى (القوة = التنافس)" [2].

وهذا التفاعل في العلاقات داخل الغرب وبين الغرب وباقي الحضارات، يعني أن الولايات المتحدة كقوى عظمى، قد تواجه تحديات سواء من القوى الكبرى الممثلة للحضارات المختلفة، أو من القوى الإقليمية الغربية كالاتحاد الأوروبي، فهناك نوع من التنافس بين أمريكا وأوروبا على السيطرة والهيمنة وحتى على القوة، وهو تفاعل مبني على قاعدة القوة والثقافة، والذي يكون بين الحضارات الكبرى.

"هذا التفاعل المتبادل ما بين القوة والثقافة، يفيد بأن الولايات المتحدة يمكن أن تواجه علاقات صعبة مع القوى الإقليمية الكبرى، وإن كانت أقل صعوبة مع الاتحاد الأوروبي...إن العلاقات بين الدول الإقليمية الكبرى والصغرى ذات الحضارات الواحدة...ينبغي أن تكون أقل حدة من العلاقات بين دول ذات حضارات مختلفة، إن تفاعل القوة والثقافة له ارتباط خاص بالعلاقات الأوروبية الأمريكية فدينامية القوة تشجع المنافسة، والتماثل الثقافي يسهل التعاون"[3].

فبعد أن انتقل العالم من سياسة عالمية ووضع يقوم على تقسيم تقليدي إيديولوجي، وبعد أن ظهر عالم جديد تقوم فيه السياسة الكونية على التقسيم الثقافي، وبعد أن اقتنع الغرب بعالم متعدد الأقطاب، فرض الغرب هيمنته على مختلف المؤسسات الدولية، ونصّب نفسه دركيا عالميا، في محاولة منه إيقاع المسؤولية على كل القوى العالمية وإشراكها في القضايا الدولية، من أجل الحفاظ على النظام العالمي الجديد الذي يخدم مصالحه أكثر، يقول هنتنجتون: "مع بروز نظام متعدد القطبية البديل الأكثر ملائمة

[1]- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص 15.

[2]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 218.

[3]- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص ص 15_16.

للدركي العالمي يكمن في الحفاظ على نظام جماعي مشترك، ومسؤولية الحفاظ على النظام في كل جهة ستتحمله كل القوى الجهوية الكبرى"[1].

ونتيجة لذلك، فإن الدول الكبرى ستقع بينها خلافات نتيجة للتنافس على القوة، مما يقودها إلى تصادم حتمي، ويجعلها تقيم علاقات مبنية على التحالفات، أو التلاحم الثقافي، رغم أن هنتنجتون يرى بأن عالم اليوم لا يعرف مثل هذه الصراعات بين الدول الكبرى، الممثلة في قوة عظمى، وعالماً متعدد الأقطاب، لأن ذلك ليس من مصلحتها، لعدم وجود توازن القوى بينها، وعليه فإن دول المركز في أي حضارة، يمكن أن تساعد على الاستقرار والنظام، داخل الدول التي تنتمي لنفس الحضارة.

"وفي عالم القرن الحادي والعشرين متعدد الأقطاب، لابد للدول الكبرى أن تتنافس وتتصادم وتلتحم فيما بينها بترتيبات واندماجات مختلفة، بيد أن مثل هذا العالم قد لا يعرف التوتر والنزاع بين الدولة العظمى والدول الإقليمية الكبرى، وهي السمة المحددة لعالم وحيد متعدد الأقطاب"[2].

وإذا حدث صراع أو نزاع بين الدول الكبرى، ويحمل طابعا ثقافيا، فإنه يتوجب على القوة العظمى وهي أمريكا أن تتدخل، سيكون تنافس حتمي بين القوى الكبرى، وهو تنافس يطبعه عالم متعدد الحضارات، وقد تحدث مواجهات بينها، كما أنه قد تكون هناك تحالفات، وتفاعلات، إلا أن هنتنجتون ينفي دائما وجود صراع بين القوى العظمى، وعليه فإن وجود عالم متعدد القطبية، وليس أحاديا يخدم الغرب أكثر من وجود أحادية قطبية وقوة عظمى وحيدة، يقول في ذلك محمد سعدي في كتابه "حول صراع الحضارات": "يمكننا أن نحصر التدخل الأمريكي فقط في الحالات التي تعرف صراعا عنيفا يجمع الدول الكبرى التي لها ثقافات مختلفة...في العالم متعدد القطبية للقرن الحادي والعشرين، ستجد القوى الكبرى نفسها حتميا في حالة تنافس مواجهة وتحالفات بمحاور متغيرة، ولكن في مثل هذا العالم، لن يكون هناك مكان للتوتر والصراع بين القوى العظمى والقوى الجهوية الكبرى والذي يطبع عالما أحادياً متعدد القطبية، ولهذا السبب فإن وضعية قوى عظمى في عالم متعدد القطبية، قد يبدو للأمريكيين مريحة مرضية، وأقل تصارعية من تلك المرتبطة بتواجد قوة عظمى وحيدة وفريدة في آن واحد"[3].

وعلى هذا الأساس، فقد تشكلت سياسة كونية ثقافية بنيت فيها العلاقات بين الحضارات وفق عالم متعدد الأقطاب متعدد الحضارات، فالتمايز بين الحضارات ثقافيا، هو ما سيرسم هذه العلاقات كما أن هذه العلاقات تختلف داخل الحضارة الواحدة، فهناك مشتركات اجتماعية داخل حضارة لا

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 219.

[2]- صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، مصدر سابق، ص 17.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 220.

نجدها في حضارة أخرى، كالعلاقات بين الأفراد داخل المجتمع، وما يتميز به هذا المجتمع من عادات وتقاليد، كما أن هناك نوعاً من العودة إلى إحياء الدين، الذي يعد أهم مقوم تقوم عليه العلاقات بين الأفراد داخل نفس المجتمع، فالثقافات يمكن أن تتغير، وتؤدي دورا حاسما في العلاقات الاقتصادية والسياسية، إلا أنها تبقى أساس هذه العلاقات، لأن لها جذوراً ضاربة في عمق الحضارات المختلفة. "العلاقات الاجتماعية والعادات، وكل النظريات الشاملة للحياة، تختلف تماما من حضارة إلى أخرى وإعادة إحياء الدين في معظم أنحاء العالم تقوي من تلك الفروق الثقافية، الثقافات يمكن أن تتغير وطبيعة تأثيرها على السياسة والاقتصاد، ويمكن أن تتغير من فترة لأخرى، إلا أن الاختلافات الرئيسية في التطور السياسي والاقتصادي بين الحضارات ذات جذور عميقة في ثقافاتهم المختلفة"[1].

فكما تمثل المشتركات الثقافية والحضارية أساس التعاون الحضاري والاقتصادي والاجتماعي فإنها تمثل من جانب الاختلاف أساس الصراع والنزاع، الذي قد يكون على أساس اعتقاد الغرب بأن قيمه وثقافته كونية عالمية، صالحة لكل الشعوب والأمم، والسعي لفرضها وهيمنتها، وهنا يستشهد هنتنجتون بأحد مفكري الغرب الذي يدافع عن هذه الأطروحة، التي ترى عالمية وكونية قيم الغرب وثقافته ألا وهو نايبول، رغم أن هنتنجتون يرى عكس ذلك، فهو يؤمن بأن بعض قيم الغرب قد تخللت باقي الحضارات، إلا أن ذلك لا يجعل منها كونية وصالحة لجميع الحضارات، فالحضارات المختلفة لها مفاهيمها وتصوراتها المختلفة بدورها عن مفاهيم وتصورات الغرب، العقدية والاجتماعية والثقافية وغيرها، فالعناصر المكونة للحضارة الغربية، أو الخصائص المكونة لها لا تلقى ترحيبا في الحضارات الأخرى، ولا يعني ذلك أن باقي الحضارات لا تحترم الحرية ولا حقوق الإنسان وغيرها، بل لها تصوراتها الخاصة عن هذه القيم، وهنا يقول هنتنجتون: "وتمثل الاختلافات في الثقافة، أي القيم والمعتقدات الأساسية مصدرا ثانيا للنزاع، وقد حاج ف. س. نايبول بأن الحضارة الغربية هي حضارة كونية كلية تناسب كل الناس، وإذا كان صحيحا على المستوى السطحي أن الحضارة الغربية تخللت حقا باقي العالم، فإن المفاهيم الغربية على مستوى أساسي بدرجة أكبر، تختلف بصورة أساسية عن تلك السائدة في الحضارات الأخرى، فالأفكار الغربية عن الفردية، والليبرالية والدستورية وحقوق الإنسان والمساواة والحرية، وحكم القانون والديمقراطية، والأسواق الحرة، وفصل الكنيسة عن الدولة، ليس لها عادة جاذبية كبيرة في الثقافات الإسلامية والكونفوشيوسية...وبدلا من ذلك أنتجت جهود الغرب ولنشر مثل هذه الأفكار رد فعلٍ معادياً لإمبريالية حقوق الإنسان، وإعادة تأييد للقيم المحلية الأصلية"[2].

فالحضارات غير الغربية تنظر إلى عمل الغرب على محاولة نشر قيمه، محاولة للتغريب والهيمنة والقضاء على الخصوصيات الثقافية لكل حضارة، كما أن لها تصوراتها الخاصة عن هذه

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 47.

[2]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص ص 28_29.

القيم، والتي في نظرها تفوق تصورات الغرب قيمة وسموا، وهنا حدث رد فعل ضد هذه القيم، واعتبرتها الحضارات إمبريالية وكولونيالية واستعماراً جديداً، تريد الحضارة الغربية من خلالها أن تعيد هيمنتها على العالم غير الغربي، بعد أن فقدت المنافس التقليدي، ألا وهو الاتحاد السوفياتي.

فالغرب متفرد بتلك الخصائص وليس كونيا، وهو ما عبّرت عنه مقالة هنتنجتون التي تحمل هذا العنوان، عندما أكد فيها أن الغرب بني على مجموعة من الخصائص والعناصر، والتي لا نجدها في الحضارات الأخرى، إلا أن هذه العناصر المؤسسة له، لا يمكن أن تكون كونية أو عالمية بالقوة لأن لكل حضارة كذلك عناصرها وأسسها التي بنيت عليها، والتي جعلتها متمايزة عن حضارة الغرب، وعليه "يرى هنتنجتون أن هذه الخصائص (خصائص الحضارة الغربية من المركزية الأوروبية، الميراث الكلاسيكي، سيادة القانون، الفردية...الخ) هي التي أعطت للغرب تلك الخاصية المتفردة، هذه الأفكار والممارسات والمؤسسات ببساطة كانت أكثر انتشارا في الغرب، منه في أي حضارة من الحضارات الأخرى"[(1)].

ومازاد اعتقاد الغرب في كونية قيمه، هو ظهور صراع جديد لم يكن من قبل، إنه صراع القيم أو الثقافات والحضارات، صراع فرضته العولمة بشموليتها وكونيتها، رغم أن هناك من يعارض هذه الكونية والشمولية، لأنها ضد الإنسان والطبيعة الإنسانية، لأن هذا الصراع الكوني القيمي، يحمل في طياته صراعا غير معلن، يقوم على فكرة أي الحضارات أرقى وأهم؟ أيها تحمل قيما كونية يمكن أن تتبع؟ هل الحضارات التي تحمل قيماً كبرى أسمى من غيرها؟ هل باقي الحضارات ليس لها قيم كونية وبالتالي عليها أن تأخذ قيم الغرب، وتتخلى عن قيمها التي تجاوزها الزمن؟

إنه صراع ثقافي حضاري قيمي، فريق يحاول فرض قيماً يعتقد أنها كونية، وفريق يدافع عن قيمه وخصوصياته الحضارية، وأن له مفاهيم تعبّر عن ذاته ورؤيته للكون والله والعالم، وللآخر المختلف عنه.

إذن "يختفي تحت الجدل الدائر حول مفهوم "الكونية" أو العالمية والخصوصية صراع خفي حول إسهام الحضارات الأخرى في بلورة هذه القيم الكونية، فالمؤمنون بالخصوصية يحاجون أن هذه القيم ليست كونية ألبتة، بل هي تنحدر بالأخص من حضارة الغرب المسيحي_اليهودي، وهم يجادلون بأن الإقرار بكونية هذه القيم يلغي خصوصية الثقافات الأخرى، لكن مع الإقرار بالوقت نفسه أن هناك حقائق أخلاقية أساسية معينة يشترك كل العالم في الإقرار بها، إذ لكل حضارة وثقافة مسار تشكل خاص بها مرتبط بتطورها واتساقا مع ذلك يقرر هذا المسار مفاهيمه التي تعبّر عن رؤية للعالم خاصة به حسب

---

[1]– مالك عبيد أبو شهيوة: نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 19.

تعبير شبنغلر، ونظرة للآخر مشكلة وفق بناه التي أفزرها التاريخ المجتمعي بكل مصائره واختلافاته وتحولاته"[1].

ولقد وقع نوع من مقاومة الغزو الثقافي الغربي من كثير من الحضارات والأمم، بل إن معظم الدول غير الغربية اعتبرت ذلك استعمارا جديدا وأكبر الدول رفضا للغرب وقيمه، كما جاء على لسان هنتنجتون نجد الحضارة الآسيوية ممثلة خاصة في الصين والحضارة الإسلامية، "فجميع الدول غير الغربية تقريبا كانت تقاوم ذلك الضغط الغربي، من بينها دول هندوسية وأرثوذوكسية وإفريقية، وإلى حد ما من أمريكا اللاتينية، أكبر مقاومة لجهود التحول الديمقراطي الغربي، جاءت من الإسلام ومن آسيا وكانت هذه المقاومة عميقة الجذور في الحركات العريضة للتوكيد الثقافي المتجسد في الصحوة الإسلامية والإصرار الأسيوي"[2].

ولقد اعتقد الغرب أن مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، ستسود العالم بعد انهيار الشيوعية وانتصار الليبرالية، إلا أن ما حدث هو العكس، حيث نجد الدول قد عادت إلى قيمها الدينية والثقافية في محاولة لإحيائها والتصدي للهيمنة الغربية، والمفاهيم التي يروج لها، "فمع سقوط الاتحاد السوفياتي ولدت اعتقادات لدى الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة، بأن هناك ثورة ديمقراطية كونية في الطريق وأن المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان والأشكال الغربية للديمقراطية السياسية، سوف تسود العالم بسرعة"[3].

وبدأت عملية المقارنة بين الثقافة الأصلية والغربية، كرد فعل على محاولة إختراق ثقافة الغير من طرف الغرب، فكان الآسيويون يرون أن قيمهم تفوق قيم الغرب، لأنه بالنسبة إليهم قيم الغرب أنتجت الانحلال والتفسخ الأخلاقي وغيرها، أما قيم الفرد الآسيوي فإنها قيم تمثل الانضباط وروح العمل وغيرها، "وراح الأسيويون يقارنون بين قيم الثقافة الأسيوية التي هي الكونفوشية، والتي تتلخص في: النظام، الانضباط، مسؤولية الأسرة، العمل الجاد، الجماعة، الاعتدال، وبين القيم الغربية المتمثلة في الانغماس الذاتي، الكسل، الفردانية، الجريمة، التعليم الهابط، عدم احترام السلطة، التحجر العقلي"[4]

ويرى هنتنجتون أن التحدي الصيني قد تمكّن من رفض قيم الغرب، الذي حاول عدة مرات أن يبين أن القيم الصينية قيم ضد حقوق الإنسان، من حيث ساعات العمل وفرض قيود على العمال، بل جعل العمال آلات منتجة دون احترام للبعد الإنساني ولا كرامة العامل، إلا أن الصين ردت على ذلك

1- رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دمشق، دار الفكر، 2010، ص 13.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 310.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 105.

واعتبرت أن العامل في الصين يمتاز بخصائص تميزه عن باقي العمال في العالم، من حيث الكفاءة والصرامة، والاجتهاد وغيرها، والملاحظ لهذه القضية يصل إلى نتيجة أن فكرة حقوق الإنسان استخدمت ضد الصين للحد من عملية الإنتاج والنمو الاقتصادي ليس إلا، حيث "استطاعت الصين على مدى خمس سنوات أن تحشد الدعم الأسيوي لهزيمة مشروعات قرارات تبناها الغرب، للتعبير عن القلق إزاء انتهاكها لحقوق الإنسان...الاختلافات حول حقوق الإنسان بين الغرب والحضارات الأخرى وقدرة الغرب المحدودة على تحقيق أهدافه، ظهرت جليا في مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الذي عقد في فيينا في يونيو 1993...كانت القضايا التي إنقسمت بشأنها الدول على طول خطوط التقسيم الحضاري تضم: العالمية في مواجهة النسبية الثقافية بخصوص حقوق الإنسان، الأولية النسبية للحقوق الاقتصادية والسياسية بما في ذلك حق التنمية، مقابل الحقوق السياسية والمدنية"[1].

ووصل الخلاف بين الحضارات حول حقوق الإنسان أن عقدت الملتقيات والمؤتمرات، والهدف في الحقيقة ليس الإنسان، بل ما ينتجه الإنسان، أي التعبير عمّا هو اقتصادي على أساس أنه إنساني، وطرحت قضايا العالمية والنسبية الثقافية، فيما يتعلق بجملة من القضايا، وعلى رأسها قضية حقوق الإنسان، والتي ربطت من طرف بعض الدول بالحقوق السياسية والمدنية وحقوق التنمية.

لقد ظهر عالم جديد يؤمن بالتعدد الحضاري وباختلاف الثقافات والقيم، عالم له موقف ورأي حول القضايا الكونية الكبرى، كقضية حقوق الإنسان التي أعلنها الغرب بعد أن خرج منتصرا بعد الحرب العالمية الثانية، هذا القانون تغير بتغير المعطيات الثقافية والحضارية، وبدأ الغرب يفقد كثيراً من أسلحته التي كان يستعملها ليتدخل في السياسات العالمية للدول والشعوب والأمم، وحتى أوروبا قزّمت أمام أمريكا، لكننا اليوم نشهد ولادة عالم جديد، تقول فيه باقي الحضارات كلمتها في مختلف القضايا العالمية، فلم يعد العالم أحادي القطبية، بل إنه مشكّل من تعدد الأقطاب، إن "هذا التحول يعكس تدهور قوة الغرب، ويلاحظ أحد الأمريكيين المدافعين عن حقوق الإنسان أن "نظام حقوق الإنسان الدولي الذي كان قائما في سنة 1945 لم يعد له وجود، وأن السيادة الأمريكية قد تآكلت، وأن أوروبا حتى مع أحداث 1992 ليست أكثر من شبه جزيرة، وأن العالم اليوم عالم عربي أسيوي إفريقي كما هو عالم غربي"[2].

ولقد رأى كثير من المفكرين، بمن فيهم مفكري الغرب، أن الأمم التي لا تنتمي إلى التراث اليهودي المسيحي، لها موقف ورأي آخر من قضية حقوق الإنسان، التي استخدمت كذريعة من قبل الغرب، الذي ادّعى في فترة ماضية أنه حرر العالم من قوى الطغيان الفاشية والنازية، وأسس لحقوق الإنسان وفق النظرة العالمية التي يجب أن تسود، وأنه اليوم يريد تأكيد تلك الحقوق والمحافظة عليها

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 314.

[2]- المصدر نفسه، ص 315.

إلا أن الدول التي لا تنتمي إلى الحضارة الغربية لها رأي آخر في القضية، وهذا ما ينبئ بإمكانية حدوث صدام حضاري، ولقد تعرضت مواقف الغرب من القضايا العالمية، كقضية حقوق الإنسان إلى انتقادات، حيث نجد "ناقداً آسيوياً آخر لسياسة الغرب له نفس الرأي "لأول مرة منذ تبني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في سنة 1948 نجد أن الدول التي ليست مغموسة تماما في التقاليد اليهودية_المسيحية والقانون الطبيعي تأتي في المرتبة الأولى، هذا الوضع غير المسبوق سوف يحدد السياسة العالمية الجديدة لحقوق الإنسان، كما سيضاعف من فرص الصراع"[1].

وسينتج هذا الصراع في رأي هنتنجتون، كما ذكرنا في السابق، على تصور الغرب أن القيم التي يحملها عن تلك القيم والمفاهيم هي قيم عالمية، وبالتالي يجب أن تسود دول العالم التي لا تنتمي إلى العالم الحر، وتأكد موقفهم خاصة بعد خروج الغرب منتصرا بعد الحرب الباردة على الغريم السوفياتي ومن هنا نبع لديهم اعتقاد بقدرة حضارتهم على إعادة التشكيل السياسي للثقافة العالمية، وللعلاقات الدولية لباقي الحضارات، وخاصة الآسيوية، "ومن الناحية الأخرى أصبح الأمريكيون خاصة بعد انتصارهم في الحرب الباردة، يميلون إلى افتراض أن قيمهم ومؤسساتهم صالحة عالميا، وأنهم مازالوا يمتلكون القوة لتشكيل السياسات الخارجية والداخلية للمجتمعات الآسيوية....فالمجتمعات والثقافات تتغير بالفعل، وهذا قد ينتج عن حدث سياسي صدام"[2].

إن ما يبني الأمم والمجتمعات ويجعلها تبقى ويحفظها من الزوال ليس السياسة، وإنما الثقافة ولهذا تؤدي الثقافة دورا حاسما في عالم متعدد الأقطاب، وتعتبر الولايات المتحدة هي الوحيدة المتبقية من الدول التي كانت تعيش صراعا إيدولوجيا، لقد تغيرت المعطيات السياسية والحضارية، ولم يعد وجود لصراع خارج الصراع الحضاري، كما لم يعد وجود لعالم أحادي القطبية، بل إننا نعيش عالماً متعدد الحضارات والثقافات أو متعدد الأقطاب بلغة هنتنجتون، الذي يعتبر "المبادئ السياسية أساساً غير مكين لبناء مجتمع يدوم، وفي عالم متعدد الحضارات، للثقافة أهمية كبيرة فيه، ستكون الولايات المتحدة ببساطة هي آخر البقايا الشاذة لعالم غربي أقل كانت للإيديولوجية فيه أهمية كبيرة"[3].

فأطروحة صدام الحضارات، هي التي حاولت أن تفسر الصراع بعد الحرب الباردة، لكن وفق منظور جديد للأطراف التي دخلت الساحة العالمية، وبدأت في إثبات وجودها السياسي والثقافي الهوياتي والحضاري، وما يتبعه من وجود اقتصادي طبعا، وباعتبار هنتنجتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد، فإن خلفيته الفكرية السياسية أضفت على الصراع الحضاري بين الأمم طابعا سياسيا، وجعلت من النظر إلى العلاقات الدولية على أنها سياسة ثقافية كونية جديدة، وعليه "استهدفت

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 315_ 316.

2- المصدر نفسه، ص ص 364، 366.

3- المصدر نفسه، ص 496.

الفكرة الأصلية (صدام الحضارات) فهم الساحة العالمية بعد نهاية صراع الشرق _الغرب، وذلك وفق إطار تصنيفي جديد...وشاء لهنتنجتون بدلا من هذا، أن يدرج في تحليل السياسة الدولية أسلوبا جديدا تماما في النظر إلى هذه السياسة باعتبارها صداما بين الثقافات"[1].

لقد أصبح للثقافة والهوية في عالم اليوم، الدور المركزي في جميع التحالفات أو العداوات بين الحضارات، حيث حل الدين والقومية والإثنية محل الإيدولوجيا، وانبنت علاقات جديدة على هذا الأساس، إننا نعيش عصر الهويات القاتلة كما يسميها بعض المفكرين.

فالهويات الثقافية مهما كانت منطلقاتها، سواء أكانت دينية أم عرقية أم حضارية، هي الأساس الذي ستبنى عليه العلاقات في المستقبل، وتحدد على أساسه التحالفات والعداوات، وعليه يجب أن تتبع الدول في سياستها تشكيل تلك العلاقات وفقا لفلسفة التقارب أو التباعد الثقافي، وهذا ما ينصح به هنتنجتون الغرب عموما، والولايات المتحدة على وجه الخصوص، "إن عالما تكون فيه الهويات الثقافية_العرقية والقومية والدينية والحضارية_ هي المركز الرئيسي، وتتشكل فيه العداوات والتحالفات وسياسات الدولة طبقا لعوامل التقارب أو الاختلاف الثقافي، لابد أن يتضمن ثلاثة معان عريضة بالنسبة إلى الغرب عموما وللولايات المتحدة بخاصة.

أولا: رجال الدولة لا يمكنهم تغيير الواقع إلا في حالة إدراكه وفهمه السياسات الناشئة عن الثقافة والقوة الصاعدة للحضارات غير الغربية، والتوكيد المتزايد لتلك المجتمعات، كل ذلك قد تم إدراكه في العالم غير الغربي، والقادة الغربيون يشيرون إلى القوى الثقافية التي تقرب بين الناس أو تباعد بينهم، على العكس من ذلك، فإن النخب الأمريكية كانت بطيئة في قبول تلك الحقائق القائمة والتمسك بها...وكانت الولايات المتحدة بشكل عام تجد صعوبة غير عادية في التكيف مع منطقة شرق آسيا، تتشكل فيها السياسة الكونية طبقا لحركة المد والجزر الثقافية والحضارية"[2].

ووفقا لهذه الفكرة الأولى، يرى هنتنجتون أن عالم اليوم بني على العلاقات الثقافية بالدرجة الأولى، وعلى الغرب والولايات المتحدة أن يدركوا هذه الحقيقة، فلا يمكن لرجال الدولة أن يغيّروا ما لم يدركوا أن العلاقات بين الدول قد أعيد تشكيلها ثقافيا، وإن السياسات الدولية أصبحت قائمة على الثقافة خاصة في الحضارات غير الغربية، التي تسعى لتوكيد خصوصيتها وهويتها، وهو ما لم يحدث في الغرب، حيث لا يزال الغرب يعتقد أن العلاقات تقوم على المصلحة، لهذا كانت هناك صعوبة كبرى لتكيف الولايات المتحدة مع شرق آسيا، وربما سوء التفاهم وعدم الثقة ما زال قائما بينهما، أما الفكرة الثانية التي يؤكدها هنتنجتون فتخص السياسة الخارجية الأمريكية التي ما تزال مرتبطة

1– ديبتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال، الإمارات، دار العين، ط1، 2008 ، ص 133.

2– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 498، 500.

بمعطيات الحرب الباردة، ولم تدرك التغير الحضاري الذي حصل بعد انهيار الشيوعية وظهور عالم متعدد الحضارات والأقطاب، وبقيت الولايات المتحدة مسيطرة على أهم المؤسسات العالمية كحلف شمال الأطلسي، الذي لا بد أن يتسع ليضم قوى عالمية ناشئة، وهذه الفكرة يعبّر عنها هنتنجتون قائلا

و"ثانيا، كان التفكير الأمريكي بالنسبة للسياسة الخارجية يعاني أيضا من التردد في تجنب أو تغيير أو حتى إعادة النظر أحيانا في السياسات المتبعة لمواجهة متطلبات الحرب الباردة...حقائق العالم المتعدد الحضارات توحي بأن الـ "NATO" لابد أن يتسع ليضم مجتمعات غربية أخرى تسعى إلى ذلك، ولابد من الاعتراف بأنه ليس هناك معنى لوجود دولتين كلتاهما عدو لدود للأخرى، وكلتاهما لا توجد بينهما وبين بقية الأعضاء قرابة ثقافية"[1].

أما الفكرة الثالثة فتقول إن تعدد الأقطاب الحضارية قد أدى إلى تنوع وتعدد في الثقافات، وهذا التعدد والتنوع في حد ذاته يمثل تحدياً للثقافة الغربية، التي اعتقد فيها الغرب أنها تحمل قيماً عالمية كونية، وبالتالي فهي صالحة لكل الشعوب والحضارات الأخرى، ويعتقد الغرب أن المجتمعات تطمح لتبني قيمه وأفكاره، ومؤسساته باعتباره رمزا للتطور والتحديث، الذي خلق الحضارة المتفوقة والمتطورة من كل جوانبها، وهو اعتقاد زائف، لأن هذه الثقافات في الحقيقة تريد أن تتمسك بثقافاتها وهويتها وهنا يعتقد مفكرو الغرب أن هذه الشعوب تريد أن تأخذ بقيم الغرب، وأن تتمسك بثقافتها وهذا خلق لها وعياً زائفاً، كما كان عند البروليتاريا أو الطبقة العاملة في الفكر الماركسي، التي كانت اشتراكية وتؤيد الرأسمالية في نفس الوقت، وحول كل ذلك يقول هنتنجتون في هذه النقطة الأخيرة:

و"ثالثا، يمثل التنوع أو الاختلاف الحضاري تحديا للاعتقاد الغربي والأمريكي، بخاصة في عالمية الثقافة الغربية، هذا الاعتقاد يتم التعبير عنه على نحو وصفي، وعلى نحو معياري في نفس الوقت، وصفيا يرى أن كل المجتمعات تريد أن تتبنى القيم والمؤسسات والممارسات الغربية، وإذا ظهر أنه لا توجد لديها هذه الرغبة، وأنهم يريدون أن يكونوا ملتزمين بثقافاتهم التقليدية، فلا بد أن يكونوا ضحايا "وعي زائف" يشبه ذلك الذي أوجده الماركسيون بين البروليتاريا التي كانت تؤيد الرأسمالية"[2].

هذه هي المعاني الثلاثة التي يؤكدها هنتنجتون، والتي يجب أن يعيها الفكر الغربي، فلابد أن يؤمن بأن مرحلة الثنائية القطبية قد زالت، وزالت كذلك الأحادية بظهور حضارات متعددة وأقطاب مختلفة، وأن يستوعب أن العلاقات الثقافية المعاصرة هي التي أعادت تشكيل عالم ما بعد الحرب الباردة، وأن هذه العلاقات الثقافية هي التي تحدد الاختلافات والتحالفات بين الحضارات، وقد لاحظ هنتنجتون أن الغرب ومفكريه كانوا بطيئين في إدراك هذه الحقيقة، وهذا ما جعل الغرب بطيئاً في التكيف مع التغيرات المعاصرة، ومع الأقطاب الجديدة في عالم الحضارات، لقد زالت العلاقات

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 500.

2- المصدر نفسه، ص 501.

الإيديولوجية لتحل محلها العلاقات الثقافية، التي تقوم على "نحن وهم"، وما على الغرب إلا أن يؤمن بالتنوع والاختلاف الحضاري، وأن يؤمن بأن القيم التي تحملها حضارته هي قيم خاصة لا يمكن أن تكون عالمية وكونية.

لقد كان منطلق الصدام الثقافي_كما ذكرنا في السابق_ هو اعتقاد الغرب بأنه على الشعوب غير الغربية أن تعتنق القيم الغربية، لأنها تمثل الحرية والحداثة والتطور والرقي، "إن المجتمعات الغربية العالمية تفترض أن شعوب العالم بأسره لابد لها أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية لأنها تجسد أرقى فكر، ولأنها أكثرها استنارةً وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضراً"[1].

فالسياسة العالمية بهذا المعنى ستكون سياسة تصادمية بين الحضارات، وعلى الغرب أن يتخلى عن فكرة تفوق حضارته، وأن يبني علاقات جديدة مع باقي الحضارات، وإلا فإننا سنشهد صداما بين الحضارات المختلفة في المستقبل، "معنى هذا أن السياسة الدولية مستقبلا _حسب منظور هنتنجتون_ سوف تصنف بكونها صداما بين حضارات، سواء على المستوى العالمي الشامل الماكرو، أو على المستوى الإقليمي أو المحلي المايكرو...والسؤال الآن صدام الحضارات هل هو قائم فعلا أم بسبيله إلى الظهور؟"[2].

وقد سبقه سؤال الهوية، وسؤال الهوية حسب هنتنجتون لم يطرح على الحضارات غير الغربية فقط، بل إنه سؤال محوري في الهوية الحضارية الأمريكية، حيث يتساءل الشعب الأمريكي عن انتمائه الحضاري هل هو انتماء للحضارة الغربية، أم هل هو انتماء إلى حضارة أخرى؟ ليجيب هنتنجتون أن الغرب وأمريكا متوقف وجودهم وبقاؤهم على تأكيد انتماء أمريكا للغرب، وعلى غربية الغرب، وسيحدد الغرب هويته بوعيه للجذور الثقافية التي شكلته، يقول هنتنجتون: إن "الأمريكيين لا يمكنهم أن يتجنبوا قضية: هل نحن شعب غربي أم نحن شيء آخر؟ ومستقبل الولايات المتحدة والغرب يتوقف على تأكيد الأمريكيين لالتزامهم بالحضارة الغربية"[3].

وإن الغربيون بإدراكهم ووعي حضارتهم، فإنهم سيتفاعلون مع غيرهم من الحضارات الأخرى التي أصبحت تنافس حضارتهم في القوة، وسيدفع ذلك الغربيين إلى وعي أكثر لأصولهم الثقافية التي توحدهم، "وحيث إن المجتمعات الغربية تتعامل وتتفاعل بشكل متزايد مع مجتمعات غير غربية، تتزايد قوتها، تصبح المجتمعات الغربية أكثر وعيا بالجذور الثقافية الغربية المشتركة التي تربطهم معا"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 501.

2- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص ص 133_ 134.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 496.

4- المصدر نفسه، ص 497.

تلك الخصائص والمميزات التي شكلت التراث والوعي في الحضارة الغربية، هي خصائص تعبّر عن روح الحضارة الغربية والتي إنبنت عليها، ولا نجدها في الحضارات الأخرى، ويحصرها هنتنجتون _كما سبق ذكرها_ في التراث الكلاسيكي، والعقلانية اليونانية والقانون الروماني، والدين المسيحي واللغة اللاتينية، وهذه الخصائص نتجت عنها، الحرية والليبرالية وسيادة القانون والديمقراطية والعلمانية والحداثة وغيرها.

ومنه، "يذهب هنتنجتون إلى أن جوهر الحضارة الغربية يبنى على العوامل التالية: التراث الكلاسيكي والعقلانية الإغريقية والتشريع الروماني وغيرهما، والكاثوليكية والبروتستانتية واللغات الأوروبية...الفصل بين الكنيسة وسلطة الدولة وسيادة القانون"[1].

ولكن الغرب بحضارته يحاول أن يحدث نوعاً من التقارب الاستراتيجي مع باقي الحضارات حتى لا يجد نفسه على هامش الأحداث، ويعتمد في هذا التقارب على الاقتصاد والسياسة، لكنه مربوط بالهوية الأمريكية والاعتقاد في كونية الحضارة الغربية، وهذا ربما يقلل من فرص الالتقاء مع باقي الحضارات، والحقيقة إذن هي "أن تقارب الغرب سياسيا واقتصاديا، يتوقف تماما على ما إذا كانت الولايات المتحدة تؤكد هويتها كدولة غربية، وتحدد دورها الكوني كقائد للحضارة الغربية"[2].

ورغم ذلك بقيت إذن مشكلة الغرب في اعتقاد كونية حضارته وعالميتها، مما يجعلها بالنسبة إلى الغير إمبريالية، كما أن مشكلة الغرب تكمن في عدم وعي نمو وتكون حضارات جديدة منافسة، وهو ما يجعل اعتقاد الغرب على حد قول هنتنجتون بعالمية ثقافته إعتقاد زائف وغير أخلاقي، وخطر على الغرب في حد ذاته، يقول في هذا الصدد هنتنجتون: "في العالم الحضاري والإثني الناشئ، يعاني إعتقاد الغرب في عالمية ثقافته ثلاث مشكلات: فهو اعتقاد زائف، ولا أخلاقي وخطر، أما عن كونه زائفا فتلك هي الفرضية المركزية لهذا الكتاب، وهي فرضية يلخصها جيدا "**مايكل هاووارد** (**Michael Howard**)* قائلا: "الافتراض الغربي العام بأن التنوع الثقافي عبارة عن فضول تاريخي يتآكل بسرعة، بسبب نمو ثقافة أنجلوفونية عالمية مشتركة ذات توجه غربي تشكل قيمتها الأساسية...وهذا بكل بساطة أمر غير صحيح"[3].

فهنتنجتون يفند آراء بعض مفكري الغرب من أن الغرب هو الحضارة العالمية والكونية الوحيدة وأن الثقافات الأخرى وحضاراتها مهما نمت وظهرت فإنها ستزول، ولن تقوى على المقاومة، وهذا هو

1- ديبتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 135.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 498.

* مايكل هاووارد (1941_) سياسي إنجليزي.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 502.

الخطر الذي يتمركز في وعي الغرب، فعليه أن يدرك حقيقة التاريخ الحضاري للأمم والشعوب، حتى لا يتموضع في وضع الأفول بدل الحضارات التي يعتبرها غير قادرة على البقاء.

أما من الجانب الأخلاقي، فيرى هنتنجتون أن فرض القيم الحضارية لحضارة ما على غيرها من الحضارات هو في حد ذاته عمل لا أخلاقي، فرغم أن الغرب وصل إلى العالمية، بعد أن حقق انتصارات عسكرية في الحرب العالمية الثانية، وحقق انتصارات إيديولوجية، بعد أن انتصر على الشيوعية، ورغم أن بعض القيم قد انتشرت بعد ذلك، إلا أن هذا لا يعني أنه الحضارة المنتصرة دائما وأن قيمها هي القيم التي يجب أن تسود ويحتكم إليها الباقي، وأن الحضارات الأخرى لها قيم محلية أو إقليمية لا تصلح عولمتها، ومن هنا عليها أن تتخلى عنها، وعليه كان "الاعتقاد بأن الشعوب غير الغربية لابد لها من أن تتبنى القيم والمؤسسات والثقافة الغربية، إعتقاداً لا أخلاقياً بسبب ما يجب عمله لكي يتحقق ذلك، إن وصول القوة الغربية إلى العالمية تقريبا في أواخر القرن التاسع عشر، والسيطرة الكونية للولايات المتحدة في أواخر القرن العشرين، قد نشرا قدرا كبيرا من الحضارة الغربية في أرجاء العالم"[1].

ولقد وصلت الحضارات المختلفة إلى الإيمان بقوتها وبأصولها الثقافية، وهذا ما يخيف الغرب والاعتقاد بأن الثقافة تتبع القوة هو اعتقاد ظرفي، وأن الثقافات غير الغربية إذا اعتنقت الثقافة الغربية بالقوة فإنها ستتخلى عنها يوما، وقد حدث ذلك في زمن الاستعمار، إن الحيوية الغربية لم يعد لها مجال سواء أكان اقتصاديا أو ديمغرافيا، لم تعد هناك قوة للغرب حتى يفرض ما يشاء على من يشاء وإذا حاول الغرب يوما أن يفرض قيمه على باقي الحضارات بالقوة فإنه يناقض ذاته، ويناقض تلك القيم التي يؤمن بها ويحاول فرضها على الآخر، هناك مقولة تقول: إن "الثقافة ...تتبع القوة، وإذا كانت المجتمعات غير الغربية سوف تتشكل مرة أخرى بواسطة الثقافة الغربية، فإن ذلك سيكون نتيجة لتوسع وإنتشار وتأثير القوة الغربية، الاستعمار هو النتيجة المنطقية الضرورية للعالمية، بالإضافة إلى أن الغرب كحضارة في حالة نضج لم تعد لديه الدينامية الاقتصادية أو الديمغرافية المطلوبة لفرض إرادته على المجتمعات الأخرى، كما أن أي محاولة لعمل ذلك ستكون ضد القيم الغربية الخاصة بتقرير المصير والديمقراطية"[2].

ويعتقد هنتنجتون أن سعي الغرب لتشكيل السياسة العالمية وفق النظرة الغربية، من حيث إنه يريد فرض قيمه وحضارته، قد بدأ ذلك بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أسس الغرب للمؤسسات والهيئات العالمية، التي من شأنها أن تحفظ مصالحه، وأراد من خلالها أن ينشر قيمه، إلا أن الحضارات الأخرى المنافسة للغرب بدأت تطالب بضرورة إعادة تشكيل تلك المؤسسات والهيئات، وفق

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 502.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قيم كل الحضارات لا الحضارة المسيطرة فقط، وهذا يعدُ كذلك تحدياً آخر للغرب وقيمه وحضارته التي يبدو أنها بدأت فعلا في الأفول، "فمعظم المؤسسات أو المنظمات الدولية الرئيسية نشأت بعد الحرب العالمية بفترة قصيرة، وتم تشكيلها وفقا للمصالح والقيم والممارسات الغربية، وحيث إن الحضارة الغربية في حالة انهيار مقارنة بالحضارات الأخرى، فإن الضغوط سوف تستمر لإعادة تشكيل هذه المؤسسات لكي تتكيف مع مصالح تلك الحضارات"[1].

ولتحقيق التوازن في التشكيل الثقافي للسياسة الكونية، وحتى تتفادى الحضارات من الصدامات فيما بينها، يقترح هنتنجتون أن يكون لكل حضارة مقعد دائم في مجلس الأمن، وأما الوضع الحالي فإنه يميل لصالح الغرب الذي له مقعدان على خلاف باقي الحضارات، والسبب يعود إلى توزع البشر والقوة والثروة في العالم، والحقيقة أن هذا لا يمثل العدالة الكونية كما آمنت بها الليبرالية الغربية، بل إنه يمثل الحفاظ على اختلال ميزان القوى من أجل الهيمنة والسيطرة المستمرة.

و"في عالم متعدد الحضارات، الوضع المثالي هو أن يكون لكل حضارة من الحضارات الرئيسية مقعد واحد دائم على الأقل في مجلس الأمن، في الوقت الحالي ثلاث حضارات فقط لها مقاعد دائمة...سبع حضارات سيكون لكل منها مقعد واحد، وللغرب اثنان، وهي حصص تمثل توزع البشر والثروة والقوة في العالم بشكل عام"[2].

وبالعودة إلى مقررات الأمم المتحدة، فإنها تؤمن بالتنوع الذي يعد في الحقيقة قيمة عالمية في حد ذاته، وعلى شعوب وحضارات العالم أن تتوحد في مواجهة ما يهددها فعلا، وأن تقضي على الصراعات الثقافية، وأن تنمو في حضارة عالمية واحدة أساسها وهدفها هو الإنسانية، فلقد أكد الأمين العام للأمم المتحدة ""**كوفي أنان**" أن التنوع يشكل قيمة عالمية وشعوب العالم هي أكثر وحدة بفعل مصيرها المشترك، وأقل انقساما بفعل هوياتها الخاصة، وبجانب التنوع اللانهائي للثقافات، توجد حضارة شاملة تتلاقى داخلها وتنمو بشكل سلمي ومنتج أفكار ومعتقدات الإنسانية"[3].

وتختلف مواقف المفكرين الأمريكيين، من حيث إيمانهم بالتعددية والعالمية، فهناك من يؤيد التعددية داخل الحضارة الغربية، وهناك من يدافع عن عالميتها في الخارج، وهناك من يرى أنها متعددة في الداخل وعالمية في الخارج، لكن هناك من يرى أن التعددية في الداخل خطر على الغرب الأمريكي، مثلما العالمية في الخارج كذلك خطر عليه، لأن التعددية الداخلية ستقود إلى صراعات إثنية والعالمية في الخارج ستقود إلى ردود أفعال ضد القيم الغربية من طرف باقي الحضارات، وهذا يهدد الغرب وحضارته، حيث "يتبنى بعض الأمريكيين التعددية الثقافية في الداخل، وبعضهم يتبنى العالمية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 513_ 514.

2- المصدر نفسه، ص 514.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 99.

في الخارج والبعض يفعل الشيئين معا، التعددية الثقافية في الداخل تهدد الولايات المتحدة والغرب العالمية في الخارج تهدد الغرب كما تهدد العالم، وكلاهما ينكر فرادة الثقافة الغربية"[1].

فأنصار الوحدة الثقافية كما يسميهم هنتنجتون، يريدون من العالم أن يسير وفق النموذج الغربي الأمريكي، أما أنصار التعددية الداخلية فهم يريدون من أمريكا أن تسير وفق المعطيات الجديدة التي يسير وفقها العالم، لكن المؤكد أن التعدد الثقافي داخل أمريكا لن يكون، لأن هذا سيؤدي إلى نزع الطابع الغربي عن أمريكا، وهنا لن تكون أمريكا، وهذه المواقف المتناقضة لخصها هنتنجتون في قوله "دعاة الواحدية الثقافية يريدون أن يجعلوا العالم مثل أمريكا، دعاة التعددية الثقافية في الداخل يريدون أن يجعلوا أمريكا مثل العالم، أمريكا متعددة الثقافات مستحيلة، لأن أمريكا غير غربية لن تكون أمريكية"[2].

وباستعراض هنتنجتون الصراعات داخل الغرب، فإنه يرى أنها كانت قبل الحرب الباردة، ولكن بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية، توجهت الصراعات خارج الغرب لتصبح عبارة عن تفاعل مع باقي الحضارات، وهو ما أكده هنتنجتون في مقال بعنوان: "الغرب وبقية العالم" يقول في ذلك محمد سعدي: لقد "كان القاسم المشترك بين كل الصراعات السابقة هو كونها صراعات داخل الحضارة الغربية، أما بعد الحرب الباردة، فإن السياسة الدولية ستتحرك إلى خارج العالم الغربي لتصبح نتاجا للتفاعل بين الغرب والحضارات غير الغربية"[3].

أما هنتنجتون فيعتقد أن نهاية الصراعات داخل الحضارة الغربية جعل الغرب يتحكم في كل العلاقات الدولية، ويشكل العالم وفق النظرة الغربية، ولكن بعد أن أصبح العالم متعدد الحضارات والأقطاب، أصبح لباقي الحضارات دور فاعل في السياسة الكونية، وهنا انتهى زمن الخضوع للفعل بل أصبحت عنصرا فاعلا في السياسة العالمية، و"لقد كانت العلاقات الدولية تاريخيا لعبة تدار داخل الحضارة الغربية، ولكن سيجري بدرجة متزايدة تجريدها من طابعها الغربي، وستصبح لعبة تكون فيها الحضارات غير الغربية قوى فاعلة لا مجرد موضوع للفعل"[4].

ولقد بدأ استيقاظ هذه الحضارات، بعد أن وصل الغرب إلى أوج قوته واعتقاده أنه يمكنه أن يغزو جميع الثقافات والحضارات، كان رد الفعل من باقي الحضارات، بأن عادت إلى ثقافتها وأصولها والتمايز عن الحضارة الغازية حضارة الغرب، ولعل ذلك نلمسه لدى الشعوب الآسيوية خاصة اليابان التي أرادت تأكيد الذات الحضارية من خلال مقاومة كل ما هو غربي، بل والأكثر من ذلك أنها تحاول

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 515.

2- المصدر نفسه، ص 515.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 26.

4- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 60.

أن تجعل من نموذجها هو النموذج العالمي، بناءً على قوتها العسكرية والاقتصادية، وتطورها العلمي والتكنولوجي، "ففي الوقت الذي يوجد فيه الغرب في أوج قوته واكتساحه للثقافات الأخرى، يتناهى الشعور بالتمايز الثقافي والحديث للعودة إلى الجذور الحضارية لدى الثقافات غير الغربية، فثمة اتجاهات نحو عودة اليابان إلى أصولها الآسيوية،...يقول هنتنجتون: "إن غربا في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية، ولديها الإرادة والإمكانيات للقيام بذلك"[1].

وعليه فالسياسات العالمية الكونية أصبحت تتشكل وفق الانتماءات الثقافية، وما هي إلا تعبير عن الصراعات التي حدثت وتحدث في العالم بين الكيانات الثقافية المختلفة، وبما تحمله من أديان متنوعة، ولهذا "تتطلب السياسات العالمية الحالية فهما باعتبارها حصيلة للصراع العميق الممتد بين الثقافات العظيمة، وبين الأديان في العالم"[2].

فاعتبار العامل الحضاري والثقافي عاملا جديدا في تحديد العلاقات السياسية الدولية، يعد صياغة جديدة في فهم العالم وتحديد موازين القوى، والجيوسياسية العالمية المعاصرة، فهناك حركة عالمية تسعى وتدعو للعودة إلى الثقافات المحلية في مقابل العولمة، التي تريد فرض براديغيم واحد هو براديغيم الحضارة الغربية، وإن أهم ما يجب العودة إليه في هذه الثقافات المحلية والتمسك به وإحيائه هما اللغة والدين، وما يفتقر إليه الغرب هما هذان العنصران الرئيسيان وفعلهما في الحضارة، ولهذا فإن إعتقاد الغرب أن التنوع الثقافي والحضاري هو ضد الحضارة، وأن الحضارات تتجه نحو حضارة واحدة تهيمن عليها القيم الغربية، هو إعتقاد غير صحيح في نظر هنتنجتون، لأن "التيارات القومية الرامية إلى إسباغ الطابع الداخلي الوطني في العالم، تسخر من الآمال الغربية في أن تصبح الحضارة الغربية هي حضارة العالم، فالعنصران الرئيسيان في أي حضارة هما اللغة والدين...ففي العنصرين الرئيسيين من عناصر الحضارة اللغة والدين يتقهقر الغرب...إن الافتراض الشائع عن أن تنوع الحضارات هو أمر غريب من الناحية التاريخية، وأنه يتآكل تآكلا سريعا بسبب نمو حضارة عالمية مشتركة ذات وجهة غربية لغتها الإنجليزية، وتشكل قيمنا الأساسية إنما هو إفتراض غير صحيح"[3].

فالحضارات تسعى للتمسك بلغتها ودينها من أجل مقاومة عالمية الحضارة الغربية، وليس من أجل مقاومة الحضارة الإنسانية، فالحضارة مشترك إنساني لا ينتمي لدين أو لغة، إلا أن الخصوصيات الحضارية والثقافية لا يمكن إلغاؤها.

---

[1]– محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 32.

[2]– صموئيل هنتنجتون، هل أساء الفهم؟ ترجمة: عبد الوهاب حميد رشيد، تاريخ النشر: 2009/04/30، مأخوذ من موقع: **www.orook.com**

[3]– صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 16.

"إن العالمية كما ترسم أمام أعيننا المصابة بقصر النظر، هي عبارة عن توازن هش بين نزعة توحيدية تستند إلى الواقع، وبين كونية تبحث عن ذاتها...هذه الرغبة في التنافس والتصارع ضاعف في الحروب التي لم تتوصل إلا في حالات نادرة إلى روح التعايش والتصالح"(1).

وحتى بعض مفكري الغرب يرون أن العالمية التي تنادي بها الحضارة الغربية، هي كونية من أجل إثبات الذات والهيمنة من جديد، بعد أن فقد الغرب قيادته الريادية بعد الحرب الباردة، فالعودة إلى الثقافة المحلية ليس شيئا غريبا عن الحضارات، إن مشكلة الغرب تكمن في محاولته فرض حضارته رغم اعترافه بعجزه عن ذلك، فالقيم التي أُسس عليها الغرب اعتقد بأنها قيم عالمية كونية خاصة بعد انتصار الليبرالية على الشيوعية، مما زاد من غرور الغرب في اعتقاده بضرورة تعميم القيم الغربية كالديمقراطية وحقوق الإنسان، والعلمانية والحرية على باقي الحضارات، وأنه عليها أن تجسد هذه القيم في سلوكياتها وممارساتها ومؤسساتها الرسمية، لكن الواقع أن الشعوب اعتبرت ذلك إمبريالية جديدة جاءت باسم الحضارة، فحدثت مقاومة عنيفة في بعض الدول لقيم الحضارة الغربية، وبدأ الشك عند هذه الشعوب من منطلق أن الغرب صاحب هذه القيم لا يلتزم بها، أو يستخدمها كمعايير مزدوجة، في تعامله مع الحضارات التي تمتلك نفس المشترك الثقافي والتي تختلف عنه، وهنا يقول أحد مفكري الغرب ألا وهو **جيرار ليكلرك** في كتابه: "العولمة الثقافية" "ومع انتشار إسباغ الطابع الداخلي الوطني وذبول الحضارة الغربية، تكون المشكلة الرئيسية في العلاقات بين الغرب وبقية العالم هي الفجوة بين جهود الغرب، خاصة جهود أمريكا لتعزيز الحضارة الغربية، باعتبارها الحضارة الكلية العالمية، وتدهور مقدرتها على القيام بذلك، وقد أدى انهيار الشيوعية إلى تفاقم هذا التفاوت بدعم الفكرة الموجودة في الغرب، والقائلة أن إيديولوجية الليبرالية الديمقراطية قد انتصرت في العالم، وبذلك أصبحت صالحة على نطاق كلي شامل.

حيث يؤمن الغرب خاصة الولايات المتحدة التي كانت دائما بلدا له رسالة، بأن الشعوب غير الغربية يجب أن تلتزم القيم الغربية للديمقراطية، والأسواق الحرة والحكومة المحدودة وفصل الكنيسة عن الدولة وحقوق الإنسان والمذهب الفردي وحكم القانون، وبأنها يجب أن تجسد هذه القيم في مؤسساتها والأقليات في الحضارات الأخرى تعتنق هذه القيم وتعززها، ولكن المواقف السائدة نحوها في الحضارات غير الغربية تراوح بين الشك والمقاومة العنيفة، فما هو كلي وشامل عند الغرب يعتبره الآخرون في العالم إمبرياليا، كما أن غير الغربيين لا يترددون في الإشارة إلى الفجوات بين المبدأ الغربي والممارسة الغربية، والنفاق والمعايير المزدوجة هو ثمن الادعاء بالعالمية والكلية.

---

[1]- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الثقافات على المحك، مرجع سابق، ص ص 25 _26

و"إن الحضارة على ما سجله **ياسبرز (Karl Jaspers)*** (1954) هي وحدة تشكلت بفعل تجمع الشعوب والديانات والدول ضمن علاقات متبادلة وغير ثابتة، صراع دول أو تحالفها، تبشير وصراع ديني الخ ، كل هذه الوحدات الثقافية، الدينية والسياسية التي تشكل حضارة كبرى، ستتشابك وستنتظم وستدخل من وقت لآخر ضمن صراع ما"[1].

فالتركيبة الثقافية متشابكة تشارك فيها عدة عناصر من لغة ودين، وعلاقات متبادلة بين الشعوب، تكون مرة في تفاعل، وأخرى في تحالف، ومرة أخرى في صراع، إلا أن ما هو متفق عليه هو أن تعدد عناصر الثقافة لا يتناقض مع وحدتها، ومن خلال الطبيعة المكونة لكل ثقافة يعتقد هنتنجتون أن فرض قيم حضارية معينة لحضارة ما على باقي الحضارات عمل غير أخلاقي، بل ويتناقض مع هذه القيم في حد ذاتها، فالحضارات تتفاعل، ويقتبس بعضها من بعض العناصر التي تتفق مع خصائصها، والتي لا تؤدي إلى ذوبان الخصائص الثقافية التي تميزها، وعندما تأكد هنتنجتون أنه لا يمكن أن نعولم الحضارة الغربية، وأن المجتمعات غير الغربية لا يمكن أن تغرّب أراد أن ينفي إمكانية تكوين حضارة عالمية واحدة، ربما بالمنظور الغربي لأن هذا ليس في صالح الغرب، أما أن تكون حضارة عالمية واحدة لعالم واحد تسود فيه قيم الإنسانية، دون هيمنة لقيم حضارة على أخرى فهذا أمر ممكن، "وبعد أن يؤكد هنتنجتون استحالة دخول المجتمعات غير الغربية في فلك الحضارة الغربية، يحاول أن يسد الأفق كذلك أمام فكرة إمكانية أن يقود الاقتباس إلى تشكيل حضارة عالمية واحدة تتمتع بنمط واحد من السلوك، وطريقة واحدة من التفكير والعيش، وتشترك في أسس وأهداف واحدة...فيقول بأنه حدث دائما تفاعل واقتباس فيما بين الحضارات"[2].

ومن الحضارات التي بدأت في فرض ذاتها ووجودها وربما العلاقة بينها، نجد الحضارة الإسلامية والآسيوية، حيث يعتقد الغرب أن هذا التحالف بين هاتين الحضارتين المؤسستين على الدين، يعد ميلا للنزعة الكلية، أي السعي من طرف هذه الحضارات لأن تكون كلية، ومن هنا فقد اتهمهما الغربيون بالإمبريالية، وكمقابل لذلك يدعون إلى التعددية بدل الكلية، وهذه هي المعايير المزدوجة التي يتعامل بها الغرب، فعندما كان يريد نشر حضارته معتبرا إياها كلية شاملة لأنه يعتقد بقوته وهيمنته رفض تعدد الحضارات، واليوم عندما تغيرت موازين القوى، وظهر منافس حضاري أصبح يدعو إلى التعدد ومنه "في الوقت الذي تبدأ الحضارات الآسيوية والإسلامية في تأكيد الصلة

* كارل ياسبرس (1883_1969) فيلسوف ألماني، ينتمي الى الوجودية المؤمنة، من أهم كتبه: الباثولوجيا النفسية العامة.

[1]- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الثقافات على المحك، مرجع سابق، ص 74.

[2]- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 97.

بين هاتين الحضارتين والنزعة الكلية، فإن الغربيين سوف يقررون الرابطة بين النزعة الكلية والإمبريالية، وسوف يرون فضائل التعددية في العالم"[1].

وهنا يعود هنتنجتون ليعترف بأن السياسة الثقافية الكونية يعاد تشكيلها وفقا لمعطيات ثقافية وحضارية جديدة، فلم تعد الفوارق الإيديولوجية موجودة، بل أصبحت الفوارق تقوم على أساس ثقافي حضاري، وبدأت الاختلافات الثقافية لحدود الدول، وهنا بدأ الصراع بين الحضارات، أما التشكيل السياسي للعالم فسيحدث على مستويين: المستوى الإيديولوجي، حيث إن البلدان التي جمعتها الإيديولوجيا لكنها مختلفة حضاريا فإن مصيرها الانفجار، مثل الإتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا والبوسنة، والأخرى ستخضع لضغوطات مثل الجزائر وأوكرانيا، وهو ما أكده هنتنجتون بقوله: "في الواقع تمر السياسة بمرحلة إعادة تشكيل، أصبحت فيها الثقافة عنصرا للوحدة، وأداة للقوة، كثيرة هي الشعوب التي فرقتها الإيديولوجيا ووحدتها ثقافتها المشتركة...إن عددا كبيرا من الأفراد والقيادات السياسية تتحدث اليوم عن الوحدات الثقافية التي تخترق الحدود...والمجتمعات التي وحدتها الإيديولوجيا، أو إرادة التاريخ والمنقسمة حضاريا سيكون مصيرها إما الإنفجار (الإتحاد السوفياتي يوغسلافيا، البوسنة) أو الخضوع لضغوطات خانقة (أوكرانيا، الجزائر)" [2].

وهنا نلاحظ أن هنتنجتون يريد أن يثبت صحة أطروحته، حيث يؤكد أن نهاية التاريخ لا تعني نهاية الصراع، فالصراعات ستعود سواء أكانت إقليمية أو داخل حضارة ما أو بين الحضارات وستكون هذه الصراعات وفق معطيات ثقافية، من أجل رسم معالم مستقبل يكون فيه للثقافة الدور المركزي في العلاقات بين الدول والدول المركزية، حيث "يحاول هنتنجتون أن يمرر أفكاره في هذا المجال متناولا جوانب هامة في هذا السياق، سواء ما يتعلق منها بنهاية التاريخ، أو عودة النزاعات التقليدية بين الأمم أي النزاعات التي تتسم بالسمة الثقافية، أو تراجع الدولة القومية إلى غير مكانتها من خلال استشرافات وتصورات مركزية شاملة لما ستكون عليه السياسات الدولية في السنين المقبلة"[3].

إن تشجيع التعددية الثقافية في نظر هنتنجتون داخل الولايات المتحدة يُسهم في الصراع الحضاري الذي قد يقود إلى تفكك الولايات المتحدة وزوالها، ولهذا تطمح الولايات المتحدة للحفاظ على قوتها ونشر قيمها وجعلها عالمية وكونية، في تحدٍ ظاهر لباقي الحضارات، وهنا سيطرح أكبر مشكل بين الحضارات في محاولة الغرب نشر حضارته، وتصدي الحضارات الأخرى له، فداخليا " يشجع كل

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 18.

[2]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 173.

[3]- أحمد عياش، صدام الحضارات وسيناريو الحرب المقبلة جريدة النهار، بيروت، 2001/10/22.

من المطالبة لمجموعات خاصة وبالتعددية الثقافية صدام الحضارات داخل الولايات المتحدة، ويشجع ما سماه **آرثر. م. شليزنجر (Arthur M. Schlesinger)*** تفكك وحدة أمريكا"[1].

فصدام الحضارات قد يكون أولا داخل القوة العظمى أي الغرب ممثلا في الولايات المتحدة، وهذا الصراع أو الصدام داخليا قد يقود الى تصدع الغرب ودولته المركز ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وخارجيا "سيكون المشكل المركزي في العلاقات بين الغرب وباقي العالم هو الهوة بين جهود الغرب خصوصا الولايات المتحدة للنهوض بالثقافة الغربية كثقافة كونية، وبين قدرته المحدودة على تحقيق ذلك"[2].

وعلى سبيل المثال يحاجج الغرب بنشر قيمه وجعلها عالمية معتمدا في محاجته على حقوق الإنسان التي تجسدت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكن الملاحظ أن دولاً كثيرةً احتلت المرتبة الأولى في حماية حقوق الإنسان وتفوقت بالتالي على الغرب، وهو ما جعل السياسة الدولية تعيد مراجعة أحكامها على الحضارات، وربما سيكون ذلك سببا في صدام الحضارات، وفق منطلقات هنتنجتون الحضارية، "ولأول مرة منذ اعتماد الإعلان العالمي (لحقوق الإنسان)عام 1948 تجيء في المرتبة الأولى دول ليست راسخة القدم في التقاليد اليهودية_المسيحية، وتقاليد القانون الطبيعي، وهذا الموقف غير المسبوق سيحدد السياسات الدولية لحقوق الإنسان، كما سيضاعف من فرص الصدام"[3]

ولقد طرح الفكر الغربي سؤالا مرتبطا بالثقافة وكيف ترسم السياسات الدولية، جاعلا دورها هامشيا في رسم السياسات، وهذا هو الخطأ الذي ارتكبه الفكر الغربي، يقول في ذلك هارالد موللر في كتابه: "تعايش الثقافات" معبّرا عن هذه الفكرة في الفكر الغربي "كيف تغدو الثقافات لاعبا فاعلا في السياسة؟...إن الثقافات لا تعد لاعبا سياسيا، ولا تستطيع أن تكون فاعلة في السياسة الدولية مباشرة ولذلك فإن الحديث عن صراع الثقافات لا يعدو كونه مجازا لا يميز واقعا سياسيا ممكنا، فعالم السياسة له بعد مادي، ويتجلى ذلك بأوضح صوره في الحدود التي تعين أراضي الدولة"[4].

ويلاحظ هارالد موللر في دراسته لفكر وأطروحة هنتنجتون، أن هذا الأخير كان يستعمل خدعة الدولة المحورية التي تجمع الدول التي تنتمي لنفس حضارتها، فدولة المحور هي المركز، وباقي الدول هي المحيط، وتخوّل الدولة المحورية نفسها بأن تتكلم نيابة عن باقي الدول، وترسم معالم السياسة الدولية.

---

* آرثر م شلزنجر (1917_2007) مؤرخ أمريكي.

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 79.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 195.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 86.

4- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 66.

وفي تشريحه للعلاقات والولاءات السياسية يعتقد هنتنجتون أن الولاءات السياسية بين العرب والمسلمين، تختلف في بنيتها عن تلك الموجودة بين دول الغرب التي قامت في معظمها على القومية. وبعد أن نفى وأبطل هنتنجتون جميع النماذج التي قامت بعد الحرب الباردة، كنموذج نهاية التاريخ ونموذج الفرص العارمة، يصل هنتنجتون إلى نموذج فرضته التغيرات الجديدة في عالم اليوم حيث يقوم هذا النموذج على تقسيم العالم إلى حضارات وأقطاب حضارية فاعلة.

و"بعد أن يفند جميع النماذج التي قدمت للسياسة العالمية بعيد نهاية الحرب الباردة، بدءًا بنموذج مواطنه فوكوياما (نهاية التاريخ) وانتهاءً بنموذج الفرص العارمة...يقدم هنتنجتون نموذجه القائم على تقسيم العالم إلى حضارات"[(1)].

إن السياسات الكونية المعاصرة أعيد تشكيلها ثقافيا، فكل الشعوب المتشابهة ثقافيا تتقارب والعكس فكل الشعوب المختلفة ثقافيا تتباعد، وعليه فالثقافة هي المحدد الرئيسي لعالم السياسة الكونية "السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية مدفوعة بالتحديث، الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد"[(2)].

والالتقاء بين السياسي والثقافي يكمن في نظر هنتنجتون في أن الحدود السياسية للدول أعيد رسمها وفقا لمحددات ثقافية وحضارية، فالانتماءات الثقافية حلّت محل الانتماءات الإيديولوجية، وعلى هذا الأساس فإن الصراعات الحضارية المستقبلية ستكون وفق حدود ثقافية، وإن ما سيشكل السياسة العالمية في هذا المستقبل هي الصراعات الحضارية أكثر بين الدول والأمم، وعليه فإن "الحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتفق مع الحدود الثقافية والعرقية والدينية والحضارية: المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية"[(3)].

وبتغير الانتماءات من الإيديولوجي إلى الثقافي الحضاري، فإن السؤال قد تغير من "إلى جانب من تقف؟" تحول إلى سؤال هوياتي يقوم على "من أنت؟" وعلى أساس الإجابة تتحدد هوية الدول الثقافية وانتماءاتها السياسية الدولية، فالسؤال عن الهوية هو سؤال عن الذات وعن الأصدقاء وعن الأعداء.

فعالم ما بعد الحرب الباردة حمل في طياته تغيرات أساسية، حيث نلاحظ التوجه الكبير للناس نحو الثقافة والدين، كما نجد رجال السياسة داخل هذه الدول يدعون شعوبهم للتوحد الثقافي والتمسك بالهوية، والقضاء على الصراعات العرقية والإثنية، وتحقيق النمو الاقتصادي والرقي الحضاري، لكن

[1]– حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات؟ مرجع سابق، ص 96.

[2]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 203.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

السؤال الذي يطرح وفق هذا الحراك الثقافي والسياسي للشعوب والدول هو:"هل تتطابق الانحيازات السياسية والاقتصادية مع الانحيازات الثقافية والحضارية دائما، بالطبع لا؟"[1].

فالثقافة هي التي تعيد تشكيل مفهوم الأمة، ومفهوم الجماعة، ولقد زاد التمايز الثقافي من التمايز بين الشعوب، وربما أدى هذا التمايز على طول خطوط التقسيم الحضاري إلى نوع من الصراعات الحضارية، وستحتل هذه الصراعات مكانة أساسية في الساحة الدولية، بل قد تحدد السياسة العالمية بين الدول والأمم والحضارات، وكان من نتائج التحولات الاقتصادية والتحديث بالنسبة إلى هذه الشعوب أن ازداد اهتمامها بالثقافة، مخافة التمازج الثقافي مع ثقافة الغرب، وهذا يقود إما إلى التفسخ والانحلال والذوبان أو الشعور بالاغتراب اتجاه هذه الثقافة، وفي كلتا الحالتين يعود ذلك بالخطر على الهوية والوعي الثقافي لتلك الحضارة المخترقة ثقافيا من طرف ثقافات أو حضارات أقوى، فيحدث الفعل ورد الفعل، وعليه "في عالم للثقافة فيه اعتبار: فإن الفصائل هي القبائل والجماعات العرقية والأفواج هي الأمم، والجيوش هي الحضارات، اتساع المدى الذي تميز به شعوب العالم أنفسها على أساس الخطوط الثقافية، يعني أن الصراعات بين الجماعات الثقافية تتزايد أهميتها، الحضارات هي الكيانات الثقافية الأوسع، ومن هنا فإن الصراعات بين جماعات من حضارات مختلفة تصبح مركزية في السياسة الدولية، البروز المتزايد للهوية الثقافية...هي نتيجة للتحديث الاجتماعي/الاقتصادي على المستوى الفردي، حيث يخلق التشوش والاغتراب الحاجة إلى هويات أكثر معنى، وكذلك على المستوى الاجتماعي حيث تدفع القدرات الزائدة وقوة المجتمعات غير الغربية إلى إعادة تنشيط الهويات الثقافية الأصلية"[2].

فالقبول بعالم متعدد الحضارات حتمية واقعية، يؤدي أولا إلى رفض الأحادية القطبية، وثانيا إلى الاعتراف بوجود عالم جديد تشكل بعد الحرب الباردة، وهذا ما قد يخفف من حدة التوتر في السياسة الدولية، بل إن الإعتراف الغربي بوجود عالم متعدد الحضارات، سيقود حتما إلى السلام العالمي، وهو ما يؤكده المفكر والباحث الصيني **تشن تشياو** من معهد شنغهاي للدراسات الدولية بقوله: "إن الصين تتمسك بأن العالم متعدد الأقطاب هو اتجاه تاريخي لا يمكن مقاومته، وأن تنمية هذا النظام متعدد الأقطاب تؤدي إلى السلام العالمي"[3].

وإلا فإن العالم سيشهد توترات سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، إن القبول بعالم متعدد الحضارات، يقود الحضارات والأمم القوية إلى أن تراجع مواقفها السياسية، وأن تتبنى لغة الحوار

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 207.

2- المصدر نفسه، ص 209.

3- تشن تشياو، تعديل علاقات القوى الكبرى والاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب، مجلة السياسة الدولية، ترجمة أحمد سيد النجار، العدد 145، تموز 2001، ص 65.

بدل الصراع، أما غير ذلك فإن لغة الصدام هي التي ستسود وتحكم العالم، مما يهدد الإنسانية بنشوب حرب حضارية كونية، وقد تتحدد هذه الحرب الحضارية أكثر، إذا أصر الغرب على موقفه الرافض لعالم متعدد الحضارات، وهو ما يجعله في موقف الغرب ضد الباقي.

"إن النزاعات بين المجموعات في الحضارات المختلفة ستكون أكثر توترا وأكثر استدامة وأكثر عنفا من النزاعات بين المجموعات في الحضارة نفسها، وأن النزاعات العنيفة بين المجموعات في الحضارات المختلفة هي أرجح وأخطر مصدر للتصعيد الذي يؤدي إلى حروب عالمية، وأن المحور البارز للسياسات العالمية سيتمثل في العلاقات بين الغرب والباقي"[1].

والحقائق الماضية أثبتت للغرب ولباقي الحضارات أن هناك تغييرات مست هويات الشعوب، بعد أن تحررت من الاستعمار الغربي، وبعد أن أنهت مرحلة التوجس في الحرب الباردة الإيديولوجية وبدأت معالم سياسة دولية تتشكل، تقوم كما ذكرنا سابقا على البعد الحضاري الثقافي، وعلى عالم متعدد الأقطاب والحضارات، وربما هي الحقيقة التي لم يقتنع بها الغرب بعد، يقول هنتنجتون في ذلك "وقد شهدت السنوات التي تلت الحرب الباردة بداية تغيرات متميزة في هويات الشعوب، ورموز تلك الهويات، وبدأت السياسة الكونية في إعادة التشكل على خطوط ثقافية"[2].

هذا العالم الجديد أصبحت فيه السياسة الكونية متعددة الأقطاب والحضارات، وباستعراض هنتنجتون لتاريخ العلاقات الحضارية، لاحظ أن العلاقات بين الحضارات في الماضي كانت متقطعة أو منعدمة، أما في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن السياسة الكونية قد تشكلت فعلا على عالم متعدد الأقطاب، هذا التعدد كان موجودا لكنه داخل الحضارة الغربية، يخص الدول التي تنتمي لنفس الحضارة، مشكلّة بذلك نظاما عالميا مهيمنا على باقي الأمم، رغم أنها في كثير من الأحيان عرفت صراعات بداخل الحضارة الغربية، ويلخص هنتنجتون ذلك كله بقوله: "في عالم ما بعد الحرب الباردة ولأول مرة في التاريخ أصبحت السياسة الكونية متعددة الأقطاب متعددة الحضارات، وخلال معظم فترات الوجود الإنساني كانت الاتصالات بين الحضارات، إما متقطعة أو غير موجودة، ثم بعد بداية الحقبة الحديثة حوالي سنة 1500م إتخذت السياسة الكونية بعدين، ولمدة تزيد عن أربعمائة عام كانت الدول القومية في الغرب، بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والنمسا وبروسيا وألمانيا والولايات المتحدة، وغيرها تشكل نظاما عالميا متعدد الأقطاب في داخل الحضارة الغربية، كما تداخلت وتنافست وخاضت حروبا مع بعضها البعض"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 40.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 35.

[3]- المصدر نفسه، ص 38.

ولم يخف هنتنجتون أنه في قلب الحضارة الغربية التي تدّعي اليوم العالمية والرقي والتطور والحداثة وقعت بين دولها حروب وصراعات عنيفة ودموية قومية وإثنيه وغيرها، وبعد أن أنهت تلك المرحلة خرجت من داخلها، وأنهت الصراع بين دولها لتتجه إلى العالم الخارجي، لتؤثر في الحضارات الأخرى عن طريق التحديث، إلا أن العالم عرف ظهور مجموعات إيديولوجية مختلفة، وانقسم العالم إلى شمال وجنوب، أو دول غنية وأخرى فقيرة، ولقد لاحظ هنتنجتون أن الحرب الباردة كانت تدور في هذه الدول الفقيرة أكثر من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، فكأنها هي الكرة التي تتقاذفها الأرجل هنا وهناك أو المسرح الذي تجري فيه الأحداث، في حين أنه لا فائدة لها في هذه الصراعات، "وفي الوقت نفسه اتسعت الأمم الغربية أيضا، وهزمت واحتلت وأثرت بدرجة كبيرة في كل حضارة أخرى وفي أثناء الحرب الباردة أصبحت السياسة الكونية ثنائية القطب، وانقسم العالم إلى ثلاثة أجزاء مجموعة من المجتمعات الأكثر ثروة وديمقراطية بقيادة الولايات المتحدة، وكانت منغمسة في تنافس إيديولوجي وسياسي واقتصادي عام...وأحيانا عسكري، مع مجموعة مجتمعات أفقر إلى حد ما مرتبطة بالإتحاد السوفييتي، وتحت قيادته معظم هذا الصراع كان يدور خارج هذين المعسكرين في العالم الثالث المكّون من دول فقيرة هي غالبيتها تفتقر إلى الاستقرار السياسي مستقلة حديثا، وتدّعي أنها غير منحازة"[1]

وبعد انهيار الشيوعية وانتصار الليبرالية، لم تعد الإيديولوجيا ولا السياسة ولا الاقتصاد مرتبطةً بهذه الإيديولوجيا أو تلك، بل ما يميز الشعوب والأمم ألا وهي الثقافة، ولقد بدأ تحديد الانتماء الثقافي لهذه الشعوب من خلال الإجابة عن سؤال أساسي ألا وهو "من نحن؟" وهو السؤال الذي أجاب عنه هنتنجتون في كتابه المعنون بهذا السؤال "من نحن؟" ورأى هنتنجتون أن الشعوب تجيب وفق محددات ثقافية، كالدين واللغة والعرق والتاريخ وغيرها، وهي المحددات التي تميز حضارة عن أخرى.

"ففي أواخر الثمانينيات انهار العالم الشيوعي، وأصبح نظام الحرب الباردة العالمي في ذمة التاريخ، وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب إيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية، وإنما هي فروق ثقافية، وبناء على ذلك تحاول الشعوب والأمم أن تجيب عن السؤال المهم من نحن؟ وتأتي الإجابة عنه دائما بالأسلوب التقليدي الذي اعتاده البشر، وذلك بالإشارة إلى الأشياء التي تعني الكثير بالنسبة لهم، فالناس يعرّفون أنفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية، ويتطابقون مع الجماعات الثقافية (قبائل، جماعات إثنية، مجتمعات دينية، أمم) ومع الحضارات على المستوى الأكبر، كما يستخدم الناس السياسة لتحديد هويتهم إلى جانب دفع مصالحهم وتنميتها، فنحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف من ليس نحن، وذلك يتم غالبا عندما نعرف "نحن ضد من""[2].

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 38_ 39.

[2]– المصدر نفسه، ص 39.

فمن نكون تحدد هويتنا، كما تحددها نحن ضد من، ومن ليس نحن، أي بالجانب السلبي، وهذا نجده عند علماء النفس عندما يتكلمون عن محددات الشخصية والهوية، وعليه يعتقد هنتنجتون أن الناس بهذا يحددون هويتهم، بمنطلقات ثقافية، كما أنهم قد يلجأون إلى السياسة لتحديدها، وكذلك إلى الاقتصاد والتجارة، ولهذا نجده يتساءل عن محددات الانتماء الحضاري بما فيها التجارة متسائلا: "هل تزيد التجارة أم تقلل من احتمالات الصراع؟ الافتراض بأنها تقلل احتمالات الحرب بين الأمم إلى حدها الأدنى لم يثبت بل يوجد دليل كبير على العكس...الدليل لا يدعم الافتراض الدولي بأن التجارة تحقق السلام وتحافظ عليه...إن المعدلات الزائدة في التجارة، قد تكون قوة مسببة للشقاق بالنسبة للسياسة العالمية، وأن زيادة التجارة في النظام الدولي في حد ذاتها لا يحتمل أن تخفف من التوترات العالمية أو تؤدي إلى استقرار عالمي كبير "[1]

وبهذا يؤكد هنتنجتون أن الاختلافات في الجانب الاقتصادي والتجاري، أي المصالح بين الحضارات قد يزيد من حدة الصراعات وليس العكس، وربما هذه الحقيقة استنبطها هنتنجتون من الصراع التجاري بين آسيا ممثلة في اليابان والصين، والغرب ممثلا في الاتحاد الأوروبي وأمريكا فمادامت الحرب حرب زعامات وسيطرة اقتصادية، فإن التجارة ستزيد من الصراعات، ولن تقود إلى ما تطمح إليه الشعوب من أمن وسلام دوليين، وبهذا فقد أراد الغرب أن يفرض قيمه من أجل مصالح اقتصادية كمحاولة نشر الديمقراطية، وتعميم حقوق الإنسان، حتى ولو كان ذلك بطرق غير مشروعة كالانقلابات، والتدخلات العسكرية المباشرة، أو إذكاء الصراعات والحروب بين الدول، مما يجعل الغرب يسيطر على أهم تجارة مربحة ألا وهي تجارة الأسلحة، محققا في نفس الوقت هدفين، الأول اقتصادي، والثاني ثقافي حضاري عن طريق الحد من انتشار الثقافات المعادية، وهو ما عبر عنه هنتنجتون من دفاع الغرب عن قيم الديمقراطية والحرية، معتبرا ذلك جزءا من وجوده وكينونته قائلا "إن مستقبل الديمقراطية في العالم له أهمية خاصة بالنسبة إلى الأمريكيين، فالولايات المتحدة هي الدولة الديمقراطية الأولى في العالم الحديث، وهويتها كأمة لا تنفصل عن التزامها بالقيم التحررية والديمقراطية، وقد تغير الدول الأخرى نظمها السياسية وتستمر في وجودها كدول، أما الولايات المتحدة فلا تملك هذا الاختيار، لذا فإن الأمريكيين يولون أهمية خاصة لتنمية البيئة العالمية الصالحة للديمقراطية"[2].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 110_ 111.

2- صموئيل هنتنجتون، الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، ترجمة عبد الوهاب علّوب الكويت، دارسعاد الصباح، ط1، 1993، ص 90.

ومن هنا فقد ربط هنتنجتون مصير الغرب بمصير قيمه في الديمقراطية والحرية، معتبرا أن تحقيق الأمن والسلام والاستقرار في العالم متوقف على نشر والتزام الدول بهذه القيم الغربية، وأن الصراع بين الحضارات كذلك لن يكون في حالة سيادة كونية للغرب وقيمه.

و"إذن فمستقبل الحرية والاستقرار والسلام والولايات المتحدة، يتوقف على مستقبل الديمقراطية"[1] وهنا نجد هنتنجتون يتهم بعض الدول والحضارات بأنها تقف ضد قيم الغرب في الديمقراطية خاصة وحقوق الإنسان، متهما إياها بأنها تمارس أنظمة كليانية توتاليتارية تقضي على الحرية والقانون والعدالة حيث نجده يقول: "وتعد الديمقراطية أمرا نادرا بين الدول التي تدين بالإسلام، أو البوذية أو الكونفوشيوسية"[2].

فالشعوب تختلف ثقافيا وهوياتيا، خاصة التي تنتمي إلى حضارات بينها خطوط الصدع، كما يسميها هنتنجتون، فقد تباعد بينها الثقافة والرقعة الجغرافية، ويجدون أنفسهم ينجذبون إلى حضارات تتفق وثقافتهم وقيمهم الحضارية مهما كانت بعيدة عنهم جغرافيا، ويتكلم هنتنجتون على ما يسميه بالدول الممزقة ثقافيا، وهم شعوب لهم نفس الثقافة، لكن من يحكمهم يريدون منهم أن ينتموا إلى حضارة أخرى، كما يوجد من يرى ضرورة رفض كل معطيات الحضارة الغربية، وهنا يحدث الصدع داخل الحضارة الواحدة، وتصبح مجتمعاتهم ممزقة، وهذا يشكل خطرا على الهوية، وبالتالي على الثقافة والحضارة التي ينتمون إليها، وعليه كانت "الجماعات الرئيسية التي تنتمي إلى حضارتين أو أكثر في دول الصدع تقول في الواقع "نحن شعوب مختلفة، وننتمي إلى أماكن مختلفة" قوى الطرد تباعد بينهم وتجذبهم قوى مغناطيسية حضارية نحو مجتمعات أخرى...وعلى العكس من ذلك، فإن الدول الممزقة لها ثقافة واحدة سائدة تضمها في حضارة واحدة، ولكن زعماءها يريدون الانتقال إلى حضارة أخرى يقولون: "نحن في الواقع شعب واحد وننتمي كلنا إلى مكان واحد ولكننا نريد تغييره" وعلى عكس شعوب دول الصدع، فإن شعوب الدولة الممزقة متفقون على "من هم" ثم مختلفون على أي حضارة هي الحضارة الملائمة، وعلى نحو نموذجي يتبنى عدد كبير من القادة إستراتيجية كمالية ويقررون أن مجتمعاتهم لابد لها أن ترفض الثقافة والمؤسسات غير الغربية، وأن لابد لها من الالتحاق بالغرب والقيام بالتحديث والتغريب"[3].

أما عن التحديث الذي تسعى إليه الدول في الحضارات غير الغربية، فإن هناك من يرى أنها تستطيع التحديث دون الأخذ بالضرورة بالتغريب، لأن التحديث لا يعني التغريب، ويمكن لهذه الشعوب أن تقوم بفعل التحديث وفق مقرراتها الحضارية، والأكيد أنه يمكن التحديث وفق المعطيات الحضارية

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، مصدر سابق، ص 90.

[2]- المصدر نفسه، ص 139.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 226.

لكل حضارة، أما إحلال الثقافة الغربية بكل معطياتها واستئصال الثقافة المحلية من طرف دعاة التغريب فهذا أمر مستحيل، لأن العناصر الجوهرية في الحضارة لا يمكن أن تزول، أو تستأصل ولإدراك هذه الحضارات أن الفيروس الغربي كما يسميه هنتنجتون إذا تمكن من الحضارات غير الغربية، فإنه يصبح مثل السرطان يصعب استئصاله، فإما أن ينخر الحضارة فتبقى طوال الزمن مريضة ضعيفة، أو تصبح هجينة، أو أنه يقودها إلى الموت والاضمحلال، "إذا كانت المجتمعات غير الغربية تريد التحديث، فيجب أن يكون ذلك على طريقتها وليس على الطريقة الأوروبية...القادة السياسيون الذين تسيطر عليهم فكرة متغطرسة بأن بإمكانهم إعادة تشكيل مجتمعاتهم من الأساس لابد أن يفشلوا، وبينما يمكنهم إدخال عناصر من الثقافة الغربية، فإنهم لا يستطيعون دائما كبح أو إزالة العناصر الجوهرية في ثقافتهم الأصلية، وعلى العكس من ذلك فإن الفيروس الغربي بمجرد أن يسكن مجتمعاً آخر يصبح من الصعب استئصاله"[1].

وما يمكن ان نستنتجه هو ان الغرب يريد ان يأحد الثقافة ويعولم القيم التي تعبر عن حضارته غير معترف بباقي الثقافات والحضارات، أي انه يرفض التعدد والتنوع الحضاري، لأنه يعتقد ان السياسة الكونية يجب ان تتشكل وفق ثقافة الأقوى، وبما انه يعتبر حضارته هي الأقوى فاذن يجب ان تسود العالم وان تعولم، كما ان الآخر في نظر الغرب يسعى الى التحديث، والتحديث من ابداع الغرب، وعليه تجد الأمم مشكلة في ثقافتها وهويتها، من حيث انها تسعى الى التحديث، وهذا قد يقودها الى الأخذ بقيم الغرب، ولكن قيمها وثقافتها ترفض التغريب مما يخلق لها أزمة هوية، أما الغرب فانه يريد ان يستغل هذه الأزمة من اجل احلال ثقافته وحضارته في هذه الدول والأمم مما يجعلها منقادة له، ويستطيع بالتالي ان يخلق بداخلها لاصراعات وتصدعات، ومن هنا يضعف هذه الحضارات المنافسة له، انها الاستراتيجية الكونية التي يهدف من خلالها الغرب الى اعادة التشكيل الثقافي للسياسة الكونية.

المبحث الثاني: صدام الحضارات بين بقاء الغرب واضمحلاله.

إن إعادة تشكيل السياسة الكونية الذي بني على أساس ثقافي، من حيث إن عالم ما بعد الحرب الباردة قد حمل خطوط تقسيم حضارية جديدة، أدى إلى عالم متعدد الأقطاب متعدد الحضارات، ولقد ظهرت في الغرب مواقف على هذا التقسيم الجديد للعالم، فهناك من يؤيد عالماً متعدد الأقطاب ويقر بالتغير الذي حدث في الحضارات التي استيقظت وأصبحت المنافس المستقبلي للغرب وبالتالي التعامل مع هذه الحضارات على أساس الواقع الذي فرضها، وأن مصلحة الغرب هي في الاعتراف بهذه الحضارات والإيمان بالسيرورة التاريخية، والانطلاق في إعادة بناء علاقاته من جديد على أساس من وعي أنه لم يعد الحضارة الكونية والمهيمنة، سواء على السياسة الدولية أو على عالم الحضارات

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 252.

المتعددة، هذه الأخيرة التي عادت لأصولها الثقافية والهوياتية لتعيد تأكيد ذاتها وتمايزها عن الغرب وأنها لم تعد تلك الدول الممزقة والمهيمن عليها من طرف حضارة تدّعي العالمية والكونية، وتدّعي أن قيمها الحضارية والغربية صالحة لباقي الحضارات، وربما كان هذا أحد أسباب الصراع، أما الفريق الثاني فإنه الأكثر تطرفا، حيث يعتقد في مركزية الحضارة الغربية، وكونيتها وعالميتها، وأن الغرب رائد التحديث والتحضر، وبالتالي فإن قيمه الحضارية العالمية يجب أن تسود باقي الحضارات لأنها تمثل الحداثة والتطور، وأن من يقف ضد القيم الغربية فإنما يقف ضد الحضارة، وهذا ما سيقود حتما إلى ما يعرف بصدام الحضارات، وهنا نجد الغرب قد تصور نفسه المحور، وباقي الحضارات هامشا، فظهر نوع من الصراع بين الغرب وباقي العالم، واعتقد الغربيون أن ذلك إيذان بحرب حضارية، من شأنها أن تؤدي إلى زوال وأفول الغرب "وإن الانبعاث الحضاري غير الغربي على الساحة العالمية من شأنه أن يهدد الحضارة الغربية، لذلك فإن على الغرب أن ينمّي قوة حضارته وإنسجامها وحيويتها في مواجهة الحضارات الأخرى، وإلا فإن كل قيمه وثقافته آيلة للزوال والانهيار"[1].

إن فوبيا الحضارات غير الغربية، قد جعل من صنّاع القرار في الحضارة الغربية ينادون بضرورة تعزيز القيم الغربية ونشرها ولو بالقوة، لأن ذلك من شأنه أن يحافظ على قوة الغرب وهيمنته كما أنه يساعد على نشر الولاءات للغرب في العالم، ونشر حالة من عدم الاستقرار في الدول التي تمثل المركز في الحضارات المنافسة للحضارة الغربية، فالغرب اليوم يشعر ويعي أكثر من أي وقت مضى أن حضارته في خطر، وأنه سيؤول إلى الأفول والزوال، خاصة من التهديد الاقتصادي الآسيوي والنمو الديمغرافي الإسلامي، ولقد ذكر شبنغلر أن الحضارة الغربية ستؤول إلى الأفول والزوال، لأنها لم تقم على أسس ثقافية جوهرية مثل باقي الحضارات، فرغم أن الغرب قام على خصائص كالقانون الروماني وحقوق الإنسان، والمسيحية، إلا أن ما يجمع أكثر دوله هو المصلحة لا العلاقات الثقافية.

فالتهديد الأسيوي وصل إلى درجة أن الحضارات الآسيوية بدأت تستيقظ، وتعلن أن القيم الأسيوية الحضارية هي قيم عليا، بل إنه على الغرب أن يحتذي هذه القيم، وربما هذا عدّ في التصور الغربي خطرا على الغرب وقيمه ومؤسساته، وأن القيم الحضارية الآسيوية يجب أن تكون طرفا حاسما في صنع النظام العالمي الجديد، وبهذا بدأ الرفض الأسيوي للغرب وقيمه، وبدأ الصراع الحضاري الثقافي بين الغرب والباقي، حيث "يعتقد الشرق آسيويون أن التقدم الآسيوي والقيم الآسيوية نماذج يجب على الدول غير الغربية محاكاتها في سعيها للحاق بالغرب، وأن الغرب يجب عليه أن يتبنّاها لكي يحدد نفسه، يقول الآسيويون: "آسيا لابد أن تنقل إلى بقية العالم تلك القيم الآسيوية ذات الجدوى العالمية...(يجب) أن تعولم آسيا، وبالتالي تشكل طبيعة النظام العالمي الجديد على نحو حاسم"[2].

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 54.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 179.

ولقد أدرك هنتنجتون كفيلسوف للحضارات أن المرحلة القادمة ستعرف عودة الحضارات والثقافات وأن الصراع المستقبلي لن يكون إيديولوجياً، بل حضاريا بين حضارات مختلفة، وستتحالف في هذا الصراع الحضارات غير الغربية ضد الغرب وحضارته، فعلى الغرب أن يحضّر نفسه للمرحلة القادمة، لأن هذه الحرب الحضارية هي أكبر ما يشكّل خطر الزوال والأفول للغرب، وربما لم يتلق الغرب تهديدا أخطر من هذا من قبل، فالعالم سيشهد تعدداً حضارياً وتعدد الأقطاب، يقول هنتنجتون "إن القرن الواحد والعشرين من المحتمل أن يطبعه انبعاث مستمر لقوى وثقافات غير غربية، صدام بين الحضارات الغربية وغير الغربية...وبالتالي لن يكون فيه الهيمنة للغرب، ذلك أنه سيكون حقا متعدد الأقطاب ومتعدد الحضارات"[1].

ويرجع هنتنجتون احتمال حدوث صدام بين الحضارات، وأن هذا الصدام إن حدث سيقود حتما إلى أفول الغرب، ويرجع ذلك إلى أن الهيمنة الغربية منذ الحرب العالمية الثانية، وانتصارها في الحرب الإيديولوجية مع الشرق الشيوعي وزيادة قوتها العسكرية والاقتصادية، كل ذلك خلق لدى الغرب عقدة التفوق وعظمة وإعجاب بالحضارة الغربية وقيمها التي قامت عليها، كالحرية والتحديث والديمقراطية والليبرالية وغيرها، وبالمقابل تفوّق الحضارة الغربية خلق عقدة نقص، لدى الحضارات الأخرى حيث جعلها تشعر بالتخلف والخضوع والهيمنة، وأنها ناقلة ومقلدة لحضارة الغرب وغيرها، فهناك براديغيم غربي مهيمن، قاد إلى صراع الحضارات وصدامها، وهو ما يسمى بالفعل ورد الفعل، حيث "أدى هذا النموذج الغربي لصراع الحضارات في العصور الحديثة إلى خلق عقدة عظمة لدى الغرب، فهو حضارة العقل والعلم والحرية والعدالة والتقدم والعمران...وخلق عقدة نقص لدى الشعوب غير الأوروبية إنها ناقلة ومقلدة وتابعة ومتعلمة وهامش على المركز وفي محيطه، الغرب يبدع وهي تستهلك، الغرب يفكر وهي تنقل"[2].

فمفكرو الغرب اعتقدوا بأن الغرب قد وصل إلى الكمال فبدؤوا يروجون لقيمه، وآمنوا بأن هذه القيم هي التي يجب أن تسود، ومما زادهم ثقة في إمكانية جعل الحضارة الغربية عالمية وكونية، هو انتصاراتها في الحرب العالمية والحرب الباردة، وتجاوز الغرب صراعاته الداخلية وتشكله في حضارة واحدة لها خصائصها ومميزاتها، وهنا تقول **حنة أرندت (Hannah Arendt)*** في كتابها: "في الثورة": "وثمة ما يدعو إلى الأمل بأن ذلك الصدع الذي حدث في نهاية القرن الثامن عشر، هو على وشك الزوال في منتصف القرن العشرين، وذلك عندما اتضح أن الحضارة الغربية هي أمام فرصتها

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 54.

2- حسن حنفي وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 33_ 34.

* حنة أرندت (1906_1975) منظّرة سياسية وباحثة ألمانية من أصل يهودي، من أهم كتبها في العنف، في الثورة.

الأخيرة للبقاء في مجتمع أطلسي، ومن بين العلامات التي تبرز هذا الأمل، ربما كانت تلك الحقيقة القائلة بأن المؤرخين منذ الحرب العالمية الثانية كانوا أكثر ميلا إلى اعتبار العالم الغربي كلا تاما، مما كانوا عليه منذ أوائل القرن التاسع عشر"[1].

فبقاء الغرب متوقف على الإيمان بالهوية، وتأكيدها أمام الحضارات الأخرى المنافسة، وهذا يعود للغربيين الذين يجب عليهم أن يؤمنوا ويدافعوا على فردانية حضارتهم، والدفاع عن هويتهم وفرادة حضارتهم ضد الحضارات غير الغربية، أو كما يسميه هنتنجتون باقي العالم، الذي تعد حضاراته تحدياً حقيقياً لحضارة الغرب، وأن ظهور هذه الحضارات ووقوفها ضد الهيمنة الغربية هو ما ينبأ بأفول الغرب، إلا أن هنتنجتون يؤمن بأن قبول عالم متعدد الحضارات أو الأقطاب هو ما يحدّ أو يخفف من حدّة التوتر، ويجنب حرباً كونية حضارية، وهنا نجده يقول: "إن بقاء الغرب يتوقف على الأمريكيين بتأكيدهم الهوية الغربية، وعلى الغربيين عندما يقبلون حضارتهم كحضارة فريدة وليست عامة، ويتحدون من أجل تحديدها والحفاظ عليها ضد التحديات القادمة من المجتمعات غير الغربية، إن تجنب حرب حضارات كونية يتوقف على قبول قادة العالم بالشخصية متعددة الحضارات للسياسة الدولية، وتعاونهم للحفاظ عليها"[2].

كما يرى هنتنجتون أن من بين أسباب قوة الغرب وإنتصاره وبقائه، وأن أفوله مازال بعيدا هو قوة العقل الغربي، الذي أنتج هذه الحضارة، وقبول هذا العقل لفلسفة النقد، مما يجعله يصحح الأخطاء ويستفيد من التجارب السابقة، وهذا ما يساعده على أن يكون النموذج الحضاري الذي يجب أن يتبع كما يؤكد هنتنجتون أن التعدد داخل الغرب دليل قوة، وليس دليل ضعف، يقول هنتنجتون: "إن المجتمع الغربي بفعل طبيعته التعددية لديه ميل تلقائي إلى نقد ذاته، وهذه إحدى العوامل التي جعلت الغرب قادرا على التكيف والتقدم"[3].

ولهذا نجد الدول تسعى لامتلاك وسائل القوة، فإذا ظهر منافس قوي لا بد من الدولة العظمى أن تزيد من قوتها لكي تحمي أمنها القومي، وتضمن بقاءها واستمرارها، فهنتنجتون هنا يمجد القوة ويعتبرها أساس البقاء والاستمرار، إن القوة هي التي خلقت الغرب، وإنها هي التي تجعله اليوم سيدا ومسيطرا على العالم، ولهذا فقد سعى الغرب بكل الطرق والوسائل إلى ألاّ تمتلك باقي الحضارات وسائل التطور والقوة والسلاح، وتصبح بالتالي منافسا قويا له، وعليه سيطر الغرب على أكبر

[1]- حنة أرندت، في الثورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008 ص ص 315_316.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 38.

[3]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 127.

المنظمات الدولية، التي تنادي بالأمن والسلم العالمي، والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، والتوقيع على اتفاقيات حظر الأسلحة النووية، ولكن حسب كثير من الباحثين فإن الغرب في هذا الشأن يتعامل بمعايير مزدوجة، حيث فرض الحظر على الدول الضعيفة والتي تختلف عنه حضاريا، في حين لم يمارس نفس السياسة على إسرائيل وباقي الدول الأوروبية، إن السعي وراء القوة والسيطرة هو ما يرسم عالم اليوم، ويرسم السياسة التصارعية بين الأمم، يقول هنتنجتون معبرا عن السياسة الدولية القائمة اليوم بين الدول: "إن الدول لكي تضمن بقاءها وأمنها، تحاول باستمرار أن تعظّم من قوتها، عندما ترى دولة ما أن دولة أخرى تزيد من قوتها، وبالتالي تصبح خطرا محتملا، فإنها تحاول أن تحمي أمنها الخاص بتقوية نفسها ومضاعفة قوتها أو التحالف مع دول أخرى...إن نموذج الدولة هذا يقدم لنا صورة أكثر واقعية ودليلا على السياسة الكونية أكثر مما يقدم نموذج عالم واحد أو عالمين...افتراض الدولة البسيط أن القوة هي كل شيء...الدول تعرف مصالحها بلغة القوة، وبأشياء أخرى غيرها"[1].

إن المصالح الحيوية والهيمنة الاقتصادية، والسيطرة العسكرية أصبحت إحدى معطيات القرن الواحد والعشرين، القرن الذي شهد تعدد الحضارات، ولقد أكد بعض المفكرين الغربيين، ومنهم هنتنجتون على أن قوة الغرب بدأت في الانحسار والتراجع، حيث عجز الغرب عن فرض قيمه وحضارته على باقي الحضارات، ولهذا فهو مجبر اليوم على قبول الحقيقة التي تؤكد التعدد الحضاري، وستزول الهيمنة الحضارية الغربية، بفعل تغير السياسات الدولية وموازين القوى، نعم سيبقى الغرب في الآجال القريبة، لكن لا يوجد ما يبرر بقاءه في الأمد البعيد، بل إن المعطيات تبشر بزواله وأفوله، يقول هنتنجتون: "إن قوة الغرب تتراجع بالمقارنة مع الحضارات الأخرى، الغرب لا يمكنه ولا يجب عليه أن يحاول فرض نظامه على المجتمعات الأخرى بالقوة أو الإكراه، إننا نسير نحو عالم ذي حضارات متعددة، ولن تكون هناك إذن أية قوة مهيمنة...الغرب حتى وإن تراجع في قوته فإنه بالطبع سيبقى الحضارة السائدة في العقود المقبلة"[2].

صراع المصالح سيشكل كذلك عالم اليوم، وإن المصالح المشتركة قد تقلل من احتمالات الصدام بين الدول، وقد يكون بينها تحالفات ضد حضارة أو حضارات أخرى تختلف عنها في الخصائص، وإن أكبر ما يدفع للتعاون والتحالف المشترك بين الدول هو الانتماءات الثقافية، ولهذا فإن مختلف الصراعات تتم بين الدول التي لا تنتمي لنفس الثقافة والحضارة، فالتهديد عادة ما يكون من الحضارات التي تختلف عن بعضها في الدين واللغة والتاريخ وغيرها، وإن الشعوب المشتركة في هذه الخصائص تشعر بالثقة في الدول المنتمية لها حضاريا، ولا تتوقع صراعا بينها، "إن أنماطاً مختلفةً

1– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 55_ 56.

2– صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص 133_ 134.

من الدول تحدد مصالحها بأساليب متباينة، الدول الديمقراطية بينها أشياء مشتركة مع الدول الديمقراطية الأخرى، ومن ثم لا يحارب بعضهم بعضا...في عالم ما بعد الحرب الباردة أصبحت الدول تحدد مصالحها على أسس حضارية تتعاون وتتحالف مع دول ذات ثقافة مشتركة، وغالبا ما تكون في حالة صراع مع دول تنتمي لثقافات مختلفة...الشعوب ورجال الدولة لا يتوقعون تهديدا محتملا من شعوب يشعرون أنهم يفهمونها ويثقون بها بسبب اللغة أو الدين أو القيم أو المؤسسات أو الثقافة المشتركة إنهم يتوقعون التهديد بدرجة أكبر من دول مختلفة عنهم ثقافيا"[1].

إن التهديد الثقافي من حضارات أخرى أخطر على الغرب، فهذه الحضارات أصبحت تبحث عن المشترك الثقافي من أجل التقارب، وإنهاء فترة الهيمنة الغربية، ولقد أصبحت الثقافة هي اللاعب الأساسي في العلاقات الدولية بين الشعوب، فلم يعد للغرب تلك السلطة الأبوية على باقي الشعوب حيث كان مقتنعا بأنه حررها من طغيان النازية والفاشية وجاءها بالمخلص الديمقراطي، ويستشهد هنتنجتون في كل ذلك بأحد مفكري الغرب ألا وهو **أوليفي سيرافوزا** الذي يقول: "إن الغرب في نهاية هذا القرن أصبح يجد نفسه منعزلا أمام الحضارات الأخرى التي تنازعه في هيمنته وفي ادعائه الكونية...إن القرن العشرين ينتهي بمحاكمة الغرب من طرف الحضارات الأخرى"[2].

ويعود هنتنجتون إلى الجانب المفهوماتي ليحدد ماذا يقصد بالغرب، حيث يرى أن الغرب هو العالم الذي ينتمي إلى ما كان يسمى بالعالم المسيحي الغربي، وهنا نلاحظ أن هنتنجتون يريد أن يشير إلى أوروبا وأمريكا، لأنه توجد دول مسيحية لكنها لا تنتمي إلى الغرب، ولهذا أكد في هذه العبارة أن الغرب أصبح محددا ليس بشعب أو مساحة جغرافية، بل بالموروث اليهودي المسيحي كما ذكر كذلك برنارد لويس.

وعليه فإن "اصطلاح الغرب يستخدم الآن بشكل عام للإشارة إلى ما كان يسمى عادة بـ "العالم المسيحي الغربي"، وهكذا فإن الغرب هو الحضارة الوحيدة التي تحدد باتجاه بوصلة، وليس باسم شعب أو دين أو مساحة جغرافية بعينها"[3].

وما يؤكد تحليلنا لمفهوم الغرب عند هنتنجتون، هو أنه لا يحدد الغرب لا تاريخيا ولا جغرافيا ولا ثقافيا، إن ما يجمع دول الغرب هو تلك الخصائص المكونة للحضارة الغربية بما فيها المعطيات الأوروبية، التي ذكرها هنتنجتون سابقا، وعليه يتشكل الغرب من أوروبا وأمريكا، إن "هذا التحديد يرفع الحضارة من سياقها التاريخي والجغرافي والثقافي، ومن الناحية التاريخية فإن الحضارة الغربية حضارة

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 57.

[2]–أوليفي سرافوزا، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 55.

[3]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 77_ 78.

أوروبية، وفي العصر الحديث، الحضارة الغربية هي حضارة أوروبية أمريكية أو شمال أطلنطية، واسم الغرب هو الذي أدى إلى نشأة مفهوم التغريب، كما أدى إلى الدمج المضلل بين التغريب والتحديث"[1].

وهذا التحديد بالضبط قد جعل الغرب يدّعي كونية حضارته وعالميتها، كما اقتنع يوما ما بأنه الحضارة الوحيدة العالمية السائدة والتي يجب أن تسود، لكن تغيّر السياسة الكونية وظهور دول وحضارات جعل الغرب يعيد إستراتجيته الحضارية، فالدول غير الغربية بدأت في عملية التحديث، ولقد استقلت عن دول الغرب عسكريا وسياسيا وثقافيا، وبدأت في البحث عن مكان لها في السياسة العالمية، مما خلق نوعاً من الصراع والصدام، في عالم تشوبه الصراعات المصلحية والحيوية والثقافية يقول هنتنجتون فيذلك: "الصراعات ستزداد حدة بقدر ما ستعرفه هذه الدول من تحديث واستقلال عن الغرب العالم الغربي سيبقى لبعض الوقت الحضارة الأكثر قوة، ولكن إلى متى؟ على المدى البعيد قوته النسبية مقارنة مع باقي الحضارات ستتراجع"[2].

إن قوة الغرب ستعرف مع مرور الوقت نوعاً من التراجع في مقابل صعود القوة غير الغربية وهذا ما يبشر بقرب أفول الغرب، وأسباب ذلك كثيرة ويذكر من بينها هنتنجتون عدم وجود تفاعل وتواصل حضاري بين الغرب وباقي الحضارات، فنظرية القوة العظمى الوحيدة سيطرت على الفكر الغربي وجعلته يعتقد في قوة حضارته وكونيتها وربما خلودها، لكن علماء الحضارات الغربيين أنفسهم أمثال أرنولد توينبي، وأزوالد شبنغلر، وحتى هنتنجتون يرون أن الحضارات غير خالدة، وأنها تنمو وتزدهر ثم تذبل وتأفل وتموت، إنها مثل الكائن البشري الذي يمر بمرحلة الطفولة ثم القوة أي الشباب ثم الكهولة فالشيخوخة، وهذه الأعمار الحضارية ذكرها العلامة عبد الرحمن بن خلدون، كما أكدها المفكر الجزائري **مالك بن نبي**، وعليه فقد انتبه هنتنجتون إلى أن الخلل في الحضارة الغربية يعود إلى أنها تقوم بالفعل التواصلي كما يسميه الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس (jurgen Hbermas)***

مع الذات فقط ولا تتواصل مع الآخر المختلف، وهو ما جعلها ثقافة منعزلة، وهذا ما سيقود الغرب إلى الجهل بالآخر، وعدم وعي الاختلاف والتعدد الحضاري، وسيبقى هذا الجهل إلى أن يجد الغرب نفسه أضعف الحضارات، بعد أن كان هو الأقوى، مما سيقوده حتما إلى الانحلال والتفسخ، يقول هنتنجتون "المشكل هو أننا لا نتواصل إلا مع الأشخاص الذين نرغب في التواصل معهم، والذين يشاركوننا نفس

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 78.

[2]– صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 136.

* يورغن هابرماس (1929_) فيلسوف ألماني، من زعماء مدرسة فرانكفورت، من أهم كتبه: القول الفلسفي للحداثة.

المصالح ونفس الثقافة، في هذه الحالة التواصل ربما يكون أكثر سهولة، لكن هذا لا يعني الاختلافات بين الحضارات"[1].

فالغرب بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، تشكّل وشكّل القوة التي أصبحت القوة العالمية الأولى، فزوال الخطر السوفياتي وانتصار الليبرالية، جعل الغرب والقوى الغربية تشكل العالم وفق النظرة الغربية المبنية على القوة والمصلحة، كما يذكر كذلك هابرماس، فمن يملك المعرفة يملك القوة، ومنه أصبحت السياسة العالمية سياسة مبنية على تصورات الحضارة الغربية، المشكّلة من الدول الأوروبية وأمريكا، أما المصالح الاقتصادية فيرى الغرب أنه لا بأس بإشراك اليابان، وعليه فإن المصالح الاقتصادية ستخضع للعلاقات السياسية، وبما أن الدول الغربية هي التي تشكل هذه السياسة فإنها ستبقى هي المهيمنة على باقي الدول والحضارات، ولهذا "هناك صورتان لقوة الغرب بالنسبة إلى الحضارات الأخرى، الأولى: هي صورة لسيطرة وسيادة غربية شاملة، تفكك الاتحاد السوفيتي أزالت المتحدي الخطير الوحيد بالنسبة إلى الغرب، ونتيجة لذلك فإن العالم قد أصبح وسيظل يتشكل طبقا لأهداف وأوليات ومصالح الدول الأوروبية الغربية القوية، وربما بمساعدة من اليابان أحيانا، وحيث إنها القوة الكبرى الوحيدة المتبقية، فإن الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا يتخذون القرارات الحاسمة في القضايا السياسية والأمنية، والولايات المتحدة مع ألمانيا واليابان يتخذون القرارات الحاسمة في القضايا الاقتصادية"[2].

ويعود سر تقدم الغرب وهيمنته، إلى السيطرة الاقتصادية العالمية وتطوره في ميدان التقنية، وهذه المعطيات هي التي رسمت الثقافة الغربية، فهي ثقافة تقوم على القوة والسيطرة والتقنية، والمصالح المشتركة، والتفوق العسكري، لكن هنتنجتون بقدر ما يفتخر بقوة الغرب وحضارته وسر تفوقه، بقدر ما يستشعر خطر الحضارات النامية، والتي ستشكل منافسا للغرب وخطرا عليه، وأكبر الحضارات تهديدا للغرب هي الحضارة الآسيوية، التي تعرف نموا اقتصاديا كبيرا، وبالتالي غزو للأسواق العالمية كما أن الثقافة الغربية وقيمها تتلقى هجمات مضادة من طرف الغير، والتي تظهره وثقافته على أنه إمبريالي واستعماري، لا يعرف القيم ولا الإنسانية، وأن ما يهمه هو المصلحة غير الأخلاقية.

"لقد استطاعت الثقافة الغربية من خلال التقدم التقني والتطور الاقتصادي، ومن خلال هيمنة دولها ووسائلها العسكرية، أن تنتزع لنفسها المركز الأفضل في العالم، ولكن هذه المرحلة تتجه نحو نهايتها فالآخرون يلحقون وسيبقون، ستتفوق آسيا على الغرب، وسوف تصبح الصين القوة الاقتصادية

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 137.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 133.

العالمية العظمى...إن الهجوم المضاد على الثقافة الغربية يتعاظم أكثر كلما ازداد ميزان القوى رجحانا لصالح الآخرين"(1).

إن مصالح الغرب موجودة في كل الحضارات، لقد سعى الغرب منذ نشأته وسيطرته إلى أن يربط باقي العالم ممثلا في الدول والحضارات، بمصالح إستراتيجية، حتى يتحكم فيها، إما اقتصاديا أو عسكريا مستخدما أسلوب التهديد أحيانا، وأحيانا التدخل العسكري لحماية مصالحه، كما حدث في عدة مناطق من العالم، إن الدول غير الغربية التي تعاني مشاكل اقتصادية ومشاكل في التنمية بحاجة إلى مساعدة الدول الغربية، وطبعا إن تقديم المساعدات الغربية مرتبط بتنازلات من طرف هذه الدول فالغرب يمتلك القوة والوسائل والاقتصاد، ووسائل الاتصال المتطورة وصناعة الأسلحة، كما أنه مسيطر على وسائل الفضاء وغيرها، مما جعله متبوعا لا تابعا، مهيمنا على جميع المجالات، ومهيمنا على جميع الحضارات، ولهذا كان "الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى، المجتمعات التي تنتمي إلى حضارات أخرى محتاجة دائما إلى مساعدة غربية لتحقيق أهدافها وحماية مصالحها، والدول الغربية كما لخّص أحد الباحثين:

_تمتلك وتدير النظام المصرفي العالمي.

_تتحكم في كل العمليات الصعبة.

_الزبون الرئيسي في العالم.

_تقدم غالبية سلع العالم الرئيسية.

_تسيطر على أسواق العالم الرئيسية، وتمارس قيادة معنوية كبيرة داخل مجتمعات كثيرة.

_قادرة على التدخل العسكري الواسع.

_تتحكم في الطرق البحرية.

_تقود معظم البحث العلمي والتطوير التقني.

_تسيطر على وسائل الدخول إلى الفضاء.

_تسيطر على الصناعة الخاصة بالفضاء.

_تسيطر على وسائل الاتصال العالمية.

_ تسيطر على صناعة الأسلحة ذات التقنية العالية"(2).

وبما أن الغرب في أوج قوته، اقتصادياً وعسكرياً وحضارياً، وأن المنافسين له لا يملكون القوة اللازمة للهيمنة، فإن هنتنجتون يضع عدة شروط للحفاظ على هذه الامتيازات الحضارية للغرب

1- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 25.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص133_ 134.

ويعتقد أن الحضارة الغربية حتى تبقى وتحافظ على وجودها وقوتها، لا بد من قضائها على كل ما من شأنه أن يكون عاملا مهددا لها، كالهجرة، وتفعيل دور الحلف الأطلسي وجعله الحارس الرئيسي للحضارة الغربية.

"وللحفاظ على الحضارة الغربية لابد من: التحكم في الهجرة..._ضمان اندماج المهاجرين... الاعتراف بأن الحلف الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة هو المنظمة الأمنية للحضارة الغربية"[1].

والدارس لتاريخ الغرب، يلاحظ أن هناك صورتين للغرب، الصورة الأولى، هي الصورة التي ترى في الغرب التطور والتفوق الحضاري، بسبب العوامل والخصائص التي أوصلته إلى الكونية، ووصل الحد بأنصار هذا التصور إلى الدعوة إلى عالمية الغرب وكونيته، ومركزية الحضارة الغربية، وأنه يجب على باقي الحضارات إذا أرادت التطور والرقي، عليها أن تأخذ بالنموذج الحضاري الغربي والأكثر من ذلك هو التخلص من الخصوصية الثقافية لديها، فكان بالتالي"أبرز ما قررته المركزية الغربية هو قولها بالخصوصية المطلقة لتاريخ الغرب، الذي أنضجته عوامل خاصة وداخلية وأثمر من حضارة غنية ومتنوعة، ثم التأكيد على أن المجتمعات التي تريد أن تبلغ درجة من التقدم التي وصل إليها الغرب ليس أمامها إلا الأخذ بالأسباب ذاتها التي أخذ بها الغربيون، وليس أمام تلك المجتمعات إلا التخلص من خصوصياتها الثقافية، لأن تلك الخصائص هي المسؤولة عن تخلّفها"[2].

هذه الصورة المتعالية للغرب التي تجعله مركزا وباقي الحضارات هامشا، يصنع الكونية والسياسة الدولية، ويقود العالم، أما الصورة الثانية فهي صورة غرب يحمل حضارة بدأت في الانحلال والذوبان، بدأت تفقد مصالحها الحيوية والإستراتيجية في العالم، بمقابل الحضارات الأخرى، وإن الحروب التي خاضها الغرب أنهكته، اقتصادياً وعسكرياً، وبالتالي لا يقوى اليوم على المواجهة، كما أنه يعاني من جملة مشاكل داخل الحضارة الغربية، منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مما ينبئ بتدهور الحضارة الغربية كما يذكر شبنغلر، وبالمقابل مراكز القوة تنتقل إلى الحضارات الأخرى خاصة في آسيا، التي بدأت تعرف نموا اقتصاديا، وما يتبعه من سيطرة عسكرية وسياسية، هذه الصورة الثانية عبّر عنها هنتنجتون بقوله: "الصورة الثانية للغرب مختلفة تماما، إنها صورة حضارة تنهار، نصيبها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم في هبوط، بالنسبة إلى نصيب الحضارات الأخرى، انتصار الغرب في الحرب الباردة لم يسفر عن فوز بل انهاك، الغرب مهتم بدرجة متزايدة بمشاكله واحتياجاته الداخلية، حيث يواجه نموا اقتصاديا بطيئا وركودا سكانيا وبطالة وعجزا حكوميا، وأخلاقيات عمل متدهورة، ومعدلات ادخار منخفضة، وفي دول كثيرة بما فيها الولايات

1- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، ص 75.

2- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2، 2003، ص 40.

المتحدة يواجه تفككا اجتماعيا، بالاضافة إلى مشكلات المخدرات والجريمة، القوة الاقتصادية تنتقل بسرعة إلى شرق آسيا، وبدأت تتبعها القوة العسكرية والنفوذ السياسي"(1).

وبما أن الغرب تحكمه علاقات تقوم على المصلحة الاقتصادية، فإن قيمه تقوم على البراغماتية والنفعية، كما أنه يقوم على المادة، والإنتاج لقيم مادية، ويرى هنتنجتون بأن الغرب يعتقد تصدير القيم الغربية بتصديره لمنتوجاته الاستهلاكية، إن هذه القيم ستنتشر الثقافة والحضارة الغربية، لكن الواقع يقول العكس، إن غير الغربيين ينظرون إلى القيم الغربية على أنها مادية تقدس المادة على حساب الروح والأخلاق والقيم الإنسانية، لأنها بنيت على أبعاد نفعية، أما الحضارات غير الغربية فإنها باحتكامها إلى ثقافتها، فإنها تحتكم إلى قيم أخلاقية وإنسانية، وفي كثير من الأحيان دينية، وهو ما تفتقر إليه الحضارة الغربية التي سعت منذ أمد طويل إلى فصل أمور العلم والسياسة عن الدين، وربما هذا الفصل كان سببا في انحلال القيم في الحضارة الغربية، يقول هنتنجتون: "القيم الغربية أصبحت جد مادية، وفقط تكبّرنا يجعلنا نعتقد بأن غير الغربيين يتبنون قيما عبر استهلاك منتوجاتنا...البعد الأخلاقي يتراجع بشكل مستمر...الانبعاث الديني عبر العالم هو أيضا رد فعل ضد علمنة الغرب والإسلام يقوم بدور مهم كموجه للحياة في العالم الحديث"(2).

إن العلمنة الغربية هي التي جعلت الحضارات غير الغربية تنتفض وتعود إلى ثقافتها لتتمسك بها وتحارب قوى التغريب، ولقد اعتقد بعض من مفكري الحضارات غير الغربية أن التحديث يعني التغريب، وإذا أرادت هذه الحضارات أن تمتلك القوة التي لدى الغرب، عليها أن تأخذ بكل المعطيات التي أخذت بها الحضارة الغربية، والتي لولاها لما عرف الغرب أوج قوته، لكن بالمقابل هناك قوى وقفت ضد التغريب، ووصفت الحضارة الغربية وقيمها بالقيم القاتلة، فالغرب يريد لقيمه أن تسيطر ليس من أجل النهوض بالحضارات، وإنما من أجل القضاء على هويتها، فيسهل انقيادها والسيطرة عليها ولقد استفادت هذه الحضارات من تجارب سابقة أيام الاستعمار الغربي لها، ولقد عبّرت تلك الحضارات عن هذه المشكلة في الأخذ أو رفض القيم الغربية بأزمة الهوية والنهضة، كما حدث في الفكر العربي الإسلامي فرغم السيطرة الغربية اليوم، إلا أن العالم في نفس الوقت يشهد تغيرات وتطورات، في موازين القوى، وهو ما يبين أن هذه السيطرة غير أبدية، بل إن المعطيات كلها توحي بأن الغرب سيؤول إلى الاضمحلال والزوال، وإن القيم الغربية ستتآكل، مما يؤدي إلى تآكل الغرب من الداخل ومن الخارج فرغم أن "الغرب الآن مسيطر بشكل طاغ، وسيظل رقم واحد من ناحية القوة والنفوذ في القرن الواحد

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 134.

2- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 138.

والعشرين، وهناك كذلك تغيرات تدريجية قوية وأساسية تحدث في موازين القوى بين الحضارات وقوة الغرب بالنسبة لقوة الحضارات الأخرى سوف تستمر في الاضمحلال"[1].

وفي حوار مع هنتنجتون نقله محمد سعدي يعتقد هنتنجتون في إجابة عن سؤال حول انهيار الغرب، أنه مستبعد في المرحلة الحالية، لأنه يمكن للغرب أن يجدد نفسه من الداخل، ويستشهد هنتنجتون بحضارات، مثل الصين، التي استطاعت أن تجدد نفسها، وأن تستيقظ حضاريا، وكذلك الحضارة الهندية، فهذه الحضارات قامت وبنيت على أسس، استطاعت بفضلها أن تضرب في جذور التاريخ، فمهما عرفت نوعاً من الركود إلا أنها استطاعت أن تنبعث من جديد، وعليه فالغرب له مثل تلك الأسس، وإنه مر بعصرين أساسيين شاركا في ظهوره وتجاوزه لمختلف الصراعات، ووصوله إلى القمة والعالمية، وبهذا فقد أجاب هنتنجتون حول سؤال "انهيار الغرب الذي تتحدثون عنه هل هو حقيقي؟ يجيب: لا، هناك عدة نماذج لحضارات استطاعت أن تجدد نفسها، الصين قامت بذلك عدة مرات طوال خمسة آلاف سنة الهند أيضا، ومنذ نهاية الشيوعية نرى عودة بروز العالم الأرثوذوكسي فيما يخص الغرب علينا أن لا ننسى أنه عرف عصر النهضة والأنوار"[2].

هناك تفاؤل حذر من هنتنجتون، فمن جهة نراه يرى في الغرب القوة التي لا يمكن أن تزول والتي سيطرت وتسيطر، فهو مبني على خصائص حضارية غربية خالصة، وإن هذه الخصائص هي التي جمعت الدول الغربية في حضارة واحدة، وأن الغرب بالنظر إلى التاريخ والماضي قد مر بمرحلة الصراعات الداخلية، وتجاوز الخلافات الإثنية والعرقية، وإن قيمه واحدة، وبفضل ذلك فقد وصل إلى القمة، ومن جهة أخرى يعود هنتنجتون إلى تلك القيم والخصائص ليرى فيها أنها قد تكون السبب في أفوله وزواله، فميزان القوة تغير حيث نشهد بروز حضارات تمتلك القوة الاقتصادية، ومن ثمة القوة العسكرية والحضارية، مثل الصين التي يرى فيها هنتنجتون أنها من أكبر الحضارات تهديدا للغرب ومصالحه، "ومع تآكل أولية الغرب، فإن معظم قوته سوف يتبخر، والباقي منها سوف ينتشر على أساس إقليمي بين الحضارات الرئيسية العديدة ودولها المركزية، الزيادة البارزة في القوة تتراكم وسوف تتراكم لدى الحضارات الآسيوية، مع بروز الصين كمجتمع هو الأكثر ترجيحا لتهديد الغرب على النفوذ الكوني، هذه التحولات في القوة بين الحضارات أدت وسوف تؤدي إلى يقظة المجتمعات غير الغربية وتوكيد ثقافتها، وإلى زيادة رفضها للثقافة الغربية"[3].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 135.

2- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 140.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 135.

ويبني هنتنجتون معطياته هذه من خلال الواقع، الذي يؤكد أن الولايات المتحدة متزعمة الغرب والعالم بانتصارها على الشيوعية واعلانها لعالم أحادي القطبية، جعلها كل ذلك تعيش في نوع من العزلة وعدم التواصلية مع العالم الحضاري الجديد، الذي برز بعد نهاية الحرب الباردة، الذي أكد التعددية القطبية وإن سعي الولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها دون احترام باقي الحضارات، هو ما يجعلها عدوا ويزيد من احتمال الصدام بينها وبين باقي الحضارات، يقول هنتنجتون: "بتصرفها وكأنها تعيش في عالم أحادي القطبية، ستنتهي الولايات المتحدة إلى الانعزال أكثر فأكثر عن الساحة الدولية...في الوقت الراهن تتبع سياسة الأحادية العالمية، أي تعزيز مصالحها الخاصة بدون إعتبار لمصالح الأمم الأخرى"[1].

واحتمال اضمحلال الغرب عند هنتنجتون ممكن ليس في القريب، ولكن على المدى الطويل ففي كل حضارة كان الصعود أو البروز، أو حتى الانهيار يأخذ مدى طويلاً، والغرب في هذا مثله مثل باقي الحضارات، ويعتقد بعض مفكري الغرب أن المرحلة الأولى مرحلة الولادة بالنسبة إلى الغرب قد تلتها مرحلة القوة والظهور، والتي وصلت إلى القمة في بداية القرن العشرين، وبعدها بدأت بوادر الانحدار، الذي سيستغرق قرونا كما استغرقت باقي المراحل، وهو ما يسميه علماء الحضارات في المنحنى البياني بالذروة والانحدار، ومنه كان "اضمحلال الغرب له ثلاث سمات أساسية: أولا هي عملية بطيئة صعود القوة الغربية أخذ أربعة قرون، انحسارها قد يأخذ مثل تلك المدة الطويلة...قال الباحث البريطاني "**هيدلي بول** (**Hedley Bull**)* "إن السيادة الغربية أو الأوروبية على المجتمع العالمي بكامله يمكن أن يقال إنها وصلت إلى أوجها حوالي سنة 1900"[2].

والميزة التي يتميز بها الغرب، والتي جعلته متفردا هو كونه له مركزان أساسيان هما: أوروبا وأمريكا، لهذا هناك من اعتقد أن الغرب بدأ في مرحلة الانهيار بداية من القرن العشرين، بما حمله من دمار وحروب في الحضارة الغربية، بداية بالحرب العالمية الأولى وصولا إلى الثانية، وما خلفتاه من دمار كبير على أوروبا، وما قادت إليه من انقسامات إيديولوجية، وصراعات إثنية عرقية أدخلت أوروبا في حروب دامية كادت تزول من خلالها فكرة الرجل الغربي المتحضر والمتفوق دائما، يقول هنتنجتون "بالإضافة إلى أن الغرب به مركزان رئيسيان للقوة على عكس كثير من الحضارات، فالانهيار الذي

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص 210،208.

* هيدلي بول (1932_1985) سويسري، أستاذ العلاقات الدولية.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 135.

كان يرى البعض بدايته في حوالي 1900، كان في الأساس متوقعا في المكون الأوروبي للحضارة الغربية"[1].

وهنا يعود هنتنجتون إلى أشهر كتاب حلل الحضارة الغربية، وتنبأ بأفولها واضمحلالها، إنه كتاب أزوالد شبنغلر، "أفول الغرب" ومن خلاله، آمن هنتنجتون بأن الغرب يسير في منحنى تنازلي وأن نقطة الانطلاق في هذا المنحنى حتى ولو كانت بطيئة قد بدأت، "الجزء الأول من كتاب "شبنغلر" ظهر سنة 1918، وكان "اضمحلال الغرب" موضوعا رئيسيا في تاريخ القرن العشرين...النمو الاقتصادي والزيادات الأخرى في مقدرات أي دولة تسير عادة بامتداد منحنى (S)..انهيار واضمحلال الدول يمكن أن يتم أيضا بأسلوب المنحنى (S) انهيار الغرب مازال في المرحلة الأولى البطيئة، ولكنه قد يتسارع بدرجة كبيرة عندما يصل إلى نقطة معينة"[2].

إن اضمحلال حضارة ما، كما جاء عند علماء الحضارات وفلاسفتها، لا يسير في خط مستقيم بل به انحناءات، ولهذا فإن حضارة ما لا تختفي فجأة أو تزول في لحظة سريعة، إن الحضارات تنمو وتزدهر وتضمحل في منحنى هرمي، ويتطلب ذلك قروناً من الزمن، وعوامل تشارك في ذلك، وقد تعيد حضارة ما توكيد قوتها في مرحلة ما من مراحلها، "إن الانهيار في حضارة ما لا يهبط في خط مستقيم عموديا، وهو غير منتظم، به وقفات وانعكاسات وإعادة توكيد للقوة الغربية"[3].

وهذه الأفكار أخذها **غالب كجك** مباشرة من هنتنجتون الذي يرى أن انهيار الحضارات لا يأخذ خطا مستقيما، وهي حقيقة وحتمية تصدق على جميع الحضارات، بما فيها الحضارة الغربية، التي ربما عرفت أوجها في هذا القرن، ولكن البدايات الأولى للاضمحلال بدأت تظهر، ومنها الانعزال، وانحسار القوة الغربية، بمقابل الحضارات غير الغربية التي بدأت تظهر وتتفتح على غيرها من الحضارات، وإن الانهيار الذي بدأ في أوروبا، المركز الثاني للحضارة الغربية، كان سببه انهيار المكون الأوروبي للحضارة الغربية، عندما دخلت أوروبا في صراعات إثنية وحروب عرقية، ولكن تلك المرحلة تم تجاوزها، لتعود الحضارة الغربية إلى الواجهة من جديد، "فالانهيار لا يسير في خط مستقيم، وهو غير منتظم، به وقفات وانعكاسات، وإعادة توكيد للقوة الغربية على إثر تجليات للضعف، المجتمعات الغربية المنفتحة لديها إمكانات عظيمة للتجدد، بالإضافة إلى أن الغرب يوجد به مركزان رئيسيان للقوة

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق ص 111.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 136.

[3]- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 111.

على عكس كثير من الحضارات، الانهيار الذي كان "بول" يرى بدايته في حوالي سنة 1900 كان في الأساس انهيار المكون الأوروبي في الحضارة الغربية"[1].

ومن بين المكونات الأساسية التي بنيت عليها القوة الغربية، وحافظت على قوة الحضارة الغربية نجد العامل الاقتصادي، فعندما كانت أوروبا في حروب داخلية كان المركز الأول للحضارة الغربية في أوجه الاقتصادي فحدث نوع من التوازن، بالإضافة إلى أن دول الحضارات غير الغربية كانت تحت نير الاستعمار الذي سخّر خيراتها لخدمة الحضارة الغربية، فصعب على هذه الدول النهوض، واللحاق بالركب الحضاري، فالغرب الإمبريالي الاستعماري قام بدورين، استغلال خيرات الشعوب، وتقوية اقتصاده وحضارته من جهة، ومن جهة أخرى القضاء على أي محاولة للنهوض من قبل باقي الحضارات، لكن بعد أن عرفت أوروبا نوعاً من الاستقرار، بدأت في منافسة أمريكا، وبدأ الجزء الثاني في الحضارة الغربية في التصدع، مما أذن بعودة الصراعات وانهيار الغرب.

"إن التركيز على العامل الاقتصادي أساسي في رؤية هنتنجتون للحضارة الغربية، في نموها وارتفاعها وسيادتها أو في اضمحلالها وهبوطها...لقد صرّح بأن للحضارة الغربية مركزين هما أمريكا وأوروبا...وأن الحضارة الغربية تشهد حالة تصدع بين مركزيها اللذين لديهما أسباب كثيرة تؤدي بها إلى ما يمكن أن يسمى بـ: "حضارة الصدع" طبقا لقاعدة "دول الصدع" التي نظّر لها هنتنجتون نفسها"[2].

لقد سيطر الغرب في مرحلة تاريخية معينة على العالم، سيطرة عسكرية وسياسية واقتصادية ونهب خيرات الشعوب، وسخّرها لمصلحته واقتصادياته ليزداد قوة، وتزداد هذه الشعوب ضعفا وتقهقرا في سلم الحضارة، ونظر إلى هذه الشعوب نظرة استعلاء، نظرة السيد للعبد، واعتبر حضارته من إنتاج الرجل الأوروبي المفكر، وأن باقي الشعوب لا يمكن أن تبدع أصلا، فزادت هيمنته، وحاول أن ينشر قيمه ومنتجاته من أجل أن يبقي على هذه الشعوب تحت رحمته، إلا أن الغرب الذي وصل إلى القمة بدأت بوادر انحداره تظهر، وبدأ تصور عالمية حضارته في الذوبان، وعلى النقيض هناك حضارات بدأت تظهر، وتعيد تشكيل ثقافتها وحضارتها ومكوناتها الذاتية، منذرة الغرب بأن زمن الأحادية والغطرسة الغربية قد ولّى، وأن زمن ممارسة الأبوة على باقي الحضارات قد انتهى، "فنصيب الغرب من معظم_وليس كل_ مصادر القوة المهمة وصل إلى أعلى مستوى له في بدايات القرن العشرين، ثم بدأ في التدهور مقارنة به لدى الحضارات الأخرى"[3].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 136.

2- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات مرجع سابق، ص 112.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 137.

ونتيجة لما قام به الغرب تجاه باقي الشعوب وحضاراتها، أصبحت هذه الأخيرة تنظر إليه على أنه إمبريالي استعماري كولونيالي، بل إن قيمه ومؤسساته وأفكاره تمثل السم القاتل للهويات الوطنية المحلية، وللثقافات غير الغربية التي تعتز بانتماءاتها الحضارية، المبنية على مقومات أساسية، وأنه في الحقيقة ناقض القيم التي ينادي بعالميتها، و"كثير من الشعوب تعتبر أن الولايات المتحدة تمثل تهديدا لمجتمعاتها، ليس تهديدا لأمنها، ولكن لوحدتها الترابية، استقلالها، رخائها، وحريتها، بالنسبة لها الولايات المتحدة هي مرادف للاستغلال، التدخل في شؤون الآخرين، الأحادية، الهيمنة والنفاق"(1) وهذا ما قاد الشعوب والحضارات إلى أن تتحالف فيما بينها ضد الغطرسة الغربية، حيث بدأت تتعاون اقتصاديا، بل لقد أصبحت تعقد اجتماعات تنسيقية فيما بينها، أمنية وتحالفات عسكرية، وفي كثير من الأحيان يكون الغرب غائبا عنها، ولهذا يقدم هنتنجتون صورة حقيقية عن الحضارة الغربية تتمثل في حضارة في طريقها إلى الإفلاس الاقتصادي والسياسي، ومن ثمة الحضاري، وهي في طريقها إلى الانحلال.

والبدايات التاريخية للسيطرة الغربية تعود إلى عصور النهضة الأوروبية، وكانت السيطرة الأوربية سيطرة جغرافية ممتدة على مساحات كبيرة، ومما زاد التوسع الغربي هو الاستعمار، ولكن بعد استقلال معظم الدول، وخروجها عن السيطرة الأوروبية بدأ الغرب يفقد سيطرته، وتتناقص مساحته والعكس شهدت الحضارة الإسلامية عودة الدول المستعمرة إلى حضن الحضارة الإسلامية، فزادت رقعتها، كما شهدت نموا ديموغرافيا كبيرا، وهذه المعطيات بحسب التحليل الإستراتيجي للسياسة الكونية في فكر هنتنجتون إيذان بصعود قوى غير غربية، في مقابل بداية تراجع للحضارة الغربية، "ففي سنة 1490 كانت المجتمعات الغربية تسيطر على معظم شبه الجزيرة الأوروبية...وفي قمة اتساعه المساحي سنة 1920 كان الغرب يحكم _مباشرة_ 25,5 مليون ميلا مربعا، أو ما يقارب نصف مساحة الكرة الأرضية، وبحلول 1993 كانت هذه السيطرة قد انخفضت إلى النصف...وفي المقابل ارتفعت مساحة المجتمعات الإسلامية المستقلة...مع تغييرات مماثلة في السكان"(2).

وفي إحصائيات جيواستراتيجية، وجد هنتنجتون أن الغرب في عالم التعدد الحضاري فقد مزاياه وفقد مرتبته الحضارية الأولى، حيث احتل المرتبة الرابعة بعد الحضارات الصاعدة، وهي الصين والحضارة الإسلامية والهندية، وهذا الترتيب مبني على القوة الديمغرافية والنمو السكاني، لأن القوة البشرية تعدّ عاملا مهما في بناء واستمرار وانتصار حضارة ما، فشعوب هذه الحضارات، بدأت في التحديث، وبدأت في التفوق العلمي، ولم تعد المعرفة حكرا على الغرب، لقد بدأ الغرب يفقد كل أوراقه الرابحة لصالح الحضارات الأخرى، حيث "كان الغرب سنة 1993 يحتل المركز الرابع بعد الحضارات

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 210.
[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 137_138.

الصينية والإسلامية والهندية، الغربيون يمثلون إذن أقلية في سكان العالم، وهي تتناقص باطّراد من حيث الكيف، فإن الميزان بين الغرب وعدد سكان الحضارات الأخرى يتغير أيضا، شعوب الدول غير الغربية أصبحت أكثر صحة، أكثر تمدينا، وزاد فيها عدد القادرين على القراءة والكتابة، كما أصبحت أفضل تعليما"[1].

ومن هذه المنطلقات، نلاحظ أن هنتجتون أصبح أكثر تشاؤما من كثير من المفكرين الغربيين وعلى رأسهم فرانسيس فوكوياما، الذي انتشى بانتصار الليبرالية ونهاية التاريخ، وبدأ ينظر إلى الغرب على أنه القوة العظمى الوحيدة، وأن الحضارة الغربية هي النموذج الحضاري الذي يجب أن تسود قيمه باقي العالم، وأن الصراعات قد انتهت بانتهاء الحرب الإيديولوجية بين الغرب والشرق، وإنه لا خوف على الغرب من الآن، إلا أن هنتجتون قد فنّد أطروحة نهاية التاريخ، بأطروحة صدام الحضارات التي بيّنت بداية تاريخ جديد، بولادة حضارات جديدة، تكون العلاقات بينها صداميه أكثر من حوارية، ومنه "يبدو صموئيل هنتجتون، على عكس تلميذه فرانسيس فوكوياما متشائما بخصوص مستقبل الحضارة الغربية حيث يعتبر أن الغرب دخل مرحلة الانحدار بفقدانه القيم الأخلاقية والمعنوية"[2].

لقد فقدت الحضارة الغربية قيمها المعنوية والأخلاقية، لأنها قدّست القيم المادية والانتاجية على حساب القيم الحضارية الروحية، كما أن الحضارات غير الغربية عرفت تغيرات في بنيتها الثقافية والاجتماعية حيث انتشر فيها العلم وزالت الأمية، وأصبح الفرد فيها أكثر التزاما بقيم التمدن والحضارة وشهدت بلدانهم تغيرات سياسية حاسمة، "هذه التغيرات في معرفة القراءة والكتابة والتعليم والتمدين خلقت سكانا معبئين اجتماعيا لديهم إمكانيات سريعة وتوقعات أعلى، يمكن أن تنشط من أجل أغراض سياسية"[3].

وعن تآكل الحضارة الغربية من الداخل، فإن ذلك يعدّ من أكبر التحديات التي تواجه الغرب الذي سعى في مراحله التاريخية إلى تقديس القيم المادية والإعلاء من المصلحة النفعية، مما أنتج حضارة فارغة روحيا، وانعكس ذلك على الفرد والمجتمع والأسرة، حيث شهد ويشهد الغرب تفككا أسريا وانحلالا أخلاقيا، وموتا ثقافيا، وهي في الحقيقة مشاكل تهدد الحضارة الغربية، أكثر من المشاكل ذات الطابع الاقتصادي والسكاني، على خلاف الحضارات الأخرى التي لها إرث ثقافي وروحي وديني يدعّم الأخلاق والجانب المعنوي، ولا يقدس المادة على حساب الروح، يقول هنتجتون: "إن الإنحدار

1- صموئيل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 139.
2- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 37.
3- صموئيل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 140.

الأخلاقي والانتحار الثقافي والاختلاف السياسي، تمثل بالنسبة للغرب مشاكل ذات أبعاد أعمق من المشاكل الاقتصادية والديموغرافية"[1]

رغم أن هذه المشاكل تعتبر تحدّيا آخر لبقاء الحضارة الغربية فالصعود الاقتصادي لآسيا يهدد المصالح الاقتصادية للغرب الذي يسيطر على الأسواق العالمية ويعتقد الغرب أن اليابان لا تعد منافسا على غرار الصين، فاليابان إلى جانب الغرب يسيطران على الصناعة التكنولوجية التي تساعد الغرب أكثر في السيطرة الاقتصادية وغيرها، وما على الغرب إلا أن يضع حدا للنمو الاقتصادي لشرق آسيا، بفرض القيود وتوظيف المنظمات الدولية التي يسيطر عليها كمنظمة التجارة الدولية، وصندوق النقد الدولي، وغيرها.

"هذا الانهيار النسبي للغرب، ناتج في جزء كبير منه عن الصعود السريع لشرق آسيا...الغرب واليابان تقريبا يسيطران تماما على الصناعات التكنولوجية المتقدمة...وإذا كان الغرب يريد أن يحافظ على تفوقه فسوف يعمل كل ما في وسعه ليكون ذلك الانتشار عند حده الأدنى"[2].

وفي تحليله للحضارات الصاعدة وقوتها الاقتصادية، يرى هنتنجتون أن هذه الحضارات تفصلها هوة كبيرة عن الحضارة الغربية وعن اليابان والروس، لكنها في الحقيقة هوة بدأت تضيق، وبدأت هذه الحضارات تقترب من الغرب، وإن النمو الديموغرافي بالنسبة إلى الغرب يشكل تهديدا، إلا أنه في نفس الوقت يخلق مشاكل اقتصادية لهذه البلدان.

فالانحدار في الحضارة الغربية يجعلها الرجل المريض، الذي تعشش فيه الفيروسات والجراثيم وعندما لا يقوى على مقاومتها تقضي عليه، وهو الشيء نفسه بالنسبة إلى الحضارة التي تعجز عن خلق ميكانيزمات الدفاع عن الذات، فإنها تكون مطمع الغزاة الذين يمتلكون القوة والإرادة، وستنتهي مرحلة السيادة الغربية عندما تصعد قوى أخرى في الحضارات غير الغربية، وسيبشر ذلك ببداية اضمحلال الغرب، خاصة وأن هذه القوى تعود في تأصيلها الحضاري الكوني إلى ثقافتها المحلية وإن"عصر السيادة الغربية سينتهي، وفي نفس الوقت فإن اضمحلال الغرب، وصعود مراكز قوى أخرى سينمي عمليات التأصيل الكونية والعودة إلى المحلية، وصحوة الثقافات غير الغربية"[3].

أما من الداخل فإن أكبر ما يهدد وجود الغرب هو التفكك الداخلي بقبول التعددية الثقافية، كما يرى بالمقابل البعض أن قيم الحضارة الغربية التي تريد أن تكون كونية، هي خطر على الغرب في حد ذاته، فأصحاب العولمة يريدونه عالماً واحداً بحضارة واحدة هي حضارة الغرب، وأصحاب الخصوصية

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 37.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 143.

3- المصدر نفسه، ص 150.

الثقافية يرون العكس، ويرون العالم متعدد الثقافات والحضارات، ولكن من المؤكد أن فلاسفة الغرب يعتقدون أن أمريكا لن تكون في ظل التعدد الثقافي، كما أنها لن تكون بعيدا عن الغرب، ولكي تستمر الحضارة الغربية لا بد من إحياء الهوية الغربية.

إن عالماً متعدد الثقافات هو حقيقة حتمية، وإن توزع الثقافات في الكون يعكس توزع القوة، فكل الحضارات في التاريخ كانت تعرف انبعاثاً اقتصادياً مزدهراً، وكان الاقتصاد في خدمة الثقافة، التي تريد أن تسود وأن تمتد إلى باقي المجتمعات، فالثقافة تتبع الأقوى، وعليه كان "توزع الثقافات في العالم يعكس توزع القوة، التجارة قد تتبع العلم، وقد لا تتبعه، ولكن الثقافة تتبع القوة دائما، وعبر التاريخ كان توسع حضارة ما يحدث دائما إبان ازدهار ثقافتها، وكان يتضمن دائما استخدام تلك القوة لنشر قيمها ومؤسساتها وممارستها والوصول بها إلى مجتمعات أخرى"[1].

حيث يعتقد هنتنجتون أن الحضارات عبر التاريخ كانت تريد تأكيد ثقافاتها، ونشرها حتى ولو حدث ذلك بالقوة، وعادة ما تتبع الثقافة القوة، وهو ما حدث مع الحضارة الغربية وقيمها، وفي دفاعه عن هذه الحضارة يعتقد هنتنجتون بعالميتها، فهي تحمل قيماً عالمية، تمثل الحرية وحقوق الإنسان والليبرالية وغيرها، كما أنها قامت على التراث اليهودي المسيحي، ونجد هنتنجتون مقتنع بأن هذه القيم يجب أن تسود حتى ولو بالقوة، والصدام الحضاري إذن حتمية حتى تفرض الحضارة الغربية قيمها، ولا يمكن أن يتم ذلك بلغة الحوار، وعليه فالحوار يرفضه الطرف الأقوى، ألا وهو الغرب لأنه حسب هنتنجتون ليس في صالح الحضارة الغربية، وعليه "يعتقد هنتنغتن أن القيم الغربية اليهودية المسيحية وحدها تستحق أن تبقى وتنتشر وتهيمن على القيم الحضارية الأخرى...بفعل صدام الحضارات، لابد أن تتصادم الحضارات حتى تفرض الحضارة المتغلبة قيمها بالقوة العسكرية، لا بالحوار والإقناع على بقية الحضارات"[2].

والقوة التي اكتسبها الغرب كانت بفضل الاستعمار الإمبريالي الغربي الأوروبي للدول الضعيفة من حضارات أخرى، حيث هيمن عليها وسلب خيراتها وثرواتها، مدّعيا أنه يحمل لها الديمقراطية تارة والحرية تارة أخرى، أو يحمل لها قيماً هي في غنى عنها، وما زاد الغرب قوة هو الهيمنة الأمريكية التي برزت في هذا القرن، وكان أن استغلت الولايات المتحدة الظروف التاريخية، حيث دخلت الدول في حروب داخلية فكان ذلك لصالحها، وخدمة لاقتصادها مما جعلها القوة العظمى الوحيدة، ولكن اليوم يرى هنتنجتون أن الاستعمار قد ولّى عهده، والهيمنة الأمريكية بدأت في الانحسار، وبدأ معها ظهور نظام دولي جديد يقوم على التعدد الحضاري، وعودة هذه الحضارات إلى أصولها الحضارية بل ومحاولة نشر هذه الأصول في خارج حضارتها، إنه التحدي الأكبر الذي يواجهه الغرب، والذي قد

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 150_151.

[2]– محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 44.

يكون سببا في اضمحلاله، وهو ما تؤكده العبارات التالية لهنتنجتون، "القوة الغربية متمثلة في الاستعمار الأوروبي في القرن 19، والهيمنة الأمريكية في القرن 20، نشر الثقافة الغربية في معظم أنحاء العالم المعاصر، الاستعمار الأوروبي انتهى، الهيمنة الأمريكية تنحسر، وذلك يتبعه تآكل في الحضارة الغربية، حيث تهّب الأعراف العميقة الجذور واللغات والمعتقدات، والمؤسسات الأصلية لتؤكد نفسها، القوة المتنامية للمجتمعات غير الغربية الناتجة عن التحديث تؤدي إلى إحياء الثقافات غير الغربية في أنحاء العالم"[1].

فالعودة إلى الأصول المحلية والجذور الماضية للحضارات والثقافات من أجل التأصيل والبعث الهوياتي لها، كان وما زال موضوع اهتمام هذه الحضارات، ورغم تبنيها لبعض قيم الديمقراطية، إلا أن ذلك عرف ردود فعل قومية معادية سواء للغرب وقيمه، أو للذين تبنّوا هذه القيم داخل هذه البلدان، بل إن الحركات الفكرية ظهرت ضد التغريب، واعتبرته استعماراً من نوع جديد، ومحاولة الذوبان في الحضارة التي تمثل قيم الكفر والعبودية والشر، ولقد كانت هذه الحركات أكثر قوة خاصة في الدول الإسلامية التي استطاعت فيها بعض الحركات أن تصل إلى السلطة، كما حدث في الجزائر، فبعد أن شهدت الجزائر صراعا بين العلمانيين التغريبيين والشيوعيين، ظهرت الحركة الإسلامية، واستطاعت في ظرف وجيز استقطاب الشعب وإقناعه بأن الإسلام هو الحل وليس قيم الغرب، سواء أكان رأسماليا علمانيا أو شيوعيا ملحدا، فجاء "التأصيل والعودة إلى المحلية والجذور، كانت هي جدول الأعمال في كل العالم غير الغربي في الثمانينيات والتسعينيات...تبني المجتمعات غير الغربية للتقاليد الديمقراطية الغربية يشجع ويفتح الطريق نحو السلطة أمام الحركات السياسية القومية المعادية للغرب...التحول إلى الديمقراطية يتصادم مع التغريب...والنتيجة هي التعبئة الشعبية ضد النخب ذات الثقافة والتوجهات الغربية، الجماعات الإسلامية الأصولية فازت في بعض الانتخابات التي تمت في الدول الإسلامية وكانت قاب قوسين أو أدنى من السلطة في الجزائر، لو لم يقدم العسكر على إلغاء انتخابات 1992"[2].

إن الغرب حاول أن يكون المركز، وأن يقود العالم سياسيا واقتصاديا، فهيمن على مختلف المؤسسات العالمية، وأعطى رؤية للعالم تجعل منه مركزا، وباقي الحضارات هامشا، وأراد ان يقنع الآخرين بأنه الوحيد من يستطيع أن يقود العالم، مما خّوله أن يتدخل في أنظمة وحكومات وسياسات الشعوب، وأن يوجهها وفق إرادته ومصالحه وقيمه، بل وشّرع لنفسه الحق في احتلال العالم كما يقول **عبد الله إبراهيم** في كتابه: "المركزية الغربية" "وبهذا لم تقف المركزية الغربية عند حدود تقديم رؤية للعالم، بل تقدمت بمشروع سياسي على صعيد العالم، هو مشروع تجانس الإنسانية المستقبلي من

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 151.

2- المصدر نفسه، ص ص 154، 156.

خلال تعميم النموذج الغربي، وخطر هذا المشروع أنه سوّغ منطقيا التوسع الغربي، واحتلال العالم وإبادة الحضارات"[1].

لكن الرد غير الغربي كان من طرف الحضارات التي رفضت الهيمنة والكوننة الغربية، فسعت إلى العودة إلى ثقافاتها، والنهوض اقتصاديا وعسكريا وحضاريا، فهناك دول كثيرة من حضارات مختلفة تملك الأسلحة النووية، وهناك من تسعى لامتلاكها، كما يقول هنتنجتون: "الكثير من الدول غير الغربية إما أنهم يمتلكون أسلحة نووية (روسيا، الصين، إسرائيل، الهند، باكستان، وربما كوريا الشمالية) أو يقومون بجهود دؤوبة للحصول عليها (إيران، العراق، ليبيا، وربما الجزائر)" [2].

ورغم سعي هذه الدول والأمم لأن تمتلك سلاح العصر ألا وهو السلاح النووي، إلا أن هنتنجتون لا يزال يؤمن بقوة الغرب وسيادته وهيمنته، على اعتبار أنه رائد في الصناعة التكنولوجية، وأنه لازالت لديه القدرة على الإبداع والتطوير، رغم ما شهده الغرب بداية من القرن العشرين من التراجع نوعا ما ولكن رغم ذلك "فالغرب سيظل أقوى الحضارات في العقود الأولى من القرن الواحد والعشرين، وربما استقرت له الصدارة بعد ذلك من ناحية الموهبة العلمية وإمكانيات البحث والتطوير والإبداع التكنولوجي، من النواحي المدنية والعسكرية...سيطرت الغرب على تلك المصادر كانت قد بلغت ذروتها في العشرينيات، ومنذ ذلك أخذت تضمحل بشكل غير منظم وإن كان واضحا"[3].

إن بداية الانحدار في الحضارة الغربية، كان بظهور عالم متعدد الحضارات، وانحسار الاستعمار الأوروبي والهيمنة الأمريكية، وبعد أن أدرك الغربيون ذلك بدؤوا في رد الفعل، حيث بدأ الغرب في خلق أنظمة موالية، والتدخل غير المباشر في الدول واقتصادياتها وسياساتها، وكثيرا ما"يعترف الرسميون الأمريكيون بأن للولايات المتحدة مصلحة رئيسية في خلق نظم سياسية قابلة للبقاء في بلاد آخذة في التحديث"[4].

وبانهيار الغرب، ستنهار ثقافته وقيمه ومؤسساته العالمية، وسيدخل في حالة فوضى تقود إلى اضمحلاله، وهذه المبادئ والقيم الغربية، تكمن في الموروث الأوروبي من لغة ودين مسيحي والأخلاق البروتستانتية، والمبادئ السياسية، كالحرية والمساواة، وحقوق الإنسان والقانون الروماني وغيرها، وزوال هذه المكونات يضع الغرب في خطر الانهيار والزوال، حيث "يصرح هنتنجتون أنه إذا ما فقدت الولايات المتحدة الأمريكية موروثها الأوروبي، أي اللغة الإنجليزية والديانة المسيحية والأخلاقيات

---

[1]- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، مرجع سابق، ص 40.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي مصدر سابق، ص 148.

[3]- المصدر نفسه، ص 149.

[4]- صموئيل هنتنجتون، من التغيير إلى التغيير، ترجمة سمر الشيشكلي، مراجعة محمود ماجد عمر، مجلة عالم المعرفة، عدد 309 ج1، نوفمبر، 2004، ص 230.

البروتستانتية ومصداقيتها السياسية، كالحرية والمساواة على سبيل المثال، فإن مستقبلها سيكون محفوفا بالمخاطر "[1].

وباعتبار أن هنتنجتون يؤمن بقوة الغرب_ رغم أنه يبدو متشائما من مستقبل الغرب_ إلا أنه متناقض نوعا ما، فمرة نجده يقول بلغة الواثق أن الغرب على وشك الانهيار، ومرة وبنفس اللغة يقول بأن الغرب يستطيع أن يجدد نفسه ويستمر، لأنه يملك القوة والمعطيات التي تساعده على ذلك، وها هو يتساءل مرة أخرى حول مصير الغرب قائلا: "هل يستطيع الغرب أن يجدد نفسه، أم ترى يتفاقم العنف الداخلي ويعجل بنهايته، أو تبعيته لحضارات أخرى أكثر حيوية اقتصاديا وديموغرافيا؟ في منتصف التسعينيات كانت لدى الغرب سمات عرفّها "كويجلي" بأنها سمات الحضارة الناضجة الموشكة على الانهيار "[2].

إنه سؤال يستشرف المستقبل، ويحلل واقع الحضارة الغربية، هل يمكن أن يتحلل الغرب؟ هل يمكن أن يصبح تابعا لا متبوعا؟ إن بعض علماء الغرب يرون بأن الغرب قد مر بجميع المراحل ووصل إلى مرحلة النضج بعد الحرب الباردة، ويعود هنتنجتون إلى كويجلي الذي اعتقد بأن مرحلة النضج للحضارة الغربية قد بدأت في الزوال لتتلوها مباشرة مرحلة الانهيار، ولو أن هذا الانهيار لن يكون في ظرف وجيز، إلا أن أسبابه قد بدأت، وإذا تخلت الولايات المتحدة عن المبادئ الأساسية التي قامت من أجلها، فإن انهيار الحضارة الغربية حقيقة لا مفر منها، ومنه "يعتقد هنتنجتون أن التخلي عن المبادئ الأساسية للحضارة الغربية، يعني نهاية الولايات المتحدة الأمريكية كما عرفناها، وبالتالي نهاية الحضارة الغربية، لأن هنتنجتون يعتبر أن الولايات المتحدة هي قلب الحضارة الغربية، وعمودها الفقري"[3].

إن الولايات المتحدة بالنسبة إلى الغرب هي الأساس في قيامه وبقائه واستمراره، ولا يمكن تصور غرب دون أمريكا، إن غربا دون أمريكا لن يكون، وأن أمريكا كباقي الحضارات العالمية لن تكون، إنها أحكام غربية تعبّر عن الثقة في الحضارة الغربية، وعن خطر الحضارات غير الغربية، وهذه الثقة هي التي دفعت الغرب إلى محاولة كوننة حضارته وفرض عالميتها عن طريق نشر قيمها، التي ذكرها هنتنجتون عدة مرات، إلا أن موقف باقي الحضارات ونخبها المثقفة، اعتبرت ذلك إستعمارا جديدا ومحاولة للقضاء على خصوصيات تلك الحضارات والثقافات، والإشكالية تكمن في أن ما يعتبره الغرب قيماً عالمية يعتبره الغير هيمنة واستعمارا وكولنيالية، "الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الذي كان دائما

---

[1]- أحمد زويل، حوار الحضارات، كيف نصنع التاريخ بفضل رؤية جديدة للعالم، مجلة عالم التربية، عدد 17، 2007 ص 187.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 491.

[3]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 43.

أمة تبشيرية يعتقد أن الشعوب غير الغربية لابد أن تلتزم بالقيم الغربية، فيما يتعلق بالديمقراطية والأسواق الحرة والحكومة المحدودة وحقوق الإنسان والفردانية وحكم القانون، وأنها لابد أن تجسد تلك القيم في مؤسساتها، الأقليات في الحضارات الأخرى تتبنى هذه القيم وتنّميها، ولكن التوجهات السائدة نحوها تتراوح بين الشك فيها على نطاق واسع، والمعارضة الشديدة لها، وما يعتبره الغرب عالمية يعتبره الباقي استعمارا"[1].

وما دفع الغرب إلى السعي لنشر حضارته وقيمها إلا محاولة من أجل الحفاظ على هيمنته ومصالحه بما أنه غرب يؤمن بالمنفعة المادية، حتى ولو استعمل العنف والتدخلات العسكرية، فإنه يصبغ عليها طابع الشرعية باسم حماية العالم الحر وحقوق الإنسان وقيم الديمقراطية الليبرالية، ونشر الحرية والرفاهية والقضاء على الأنظمة التوتاليتارية، ونشر السلم والتسامح، وهي كلها غطاء لسياسته الاستعمارية الجديدة.

إن "الغرب يحاول وسوف يواصل محاولاته للحفاظ على وضعه المتفوق، والدفاع عن مصالحه بتعريفها على أنها مصالح "المجتمع العالمي" (العالم الحر)...لإضفاء شرعية كونية على الأعمال التي تعبّر عن مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى"[2].

إن الغرب يدرك بأن السيطرة الاقتصادية العالمية هي مفتاح السيطرة الحضارية، لهذا سعى إلى خلق أنظمة اقتصادية تحافظ على مصالحه، ودعمها بمؤسسات دولية تقوم بدور الشرطي العالمي الذي يحفظ هذه المصالح، ومن خلالها يمكن تمرير الهيمنة الحضارية والمشاريع الاستعمارية والتدخلات العسكرية والسياسية في شؤون الدول التي تنتمي لحضارات غير غربية، وأكبر المؤسسات التي أوجدها الغرب، والتي تتحكم في الاقتصاد العالمي، نجد صندوق النقد الدولي الذي أغرق الدول النامية في الديون وجعلها تابعة له، وكذلك منظمة التجارة العالمية، التي أوجدها الغرب للدول التي لم يستطع السيطرة عليها عن طريق صندوق النقد الدولي، مثل الصين، "فالغرب مثلا يحاول أن يجمع اقتصاد المجتمعات غير الغربية في نظام اقتصادي عالمي يسيطر عليه، وعن طريق صندوق النقد الدولي (IMF) والمؤسسات الاقتصادية الدولية الأخرى ينمّي الغرب مصالحه الاقتصادية"[3].

ويعتقد هنتنجتون أن الحضارات التي تعتبر تحديا للغرب حضاريا واقتصادياً وحتى ثقافيا، هما الحضارة الصينية والإسلامية، رغم أنه يحصي ثماني حضارات في عالم اليوم، ويعتقد هنتنجتون أن هاتين الحضارتين تم بينهما اتصال لمواجهة الغرب، واعتقد أن هناك أموراً كثيرة تزيد من انفصال الحضارات عن الغرب، "بأوائل التسعينيات كان هناك اتصال كونفوشي إسلامي...لمواجهة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 294.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الغرب...القضايا التي تقسم الغرب، وتلك المجتمعات الأخرى تتزايد أهميتها على الأجندة الدولية، ومن بينها ثلاث قضايا تتضمن مساعي الغرب من أجل:

1_ الحفاظ على تفوقه العسكري، من خلال سياسات منع الانتشار والانتشار المضاد للأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية ووسائل استخدامها.

2_ تنمية القيم والمؤسسات السياسية الغربية، بالضغط على المجتمعات الأخرى لاحترام حقوق الإنسان كما يفهمها الغرب، وتبنّي الديمقراطية بالأسلوب الغربي.

3_ حماية التماسك الثقافي والاجتماعي والإثني للمجتمعات الغربية...وفي تلك المجالات الثلاثة واجه الغرب، ومن المرجح أن يظل يواجه صعوبات لحماية مصالحه ضد مصالح المجتمعات غير الغربية"[1].

وبهذا لخص هنتنجتون أهم القضايا الخلافية الدولية بين الحضارات، والتي يسعى الغرب إلى أن يستأثر بها، والتي تحافظ على قوته وتفوقه، منها التفوق العسكري واحتكار أسلحة الدمار الشامل ونشر القيم الغربية التي تحافظ على مصالحه، وخاصة مواجهة التفكك الثقافي للمجتمعات الغربية.

ولكن الغرب عجز عن منع انتشار أسلحة الدمار الشامل، حيث سعت كثير من الدول لامتلاكها وتم لها ذلك بالفعل، كما ظهرت آراء تنادي بضرورة تحيين الهيئات العالمية حتى تتماشى مع السياسة الدولية التي فرضتها مرحلة ما بعد الحرب الباردة، "وقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين دولا كثيرة غير غربية تحصلت على أسلحة متطورة عن طريق نقل السلاح من المجتمعات الغربية...إلا أن الغرب...سوف يكون هو الوحيد القادر على التدخل عسكريا في أي جزء من العالم"[2].

ورغم أن الغرب مازال يملك القوة للتدخل عالميا، ويستطيع أن يحافظ على هذه القوة حتى وقت بعيد فإن باقي العالم سيسعى للحاق بركب الحضارة الغربية لتحقيق التوازن العالمي، وستبقى بالنسبة إلى هنتنجتون "الولايات المتحدة فقط هي التي سيكون لديها القوة الجوية القادرة فعلا على قصف أي مكان في العالم... كقوة كونية، وللغرب كحضارة مسيطرة في العالم بالنسبة للمستقبل القريب، فإن توازن القوى العسكرية التقليدية بين الغرب والباقي سيكون في صالح الغرب بمراحل"[3].

وإن خوف الغرب من انتشار الأسلحة النووية ليس مخافة استخدامها ضده أو ضد مصالحها وإنما زوال قوة التهديد والردع والذي كان القوة الوحيدة التي يمتلكها، وفي هذا يستشهد هنتنجتون بأحد مفكري الغرب ألا وهو **لورانس فريدمان (Lawrence. Friedman)*** هذا الأخير الذي يقول: "أكثر من

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 297.

2- المصدر نفسه، ص 298.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* لورانس فريدمان (1948_) باحث إنجليزي.

تعزيزها لسياسة القوة، فإن الأسلحة النووية في الواقع تثبت ميلا نحو تشظي النظام العالمي الذي تؤدي فيه القوى الكبرى السابقة دورا أصبح أقل أهمية، وهكذا يصبح دور الأسلحة النووية بالنسبة إلى الغرب في عالم ما بعد الحرب الباردة عكس ما كان عليه أثنائها"[1]

إضافة إلى خطر الأسلحة النووية، فهناك خطر كبير على الغرب يعادل السلاح النووي، إنه خطر الهجرة، الذي يؤدي إلى ظهور ثقافات دخيلة على الغرب، حيث يحمل المهاجرون معهم لغات وديانات وعادات وتقاليد، أي ثقافات دخيلة على الثقافة الغربية، وبزيادة نموهم سيشكلون مجتمعا داخل مجتمع يحمل ثقافة مختلفة، مما يشكل خطرا على الهوية والثقافة المحلية، والمثال عن المهاجرين الذي يقدمه هنتنجتون هو المسلمون في أوروبا والإسبان في أمريكا، ولقد عدّ الغرب الهجرة وما تخلّفه غزواً جديداً، حيث يقول: "معدلات الخصوبة بين المهاجرين عالية وهي بالتالي وراء معظم الزيادة السكانية في المجتمعات الغربية في المستقبل، ولذلك تزداد خشية الغربيين

إن الغرب "الآن يتم غزوه لا بالجيوش والدبابات، وإنما بواسطة مهاجرين يتكلمون لغات أخرى يعبدون آلهة أخرى، ينتمون إلى ثقافات أخرى، يخشون أنهم سيأخذون وظائفهم ويحتلون أراضيهم ويستنفدون الخدمات الاجتماعية ويهددون أسلوبهم في الحياة"[2].

وكما ذكرنا فإن عالم ما بعد الحرب الباردة قد رسم خريطة عالم جديد ونظام دولي جديد، أصبح فيه لكثير من الحضارات وجود وكلمة، ولهذا فقد فشل الغرب في الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، كما فشل في الحد من الهجرة، ولم يستطع أن يفرض تصوراته في مجال حقوق الإنسان، ولقد استخدم الغرب عدة طرق في تعامله مع المجتمعات التي تطمح إلى الريادة، ووظّف الموارد الاقتصادية التي يمتلكها بأسلوب العصا والجزرة، كما يحاول أن يتفادى في مختلف المواقف الدولية السياسية والنزاعات الإقليمية أن تقف دولة غربية ضد أخرى، فيستعمل دائما معايير مزدوجة في تعامله مع أخطر القضايا الدولية، فالسياسة الغربية هذه متوقفة على الصراعات التي توجد مع حضارات التحدي، ومدى قدرته على بناء علاقات مشتركة بين دوله داخل حضارته، إن "ميزان القوى المتغير بين الحضارات يجعل من الصعب على الغرب أكثر فأكثر أن يحقق أهدافه بالنسبة إلى انتشار الأسلحة وحقوق الإنسان والهجرة وغيرها من القضايا، ولكي يقلل خسائره في ذلك إلى حدها الأدنى، فإن الموقف يتطلب من الغرب أن يستخدم موارده الاقتصادية ببراعة بأسلوب الجزرة والعصا في التعامل مع المجتمعات الأخرى لكي يدعم وحدته وينسّق سياساته، ولكي يجعل من الصعب على المجتمعات الأخرى أن تستخدم دولة غربية ضد دولة غربية أخرى، إن قدرة الغرب على متابعة هذه

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 299.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 320_321.

الإستراتيجية سوف تتشكل حسب طبيعة ومدى صراعاته مع حضارات التحدي من جانب، وقدرته على التوحد مع حضارات الحركة وتطوير المصالح المشتركة معها من جانب آخر "[1].

ويستبعد هنتنجتون أن تكون حروب داخل الحضارة الغربية، كما أنه يريد أن يصل إلى الكونية أو كما كان يسمى بالإمبراطورية، وبما أن الغرب يعيش حالة من الأمن والاستقرار، فإنه يمكن أن يوجه جهوده خارج الحضارة الغربية، من أجل أن يبقى القوة العظمى الوحيدة، وانطلاقا من أن "الحضارة الغربية أصبحت منطقة أمنية، وبصرف النظر عن حرب باردة عارضة، فمن غير الوارد أن تقوم حروب داخل الغرب، الغرب...يقوم بتطوير معادلة إمبراطورية كونية، على شكل نظام معقد من الكونفدراليات والفيدراليات، وغيرها من أنماط المؤسسات التعاونية التي تجسد التزامه بالسياسة الديمقراطية والتعددية على المستوى الحضاري، الغرب باختصار أصبح مجتمعا ناضجا يدخل فيما سوف تسميه الأجيال القادمة بـ "العصر الذهبي" في نظام الحضارات المتكررة، وفترة سلام ناتجة كما يقول كويجلي عن غيبة أي وحدات متنافسة داخل ساحة الحضارة ذاتها، وعن بعد وربما عدم وجود صراعات مع مجتمعات خارجية أخرى"[2].

وبما أن الغرب يشهد مرحلة ما يسميه علماء الحضارات بالعصر الذهبي، فإن هذه المرحلة في الحقيقة في نهايتها، حيث بدأ الغرب في الانحسار والتقلص، وسيشهد انهياراً وزوالاً، مثلما حدث لباقي الحضارات التي سبقته، إما بظهور حضارة أو حضارات، تقضي على الغرب، أو بأفوله تدريجيا رغم أن الغرب مثل باقي الحضارات السابقة، عندما وصلت إلى عصرها الذهبي اعتقدت خطأًبخلودها وعليه فإنه "في الحضارات السابقة مرحلة العصر الذهبي السعيد هذه بتصوراتها عن الخلود، إما أنها انتهت بشكل درامي وبسرعة بانتصار مجتمع خارجي، أو انتهت ببطء وبشكل مؤلم نتيجة للتفسخ الداخلي_ ما يحدث داخل حضارة ما مهم جدا بالنسبة لقدرتها على مقاومة الدمار الذي تسببه مصادر خارجية"[3].

والخطر سواء أكان داخليا أم خارجيا، فإنه حتما سيقود الحضارة إلى الاضمحلال والتفسخ ولكن أكبر ما يخيف الغرب اليوم هو التآكل الداخلي كما يرى هنتنجتون، والمشكل يكمن في أن الغرب عاجز عن إيقاف هذا التآكل والحد منه، "هناك ما هو أهم من النواحي الاقتصادية والسكانية، وهو مشكلات الانهيار الأخلاقي والانتحار الثقافي، والتفكك السياسي في الغرب...حالة الغرب الصحية

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق ، ص 333.
[2]- المصدر نفسه، ص 489.
[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

في المستقبل وتأثيرها على المجتمعات الأخرى، تعتمد إلى حد كبير على نجاحه في التغلب على هذه التوجهات التي تؤدي بالطبع إلى تأكيد التفوق الأخلاقي للمسلمين والآسيويين"[1].

فالحضارة الغربية التي بدأت تتآكل من الداخل لم تعد تهتم للقضايا الاقتصادية والسكانية، بل إن التآكل جاء من الناحية الأخلاقية، والانتحار الثقافي كما يسميه هنتنجتون، وكذلك التفكك السياسي بين دوله، وعلى خلاف ذلك هناك صحوة أخلاقية لدى الحضارات الأخرى، وتماسك هوياتي ثقافي يزيدها قوة وتحالفا، وعودة الدين الذي يعدّ بالنسبة إليها المكوّن الأساسي، أما بالنسبة إلى الغرب فإن الدين المسيحي لم يعد له أي تأثير أخلاقي، بعد أن فصلت أوروبا الدين عن العلم، وآمنت بالعلمانية كديانة جديدة لنهضتها، فإنها اليوم تواجه تآكلا دينيا أخلاقيا لدى أفرادها، وأكثر منها في الولايات المتحدة الأمريكية، "أما في أوروبا فإن ضعف المسيحية التي هي المكّون الرئيسي للحضارة الغربية، قد يقلل من شأن تلك الحضارة، تآكل المسيحية بين الأوروبيين من المرجح أن يكون على أسوأ افتراض هو الخطر بعيد المدى على صحة الحضارة الغربية، ولكن هناك تحدياً آخر أكثر مباشرة وأكثر خطرا في الولايات المتحدة"[2].

ويستند هنتنجتون دائما في كلامه عن التحدي الحضاري غير الغربي إلى أستاذه المستشرق الأمريكي برنارد لويس، الذي كتب كتاباً عن الحضارة الإسلامية ألا وهو: "الإسلام والغرب" الذي اعتقد فيه، بأن الإسلام هو الخطر الأكبر على الحضارة الغربية، فهو يمثل التهديد الحقيقي، لأنه ضد الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية، وأنه أكبر تحدّ للقيم الغربية، لأنه الحضارة التي ترفض قيم الغرب في العلمانية والديمقراطية، والليبرالية وغيرها، وبهذا فهنتنجتون "ليس من الصدفة أن يقتبس كلمات المستشرق الأمريكي اليهودي العنصري برنارد لويس، حيث يتحدث عن نشوب ثورة من جانب الحضارة غير الغربية (ضد التراث اليهودي/المسيحي) وضد حاضرنا العلماني، وضد الانتشار العالمي لكليهما"[3].

وانطلاقا من هذا ومن خطر التفسخ الداخلي للحضارة الغربية، فإن هنتنجتون يدعو الغرب الأوروبي والأمريكي إلى أن يجددا حياتهما الأخلاقية، وأن يؤسسا علاقات ثقافية جديدة ومشتركة وتكاملا اقتصاديا وتحالفا حضاريا وتعاونا سياسيا، فإذا حدث ذلك فإن الغرب على الأقل في المرحلة الراهنة سيعالج مشكلة التآكل الداخلي، ويعيد الهيبة والقوة للغرب في نظر الحضارات غير الغربية.
والنتيجة "إذا جددت أمريكا الشمالية وأوروبا حياتهما الأخلاقية، وبنيا على العوامل الثقافية المشتركة بينهما، وطورا أشكالا وثيقة من التكامل الاقتصادي والسياسي لاستكمال تعاونهما الأمني في الـ"ناتو"

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق ، ص 492.
2- المصدر نفسه، ص 493.
3- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 165.

سيكون بمقدورهما استيلاد مرحلة ثالثة أوروبية أمريكية من التراث الاقتصادي والنفوذ السياسي الغربي إن تكاملا سياسيا ذا مغزى يمكن أن يواجه_إلى حد ما_التدهور النسبي في نصيب الغرب من سكان العالم، والناتج الاقتصادي والقدرات العسكرية، ويحي قوة الغرب في عيون قادة الحضارات الأخرى"[1].

ويقدم هنتنجتون إستراتيجية سياسية وعسكرية وثقافية وحضارية، للحفاظ على الحضارة الغربية وحمايتها من الغزو الخارجي أو التآكل الداخلي، تقوم على المصلحة المشتركة والعدو المشترك، فلا بد من التكامل الاقتصادي، والتعاون العسكري، والتبادل الثقافي بين دول الغرب، حتى تكون منسجمة وقوية من جميع الجهات، وإبقاء الهيمنة والسيادة على العالم، والحذر خاصة من الصين والحضارة الإسلامية، مع نشر القيم الغربية في العالم، وإظهار الحضارة الغربية على أنها النموذج الأصلح للكونية، "وللحفاظ على الحضارة الغربية في وجه القوة الغربية المتدهورة، يصبح من مصالح الولايات المتحدة والدول الأوروبية أن:

- تحقق تكاملا سياسياً واقتصادياً عسكرياً، وتنسّق بين سياساتها حتى تحول دون استغلال دول الحضارات الأخرى للإختلافات القائمة بينها.
- دمج دول أوروبا الغربية وأوروبا الوسطى في الاتحاد الأوروبي والـ "ناتو"...
- تشجيع تغريب أمريكا اللاتينية وانحيازها إلى الغرب بقدر المستطاع.
- تكبح القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الإسلامية والصينية.
- تبطئ من عملية ابتعاد اليابان عن الغرب، وتوجهها نحو التكامل مع الصين.
- تقبل أن تكون روسيا مركزا للأرثوذوكسية وقوة إقليمية رئيسية ذات مصالح مشروعة في أمن حدودها الجنوبية.
- تحافظ على تفوقها التكنولوجي والعسكري على الحضارات الأخرى، ثم الأهم من ذلك كله أن تعترف بأن التدخل الغربي في شؤون الحضارات الأخرى يمكن أن يكون المصدر الوحيد والأشد خطرا بالنسبة لعدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات"[2].

إنها إستراتيجية شاملة نابعة من الفوبيا التي خلقتها الحضارات المستيقظة، هذه الإستراتيجية نابعة في الأصل من مراكز القرار الرئيسية في الغرب، وعلى أساسها تعقد الاجتماعات بين دول الغرب دون إشراك الدول غير الغربية، وإنها إستراتيجية تؤمن بإمكانية الحضارة الغربية في فرض السيطرة المطلقة والحفاظ على القيم الغربية من التهديد الإسلامي والكونفوشيوسي على الخصوص، إنها في الحقيقة امبريالية واستعمارية وكولونيالية، فإذا آمن الغرب بهذه الإستراتيجية ودافع عنها، فمعنى ذلك أنه أول

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 498.

2- المصدر نفسه، ص ص 504_ 505.

من يقف ضد القيم الإنسانية التي ادّعى أنه يدافع عنها ويقوم بحمايتها، ولكن يمكن أن نقول على لسان هنتنجتون الذي يعدّ في الحقيقة ناقدا للحضارة الغربية، رغم تحيزه أحيانا لها، فهو يقول كنتيجة لما سبق: "فلا العالمية ولا الانعزالية ولا التعددية ولا الأحادية، يمكن أن تكون الأفضل لخدمة مصالحها (الولايات المتحدة)" [1].

وإن هذه الإستراتيجية الغربية التي يتكلم عنها هنتنجتون تبيّن مدى الخوف الغربي على حضارته وقيمه، وأنه يبذل كل الجهود لتجسيدها، بل لقد وصل الأمر ببعض زعماء الغرب أن اعتبر الحرب ضد الإسلام بأنها الحرب ضد قوى الشر والإرهاب وأعداء الحضارة، إنها حرب ضد البرابرة الهمجيين إنها الحرب المقدسة، وهذه العبارات لها عدة مدلولات، منها أن الغرب يخوض حرباً دينية، تقوم على محاولة نشر قيم الدين المسيحي والتراث اليهودي، والدفاع عن العالم الحر ضد قوى الشر، كما ذكرنا من قبل، إنها حرب حضارية تقوم على افتراض وجود عدو بعد أن زال العدو الشيوعي، وانتهاء الأعداء التقليديين في الحرب الإيديولوجيا التي خاضها الغرب وخرج منها منتصرا، وعلى هذا الأساس فصموئيل هنتنجتون"لا يرى في هذا العالم سوى الأعداء المتربصين بالحضارة الغربية اليهودية المسيحية، فكانت دعوته إلى نوع من التحالف المقدس ضد بقية حضارات العالم"[2].

ومما تعانيه كثير من حضارات العالم ويجعلها في موقف ضعف في مواجهة الغطرسة الغربية أنها لا تحتوي على دولة مركز _وكما ذكرنا سابقا_ فإن دولة المركز في أي حضارة، هي التي تلمّ الشمل وتوحد المتفرق، وتجمع المختلف تحت غطاء من الهوية والانتماء، مما يؤدي إلى زوال النزاعات والصراعات بداخلها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقودها إلى الوحدة لمواجهة الخطر الخارجي، وهنا يزداد الشعور بالانتماء وتقوى بالتالي الروابط الحضارية.

إن "المنافسة على الزعامة داخل الحضارات التي لا يوجد بها دولة مركز قد تثير أيضا المنافسة على الأسلحة النووية...إلا أن عالما توجد فيه دولة مركز واحدة، أو دولتان في كل من الحضارات الرئيسية تمتلكان وحدهما أسلحة نووية قد يكون عالما مستقرا إلى حد ما"[3].

إن الحرب الحضارية في الحقيقة هي حرب زعامة، فالغرب أدرك أنه يكاد يفقد الزعامة التي اكتسبها، وأن ذلك يعود إلى عالم متعدد الأقطاب والحضارات، ولهذا فإن الحضارات التي بها دول مركز هي التي تستطيع أن تنافس الغرب، أما الحضارات التي لا تمتلك دول مركز، فإنه لا خوف منها إلا إذا امتلكت الأسلحة النووية، إلا أن هنتنجتون يرى أن تكون دول المركز في كل حضارة فقط من تمتلك السلاح النووي، حتى يكون هناك توازن حضاري عالمي، وهذا إقرار بضرورة إيمان الغرب

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 505.

[2]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 60.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 513.

بعالم متعدد الحضارات، بل إن ذلك حتمية حضارية، لكن على الغرب أن يبقي الصراعات دائمة بين مختلف الحضارات، حتى يبقي على الريادة والسيطرة، ويجعل منها وسيلة دفاعية عن مصالحه وحضارته، لأن الصراعات بين الدول والحضارات يضّعف من قوتها ويكون لصالح الغرب، فيجب خلق عدم توافق أو تحالف بين الحضارات الكبرى، خاصة بين الإسلامية والكونفوشيوسية، كما يجب عليه أن يمنع من الصراعات الداخلية أي داخل الحضارة الغربية، ومنه "على الغرب منع تصعيد الصراعات المحلية داخل الحضارة الواحدة، لتتحول إلى حروب كبرى بين الحضارات، والحد من تعزيز والتوسع في القدرة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشية"[1].

فمستقبل الغرب متوقف بالدرجة الأولى على تحقيق الوحدة الثقافية والتكامل الاقتصادي والتحالف العسكري بين دوله، قبل أن تتوجه جهود الغرب للدفاع عن حضارته ضد خطر الحضارات الخارجية وهي الإستراتيجية التي ذكرها هنتنجتون وأكدها عدة مرات، في كتبه ومقالاته، حيث "يعتمد مستقبل الغرب هنا على وحدته ذاته، وتماسكه الطوعي عبر المحافظة على وحدة الحضارة الغربية، ووفقا لهذا الطرح فإن من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أن تحققا تكاملا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً أكبر في مواجهة الحضارات الأخرى، التي تدرك بعض الاختلافات القائمة بين أوروبا والولايات المتحدة"[2].

فالتعاون الداخلي بين دول الغرب، من شأنه أن يخلق نوعاً من الوحدة، والمصير المشترك ويقوّي الغرب ومصالحه، إن الغرب يؤمن بضرورة الوحدة لضمان مستقبله، هذا المستقبل يفرض على أوروبا وأمريكا تجاوز خلافاتهما التاريخية، والاقتصادية، والسعي إلى التكتل من أجل الحضارة الغربية. "فمن الواضح أنه ما يتفق في الأجل القصير مع مصلحة الغرب أن يتدعم التعاون والوحدة المتزايدة داخل حضارته"[3].

إن استشراف المستقبل في الفكر الغربي يحمل نوعاً من الخوف والقلق، حيث بدأ الشك يتغلغل إلى هذا الفكر من أن الحضارة الغربية ستبقى هي الحضارة المهيمنة والمسيطرة، حيث تؤكد المعطيات أن هذه الأطروحة_أطروحة أبدية الغرب_ بدأت تنهار أمام صعود قوى حضارية جديدة، تحمل تحدياً حضارياً للغرب كالإسلام الأصولي، والانبعاث الحضاري لشرق آسيا، بالمقابل تراجع بعض الدول الغربية كأوروبا الشرقية وحتى روسيا، إنها مقدمات الانهيار والاضمحلال، رغم ما تحمله الحضارة الغربية، إلا أنه "في العواصم الغربية الأساسية إحساس عميق بالقلق تجاه المستقبل، فالثقة بأن الغرب سيظل قوة مسيطرة في القرن الحادي والعشرين، مثلما حدث في القرون الأربعة والخمسة الماضية

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 62.

[2] -*Samuel Huntington, the west unique, foreign affairs, N° 02, Vol 78, March/ April 1999 P 43.*

[3]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق ص 40.

تخلي مكانها للإحساس بنذر الشر، من أن قوة مثل الإسلام الأصولي المنبعث، ونهوض شرق آسيا وانهيار روسيا وأوروبا الشرقية، قد تشكل تهديدا حقيقيا للغرب"[1].

إن منجزات الحضارة الغربية وتطورها ورقيها من جميع الجوانب العلمية والتكنولوجية، لا يعني أنها وصلت إلى مرحلة الكمال المطلق، ففي المقابل هناك بطالة وتراجع وانكماش اقتصادي، ونقص في المدخرات الغذائية، وانحلال أخلاقي وأسري واجتماعي، وطغيان المادة على المثل الروحية، وتراجع الدين، والتفكك الداخلي الثقافي في الحضارة الغربية، وكما يرى هنتنجتون أن سلبيات الحضارة الغربية لا تبدو للناظر من الداخل بل من الخارج، حيث"لا يزال الغرب مستودع أكبر أصول الحضارة الإنسانية وانجازاتها، وكثير من القيم الغربية يفسر التقدم المدهش للجنس البشري: الإيمان بالبحث العلمي والبحث عن حلول رشيدة، والرغبة في تحدي الافتراضات، لكن الإيمان بأن مجتمعا ما يمارس هذه القيم قد يؤدي إلى عمى فريد...إن قيم الغرب لا تشكل نسيجا لا تنفصم عراه، فبعضها جيد وبعضها الآخر سيء، ولكن على المرء أن يقف خارج الغرب ليرى هذا بوضوح، وليرى كيف أن الغرب تسبب في انهياره النسبي بيديه وهنتنجتون أيضا يعمى عن هذا"[2].

فالذي ينظر إلى الحضارة الغربية من الخارج، يدرك مدى هرم وشيخوخة هذه الحضارة، التي وصلت إلى القمة وهي اليوم في الانحدار، إنها تعاني الركود الذي يسبق الانحلال، وعلى الغرب أن يستعد للتنازل عن كبريائه، ومعتقداته في وهم الكلية والشمولية والمطلقية في حضارته، وعليه أن يعود إلى داخله ليجدد حضارته التي بدأت في التآكل، وأن يقلل من التدخل في شؤون الحضارات الأخرى وأن يهتم بأموره، وأن يشرك باقي الدول والحضارات في حل المشاكل الدولية، وأن يسند المسؤولية للمؤسسات الدولية والهيئات العالمية، وما على الغرب إلا أن يضمن مصالحه، ويجب ألاّ يتدخل إلا أين يضمن مصالحه فقط، وأن يبتعد على حل المنازعات والصدامات التي لا يجني من ورائها إلا الإنفاق والخسائر الاقتصادية مما يزيده ضعفا، "لقد حان الوقت الذي يجب أن يتخلى الغرب فيه عن وهم الشمولية والكلية، وأن يعزز قوة حضارته وتماسكها وحيويتها، في عالم من الحضارات، ومصالح الغرب لا يخدمها التدخل بلا تمييز في منازعات الشعوب الأخرى...إن المسؤولية الرئيسية لاحتواء المنازعات في المناطق وحلها، يجب أن تتولاها الدول الأساسية في الحضارات السائدة في هذه المناطق...وفي عالم متعدد الأقطاب، ومتعدد الحضارات تكون مسؤولية الغرب أن يضمن مصالحه لا

---

[1]- كيشوري محبوباني وآخرون، صدام الحضارات_أخطار التفسخ_ بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995، ص 57.

[2]- المرجع نفسه، ص 62.

أن يعزز مصالح شعوب أخرى، أو أن يحاول تسوية المنازعات فيما بين شعوب أخرى عندما تكون هذه المنازعات ذات آثار ضئيلة في الغرب، أو ليس لها آثار قط"[1].

وكما ذكرنا سابقا، فإن كثيراً من مفكري الغرب فقدوا الثقة في الحضارة الغربية، لما أدركوه من تآكل داخلي وخطر خارجي، ومنهم منظّر أطروحة صدام الحضارات صموئيل هنتنجتون، حيث نجده يعارض فكرة نهاية التاريخ التي جاء بها مواطنه فوكوياما، والتي تقول بإنتصار الليبرالية، وبالتالي فإننا نعيش في حضارة كونية واحدة هي الحضارة الغربية، وآمن هنتنجتون بالعكس، وهو أن نشر القيم الغربية وجعلها كونية ليس من مصلحة الغرب، ولا يمكن ذلك لأننا نعيش في عالم متعدد الحضارات والذي بدأت تبرز فيه صدامات حضارية، وعلى إثرها بدأ تاريخ جديد، "لقد فقد هنتنغتن الثقة في حضارة الغرب، وفي قدرتها على الهيمنة على العالم، أو أصبح يخشى عليها من النماذج الحضارية الأخرى، فهو يعارض بشدة الكونيين ومنهم فرنسيس فوكوياما، الذين يعتقدون بإمكانية انتشار قيم الديمقراطية الغربية والاقتصاد الليبرالي، ويرفض هنتنغتن النظرية القائلة بأن جميع الشعوب ستتجه لا محالة تلقائيا نحو نفس النموذج الليبرالي الغربي على طريقة قافلة فوكوياما"[2].

وبما أن الحضارات تتطور وتمر بمراحل أساسية في حياتها، فإن الغرب اليوم يشهد مرحلة ما بعد النضج أو العصر الذهبي في حضارته، وهذا العصر الذي بدأ فيه الغرب في التآكل، إما أن يكون منه رد فعل فيجدد نفسه، أو أن ذلك سيقوده إلى الزوال والاضمحلال، وحسب علماء الحضارات، فإن المرحلة الأخيرة في حياة كل حضارة هي الوصول إلى الكلية والشمولية، وبالنسبة إلى الغرب فإنه قد وصل إلى هذه المرحلة، وفق معطياته طبعا، وبدأ في تجاوزها، فلا بد للغرب من أن يجدد نفسه ويحقق الوحدة الحضارية، وعليه "يتوقف مستقبل الغرب إلى حد كبير على وحدة الغرب، ويرى علماء الحضارات أنها تتطور (أي الحضارات) من طريق عصور من الاضطراب، وفترة تتطاحن فيها الدول تؤدي في النهاية إلى حالة كلية شاملة، تكون بالنسبة إلى الحضارة، إما مصدرا للتجديد، وإما تمهيدا للتدهور والانحلال، وقد تجاوزت الحضارة الغربية الطور الذي تتطاحن فيه الدول، وهي تتجه نحو طور حالتها الكلية الشاملة، وهذا الطور لم يكتمل بعد...والحالات الكلية الشاملة ذات الحضارات السابقة كانت إمبراطوريات، ولما كانت الديمقراطية هي الشكل السياسي للحضارة الغربية، فإن الحالة الكلية الناشئة للحضارة الغربية إمبراطورية، ولكنها مركب من اتحادات، واتحادات تعاهدية، ونظم دولية"[3]

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص ص 18_19.

2- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص ص 58_ 59.

3- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 19.

إن الغرب اليوم في تحد لنظم جديدة وأساليب لم يعهدها من قبل، حيث تغيرت الصراعات وتطورت وبالتالي تغيرت أساليبها وطرقها، وظهر ما يسمى بصدام الحضارات، الذي يقول عنه برنارد لويس "إن الغرب يواجه عصرا تبدلت فيه أساليب صعدت فوق مستوى القضايا والمعضلات، وفوق مستوى الحكومات التي طرحتها لتتجاوز إلى ما يصل إلى مستوى الصدام بين الحضارات"(1).

إن الحفاظ على وحدة الغرب ضرورة اليوم أكثر من أي وقت مضى، ويبدأ هذا الحفاظ بضرورة تقوية المشتركات الحضارية بين شعوب الغرب، والإبقاء على قوة الغرب عالميا، والمحافظة على دوره في الشؤون العالمية، إن شعوب الغرب تجمعها أمور مشتركة لا نجدها عند غيرها من الشعوب، فلا بد من تقويتها، لأن التفكك الداخلي للغرب سيقوده حتما إلى الانحلال، بل قد تستغل حضارة ما الصراعات والتفكك الداخلي للغرب، من أجل القضاء عليه، "والحفاظ على وحدة الغرب ضرورية لإبطاء تدهور التأثير الغربي في الشؤون العالمية، وهناك بين شعوب الغرب أمور مشتركة، أكثر مما بينها وبين شعوب آسيا والشرق الأوسط وإفريقيا...والغرب الموحد سيظل ذا وجود ضخم في الساحة الدولية، وإذا انقسمت الدول الغربية فسوف تكون فريسة لجهود الدول غير الغربية لاستغلال خلافاتها الداخلية بتقديم مكاسب قصيرة الأجل لبعض البلدان الغربية، ثمنها خسائر في المدى البعيد تلحق بالبلدان الغربية جميعا، وشعوب الغرب يجب أن تتساند أو من المؤكد أنها ستعلق منفصلة"(2).

فتماسك الغرب داخليا، هو ما يضمن له المحافظة على بقائه وقوته، أما خارجيا فإنه لا يزال يملك الهيمنة والسيطرة والمهابة العالمية، لهذا كان اهتمام علماء الغرب بتقوية الحضارة من الداخل أكثر من الخارج، فالحفاظ على العناصر الأساسية التي انبنت عليها الحضارة، مقوم أساسي للحفاظ عليها أو تجديدها.

لذا "فإن تعزيز تماسك الغرب، يعني الحفاظ على الحضارة الغربية في داخل الغرب، وتعيين حدود الغرب، ويقتضي الحفاظ على الحضارة الغربية أمورا من بينها التحكم في الهجرة من المجتمعات غير الغربية...وضمان اندماج المهاجرين الذي يسمح بهم في الحضارة"(3).

فعلى الغرب أن يعيد إستراتيجية الحماية والدفاع عن حضارته، بالحد من الهجرة والسعي إلى إدماج المهاجرين، للتقليل من فرص الاختلاف الحضاري، ومن ثم الصدام، فالحفاظ على وحدة الحضارة الغربية من أولويات الغرب، لأن ذلك يقود إلى الهيمنة بكل صورها، ويحافظ على مصالح الغرب من التهديدات التي يمكن أن يواجهها في المستقبل، ومن أكبر المنظمات التي تحمي الغرب نجد حلف شمال الأطلسي، حيث يدعو هنتنجتون إلى ضرورة تقوية هذا الحلف، ودعمه وتعزيز

---

[1] - *Bernard Lewis, The roots of Muslim, rage Atlantic, Monthy ,op,cit, P 66.*

[2]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 21.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الانتماء إليه من طرف الدول الغربية، وفي المقابل منع الدول التي لا تنتمي للمشترك الحضاري الغربي من الدخول في هذا الحلف.

"فالإعتراف بأن حلف الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، هو المنظمة الأمنية للحضارة الغربية وأن هدفه الأساسي هو الدفاع عن الحضارة الغربية والمحافظة عليها، ولذلك يجب تمكين الدول التي تكون غربية في تاريخها ودينها وثقافتها من أن تنضمّ إلى حلف شمال الأطلسي...ولا تكون مفتوحة للبلدان الإسلامية والأرثوذوكسية أساسا من الناحية التاريخية"[1].

ويعود هنتنجتون إلى تاريخ الحضارة الغربية، التي يرى فيها أنها قد عرفت، أو مرت بالطور الأوروبي، وهو المكّون الأول فيها، ثم انتقلت إلى الطور الأمريكي، وهذان الطوران عند هنتنجتون متكاملان، ولا يمكن الفصل بينهما، فلقد شاركا في بناء ثقافة مشتركة، وتعاونا اقتصاديا وعسكريا، مما يجعلهما ينتميان لنفس الحضارة، وزاد تكاملهما بإنشاء المنظمة الأمنية التي تدافع عن مصالحهما، ألا وهي الحلف الأطلسي، أو الشرطي الغربي للعالم كما يسمى، وعليه فإن مهمة الحضارة الغربية ليست إعادة تشكيل الحضارات غير الغربية على منوال الحضارة الغربية، بل الدفاع عن الحضارة الغربية وخصائصها، وهنا نلاحظ نوعاً من التراجع لدى زعماء الغرب، الذين اعتقدوا في فترة ما أن الغرب أصبح كونيا وعالميا، وأنه يستطيع أن يشكّل السياسة العالمية للحضارات كما يشاء، ووفق القيم الغربية ومن الجانب التاريخي "لقد مرّ الغرب بالطور الأوروبي للتطور والتوسع، وهو الطور الذي استمر قروناً عدةً، وهو يمر بالطور الأمريكي الذي ساد هذا القرن، وإذا حددت أمريكا الشمالية وأوروبا حياتهما المعنوية وشيدتا ثقافتهما المشتركة، وأنشأتا أشكالا أقوى للتكامل الاقتصادي والسياسي لإكمال تعاونهما الأمني في حلف الأطلسي، فإنهما تستطيعان توليد طور أوروبي_أمريكي ثالث لرفاهية الغرب ولنفوذه السياسي، وسوف يصدّ التكامل السياسي من بعض النواحي، التراجع النسبي في نصيب الغرب من سكان العالم، وإنتاجه وقدراته العسكرية، ويحيي قوة الغرب في أعين زعماء الحضارات الأخرى وليست المسؤولية الرئيسية لزعماء الغرب محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى على صورة الغرب...وإنما المحافظة على الخصائص الفريدة للحضارة الغربية وتجديدها، وهذه المسؤولية تقع بشكل كبير على عاتق بلد غربي، الولايات المتحدة الأمريكية...(وعليها) أن تتبنى أطلسية للتعاون الوثيق مع دول أوروبا الشريكة لها، سياسة تحمي وتعزز مصالح الحضارة الفريدة الثمينة التي تشترك فيها، وكذلك قيمها وثقافتها"[2].

فالمركزية الغربية اليوم تكمن في دور الولايات المتحدة الأمريكية، فهي التي تمثل الغرب إلى جانب أوروبا، وما عليها إلا أن تؤدي الدور الحضاري المنوط بها، ألا وهو حماية مصالح الغرب

[1]– صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص ص 21_ 22.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 22_ 23.

والدفاع عن حضارته وثقافته المشتركة، فالقاسم المشترك بين الثقافات يوطد العلاقات مهما كانت طبيعتها، أما الدعوة إلى تعدد الثقافات داخل الحضارة الغربية، فإن من شأنه أن يقود الغرب إلى الانحلال، فكل حضارة تبني علاقاتها الداخلية على أسس ثقافية، يكون لها حظ التعاون والتكامل والقوة والاستمرارية من تلك التي تعاني تمزقا ثقافيا وبها خطوط الصدع الثقافية، "والدول التي تتقاسم قيما مشتركة تتعاون فيما بينها سياسيا واقتصاديا، ونلاحظ في هذا الصدد أن المنظمات الدولية، كالاتحاد الأوروبي، حيث الدول الأعضاء تتوافر على قاعدة ثقافية مشتركة، لها حظوظ أكبر للنجاح من تلك التي تسعى لتجاوز الثقافات"[1].

وبما أن الحضارة الغربية حضارة متفوقة عسكريا وإقتصاديا وسياسيا، بتحكمها في المنظمات العالمية، فإن إدراك الحضارات غير الغربية لدور هذه العوامل في بناء حضارة قوية لا تزول، جعلها تسعى لأن تنافس الغرب في هذه الجوانب، إضافة إلى عودتها إلى ما لا نجد له دوراً في الحضارة الغربية، ألا وهو القيم الثقافية التي تمتلكها، وتعبّر عن هويتها ووحدتها، ويعطي هنتنجتون مثالا عن العلاقة بين الثقافة والجوانب الاقتصادية والعسكرية، ففي وقت كان النظام الشيوعي الذي حقق بعض النجاح الاقتصادي والعسكري، نجد كثيراً من الدول تبنت النهج الاشتراكي والإيدولوجيا الشيوعية ولكن بعد الانهيار الاقتصادي للاتحاد السوفياتي قبل الانهيار السياسي، نجد أن الدول التي أعجبت بالنظام الاشتراكي قد تحولت عنه، وبدأت الشعوب تتحول نحو الليبرالية، لأنها برهنت عن نجاحها الاقتصادي وحتى السياسي، وربما بدأت بعض الشعوب في ربط النجاح الليبرالي بالقيم الغربية، فنادت بضرورة تبني تلك القيم الغربية، إذا أرادت مجتمعاتها النهوض والتطور، وامتلاك القوة والثروة.

"وحيث إن المجتمعات غير الغربية تزيد من قدراتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، فإنها _بدرجة متزايدة_ تعلن بعلو الصوت عن فعالية قيمها ومؤسساتها وثقافتها الخاصة، الإيديولوجية الشيوعية كانت تروق الكثيرين في أنحاء العالم في الخمسينيات والستينيات، عندما كانت مرتبطة بالنجاح الاقتصادي والقوة العسكرية للاتحاد السوفياتي، هذا الميل تبخر عندما كسد الاقتصاد السوفيتي وعجز عن الحفاظ على القوة العسكرية السوفيتية، القيم والعادات الغربية تروق لأناساً من ثقافات مختلفة لأنهم ينظرون إليها على أنها مصدر القوة والثروة"[2].

إن الغرب يعتبر اليوم حالة الحضارة الغربية مركزا، وهذه المركزية الغربية هي التي جعلته يتصرف تجاه باقي الحضارات بنوع من العدوانية والغطرسة والصدامية، إن الغرب مغتر بالذات الغربية وما أنتجته حضاريا، ناظرا إلى ذاته نظرة إستعلاء، وناظرا في نفس الوقت إلى باقي الحضارات نظرة احتقار وهامش، رغم أن كثيراً من الحضارات في التاريخ نظرت في مرحلة ما من قوتها نفس نظرة

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 173.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 152.

الغرب اليوم إلى حضارته، لكن الفرق يكمن في أن "حالة الغرب الحالية أي الإفراط في التركز حول الذات، ليست حالة فريدة في التاريخ، لكنها الأكثر جبروتاً وعدوانية وتغطرسا"[1].

ومن خلال المنطلقات التي ينطلق منها هنتنجتون، يعتقد بأن الحضارة الغربية ستبقى على الأقل في القرنين المقبلين أقوى الحضارات، وإذا حدث وأن انهار الغرب في المستقبل، فإن كل ما يرتبط بالحضارة الغربية من مفاهيم وقيم سينهار بدوره، وستفرض حضارات أخرى قيمها ومفاهيمها عن الإنسان وحقوقه وحريته، وعن الديمقراطية وأنظمة الحكم وغيرها، وإذا عدنا إلى مفكري الغرب فيعتقد الكثير منهم أن الحضارة الغربية خالدة، لأن التاريخ قد انتهى بزوال الصراع الإيديولوجي، واحتلال الحضارة الغربية للعالم، ولكن هنتنجتون في كل تحليلاته ينفي خلود الحضارة الغربية، وكما ذكرنا في تحليلنا السابق، أن سبب عدم اعتقاد بعض العلماء الغربيين في خلود حضارتهم على غرار شبنغلر وتوينبي، وصاحب أطروحة صدام الحضارات، هو ما تعانيه الحضارة الغربية من الداخل، ويكمن في التآكل الداخلي، ومن الخارج يكمن في ظهور قوى حضارية غير غربية كالصين والإسلام، وهنا يقول **حسين علي** في كتابه: "نهاية التاريخ أم صدام حضارات؟"

"بالرغم من اقتناع معظم الغربيين بسمو وخلود حضارتهم، وانتهاء التاريخ عند (فوكوياما) إلا أن هنتنجتون يعتبر أن الحضارة الغربية ورغم اختلافها عن جميع الحضارات التي سبقتها، غير خالدة فهناك حضارات أخرى تهدد الحضارة الغربية (الإسلام والصين) وهناك أيضا عمليات التآكل الداخلي والتي تشكل القدرة على إيقافها وقلبها القضية الرئيسية بالنسبة للغرب"[2].

لقد استطاعت الحضارة الغربية بفضل قوتها، أن تجعل باقي الحضارات تسير في فلكها وأن تكون تابعة لها، فمارست هذه الحضارة الهيمنة والسيادة والسيطرة، وحتى العلاقات المتبادلة بنيت على أساس القوي يتحكم في الضعيف، وربما كانت أفكار داروين حاضرة في الفكر الغربي في تعامله مع باقي الحضارات، ولقد كانت القوة بالنسبة إلى الغرب هي أساس التوسع والتفوق، إن الغرب مارس العنف تجاه الحضارات، وإنه لم ينقل قيمه وأفكاره بلغة الحوار، بل بلغة العنف المنظّم كما يسميه علماء الإجتماع والسياسة، ولهذا كان موقف الشعوب غير الغربية من الغرب، يتمثل في أنه استعماري لا يترك بلدا أو دولة إلا بعد أن يحل فيها الخراب، ويمتص خيراتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك إن إسقاط مصطلح الحضارة والقانون والإنسان على تصورات الغرب فقط رفضته باقي الحضارات، بل واعتبرت ذلك عملاً غير حضاري في حد ذاته، وعليه فقد "كانت العلاقات المتبادلة بين الحضارات عبارة عن تبعية من المجتمعات الأخرى للحضارة الغربية...كان المصدر المباشر للتوسع الغربي تكنولوجيا...إن صعود الغرب كان يعتمد على ممارسة القوة إلى حد كبير، وقد استطاع الغرب أن

1- حسن إبراهيم أحمد، صدام المصالح وحوار الحضارات، دمشق، مؤسسة علاء الدين، ط1، 2004، ص 31.

2- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات؟ مرجع سابق، ص 120.

يكسب العالم، ليس فقط بسبب تفوق أفكاره وقيمه أو دينه...وإنما بالأحرى بسبب تفوقه في تطبيق العنف المنظّم، كثيراً ما ينسى الغربيون تلك الحقيقة، ولكن غير الغربيين لا ينسونها...وكانت الحضارة تعني الحضارة الغربية، القانون الدولي يعني القانون الغربي الدولي"[1].

ونجد دائما هنتنجتون في تمجيده للحضارة الغربية، يستبعد حصول صراع حضاري داخلها، وبما أن الغرب هو القوة العظمى الوحيدة اليوم، وبما أنه قد أزال الخطر الشيوعي، فإن الغرب سيظل لقرون القوة العظمى الوحيدة، وحضارته هي الحضارة العالمية المهيمنة، وبالنسبة إلى علاقاته مع الحضارات الأخرى فإنه "يتربع الغرب الآن في علاقته مع الحضارات الأخرى، على ذروة غير عادية للقوة واختفت من الوجود القوى العظمى المناوئة له، ومن المتعذر تصور حدوث صراع عسكري بين الدول الغربية"[2].

ولقد صاغ هنتنجتون نظريته في صدام الحضارات، من أجل أن يحذّر الغرب سواء على المستوى القريب أو البعيد من خطر الحضارات الأخرى، وأن عليه أن يعيد تجديد ذاته، وتفادي الانحلال الداخلي قبل الخارجي، وبما أنه يمثل القوة العظمى الوحيدة في الكون، فإن عليه أن يعزز هذه القوة وألاّ يغتر بها، وعليه أن يتجنب مسببات الإضمحلال والأفول، كما حدث للحضارات التي سبقته، وأن إقتناع علماء ومفكري الغرب بالقوة الحضارية للغرب لا يعني ذلك خلود الغرب، فالحضارات تتغير وقد تبرز حضارات تغزو الغرب، وينتهي من التاريخ، ومنه يمكن القول: "إن الفكرة المركزية لنظرية صدام الحضارات تتمثل في تنبيه الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدم الاغترار بالقوة التي تملكها، وأن الحضارة الغربية وإن كانت تمتلك ما يؤهلها للاستمرار في السبق والهيمنة في القرن الواحد والعشرين، فإن ثمة عوامل سلبية أخرى أصبحت تلائمها تشير إلى بداية الأفول، وأن الحضارات الأخرى لا يمكن أن تندمج في الثقافة الغربية، وأن هذه الحضارات بدأت تسلك طريق النمو والقوة وعلى رأسها الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية"[3].

والنتيجة هي ان الغرب يجد نفسه في لحظة زمانية تاريخية، تفرض عليه ان يهيمن ويسيطر اكثر أمام حضارات وثقافات صاعدة تمثل التهديد المباشر لوجوده الانطولوجي الحضاري، من هنا تغلغلت فكرة الصداف في جوهر التفكير الغربي، واصبحت من اهم منطلقات الغرب في بناء علاقاته مع الآخر المختلف.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 84_ 85.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 41.

3- عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات، محاولة للفهم، أبعاد وأسباب ومآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية مصر المنصورة، دار الكلمة، ط1، 2004، ص 09.

المبحث الثالث: الغرب وحضارات التحدي.

لقد تكوّن الغرب وتكوّنت حضارته، انطلاقا من العناصر التي أسسته وجعلته حضارة متفردة كما يعتقد هنتنجتون، والغرب مكون من أوروبا والتقاليد التي أسست عليها، ومن أمريكا التي تشترك مع أوروبا في نفس التقاليد باعتبار أن أمريكا تأسيس أوروبي، أما بالنسبة إلى مصطلح الغرب فيرى فيه روجيه غارودي أنه مصطلح رهيب، ويعتقد أن كلمة الغرب تشير إلى أوروبا التي أسست على تقاليد منها المسيحية الكاثوليكية والقانون الروماني والفلسفة اليونانية، ويجعلون الغرب انطلاقا من هذه التقاليد مطلقا وأبديا، في حين يرى غارودي أن الغرب مثل باقي الحضارات التي مرت بأطوار الولادة ثم القوة ثم الأفول، وعليه "إن كلمة (الغرب) كلمة رهيبة ويقول الألمان (Abendland) بلد العشق فماذا يحدث اليوم لحضارتنا الغاربة؟ إنني لا أحب لفظة (الغرب) وقد أحملها عددا كبيرا من التعريفات ويؤكد **بول فاليري (Paul Valéry)*** على أن (أوروبة) وليدة تقاليد ثلاثة:

- في المجال الأخلاقي: المسيحية، وبوجه أدق الكاثوليكية.
- في مضمار الحقوق والسياسة الدولية تأثير موصول للقانون الروماني.
- في حقل الفكر والفنون: التقليد الإغريقي...إنهم يخلقون على هذا المنوال وهم أن الغرب هو بدء مطلق"(1).

وبعد أن تأسست الولايات المتحدة الأمريكية من طرف رجال أوروبيين، وفقا لتلك المبادئ التي ذكرها غارودي أصبحت وأوروبا تمثلان الغرب، يشتركان في نفس العناصر الحضارية، وبالتالي لهما نفس الانتماء، إلا أن أوروبا عرفت مرحلة الصراعات الداخلية، حتى مجيء الحرب العالمية، ثم الحرب الباردة التي قسمت أوروبا قسمين، ولكن بعد انتهاء هذه الحرب بانتصار الليبرالية الغربية، شكلت أمريكا وأوروبا حضارة الغرب، وأصبح لهما مصير واحد، وفي عالم التعدد الحضاري، وعودة الحضارات والهويات، شعر الغرب بالخطر من طرف حضارات سماها بحضارات التحدي، وفي محاولته لنشر قيمه وهيمنته الحضارية بما فيها السياسية والاقتصادية، واجه الغرب باقي العالم والحضارات، خاصة الحضارة الصينية والإسلامية، فأراد الغرب أن يؤكد هويته في مقابل صعود هوية هذه الحضارات، واقتنع بأن حضارته فريدة وليست كونية، لكنه مطالب بالحفاظ عليها وتجديدها من الداخل، لتستطيع أن تقاوم حضارات التحدي التي بدأت في البروز في عالم متعدد الأقطاب، وبدأ التساؤل حول بقاء الغرب واضمحلاله، وهنا يقول هنتنجتون: "إن بقاء الغرب يتوقف على الأمريكيين بتأكيدهم على الهوية الغربية، وعلى الغربيين عندما يقبلوا حضارتهم كحضارة فريدة، وليست عامة ويتحدون من أجل تجديدها والحفاظ عليها ضد التحديات القادمة من المجتمعات غير الغربية، إن

* بول فاليري (1871_1945) فيلسوف فرنسي.

1- روجيه غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط2، 1982، ص17.

تجنب حرب حضارات كونية يتوقف على قبول قادة العالم بالشخصية متعددة الحضارات للسياسة الدولية وتعاونهم للحفاظ عليها"[1].

وبداية تؤكد المعطيات الحضارية في عالم اليوم صعود الحضارات والهويات، والعودة إلى التمسك بالهويات المحلية، ورغم أن الحضارة الغربية تطمح إلى أن تبقى القوة العظمى الوحيدة، وتريد تأكيد سيطرتها وهيمنتها، إلا أن الواقع يؤكد أنه هناك متغيرات في السياسة الكونية، حيث أصبحت الثقافة تؤدي دورا كبيرا في العلاقات بين الدول والأمم والشعوب والحضارات، كما نلاحظ تراجع قوة الغرب وسيطرته، حيث استطاعت الحضارات الأخرى أن تفرض وجودها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً أمام قوة الغرب العالمية، وبدأ التشكيك في قوة الغرب، وإن عودة الصراعات الحضارية جعل الغرب في علاقات تحدٍ مع بعض الحضارات المنافسة كالصينية والإسلامية، أما بالنسبة إلى باقي الحضارات فهي أضعف من أن تقف في وجه الغرب، بل إنها تعتمد عليه وعلى مساعداته، مما يجعلها تابعة له ومسيطراً عليها من طرفه، ولقد صنف هنتنجتون في عالم ما بعد الحرب الباردة ثماني حضارات، تمثل إثنان منها تحدياً حضارياً للغرب ومصالحه، وتقف منه موقفاً عدائياً، وبنظرة عامة ومن خلال تحليله للعلاقات العامة بين الغرب وباقي الحضارات، يضع هنتنجتون تصنيفا ثلاثيا يقوم على أن هناك حضارات التحدي، وهناك الحضارات التابعة للغرب وهي الحضارات الضعيفة، وثالثا الحضارات التي تبدو مرة مساندة لحضارات التحدي، ومرة مع الغرب.

إن "الطموحات العالمية للحضارة الغربية وإنخفاض القوة النسبية للغرب، وتزايد الإصرار الثقافي للحضارات الأخرى، يؤكد بشكل عام صعوبة العلاقات بين الغرب وباقي العالم، ولكن طبيعة هذه العلاقات ومدى العدائية بينها تختلف، ويمكن تصنيفها في ثلاثة تصنيفات، والحضارات المتحدية وهي الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية، ومن المحتمل أن يكون للغرب علاقة متوترة مشدودة وغالبا علاقات عدائية جدا، علاقة الغرب بالحضارات الأكثر ضعفاً والمتمثلة في أمريكا اللاتينية، وإفريقيا والتي تعتمد على الغرب ستتضمن مستويات دنيا من الصراع...والعلاقات الغربية الروسية واليابانية والهندية من المحتمل أن تتضمن عناصر التعاون والصراع، حيث إن هذه الدول الأساسية الثلاث السابقة تقف في أوقات مع الحضارات المتحدية، وفي أوقات إلى جانب الغرب، هذه الحضارات (المتأرجحة) بين الغرب من جهة، والحضارات الإسلامية والصينية من الجهة الأخرى"[2].

إنها ثلاثية تتحكم اليوم في العلاقات بين الدول والحضارات، وهي التي نتجت من انتهاء الثنائية ثم الأحادية القطبية، وظهور عالم متعدد الحضارات.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 38.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 119.

بالنسبة إلى حضارات التحدي، وهما الحضارة الصينية والإسلامية، فإن هنتجتون يرى بأن هناك تصميماً صينياً وتوكيداً إسلامياً، فالشعوب داخل هذه الحضارات تعتقد أنها تمتلك ثقافة وقيم وهوية أرقى مما يمتلكه الغرب، ولهذا نجدهما يسعيان لإمتلاك القوة التي يتفوق فيها الغرب عليها، وبالمقابل نجد أن هذه الشعوب تقف من القيم الغربية والمصالح الغربية موقف الرفض والعداء، ولكن ما ينقص الإسلام هو دولة مركز مما يجعل دوله في العلاقة مع الغرب تتنوع، أما الصين فإنها تمتلك دولة مركز، ولهذا يعتبرها الغرب الخطر القريب خاصة اقتصادياً.

"فالحضارة الإسلامية والصينية تتضمن تقاليد ثقافية عظيمة في عيون معتنقيها أرقى من الغرب القوة والتصميم يتزايدان في علاقاتها مع الغرب، والصراع بين قيمها ومصالحها، وبين التي للغرب تتعدد وتصبح أكثر شدة، وحيث إن الإسلام يفتقد دولة أساسية، لذلك فالعلاقة مع الغرب تتنوع من دولة إلى أخرى"[1].

في الواقع الغرب اليوم هو الأقوى حضاريا وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وربما هذه القوة ستستمر لعدة سنوات، إلا أن الملاحظ أن هذه القوة بدأت في التدهور مع بروز قوة الحضارات المتحدية، ولهذا نجد الغرب يسعى لأن يؤكد قيمه ويحمي مصالحه ويدعم قوته، أمام هذا الخطر وهذا التحدي، ونظرا لقوة الغرب فإن بعض المجتمعات حتى الإسلامية تريد أن تتبع النموذج الغربي من أجل اللحاق بركب الحضارة، وهناك ما انحازت إلى الغرب، أما باقي الدول الإسلامية والكونفوشيوسية فإنها تريد أن تصل إلى ما وصل إليه الغرب من قوة وأن تتفوق عليه، وهنا تطرح قضية توازن القوى فبالنسبة إلى باقي الحضارات، توازن القوى هو ما يقود إلى عالم متعدد الحضارات، قد يسود فيه السلام أما بالنسبة إلى الغرب فإن توازن القوى يعني ضعف الغرب وانتهاء هيمنته وسيطرته، وقروب زواله وأفوله، إن السياسة العالمية التي يريدها الغرب تسعى إلى الإبقاء على الغرب القوة الوحيدة المسيطرة، وبناء عليه يقدم لنا هنتجتون تشخيصا واقعيا لعالم اليوم جاء فيه أن "الغرب حاليا هو أقوى الحضارات وسيظل كذلك لسنوات قادمة، إلا أن قوته تتدهور بالنسبة للحضارات الأخرى، وبينما يحاول أن يؤكد قيمه ويحمي مصالحه تواجه المجتمعات غير الغربية خيارا، البعض يحاول أن يحاكي الغرب وأن يلحق به أو ينحاز إليه، المجتمعات الكونفوشية والإسلامية الأخرى تحاول أن توسع قوتها الاقتصادية والعسكرية وأن تتوازن ضد الغرب، وهكذا يكون تفاعل قوة وثقافة الغرب مع قوة وثقافة الحضارات غير الغربية محورا مركزيا للسياسة في عالم ما بعد الحرب الباردة"[2].

ويعتقد هنتجتون أن توازن القوى في الحقيقة هو في صالح الغرب، وهذا ربما يؤكد موقفه المتناقض، فمرة يعتبر ظهور قوى منافسة للغرب بمثابة التحدي الفعلي للغرب، وأن توازن القوى سيقود

---

[1]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 119.

[2]- صموئيل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 48.

الغرب إلى فقدان سيطرته وهيمنته، ومرة يرى بأن توازن القوى في صالح الغرب، وفي علاقة الغرب بباقي الحضارات يرى هنتجتون أن هناك تضارب المصالح مع هذه الحضارات، ولكنه يسعى من خلال كل ذلك إلى توكيد التفوق العسكري، ونشر قيم الديمقراطية والدفاع عن العالم الحر، وخاصة حماية وحدته الثقافية والهوياتية، وهذه الإستراتيجية التي يجب أن يتبعها الغرب لمقاومة تحدي باقي الحضارات، يقول عنها مالك عبيد أبو شهيوة في كتابه: "نقد الفكر الغربي المعاصر منطلقات وآليات صدام الحضارات" "القضايا التي تقسم الغرب والمجتمعات الأخرى تتزايد بشكل مهم، ثلاث من هذه القضايا يتضمن جهود الغرب:

1. المحافظة على تفوق الغرب العسكري...
2. تعميق وتعزيز القيم السياسية الغربية...
3. حماية الوحدة الإثنية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الغربية..."[1].

إن الغرب بالنسبة إلى هنتجتون يمثل كياناً حضارياً قوياً، وإن التعدد الثقافي في العالم لن يؤثر في مكانة الحضارة الغربية، فالحضارات الأخرى تنتمي للعالم غير الغربي، فقط هذا ما يميزهم، أما المعطيات الحضارية فإنهم يفتقرون إليها، فهم يفتقرون إلى مؤسسات وقيم، مثل قيم ومؤسسات الغرب كما أن الوحدة بين هذه الحضارات أمر مستبعد، لقد كانت ثنائية الشرق والغرب، والغرب والباقي ثنائيات تقوم على الوهم، إن هذه الثنائيات أرادت أن تؤكد تفوق الغرب على غيره، وفي الحقيقة هناك أوهام لا يزال يعيشها الغرب وغير الغرب.

إن "التشعب الثقافي لتقسيم العالم يظل أقل فائدة، الغرب كيان على مستوى ما، ولكن ما هو المشترك بين المجتمعات غير الغربية سوى كونهم غير غربيين، الصينيون، الهندوس، المسلمون الحضارات الإفريقية، كل أولئك يشتركون في القليل من ناحية الدين والبنية الاجتماعية، والمؤسسات والقيم السائدة، إن وحدة غير الغربيين وثنائية الشرق_الغرب، ما هي إلا أساطير صنعها الغرب، هذه الأساطير تعاني من نفس عيوب الاستشراق التي ينتقدها "**إدوارد سعيد***" لتبنى الفرق بين المألوف (أوروبا_الغرب_نحن) والغريب (الشرق_هم) ومن أجل ادعاء التفوق المتأصل للأول على الأخير"[2].

إن ثنائية: هم ونحن، الغرب والباقي، هي ثنائية تدل على الاختلاف الحضاري والثقافي والتمايز الهوياتي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحدد العلاقات والقربى والأعداء، فهم دائما العدو المختلفون عنا، نحن الذين نشترك في نفس المكونات الحضارية، ولم تكن هذه الثنائيات الثقافية مطروحة في

---

[1]_ مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، مرجع سابق ص ص 120_121

* إدوارد سعيد (1935_2003) مفكر فلسطيني، من أهم كتبه: خيانة المثقفين.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 55.

الحرب الباردة، لأن هذه الأخيرة صراع إيديولوجي كان يطرح فيها السؤال مع من أنت؟ وأصبح الصراع صراع ثقافات بين الشرق والغرب، وعلى هذا الأساس سميت أوروبا وأمريكا بالغرب، إلا أن هنتنجتون يقترح أن نقول الغرب والآخرين، لأن هناك من هم في الغرب لا ينتمون إلى الحضارة الغربية، إن تقسيمات العالم إلى شرق وغرب، شمال وجنوب، أغنياء وفقراء، وإن التقسيمات الثقافية والاقتصادية كلها في الحقيقة، هي مجرد تقسيمات نظرية، كما يرى هنتنجتون لن تفيد عمليا.

في"أثناء الحرب الباردة كان العالم مستقطبا على نحو كبير بامتداد منظور إيديولوجي، بيد أنه لا يوجد منظور ثقافي وحيد، إن استقطاب "الشرق" و"الغرب" ثقافيا هو في جزء منه، ولسوء الحظ نتيجة أخرى لتسمية الحضارة الأوروبية بالحضارة الغربية، وبدلا من "الشرق و"الغرب" من الملائم أن نتكلم عن "الغرب والآخرين"، والذي يعني على الأقل وجود أكثر من غير غربي، إن العالم لعلى درجة كبيرة من التعقيد بحيث لا يمكن أن نقسمه ببساطة اقتصاديا إلى شمال وجنوب، وثقافيا إلى شرق وغرب ونتصور أن ذلك سوف يكون مفيدا لأغراض كثيرة"[1].

وبعد نهاية الحرب الباردة وانتصار الليبرالية، وظهور عالم متعدد الحضارات والأقطاب، لم تعد هناك قوة مهيمنة، بل لقد بدأت مرحلة توازن القوى، وبدأ صراع جديد بين الغرب والباقي، وشكلت بعض الحضارات تحديا للغرب ووجوده وسيطرته، وأصبحت العلاقات مع الغرب علاقات تنافس لا علاقات هيمنة لطرف على الآخرين.

حيث أصبح "بعد مرحلة الحرب الباردة، تعدد القطبية والتعدد الحضاراتي العالمي يفتقر إلى جناح مهيمن مثل الذي وجد في الحرب الباردة...إن الصراع بين الغرب والحضارات المتحدية، سيكون أكثر أهمية للسياسة الدولية من خطوط التقسيم الأخرى"[2].

ولقد بدأت تحديات الحضارات الأخرى للغرب، انطلاقاً من العودة إلى جذورها الثقافية، وإحياء هوياتها، كما وجدنا فيها تيارات ترفض التغريب باسم التحديث، وتعتبره إمبريالية جديدة، إن رفض كل ما هو غربي من قيم وأفكار ومبادئ ومؤسسات، يعد تحديا للغرب وحضارته، فالغرب أراد أن يهيمن حضاريا وثقافيا، وما يتبع ذلك من هيمنة عسكرية واقتصادية، لهذا نجده يسعى ألاّ يكون عالم متعدد الحضارات، لأن ذلك تهديد للغرب ومصالحه، ولقد بدأت التحديات الحضارية للغرب من حضارتين استطاعتا أن تحافظا على ثقافتهما، وأن تقوما بإحيائها، ألا وهما الحضارة الآسيوية والصينية تحديدا والحضارة الإسلامية، حيث يعتقد هنتنجتون أن الصين الكونفوشيوسية والإسلام الأصولي هما الحضارتان الأكثر خطراً على الغرب في هيمنته وبقائه.

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 55.

[2]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 166.

إن ظاهرة "العودة إلى الأصول وإحياء الدين ظاهرة عالمية، وقد تبدت في أوضح صورها في التوكيد الثقافي وتحديات الغرب التي جاءت من آسيا ومن الإسلام، وهي الحضارات الديناميكية في الربع الأخير من القرن العشرين"[1].

وبعد أن يستعرض هنتنجتون التغيرات التي حدثت في العالم بعد الحرب الباردة، ويتكلم عن تعدد حضاري، يعود ليحدد معنى الحضارة الغربية، بعد أن حددنا معنى الغرب ليتساءل: "ما هي الحضارة الغربية؟...الغرب هو حقوق الإنسان، اقتصاد السوق، التقنية الحديثة الديمقراطية النيابية والغرب هو التنوع الثقافي، الفصل بين الدولة والدين، الليبرالية والتسامح، وفوكوياما يرى أن الإنسانية في نهاية تطورها الثقافي، فلا إمكان لأي تطور آخر بعد الليبرالية"[2].

هذه هي الحضارة الغربية، إنها تعرف بقيمها التي جعلت الغرب حضارة فريدة ولا تتكرر، إن الحضارة الغربية تعرف وفق وجهة نظر هنتنجتون، بالقيم التي انبنت عليها، والتي تدافع عنها في العالم، بل وتريد أن تنشرها بالقوة في حضارات العالم، فالحضارة الغربية قامت على احترام حقوق الإنسان والحرية والليبرالية والديمقراطية، والعلمانية، وفلسفة التسامح المستمدة من الديانة المسيحية طبعا، ولهذا اعتقد فوكوياما بنهاية التاريخ، عندما انتصرت الحضارة الغربية وانتصرت الليبرالية ضد الخطر الشيوعي، وأعلن أننا وصلنا إلى القيم العليا للإنسانية التي يجب أن تسود وأن تدوم، وأن الإنسانية لم تبدع مثل هذه القيم في تاريخها الطويل، لكن هنتنجتون يرى العكس، إن التاريخ لا ينتهي بل لقد بدأ عصر جديد، تقوم فيه العلاقة بين الدول والأمم والحضارات على الصدامات الحضارية وبالعودة إلى مفهوم الحضارة الغربية والأسس التي انبنت عليها، يمكن أن نتساءل فنقول: هل يفهم من ذلك أن باقي الحضارات لا تحترم حقوق الإنسان، وأنها ضد الحرية والديمقراطية، وأن نظامها السياسي نظام كهنوتي؟ هل هذه المبادئ هي سر تقدم الحضارة الغربية وتفوق الغرب؟ هل هذه المبادئ كانت منعدمة وابتدعها الغرب؟ ألا نجد في الحضارات قيماً أرقى وأعلى، ألا نجد هذه القيم في الحضارات التي سبقت ظهور الغرب بقرون؟

إن الغرب رغم تفوقه وهيمنته وتطوره، إلا أن حضارته تعاني من الداخل، إنها تتجه إلى التفكك والانحلال، حيث طغيان المادة وانحلال الأسرة والعلاقات الأسرية والاجتماعية، وزوال القيم الأخلاقية وانتشار الجريمة والعنف، إن هذه المظاهر لا تعبّر عن التحضر بقدر ما تعبّر عن الانحطاط الفكري والثقافي والأخلاقي ومن ثم الحضاري، إن الحضارة الغربية تعاني التصدع والانحلال، ولهذا أكد كثير من مفكري الغرب أن الحضارة الغربية بكل منجزاتها تتجه نحو السقوط والأفول وعلى رأسهم شبنغلر وتوينبي، وحتى هنتنجتون يعترف بتلك الأزمة التي تمر بها الحضارة الغربية عندما يقول: "الأزمة التي

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 169.

2- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، 129.

يرى النقد الإسلامي الأسيوي وجودها في الغرب هي حقيقية، فمجتمعاتنا تنزع نحو التخلي عن التكافل وصورة الإنسان في التنوير والمسيحية الحديثة التي يقف في مركزها فرد موهوب ذو كرامة غير قابلة للتصرف مهددة بالتحطيم"[1].

إن التحديات التي تواجه الغرب كثيرة، منها تحديات داخلية تكمن فيما آلت إليه الحضارة الغربية من تفكك وانحلال، وتحديات خارجية تكمن في صعود المد الحضاري، وبروز حضارات منافسة للغرب وحضارته، بل ومهددة لوجوده، والتحدي الأكبر من العالم الإسلامي وحضارته، والعالم الأسيوي والحضارة الصينية، لكن لماذا يعتقد هنتنجتون أن هاتين الحضارتين تمثلان تحديا للغرب وحضارته؟ ولماذا باقي الحضارات لا تحمل هذا التحدي؟

يجيب هنتنجتون على هذا السؤال، بأن العلاقات التاريخية بين الغرب والإسلام والصين هي ما يؤكد هذا التحدي، فعلى مر التاريخ كانت هناك صراعات وصدامات بين الإسلام والحضارة الغربية المسيحية اليهودية، وكذلك الصين التي أرادت أن تتوسع، وأن تكون القوة الاقتصادية الكبرى في العالم أما باقي الحضارات فهي إما تابعة للغرب ومسيطر عليها، أو أنها أضعف من أن تتحدى الغرب، وهنا يعود هنتنجتون للتحدي الإسلامي، ليرى فيه أنه رغم أن الحضارة الإسلامية ليس بها دولة مركز ورغم أنها تشهد داخليا صراعات طائفية، ورغم أنها ليست بالقوية بعد، إلا أنها تحمل تحديا حقيقيا للغرب لكن أين يتجلى هذا التحدي؟ والإجابة هي: "يتجلى التحدي الإسلامي في الصحوة الثقافية والاجتماعية والسياسية العامة للإسلام في العالم الإسلامي وما يصاحبه من رفض لقيم الغرب ومؤسساته الاجتماعية، كما يتجلى التحدي الأسيوي في كل الحضارات الشرق آسيوية_الصينية اليابانية، البوذية، الإسلامية، ويؤكد على الاختلافات الثقافية بينها وبين الغرب...كل من الآسيويين والمسلمين يؤكدون على تفوق ثقافتهم على الثقافة الغربية، الناس في الحضارات غير الغربية الأخرى...قد يؤكدون على الشخصية المتميزة لثقافتهم، ولكنهم منذ منتصف التسعينيات أصبحوا يترددون في إعلان تفوقهم على ثقافة الغرب"[2].

ومن هنا، يرى هنتنجتون أن عودة الحضارات إلى تراثها الثقافي والحضاري والتمسك به وإحيائه، ورفض قيم الغرب وحضارته، يعد بداية التحدي الكبير للغرب، إن اعتقاد هذه الحضارات بتفوق ثقافتها يجعل الغرب في أعينها يتجه إلى مرحلة الضعف، فهو متفسخ ومادي ولا تجمع بين شعوبه روابط قوية كالتي نجدها في الإسلام مثلا، وبنظرة الناقد والمفكر المتمعن في القضايا العالمية يرى هنتنجتون أن النقد الموجه للغرب وحضارته من قبل الإسلام وآسيا، يجب أن يؤخذ على محمل

---

[1]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون مرجع سابق، ص 153.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 169.

الجد، إنه ليس كلاماً خالياً من المعنى، أو أنه تحدٍ بالقول فقط، بل إنه حقيقة وإن الحضارة الغربية فعلا تعاني مخاطر قد تؤدي بها إلى الزوال.

"إن أسس الثقافة الغربية معرضة للخطر ، ولا طريق يمر بهذا الإدراك، وعليه فإن النقد الموجه للغرب من قبل آسيا والعالم الإسلامي، ليس ببساطة تفريغا ساخرا لتطلعات السيطرة المقنعة، بل إنه يضع الأصبع على جرح حقيقي بصرف النظر عن دوافعه"[1].

فالمبادئ التي بنيت عليها الحضارة الغربية مهددة داخل الغرب في حد ذاته، بعد أن رفضت من طرف الحضارات الأخرى، وإن الحضارات الأخرى على عكس الغرب تزيد من توكيد انتمائها والتمسك بأصولها الحضارية، ويرى هنتنجتون أن أسباب أو مقدمات التحدي الأسيوي الإسلامي للحضارة الغربية يكمن في صعود القوة الاقتصادية بالنسبة إلى آسيا، والنمو السكاني بالنسبة إلى الإسلام بالإضافة إلى أن الإسلام له القدرة على تعبئة شعوبه ضد الغرب، وفي أحيان أخرى قد تتحالف الحضارتان ضد الغرب إذا اضطرتا إلى ذلك، وإن عودة الحضارات هو ما سيعيد تشكيل السياسة العالمية، وذلك وفقا للمعطيات الجديدة.

"فالحضارتان الآسيوية والإسلامية تقف كل منهما منفردة في ثقتها المتزايدة، وتأكيد نفسها بالنسبة للغرب، وأحيانا تقفان معا، هناك أسباب تتعلق بهذه التحديات، ولكنها مختلفة، التوكيد الآسيوي جذوره في النمو الاقتصادي، التوكيد الإسلامي نابع إلى حد كبير من التعبئة الاجتماعية السكانية، كل من هذه التحديات له_وستبقى له_آثاره على عدم استقرار السياسة العالمية في القرن الواحد والعشرين ولكن طبيعة تلك الآثار تختلف فيما بينها"[2].

وفي نقد الذات الغربية، نجد أن مفكري الغرب ينتقدون أفكاراً تدافع عن الغرب، وتجعل منه القوة العظمى الوحيدة، بل هناك من وصف حضارته بالخالدة، وها هو هنتنجتون بعين الناقد الموضوعي ينتقد فكرة انتصار الحضارة الغربية ونهاية التاريخ لفوكوياما، عندما يؤكد أن انتصار الليبرالية على الشيوعية لا يعني انتصار الحضارة الغربية على باقي الحضارات، وأن الهيمنة الغربية مطلقة، لأن هناك تحديا ثقافيا جديدا من طرف الحضارات الصاعدة للغرب، كما أن التعدد الثقافي داخل الغرب إحدى المعطيات التي يجب عدم تجاهلها، والتي قد تقود الغرب إلى الانحلال، وعليه "يقف صموئيل هنتنجتون موقفا نقديا تجاه فلسفة فوكوياما الانتصارية وبالذات، لأنه يرى أن التهديد من خلال الثقافات الأخرى يقترب، وما يفهمه فوكوياما تحت ثقافة غربية، يقبله هنتنجتون من غير تمحيص، والتشديد الوحيد الذي يضيفه يتعلق بالتعددية الثقافية التي يعتبرها تيارا مهلكا في المجتمع الغربي"[3].

---

[1]– هارالد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 150.

[2]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 169.

[3]– هارالد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 129.

هناك تطور وتغير كبير في التشكيلات العالمية الجديدة، لقد انتهى التقسيم الأيديولوجي إلى شرق غرب وعالم ثالث، ليحل محله التقسيم الثقافي والانتماء الحضاري، إن عودة الثقافة كلاعب أساسي في العلاقات الدولية سيقود حتما كل الدول إلى أن تحدد انتماءها، ولا يوجد في هذا التقسيم دول منحازة فكل واحدة منها تنتمي إلى حضارة ثقافيا وهوياتيا.

و"إن الدول اليوم مازالت تشكل الفاعل الأساسي في الساحة الدولية، لكن لابد من إدراك أن تجمعات الدول لم تعد تتشكل في إطار الكتل الثلاث للحرب الباردة (الشرق، الغرب، العالم الثالث) بل إنها تتطور في ظل تجمعات ثقافية كبرى، تتمحور حول سبع أو ثمان حضارات"[1].

والثقافات في الحضارات كائنات تحددها الهوية الحضارية، وهي في تفاعل مستمر مع غيرها من الثقافات، إلا أنه لكل ثقافة خصائص ومميزات تميزها عن غيرها، وفي كل ثقافة ثغرات أو هفوات تجعلها ناقصة، وفي بعض الأحيان تعاني الضعف أو الانحلال، والحضارة الغربية على غرار جميع حضارات العالم ليست مطلقة، كما ادعى بعض مفكري الغرب ولا هي خالدة، بدليل أنها تجد صعوبات في أحيان كثيرة في تحدي معطيات العصر، والتأقلم مع عالم متعدد الحضارات، وإنها تعاني تحديد الهوية والتجديد الحضاري، وعليه "فالثقافة الغربية ليست كاملة، ولاهي خالية من الأزمات كما أنها لم تجد الأجوبة على تحديات العصر الراهن"[2].

وتعد العوامل الاقتصادية والتنمية من بين العناصر المساعدة على قوة الحضارة، وعلى قدرتها على رفع التحدي، فمن يملك الثروة يملك القوة، وقد تقوم هذه العوامل بزيادة التمسك بالهوية، وإن القيم التي تمتلكها الحضارة القوية اقتصادياً قيم راقية وأفضل من قيم باقي الحضارات، فالاقتصاد معبر عن هوية الأمم والشعوب، ثقافيا وأخلاقيا، ومنه كانت "التنمية الناجحة، تولّد ثقة بالنفس لمن يحققونها ولمن يستفيدون منها، والثروة مثل القوة يفترض أنها دليل على الأفضلية واستعراض للتفوق الأخلاقي والثقافي...تميز الهوية الثقافية لكل دولة آسيوية"[3].

إن التميز الثقافي، هو ما يميز عالم اليوم، فكل ثقافة تريد أن تتميز ثقافياً، وأن تجعل من ثقافتها دليل تماسكها ووحدتها وقوتها، ومن ثمة اختلافها عن باقي الثقافات الأخرى، ولقد زادت فلسفة العودة إلى الذات، إلى الهوية بعد الحرب الباردة، حيث أصبحت الانقسامات جوهرية بين الحضارات لأنها أصبحت تبنى على الثقافة، وليس الإيدولوجيا أو الاقتصاد، لقد زالت مصطلحات الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، كما زال التقسيم إلى العالم الثالث والعوالم الأخرى، وزال أيضا تقسيم

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب وصدام الحضارات، ترجمة محمد سعدي، جريدة أنوال، 1996/07/10، ص 10.

[2]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 155.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 171_172.

الدول إلى فقيرة وغنية وغيرها، وأصبح معيار التقسيم والتمايز هو الثقافة، وبدأت مرحلة تحديد الانتماء لأن مرحلة مع من أنت؟ انتهت، وجاءت مرحلة من نحن ومن هم؟

إن الشعوب في الإجابة عن هذا السؤال الجوهري، تعود إلى كل المقومات الثقافية التي تعبّر عن هويتها وتمايزها واختلافها عن الآخرين، كما تعود لهذه العناصر لتوكيد هويتها الحضارية وتجديدها والتمسك بها، لتتشكل على إثرها الانتماءات وتتحدد الثقافات والحضارات.

وإن"مرحلة ما بعد الحرب الباردة، تؤكد بشكل واضح أن الانقسامات الجوهرية بين الأفراد، ليست ذات طبيعة إيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية بل ثقافية، العالم معرض لأزمة هوية شاملة حيث كل الشعوب والأمم تسعى للإجابة عن السؤال: من نحن؟ ويجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم أجدادهم، دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم، وبالتحامهم في جماعات ثقافية على شكل عشيرة، مجموعة إثنية، أمة، وأخيرا على شكل حضارة"(1).

والملاحظ أن العودة إلى الثقافات وإحياءها، وظهور عالم متعدد الحضارات، أدى ذلك الى تغير ميزان القوى فلم يعد الغرب ذلك المهيمن المسيطر الذي يملك القوة العظمى الوحيدة، بل برزت حضارات التحدي، لتعبّر عن وجودها وظهورها ومشاركتها في صنع النظام العالمي الجديد، وموازاة مع ذلك هناك نوع من التدهور، بدأ يصيب القوى الغربية، وحتى الحضارات التي كانت تعتمد على الغرب بدأت في تأكيد ثقافاتها الخاصة والرجوع إليها، هناك معطيات عالمية ومؤشرات على بزوغ حضارات جديدة، تملك القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية لها رؤية جديدة للعالم، وتتحدى الغرب، ألا وهي آسيا والإسلام.

"فميزان القوى بين الحضارات يتغير، الغرب يتدهور في تأثيره النسبي، الحضارات الآسيوية تبسط قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، الإسلام ينفجر سكانيا...والحضارات غير الغربية عموما تعيد تأكيد ثقافتها الخاصة"(2).

ومن منطلق أن النمو الاقتصادي المحلي، يجعل من أي دولة أو حضارة تتخلص من التبعية والمديونية، والهيمنة الاقتصادية، فهذا يزيدها ثقة بقوتها وقدراتها، وتماسكها الثقافي، وتحديها للغرب وحضارته، وهو ما تشعر به معظم الدول الآسيوية التي انطلقت في مرحلة البناء الاقتصادي والعسكري واستقلالها عن الغرب وحضارته، ومساعداته، وايجاد فضاءات جديدة بديلة عن الغرب وحضارته عن طريق التكتلات الاقتصادية فيما بينها، والتعاون في جميع المجالات، بل إنها بدأت في غزو الاقتصاد العالمي، ومن ثم نشر القيم الحضارية الآسيوية التي تعبّر عن حضارة آسيا وخصوصياتها الثقافية.

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب وصدام الحضارات، ترجمة محمد سعدي، جريدة أنوال، 1996/07/10، ص 10.

2- صبري سعيد وأسامة نبيل، العنصرية وصدام الحضارات، مرجع سابق، ص ص 86_87.

حيث أصبح "النمو الاقتصادي يثير بين المجتمعات الآسيوية شعور بالقوة، وتأكيدا لقدرتها على التصدي للغرب"[1].

لقد بدأت الثقافة غير الغربية في تأكيد خصوصيتها وتميزها وقوتها، كما بدأت الحضارات تربط _كما فعل الغرب_ بين قوة الثقافة وقوة الاقتصاد، وهو ما يراه الآسيويون الذين يفتخرون بثقافتهم معتبرين إياها سر تقدمهم ونموهم الاقتصادي ومن ثمة الحضاري، بل لقد بدأت الحضارات في اعتبار ثقافتها أرقى وأسمى من ثقافة الغرب، وإن ثقافة الغرب بدأت في التآكل، وهذا ما يقود إلى ضرورة تجاوزها،لأنها أصبحت توصف بالتفسخ والانحلال، وتفادياً من التسميم الغربي الثقافي تم رفضها، بل وهناك من يرى بأنها ما سيقود الغرب إلى الانحلال والاضمحلال، حيث "يعتقد الآسيويون أن هذا النجاح الاقتصادي جاء نتيجة للثقافة الآسيوية التي هي أرقى من ثقافة الغرب، المتفسخ ثقافيا واجتماعياً...ويتكلمون بازدراء عن انهيار الغرب، ويعزون نجاحهم والفشل الغربي، إلى تفوق ثقافتهم وتفسخ الثقافة الغربية"[2].

لقد انتهى دور الحضارة الغربية وثقافتها، بعد أن كان الغرب مهيمناً اقتصادياً وعسكرياً، ولكن بعد أن بدأت بوادر زوال الهيمنة الاقتصادية الغربية، بدأ الشك يتغلغل إلى عمق مبادئ وأسس الحضارة الغربية، وإن أكبر ممثل للحضارة الغربية، ألا وهو أمريكا سيعرف نفس مصير الاتحاد السوفياتي، إن ما يصدق على الاتحاد السوفياتي يصدق على الولايات المتحدة، التي لم تكن بها ما يسمى الدولة/الأمة، بل بها تجمعات بشرية مختلفة من حيث الهوية، وبالتالي فإن تفكك هذه الجماعات سيكون بصورة عادية، لأنه لا يوجد بينها تجانس ثقافي وحضاري، وما يوحدها هو المصالح الاقتصادية التي لن تدوم ولن تستمر، أما الحضارات الكبرى الأخرى، فإنها تعبّر عن الدولة/الأمة التي تستطيع أن تحافظ على وجودها وكيانها، لأن لها مقومات ثقافية حضارية متينة لا تزول ولا تتغير، مهما تغيرت المصالح الاقتصادية والعلاقات السياسية، "والولايات المتحدة هي أشبه في مصيرها بمصير الاتحاد السوفياتي سابقا، وذلك لأنهما يتشابهان في كونهما لا يشكلان معا الدولة/الأمة بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، فهما مجرد تجمع لمجموعة من الهويات غير المندمجة وغير المتناسقة، وبالتالي فإذا سادت التعددية الثقافية، وتفكك التوافق حول الديمقراطية الليبرالية، فإن الولايات المتحدة ستلتحق بالاتحاد السوفياتي إلى ركام رماد التاريخ"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 176_177.

[2]- المصدر نفسه، ص 177.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق ص ص 46_47.

إن تفكك الغرب وإنحلاله حقيقة آمن بها الكثير، ومنهم هنتنجتون، لما أدركوه داخل المجتمع الغربي والأمريكي من تصدع وتفكك حضاري واجتماعي وهوياتي، وإن القيم الغربية لم تعد تلك القيم السامية التي ترتبط بأكبر حضارة وأقواها، هناك قيم جديدة فرضتها حضارات غير غربية، تعبر عن روح المجتمعات التي أنتجتها، فالرجل الأسيوي أصبح مثالا عن قيم العمل والانضباط والصرامة والقدرة فمثلا "كان قادة سنغافورة يتكلمون بملء الفم عن صعود آسيا بالنسبة إلى الغرب، ويقارنون بين قيم الثقافة الآسيوية التي هي كونفوشية في الأساس (النظام، الانضباط، مسؤولية الأسرة، العمل الجاد الجماعة، الاعتدال) وقيم الغرب المتمثلة في الانغماس الذاتي، والكسل والفردانية والجريمة والتعليم الهابط ، وعدم احترام السلطة والتحجر العقلي، وكلها مسؤولة عن انهياره، وكانت المحاجة هي: إذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تنافس الشرق، فعليها أن تعيد النظر وبكل شك في نظمها الاجتماعية والسياسية، وأثناء ذلك تحاول أن تتعلم شيئا أو أكثر من المجتمعات الشرق آسيوية"[1].

لقد أصبع الغرب بالنسبة إلى الكثير يرمز إلى الجريمة والعنف والقيم الفاسدة والانحلال الأخلاقي وغيرها، موازاة مع الثقافات ذات الأصول الحضارية الراقية، والتي تشجع على العمل والاجتهاد والنهوض بالحضارة، إنها بالنسبة إلى باقي الحضارات مؤشرات انهيار الغرب، وصعود قوى غير غربية وانطلاقا من هذه الحقائق، فإن هنتنجتون يدعو الغرب لأن يجدد حضارته من الداخل، وأن يقبل بعالم متعدد الحضارات، وأن يدعم تحالفاته فيما بين دوله، وبينه وبين بعض الحضارات التي لا تشكل تحديا حقيقيا له، ولا تقف عقبة أمام مصالحه.

ومنه "يستنتج هنتنجتون أن هناك حضارات أخرى ستصبح فاعلة ومهيمنة بشكل قوي في معترك التنظيم الدولي، لذلك فإن من مصلحة الغرب أن يوحد ويقوي تماسكه ووحدته، وأن ينحو للتعاون مع حلفائه والتعايش مع باقي الحضارات"[2].

وإننا نشهد عصر التحالفات، كما نشهد عصر التصادمات، وإن الصراع الحضاري هو ما دفع الشعوب والأمم أن تتكتل في حضارات وتنتمي إلى هويات، ومن ثمة تبني علاقات وتحالفات، وما يشهده عالم اليوم هو وجود تحالفات حضارية، مبنية على فكرة العداء للغرب، لأن هذا الأخير مارس الإمبريالية والاستعمارية، وتدخل في الشؤون الحضارية لكل الدول، بل ومارس القتل والتدمير باسم نشر قيم حضارية لا تعبّر إلا عن فلسفة البقاء للأقوى والأصلح، وبما أن عجلة التاريخ تتغير فشعوب هذه الأمم لم تنس في ذاكرتها الحضارية الغطرسة الغربية، وعلى سبيل المثال نجد المجتمعات الآسيوية تتحالف وتتكتل ضد الغرب ومصالحه، وفي نفس الوقت تقوي الروابط الحضارية والثقافية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 177_ 178.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 51.

داخل حضارتها، وفيما بينها، "فالمجتمعات الآسيوية لها مصالح مشتركة في مواجهة الغرب، دفاعا عن هذه القيم المتميزة ومتابعة لمصالحها الاقتصادية الخاصة"[1].

فقوة الغرب أو ضعفه مرتبطة بقدرته على التجدد داخليا، وإعادة بعث قيمه وتحقيق التماسك الهوياتي داخل ثقافته، وإلا فإنه مهدد بالانهيار والانحلال، بل وحتى الغزو من طرف الحضارات الصاعدة الجديدة، إن الحضارة الغربية انبنت على معطيات مادية وتقديس المادة، مما أفرغها من مضمونها الروحي والأخلاقي، وربط حضارة ما بقيم مادية خطر عليها، لأن القيم المادية زائلة، بينما تستمر القيم الروحية والثقافية.

ومنه "يعتقد هنتنجتون أن قوة الغرب مستقبلاً ستحدد أساساً من خلال قدرته على مواجهة هذه المشاكل، وتأكيد تماسكه الثقافي والأخلاقي...وينبه أن القيم الغربية أصبحت أكثر مادية، والنموذج المجتمعي الغربي أصبح مرفوضا أكثر فأكثر لأنه مرتبط بالتفسخ الأخلاقي"[2].

لقد كانت الحضارة الغربية وقيمها تمثل ما هو عالمي وكوني، وهذه الخاصية تعود إلى قوة الغرب بينما الثقافات والحضارات الأخرى فتعبر عن الخصوصية فقط، ولكن بعد تراجع الغرب وحضارته وقيمه، بدأت بعض الحضارات والدول الآسيوية تعمم من قيمها الثقافية والحضارية، على اعتبار أنها أصبحت تملك القوة التي كانت للغرب، وأصبحت بالتالي منافسا حقيقيا له، لدرجة أن أحد زعماء آسيا قال علنا وأمام الدول الغربية: إن القيم الآسيوية عالمية، بينما القيم الأوروبية فهي تخص أوروبا فقط، وهو ما جاء على لسان هنتنجتون عندما قال: "إن المجتمعات القوية لها صفة العمومية، أما المجتمعات الضعيفة فلها صفة الخصوصية تعاظم الثقة بالنفس لدى شرق آسيا، أدى إلى ظهور عالمية آسيوية تشبه تلك التي كانت تميز الغرب في سنة 1996 كان رئيس الوزراء "**ماهاتير(Mahathir Mohammad)***" يقول أمام رؤساء الحكومات الأوروبية، إن القيم الآسيوية قيم عالمية، أما القيم الأوروبية فهي قيم أوروبية"[3].

ومن هنا انطلقت الحضارات غير الغربية، بعد أن أدركت أن قوة الغرب وحضارته، في تراجع وأنه لم يعد القوة العظمى الوحيدة في الكون، بل إن على الغرب الاعتراف بعالم متعدد الحضارات ويجب التعايش مع هذه الحضارات بدل الصدام معها، يقول هنتنجتون: "على المدى الطويل يجب أن

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 179.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 54.

* ماهاتير محمد (1925_) رابع رئيس وزراء لماليزيا.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي مصدر سابق، ص 180.

يتعلم الغرب كيف يعيش في عالم لم تعد فيه السيطرة التامة، كما كان يحدث قبل قرنين أو ثلاثة قرون يجب علينا أن نتعلم كيف نتكيف لنتعايش مع الحضارات الأخرى"[1].

هذا ما رآه هنتنجتون في عودة قوة الحضارة الآسيوية، وإنها حضارة ارتكزت في قوتها على النمو الاقتصادي، أما بالنسبة إلى المسلمين فإن عودة قوة حضارتهم، تنطلق من زيادة عددهم وعودتهم إلى الدين الإسلامي، واعتباره أساس القوة والهوية والحضارة، ورغم أن المسلمين بدأوا يتأقلمون مع معطيات الحداثة الغربية، إلا أنهم بالمقابل أصبحوا أكثر تمسكا بالإسلام، واعتباره أساس الوحدة والنهوض الحضاري، لقد بدأت الصحوة الإسلامية بعد طول سبات، واقتنع المسلمون أن النهضة تنطلق بمعطيات الحاضر، والسعي في تأسيس خطاب حضاري يتماشى والتطور الحضاري في العالم مع التمسك بالقيم الإسلامية التي تعبّر عن روح الحضارة الإسلامية، والانطلاق في محاولة اللحاق بالركب الحضاري، فالإسلام يوفر الروح التي تفتقدها باقي الحضارات، وينطلق من قيم يريدها أن تكون عالمية، ومما سبق يقرر هنتنجتون حقيقة تقول: "بينما أصبح الأسيويون واثقين نتيجة للتقدم الاقتصادي، فإن المسلمين بأعدادهم الغفيرة، كانوا في نفس الوقت يتوجهون نحو الإسلام كمصدر للهوية والاستقرار والشرعية والقوة والأمل، ذلك الأمل الذي يعبّر عنه شعار "الإسلام هو الحل" هذه الصحوة الإسلامية باتساعها وعمقها، هي أحدث مرحلة في تكيف الحضارة الإسلامية مع الغرب وسعى لإيجاد الحل، ليس في الإيديولوجيا الغربية، وإنما في الإسلام، وهي تجسد قبول الحداثة ورفض الثقافة الغربية والعودة إلى الإلتزام بالإسلام كدليل حياة في العالم الحديث"[2].

من هنا بدت لهنتنجتون أن الغرب وحضارته يواجه تحدياً حضارياً من كثير من الحضارات وأخصها الحضارة الآسيوية الكونفوشيوسية، والحضارة الإسلامية، وفي كثير من الأحيان يتوقع هنتنجتون تحالفا بين الحضارتين في تحديهما للغرب، رغم اختلاف المعطيات الحضارية لآسيا والإسلام، ومن منطلق التحدي والاستجابة، كما يقول أرنولد توينبي، ينصح هنتنجتون الغرب بأن يسارع لحماية حضارته وقيمه ومصالحه ومؤسساته، بأن يعزز من علاقاته مع دول كبرى كاليابان كمناقض للصين والهند كمناقض للإسلام وروسيا، كقوة كبرى في العالم، ويرى هنتنجتون أن هذه الدول المساندة للغرب هي ما سيحقق التوازن في السياسة الدولية، وبالتالي يحافظ الغرب على مصالحه بالإضافة إلى أمريكا اللاتينية التي يرى فيها هنتنجتون أنها امتداد للغرب وإنها في حاجة إلى مساعداته، يقول هنتنجتون: "على الغرب أن يتحرك لحماية مصالحه الخاصة، مؤسساته وقيمه...في حالة ما إذا اندلعت صراعات كامنة بين الغرب والصين أو الإسلام، سيكون من اللازم محاولة الحفاظ

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 55.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 180_181.

على علاقات تعاون مع دول مثل: روسيا، اليابان، الهند، وهذه الدول الثلاث تشكل مجموعة من الحضارات التوازنية، والتي مع دول أمريكا اللاتينية لها كليا مكانها في الحضارة الغربية"[1].

الحضارات الأخرى ليست مثل الإسلام والصين، إن هاتين الأخيرتين لهما مبادئ وقيم ضاربة في عمق التاريخ، وبالتالي لا يمكن أن تتحول الأمة الإسلامية إلى قيم الغرب، وترمي بقيمها في مزبلة التاريخ، إننا نتميز بهويتنا وحضارتنا، ولنا أصول لثقافتنا التي صنعها أجدادنا، ونكمل صناعتها نحن اليوم، ولا يمكن بحال أن نتخلى عن مبادئنا وقيمنا التي آمنا بها ودافعنا عنها، وحتى في أحلك اللحظات في زمن الاستعمار لم نفعل ذلك، نعم نريد أن نكون حضارة متطورة تأخذ بالحداثة، لكن دون التغريب، إن معطيات العصر ووسائله وتكنولوجيته الغربية براقة، وأساس التنافس والتحدي الحضاري لكن هذه الوسائل تحمل في طياتها سموم الفكر والثقافة الغربية، التي علينا رفضها ومقاومتها وصدها حتى لا ننسلخ عن حضارتنا، ولا يعني ذلك أبدا أننا نقف ضد التمدن والتحضر والرقي والتطور، وهنا يستشهد هنتنجتون برأي أحد المسؤولين السعوديين قائلا:

"شرح مسؤول سعودي كبير عام 1994 الواردات الأجنبية جميلة، مثل الأشياء البراقة أو الأشياء التكنولوجية، ولكن المبادئ والأفكار الاجتماعية والسياسية غير الملموسة المستوردة من أماكن أخرى يمكن أن تكون قاتلة...إسأل شاه إيران...الإسلام بالنسبة لنا ليس مجرد دين، وإنما أسلوب حياة نحن السعوديين نريد أن نأخذ بالحداثة، ولكن ليس بالضرورة أن نتغرب"[2].

إن الإسلام ليس عبادة فقط كما يعتقد الكثير، إنه ليس مثل الديانات الأخرى التي تكتفي بالمشاعر، وتفصل الإيمان عن العمل كما تفصل الدين عن الدولة، إن الإسلام طريقة وأسلوب في الحياة إنه إيمان وعمل وسلوك، ولقد بدأت النهضة الفكرية العربية والإسلامية من أجل إحياء أمجاد هذه الأمة، والرقي بها إلى مصاف الحضارات الكبرى، وتذكر الماضي عندما كانت الحضارة الإسلامية هي أرقى الحضارات، وبما أن معطيات العصر تغيرت، فإن إحياء الحضارة الإسلامية يجب أن يساير هذه التغيرات، فعلى الأمة أن تحدث ثورة فكرية ونهضة علمية، يكون منطلقها الإسلام، دون قطيعة مع التراث، ودون التمسك به وحده فقط، بل الأخذ بالحداثة وفق معطيات التراث كما يرى الجابري _رحمه الله_ إن الصحوة على خلاف الأصولية الإسلامية، فهي محاولة للانطلاق أما الأصولية فهي العودة إلى الماضي فقط والتمسك به، وإن هذا الصراع داخل الفكر والحضارة الإسلامية هو سبب تكالب الغير وضعف الثقة في النفس، رغم أن العالم الإسلامي لديه كل المؤشرات على أن يعتلي سلم الحضارات الكونية، وحتى معنى الصحوة نجده لدى مفكري الغرب، بمن فيهم

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 134.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 181.

هنتنجتون حينما يقول: "الصحوة الإسلامية هي الجهد الذي يبذله المسلمون لتحقيق هذا الهدف، وهي حركة فكرية ثقافية اجتماعية سياسية عريضة، منتشرة في معظم أنحاء العالم العربي و"الأصولية" الإسلامية التي ينظر إليها على أنها الإسلام السياسي، ليست سوى إحدى المكونات في عملية الإحياء الواسعة للأفكار والمعتقدات والدعوة، وإعادة الإخلاص للإسلام الذي تمارسه جماهير المسلمين الصحوة تيار عام، وليس تطرفا متغلغلة وليست منعزلة، الصحوة أثرت على المسلمين في كل دولة وعلى معظم جوانب المجتمع والسياسة في معظم البلاد الإسلامية"[1].

عودة الإسلام هي منطلق الصحوة الإسلامية، والصحوة تعني التمسك بالدين الإسلامي وإحياء شعائره والتمسك به في صفائه وحيويته، إنها تعني لم الشمل والتواصل بدل التقاطع، وإدراك حقيقة الذات والآخر، ومن ثمة إدراك العدو، إن الهوية تعني التمسك بكل ما هو عزيز، وأهمها الدين، فهو عامل مكون للهوية، وبالتالي فهو عامل موحد، والأمة الإسلامية انبنت على الدين ثم اللغة، لأن ما يشعر به المسلم هو الانتماء الديني قبل اللغوي، لقد دعا كثير من المفكرين إلى أنه لتحقيق الصحوة وبالتالي النهضة في الحضارة الإسلامية لابد من التجديد، والمقصود به تجديد معطيات التأقلم مع العصر بل والأخذ بها، وليس المقصود تجديد العقيدة الصحيحة، لأن ذلك من الثوابت التي لا تتغير فعلينا تجديد الفكر، وتجديد القيم الحضارية حتى تتماشى مع ديننا، وتقبّل معطيات الحداثة التي فرضت نفسها علينا اليوم، وإخضاع كل ما هو حداثي لمبادئ الدين، حتى لا ننسلخ عن هويتنا وديننا وقد "كتب "**جون اسبوسيتو (John Louis Esposito)***"عن مؤشرات الصحوة الإسلامية في الحياة الشخصية يقول: هي كثيرة، الاهتمام المتزايد بالطقوس (الذهاب إلى المسجد، الصلاة، الصيام) نشر البرامج والمطبوعات الإسلامية، تركيز كبير على الملبس والقيم الإسلامية...هذا التجديد بقاعدته العريضة يصاحبه تأكيد لحضور الإسلام في الحياة العامة"[2].

وعندما أدرك الغرب أن الإسلام يقوم بعمل نهضوي، من أجل العودة إلى دائرة الحضارات العالمية والقوية، وأنه يقوم بعملية التجديد الداخلي، وأن الصين تعرف نموا اقتصاديا منقطعا أدرك حقيقة التحدي الذي ينتظره، وعليه أعلن الفكر الغربي عن بداية صدام الحضارات، وأن بدايات السقوط الغربي قد أذنت، يقول في ذلك محمد سعدي: "إن الأطروحة ذات نبرة تحذيرية وإنذارية، تحذر من اقتراب انهيار الغرب تحت وقع الانبعاث والزحف القادم للحضارات غير الغربية، وبالأخص الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 181.

* جون اسبوسيتو (1940_) باحث أمريكي في الشؤون الدولية والإسلامية.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 08.

فالعودة إلى الأصول بالنسبة إلى باقي الحضارات، كانت مرحلة لا بد منها، فبالنظر لتعزز قوة الغرب وهيمنته، فإن هناك رد فعل على التغريب والغطرسة من قبل باقي الحضارات، فإذن الغرب أدّى دورا كبيرا بالنسبة إلى الحضارات الأخرى، لأنه بممارساته دفع تلك الحضارات لأن تستيقظ من سباتها وأن تحيي تراثها وتنطلق في عملية البناء، من أجل تعزيز الدور الحضاري الذي يجب أن تؤديه، وتقلل من الضغط الغربي على حضاراتها وهوياتها، إنها عملية طبيعية تقوم على الفعل ورد الفعل، أو كما يسميها توينبي المنبه والاستجابة، وإن المستقبل لهذه الحضارات، وإنه سوف يكون لها دور كبير في تشكيل نظام دولي جديد، وإعادة تشكيل السياسة الثقافية الكونية.

حيث "يتعزز نمو الوعي بالحضارة، نتيجة للدور المزدوج للغرب، فالغرب من ناحية في أوج قوته، بيد أنه في الوقت نفسه، وربما نتيجة لذلك، ثمة ظاهرة تتمثل في العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية...إن غربا في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية ولديها الإرادة والإمكانات للقيام بذلك"[1].

وبعودة هذه الحضارات وقيمها، فإن الغرب يسعى على النقيض من ذلك باعتباره ما زال يؤمن بأنه القوة العالمية الوحيدة، يسعى إلى فرض قيمه وحضارته، ويعتقد أنها قيم عالمية يجب أن تسود جميع الحضارات الأخرى، وهذا ما يقود إلى صدام بينها، رغم أن شعوب هذه الحضارات لا تجد دعما من دولها، إلا أنها تسعى لتحالفات وفق دين وهوية مشتركة، فالثقافة هي أهم لاعب في عالم ما بعد الحرب الباردة كما يعتقد هنتنجتون.

وعليه كانت "جهود الغرب لدعم قيمه المتعلقة بالديمقراطية والليبرالية كقيم عالمية، والحفاظ على هيمنته العسكرية، ودعم مصالحه الاقتصادية، تولد ردود فعل مضادة من قبل الحضارات الأخرى، وإذ تتناقض قدرة الحكومات والمجموعات على حشد الدعم وإقامة التحالفات على الأسس الإيديولوجية فإنها ستحاول بصورة متزايدة حشد الدعم باستغلال دين مشترك وهوية حضارية مشتركة"[2].

لم تعد الانتماءات إيديولوجية، لقد حلّ الثقافي والحضاري مكان الإيديولوجي، إن أهمية الثقافة تكمن في أنها الأساس الذي يبني الهويات الحضارية، وما نلاحظه اليوم هو عودة التكتلات المبنية على أساس ثقافي، فبعد أن عرفت أوروبا والغرب عموما تكتلات اقتصادية، وقامت آسيا بنفس الفعل ها هو العامل الثقافي يعود بقوة في عالم اليوم ليعيد تشكيل السياسة العالمية، رغم أن العولمة الغربية تريد أن تقضي على الخصوصيات الثقافية لهذه الشعوب والحضارات، وتريد تشكيلها في صورة واحدة وقيم واحدة وحضارة واحدة، هي حضارة القوي ألا وهي الحضارة الغربية.

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 21.

2- المصدر نفسه، ص 23.

ومنه "يعطي هنتنجتون في تحليلاته الحظوة لجميع مظاهر تحقيق الهوية العرقية ويشتغل عبر التكتيل المتلاحق للمجموعات التي تزاد شمولية بالتدريج، وفي هذا السياق تشكل ردود الفعل المرتبطة بالهوية إجابات عن تهديدات عولمة جميع أنواع التيارات التي تضغط من الخارج على جميع الحضارات"[1].

لقد آمن الغرب بأن نهاية الحرب الباردة ليست نهاية الصراع، بل إن صراعا من نوع جديد سينبثق من معطيات حضارية جديدة، وفق التغيرات التي شهدها العالم بعد هذه الحرب، لقد رأى الغرب في الإسلام والكونفوشيوسية نظاما لاهوتيا يقف ضد العلمانية والديمقراطية، فهما يمثلان دينا لاهوتيا ونظاما شموليا توتاليتاريا، وفي الوقت الذي أعلن فيه الغرب نهاية مثل هذه الأنظمة يظهر الإسلام والكونفوشيوسية، فبعد "سقوط الاتحاد السوفياتي ظهر التفكير في ضرورة خوض صراع جديد مع العقيدة الراديكالية الأخرى، وفي الأقل النظام اللاهوتي الآخر ممثلا بالإسلام أولا، والكونفوشيوسية ثانيا"[2].

وكما ذكرنا سابقا، فإن هنتنجتون يعتقد بأن الغرب قد بلغ أوج قوته في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، حيث استطاع الغرب أن يحافظ على قوته في مقابل الحضارات الأخرى، كما أن الصراع الإيديولوجي مع الشرق أي الاتحاد السوفياتي قد انتهى بانتصار الغرب والليبرالية، كما يرى كذلك فوكوياما، كما أن الغرب في هذه المرحلة يعرف تماسكا وتحالفا بين دوله، ولا توجد صراعات داخل الغرب، ومن الجانب الاقتصادي فإن الغرب لا يخشى النمو الاقتصادي الياباني، ورغم أن هنتنجتون يرى مرة ألاّ وجود لمنافس وتحدٍ اقتصادي للغرب، ومرة يرى بأن النمو الاقتصادي للصين يعد تحدياً للغرب وحضارته، "إن الغرب حاليا في أوج قوته، مقابلة بالحضارات الأخرى، فقد اختفت الدولة العظمى الخصيمة له من على الخريطة، والنزاع العسكري بين الدول الغربية أمر لا يتصور، والقوة العسكرية للغرب بلا منافس، وفيماعدا اليابان، فإن الغرب لا يواجه أي تحدٍ اقتصادي، وهو يهيمن على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية"[3].

وبما أن الغرب مسيطر على أهم المنظمات الدولية، فإن التكتلات قد تحددت، فهناك من الدول ما تتبع سياسة العزلة، لتمنع انتشار الفساد الغربي في بلدانها، وهناك من الدول التي خضعت للغرب وهي تحاول أن تتبنى قيمه الحضارية وأن تسير في فلكه، أما دول أخرى فإنها تريد خلق قوة موازية للغرب، وبالتالي منافسة الغرب اقتصادياً وعسكرياً، من أجل أن تكون مركزا، وبالتالي تستطيع أن تستقطب باقي الدول وأن تتحالف معها ضد الغرب، مع المحافظة على قيمها الحضارية، بمعنى أن تأخذ بمعطيات التحديث دون التغريب، وهذه الدول والحضارات في نظر هنتنجتون، هي التي تشكل

---

[1]- جان بيير فارنيي، عولمة الثقافة، مرجع سابق، ص 150.

[2]- حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، عمان، دار وائل، (د ط)، 2002، ص 41.

[3]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 27.

التحدي الحقيقي للغرب وحضارته، لقد تشكل العالم إذن وفق سياسة دولية جديدة مبنية على الولاءات الحضارية والثقافية، فهناك ثلاثة تشكلات كنتيجة لإعادة تشكيل السياسة الكونية، نتيجة رد فعل الشعوب والأمم والحضارات على الغرب وقوته، وهو ما تعبر عنه أفكار هنتنجتون عندما يقول: "إن هذه الردود تتخذ أحد ثلاثة أشكال أو توليفة منها: ففي طرف قصي تستطيع الدول غير الغربية مثل بورما وكوريا الشمالية أن تحاول اتباع مسار العزلة لتعزل مجتمعاتها من تسلل الفساد من الغرب والواقع أنها تختار بذلك عدم المشاركة في المجتمع العالمي الذي يهيمن عليه الغرب...والبديل الثاني وهو المكافئ للانتظام في قافلة عربان الفريق...ويتمثل في محاولة الانضمام إلى الغرب وقبول قيمه ومؤسساته، والبديل الثالث هو محاولة موازنة الغرب بتطوير قوة اقتصادية وعسكرية للتعاون مع المجتمعات غير الغربية الأخرى ضد الغرب، مع الحفاظ على القيم والمؤسسات المحلية الأصلية أي باختصار التحديث من دون التغريب"[1].

لقد بدأ ميزان القوى يتغير، وبدأت معه ترتسم معالم جديدة لسياسة عالمية، وعالم يتكون من حضارات متعددة، تبني العلاقات فيما بينها على القربى الثقافية لا على الانتماءات الإيديولوجية وستمتاز العلاقات بين الحضارات المتصادمة ثقافيا بالعدائية، وستكون أكثر عنفا حسب توقع هنتنجتون، هي تلك التي تكون بين الدين الإسلامي والمسيحية الأرثوذوكسية، لعلاقة العداء التاريخية ولمحاولة كل دين فرض قيمه على العالم، كما أن الصراع الحضاري قد يكون على مستوى أصغر بين المجموعات الثقافية داخل الأمة أو الحضارة الواحدة، كما يكون على المستوى الأكبر بين الحضارات الثماني التي رأى فيها هنتنجتون أنها ما يشكل عالم اليوم، إلا أن الصراعات الأكثر عنفا هي بين الإسلام والغرب، وبين الغرب والآخرين، وهنا يقصد الإسلام والكونفوشيوسية، لأن الإسلام يمثل بالنسبة إليه التعصب الديني والأصولية المتطرفة، أما الصين فإنها تريد أن تكون لها مكانة حضارية واقتصادية في مواجهة الحضارة الغربية، وعليه فإن بوادر المستقبل ستنطلق من العالم الذي نشأ بعد الحرب الباردة، ومنه يتوقع هنتنجتون أنه "في العالم الناشئ لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة علاقات وثيقة، بل غالبا ما ستكون عدائية، بيد أن هناك علاقات أكثر عرضة للصراع من غيرها على المستوى الأصغر، فإن أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفا هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه الأرثوذوكس والهندوس والأفارقة المسيحيين الغربيين، وعلى المستوى الأكبر فإن التقسيم السائد هو بين الغرب والآخرين، مع أشد الصراعات القائمة بين المجتمعات الإسلامية وبعضها من جهة، والمجتمعات الإسلامية والغرب من جهة أخرى، ومن المرجح

[1]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 29.

أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية، والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني"[1].

وفي المواجهة المستقبلية المرتقبة بين الغرب والباقي، كما يسميها هنتنجتون يقارن هنتنجتون بين قوة الغرب وباقي الحضارات، فيرى في الغرب قوة حضارية مارست هيمنتها وتأثيرها في جميع الحضارات، فإن حضارته هي الأكثر انتشارا وتأثيرا في المرحلة الحالية، ولكن الأصول الحضارية الأوروبية التي بني عليها الغرب بدأت في التراجع، مقارنة بباقي الحضارات غير الغربية التي تشهد عودة إلى أصولها الثقافية والتمسك بها، وهنا يحدث ما يسمى التنافر بين حضارة الغرب، التي تسعى لأن تهيمن وتكون هي الحضارة العالمية الوحيدة بقيمها، وبين حضارات تتمسك بخصوصياتها الثقافية وتدافع عن هوياتها ضد التغريب، فيحدث التنافر، ومن ثمة الصراع والصدام الحضاري، وهذا الفعل في حد ذاته وفق النظرة الهنتنجتونية يعد تحديا للغرب وحضارته، وفي هذا السياق يرى هنتنجتون أن "الحضارة الغربية الوحيدة من بين الحضارات التي كان لها تأثير في كل حضارة، ونتيجة للعلاقة بين قوة الغرب وثقافته، وقوة الحضارات الأخرى وثقافاتها، الغرب أكثر انتشارا من بين حضارات العالم وحالما القوة النسبية للحضارات الأخرى تتزايد، تذبل جاذبية الثقافات الأوروبية، والشعوب غير الأوروبية تزداد ثقة في ثقافتها الأصلية والتزاما بها، ونتيجة لذلك القضية الجوهرية في العلاقات بين الغرب وباقي العالم هي التنافر بين جهود الغرب لتكريس عالمية الثقافة الغربية_ وخاصة أمريكا_ وبين قدراتها لعمل ذلك"[2].

ولقد أكد هنتنجتون هذا التنافر الكبير بين الحضارة الغربية وباقي الحضارات، ولكن ما زاد الغرب اصراراً على نشر قيمه وحضارته هو انتصاره على الشرق الشيوعي، مما أعطى عالمية قيمه مصداقية أكثر خاصة الليبرالية والديمقراطية، وهنا أراد أن يعمم هذه القيم ولو كان ذلك بالقوة، وما تدخله العسكري في كثير من الدول إلا دليل على ذلك، وكان مبرره الأساسي هو نشر الديمقراطية وحماية العالم الحر من القوى الراديكالية والنظم الديكتاتورية والتوتاليتارية، إلا أن الغرب بدأت جهوده في الانخفاض لتحقيق مسعاه، موازاة مع ظهور حضارات التحدي التي تريد أن تفرض نفسها وقيمها في عالم متعدد الحضارات والثقافات، وتريد أن تعزز قيمها وتحافظ على هويتها، بل وتظهر أن تلك القيم هي التي يجب أن تسود، وفي المقابل تصور قيم الغرب على أنها إمبريالية واستعمار جديد، وأن الغرب لا يريد من نشر تلك القيم إلا تعزيز مكانته وسلطته وهيمنته، إن"المشكلة الرئيسية في العلاقات بين الغرب والباقي، بالتالي هي التنافر بين جهود الغرب_ وبخاصة أمريكا_ لنشر ثقافة غربية عالمية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 293.

2- مالك عبيد أو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والاسلام، مرجع سابق، ص 117.

وانخفاض قدرته على تحقيق ذلك، وقد فاقم سقوط الشيوعية من هذا التنافر، بأن قوّى في الغرب النظرة إلى أن إيديولوجية الليبرالية الديمقراطية قد انتصرت كونيا، وبالتالي أصبحت صالحة لتعميمها عالميا"[1].

ولكن الدول والشعوب غير الغربية استيقظت من سباتها، فبعد أن استقلت عن الاحتلال الغربي لأراضيها، بدأت في مرحلة البناء الاقتصادي والانتماء الحضاري، ولم تعد تثق في الغرب وقيمه، رغم أنها تأثرت بالتحديث الغربي، إلا أن كثيراً من الدول رأت أن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، وأن عملية التحديث لا تتناقض مع قيمها وأصولها الهوياتية، فراحت في عملية البناء والنمو والتشييد، بل كثير منها أصبح ينافس الغرب في قوته العسكرية والاقتصادية ويتحدى مقدرات الغرب، وهنا يتأكد أن الشعوب والأمم تسعى في تكوينها أن تمتلك وسائل القوة التي تحررها ولا تجعلها تابعة للغرب، مما زاد الهوة بين الغرب والباقي، وهذه الدول "وبعد حصولها على الاستقلال السياسي، فإن الدول غير الغربية تريد أن تحرر نفسها من السيطرة الغربية الاقتصادية والعسكرية والثقافية، مجتمعات شرق آسيا في طريقها لأن تتساوى اقتصادياً مع الغرب، الدول الآسيوية والإسلامية تبحث عن طرق مختصرة لكي تتوازن مع الغرب، التوكيد الثقافي المتزايد للحضارات الأخرى، كل ذلك يؤكد العلاقات الصعبة بين الغرب والشرق بوجه عام"[2].

وقد خلق ذلك للغرب نوعاً من الخوف، والتهديد والتحدي من كثير من الدول والحضارات وبدأت موازين القوى تتغير، ليس لصالح الغرب، بل لصالح باقي الحضارات، فنشأ نوع من العداء بين الغرب والباقي، إلا أن هنتنجتون يلخص لنا هذه العلاقة وفق مستويات ثلاثة قائلا: "إن طبيعة العلاقات (الصعبة بين الشرق والغرب) ومدى عدائيتها تختلف جدا أو تنقسم إلى ثلاثة مستويات:

- بالنسبة لحضارات التحدي، من المرجح أن تكون علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترة على نحو ثابت وعدائية جدا في معظم الأحوال، علاقات الغرب مع أمريكا اللاتينية وإفريقيا وهما حضارتان أضعف ومعتمدتان إلى حد ما على الغرب، سوف تتضمن مستويات أقل من الصراع...علاقات روسيا واليابان والهند بالغرب من المرجح أن تكون وسطا...تتضمن عوامل تعاون وصراع، حيث إن دول المركز الثلاث السابقة تقف أحيانا إلى جانب حضارات التحدي، وأحيانا إلى جانب الغرب، إنها حضارات التأرجح بين الغرب من جهة والحضارتين الإسلامية والصينية من جهة أخرى"[3].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 293.

2- المصدر نفسه، ص 295.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هذه المستويات الثلاثة تعبّر عن القلق العالمي بين الحضارات، فالتحدي الحضاري وفق نظرية هنتنجتون سيكون من الصين والإسلام، أما الحضارات التي تعتمد على الغرب فهي تابعة ولا خوف منها، ولكن هناك مستوى ثالثاً يتأرجح وفق مصالحه، فمرة يميل إلى حضارات التحدي، ومرة يميل إلى صالح الغرب، وهذه المستويات بالنسبة إلى هنتنجتون تقود إلى طرح عدة أسئلة من بينها: هل تستطيع حضارات التحدي أن تشكل العالم وفق قيمها؟ وهل ستزول القيم الغربية وحضارته؟ أما هنتنجتون فيطرح هذه الأسئلة وغيرها وفقا للصياغة التالية: "والسؤال الأساسي الذي يتعلق بالدور الذي ستلعبه تلك الحضارات بالنسبة للغرب في تشكيل مستقبل العالم، هل ستعكس المؤسسات الكونية وتوزع القوى واقتصاد وسياسات الدول في القرن الواحد والعشرين القيم والمصالح الغربية أساسا، أم أنها سوف تتشكل حسب قيم ومصالح الإسلام والصين"[1].

ووفقا للتفسيرات التي يقدمها هنتنجتون باعتباره أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة هارفارد الأمريكية، فإنه يتبنى النظرية الواقعية، التي ترى بأن الدول التي تعد دول مركز في حضاراتها غير الغربية ستتآلف وتتفاعل وتتبادل العلاقات فيما بينها، إلا أنه وفق هذه النظرية يستبعد أن تتحالف هذه الدول ضد الغرب، وضد حضارته وقيمه، إن "النظرية الواقعية في العلاقات الدولية تتنبأ بأن دول المركز في الحضارات غير الغربية لابد لها من أن تتآلف معا، لكي توازن قوة الغرب المسيطرة وقد حدث ذلك بالفعل في بعض المجالات، إلا أن ائتلافا شاملا مضادا للغرب يبدو غير وارد في المستقبل القريب"[2].

كما أن هنتنجتون يعتقد أن الحضارتين اللتين تعتبران تحديا حقيقيا للغرب، ألا وهما الحضارة الإسلامية والصينية، بينها أمور اختلاف واشتراك، فبالنسبة إلى الاختلافات بينهما، نجد أموراً كثيرة، كالثقافة والدين والعلاقات الاجتماعية، والتكوين الاجتماعي والسياسي، واللغة والتقاليد وغيرها، هذا من ناحية الاختلاف إلا أن المشترك بينهما هو اعتبارهما الغرب هو العدو، فهما يشتركان في نفس التصور حول الغرب وحضارته، وهو ما يرشحهما لأن تتحالفا، لأن المصالح تجعل من بعض الحضارات تتقارب، وتربط علاقات فيما بينها، مادام العدو واحدا، والتاريخ يشهد على ربط تحالفات بين دول لا تتفق سياسيا، ولكن المصلحة والعدو المشترك دفعها إلى ذلك، وهو ما يحدث مع الحضارات اليوم، عندما تربط تحالفات ضد الغرب باعتباره العدو، رغم ما بينها من اختلافات ثقافية وحضارية، ويشمل التحالف والتعاون بينها أموراً اقتصادية وعسكرية، بالإضافة إلى دفاعها عن قيمها ونظرتها للقيم العالمية، كحقوق الإنسان والحريات وغيرها من القيم، التي يرى فيها الغرب أنها من إنتاج الحضارة الغربية وحدها، إن "الحضارتين الإسلامية والصينية مختلفتان أساساً من ناحية الدين والثقافة والبنية الاجتماعية والتقاليد

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 296.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والسياسة...وأساليب الحياة ويوجد (بينهما) أمور مشتركة أقل مما بين كل منهما والحضارة الغربية، ولكن في السياسة العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة...(فكلاهما) ترى الغرب عدوا لها، ولذلك لديها سبب للتعاون ضده معا...كما سبق أن فعل الحلفاء وستالين ضد هتلر، هذا التعاون يحدث حول عدة أمور تتضمن حقوق الإنسان والاقتصاد، وأهم من ذلك الجهود التي تبذلها المجتمعات في كل من الحضارتين لتطوير قدراتها العسكرية، وبخاصة أسلحة الدمار الشامل...وبذلك يمكن أن تواجه التفوق العسكري التقليدي للغرب"[1].

إن المواجهة تفترض امتلاك وسائل القوة، ولهذا نجد حضارات التحدي تسعى لأن تكون لها من القوة الاقتصادية والعسكرية ما يمكّنها من الوقوف في وجه الهيمنة الغربية، وها هي تسعى لإمتلاك أسلحة الدمار الشامل من أجل حماية أمنها القومي، والدفاع عن ذاتها في حالة الضرورة، واستعمال تلك الأسلحة كوسيلة ردع لكل من يريد بها شرا.

وإن "الوقت والجهد والتكلفة المطلوبة لتطوير قدرة عسكرية تقليدية من الدرجة الأولى، يجعل الدول غير الغربية تبحث عن وسائل أخرى لمواجهة القوة العسكرية التقليدية للغرب، أسرع الطرق التي يمكن تصورها لذلك هو الحصول على أسلحة الدمار الشامل ووسائل استخدامها، دول المركز في الحضارات والدول التي تعتبر قوى إقليمية مسيطرة، أو تطمح لأن تكون كذلك، لديها دوافع خاصة للحصول على تلك الأسلحة"[2].

وإن أكبر تحدٍ تحمله الحضارات، وخاصة الحضارة الإسلامية والصينية، هو سعيها لإمتلاك أسلحة الدمار الشامل، التي تعد تهديدا للغرب وقوته وبقائه، لذا نجد الغرب يضع الاتفاقيات والقوانين الدولية، والتي يمررها في المنظمات الدولية التي هي في الأصل من وضعه، وتدافع عن مصالحه كمجلس الأمن، والمنظمة العالمية للطاقة الذرية، يستخدمها للحد من انتشار هذه الأسلحة بداعي حماية البشرية من خطر استعمالها، في حين نجده يطور من هذه الأسلحة ويجعلها حكرا على دوله من أجل الإبقاء على الهيمنة والسيطرة العالمية، إنها المعايير المزدوجة التي يتعامل بها الغرب مع جميع القضايا العالمية، وامتلاك مثل هذه الأسلحة يقود إلى توازن القوى العالمية، وبروز دول وحضارات على الساحة العالمية.

"وأسلحة كتلك، من شأنها أولا: أن تمكّن تلك الدول من فرض سيطرتها على دول أخرى من نفس حضارتها وفي منطقتها، وثانيا: فإنها سوف تزودها بوسائل لردع أي تدخل في حضارتها ومنطقتها من قبل الولايات المتحدة، أو أي قوة خارجية أخرى، ولو كان **صدام حسين** قد أخّر غزوه

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 296 _ 297.

[2]- المصدر نفسه، ص 298.

للكويت عامين أو ثلاثة حتى يحصل العراق على أسلحة نووية، فمن المرجح أنه كان يستولي على الكويت_ ومن الممكن جدا_على حقول النفط السعودية أيضا"[1].

إن الحرب الحضارية الأولى، كما يسميها المهدي المنجرة ضد العراق، كانت بغرض منع احتلال العراق للكويت في ظاهرها، ولكن في باطنها هي منع العراق من امتلاك أسلحة نووية واستخدامها ضد مصالح الغرب وأمريكا وإسرائيل، والخوف على حقول البترول التي تستفيد منها الحضارة الغربية، ويرى هنتنجتون كخبير إستراتيجي أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة على الخصوص، بدأت الدول المعادية للغرب في الحضارة الإسلامية والآسيوية في السعي لامتلاك أسلحة نووية وأسلحة دمار شامل، من أجل أن تستخدمها في أي حرب محتملة مع الغرب كما يمكن أن تستخدمها ضد مصالح الغرب، بل ولضرب الدول الغربية في حد ذاتها، ومن بين الدول التي يرى هنتنجتون أنها تسعى لامتلاك مثل هذه الأسلحة نجد كوريا الشمالية، وإيران والعراق وليبيا وسوريا والجزائر، وعن هذه الأخيرة يقول: "بناء مفاعل نووي حصين سرا في الصحراء الجزائرية ظاهريا لأغراض البحث والتجارب، ولكنه قادر كما يعتقد كثير من الخبراء الغربيين على إنتاج البلوتونيوم وبيع مواد أسلحة كيماوية إلى ليبيا، وتزويد السعودية بصواريخ CSS-2 متوسطة المدى، وتزويد كل من العراق وليبيا وسوريا وكوريا الشمالية بتكنولوجيا أو مواد نووية"[2].

إن الغرب يخشى أن تنتشر الأسلحة النووية في الدول داخل الحضارات التي تمثل العدو بالنسبة إليه، وعليه لا بد من الحد من انتشار هذه الأسلحة بطرق سلمية بالتوقيع على اتفاقيات مفروضة من الغرب، أو عن طريق التدخل العسكري، كما حدث في العراق، فالدول الإسلامية بالنسبة إليه تمثل التهديد الفعلي للغرب ودوله، ولهذا في الإجابة عن سؤال: "من أين يأتي التهديد بالنسبة للغرب؟ أجاب هنتنجتون: بشكل رئيسي، سيأتي من العالم الإسلامي، الذي يمر بمرحلة إعادة إحياء جد نشيطة"[3].

إن العالم الإسلامي بالنسبة إلى هنتنجتون انطلق من عملية إحياء حضاري وثقافي، وعاد إلى التمسك بالخصوصية الثقافية والهوياتية، مما جعله ينظر إلى الغرب وقيمه على أنها تمثل قيم الفساد والشر، وعليه سعى إلى أن يحدث نهضة حضارية، من أجل أن يلحق بالركب، ومن أجل أن يتخلص من الهيمنة والاستعباد الغربي، ولهذا بدأ يفكر في امتلاك وسائل القوة التي تجعله لاعباً أساسياً في السياسة والعلاقات الدولية، ولن يكون ذلك إلا بتطوير القدرات العسكرية، ومنها امتلاك أسلحة الدمار الشامل، ولكن الغرب يعارض ذلك بشدة تحت قناع حماية البيئة والإنسانية من الإبادة، إلا أنه لا يمنع

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 298.

[2]- المصدر نفسه، ص 302.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 38.

ذلك على دول أخرى كإسرائيل، وهذا ما يشجع الدول الإسلامية على عدم الإذعان لمطالب الغرب والتعامل مع الملف النووي بعدالة كونية عالمية.

ومنه يعتقد هنتنجتون أن"أعداء الغرب يحاولون الحصول على أسلحة الدمار الشامل، والغرب يحاول أن يمنعهم من ذلك...الغرب يتبنى منع الانتشار كتعبير عن مصالح كل الدول في النظام والاستقرار العالمي، إلا أن هناك دولا أخرى تنظر إليه على أنه يخدم مصالح السيطرة الغربية"[1].

بالإضافة إلى أن أخذ الدول بالتحديث والنمو الاقتصادي جعل قيمها الثقافية تتعزز، وتجاوز جميع الأزمات التي يمكن أن تطرحها الهوية، مما يعزز لديها الشعور بوحدة الانتماء، ويقوي الروابط فيما بينها، كما يزرع الثقة في الشعوب وبقيمهم الحضارية، وهنا يبرر هنتنجتون الفشل الذي منيت به الولايات المتحدة في تعاملها مع آسيا عموما، فالدول الآسيوية، استطاعت أن تحقق نموا اقتصادياً وبدأت آسيا تعبّر عن استقلاليتها عن الغرب، وأن هذا الأخير لم تبق له أي سيطرة لا عسكريا ولا اقتصادياً، كما أن قيمه في تراجع أمام صعود اقتصاد وقوة وقيم الآسيويين.

إن"فشل الولايات المتحدة بالنسبة لآسيا، نابع أساسا من الثروة الاقتصادية المتزايدة، وثقة الحكومة الآسيوية بنفسها، كما أن الخبراء الآسيويين كانوا يذكرون الغرب مرارا وتكرارا بأن عصر الاعتماد والتبعية القديم قد انقضى، وأن الغرب الذي كان يحقق نصف نتاج العالم الاقتصادي في الأربعينيات وسيطر على الأمم المتحدة، وكتب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، قد أصبح في ذمة التاريخ"[2].

لقد انتهى زمن السيطرة والهيمنة والأحادية، بصعود الدول الآسيوية، وظهور منافسين للغرب عسكريا واقتصادياً ومن ثمة حضاريا، وعليه يعزى النمو الاقتصادي في الحقيقة إلى الوضع الحضاري والثقافي، رغم ما له من دور في ثقة الناس بثقافتهم وخصوصيتهم الحضارية، إن الثقافة عامل موحد وعامل مرتبط بباقي المجالات ومعبرا عنها، وكما يقول غالب كجك: "إن العامل الاقتصادي _عند هنتنجتون_ يعتبر نتيجة الوضع الحضاري والثقافي لا سببا، وإن كان له مفعول إيجابي في شد الأواصر وتنمية العلاقات الحضارية في المجموعة الحضارية الواحدة"[3].

وإن القوة الحضارية والاقتصادية للدول الآسيوية، جعلتها تتصدى لضغوط الغرب الخاصة بحقوق الإنسان، فالغرب يتهم هذه الدول بأنها لا تحترم هذه الحقوق، فيما يخص ساعات العمل والتأمين والأجر، فالرجل الآسيوي يعمل لساعات طويلة، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وتتحقق الثورة الاقتصادية، وللحد من هذه الحركية، بدأت اتهامات الغرب للأنظمة غير الغربية، خاصة في آسيا

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 305 _ 306.

2- المصدر نفسه، ص ص 310 _ 311.

3- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 101.

على أنها استعبادية واستغلالية للحد من نموها الاقتصادي، كما أن الغرب يتهم هذه الدول بعدم احترام مبادئ الديمقراطية، إلا أن "قدرة الأنظمة الآسيوية على مقاومة الضغوط الغربية بشأن حقوق الإنسان دعمتها عدة عوامل... وبشكل عام فإن القوة الاقتصادية المتناسبة للدول الآسيوية، تجعلها في حصانة متزايدة ضد الضغط الأوروبي فيما يتعلق بحقوق الإنسان والديمقراطية"[1].

إلا أن النجاح الذي حققته الدول الآسيوية بفلسفة الانضباط والفاعلية في العمل، والنشاط الكبير في المجال الاقتصادي، جعلهم يؤكدون القيم الآسيوية المختلفة عن الغربية، بل إنها بهذه الصورة هي أرقى من قيم الغرب المادية، التي تشجع على الانحلال والتفسخ اجتماعياً وثقافياً ومن ثمة حضاريا.

إن العالم سيشهد تنافساً اقتصادياً، ومن ثمة سيعرف صداما حضاريا، لأن من يملك القوة يريد أن يفرض حضارته وقيمه، وبالتالي فإن للجانب الاقتصادي الدور الكبير في تشكيل السياسة الكونية في المستقبل، أما حاليا فإننا نشهد إعادة رسم الخارطة العالمية وفقا لمعطيات ثقافية وحضارية، فهناك من يحاول أن ينضم إلى الغرب والانضواء تحت لوائه، والأخذ بقيمه ومؤسساته، وهناك من يتحدى الغرب، ويريد صنع حضارة عالمية، وتكوين هوية، ونظام عالمي تنافسي للغرب.

إن هنتنجتون بتقسيمه العالم إلى ثماني حضارات، فإن هذا التقسيم في نظر كثير من الباحثين بني على أساس الدين، وهو ما يفسر العداء التاريخي للمسيحية الأرثوذكسية للإسلام، وعليه فإن الحرب المقبلة ستعرف تحالفات حضارية مبنية على الدين، لأن هنتنجتون ينظر إلى هذه الأديان على أنها ضد الغرب المسيحي، وليس الغرب صاحب التحديث والحضارة، يقول في ذلك **طيب تيزيني:** "يلاحظ الباحث أن هنتنجتون إذ يتحدث عن حضارات، فإنه ربما يعني بها الأديان، وهذا يظهر خصوصا حين يتحدث عن تحالف كونفوشيوسي إسلامي، يمكن أن يكون التحدي الأعظم لـ "الغرب المسيحي""[2].

هذا بالنسبة إلى الإسلام وحضارته، أما بالنسبة إلى حضارة آسيا، فيعتقد هنتنجتون أنه رغم تنوعها الثقافي، ورغم الاختلافات داخل مجتمعاتها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، إلا أنها تستطيع أن تشكل كتلة واحدة، وتربط علاقات متوازنة، تحقق بها تواصلاً وتفاعلاً حضارياً، وتستطيع أن تكون فاعلة في رسم السياسة الحضارية العالمية، ومنه "تستطيع آسيا بما فيها من ست حضارات، وثماني عشر دولة وأنظمة إقتصادية سريعة النمو واختلافات سياسية واقتصادية واجتماعية جوهرية بين

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 311 _ 312.

2- طيب تيزيني، صراع الحضارات والثقافات الجديد في الإيديولوجيا العولمية المراوغة، مجلة الآداب، عدد ½ يناير فبراير، بيروت، المجموعة الطباعية، السنة 48، 2000، ص 10.

المجتمعات أن تطور أي شكل من الأشكال العديدة في العلاقات الدولية في أوائل القرن الواحد والعشرين"[1].

رغم أن تحليلات هنتنجتون وتوقعاته للعلاقات بين الحضارات نجدها متناقضة، فهو مرة يعتقد بأن آسيا والصين على الخصوص ترفض الهيمنة، وتريد أن تصنع لها مكانة بين الحضارات، خاصة أمام الغرب وقيمه، ومرة نجده يقول بأنه ليس من مصلحة آسيا أن تخوض صراعات ضد الغرب، مما يجعلها تفضل السلام والهيمنة، ولكن المعطيات السياسية والثقافية والحضارية ترشح أن تبحث آسيا على توازنات، لا أن تخضع للهيمنة.

وعليه كان "الخيار أمام آسيا هو بين قوة متوازنة على حساب الصراع، أو سلام مضمون على حساب الهيمنة، المجتمعات الغربية قد تختار الصراع والتوازن، التاريخ والثقافة وحقائق القوة، توحي بأن آسيا سوف تختار السلام والهيمنة"[2].

وكأن هنتنجتون يؤمن بأن الغرب مازال في كامل قوته، لهذا سيختار الصراع مع آسيا، وأحيانا التوازن وفقاً لمصالحه، إنها المعادلة التي يسير عليها الغرب، والتي يطبقها في عالم متعدد الأقطاب يطبقها مع الدول التي تريد أن تشارك في صنع نظام عالمي متوازن، تزول فيه الأحادية والإمبريالية والهيمنة ونتيجة لهذه المعطيات، غرب يريد الهيمنة، وحضارات تتحدى، فإن الصراعات الحضارية هي ما سيحسم العلاقات الدولية والعلاقات بين الحضارات، ويتوقع هنتنجتون أن الصراعات التي كانت سائدة من صراعات عرقية إلى صراعات بين المجموعات الإثنية، ستتلاشى لتفسح المجال لصراعات على مستوى أكبر، ألا وهي الصراعات بين الحضارات، وستتحدى كثير من الحضارات الغرب، بغية بناء نظام عالمي جديد، تزول فيه السيطرة الغربية، ويحقق العدالة بين الشعوب كما يرى **جون راولز (John Rawls)**• إن "عالم ما بعد الحرب الباردة متعدد الأقطاب ومتعدد الحضارات...وطالما أن التدفق السكاني والانبعاث الاقتصادي الآسيوي مستمران، فإن الصراعات بين الغرب وحضارات التحدي سوف تصبح أكثر مركزية في السياسة الكونية عن أي خطوط تقسيم أخرى"[3].

هذا ما يسميه هنتنجتون بالتحدي الحضاري الخارجي، إلا أن الغرب يواجه تحديا آخر يأتي من داخل الحضارة الغربية ذاتها ويكمن في التصدع الذي تشهده الحضارة الغربية، كما أن المجتمعات الغربية تعاني التفكك والانحلال، وزوال القيم الإنسانية، وتصدع العلاقات الأسرية، وكثرة الجرائم والمخدرات، والفساد بصورة عامة، إضافة إلى أن هناك خطراً على الهوية الغربية يكمن في الهجرة

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 371.

[2]– المصدر نفسه، ص 386.

• جون راولز (1921_) فيلسوف أمريكي، من أهم كتبه: نظرية في العدالة.

[3]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 386

فالمهاجرون الذين ينتمون لحضارات غير الحضارة الغربية يحملون ثقافة خاصة، ولهم دين ولغة وعادات وقيم تختلف عن الثقافة الغربية، وعليه فهم يشكلون مجموعات حضارية داخل الحضارة الغربية ترفض الاندماج، وتحاول الحفاظ على قيمها الحضارية، وأكثر من ذلك، نشر هذه القيم داخل الحضارة الغربية، ومن أكبر دول الغرب التي تعاني مشكلة الهجرة نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي تعاني الهسبنة، والمهاجرين من كل العالم، الذين أصبحوا يشكلون حضارة داخل حضارة، مما قد يؤدي إلى جعل المجتمع الأمريكي مركزا للصراعات الإثنية، ويقود ذلك إلى التصدع والانشقاق، والنتيجة هي الانحلال والتفسخ والاضمحلال، إن "الثقافة الغربية تواجه تحديات من جماعات داخل المجتمعات الغربية أحد هذه التحديات يجيء من المهاجرين الذين قدموا من حضارات أخرى ويرفضون الاندماج ويواصلون الالتزام بقيم وعادات وثقافات مجتمعاتهم الأصلية والترويج لها...عندما يفشل الاستيعاب أو الاندماج، في مثل هذه الحالة ستصبح الولايات المتحدة دولة مشققة أو مصدوعة مع كل ما يستتبع ذلك من احتمالات الصراع والتفكك الداخلي"[1].

أما على المستوى الخارجي، فإن حضارات التحدي ستكون مهددة للغرب وحضارته، إلا أن بعض الحضارات بالنسبة الى الغرب لا تشكل تحديا له، بل هي معتمدة عليه، وقريبة منه ثقافيا، ورغم ذلك إلا أن الغرب يحتاط من هذه الحضارات، خاصة من مشكلات الهجرة، وما ينتج عنها من تفشي الجريمة والمخدرات وحتى الإرهاب، إنها الآفات الخطيرة التي يحتمل أن تأتي مع المهاجرين، وهي تنخر الغرب من الداخل وتهدد وحدته وتماسكه، بل قد تتسبب في تصدعه وانشقاقه ويبقى موقف هذه الحضارات من الغرب موقفاً غير واضح، فهي تتجه في مختلف الاتجاهات ومنها المعاكسة للغرب وحضارته، وإذن "في علاقتها مع الغرب من المحتمل أن تتحرك تلك الحضارات في اتجاهات عكسية، أمريكا اللاتينية قريبة من الغرب ثقافياً، أشد القضايا صراعا بين أمريكا اللاتينية والغرب هي الهجرة والمخدرات والإرهاب المرتبط بها"[2].

هذا بالنسبة إلى حضارات أمريكا اللاتينية، أما حضارات إفريقيا، فإنها تنطوي على صراع أعلى من أمريكا اللاتينية مع الغرب، إلا أنه صراع من نوع آخر، إن أفريقيا تريد توكيد ثقافتها المحلية والتمسك بها، كما أنها لا تستطيع المقاومة اقتصاديا ولا عسكريا، ومن الناحية السياسية فإنها تعاني الصراعات على السلطة ومن الحروب والاقتتال، إن أكبر ما يحمل تحديات للغرب هي الحضارات التي بها دول مركز، وهذه الدول هي التي تستطيع أن تصنع وتشارك في صنع نظام عالمي جديد، أما العلاقات بينها فإنها في الحقيقة متذبذبة بينها وبين الغرب، وحتى بينها وبين بعضها مع بعض، "دول المركز بينها لاعبون رئيسيون في الشؤون العالمية، والمرجح أن تكون لها علاقات مختلطة ومتضاربة

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 492.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 389 _ 390.

ومتذبذبة مع الغرب ومتحدية، كما ستكون لها علاقات متباينة مع بعضها البعض...ومثل تحالفات الحرب الباردة العابرة للحضارات"[1].

إن التحالفات التي ربطها الغرب في الحرب الباردة مع كثير من الدول، مثل اليابان كانت عابرة وليست دائمة، إنها تعبّر عن مرحلة صراع إيديولوجي منته، وبعد الحرب الباردة، بدأت العلاقة بين الغرب ودول المركز في باقي الحضارات تضعف، ورغم أن الغرب أراد أن تكون حضارته وقيمها عالمية، إلا أن ذلك واجهه صعوبات، بل إن هذه العالمية التي أرادها الغرب، ستتسبب في انهياره وهزيمته، لأنها توقظ الحضارات الأخرى، وتجعلها تقاوم الغرب وحضارته، وتوكيد قيمها وثقافتها، وهذا من شأنه أن يقود إلى حرب حضارية محتملة، كما أنه سيقود إلى انحلال الغرب، إن الغرور الذي أصاب الغرب بعد هزيمة الشيوعية، جعله يعتقد الخلود لحضارته، إلا أن الملاحظ أن كثيراً من الحضارات قد بدأت في عملية اكتساب القوة لمواجهة الغطرسة والكونية الغربية.

إن"عالمية الغرب خطر على العالم، لأنها قد تؤدي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة، وهي خطر على الغرب، لأنها قد تؤدي إلى هزيمته، بسقوط الإتحاد السوفيتي، يرى الغربيون حضارتهم في وضع سيادة لا نظير له، بينما تبدأ المجتمعات الآسيوية والإسلامية وغيرها في اكتساب القوة في نفس الوقت"[2].

ومن ذلك يتعين على الغرب أن يدرك التغيرات التي حدثت في عالم ما بعد الحرب الباردة، وفي السياسة الكونية، وظهور عالم متعدد الحضارات، ومن خلال هذه المعطيات يقدم هنتنجتون نصيحة للغرب، بأن يسعى للتكيف مع المتغيرات العالمية، وأن يتكيف مع الحضارات بحيث يحافظ دائما على مصالحه، ويدافع عن حضارته وقيمه، يجب على الغرب أن يستمر في قوته وتفوقه في جميع المجالات، لأن جميع الحضارات تسعى من أجل اكتساب القوة التي للغرب، كما تسعى لإضعاف القوة الغربية، "ولذا سيتعين على الغرب بدرجة متزايدة التكيف، ليس مع الحضارة غير الغربية المعاصرة التي تقترب قوتها من الغرب، بل مع تلك التي تختلف قيمها ومصالحها بقدر هام مع الغرب ويتطلب هذا من الغرب أن يحتفظ بالقوة العسكرية والاقتصادية اللازمة لحماية مصالحه في علاقته مع تلك الحضارات"[3].

وللمحافظة على الحضارة الغربية وقيمها، وتكيف الغرب مع الحضارات الأخرى، يرى هنتنجتون ضرورة التكيف مع الحضارات والسعي لامتلاك وسائل القوة، بالإضافة إلى السعي لفهم هذه الحضارات ومنطلقاتها، وبناء علاقات تقوم على المصالح المشتركة مع تلك الحضارات، وإقامة ما

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 391.

2- المصدر نفسه، ص 503.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 63.

يسمى بنوع من التفاهم بين الحضارات، والملاحظ هنا، بل وفي جميع خطابات هنتنجتون تجنبه للدعوة إلى الحوار، لأن الحوار في نظره اعتراف بقوة الآخر، في حين يرى الغرب نفسه أقوى من جميع الحضارات، ولهذا يريد نوعاً من التفاهم فقط، وللتكيف مع عالم متعدد الحضارات متعدد الأقطاب.

حيث "يتطلب هذا أيضا من الغرب الوصول إلى فهم أكثر عمقا للمنطلقات الدينية والفلسفية الأساسية للحضارات الأخرى، والطرق التي ينظر بها أصحاب تلك الحضارات إلى مصالحهم، ويتطلب أيضا بذل مساعٍ لتحديد عناصر الشراكة بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى"(1).

إن الصدام بين الحضارات سيكون ميزة العالم الجديد، وسيكون بسبب اختلافات ثقافية حضارية وهوياتية، وستكون هناك علاقات تحد بين هذه الحضارات على جميع المستويات، من قيم وأفكار ودين وعادات وإثنيات، وعلى حد تعبير إدوارد سعيد: "ستكون هذه الإيديولوجية من وجهة نظر هنتنجتون المحور الذي تدور حوله الأمور، وهكذا تستمر الحرب الباردة، ولكن على جبهات متعددة حيث تتصارع وفقا لفرضية هنتنجتون العديد من أنظمة القيم والأفكار، من قبيل الإسلام والكونفوشيوسية للصعود والسيطرة على الغرب"(2).

إن المجتمعات في أمريكا اللاتينية أقرب للغرب، فهي تقبلت قيمه ومبادئه، كما أنها أكثر قابلية لهذه القيم الغربية، وعليه فهي تعد إحدى ركائز الغرب، وبالتالي لا تمثل تحديا أو خطرا على الغرب على خلاف دول شرق آسيا التي ترفض الهيمنة والتبعية للغرب، وتسعى للإستقلال الذاتي عنه، بل وهي مرشحة لأن تحمل التحدي للغرب، وأن ترفض قيمه وحضارته، وأكثر من ذلك غزوه في عقر داره عن طريق ممارسة ما كان الغرب يفعله في أوج قوته، حيث كان ينشر قيمه الحضارية على باقي العالم، بحجة أنه الحضارة والقوة العظمى الوحيدة، لكن اليوم في عالم متعدد الحضارات والثقافات فإن كل حضارة تتبنى القيم التي أنتجتها وتدافع عنها، وتريد نشرها وتعميمها أو عولمتها.

"وإذا تأصلت الديمقراطية والأسواق الحرة، وحكم القانون والمجتمع المدني والمذهب الفردي والمذهب البروتستانتي في أمريكا اللاتينية، فإن هذه القارة التي كانت حضارتها شديدة القرب دائما من حضارة الغرب سوف تندمج في الغرب وتصبح العمود الثالث في الحضارة الغربية، وهذا التقارب غير ممكن مع المجتمعات الآسيوية، فالأرجح أن آسيا ستستمر في تكوين تحد اقتصادي وسياسي للولايات المتحدة بصفة خاصة، وللغرب بصفة عامة"(3).

إن مكونات الحضارات غير الغربية تجعلها ترفض القيم الغربية، وتعود لإحياء أصولها التراثية والحضارية والهوياتية، وإن بعض أديان هذه الحضارات ترفض العلمانية، كما ترفض عالمية القيم

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 63.

[2]– إدوارد سعيد، صدام المفاهيم، ترجمة منى أنيس، مجلة الكرمل، عدد 53، خريف 2000 ص 49.

[3]– صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 20.

الغربية، وتؤمن بالخصوصية الثقافية، وإن رفض هذه الحضارات لهذه القيم هو رفض للتغريب كذلك وليس كما يرى هنتنجتون وكثير من مفكري الغرب، أن هذه الحضارات ضد كل ما هو إنساني، وضد النسبية والاستهلاكية، إن الحضارات غير الغربية في الحقيقة لا ترفض التحديث، والأخذ بوسائل العصر والتطور، ولكنها ترفض التغريب، أي ترفض أن تستغرب، وما يتبع ذلك من طمس للمعالم الحضارية للثقافات المحلية، كما أن التغريب في صورته الحالية هو إقرار بالمشروعية الاستعمارية والتبعية، وعليه كانت "التحركات من أجل الإحياء الديني معادية للعلمانية، ومعادية للعالمية، ومعادية للحضارة الغربية أيضا، فيما عدا تجلياتها المسيحية، كما أنها معارضة للنسبية وللإنسانية وللاستهلاكية المرتبطة بما يطلق عليه "**بروس بالورانس**" "الحداثة" التي تختلف عن العصرية، وبشكل عام، فإنهم لا يرفضون التموين ولا التصنيع ولا التنمية ولا الرأسمالية...ولكنهم لا يتقبلون فكرة أن يستغربوا"[1].

إن تمسك مختلف الحضارات غير الغربية بالدين وإحيائه، جاء نتيجة لعدة اعتبارات منها أنه أساس الهوية والتميز، كما أنه هو الذي يمد الشعوب بالتعبئة الحضارية، ويقوي الروابط الثقافية والتقارب الحضاري بينهم، إنه الروح التي تسكن الجسد، وعليه تعود إليه الشعوب من أجل الاحتماء من أي خطر يهدد وجودها وهويتها، فالدين" كما يقول "**رابجيه ديراي**" ليس أفيون الشعوب، وإنما فيتامين الضعفاء ...هذه الصحوة ليست رفضا للحداثة، بل هي رفض للغرب وللثقافة العلمانية النسبية المتفسخة المرتبطة به، إنها رفض لما يطلق عليه "التسمم بالغرب" الذي يصيب المجتمعات غير الغربية، وهي إعلان استقلال ثقافي عن الغرب كله كبرياء يقول: سنكون حديثين، ولكننا لن نكون أنتم"[2].

إن الثقافة والحضارة الغربية والقيم الغربية، تعتبر مثل السم الذي إذا أصاب الثقافات غير الغربية فإنه يقودها إلى الموت لا محالة، ولهذا نجد مختلف هذه الحضارات تأخذ بمعطيات التحديث دون التغريب، وبالتالي تعبّر للغرب بأنها ليست ضد الحضارة في حد ذاتها، وليست ضد التطور والحداثة، ولكنها ترفض الحداثة التي تحمل معها قيما سامة تقضي على قيمها وخصوصيتها الثقافية إن التحديث لا يعني أبدا التغريب، بل الاستقلال عن الغرب، ومن بين الحضارات التي آمنت بالتحديث وحاربت التغريب نجد الحضارة الإسلامية والصينية.

وفي تحدي هاتين الحضارتين يقوم الغرب برد الفعل، حيث يسعى أولا للحفاظ على قوته والسعي لنشر قيمه، التي تحافظ على مصالحه، إنه يدافع عن مصالحه تحت قناع القيم العالمية التي جاءت بها الحضارة الغربية، والتي يجب أن تسود، حيث "يرى هنتنجتون أن الغرب سوف يحاول

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 166.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 167 _ 168.

الحفاظ على تفوقه وفرض قيمه المتمثلة بالليبرالية الاقتصادية، تحت شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان وبهدف الحفاظ على مصالح المجتمع الدولي التي هي مصالحه قبل كل شيء، أما حضارات التحدي أي الإسلام والصين فسوف تواصل مقاومتها وحتى التمسك بتفوق قيمها على قيم الغرب، بالإضافة إلى تعارض المصالح بينها وبين الغرب"[1].

هناك صراع عالمي قيمي وفق المعطيات الحضارية لكل حضارة، تتدرج تحتها صراعات من أجل التفوق وامتلاك وسائل القوة، إن الغرب يسعى لأن يكون القوة العظمى الوحيدة في العالم، إلا أن حضارات التحدي من جهتها تريد أن تنافس الغرب في هذه القوة، لكن الغرب يريد احتكار القوة فنجده من أجل منع هذه الحضارات ودولها من السيطرة والتفوق، يوظف كل الوسائل بما فيها المنظمات العالمية، كالأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي وغيرها، فهو يسعى لاحتكار الأسلحة النووية، ويمنع من إنتشارها في دول حضارات التحدي، وإن اضطر إلى التدخل العسكري من أجل ذلك فعل ذلك وتحت قناع حماية العالم الحر، يريد أن يفرض قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبالتالي فقد شكلت هذه القضايا الثلاث أهم القضايا التي يختلف فيها الغرب مع باقي الحضارات، إلا أن الحضارات الأخرى ترى أن الغرب يريد أن يفرض هذه القيم من أجل بعد آخر، ألا وهو الحفاظ على قوته ومصالحه وليس من أجل هذه القيم في حد ذاتها، إنها ذرائع وفق المفهوم البراغماتي لتحقيق المنفعة كما يحذر الغرب من قضية الهجرة، فهي بالنسبة إليه الشر القادم من الحضارات غير الغربية، والذي سيقود إلى تحلل الغرب وأفوله.

"أما عن قضايا الخلاف بين الغرب والحضارات الأخرى، والتي يستخدمها الغرب كذريعة للحفاظ على تفوقه وعلى مصالحه فهي في رأي هنتنجتون ثلاث:

أ- قضية انتشار أسلحة الدمار الشامل، ومحاولة الغرب الحفاظ على تفوقه في هذا المجال ومنع المجتمعات الأخرى من الحصول على هذا النوع من الأسلحة.

ب- قضية حقوق الإنسان والديمقراطية، إذ يعمل الغرب على تنمية قيمه ومؤسساته السياسية والضغط على المجتمعات الأخرى لتبني الأسلوب الغربي.

ج- قضية الهجرة واللجوء، يسعى الغرب إلى تقييد الهجرة بهدف حماية التماسك الثقافي والاجتماعي والإثني لمجتمعاته، وفي مجال التسليح حرص الغرب على عدم تمكن أعدائه من الحصول على أسلحة متطورة، وخاصة أسلحة التدمير الشامل"[2].

أما حضارات التحدي، فإنها تنادي بالنسبية في مقابل العالمية الغربية، حتى تحترم الخصوصيات الثقافية لكل حضارة، كما يجب أن تأخذ حقوق الإنسان في اعتبارها هذه الخصوصيات، كما يجب أن

1- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات؟ مرجع سابق، ص 103.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 104.

تعطى المجتمعات غير الغربية الأولوية في النمو الاقتصادي والاجتماعي قبل الاهتمام بالقضايا السياسة والديمقراطية والليبرالية، كما ترفض الشعوب غير الغربية فكرة الابتزاز الغربي، عندما تطالبها بأمور ضد قيمها في مقابل تقديم المساعدات الاقتصادية. إنها إستراتيجية حضارية تنادي بها جميع الحضارات غير الغربية، إلا أن "قدرة الغرب على متابعة هذه الإستراتيجيات سوف تحددها طبيعة ومدى صراعاته مع حضارات التحدي من جانب، ومدى قدرته على التوحد مع حضارات الحركة (روسيا، اليابان، الهند) وتطوير المصالح المشتركة معها من جانب آخر"[(1)].

أما الإستراتيجية الغربية، فتكمن في إشاعة الصراعات داخل الدول والحضارات غير الغربية وإذكاء النعرات الإثنية والدينية والطائفية، فالدين الذي اعتبر في نظر ماركس منوم الشعوب ومخدرها فإنه عند هنتنجتون منشط الشعوب وثقافاتها وهوياتها ومحييها، ولهذا نجده يحصر الصراع بين الغرب والإسلام في الدين أي يجعله بين الإسلام والمسيحية، وإذن "نلاحظ أن هنتنجتون قد عدّل في طرفي الصراع من صراع إسلامي _غربي إلى صراع إسلامي _مسيحي، لم لا وهو الذي يوصي الغرب بإثارة الفرقة فيما بين "حضارات التحدي" وداخل كل الحضارات، وهو الذي يعتقد أن الدين ليس فقط أفيون الشعوب وإنما أيضا فيتامين الضعفاء"[(2)].

وستتشكل السياسة العالمية وفق معطيات جديدة، منطلقها هو عالم متعدد الحضارات والأقطاب تشكل وفق الثقافة والهوية، وعليه يمكن أن يكون الصراع بين جميع الحضارات والغرب، كما يرى كيشوري محبوباني، الذي يستشهد بأقواله، فالباقي الذي يمثل الحضارات غير الغربية يسعى إلى تأكيد صحوته الهوياتية والثقافية، وأنه يريد أن يكون لاعبا أساسيا في السياسة الدولية، وأن يشارك في رسم معالم نظام دولي جديد تتوازن فيه القوى، وتحترم فيه جميع القيم الحضارية لكل حضارة، ويؤمن بالتنوع والتعدد.

"ويرجح أن يكون المحور الأساسي للسياسة الدولية مستقبلا، وفقا لعبارة كيشوري محبوباني هو الصراع بين الغرب والباقي واستجابة الحضارات غير الغربية للقوة والقيم...وأكثر تلك الأشكال تطرفا يمكن للدول غير الغربية...أن تحاول تبني نهج العزلة لحماية مجتمعاتها من الاختراق أو الفساد الغربي، وأن تختار في الواقع عدم المشاركة في المجتمع الدولي الذي يسيطر عليه الغرب...وثمة بديل ثان هو ركوب الموجة في نظرية العلاقات الدولية، ويتمثل في الاندماج في الغرب، وقبول قيمه ومؤسساته، أما البديل الثالث، فهو محاولة إقامة "توازن" مع الغرب، بتطوير القوى الاقتصادية والعسكرية والتعاون مع

[1]- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات؟ مرجع سابق، ص 106.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المجتمعات غير الغربية الأخرى ضد الغرب، مع الحفاظ على القيم والمؤسسات المحلية، أي باختصار التحديث وليس التغريب"[1].

في خضم هذا الصراع العالمي بين الحضارات، قد تتبنى بعض الحضارات أسلوب العزلة العالمية كوسيلة للدفاع عن قيمها وثقافتها، فهي تخاف التسميم الغربي، وهي مقتنعة بأن مجتمعا يسيطر عليه الغرب هو مجتمع يريد فرض القيم ولو بالقوة، ومن ثمة عدم المشاركة فيه يكون أفضل الطرق لحماية اختراق ثقافاتها المحلية، وهناك حضارات فضلت الاندماج في الغرب نظرا إلى قوته وسيطرته، وهو ما يسميه هنتنجتون في العلوم السياسية والعلاقات الدولية بنظرية الموجة، أي ركوب موجة الحضارة الغربية والاندماج فيها، أما بعض الحضارات التي رفضت الهيمنة والسيطرة الغربية فإنها تسعى لإيجاد عالم متوازن مع الغرب، وعليه فقد سعت لتطوير قدراتها العسكرية والاقتصادية حتى تتمكن من المنافسة والتحدي، كما أنها تسعى لإقامة تحالفات حضارية مع الدول والحضارات غير الغربية، واستمالتها استعدادا لأي صراع أو صدام أو حتى حرب مع الغرب.

لقد أدركت هذه الحضارات قيمة التحديث، فقامت بتحديث كل مؤسساتها، ولكنها رفضت التغريب والأخذ بالقيم الغربية، لأنها تؤمن أن الثقافة تتبع القوة، ولهذا تريد أن تمتلك وسائل القوة حتى تستطيع أن تجعل من قيمها قيما عالمية مثل القيم الغربية، إلا أن قيم الغرب بعيدة عن الدين والقيم الروحية، وبهذا فهي مرشحة للاندثار والزوال.

لقد أصبح العقل الغربي عقلاً صناعياً إستهلاكياً محدداً وفق قيم مادية صناعية، مبتعدا عن القيم الإنسانية والروحية، وهو ما يجعله قابلاً للتفكك والانحلال وكما يقول محمد خاتمي عن الحضارة الغربية والعقل الغربي الذي أنتجها: "إن العصر الذي نعيش فيه هو العصر الذي تفرض فيه الحضارة الغربية سيطرتها، وهي الحضارة التي انطلقت بالتنكر للدين، أو على الأقل بإبعاده إلى أشد الزوايا عتمة في ذهن الإنسان، وفي المقابل اعتمدت العقل الصناعي واعتبرته السبيل الوحيد للإنسان ليتمكن بواسطته من اكتشاف العالم، وفتح قنوات الاتصال بين أرجائه. لكن سرعان ما تعرضت هذه الرؤية وهذه الحضارة إلى أزمة شديدة لم تعرف أسبابها إلا بعد مضي قرون عديدة"[2].

ومنه فالغرب يواجه تحد حضاري حقيقي يكمن في صعود كثير من الحضارات، بعد ان انتهت فترة الهيمنة المطلقة، الحادية القطبية، ولو ان الحضارات النامية لم تصل بعد الى مستوى تحدي الغرب، الا ان الغرب بدأ في التحضير لمواجهة اي خطر على حضارته وقيمه، من هنا بدت العلاقة وكانها صراع بين الحضارات.

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص ص 45 _ 46.

2- محمد خاتمي، الإسلام والعالم، القاهرة، مكتبة الشروق، ط3، 2002، ص 119.

المبحث الرابع: صدام الثقافات والهويات الثقافية.

من أكبر ما تطرحه نظرية صدام الحضارات، اعتبارها أن الصدام سيتم وفق أسس ثقافية حضارية فالناس لاتهمهم أمور الاقتصاد والسياسة أكثر من الثقافة والهوية والدين، فالإنسان مستعد أن يموت دفاعا عن حضارته وخصوصيته الثقافية، والسؤال الذي يطرح دائما وفي كل الثقافات ما هي مصادر الهوية لدى شعب ما؟ وهنا يجيب هنتجتون قائلا: "لدى الناس عدد غير محدود وتقريبا من المصادر المحتملة للهوية، وتلك المصادر تتضمن بالدرجة الأولى:

_السمات الشخصية...

_السمات الثقافية...

_السمات الإقليمية...

_السمات السياسية...

_السمات الاقتصادية...

_السمات الاجتماعية" [1]

وإن أكبر ما يشكّل هوية الشعوب والأمم، بل ويعدّ الأصل الثقافي للهوية نجد الدين، والملاحظة أن العودة إلى الدين في زمن العولمة وصدام الحضارات قد عرفت قوتها، ربما كان سبب ذلك هو شعور الشعوب بالخطر الثقافي على هويتها وحضارتها، مما يجعلها تعود للدين لتحتمي به وتدافع عن هويتها من أي غزو ثقافي وفكري محتمل، و"إن البحث عن الهويات الشخصية في دنيا العولمة اليوم طرح الدين بوصفه الحل الأفضل"[2].

وتقوم العلاقات بين الثقافات والهويات على التعقيد، فالهوية هويات، منها المرتبطة بالشخص ومنها المرتبطة بالمجتمع، ومنها المرتبطة بالأسرة، ومنها المرتبطة بالثقافة والحضارة، وعليه تتعدد مستويات الهوية وتتنوع، وتبقى الهوية الثقافية لأمة ما هي الضامن لبقائها واستمرارها وتماسكها وإذا "فالعلاقات بين الهويات ذاتها معقدة، وتوجد العلامة المميزة عندما تكون الهويات منسجمة في المطلق لكن أحيانا قد تفرض هوية ما كهوية الأسرة وهوية العمل...أما الهويات الأخرى كالهوية الإقليمية أو الثقافية، فهي ذات مراتب تسلسلية بلغة مجالها، والهويات الأوسع هي ضمنا في الهويات الأضيق والهويات الأصغر، قد تتضارب مع الهوية الأكبر...إن الهويات التي هي من نوع واحد قد تكون حصرية أو لا تكون"[3].

1– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دمشق، دار الرأي، ط1، 2005، ص 43.

2– المتروبوليت بولس يازجي وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 146.

3– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 43.

وإذا كان هناك صراع حضاري يقوم على الهوية، فإن هنتنجتون يرى بأن تعدد الهويات في حضارة ما يزول لتتوحد في هوية لها بعد حضاري، من أجل مواجهة العدو المشترك والخطر المتوقع وإن أكبر ما يوحد الهوية نفسيا هو الدين، لأنه الرابطة الروحية التي تذوب فيها جميع الفوارق، والتي تجعل العدو هو التهديد الوحيد الذي يجب أن يصد، ويوصف بكل الأوصاف، من أجل حشد الناس للدفاع عن هذه الهوية ضد من ينظر إليهم كتهديد حقيقي، والأكيد أن الهويات متعددة ومتنوعة، كما أنها تختلف في قوتها وضعفها، فالهوية التي لديها قوة التفاعل بين الأفراد والمجموعات داخل الثقافة والحضارة الواحدة، هي الهوية التي تستطيع أن تقاوم أي غزو خارجي أو تفكك داخلي، "وتختلف الهويات في شدتها أيضا، وغالبا ما تتنوع الشدة عكسيا في مجالها...تتنوع السمات البارزة في الهويات من كل الأنواع بالتفاعلات بين الفرد أو المجموعة وبنيتها"[1].

ففي الغرب، وفي أمريكا تحديدا، نجد أن الناس يحتكمون إلى السلطة السياسية للتعريف بهويتهم وهذا ما يجعل الهويات تتنوع وتختلف، فما يراه شعب ما مهما وأساسيا، يراه شعب آخر غير ذلك ولكن في الغالب الأعم أن جوهر الهويات الأساسية قد يكون واحدا وليس مشتركا، فالدين واللغة والتاريخ، من أهم العناصر الأساسية التي تشارك في صنع هوية حضارة وتميزها عن غيرها، وفي بعض الحضارات التي تتميز بالتنوع الهوياتي، فإن قضايا سياسية تعد مصدرا للهوية كما في أمريكا.

"في أمريكا، الأفكار السياسية يمكن أن تكون أقل تطوراً في النظرية، لكن لديهم تأثير مهم أكثر من المجتمعات الأخرى، لديهم عنصر سياسي في تعريف الهوية الوطنية، وفي حدود السلطة السياسية"[2].

فالأفراد في المجتمع الأمريكي، والحضارة الغربية ممثلة في أمريكا، حاولوا منذ نشأة الولايات المتحدة تعريف هويتهم كأمريكيين، وبدأ تكون الوعي بالوطنية والهوية منذ بداية القرن 18 من خلال تكون مميزات للشخصية الأمريكية، والتي تحددت بعوامل جغرافية وسلوكية، وتجارب تاريخية، "الناس حاولوا تعريف الهوية الوطنية الأمريكية أو الشخصية الوطنية منذ ذلك الوقت، والوعي الوطني ظهر في القرن 18، فمميزات الشخصية والصفات الاجتماعية والظواهر الطبيعية والجغرافية، الأنماط السلوكية، التجارب التاريخية كلهم مروا بتحليل واحد"[3].

وعليه، فإن تكّون الهوية عند الشعوب والأمم لا تتم في زمن قصير، إنها نتاج حقب تاريخية طويلة، تتمازج فيها عناصر كثيرة، من تجارب الأجداد إلى بيئة جغرافية مشتركة، بالإضافة إلى المشتركات الدينية واللغوية والاجتماعية كالعادات والتقاليد، وتنمو الهوية وتتعرض لعملية تمحيص وغربلة، ولا يبقى منها إلا العناصر الأساسية التي تعبّر عن المشترك الثقافي، كما تتعرض الهوية

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 44.

[2] -*Samuel P. Huntington, American politics,The promise of disharmony, the Belknap press of Harvard, university press, 1981, P 13.*

[3] -*Ibid, P 13.*

لأخطار التحلل والتفسخ، وتختبر قوة مقاومتها للعناصر الهجينة القادمة من خارجها، والتي قد تهدد جوهرها.

فالهوية الأمريكية في اعتقاد هنتنجتون، تستمد من الأفكار السياسية التي أسست عليها، والتي تؤمن بالعالم الحر والديمقراطية الليبرالية، و"عند أغلبية الناس، الهوية الوطنية هي نتاج لعملية طويلة لتطور تاريخي، يتضمن الأجداد وتجارب مشتركة ومحيطاً عرقياً مشتركاً، ثقافة مشاعة، ولغة مشتركة وعادة دين مشاع، الهوية الوطنية لهذه العضوية هي المميزة...الأفكار السياسية للمعتقد الأمريكي كانت القاعدة للهوية الوطنية"[1].

فالهوية تظهر وفق القيم التي بنيت عليها في أوقات الأزمات، سواء الداخلية أو الخارجية، فهي العامل الموحّد والمفرق، إنها تعبّر عن القيم الثقافية التي يجب أن يحتكم إليها في أوقات الأزمات وخاصة إذا عجزت عن حلها المؤسسات الرسمية والسياسية في الدولة، إنها تعبّر عن الإنسان في أبعاده القيمية، في أخلاقه وثقافته وسلوكياته، بعيدا عن القيود السياسية والعلاقات القانونية الجافة.

"يظهر صعود مكانة القيم الثقافية في أوقات الأزمات الاجتماعية عميقة الأثر، ويحدث هذا النوع من الأزمات حينما تعجز مؤسسات الدولة والمجتمع التي يعتمد عليها البشر عن تلبية الحاجات الأساسية لهم"[2].

وفي كتابه من نحن؟ يرى هنتنجتون أن سُلّم الهوية هو ما يحدد الهويات الضيقة والواسعة والتي على أساسها تصعد بالجماعة إلى قمة الشعوب والأمم، أو تهوي بها في غياهب الانحلال والتفسخ فتكون القومية لدى أمة ما، ما هي إلا نتاج لتاريخها، ويرى هنتنجتون أن الحروب رغم ما تقود إليه من دمار وخراب، إلا أنها تؤدي دوراً إيجابياً من حيث أنها تساعد على الاتحاد الهوياتي بين الأمم خصوصا عندما يكون العدو ينتمي إلى هوية مختلفة، ومنه "قد تعزز الهويات الأضيق والأوسع في جماعة تراتبية هرميا أو تناقض فيما بينها...الأمم والنزعة القومية والهوية القومية إلى حد كبير هي نتاج المجرى الصاخب للتاريخ الأوروبي...فالحرب صنعت الدولة وصنعت الأمم أيضا"[3].

وعن قيمة الهوية يتساءل المفكرون وعلماء الثقافة والحضارة، ليجيبوا بأن الهوية مثل الهواء الذي نتنفسه، فلا يمكن لشعب أو أمة ما أن تكون أو توجد دون هوية، كذلك يعتقد العلماء بوجود هويات قاتلة وهي الهويات التي تشكل خطرا على وجود وبقاء الأمة، وهذه الهويات القاتلة قد يكون مصدرها من داخل الأمة أو من خارجها، فالأفراد كائنات بشرية اجتماعية، والإنسان كما يقال اجتماعي بطبعه، تجمعه روابط ثقافية وحضارية مع البشر الذين يشترك معهم في مجموع القيم

---

[1] -*Samuel P. Huntington, American politics,The promise of disharmony,opcit, P 23.*

[2]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 85.

[3]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 44.

والعادات والتقاليد، ويذكر علماء الاجتماع والأجناس، أن الانتماءات والروابط بين الأفراد، لا تعود إلى لون البشرة أو شكل الجسم، وغيرها من الصفات الفيزيولوجية، بل إن الروابط بينهم تبنى على أسس ثقافية.

لكن"هل الهوية ذاتها حاجة أساسية؟ إنها تحتل مكانة رفيعة في توجيه الحياة عند غالبية البشر فالبشر ليسوا على أية حال "ذئاب متوحدة" ولكنهم كائنات اجتماعية، غير أن الانتماءات لا ترتبط فقط وبالدرجة الأولى بالملامح الفيزيائية، مثل لون البشرة ومعالم الوجه، وشكل الجسم، بل الأرجح أن تنتشر عبر الممارسات الثقافية المشتركة، ومن هنا فإن الهزات التي يتعرض لها عالم الحياة الاعتيادي أي الموقف النقدي تجاه معنى العادات العتيقة تحزّ في هويات البشر "[1].

وبما أنه لكل شعب وحضارة وثقافة هوية تميزها عن غيرها، فإن التاريخ أكد هويتها خاصة في الحروب أين يكون الخطر واحدا، فتلجأ إلى التوكيد الهوياتي حتى تدافع عن نفسها ثقافيا، وتؤكد إنتماءها حضاريا، ولهذا "طورت الشعوب احساسها بهويتها القومية أثناء حروبها، لتميز نفسها عن الشعوب الأخرى بلغتها المختلفة أو دينها أو تاريخها أو موقعها"[2].

إن المشترك الثقافي بين البشر، يجعلهم يشعرون بوحدة الانتماء، وإن الروابط والعلاقات التي تجمعهم تتجاوز القضايا الهامشية، حيث نلاحظ قوة هذه العلاقات عندما تواجه الهوية خطرا كالعدو الخارجي، الذي يتم وصفه بأوصاف تعبّر عن الاختلاف الثقافي والهوياتي حتى يتم شحن الناس للدفاع عن هويتهم وحضارتهم، ولم يوجد شعب تخلى عن ثقافته وهويته وانسلخ من حضارته، بل إن الشعوب تزيد من وحدتها عندما يكون هناك عدو يتربص بها، ويهدد انتمائها الحضاري والثقافي.

والثقافة مهما كانت محلية أو عالمية تتفاعل مع باقي الثقافات تأثيرا وتأثرا، والتاريخ يؤكد عملية التلاقح الحضاري، لكن ذلك لم يؤد إلى طمس هوية شعب ما وحضارته، إن المشتركات الحضارية بين الشعوب يتم تبادلها، وذلك وفق أسس وجوهر الثقافة الأم الأصلية التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، ولهذا فإن "الناس لا يلقون بثقافتهم طواعية على مزبلة التاريخ...فالتحدي الذي يواجه الهوية الثقافية يتم شخصنته وإسقاطه على "عدو خارجي" الغرب الولايات المتحدة الأمريكية، الإسلام الهجرة، فالثقافات الكونية والمحلية تقف في حالة من التأثير المتبادل، التي لا فكاك منها، والتي يمكن وصفها بدقة بأنها مزيج من العولمة المحلية"[3].

وفي كتابه الذي حمل سؤالاً عن الهوية_من نحن؟_ يرى هنتنجتون أن الباحثين يضعون نمطين من القومية والهوية القومية، ويضعون أنواعا من الهوية تختلف فيما بينها، ويؤكدون أن لكل مجتمع

1- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 86.

2- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 44.

3- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص ص 91،89.

هويته التي صنعته، والتي على أساسها بنيت بداخله العلاقات الاجتماعية بين أفراده، والتي جعلتهم يشعرون بوحدة الانتماء، حيث يقول: "يضع الباحثون بشكل عام نمطين من القومية، والهوية القومية التي يضعون لها عنوانا متنوعا: مدنية وإثنية، سياسية وثقافية، ثورية وقبلية، ليبرالية ووحدوية، رابطة عقلانية وعضوية، صوفية إقليمية، مدنية وإثنية، ذات نسب واحد أو ببساطة وطنية وقومية، وفي كل ثنائية يرى الأول جيدا والثاني سيئا"[1].

هذه الأنواع من الهوية يربطها الباحثون وفق ثنائيات تبدو الأولى منها جيدة والثانية سيئة، وعلى العموم مهما كان نوع الهوية، فإنها أساس التعبئة الثقافية لأفراد المجتمع، من حيث إنها تدفعهم إلى الوحدة ومواجهة أي خطر قومي أو إقليمي أو إيديولوجي، كما أن الهوية هي التي تساعد على حل مختلف الأزمات الاجتماعية الإثنية أو القومية بين أفراد المجتمع الواحد، وهي الركيزة الأساسية التي تمكّن الأفراد من مواصلة الحياة، وتسهم في بقاء الأمة وسط تغير المعطيات والظروف، إن الهوية تمكّن من الوحدة في عالم يسعى فيه القوي إلى فرض سيطرته الثقافية والحضارية على باقي العالم باسم الكونية والعولمة، وهنا يجب أن "تحقق تعبئة الموضوعات الثقافية، مثل تلك ذات المحتوى الإثني أو القومي أو الإيديولوجي، إذن ثلاث وظائف مختلفة عند التغلب على إحدى الأزمات الاجتماعية _السياسية في أزمات التحولات، إنها تساعد الأفراد على إستعادة هويتهم، وبذلك يستطيعون أن يوجهوا أنفسهم في وضع لم يعد فيه عالم الحياة المعتاد قادرا على تقديم الأمن المطلوب"[2].

فالثقافة التي تعبّر عن الهوية كما ذكرنا سابقا، تعبّر عند هنتنجتون عن عدة معانٍ، ومنها كل ما ينتجه المجتمع، ليعبّر عن هويته الثقافية والحضارية، فهي ذلك الكل المركب الذي يجمع المعتقد واللغة والتاريخ والقيم والمفاهيم عن الله والسلطة، وتنعكس في سلوكيات الفرد وتصرفاته، ومن ثم تعكس هويته وتميزه عن غيره من البشر، فالثقافة بالمفهوم الهوياتي إذن "تعني لغة الشعب ومعتقداته الدينية وقيمه الاجتماعية والسياسية ومسلماته في ما هو صح وما هو خطأ، مناسب وغير مناسب ومؤسساته الموضوعية ونماذجه السلوكية التي تعكس تلك المبادئ الذاتية الأساسية"[3].

ومن هذا المعنى للثقافة التي تشكل الهوية والتي تتعدد وتتنوع، وترسم معالم الهوية الثقافية تكون الأمم عبارة عن منتج ثقافي، ومنطلق للهوية، رغم أن الدول القومية سابقا قد انبنت كذلك على مفهوم للهوية كالدولة الأمة الألمانية، ومن هنا ظهر مصطلح الدولة الأمة، وقد نجد داخل الأمة مجموعة من الإثنيات والقوميات، التي تشكل هوية الأمة، ومنه فإن "الأمة تبعا لذلك منتج ثقافي مثلما هي منطلق للهوية...غير أن الهويات الإثنية توجد كذلك داخل عتبة الدولة القومية، أو تتجاوز

1– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 45.

2– هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص ص 101_ 102.

3– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 46.

حدودها، وهذه الهويات هي أيضا مركبة إلى حد بعيد، وتمت تاريخيا، وليس لها أساس طبيعي موضوعي...إن المجموعات الإثنية جماعات ثقافية بإمتداد مكاني أقل من الأمة"[1].

ويجب أن نميز منذ البداية بين نوعين أو نمطين من الثقافة التي تدخل في تكوين الهوية بالنسبة إلى الأفراد، فيمكن لأي فرد أن يغير ثقافته من حيث هي سلوك، ويمكن أن يغير دينه أو لغته، وقد يتبنى ثقافة جديدة، إذا وضع في بيئة ثقافية مغايرة، لكنه لا يستطيع أن يغير هويته القومية، فإذن هناك مستويان للثقافة والهوية، ثقافة جوهرية تنبني عليها هوية جوهرية، وثقافة سطحية تعكس الانتماء المكاني وليس السلالي لفرد ما، وعليه "يستطيع المرء في كل حال أن يبدل ثقافته، فالناس يتحولون من دين إلى آخر، ويتعلمون لغات جديدة، ويتبنون قيما ومعتقدات جديدة ويتشاركون رموزا جديدة ويكيفون أنفسهم من طرف حياة جديدة...وقد تتبدل أحيانا ثقافة مجتمعات بكاملها...فالهوية الثقافية قابلة للتبدل بينما الهوية السلالية الإثنية ليست كذلك"[2].

إن هذا الانتماء للوطن القومي من الجانب الإثني، هو أساس فهم الجماعات واختلافاتها، من حيث إنها تمثل تكوينا ثقافيا يعبّر عن عمق الهوية، في مقابل الجماعات الثقافية التي يذكرها هنتنجتون دائما والذي يتبنى هوية تقوم على المكونات التاريخية، وعنصرا مائزا فمثلا الهوية الألمانية قامت على العنصر التاريخي للغة الجرمانية، أما باقي المكونات الثقافية فهي إضافية وليست أساسية حيث "تتنوع أهمية عناصر الهوية القومية النسبية بتنوع خبرات الشعوب التاريخية، وفي الغالب سيميل مصدر واحد له يكون بارزا، فالهوية الألمانية تحتوي عنصرا لغويا وعناصر ثقافية أخرى"[3].

فحقيقة الهوية هي أنها ليست مفهوماً مكوناً من عناصر غير فاعلة، أو أنها متصورة فقط تربط بينها علاقات صورية، بل هي وجود فعلي، من حيث أنها تقوم بدور الرابط والمكون للجماعات وعامل محدد للعلاقات، كما أنها تتشكل باستمرار، وهنا تؤكد عمقها التاريخي الذي يضرب بجذوره في الأعماق، وكما يقول المفكر المغربي "**محمد عابد الجابري**" في كتابه: "مسالة الهوية_العروبة والاسلام والغرب_" من أن "الهوية وجود وماهية...والماهية ليست معطى نهائي، بل هي شيء يتشكل شيء يصير"[4].

وربما هذا المفهوم الخاص بالهوية، كفاعل أساسي في حياة الشعوب واستمرار الأمم، موجود في كل الثقافات، رغم أنه قد يكون غامضا في ثقافة ما وعند شعب ما، إلا أن المؤكد هو دور الهوية في

1- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 107.

2- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 47.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 2006 ص 10.

بقاء واستمرار الأمم ووحدتها، فلا يمكن لأي فرد أو شعب أو أمة أن تهرب من هويتها، أو تتنصل من شخصيتها، يقول هنتنجتون: "وصف الباحث البارز بالهوية في القرن العشرين **إريك إركسون (Eric Gustaf Ericson)***هذا المفهوم بأنه "منتشر في كل مكان، لكنه غامض ولا يسبر غوره أيضا وعدم إمكانية الهروب المغيظة من الهوية معروضة بشكل واضح في عمل الباحث الاجتماعي المميز **ليون ويسلتييه**، ففي كتابه: "ضد الهوية" المطبوع عام 1966 يشجب ويسخر من افتتان المثقفين بذلك المفهوم"[(1)].

فالهوية عبارة عن تراكمات تاريخية طويلة، وهي بهذا تمثل حجر الزاوية الذي تبنى عليه الأمم والثقافات والحضارات، وتضمن بقاءها وإستمرارها، ومقاومتها لأي غزو خارجي أو تفكك داخلي، وإذا كان مفهوم الهوية عند البعض غامضاً، فإنه يعني عدم وجود مفهوم محدد وواضح، لأن الاختلاف في المكونات الأساسية الثقافية لكل أمة أمر واضح، فالهوية عموما تعني التعبير عن كل ما يتصل بالذات وإشارة إلى الشخصية المستقلة عن الغير، وتعني كذلك مطابقة الشيء لذاته، أي الشعور بالذات ووحدتها، وهو مصطلح نجده عند علماء النفس، يعني الشعور بوحدة الشخصية، وعدم إنفصامها وعلى العموم "تستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة **(Identité) (Identity)** التي تعبّر عن خاصية المطابقة، مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثليه"[(2)].

فلا يمكن للإنسان أن ينسلخ عن ذاته، وأن يتخلص من شخصيته مهما حاول ذلك، نعم هناك أمور يمكن تعديلها أو تغييرها في الشخصية وفي الذات، لكن لا يمكن التنصل من الأبعاد الجوهرية لهذه الذات، إن هويتنا ملتصقة بنا، فهي نحن، إنها معنا حيثما كنا وحيثما حللنا، فهي نحن، ونحن هي، وتنتج الهوية عن الإحساس والشعور بالذات التي تتميز عن الغير، وعن التكامل بين أجزائها وعناصرها المختلفة، ويؤكد علماء النفس أن الذات يمكن معرفتها من خلال الاختلاف عن الآخر وهو ما يصدق على الهوية الثقافية للأمم، إنها تمثل كينونة الكائن والأمة، وتعبّر عنها في الماضي والحاضر والمستقبل، وتنشأ الهوية والشعور بها منذ الطفولة، حيث يتحدد الكائن البشري بداية باسم وذات وأسرة ومجتمع، وعندما يعي هذه العناصر تتشكل هويته التي يعيها، والتي تميزه في نفس الوقت عن غيره، ونفس الشيء بالنسبة إلى الأمة، التي تعرّف نفسها بمقوماتها المشكّلة لهويتها من لغة ودين وتاريخ وغيرها، و"يبدو أن الهوية كالإثم، لا نستطيع النجاة منه مهما عارضناه...كيف نعرف الهوية؟...الهوية هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات بأنني أنا أو نحن، نمتلك

---

* إريك إركسون (1918_2013) مفكر سويدي.

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 37.

2- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق، (د ط)، 2004 ص 15.

خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك، وتميزنا عنهم، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءًا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها"[1].

فما يميز أمة عن غيرها، هو مدى ارتباطها بهويتها، لأنها تعبّر عما هو جوهري ثابت فمهما تغيرت صفاتها العامة، ومهما كانت متأثرة بالتغيرات التي تمر عليها، إلا أنها تبقى واحدة في حقيقتها "والهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات"[2].

إنها تعبّر عن الانتماء الحضاري والخصوصية الثقافية والوعي الذاتي، وتبقى الهوية قابلة للتكيف مع مستجدات العصر ومتغيرات الحضارة، إنها تتشكل باستمرار، ولن تصل إلى صورة نهائية مطلقة لأنها لا تعرف الثبات في تمظهراتها، بل الثبات خاصية تمس جواهرها لا ظواهرها، وتتأكد الهوية بالعلاقات التي تقيمها مع الآخرين المختلفين هوياتيا وحضاريا عنها، فالناس دائما يعرّفون أنفسهم بما يميزهم عن غيرهم، وبما يؤكد هويتهم، "والهوية كما عبّر عنها مجموعة من الباحثين تشير إلى صور الفردية والتميز (الذاتية) يحملها ويخططها ممثل، ويشكلها ويعدلها مع مرور الزمن عبر العلاقات مع (آخرين) مهيمن، وطالما يتفاعل الناس مع الآخرين لا يكون لديهم بديل عن تعريف أنفسهم في العلاقة مع أولئك الآخرين، وتحديد ما يماثلهم مع أولئك الآخرين ويميزهم عنهم"[3].

وببحثه مسألة الهوية، وعلاقتها بالثقافة والحضارة، وبصدام الحضارات، يرى هنتنجتون أن الشعوب اليوم أصبحت تطرح سؤالاً مهماً جدا يحدد انتماءاتها وعلاقاتها، ويعبّر عن وحدتها أو تفرقها وتمايزها، إنه سؤال يحدد طبيعة وحقيقة وجوهر المنتمي إليه، إنه سؤال يكون بصيغة الجمع، ألا وهو "من نحن؟" وهو سؤال تجيب عنه الشعوب بمحددات ثقافية وحضارية جوهرية، ومن خلال هذه المحددات نعرف من نحن ومن هو الأخر الذي يختلف عنا، وهذه المحددات هي: اللغة والدين والتاريخ والعرق والقيم، وحتى المؤسسات الاجتماعية، كالأسرة والأمة، أو السياسية كالدولة ونظام الحكم، حيث "يرى هنتنجتون أن الشعوب والدول، تحاول الآن الإجابة عن أهم الأسئلة التي يمكن أن تواجهها البشرية، من نحن؟ وإجابة هنتنجتون عن هذا السؤال، إننا نعرف من نحن، عندما نعرف الآخر، ومعرفتنا بأنفسنا أو بالآخر تكون عن طريق معرفة النسب، العرق، الديانة، اللغة، التاريخ، القيم العادات، المؤسسات"[4].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 37.

[2]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 47.

[3]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 37.

[4]- صبري سعيد وأسامة نبيل، العنصرية وصدام الحضارات، مرجع سابق، ص ص 111_ 112.

إن الاختلاف عن الآخر والتمايز عنه، أحد مقومات الهوية عند علماء الاجتماع وعلماء الحضارة، فمن خلال الآخر يمكن أن أحدد ذاتي، لأنها تشكل السلوك الذي يعبّر عمّن أكون ويعتقد هنتنجتون أن الأفراد يمكن أن يغيّروا هوياتهم، ويقدم مثالا سياسيا على ذلك، لكن الحقيقة أن هذا المثال لا يعبّر عن المعنى الحقيقي للهوية، نعم يمكن أن يكون الإنسان اليوم شيوعيا وغدا يصبح ليبراليا، لكنه لا يمكن أن يكون في محدداته الثقافية التاريخية اليوم عربياً، وغدا فرنسياً أو غربياً، إن مسالة الهوية هي مسالة الجوهر والانتماء لا مسالة المظهر، وعليه كانت "الهوية مهمة لأنها تشكّل سلوك الناس...ولكن يمكن للأفراد أيضا أن يغيّروا هوياتهم...إذا ورث شخص هوية حزبية تعرفه كديمقراطي، لكنه وجد نفسه يصّوت على نحو متزايد لمرشحين جمهوريين، فذلك الشخص يمكن أن يعيد تعريف نفسه كجمهوري"[1].

ولهذا يرى العلماء، أن الأنا لا يمكن أن يعرف إلا في العلاقة مع الآخر المختلف، إنني أنا ولست سواي، وإن الآخر ليس هو أنا، إنا الذات هنا، تعي وجودها في حضور الآخر أو غيابه، فوعي الذات متوقف على وعي ووجود الآخر، والأنا لا يتحدد إلا بوجود الآخر، سواء أكان فردا أم جماعة إن المقابلة بين الذات والأخر تأخذ نمطين، نمط الوعي الذاتي، ونمط المغايرة، ولقد تساءل علماء النفس وقالوا: هل وجود الآخر شرط لوجودي، أم هل إن وجودي متوقف على وجود ذاتي؟ وأجابوا بأن الذات حتى تعي ذاتها لا بد من وجود الآخر المتمايز عنها، حتى يتم الإدراك والوعي، وهناك فلسفة تهتم بفلسفة الوعي والذات والآخر.

ومنه فالهوية أساس ما يميز الفرد أو الجماعة عن المختلف خاصة إذا كانت تشترك في محددات ثقافية مشتركة، والهوية ثابتة ومتجددة، فهي تعبّر عما هو جوهري، كما أنها تقوم بعملية تجديد لعناصرها، وتخضع للتغيرات الاجتماعية والثقافية والحضارية وعليه يمكن للأفراد أن يتواجدوا في مجموعة من الهويات المتمايزة، إلا أنهم ينتمون إلى هوية كبرى واحدة، وهو ما يؤكده هنتنجتون عندما يقول: "لدى الأفراد هويات، وكذلك الجماعات، يجد الأفراد هوياتهم ويعيدون تعريفها في جماعات، وكما توضح نظرية الهوية الاجتماعية، تقود حاجة الناس للهوية إلى البحث عنها في مجموعة مركبة بشكل ذاتي وعشوائي، فمن ناحية يمكن للفرد أن يكون عضوا في مجموعات كثيرة، وبالتالي يكون قادرا على تبديل هوياته، أما هوية المجموعة من ناحية أخرى فعادة تحتوي على ميزة تعريفية أساسية، وتكون أقل قدرة على التبدل"[2].

وكما ذكرنا سابقا، فإنه من الخصائص المعرّفة للهوية أنها تمتاز بالثبات، رغم قبولها التغير فهي من ناحية العناصر الجوهرية التي تميّزها وتكّونها ثابتة، أما من ناحية المظاهر فمتغيرة بمعنى

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 38.

أنها تقبل التشكل وفق المعطيات الجديدة، والتغيرات التي تمر عليها، إن الفرد يستطيع أن يغيّر هويته لكنه لا يستطيع أن يغيّر ذاته، معنى ذلك أنه يبقى يشعر بأنه هو هو، إلا إذا حدث انفصام في مقومات ذاته، فإنه ربما هنا تنحل هويته، ويفقد انتماءه وشعوره وشخصيته، "فالهوية تطلق أساسا على الموجود بمحض اعتباره ذاتا ثابتة المقومات، رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده"[1].

ولتوكيد الهوية لدى الفرد والجماعة، يقدم هنتنجتون مثالا، لكنه في الحقيقة يعبّر عن الظاهر في الهوية لا الجوهر، عندما يقول: "لدي هويتان كباحث سياسي وعضو قسم الإدارة الحكومية في هارفارد ...أستطيع أن أعيد تعريف نفسي كمؤرخ...إذا قبلوا هذا التغير في هويتي، فقسم الإدارة ...لا يستطيع أن يصبح قسم تاريخ... وهويته أكثر ثباتا من هويتي...فوجود المجموعة نفسها يصبح مهددا، إلا إذا استطاعت إيجاد سبب آخر يحرك أعضاءها"[2].

ويقصد هنتنجتون هنا عموما كما قلنا سابقا، أن الإنسان يستطيع أن يغير هويته، أو ينتمي إلى أكثر من هوية، إلا أنه يبقى هو ذاته لا يتغير، فالانتماء إلى جهتين مختلفتين في العمل أو العلاقات يحدد جهة الانتماء، لكنه لا يغير الهوية الجوهرية الكامنة وراء الذات، وإن وجود المجموعات الحضارية الهوياتية متوقف على وجود الأعضاء وتحديد انتماءاتهم، وإلا فإن الخطر سيهدد وجودها والخصائص عموما التي تجعل للذات هوية، كما يرى العلماء، هي الوحدة والثبات والمغايرة، بمعنى أن تكون واحدة في عناصرها الجوهرية، وواحدة داخل الجماعة، وأن تكون ثابتة، حتى ولو حدث تغير في بعض مظاهرها، أما المغايرة فكما قلنا سابقا، أن الهوية تتحدد بالوقوف في وجه الآخر المختلف والمتمايز عنها، أما من حيث التركيب، فإن الهوية مركبة من عناصر تشارك في وجودها واستمرارها وتمايزها، "غالبا ما تكون الهويات مركبة، فالناس يصنعون هويتهم تحت درجات مختلفة من الضغط والإقناع والحرية، وفي عبارة غالبا ما تقتبس وصف، **بندكيت أندرسون (Benedict Anderson)*** الأمم "كمجموعات متخيلة" والهويات ذوات متخيلة، هي ما نظن أننا نحيا وما نريد أن نكون"[3].

إن الهوية المركبة تبنى على المتخيل لدى الجماعات لأنها، تتحدد بالنسبة إليهم على أسس كيف نريد أن نحيا، وماذا نريد أن نكون وكيف نختلف عن الغير، وكيف نحافظ على الوجود، وتبرز الهوية أكثر في المجتمعات التي ترفض التبعية والهيمنة والمسخ الهوياتي، والاستيلاب الثقافي والتمزق

1- محمد الكتاني، من تساؤلات عصرنا عن الهوية والعولمة وحوار الثقافات ومستقبل العلوم الإنسانية، مرجع سابق ص 16.

2- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 38.

* بندكيت أندرسون (1936_) مفكر سويدي.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الحضاري، وعليه يمكن للأفراد أن يعيدوا تعريف هويتهم وفق المحددات التي ورثوها عن الأجداد، كما يمكن أن يعدلوا أو يغيروا تلك المحددات، وهذا ما يجعل الهويات قابلة للتغير، ليس بمعنى التبدل ولكن بمعنى قبول التطور، "فالناس أحرار نسبيا في تعريف هوياتهم كما يرغبون، رغم أنه لا يمكنهم تحقيق تلك الهويات في الممارسة، يمكنهم أن يرثوا خصائصهم الإثنية والعرقية، ولكن يمكن أن يعاد تعريفهما أو رفضهما، فمعنى وامكانية تطبيق مفهوم مثل العرق يتبدل مع الزمن"[1].

فالجماعات الثقافية وأفرادها يمتلكون هوية، وممكن أن نجد داخل الجماعة هويات متنوعة وليس هوية واحدة في عناصرها العامة، ورثها الأفراد عن الأجداد أو تكونت لديهم مع مرور الوقت، فهناك هوية تكونت بفضل العلاقات السياسية، وهناك ما نتجت عن العوامل الاقتصادية، وهناك هوية متكونة، منها ما يعود إلى الارتباط بالأرض والوطن، ومنها ما يعود إلى الدين واللغة، وعلى هذا الأساس تختلف الهويات وتتحدد أهميتها من مجتمع إلى آخر، كما يمكن لهذه الهويات داخل الجماعة الواحدة أن تتكامل أو تتناقض، وتصبح خطرا على الفرد والمجتمع، وأخطرها الهوية الدينية، لما للدين من تأثير قوي في قلوب الناس، حيث "يمتلك الأفراد وإلى مدى أقل الجماعات هويات متعددة، ويمكن أن تكون هذه الهويات وراثية ومحلية واقتصادية وثقافية وسياسية واجتماعية ووطنية، وقد تتبدل الأهمية النسبية المميزة لهذه الهويات لدى الفرد أو الجماعة من وقت إلى آخر...كما يمكن لهذه الهويات أن تتكامل أو تتناقض في ما بينها"[2].

ونتيجة لبروز الدين من جديد في العلاقات الإنسانية بين الأفراد، سواء داخل الجماعات المحلية أو بين الدول، فإنه سيشكل عاملا حاسما في الانتماءات الهوياتية، والصراعات المحتملة بين الحضارات، بل إن هناك من يرى أن حقيقة الصراع الحضاري هو صراع بين الأديان، فبعد بروز فكرة وحدة الأديان، جاءت بعدها فكرة حوار الأديان ثم صراع الأديان، وإن الانبعاث الديني جعل هنتنجتون في أطروحته يصنف الحضارات تصنيفا دينيا قائلا: "إن الهوية الدينية والعقائدية تشكل عاملا سيؤثر في العلاقات الدولية، لدرجة أنه يمكن القول بأن هناك بوادر لصراع عالمي بين الأديان...وظاهرة عودة الدين أصبحت منذ الثمانينيات تكتسي بعدا عالميا، وهي تنبعث في عدة حضارات"[3].

وعليه كانت الثقافة بمثابة الروح، إنها بتعبير **التويجري** "هي روح الأمة وعنوان هويتها"[4].

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 38.

[2]- المصدر نفسه، ص 39.

[3]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص92.

[4]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 49.

فالهوية ترتبط بالذات، أي أن محلها الذات سواء أكانت فردية أو جماعية، وتتحدد أكثر بتلك العلاقة التفاعلية بين الذات والآخر، ومستوى الخطاب والفهم هي ما يحدد مدى التفاعل بين الهويات، ومدى تحاورها أو تصادمها، إن الهوية الثقافية هي المحدد الأساسي للشعوب والحضارات، فالانتماءات اليوم لمختلف الثقافات، هي من أكبر العوامل المحددة للعلاقات بين الأمم والشعوب والدول في عالم التعدد الثقافي، وزوال الأحادية القطبية، "تعرف الهويات بذات المرء، لكنها إنتاج التفاعل بين الذات والآخرين حيث تؤثر طريقة فهم الآخرين لفرد أو مجموعة على تعريف ذاك الفرد أو المجموعة لذاتها"[(1)].

فبعد أن حددنا مفهوم الحضارة والثقافة في بداية الأطروحة، وتعرضنا لمفهوم الهوية، نصل إلى القول بأن مصطلح الهوية الثقافية مصطلح مركب، أما من ناحية مفهوم هذا المصطلح المركب من حيث تركيبه، فإننا نلاحظ أن هناك الكثير من التعاريف والمفاهيم، والتي ترتبط في كثير من الأحيان بالنظرة إلى الثقافة ومكوناتها لكل مجتمع وحضارة، والنتيجة أنه لتحديد مفهوم الهوية الثقافي، يمكن أن نجد مقاربتين تؤمن الأولى بأن الهوية الثقافية تتكون من جواهر ثابتة لا تتغير مهما طرأ عليها من عوارض، والثانية تؤمن بأن الهوية الثقافية، حقيقة تاريخية، وبالتالي فهي قابلة للتغير والتطور، ولقد عبّر محمد سعدي في كتابه الذي حاز جائزة أفضل كتاب عربي والمعنون بـ"مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام" على هاتين المقاربتين بقوله: "وبشكل عام ثمة مقاربتان ممكنتان نسبيا لتحديد مفهوم الهوية الثقافية:

– المقاربة الأولى: تنطلق من مفهوم جوهراني (أي يعود ويركز على الجوهر) وتتسم بالانغلاق والضيق والمثالية، فهي تؤمن بصفاء الثقافات وعزلتها واكتفائها الذاتي، باعتبار أن لها أهمية خالصة ثابتة، وبالتالي فإن كل حضارة هي منفردة بذاتها لها هويتها الخالدة التي تمتلك طبائع وخصائص جوهرية، وبهذا تصبح الهوية الحضارية حقيقة وكينونة نهائية تشكل روحا وجوهرا استعلائياً.

– المقاربة الثانية تنطلق من مفهوم تاريخي مفتوح يتعامل مع الحضارة كصيرورة وإنشاء مستمرين لا نهائيين، بحيث تتشكل الهوية بارتباط مع تحولات الزمان والمكان وتتفاعل وتتداخل مع باقي الثقافات الأخرى، وهذه المقاربة ترفض أطروحة الطبائع والخصائص الجوهرية الثابتة للحضارات وتعتبران الهوية هي حصيلة تاريخ مستمر من التفاعل والتعقيد والتعدد"[(2)].

والحقيقة أن الهوية الثقافية تخضع للمقاربتين معا، بمعنى أن فيها عناصر جوهرية ثابتة لا تتغير، كما أنها قابلة للتفاعل والتأثير والتأثر مع باقي الهويات الثقافية، وعليه فإنها معطى تاريخي تتشكل عبر الزمان وتتغير وفق معطياته، كما أن مصادر الهوية متعددة ومتنوعة، فمنها الداخلية التي

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 39.

[2]– محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 19.

تنبع من صميم الثقافة والحضارة، ومنها الخارجية التي تأتي من هويات أخرى مختلفة، وهذا ما يبين أن الهوية الثقافية ليست معطى نهائياً ومطلقاً، إنها تتشكل عبر الأجيال، وكل جيل يأتي ليضيف لما أنتجه السابقون فيتحقق ما يسمى بالتراكمية في الثقافة، وإذن "يمكن لمصادر الهوية الخارجية أن تأتي من المحيط المباشر، أو المجتمع الأوسع أو السلطات السياسية، فقد قامت الحكومات بالفعل بتعيين هويات عرقية أو هويات أخرى للناس...يستطيع الناس أن يطمحوا إلى هوية ما، ولكن لا يمكن تحقيقها إلا إذا رحّب بهم هؤلاء الذين يملكونها بالأصل"[1].

وعلى أساس ما سبق ذكره من أن الهوية الثقافية تتشكل وفق عناصرها الثابتة عبر الزمن، مما يعني أنه لا توجد هوية ثقافية واحدة لا داخل المجتمع الواحد نفسه، ولا داخل الحضارة الواحدة، إن التعدد والتنوع ميزة العصر وميزة الثقافات، فالهويات لا تعرف الثبات، بل هي في سيرورة دائمة، من خلالها تعرف تفاعلات وامتزاجات مع غيرها من الهويات الثقافية، فيحدث التبادل والتلاقح، وفي بعض الأحيان التصادم كما يذكر هنتنجتون، فالأنا والنحن والهم، من أكبر محددات الهوية، وعلى أساسها يحدد الأفراد مواقفهم وسلوكياتهم فيما بينهم، وبينهم وبين غيرهم، لقد فرض العصر فكرة التعدد والتنوع كنقيض لما تحاول فرضه العولمة من الوحدوية والشمولية، والكونية والعالمية، ولكن في الحقيقة "لا يمكن إقصاء التعدد والاختلاف داخل الهوية الواحدة، فقد انتقلنا من منطق الوحدة إلى منطق التعدد ولم تعد الهوية كينونة جامدة وجوهرا خالصا، بل خليطا من التمازجات والتداخلات والتفاعلات الثقافية المركبة لذلك فإن الهوية ليست فعلا نهائيا، بل إنها حضور حي متجدد مفتوح على التعدد والاختلاف ومتفاعل مع الزمن والمكان والأنا والنحن...فكل فرد له هوية واحدة ثابتة يتحدد ويتمايز من خلالها ويقيم نفسه على أساسها، وعبرها يتم تقييم مواقفه"[2].

كما أن الهويات تتسع لتشمل مختلف الشعوب والقوميات والأعراق، ويمكن لها أن تضيق لتصبح معبّرة عن هوية محلية ضيقة جدا، إلا أن الهويات الضيقة المحلية قد تتسع خاصة في فترة الصراعات والصدامات الثقافية، حيث يكون الأنا في صدام مع هم، وعليه فإن الثقافات التي تعرف تفاعلات مع مختلف الحضارات، تزداد تمسكا بهويتها، فتتوسع وتصبح قريبة من العالمية على خلاف الهويات المحلية الضيقة، وعليه "يمكن أن تكون الهويات واسعة أو ضيقة، واتساع سمة هوية أمة ما يتبدل وفق الوضع الذي يكون فيه الناس، تغدو "أنت" و"أنا" و"نحن" عندما يظهر "هم"... وبقدر ما يتفاعل الناس أكثر فأكثر مع أناس أبعد وثقافات أكثر اختلافا يوسعون هوياتهم"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 39.

[2]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 33.

[3]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 40.

إن تشكّل الهوية الفردية والجماعية، الثقافية والحضارية، يعود بالأساس إلى ذلك التفاعل الجدلي الديالكتيكي بين الهويات المختلفة، إنها باختصار علاقة جدلية بين الأنا والآخر، كما يعبّر الفلاسفة.

ويدرك الناس هويتهم عندما يتفاعلون مع هويات مختلفة، وإذا انتقل الإنسان من مجتمع ثقافي إلى مجتمع ثقافي آخر، فإنه تتشكل له هوية بديلة، دون أن يؤثر ذلك في الهوية الأصل، من حيث الوجود والزوال، فالهوية البديلة هي التي يحصلها الإنسان في مجتمع مغاير، من أجل أن يتأقلم ويعيش، غير أنه في كثير من السلوكيات التي يبديها الناس في مجتمع خارج هويتهم، تعبّر عن هويتهم الأصلية كارتباطهم بالوطن وغيرها، حيث "ترتبط سمة الهويات البديلة النسبية لأي فرد أو جماعة بالوضع القائم وفي بعض الأوضاع يؤكد الناس على أن مظهر هويتهم الذي يربطهم بالناس الذين يتفاعلون معهم وفي أوضاع أخرى يؤكد الناس على ذلك المظهر من هويتهم الذي يميزهم عن الآخرين...وتتعزز سمة هوية الناس الهامة مع أرض وطنهم نمطيا، عندما يسافرون إلى الخارج ويلاحظون طرق حياة الأجانب الغربية"[1].

ولقد ظهرت عدة أطروحات بخصوص الهوية ومفهومها، حيث يرى بعض العلماء والمفكرين أنه لابد من إعادة النظر في مفهوم الهوية وطبيعتها، لأنها لا يمكن أن تكون نهائية ومكتملة، بل إنها مرتبطة بالزمن وسيرورته، وبالإنسان وتطوره، وبالثقافات والحضارات وتغيرها، فالهوية التي تؤمن بالثبات هي هوية مغلقة ومنغلقة وجامدة، أما الهويات التي تؤمن بالتغير فهي التي تمتاز بالتفتح والانفتاح والتفاعل، إن الهويات كائنات تخضع لنفس منطقها الحيوي في النمو والتغير، "وقد أصبحت الحاجة ملّحة لإعادة النظر في مفهوم الهوية، فلم يعد من الممكن النظر إلى الهوية كمعطى قبلي حتمي ومكتمل يحدد الصيرورة الإنسانية، بل إنها متفتحة على مرجعيات وفضاءات متعددة، فهي نتاج وحصيلة الفعل الإنساني والإرادة الإنسانية، وما يرتبط بهما من تفاعلات وتحولات"[2].

وفي أطروحته عن صدام الحضارات والهويات، يعتقد هنتنجتون أن أي شعب وأي حضارة بحاجة إلى آخر، حتى تعيد تعريف كيانها الهوياتي، كما أنهم بحاجة إلى عدو يؤكد هذه الهوية وبالنسبة للغرب كان العدو إيديولوجيا ممثلا في الاتحاد السوفياتي، أما في عالم ما بعد الحرب الباردة فقد أصبح العدو هو الإسلام، وربما الكونفوشيوسية بدرجة أقل، فالعدو هو الآخر الذي يتوقف وجودي على وجوده، لأن تصور العدو هذا يدفع إلى الوحدة الحضارية، ويدفع إلى السعي للسيطرة على مراكز

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص ص 39_ 40.

2- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 36.

القوة وحشد الحضارات المتفقة ثقافيا، ومن هنا "يحتاج الناس لتعريف أنفسهم إلى آخر، فهل يحتاجون إلى عدو أيضا؟ تحتاج بعض الشعوب إلى ذلك بوضوح"[1].

إن الإحساس بالهوية هو الإحساس بالذات، وإن لهذه الذات بعدا تاريخيا ووعياً هو ما سماه الفلاسفة بجهاز المناعة، وإن أكبر ما يقوّي هذا الجهاز هو وجود الجراثيم أو الميكروبات، لأن جهاز المناعة يعمل ويتقوى بوجودها، وهو نفس الحال مع الحضارة الغربية، لا يمكن أن تعمل وتقوى إلا بوجود عدو خارجي، ومنه "يحتاج الناس إلى احترام الذات والاعتراف والاستحسان، ما سماه **أفلاطون** بعضو جهاز المناعة، وذكّرنا به فرانسيس فوكوياما، وسماه **آدام سميث (Adam Smith)*** الكبرياء المفرطة والتنازع مع العدو يعزز تلك الخصال في المجموعة"[2].

وتعود فكرة ضرورة وجود عدو بعد أن انتقل التاريخ من عالم ثنائي إلى عالم أحادي القطبية وانتقل مرة أخرى إلى عالم متعدد الأقطاب والحضارات، ويرى محمد سعدي أن انتقال العالم إلى التعددية الحضارية من المفروض أن يطرح صيغاً جديدةً للتعاون والتفاعل والتحالف بين الحضارات لا أن يطرح صيغ التصادم والاستعداء، وكما يقول: "والواقع أن الحضارات أصبحت في الوضع الراهن فضاءات متفاعلة ومنفتحة على أزمنة وعوالم ومرجعيات متعددة، ولا توجد اليوم ثقافات شريرة بطبيعتها كما لا توجد صراعات دولية تستوجب اتخاذ مواقف استعدائية من كتلة من الدول أو كتلة من البشر أو حضارة من الحضارات"[3].

لكن في الحقيقة أن تأكيد الهوية كخطاب حضاري، لا يستدعي بالضرورة وجود عدو، بل التمايز فقط عن هويات الآخرين، وهذا التمايز لا يعني الصراع معهم أو استعداءهم، لأن الصراعات التي تقوم على الهوية عادة ما تأخذ طابع الشمولية، وعلى هذا الأساس فالقضاء على مثل الصراعات الهوياتية وتحقيق السلام أمر مستبعد، وعليه فإن تحقيق السلام العالمي كذلك غير ممكن، لأن التاريخ يثبت أن انتهاء حرب تعقبها حرب أخرى، مهما كانت طبيعتها، وإذن "فالهوية تتطلب التمييز...بينما توضّح الحاجة إلى عدو وجود الصراع الشامل بين وضمن المجتمعات الإنسانية، فهي لا تشرح أشكال

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 40.

* آدام سميث (1723_1790) فيلسوف اسكتلندي، ومن رواد الإقتصاد السياسي، من أهم مؤلفاته: التحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم.

2- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 41.

3- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 38.

ومواقع الصراع...فاحتمال السلام العام أو الدائم بين المجموعات الإثنية أو الدول أو الشعوب بعيد المنال، وكما تبين التجربة الإنسانية فنهاية حرب ساخنة أو باردة تخلق ظروفاً لحرب أخرى"[1].

فالهوية التي تفترض في بقائها وقوتها واستمرارها وجود عدو، تدفع الهويات المغايرة إلى التفكير بنفس المنطق، وهذا بدوره يقود إلى جو من الصدام الحضاري، حيث إن كل هوية تريد أن تدافع أو تفرض نفسها، مما يخلق الفعل ورد الفعل، فصدام الهويات كما يسميه كثير من الباحثين، هو ما يشكّل عالم اليوم، لأنه كما يقول المهدي المنجرة: "الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الاجتماعية والدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني والدولي واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون مصدرا من مصادر الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، وبين مجتمع وآخر...فنحن نواجه صراعا جدّياً في مجال القيم"[2].

فالحاجات غير المادية للبشر بدأت تعود، بعد أن طغت على العالم النزعة المادية، وأن العودة إلى كل ما هو روحي ديني هي حركة جديدة لإحياء النزعة الذاتية في الإنسان والثقافات، أو ما يسمى بالنزعة الإنسانية، لتوكيد الذات هوياتيا، وهنا تعود الثقافات لتوكيد قيمها، مما يخلق نوعاً من صراع القيم، خاصة إذا ادّعت ثقافة وحضارة ما أن قيمها عالمية وكونية، وبالتالي هي أفضل القيم التي يجب أن تسود العالم وأن تتبع، فنجد هنا المجموعات الإثنية تغلّب المصلحة العامة على الخاصة، مما يستدعي توحدا هوياتيا ضد الآخر، وعليه "تقود حاجة الأفراد لاحترام الذات إلى الاعتقاد بأن مجموعتهم أفضل من المجموعات الأخرى، ويقوى الإحساس بالذات ويضعف مع مصائر المجموعات التي ينتمون إليها مع الدرجة التي يُستبعد الناس الآخرون من مجموعتهم...فلا يزال الناس كما تشير نظرية الهوية الاجتماعية يتجاوزون لصالح مجموعتهم عندما تقارن بمجموعة أخرى"[3].

وعلى هذا يعتقد هنتنجتون أن الصدام بين الهويات الحضارية حقيقة حتمية، وبعد الحرب الباردة ووفقا لنظرية تصور عدواً جديداً، فإن الصراع الهوياتي إتضح أكثر بين الغرب والإسلام، يقول في ذلك هنتنجتون: "والتصادم بين الهويات الحضارية أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام"[4].

رغم أن هنتنجتون في حديثه عن عالم ما بعد الحرب الباردة، ذكر أن هناك ثماني حضارات تتمايز دينيا وهوياتيا، ورغم أن العالم يتكون من دول كثيرة، لكن انتماءاتها الحضارية تجعل العالم

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 42.

2- المهدي المنجرة، نقلا عن محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق، ص 82.

3- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 41.

4- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، مرجع سابق، ص 138.

عبارة عن أقطاب حضارية، و"إذا سلمنا أن هناك أثراً للثقافة كعامل محدد لتحديد شكل الحضارة، فمن بين 180 دولة تكوّن النظام الدولي الحالي، 15 دولة فقط يمكن اعتبارها دولة من حيث أفرادها يكونون ويشعرون بوحدة الانتماء ونفس الهوية الثقافية"[1].

إن الحضارة أوسع من الدولة، فهي تعبّر عن الانتماء الثقافي، بينما الدولة تعبّر عن الانتماء السياسي، كما أن الثقافة هي التي تميز البشر في انتماءاتهم وهوياتهم، وعليه قد نشهد تراجع السياسي لصالح الثقافي والحضاري، لأن الدول لا تكون مصدرا للهوية بل الحضارة، وأكبر ما تتمايز فيه الشعوب هو العادات والتقاليد، إضافة إلى الدين، رغم أن هنتنجتون يضعه مرة كمحرك أساسي للثقافة والحضارة ومحدد جوهري للهوية، ومرة أخرى يقلل من أهميته، وفي تصنيفه للحضارات اعتمد معيار الدين لا الثقافة، وهذا خلل في أفكاره وتحليلاته.

"إن الاختلافات في الثقافة، العادات، أهم من الدين، زيادة إلى الاحتكاك بين الشعوب، ومن ثم بروز الاختلافات مع تراجع دور الدولة كمصدر للهوية وتحوّل ذلك إلى الحضارة، وأن الدين يسير في أجزاء من العالم بظهور الأصولية، ليغطي الناجمة عن هذا الاختلاف"[2].

إن تصور الحضارات والثقافات غير تصور الدول، لأن للثقافة سلطة معنوية، وللدولة سلطة سياسية، إن عناصرهما تختلف، وعليه فإن الحضارة أوسع في الانتماء، كما أنها تكون أكثر تأثيرا في العلاقات الدولية، بل إن الثقافة هي التي تشكل الهوية، وهي التي قد تقود إلى صراعات بين الحضارات و"إن الثقافات أو المناطق الثقافية أي الحضارات، يجري تصويرها دائما باعتبارها مناطق اجتماعية مستقلة، أو حتى قوى فاعلة رئيسية في السياسة الدولية، والملاحظ أيضا أن تلك الافتراضات الزاعمة بأن الثقافة تمثل جوهرا ثابتا، هي التي تحدد طابع الخطاب حتى في الحوار الثقافي اليومي المعني بالصراع بين الثقافات"[3].

وبالنسبة إلى الهوية الأمريكية، يرى هنتنجتون أن هناك هجوماً من طرف أنصار نظرية التعدد الثقافي، سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها، وقد دفعهم ذلك إلى إنكار الوحدة الثقافية داخل أمريكا، واعتبروا ذلك تجاوزا للواقع الذي يفرض التعدد، كما أنهم رفضوا الأحادية الثقافية العالمية للغرب، ودافعوا عن عالم متعدد الحضارات، ورأوا أن التعدد والاختلاف بين الحضارات والثقافات حتمية طبيعية لا يمكن رفضها أو إقصاؤها، وعليه طالبوا بفصل الولايات المتحدة عما يسمى بالحضارة الغربية، كما رأوا بأنه داخل أمريكا لا توجد ثقافة واحدة مشتركة، "ففي أوآخر القرن العشرين كانت كل مكونات الهوية الأمريكية تحت هجوم مركّز ومتواصل من عدد قليل، وإن كان مؤثرا من

---

[1] *-Richarde Rubenstein and Carle Coper, Challenging Huntington, foreign policy, N° 96 Fall, 1994, P 122.*

[2]– صموئيل هنتنجتون، صراع الحضارات، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، أفريل، 1994، ص 323.

[3]– دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق ص 15.

المثقفين وخبراء الشؤون العامة، وباسم التعددية الثقافية، كانوا يهاجمون توحد الولايات المتحدة بالحضارة الغربية، وينكرون وجود ثقافة أمريكية مشتركة، ويثبتون تجمعات عرقية وجنسية وهويات ثقافية فرعية أخرى"[1].

ومن منطلق أن الثقافات كيانات متغيرة، رغم أن هناك ما يعبّر عن ثبات عناصرها، فإن النظرة إليها والحكم عليها بأنها كيانات جامدة ثابتة مطلقا، هو ما يدفع إلى سوء فهم هذه الثقافات وتصورها على أنها ثقافات تدعو إلى الضد حضارة، وأنها عدائية وتحمل بوادر الشر في داخلها، وبالتالي محاولة القضاء عليها، كل هذا يخلق فرصا كبرى للصدام الحضاري، إن الثقافات على عكس ذلك تتفاعل، وتتواصل وتتحالف ضد كل ماهو غير إنساني، وليس ضد ما هو إنساني، وإن منطق الحوار يبدأ من تصحيح النظرة للثقافة أولا، و"إن معالجة الثقافات باعتبارها هياكل جامدة هو ما يفسر لماذا يجري التعامل في كل من الخطاب الأكاديمي والخطاب اليومي مع الكونفوشيوسية والهندوسية والإسلام، وكذا الثقافة الغربية باعتبارها وبشكل مطلق حضارات متمايزة، أو مناطق ثقافية متمايزة"[2].

إن ثقافات مثل العربية والإسلامية والكونفوشيوسية متمايزة، وليست عدائية، وإن الحكم عليها بأنها ثقافات جامدة وما نتج عنها فهو حضارة جامدة لا تعرف التغير، هو حكم اقصائي عدائي، وإنه على هذه الثقافات والحضارات حتى تتخلص من الرجعية والهمجية أن تندمج في حضارة الغرب، هو في الحقيقة حكم غير صحيح، ولقد حاول بعض قادة الدول على غرار "**مصطفى كمال أتاتورك**" في تركيا، أن ينسلخوا من ثقافتهم بانتهاج النهج الغربي في المأكل والملبس، وجميع السلوكيات، إلا أنهم لم يفلحوا، بل إنهم خلقوا أزمة هوية أدت إلى التمزق، وفي بعض الأحيان صدامات عرقية ثقافية، "إن قادة الدول الأخرى حاولوا أحيانا أن يتنصلوا من موروثهم الثقافي، وتحويل هوية بلدهم من حضارة إلى أخرى وحتى الآن لم ينجحوا، ولكن الذي حدث هو أنهم خلقوا بلادا ممزقة مصابة بحالة من الانفصام"[3].

أما في حالة الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه كما قلنا سابقا، إن أنصار التعددية الثقافية، وفق رأي هنتنجتون لا يريدون من وراء ذلك إلا خلق بلد ممزق ثقافيا، كما أنهم لا يؤيدون تراثهم الحضاري بل يتطلعون إلى جعل الولايات المتحدة في حد ذاتها متعددة الحضارات والثقافات، لا تنتمي إلى حضارة أو ثقافة بعينها، وهذا في الواقع خطر عليها، بل قد يقودها إلى الانحلال، كما حدث في التاريخ مع كثير من البلدان، حيث "يرفض دعاة التعددية الثقافية الأمريكيون تراث بلدهم...ويرغبون في خلق بلد ذي حضارات متعددة، أي بلد لا ينتمي لأي حضارة ويفتقر إلى قلب ثقافي، ويرينا التاريخ

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 494.

[2]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 15.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 494_495.

أن دولة بهذا الشكل لا يمكن أن تستمر طويلا كمجتمع متماسك، ولايات متحدة متعددة الحضارات لن تكون الولايات المتحدة، بل ستكون الأمم المتحدة"[1].

وعليه، فإن الحضارات، تعرف بوحدة ثقافتها وهويتها وانتماءاتها، وإنها تحارب من أجل القضاء على الصراعات الداخلية، أما الصدامات مع حضارات أخرى فلها ما يبررها، حيث تريد دائما الحضارة الأقوى الهيمنة وفرض قيمها على باقي الحضارات، معتبرة هذه القيم عالمية أو كونية، وإنها أساس التحديث والتحضر، ومن يرفضها فإنما يرفض الحضارة ويتمسك بالهمجية والبربرية.

"إن الصراع الثقافي واقع لا محالة، حيث تقتضيه الظروف، وسوف يشمل هذا على صراع بشأن الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومفهوم المجتمع السياسي وغير ذلك من القيم، وطبيعي أن يكون الغرب وبقية العالم حسب تعبير هنتنجتون أحد عناصر الخصومة الرئيسة"[2].

ويرى هنتنجتون أن الولايات المتحدة والغرب، إذا تخلوا عن هذه الإيديولوجية الجديدة التي فرضها عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن مصيرهم هو الزوال والاضمحلال، ويقود ذلك إلى صعود هويات قاتلة أو مضادة، مما يجعل الصراع الحضاري في أشده، ولو أن هنتنجتون في كثير من مقالاته يرى بأن العوامل الثقافية والدينية لا تكون هي المحرك الأول للصراعات، بل يتم توظيفها في أثناء الصراعات العرقية والهوياتية والحضارية، فإشكالية الهوية طُرحت، وتبقى مطروحة على الجماعات الثقافية، وهي التي تدفع هذه الجماعات للعودة إلى الذات لوعيها وتقييمها ونقدها، ويعتقد هنتنجتون أن الحضارة الغربية في ذلك تتفوق على غيرها، لأنها الوحيدة التي لها القدرة على فعل النقد الذاتي، يقول في ذلك دييتر سنغاس: "إن مسألة الهوية لن تختفي وإنما على العكس، سوف تظل موضوع نقاش دائم دون توفر فرصة لحلها، ويؤدي هذا إلى موقف مقبول تماما إلى تأمل ذاتي لا ينتهي للهوية، وهذا وضع تثبته وتؤكده اليوم المجتمعات الغربية"[3].

وعلى الغرب في عالم متعدد الحضارات والثقافات والهويات، بما أنه يملك القدرة على نقد الذات أن يحمي ثقافته التي يعتبرها عالمية وشاملة، في وجه المد الحضاري لباقي الحضارات، رغم أنه في نفس الوقت نجده يحذّر من الاعتقاد الدائم بشمولية وكلية قيم الغرب، لأن هذا الاعتقاد سيوقعه في فخ الكونية، وبالتالي لا يستطيع أن يعيد تجديد ذاته، مما يصيب ثقافته بالتآكل دون أن يعي ذلك، كما أن محاولة فرض هذه القيم على الغير سيؤثر سلبا في الغرب، لأن القيم هي التي تفرض نفسها، ولا يوجد من يفرضها، فهناك فرق بين قوة الحضارة، وحضارة القوة، فإن كانت هذه القيم تعبّر عن المشترك الإنساني فهي إذن عالمية، وليست بحاجة إلى فرضها بالقوة، و"المسار الحصيف للغرب هو ألا يحاول

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 495.

[2]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 50.

[3]- المرجع نفسه، ص 142.

أن يوقف تحول القوة، وإنما أن يعرف كيف يبحر في المياه الضحلة، ويتحمل الشقاء، ويخفف من مغامرته، ويحمي ثقافته"[1].

إن القيم الحضارية الغربية هي قيم ذات مكانة عليا بالنسبة إلى الغرب، ولا يعني ذلك أبدا أن تُفرض على الغير بحجة أنها قيم الحضارة المتفوقة والمسيطرة، لأن لباقي الحضارات قيمها التي ترى فيها هويتها وذاتيتها، وترى من خلالها ماضيها ومستقبلها، ومن هذا المنطلق "يحذّر هنتنجتون الغرب من تصور أصالة الدعوة بأن القيم الغربية كلية شاملة، وعنده أن هذه القيم هي الأقيم والأنفس في الحقيقة، ولكن يتعين ألا نفرضها على الآخرين، إذ أن أي خطوة في هذا الاتجاه ستأتي بنتائج عكسية بيد أن الأمر الذي يستهين به هنتنجتون هو أن القيم الغربية تصادف أيضا قبولا لدى المجتمعات غير الغربية وليس سبب ذلك في الأساس أنها غربية الأصل والنشأة، ولكن لأنها موجهة لحماية الأفراد وضمان سلامتهم"[2].

فالقيم العالمية هي قيم إنسانية لا ترتبط بحضارة دون أخرى، أما القيم التي تعبّر عن الخصوصية الثقافية والحضارية، فإنها تبقى كذلك ولا يمكن بأي حال فرضها على الغير بحجة أنها من إبداع الحضارة الأقوى، فالحضارات كما يرى علماء الاجتماع وعلماء الحضارات، تمر بمراحل الظهور والقوة والانهيار، وكأننا بهنتنجتون من خلال دفاعه عن الغرب والحضارة الغربية وقيمها، يكاد يستثني الحضارة الغربية من هذه المراحل التي تمر بها كل الحضارات، ولو أنه ناقض نفسه عندما أكد في مقالات أخرى أن قوة الحضارة الغربية اليوم لا تعني أبدا بأنها خالدة، لأنها تحمل قيماً نجدها في باقي الحضارات، بل إن تلك الحضارات أرادت أن تقتبسها من الغرب وتدّعي أنها أصيلة فيها وهذا ما دفع هنتنجتون إلى القول: إن "جميع الحضارات تمر بعمليات مشابهة من البزوغ والنهوض والانهيار، والغرب يختلف عن الحضارات الأخرى ليس في طريقة تطوره، وإنما في الطبيعة المميزة لقيمه ومؤسساته وهذه تضم على نحو خاص: مسيحيته، تعدديته، فردانيته، وحكم القانون، وهي الأمور التي مكّنت الغرب من اختراع الحداثة والتوسع في أرجاء العالم، ومن أن يصبح محل حسد المجتمعات الأخرى، وفي مجموعها فإن هذه الخواص غربية بالنسبة للغرب"[3].

فالحضارة الغربية بخصائصها التي تميزها عن غيرها، دليل على التعدد الحضاري، وإننا نعيش في عالم متعدد الأقطاب، ولهذا على الحضارات أن تمارس فعل ضبط النفس من أجل التقليل من فرص الصدام بينها، والبداية تكون من كف الغرب عن التدخل في شؤون الحضارات الأخرى، وأن تدعم القيم المشتركة بينها من أجل السلام والأمن العالميين، وهنا يحث هنتنجتون باقي الحضارات من

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 503.

[2]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 143.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 503_ 504.

أن ترقى مؤسساتها وتصوراتها وقيمها، حتى تصل إلى مستوى المؤسسات والقيم في الحضارة الغربية وبهذا يجعل هنتنجتون الحضارة الغربية النموذج الذي يجب أن يتبع، وهذه في الحقيقة نظرة استعلائية ترفضها باقي الشعوب والحضارات.

"إن هذا المبدأ الداعي إلى الكف والامساك عن التدخل، والذي يدعو هنتنجتون باسمه ومن أجله إلى عالم متعدد الثقافات والأقطاب إنما يمكن...اعتباره وسيلة للحد من الصراعات الدولية (لكن) يدعو هنتنجتون إلى مبادئ مشتركة ينبغي على شعوب جميع الحضارات أن تتطلع باحثة عن القيم والمؤسسات والممارسات المشتركة بينهم وبين الآخرين بهدف دعمها وتعزيزها...ويرى هنتنجتون أن هذا يمثل ضرورة مطلقة، ليس فقط لتقييد صدام الحضارات والحد منه، بل وأيضا لدعم تعزيز السلوك الحضاري بعامة"[1].

فالسلوك الحضاري يتدعم وفق معطيات الحضارة الغربية، هذا في الحقيقة هيمنة في حد ذاته وإقصاء لباقي الحضارات التي لها قيمها وخصوصياتها، وربما هي إشارة من هنتنجتون إلى تجاوز الدين من طرف باقي الثقافات والحضارات، لأنه في الحقيقة هو أساس الهوية، فهناك جماعات دينية تغلّب الدين على كل القيم الأخرى، وفي رأي مفكري الغرب أن هذه الجماعات هي الأخطر على الغرب وحضارته، وهي التي يجب أن تحارب، وأن إيمان الغرب من جهة أخرى بعالم متعدد الحضارات ينهي الصراع بينها، يبدأ من التخلي عن فكرة الإمبراطورية الكونية الغربية، وعلى الغرب أن يسعى لتجديد نفسه من الداخل، وعليه أن يعي بأن القيم يمكن أن تكون عالمية، أما الثقافات فإنها ستبقى نسبية ومتعددة ومتنوعة، من هنا يمكن بناء عالم جديد تزول فيه الصراعات والصدامات العنيفة وإذن "فعالم متعدد الثقافة لا يمكن تجنبه، لأن الإمبراطورية الكونية أمر مستحيل، الإبقاء على الولايات المتحدة والغرب يتطلب تجديد الهوية الغربية، أمن العالم يتطلب قبول التعددية الكونية، هل فراغ العالمية الغربية وواقع التنوع الثقافي الغربي يؤديان حتما وبشكل نهائي إلى النسبية الأخلاقية والثقافية؟ إذا كانت العالمية تجعل الاستعمار شرعيا، فهل تجعل النسبية القمع شرعيا؟ مرة أخرى نجد أن الإجابة عن هذه الأسئلة هي "نعم" و"لا" الثقافات نسبية والأخلاق مطلقة"[2].

إن من الخصائص المميزة للبشر، أنهم بشر وينتمون لعالم الإنسانية، رغم ما يفرقهم من جزئيات وأن إدراك العلاقات الإنسانية التي تتجاوز الجزئيات يجعل المجتمع إنسانياً وعالمياً، وهذه العالمية والكونية هي التي تفرض على مختلف الثقافات التعايش لا التصادم، ربما في مرحلة ما تشعر حضارة ما أنها تسير بمفردها فتفتقد للوعي الخارجي، ولا تعي ما يحدث في العالم، مما يقودها إلى الاستعلاء كما حدث مع الحضارة الغربية، لكن عليها أن توقظ الوعي فيها حتى ترى التعدد والاختلافات والتنوع

---

[1]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص ص143_ 144.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 515.

لتجعل منها حقيقة وتقبل بهذا العالم متعدد الأقطاب، فتبني وتمد الجسور مع باقي الثقافات لصالح الإنسان والإنسانية، إن "المجتمع الإنساني "عالمي لأنه إنساني وخاص لأنه مجتمع، نحن نسير مع الآخرين أحيانا، ولكننا نسير بمفردنا معظم الوقت...وبدلا من تبني الملامح العامة المفترضة في حضارة ما، فإن ضروريات التعايش الثقافي تتطلب البحث عما هو مشترك بالنسبة لمعظم الحضارات وفي عالم متعدد الحضارات، فإن المسار البنّاء هو التخلي عن العالمية، وقبول التنوع والبحث عن العوامل المشتركة"[1].

إلا أن أطروحة هنتنجتون تعتبر أن عالم التعدد الحضاري سيطرح إشكالية الهوية، والتي ستكون أحد أسباب الصدام الحضاري، فالناس يميزون أنفسهم بما ينتمون إليه، من لغة ودين وتاريخ، أو ما يشكّل حضارتهم، وإن تعدد الهويات داخل نفس البلد يجعله أكثر عرضة للتفكك والصراع، خاصة الجماعات التي تختلف في الإثنية، كما حدث للاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا، أما الدول الممزقة فهي التي لا تستطيع أن تحدد انتماءها الحضاري، وعليه يميز هنتنجتون بين الدول المفككة، والدول الممزقة من هذا المنظور، وهو يرى أنه "في المستقبل، وكما يميز أفراد الشعب أنفسهم بالحضارة، فإن البلدان التي تقطنها أعداد كبيرة للشعوب ذات الحضارات المختلفة كالاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا مرشحة للتفكك وهناك بلدان أخرى تملك قسطا عادلا من التجانس الثقافي، غير أنها منقسمة حول ما إذا كان مجتمعها ينتمي إلى حضارة أو أخرى، وهذه هي الدول الممزقة"[2].

بالنسبة إلى الدول المفككة فإنه لا يمكنها أن تتوحد مرة أخرى، لأنها فقدت كل عناصر ومقومات وحدتها ألا وهي الهوية، أما الدول الممزقة فيرى فيها هنتنجتون أنه يمكن لها أن تعيد تحديد إنتمائها الحضاري، وفق شروط يحددها هنتنجتون بتأييد النخب الاقتصادية والسياسية لذلك، وقبول الرأي العام لذلك، وأن تتبنى الجماعات الثقافية المهيمنة هذا التحول والتغير، ومنه يقول هنتنجتون "ولكي تعيد تحديد هويتها الحضارية، يتعين على البلد الممزق أن يستوفي ثلاثة شروط:

أولا: يجب أن تكون نخبتها الاقتصادية والسياسية بصفة عامة مؤيدة، بل ومتحمسة لهذا الإجراء.

ثانيا: أن يكون الرأي العام بها مستعدا لقبول إعادة التحديد.

ثالثا: يتعين أن تكون الجماعات المهيمنة في الحضارة المتلقية مستعدة لتبني هذا التحول"[3].

فالانقسامات التي شهدتها الأمم والشعوب والحضارات بعد الحرب الباردة، ليست سياسية أو اقتصادية، إنها بالأساس حضارية ثقافية هوياتية، وبما أن ما يحدد الانتماءات اليوم هو الثقافة فإن

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 516.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 47.

3- المصدر نفسه، ص 52.

هنتنجتون يعتقد بأن الشعوب ستعيش أزمة هوية، انطلاقا من السؤال المهم في حياتها ألا وهو (من نحن؟) وهو سؤال مطروح بقوة في الغرب وأمريكا، ويرى هنتنجتون أن الشعوب في الإجابة الثقافية الهوياتية عن هذا السؤال، يعودون إلى كل ما يعبّر عن حقيقة الانتماء الثقافي والحضاري، يقول هنتنجتون: "مرحلة ما بعد الحرب الباردة تؤكد بشكل واضح أن الانقسامات الجوهرية بين الأفراد ليست ذات طبيعة إيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية بل ثقافية، العالم معرض لأزمة هوية شاملة، حيث كل الشعوب والأمم تسعى للإجابة عن السؤال: من نحن؟ ويجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم أجدادهم دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم، وبالتحامهم في جماعات ثقافية على شكل عشيرة مجموعة إثنية، أمة، وأخيرا على شكل حضارة"[1].

فالحضارة هي أرقى شكل يتجمع فيه البشر، وهي المعبّر عن هويتهم، وخصائصهم الجوهرية التي تجعلهم ملتحمين ومتفاعلين فيما بينهم، وإن هنتنجتون يستبعد فرضية أن تحل هوية مكان أخرى رغم أن بعض الهويات تشكل خطرا على غيرها، كما أن الدول التي بنيت على مقومات ثقافية قومية لن تختفي، كما أن انتماء الدول إلى نفس الحضارة لا يعني أن هذه الأخيرة ستصبح كيانا سياسيا، إن للدولة والأمة والحضارة والثقافة خصائص ومميزات، ولا يمكن لأحدها أن تحل مكان الأخرى، كما لا نستبعد الصدامات داخل هذه الصيغ، ويعد من ثم الانتماء الحضاري لأمة أو شعب ما، المحدد الأساسي لنوعية الصراع بين حضارة وأخرى.

وهنا يقول هنتنجتون:"لا يدّعي هذا المقال بأن الهويات الحضارية ستحل محل كل الهويات الحضارية الأخرى، أو أن الدول القومية ستختفي، أو أن كل حضارة ستصبح كيانا سياسيا واحدا متجانسا، أو أن الجماعات داخل الحضارة الواحدة لن تتصارع، بل وحتى تتفاعل مع بعضها البعض"[2].

إن الصراعات التي يمكن أو يحتمل أن تكون ستحددها الانتماءات الثقافية الحضارية الهوياتية بالدرجة الأولى، كما تحدد العلاقات السياسية وغيرها، إن التفاعل الحضاري ميزة العصر، وإن هذا التفاعل هو ما ستتشكل على أساسه العلاقات الدولية، ولكن هنتنجتون في مقاله الغرب وبقية العالم يضع الغرب في جهة، وباقي الحضارات في جهة أخرى، معنى ذلك أن الغرب متفردا سيواجه باقي الحضارات، وعلى الخصوص الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية.

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 27.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 60.

ويعود مرة أخرى هنتنجتون ليحدد طبيعة الصراعات في العالم، بعد أن زالت الصراعات الإيديولوجية التي كانت بين الغرب والشرق، ليؤكد أن الاختلافات الثقافية ستكون المحدد الرئيسي للنزاعات بين الحضارات في المستقبل.

"إن المصدر الرئيسي للنزاعات في هذا العالم لن يكون إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع في المستقبل سيكون ثقافيا"[1].

وإن الاختلافات الحضارية والثقافية حقيقية وليست وهماً، إنها تقوم على الهوية ووعي تلك الهوية والدفاع عنها، وبقدر ما تحتوي الحضارة على المقومات الجوهرية للهوية، بقدر ما تكون قادرة على البقاء والدفاع عن ذاتها ضد كل ما يهددها.

"إن الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقية وأساسية، فالحضارة التي تشمل الدين والثقافة والعادات والتاريخ المشترك هي أقوى الهويات...والتمايزات الحضارية هي أكثر حدة من التمايزات الإيديولوجية والسياسية"[2].

ولقد لاحظ هنتنجتون أن الاختلافات الثقافية بين الشعوب والأمم أهم من غيرها، لأن الاختلافات غير الثقافية يمكن أن تزول كما أنها مرحلية، بالاضافة إلى أن الحضارة الواحدة تسعى إلى أن توّحد أجزاءها، لتزيد من قوتها وتجعل لها مركزا، "إن الأصول الثقافية تتجه الواحدة إلى ضم فروعها وامتداداتها إليها، وتتجاذب الأجزاء المتناثرة من الذات القومية المتضخمة إلى الذات المركز إذ يحدث هذا في الصين وأجزائها الكونفوشيوسية...وغيرها"[3].

فالصين مهد الحضارات والأديان المختلفة، تسعى لأن تكون لها مركز لجميع أجزائها الحضارية لتستطيع أن تحدد هويتها أكثر كحضارة كونفوشيوسية، لتجعل من هذه المحددات عوامل قوة ووحدة والملاحظة الثانية التي يقدمها هنتنجتون، هي العودة القوية للأمم والشعوب للتمسك بهوياتها وثقافاتها وأنه على أساس هذه الهوية تبني علاقاتها وتحالفاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية الحضارية مع باقي الحضارات، كما أنها تجعل منها عامل وحدة وقوة، فالأمة القوية ثقافيا قوية حضاريا وقوية بالتالي في باقي المجالات، "ثمة رجوع قوي إلى الهوية الثقافية، وأن الدول/الأمم أصبحت تحدد هويتها ومصالحها وتكتلاتها بمقاييس حضارية على نحو متزايد، فالثقافة أصبحت عنصر قوة ووحدة تماسك"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، مصدر سابق، ص17.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 31.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، مصدر سابق، ص 22.

4- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 28.

إن الاختلاف بين الحضارات لا يشمل الهوية، فقط بل كذلك القيم، وإن الحضارة الغربية أرادت أن تهيمن على باقي العالم اقتصاديا وسياسيا، من أجل أن تنشر القيم التي تعبّر عن هويتها، وبالتالي تهيمن حضاريا، من خلال ادعائها بأن القيم التي تحملها قيم كونية، صالحة لكل الشعوب، إلا أن الشعوب الأخرى ترى غير ذلك، وتعتبر تلك القيم خاصة بحضارة غربية لا تعبر بالضرورة عن حضارتها، وأن لها قيمها الخاصة، بل إن محاولة فرضها هو عدم الاعتراف بالآخر المختلف هوياتيا وحضاريا عن الغرب، وهو توكيد في نفس الوقت للإمبريالية الغربية، وأن الفكر الغربي بذلك يؤكد أنه متناقض مع ذاته، لأنه لا يمكن فرض قيم باسم الحرية وأنت تقضي على الحرية بذلك الفعل.

"إن الحضارة الغربية هي حضارة كونية كلية تناسب كل الناس، فالمفاهيم والاتجاهات الثقافية المجتمعية الخاصة بتلك الحضارة تختلف بصورة أساسية عن تلك السائدة في الحضارات، والأفكار الغربية عن الفردية والليبرالية والدستورية وحقوق الإنسان والمساواة والحرية وحكم القانون والديمقراطية والأسواق الحرة وفصل الكنيسة عن الدولة، بدت وكأنها دخيلة على بقية الثقافات"(1).

ولقد سعى الغرب إلى فرض هيمنته، ونشر قيمه الحضارية على باقي الدول والأمم، بعدما أدرك أن فعل التحديث الذي بدأت تقوم به كثير من الدول بعد استقلالها عن الاستعمار الغربي وضعف الدولة القومية، التي كانت المعبّر الحقيقي عن هوية الشعوب، كل ذلك كان في صالح الحضارة الغربية، و"بفعل التحديث الاقتصادي، وتراجع دور الدولة كمصدر للهوية، وما نتج عن هذا من تحولات اجتماعية جذرية في كل أنحاء العالم، فإن الشعوب دخلت مرحلة اضطرابات في هويتها وانتماءاتها الثقافية القديمة"(2)

وعليه لكل حضارة هوية ثقافية تنفرد بها، تميزها عن غيرها، وتكون لها بمثابة الواقي الحضاري من الانحلال والتفسخ، والهوية الثقافية داخل الحضارة يمكن أن تكون واحدة، ويمكن أن تكون متعددة وهناك من يرى أن التعدد خطر على الهوية القومية لأمة ما، وأكبر مثال يقدمه هنتنجتون عن خطر التعدد الهوياتي داخل حضارة ما، هو ما نجده في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أطروحة طرحها أنصار التعددية الثقافية داخل أمريكا، لكن هنتنجتون يعتبر "أن التعددية الثقافية هي بمثابة خطر كبير على الهوية الثقافية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية، فتزايد الانقسام والتعدد الثقافي داخلها قد يؤدي إلى تفككها ونهايتها كقوة عظمى، يقول في هذا الإطار: "يشجع كل من المطالبة بحقوق لمجموعات خاصة وبالتعددية الثقافية صدام الحضارات داخل الولايات المتحدة"(3).

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، مصدر سابق، ص 21.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 31.

3- المرجع نفسه، ص 46.

فالتمزق الحضاري قد يصيب حضارة ما، لكنه لا يقضي عليها، أما التفكك الحضاري فإنه يقودها إلى الانحلال والزوال، وهو ما يخشاه الغرب من التعدد الثقافي داخل حضارته، إن الانتماء والتحديد الحضاري يعتبره هنتنجتون جزءاً لا يتجزأ من تحديد المصالح الحيوية لأمريكا والغرب، وبداية التفكك الهوياتي للولايات المتحدة سيؤثر فيها سلبا ويقودها إلى مرحلة من الضعف، وموقعها الإستراتيجي من حيث إنها القوة العظمى الوحيدة، إن تحديد معنى واضح للهوية الأمريكية في رأي هنتنجتون هو أساس تحديد مصالح أمريكا، والتاريخ يثبت أن أمريكا منذ نشأتها في العصر الحديث لم تستطع أن تعبّر عن هويتها، ولا أن تؤسس هوية واحدة جامعة لكل أفراد المجتمع، وربما العناصر التي شاركت في تأسيس الولايات المتحدة، هي ما منعها من أن تبني وتحدد هوية واضحة حتى اليوم "المشكلة مع الأمريكي منذ نشأته في أوائل القرن الثامن عشر، أنه لم يستطع حتى الآن أن يؤسس مجتمعا ذا هوية قومية متسقة، أي ذات بعد يقوم على هوية أساسية جامعة من كل الهويات"[1].

أما الحضارات غير الغربية فإنها استطاعت أن تحدد هويتها وانتماءها، وخاصة بعودتها إلى الدين واعتباره المقوم الأساسي لهويتها الثقافية، وإن عملية الإحياء الديني جاءت كرد فعل عن التغريب الذي عمّ العالم بما فيها دول الحضارة الإسلامية، فالتحديث الذي جاء من الغرب، جعل القوى الوطنية والتراثية تعود إلى أصولها لتتمسك بها وتدافع عن حضارتها، فالتحديث قاد إلى نتائج إيجابية، لكنه بالمقابل أضعف من التمسك بالهوية لدى هذه الشعوب، "ومثل التجليات الأخرى للإحياء الديني، فإن الصحوة الإسلامية نتاج للتحديث، وفي نفس الوقت سعي للإمساك به، وأسبابه هي تلك المسؤولة عادة عن اتجاهات التأصيل في المجتمعات غير الغربية: التمدن، التعبئة الاجتماعية، المعدلات العالية في زيادة أعداد القادرين على القراءة والكتابة، ووسائل الاتصال الواسعة الاستهلاك الإعلامي والتفاعل المتزايد مع الثقافات الغربية وغيرها، هذه التطورات تقلل من شأن روابط القرية والقبلية التقليدية، وتخلق الاغتراب وأزمة الهوية"[2].

لقد عرفت السياسة الكونية إعادة تشكيل ثقافي جديد، بفعل العودة إلى الهوية والتمسك بالمقومات الحضارية، وعليه سيشهد العالم عصر صدامات حضارية ستحدد مساره، وسترسم خارطة جديدة وعلاقات وتحالفات تتجاوز ما هو إيديولوجي إلى ما هو ثقافي حضاري.

1- طيب تيزيني، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 48.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 191.

حيث "يؤكد هنتنجتون على بروز الهوية الثقافية في عصرنا الحاضر كفاعل أساسي سيهيكل الصراع الدولي، وبالتالي فإن ظاهرة التصادم الحضاري ستحل محل الحرب الباردة باعتبارها الظاهرة المركزية للتفاعل التصارعي العالمي"[1].

وسوف تشهد دول كبرى على غرار الاتحاد السوفياتي صداما ثقافيا حضاريا داخليا، يؤدي إلى تفككها، والسبب هو التنوع في الهوية داخل هذه الدول حضاريا، وتوجد دول لم تحدد انتماءها الحضاري، مما يجعلها دولاً ممزقة بتعبير هنتنجتون.

و"في المستقبل وعندما يتمايز الناس فيما بينهم بحسب الحضارة، فإن البلدان التي توجد فيها أعداد كبيرة من الشعوب ذوي الحضارات المختلفة مثل الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا مرشحة لتقطع أوصالها، ولدى بعض البلدان الأخرى درجة كبيرة من التناغم الثقافي، لكنها منقسمة حول إذا ما كان مجتمعها ينتمي إلى حضارة أو إلى أخرى"[2].

وفي نتيجة اعتبار الهوية والانتماء الحضاري فاعلا ولاعبا أساسيا في العلاقات بين الدول وبروز الصدامات الحضارية "يورد هنتنجتون مجموعة من العوامل التي تبرر حسب رأيه اعتبار الانقسام الحضاري فاعلا أساسيا في تحديد طبيعة النزاعات القادمة، وهي كالتالي:

"_ إن الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقية وأساسية، فالحضارة التي تشمل الدين والثقافة والعادات والتاريخ المشترك، هي أقوى الهويات وهي بذلك تشكل قاعدة الاختلاف الجوهرية بين البشر في انتماءاتهم ورؤيتهم للعالم والأشياء، والتمايزات الحضارية هي أكثر حدّة من التمايزات الإيديولوجية والسياسية، فهي كثيرا ما تولّد أطول النزاعات وأكثرها عمقا"[3].

فالعامل الأول هو عامل يؤكد أن الانتقال من الصراعات الإيديولوجية إلى الصدامات الحضارية هو ما شهده العالم في الفترة التي تلت نهاية الحرب الباردة، وبالتالي هو حقيقة، والفرق أن الصراعات الإيديولوجية غير دائمة أما الصراعات الحضارية فإنها لا تزول، كما أن المكونات الأساسية لكل حضارة هو ما يحكم على هويتها بالقوة والضعف، أما العامل الثاني فينتج عن التفاعل بين الحضارات، خاصة التي تقع على خطوط تقسيم متقاربة جغرافيا، ومختلفة حضاريا، مما يزيد من

1– محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 14.

2– صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 34.

3– محمد سعدي، مستقبل العلاقات، من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص ص 15_ 16.

احتمال الصدام، لأن ذلك يخلق وعيا حضاريا لدى الأفراد في كل حضارة، ويعزز فكرة الاختلاف عن حضارة أخرى، وعن هذا العامل يقول هنتنجتون:

"_ إن كثافة التفاعلات والاحتكاكات بين الحضارات المختلفة قرّب بعضها من بعض وهذا ما أدى إلى تنامي الوعي الحضاري عبر إدراك الاختلافات العميقة بين مختلف الحضارات والشعوب بالانتماء الحضاري المشترك داخل الحضارة الواحدة..."[1].

أما فيما يخص العامل الثالث الذي يجعل من الانقسام الحضاري فاعلا في النزاعات والصدامات فهو من نتائج التحديث الذي تبنته بعض الدول، أن حدث صراع بداخلها بين قوى ترفض هذا التحديث على أساس أنه يحمل التغريب، وبالتالي فهو خطر على هويتها، وفئة تعتبره أساس اللحاق بركب الحضارات المتطورة، فحدث صدام لجأت فيه بعض الأطراف إلى الدين لتحتمي به وتدافع عن موقفها وهويتها.

"_ بفعل التحديث الاقتصادي وتراجع دور الدولة كمصدر للهوية، وما نجم عنه من تحولات اجتماعية جذرية في كل أنحاء العالم، فإن الشعوب دخلت مرحلة اضطراب في هويتها وانتماءاتها الثقافية القديمة والراسخة، وهذا ما فتح المجال للدين لملء الفراغ"[2].

وفيما يخص العامل الرابع حسب محمد سعدي الذي أورد هذه العوامل على لسان هنتنجتون، أن هذا العامل يعتبر عاملا يقوم على الفعل ورد الفعل، فالغرب اعتبر حضارته كلية وأن قيمه كونية، على أساس أنه يمثل القوة العظمى الوحيدة، جعل ذلك من باقي الحضارات والثقافات تسعى لتوكيد هويتها وتمايزها الثقافي بالعودة إلى أصولها الحضارية، وإلى كل ما له علاقة بالذات الحضارية، ومنه:

"_ في الوقت الذي يوجد فيه الغرب في أوج قوته واكتساحه للثقافات الأخرى، يتنامى الشعور بالتمايز الثقافي والحنين للعودة إلى الجذور الحضارية لدى الثقافات غير الغربية"[3].

والعامل الخامس، هو التوكيد أن من سمة الثقافات والحضارات التعدد والتنوع، وأن ما تتميز به أي ثقافة من عناصر فهي لا يمكن أن تتغير، فالثقافات تستطيع أن تتأقلم مع معطيات كل عصر وأن تأخذ من غيرها من الثقافات، لكن ما يتفق مع مبادئها وأسسها، لأن السؤال يختلف في الصراع الإيديولوجي عنه في الصراع الثقافي ففي الأول يكون بصيغة مع من أنت؟ أما في الثاني فيطرح بصيغة من أنت؟ ولأن:

---

[1]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات، من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ، ص 16.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"_ المميزات والاختلافات الثقافية غير قابلة للتغيير والتحول، وغير خاضعة للتسويات والحلول الوسطى عكس الاختلافات السياسية والإيديولوجية والاقتصادية...ففي الاختلافات الإيديولوجية يطرح السؤال بصيغة مع أي طرف أنت؟...أما بالنسبة إلى الصراع بين الثقافات فإن السؤال يطرح من أنت؟"[1]

والعامل الأخير، هو أن النزاعات تحددها الانقسامات الحضارية، حيث يلاحظ أن التكتلات الاقتصادية في صعود متزايد، ومن شأنها أن تجمع أصحاب الحضارة الواحدة، وتقوّي العلاقات بينهم وتمنح الروابط الثقافية قيمة من خلال العلاقات الاقتصادية، ومنه فهذا العامل يؤكد أن:

"_ صعود النزعة الإقليمية الاقتصادية على شكل كتل جهوية اقتصادية ناجحة، وثمة علاقة تفاعلية بين الاندماج الاقتصادي وواقع الانسجام الثقافي...إن الانسجام والوحدة الثقافية هي شرط ضروري لتحقيق التكامل الاقتصادي الناجح"[2].

والنتيجة التي يؤكدها هنتنجتون هي أن هذه العوامل متكاملة ومتداخلة ومترابطة ولا تنفصل، وعلى أساسها يبرر نظريته في التصادم الحضاري بين الأمم، كما تؤكد التعدد الحضاري والثقافي والهوياتي والخصوصية الثقافية، التي برزت كرد فعل حول الحضارة الغربية، ومحاولة عولمة قيمها الحضارية فالدول ستحارب لأجل خصوصياتها الثقافية، وبتعبير فؤاد عجمي الذي يقول: "أن هنتنجتون يرى أن الدول ستحارب من أجل الروابط والولاءات الحضارية"[3].

فالانتماءات الثقافية هي التي تقوّي الروابط الحضارية، إلا أن الانتماء لحضارة ما غير كاف للقضاء على الصراعات الداخلية الهوياتية، بينما الشعور بنفس الهوية هو الذي يحد من الصراعات والصدامات، وكما يرى رجب بودبوس في كتابه: "الحضارة والضد حضارة" أن "الانتماء لحضارة واحدة لا يكفي لحدوث انسجام ولا للتنازع عن الهويات الخاصة: الشعور بالانتماء لحضارة يكون دائما أضعف من الشعور بالانتماء لهوية خاصة، واضمحلال الدولة الوطنية لا يعوضه الانتماء لحضارة"[4].

أما فيما يخص الحضارة الغربية، فإن هنتنجتون يرى في مقاله: "الغرب متفردا وليس عالميا" _وكما ذكرنا في السابق_ أنها تعد حضارة مختلفة متفردة وليست كونية، رغم سعيها لأن تكون كونية

1- محمد سعدي، مستقبل العلاقات، من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص ص 16_ 17.

2- المرجع نفسه، ص 17.

3- فؤاد عجمي وآخرون، صدام الحضارات_الإستدعاء_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1 1995، ص 46.

4- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 101.

كما أن هويتها لم تحدد بعد، وفي ظل الصدام الحضاري، فإن الولايات المتحدة، والغرب عموما تسعى لأن تفرض النموذج الغربي على باقي الحضارات، وهي الفكرة التي أكدها فيما بعد هنتنجتون في كتابه المشترك مع **بيتر إل بيرغر (Peter Ludwig Berger)*** بعنوان: "عولمات كثيرة" بقوله: "كانت الصورة الأولية لدى المشروع صورة توينبية (نسبة إلى أرنولد توينبي) قائمة على عنصري التحدي والرد_ يفترض في الأول التحدي أن يصدر عن ثقافة كوكبية ناشئة، ثقافة غربية، بل ذات منشأ أمريكي في الحقيقة بأكثريتها مخترقة لباقي العالم على المستويين الشعبي والنخبوي كليهما"[(1)].

إن هذا الاختلاف الثقافي الحضاري للغرب وأمريكا، بدأ بفعل فلسفة التحديث التي بدأتها كثير من البلدان التي أرادت أن تتطور، وأن تلحق بركب الحضارة الغربية، إلا أن هناك من رأى بأن ذلك سيقود إلى التغريب على حساب الثقافة المحلية والهوية الثقافية، وحتى داخل الثقافة الواحدة، قد يحدث اغتراب للهوية عندما ينتقل أفراد من بيئة إلى بيئة مغايرة تتلاشى فيها تقاليدهم وعاداتهم، مما يجعلهم لا يشعرون بهويتهم، وهذا يدفعهم إلى العودة إلى الدين للتمسك به، وفي ذلك يقول هنتنجتون: "إن التحديث والتنمية الاقتصادية لا يتطلبان ولا يؤديان إلى التغريب الثقافي، على العكس يشجعان على انبعاث الثقافات المحلية...الخ، على المستوى الفردي هجرة الأفراد نحو المدن وأماكن غير معروفة بالنسبة إليهم تدمر الروابط المحلية التقليدية، وتولّد مشاعر الاغتراب، وتؤدي إلى أزمة هوية تجد حلها غالبا في الدين"[(2)]

فكثير من المجتمعات غير الغربية عرفت هذه الحركة بالعودة إلى الدين في مقابل التغريب، مع التمسك واحياء للغة والعودة إلى المحلية، رغم أن الغرب ينظر إلى تلك الثقافات المحلية بنوع من السخرية، ويرى فيها صور التخلف والرجعية، أما المجتمعات غير الغربية فإنها قد أعلنت التمرد على قيم الغرب، لأن ذلك يجعل من قيمها هي العالمية، وعليه فإن الانتماء الهوياتي أهم من الناحية العملية من أي انتماء آخر، سواء أكان اقتصاديا أو سياسيا، فحتى لو أصبحت الدول الإسلامية كلها ليبرالية، إلا أنها تبقى تختلف في قيمها عن الغرب، إن التحديث لا يعني التغريب، وإن الإيمان بقيم الإنسانية لا يعني كذلك التغريب، لأن جميع القيم الأساسية في كل حضارة في الحقيقة مرتبطة بالهوية الثقافية لها، وعلى هذا "يعتبر هنتنجتون أن الانتماء الثقافي أهم من أية انتماءات أخرى، لكنه في الحقيقة يقصد الانتماء العرقي، فهو يعتقد مثلا أن الصينيين أو العرب حتى عندما ينهجون النهج

---

* بيتر إل بيرغر (1929_) مفكر أسترالي.

1- صموئيل هنتنجتون وبيتر إل بيرغر، عولمات كثيرة، تعريب فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2004 ص 14.

2- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 191.

الرأسمالي تبقى قيمهم الإسلامية والكونفوشيوسية غريبة عن الحضارة الغربية، ذلك يوحي بأن القيم الثقافية مرتبطة بالهوية العرقية"[1].

فالهوية العرقية هي التي تعبّر عن القيم الحضارية في كل أمة، وعلى هذا الأساس ترفض الولايات المتحدة الاعتراف بحقوق الأقليات، والإقرار بالتعددية الثقافية، لأن ذلك من شأنه أن يُحدث بداخلها تمزقاً حضارياً، قد يقودها إلى التفكك والانحلال، وهو ما جاء على لسان هنتنجتون معترفا بأنه "يشجع كل من المطالبة بحقوق المجموعات خاصة، وبالتعددية الثقافية صدام الحضارات داخل الولايات المتحدة"[2].

إن هذا الصدام الداخلي في الحضارة الغربية الأمريكية قد يؤدي إلى ضعفها، فالتنوع الإثني والعنصرية هي أحد المعطيات في أمريكا، والتي تحاربه حتى تحافظ على وحدتها، ولقد مرّت الهوية الأمريكية بتمزقات وصدامات خاصة في مرحلة تدفق المهاجرين إليها، إلا أن هؤلاء المهاجرين الجدد بدأوا يتكيفون مع الثقافة الأوروبية التي حملوها معهم، ومع العقائد الأمريكية المبنية على العناصر المشكّلة لها، وإن التمازج بين الثقافة الأوروبية والعناصر الغربية الأمريكية هو الذي يحدد هوية أمريكا من أنها غربية، وإنها لا توجد دون أن تكون غربية، وإنها ليبرالية ديمقراطية، وهذا ما يميزها عن باقي الحضارات، فالهوية الأمريكية كما جاء على لسان هنتنجتون تعبّر عنها وثائق تأسيسها، من أنها ليبرالية، فردانية تقوم على القانون والحرية والمساواة، وأن الولايات المتحدة تكف عن أن تكون غربية إذا تخلت عن ذلك.

إن"الولايات المتحدة تغدو بلدا متنوعا من الناحية الإثنية والعنصرية بصورة متزايدة...وفي الماضي كانت الولايات المتحدة قد استوعبت بصورة ناجحة ملايين المهاجرين من عشرات البلدان لأنهم تكيفوا مع الثقافة الأوروبية السائدة، وتبنوا بحماس العقيدة الأمريكية عن الحرية والمساواة والفردية والديمقراطية، فهل يستمر هذا النمط سائدا...؟ هل سيتم استيعاب المهاجرين الجدد...؟ وإن لم يفعلوا ذلك وأصبحت الولايات المتحدة متعددة الثقافات حقا وسادتها الصدامات الداخلية بين الحضارات، فهل تستمر باعتبارها ديمقراطية ليبرالية؟"[3].

هذه التساؤلات وغيرها هي التي تؤرق المفكرين الغربيين، وعلى أساسها يتحدد وجود أمريكا ووجود الغرب، إن الهوية الأمريكية تستمد من مواثيق تأسيسها، إنها أمريكية غربية، ولا يمكن أن تكون غير ذلك، ومن أكبر ما يحدد الانتماء الهوياتي لأمريكا هو الجذور الثقافية الأوروبية، يقول هنتنجتون "إن الهوية السياسية للولايات المتحدة راسخة بجذورها في المبادئ التي عبّرت عنها وثائق تأسيسها

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 79.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون_ مصدر سابق، ص 82.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فهل يعني نزع الطابع الغربي عن الولايات المتحدة إن حدث، نزع الطابع الأمريكي عنها أيضا؟ ولو تحقق ذلك وكف الأمريكيون عن الالتزام بإيديولوجيتهم السياسية الديمقراطية ذات الجذور الأوروبية فإن الولايات المتحدة كما نعرفها تكف عن الوجود، وتتبع الدولة العظمى الأخرى التي كانت محددة إيديولوجيا إلى كومة من رماد التاريخ"[1].

إن بقاء الغرب والولايات المتحدة على الخصوص، مرتبط بمدى التزامهم بما جاء في المواثيق المؤسسة لأمريكا والتزامهم بالديمقراطية السياسية، وإلا فإنه محكوم عليهم بالزوال، إن التاريخ يدفع الحضارات أو بحسب التعبير الإنجلوسكسوني الثقافات بعضها ضد بعض، ما يولّد الولاءات والعداءات في المستقبل، ويرى هنتنجتون أن قوة الغرب بدأت في الانحسار مع ظهور قوى جديدة، كما يعرف العالم ظهور قوى اقتصادية في آسيا، وسيتبع هذه القوة بالضرورة قوة عسكرية، وامتيازات سياسية من حيث التنافس على مناطق النفوذ الإستراتيجية، وهذا بدوره يؤدي إلى تعزيز الهوية الثقافية، وبالتالي السيطرة والسيادة العالمية، ومما يعني انتهاء دور الغرب والقضاء على هيمنته وسلطته على باقي الحضارات، فالثقافات العالمية هي الثقافات الأقوى، وكما يقول بعض المفكرين أن القوي اقتصاديا قوي ثقافيا، أي أن الثقافة تتبع القوة عند هنتنجتون، وبما أن هناك صعوداً لحضارات وثقافات في عالم اليوم فإن الصدام بينها حتمية لا يمكن تجنبها، حيث تحدث الصدامات داخل الدول التي تعرف اختلافات إثنية، كما تحدث بين الحضارات التي تريد أن تنتشر بالقوة والإرهاب كالإسلام، كما يعتقد هنتنجتون وعليه "يرى هنتنجتون أن الثقافات متجسدة في القوى المسيطرة ذات الصلة ومقودة منها سوف تتصادم...فالدول متعددة الثقافات مثل البوسنة والسودان وماليزيا وإندونيسيا، تظهر فيها تصدعات داخلية تصل حد الحرب الداخلية العنيفة، بينما يظهر الإسلام "حدودا دموية""[2].

حيث يعتقد هنتنجتون أن الصدام بين الغرب وباقي الحضارت قد بدأ بالحرب الثقافية، وعليه فلقد كانت الصين عرضة لهجمات حضارية غربية، لأن الغرب أدرك خطر الصين عليه، فبدأ بوضع القيود التجارية والاقتصادية حتى يحد من انتشار هذه الحضارة ثقافيا، كما أنه سعى بكل الوسائل للتفرقة بين الدول الآسيوية مخافة توحدها في قوة عالمية، تكون مركزها الصين، وإن "الهوية الصينية التي كانت عرضة لهجمات كثيرة من الغرب في القرن العشرين، تعاد صياغتها الآن على أساس من العناصر الثابتة في الثقافة الصينية، ومن الناحية التاريخية فإن تلك الهوية كانت تتلاءم دائما مع العلاقات المتغيرة بالسلطات الرئيسية في الدولة الصينية"[3].

---

[1]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون_ مصدر سابق، ص ص 82_83.

[2]– هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 26.

[3]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 276.

ونظرا لأن الإسلام ليس له دولة مركز كما يسميها هنتنجتون، وأن دوله تعاني اقتصاديا، فإن القوة العظمى الكبرى حاليا التي يمكنها أن تقف في وجه الغرب هي الصين، إن الصين هي البلد الأسيوي الرافض للغرب وقيمه، وله القدرة على إبداع الحداثة كما فعل الغرب في السابق، ومنه فإن الصين تحمل جميع الخصائص لحضارة قوية منافسة للغرب، وانطلاقا مما تملكه "يتنبأ الكثيرون بأن الصين ستكون في المستقبل القريب القوة الوحيدة المضادة للغرب التي يمكن أن تنشأ، والبون الثقافي الذي يفصل الصين عن الغرب يعتبره هنتنغتون برهانا على بلد لا يحمل الخصائص الغربية، ويستطيع مع ذلك تحديث نفسه بنجاح، وبالنسبة له فإن الصين ستقف قطبا لنزاع الثقافات المتداخلة المسيطرة في القرن الحادي والعشرين"[1].

إن الصين هي نموذج البلد الأسيوي الذي استطاع أن يقوم بفعل التحديث، وفق القيم الحضارية الخاصة به دون أن يطرح إشكالية الهوية، فهو لم يعد للقيم الغربية، بل إنه يعتبر قيمه الحضارية في عمومها إنسانية، وأنها يمكن أن تكون عالمية، كما تسعى الصين لأن تبني علاقات اقتصادية تعزز من هويتها، وتوكيد قيمها وحضورها العالمي، إنه صعود العملاق الصيني كما يسمى، حاملا معه حضارة تمتاز بخصوصيتها الذاتية ومقوماتها الشخصية، وهي ليست بحاجة إلى قيم الغرب ومؤسساته لتفرض نفسها في الساحة العالمية.

"هذا الشعور بالهوية الثقافية يسّهل توسع العلاقات الاقتصادية بين الكائنات الصينية العديدة...وذلك بدوره يوفر الحافز المادي والمعنوي لتعزيز الهوية الثقافية الصينية...إن الصين العظمى ليست محض مفهوم مجرد، إنها واقع ثقافي واقتصادي يتنامى بسرعة، كما بدأ في تكوين واقع سياسي"[2].

وكما تبنت مختلف الحضارات فكرة التوسع والإمبراطورية بما فيها الغرب عندما كان في أوج قوته، تتبنى الصين نفس الفكرة، حيث تسعى لأن تكون حضارة عظمى، ولقد بدأت عملية التشكل الثقافي والهوياتي في الصين وباقي دول آسيا من المشترك الحضاري، سواء داخل القبيلة أو العشيرة الأسرة أو المجتمع الواحد، ولم تكن الهوية تعبّر عن الدولة، أما بالنسبة إلى الحضارة الإسلامية، فإن أفرادها كانوا ينتمون إلى نفس اللغة والدين والتاريخ، وكان للدين السلطة الروحية التي كانت مهيمنة أكثر من السلطة السياسية، ولم يعرف الإسلام الفصل بين السلطتين كما عرفته أوروبا والغرب.

1- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 64.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 276.

و"تاريخيا لم يكن في آسيا الوسطى وجود للهويات القومية، كان الولاء للقبيلة والعشيرة وللعائلة الممتدة وليس للدولة، "على جانب آخر كان للناس لغة ودين وثقافة وأساليب حياة مشتركة، وكان الإسلام هو السلطة المجمعة والأقوى بين الناس، وربما أكبر من سلطة الأمير"[1].

وهذان النموذجان في نظر هنتنجتون هما الأكثر خطرا على الغرب ومصالحه وعالميته، لأنهما يمثلان المنافس الحضاري الحقيقي، ولقد تغيرت العلاقات بين الدول والأمم، وأصبحت تبنى أكثر على العامل الثقافي أكثر من غيره، في السابق يمكن لأي دولة أن تنتمي إيدولوجيا أو تقف على طرف الحياد، أما اليوم فبزوال الصراع الإيديولوجي زالت فكرة الحياد أو عدمه، فلا بد أن تنتمي الدول والأمم لحضارة وثقافة ما تحدد هويتها، وهو مانشهده اليوم أكثر من أي وقت مضى، "ففي العالم الجديد أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها، وبينما كانت دولة ما تستطيع أن تتجنب الانحياز أثناء الحرب الباردة، إلا أنها لا يمكن أن تفقد هويتها"[2].

وهذا العالم الجديد الذي ظهر بعد الحرب الباردة، قاد إلى انفجار جديد في الهوية، وخلق لكثير من الدول والأمم إشكالية إنتماء وهوية، خاصة بعد أن بدأت تظهر صراعات من نوع جديد تحمل عنوان الصراعات الإثنية، وبدأ السؤال يطرح بمفهوم الهوية الثقافية يحمل بعدا ثقافيا هوياتيا ألا وهو من نحن؟ إن هذا السؤال هو الذي دفع كثيراً من الشعوب لتعيد تعريف هويتها الثقافية والتمسك بخصائصها الحضارية، بل ومواجهة أي تحد مفترض، كما أنها حاولت أن تحدد الآخر، والآخر العدو بالدرجة الأولى، وكثيرة هي الدول التي طرحت فيها هذه الأسئلة التي تناقش الهوية، ومعظمها حسب هنتنجتون كانت تعاني صراعات داخلية إما عرقية أو دينية، أو تاريخية أو غيرها، وهو ما يؤكده بقوله: "لقد شهدت التسعينيات إنفجار أزمة هوية كونية، أينما تنظر تجد الناس يتساءلون "من نحن؟ لمن ننتمي؟" من هو الآخر؟ وهي أسئلة مركزية...في منتصف التسعينيات كان من بين الدول التي تناقش فيها أسئلة الهوية بإلحاح" الجزائر، كندا، الصين، ألمانيا، بريطانيا، الهند، إيران، اليابان المكسيك، روسيا، جنوب إفريقيا، سوريا، تونس، تركيا، أوكرانيا، الولايات المتحدة"[3].

إن إشكالية الهوية في هذه البلدان وغيرها، طرحت بقوة ونجدها مطروحة بأكثر حدة داخل بلدان الصدع الحضاري كما يسميه هنتنجتون، والمقصود بالصدع الحضاري، هو وجود جماعات بشرية كثيرة في نفس الحضارة ينتمون إلى حضارات مختلفة، ثقافيا ودينيا ولغويا، وغيرها من الخصائص الجوهرية، وعليه بدأت تتحدد معالم تلك الحضارات في جماعات وجدت نفسها متقاربة في العقيدة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 285.

2- المصدر نفسه، ص 203.

3- المصدر نفسه، ص 204.

واللغة والعرق وغيرها، وفي نفس الوقت نجدهم يتباعدون عن من يختلف عنهم في هذه العناصر الجوهرية.

وبالعودة إلى الغرب، يرى هنتنجتون أن بعض الدول الأوروبية التي تنتمي إلى الغرب، لم تشارك الغرب في الحرب الباردة، لكنهم لم يستطيعوا الإنفصال عن الغرب ثقافيا، بدليل أنه بعد نهاية الحرب الباردة عادوا إلى حضارتهم وحددوا انتمائهم الحضاري الغربي، وهنا ندرك الاختلاف بين الانتماءات الإيديولوجية والحضارية، فـ "في أوروبا كانت النمسا وفنلندة والسويد الذين هم ثقافيا جزء من الغرب مضطرين للانفصال عن الغرب، وأن يكونوا محايدين أثناء الحرب الباردة، والآن يستطيعون الالتحاق بعشيرتهم الثقافية في الإتحاد الأوروبي...الآن تُخلي هذه الانحيازات التي عاشت في ظل الحرب الباردة الطريق لانحيازات حضارية جذورها في الإسلام والأرثوذوكسية...في عالم مائع تماما الناس يبحثون عن الهوية والأمان، وعن جذور وصلات لحماية أنفسهم من المجهول"[1].

لقد أصبحت الانتماءات مبنية على ما هو ثقافي حضاري هوياتي، ويشكل الدين عنوانا لكثير من الإنتماءات، وعليه تم تحديد معالم جديدة لعالم جديد.

إن السؤال الذي يمكن طرحه بخصوص الانتماءات الثقافية هو: لماذا تعدّ هذه الانتماءات أساس التفاهم والتعاون والتحالف، في حين تشكل الاختلافات الثقافية منطلقا للصراعات والصدامات وغيرها من أعمال العنف؟ وهو السؤال الذي طرحه هنتنجتون ليجيب عنه بأن انتماءات الفرد كثيرة من أسرة ولغة ودين وقرابة وغيرها، وهي في الحقيقة روابط متلاحمة يقوّي بعضها بعضاً، وهذا ما قد يقودها إلى الصدام مع هويات أخرى، والسؤال الأساسي إذن يطرح على الشكل التالي: "لكن لما تسهل العوامل الثقافية المشتركة من عملية التعاون والتلاحم بين الناس؟ ولماذا تنمّي الاختلافات الثقافية الشقاق والصراعات؟ يوجد لدى كل فرد هويات متعددة قد تتنافس مع بعضها، وقد تقوّي من بعضها البعض القرابة، المهنة، الثقافة، المؤسسة، الإقليم، التعليم، الحزب، الإيديولوجيا... وغيرها، التوحد مع بعد واحد قد يتصادم مع أبعاد أخرى"[2].

ويرى كذلك هنتنجتون أن هذه الأبعاد قد تكون سببا للتصادم بعضها مع بعض، إذا طغى بعد على آخر، إلا أن البعد الثقافي العام يقود الهوية إلى التوحد أكثر، ومنه لا تدخل هويات أضيق في صراع مع هويات أوسع منها، والأفراد ينتمون لقبيلة أو إثنية أو دين أو لغة، وأن الهوية لدى الأفراد تزداد في البروز أكثر بين نفس الجماعات التي تنتمي إلى نفس الهوية الثقافية.

"في العالم المعاصر يأخذ التوحد الثقافي شكلا متزايدا في أهميته، مقارنة بالأبعاد الأخرى للهوية على امتداد بعد واحد تكون الهوية عادة أكثر مغزى على المستوى المباشر، والهويات الثقافية على أية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 204_205.

2- المصدر نفسه، ص 208.

حال لا تتصارع بالضرورة مع الهويات الأوسع، الفرد قد يتوحد ثقافيا مع قبيلته، جماعته العرقية جنسيته، دينه، حضارته، البروز المتزايد للهوية الثقافية على المستويات الدنيا قد يقوّي بروزها على المستويات العليا"[1].

في عالم اليوم، عالم العولمة والتعدد الحضاري، تبرز مستويات للهوية منها العليا، ومنها الدنيا منها القوية ومنها الضعيفة، ومستويات الهوية تنطلق من الفرد إلى الأسرة إلى القبيلة إلى العشيرة إلى الحضارة، ويمكن أن يعرف مستوى الهوية بالعلاقة بين أفراد الثقافة الواحدة، أو بين الحضارة الواحدة وبينهم وبين الحضارات الأخرى، وهنا تظهر مقومات الهوية الثقافية والحضارية التي على أساسها تحدد الانتماءات والعلاقات بين الأفراد والحضارات، وعليه تعد "الهوية على أعلى مستوى_شخصي قبلي، عرقي، حضاري، يمكن أن تعرف فقط في علاقتها بـ "الآخر" شخص آخر، قبيلة أخرى، جنس آخر، حضارة أخرى، تاريخيا كانت العلاقات بين دول أو كيانات أخرى في نفس الحضارة تختلف عن العلاقات بين الدول أو كيانات من حضارات مختلفة، قوانين منفصلة هي التي كانت تحكم سلوكنا إتجاه أولئك الذين هم "مثلنا" والبرابرة" الذين ليسوا كذلك"[2].

إن الوصف الذي يقدمه هنتنجتون للهويات الثقافية وأسس قيامها والعلاقات التي تبنى عليها يجعلها مستويات مختلفة، وعلى أساس هذه المستويات ينظر هنتنجتون نظرة عرقية إلى الحضارات حيث يعتقد أن الحضارة الغربية الممثلة في "النحن" أعلى مستوى من باقي الحضارات الممثلة في "هم" و"هم" بالنسبة إليه تعني البرابرة غير المتحضرين، أو الذين لا يملكون هوية حضارية وهوية ثقافية وربما ما جعلها بربرية هو الدين الذي يعد أساس نهضتها ويقظتها، إن هذه الحضارات تنظر للعلمانية والحداثة نظرة استعداء، وتجعلهما أساس البعد عن الله، ثم يقوم هنتنجتون بعملية إسقاط للدين من حيث إنه يعادي الغرب، لأنه يعادي القيم الغربية من علمانية وحداثة وفردانية وحرية، وغيرها، "أما عن صحوة الثقافات غير الغربية فيغلب عليها الطابع الديني، ولم يعد التوجه هو تكييف الدين مع العلمانية وإنما التحول عن الحداثة التي فشلت بسبب بعدها عن الله واستعادة أساس مقدس لتنظيم المجتمع...صحوة الأديان غير الغربية هي أقوى مظاهر معاداة التغريب...والإحياء الثقافي حسب هنتنجتون هو ظاهرة عالمية تشمل كافة الحضارات الإسلامية والصينية واليابانية والهندوسية والأمريكية اللاتينية والإفريقية، وإذا كانت الحضارات الهندوسية والأمريكية واللاتينية والإفريقية لا تعلن عن تفوق ثقافاتها على ثقافة الغرب، فإن الإحياء الثقافي الإسلامي والآسيوي (الكونفوشيوسية) يترافق بالإعلان

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 208

2- المصدر نفسه، ص 209.

عن تفوق هاتين الثقافتين على ثقافة الغرب، وهذا ما دعا هنتنجتون إلى اعتبار هاتين الثقافتين عدوين مستقبلين للغرب وطرفين أساسيين في صراع الحضارات المقبل"[1].

إن الحضارات غير الغربية بدأت في عملية الإحياء الثقافي، وارتكز الكثير منها على الدين، إن إحياء الدين يعني التمسك بالهوية، والاحتماء الثقافي من التغريب، ولقد اعتبر الغرب باقي الحضارات التي قامت برفض القيم الغربية على أنها عدوة للحضارة والغرب بصورة عامة، كما رأى ان تلك الحضارات تعبّر بسلوكياتها عن البربرية والتخلف والهمجية، وربما هي نظرة استعداء واستعلاء للغرب على باقي الحضارات، ويفسر هنتنجتون هذا الموقف من الغرب على أنه رد فعل طبيعي ناتج عن عدة عوامل يذكرها هنتنجتون في العبارات التالية: "نحن الحضارة، وهم الذين خارج تلك الحضارة، من الثوابت في التاريخ الإنساني هذه الاختلافات بين السلوك داخل الحضارة الواحدة، والسلوك مع خارج تلك الحضارة نابعة من:

1. مشاعر التفوق (وأحيانا الدونية) تجاه الناس الذين يعتبرون مختلفين تماما.
2. الخوف من أمثال أولئك الناس وعدم الثقة بهم.
3. صعوبة الاتصال معهم نتيجة اختلافات اللغة وما يعتبره سلوكا مهذبا.
4. غياب الألفة مع الافتراضات والدوافع والعلاقات والممارسات الاجتماعية للآخرين"[2].

إنها عوامل تجعل من الغرب ينظر إلى باقي الحضارات على أنها خارج التصنيف الحضاري، إنها بربرية وتنشر قيم الرجعية والتخلف والعنف، وعلى النقيض فإن باقي الحضارات ترى كذلك في الغرب وقيمه على أنها تمثل الهيمنة والاستعمار والامبريالية والكولونيالية، في أعلى صورها، وقيمه هي قيم الانحلال والتفسخ وهو ما يزيد من فرص الصدام الحضاري، وبالمقابل تلجأ كل الحضارات إلى فلسفة التوكيد الحضاري للهوية الثقافية التي تخصها، ولقد زاد من كل ذلك، ما فرضته العولمة من سرعة الاتصالات بين الشعوب عن طريق وسائل الاتصال المتطورة جداً، وربما أصبحت العولمة في حد ذاتها بما تحمله من قيم خطراً على الهويات المحلية، لأنها تعبّر عن حضارة واحدة، أو لأنها من إنتاج الحضارة الأقوى حضارة الغرب، وإن التفاعل بين الحضارات أدى إلى تقارب البعض وتنافر البعض الآخر، وجعلت السؤال المعبّر عن الهوية هو أهم سؤال في عالم اليوم ألا وهو (من نحن؟ ومن هم؟).

ولقد حدد هذا السؤال الهويات وبيّن مستوياتها وإنتماءاتها وإختلافاتها، كما عبّر عن الصراع الذي طبع القرن الواحد والعشرين وسيطبع القرون المقبلة، والذي يحمل في داخله سيطرة على الحضارات، وخاصة على مواردها، لأن القوي يستطيع أن يفرض ثقافته، وقيمه على الآخرين، وعندما أدركت باقي الحضارات مصادر القوة سعت لأن تمتلكها، فكان الصدام والصراع بين الحضارات، ولقد

---

[1]- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات؟، مرجع سابق، ص ص 100_ 101.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 210.

حدد هنتنجتون بعض مصادر الصراع التي ذكرنا البعض منها في الفصل السابق، ونضيف بعضها الآخر هنا، حيث يقول عنها: "مصادر الصراع بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة بمقياس أوسع، تلك كانت دائما تولد صراعا بين الجماعات للسيطرة على الناس، الأرض الثروة، الموارد، القوة النسبية، أي القدرة على فرض القيم والثقافة والمؤسسات الخاصة على جماعة أخرى"[1].

ومن القيم التي نجدها داخل الحضارات نجد بعض القيم التي تعتبر عقبة أمام تطبيق أكبر مبادئ النظام الرأسمالي الغربي في جناحه السياسي ألا وهو الديمقراطية، فلقد اعتبر الغرب نفسه أنه يحمل قيم الحرية والفردية والقانون، ولتحقيق هذه القيم لا بد من خلق مجتمع ديمقراطي، ولنشر تلك القيم كذلك لابد أولا من نشر وخلق فضاء للديمقراطية في العالم، ومما زاد الغرب قناعة بعالمية الديمقراطية هو سقوط الأنظمة الشيوعية بعد الحرب الباردة، إلا أن هنتنجتون يرى أن نشر قيم الديمقراطية تعترضه عقبات ثقافية في باقي دول العالم، مرتبطة أساسا بالقيم المعادية للغرب وبمعتقدات شعوب هذه الحضارات، وعليه "هناك من يرى أن المواريث الثقافية التاريخية الكبرى في العالم تتفاوت بشدة في مدى ملاءمة توجهاتها وقيمها ومعتقداتها وأنماط السلوك فيها لنمو الديمقراطية فالموروث الثقافي المعادي للديمقراطية يعوق انتشار المعايير الديمقراطية في المجتمع، وينكر شرعية المؤسسات الديمقراطية"[2]

فمعاداة القيم الغربية، أصبح جزءا من الموروث الثقافي في باقي الحضارات الرافضة للهيمنة الغربية، وهذا بدوره يعيق إنتشار المؤسسات الديمقراطية بالمفهوم الغربي، ويرى هنتنجتون أن أكبر الثقافات والحضارات عداءً للديمقراطية هما الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية، حيث يرى الإسلام في الديمقراطية محاولة إحلال نظام بشري مكان النظام الإلهي الذي جاء من عند الله، كما أن الإسلام ينظر إلى الديمقراطية على أنها من أفكار الغرب المختلف عقائديا، والتي أسسها على نظام مدني مبني على فصل الدين عن الدولة أو العلمانية، أما الإسلام فيرفض هذا الفصل، وأن القانون الذي بنيت عليه الديمقراطية الغربية هو القانون الروماني، أما القانون الذي بُني عليه نظام الحكم في الإسلام فهو القرآن والسنة، وعليه فالديمقراطية موجودة في الإسلام بمفهوم الإسلام، وليس بمفهوم الغرب، ولكل حضارة مفاهيمها وتصوراتها التي تعبّر عن موروثها الثقافي، وعليه يرى هنتنجتون أن "المسألة ليست أن ثقافة ما أو أخرى تلائم الديمقراطية وتتقبلها، وإنما هناك ثقافة ما أو بعض الثقافات تعادي الديمقراطية، والثقافات الأكثر شهرة في هذا الصدد هما الكونفوشيوسية والإسلامية"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 210.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، مصدر سابق، ص 388.

[3]- المصدر نفسه، ص 390.

ولهذا فقد عادت الحضارات إلى موروثها الثقافي، وحظيت باهتمام كبير من طرف مفكري تلك الحضارات، وزاد التمسك بالهويات المحلية أكثر، بعدما شعرت تلك الحضارات بخطر الهويات القاتلة أو البديلة التي تريد أن تفرضها بعض الحضارات، أو الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة الأقوى. "ونعرف أنه في أربعينيات القرن العشرين حظيت الثقافة باهتمام كبير باعتبارها عنصرا حاسما في فهم المجتمعات، وتحليل الفوارق فيما بينهما، وتفسير تطورها الاقتصادي والسياسي"[1].

فلقد أصبحت الثقافة في زمن التعدد الحضاري، من أكبر العوامل المفسرة للصدامات والتوجه نحو الديمقراطية والعمل على تحديث المؤسسات وحتى السياسة العسكرية، ولقد أصبحت الثقافة عند علماء الاجتماع، المفسر لكل تلك العوامل، لما لها من تأثير في الحضارات والدول والأمم في هوياتها وفي علاقاتها بعضها مع بعض، حيث "اتجه العلماء الاجتماعيون أكثر فأكثر إلى العوامل الثقافية لتفسير عمليات التحديث والدمقرطة السياسية والإستراتيجية العسكرية، وسلوك الجماعات الإثنية والانحيازات والتطاحنات فيما بين البلدان...ولعل أحكم الكلمات عن مكان الثقافة في شؤون البشر هي كلمات **دانييل باتريك موينيهان (Daniel Patrick Moynihan)*** الذي قال: "الحقيقة المحورية المحافظة هي أن الثقافة وليست السياسة هي التي تحدد نجاح المجتمع، وأن الحقيقة المحورية الليبرالية هي أن الثقافة يمكنها أن تغير ثقافة ما وتحميها من نفسها"[2].

لقد أصبح نجاح الثقافة وقوتها عنوان نجاح المجتمع، فالمجتمع المتماسك ثقافيا متماسك حضاريا، مما يجعله ذلك أكثر قوة وصلابة، ولا خوف عليه من رياح الهويات المعادية، ولم تعد السياسة هي أساس نجاح المجتمعات بل الثقافة، وهو معطى فرضه عالم الحضارات المتعددة، وإن التفاعل بين الحضارات هو ما يجعل الثقافات تستفيد من منتجات بعضها مع بعض، وهذا ما يسمح لها بالتغير دون أن يؤثر ذلك في وجودها، رغم أن هنتنجتون يعتقد أنه في عالم اليوم، ومع زيادة الاحتكاكات بين الثقافات، زاد ذلك من إحياء المشترك بين الثقافة الواحدة، وجعلها في المقابل تدخل في حروب مع غيرها المختلف والمعادي لها، من باب الفعل ورد الفعل، يقول في ذلك هنتنجتون: "إن التفاعل المتزايد_الاتصالات والمواصلات على نطاق متنام_ ينتج ثقافة مشتركة، قد تكون الحال كذلك في بعض الظروف، لكن الحروب تنشب في غالب الأحوال بين المجتمعات التي توجد في ما بينها مستويات عالية من التفاعل، والتفاعل يدعم الهويات القائمة وينتج مقاومة ورد فعل ومواجهة"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون ولورانس إي هاريزون، الثقافات وقيم التقدم، ترجمة شوقي جلال، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص 20.

* دانييل باتريك موينيهان (1927_ 2003) سياسي أمريكي.

[2]- صموئيل هنتنجتون ولورانس إي هاريزون، الثقافات وقيم التقدم، مصدر سابق، ص 21.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص 84.

وبالعودة إلى التفاعل الثقافي، فإننا نجد عامل التحديث قد قارب بين كثير من الثقافات، وألغى بينها الهوة الحضارية والمسافات، وشارك في تنميتها وازدهارها، خصوصا داخل الحضارة الواحدة، بل لقد أصبح التحديث هو العلامة الفارقة بين المجتمعات، حيث نلاحظ الفرق بين المجتمعات الحديثة الحضارية وغيرها من المجتمعات المتخلفة غير الحضارية، والتحديث ارتبط بالغرب وبحضارته وقيمه أكثر، ولقد ميزت كثير من الدول بين التحديث والتغريب، فنجدها قد قطعت أشواطا في عملية النمو والتطور والدخول إلى عالم الحداثة، وهذه الدول منها الآسيوية ومنها العربية الإسلامية، مشيرا _هنتنجتون_ دائما في كل كتبه ومقالاته إلى أن التحديث لا يعني التغريب، ورافضا لهذا الرأي حتى ولو نبع من الفكر الغربي في حد ذاته، وكما يذكر هنتنجتون: "إن التحديث والتنمية الاقتصادية لهما تأثير باعث على التجانس وينتجان ثقافة حديثة مشتركة، تشبه بصورة وثيقة تلك القائمة في الغرب في هذا القرن ومن الواضح أن المجتمعات الحديثة الحضرية والمتعلمة والثرية والصناعية تتقاسم سمات ثقافية تميزها عن المجتمعات المتأخرة الريفية والفقيرة وغير المتطورة، وفي العالم المعاصر، فإن معظم المجتمعات الحديثة كانت مجتمعات غربية ونظرا إلى أن التحديث ليس مرادفا للتغريب، فإن اليابان وسنغافورة والسعودية مجتمعات حديثة مزدهرة، لكن من الواضح أنها ليست غربية، والافتراض الشائع لدى أهل الغرب، بأن الشعوب الأخرى التي تأخذ بالتحديث لابد لها أن تصبح "مثلنا" هو نوع من الغرور الغريب الذي يوضح بنفسه صدام الحضارات"[1].

لقد أصبح العالم يعيش في تناقضات لا تجد تفسيرا لها، إلا في القول بالصراعات التي أصبحت على أسس ثقافية حضارية، ولقد زادت تلك النزاعات الهوياتية بعد أن أصبح الغرب يعتبر الحضارة الغربية هي نموذج الحضارة الراقية المتطورة، الذي يجب أن يسود العالم، متغافلا عن التعدد الحضاري فلا بد للغرب أن يعيد قراءة حضارته من الداخل، ووعي أن هناك حضارات متمايزة عنه، وأن خطر الإيمان بالأحادية هو من بين أكبر الأخطار التي تحدق بالحضارة الغربية، ومن بين المسببات المباشرة للصدام الحضاري، لأنها تخلق لدى الآخر الدافعية لمقاومة هيمنة الحضارة الأقوى، بل ويعطيه مشروعية في الدفاع عن حضارته، ونشر قيمها المختلفة، "فأينما ولّى الإنسان وجهه يجد أن العالم متناقض مع نفسه، فإن لم تكن الخلافات في الثقافات مسؤولة عن هذه النزاعات فما هو العامل المسؤول؟ إن منتقدي نموذج الحضارة لم يتوصلوا إلى تفسير لما يجري في العالم، وعلى النقيض من ذلك فإن النموذج الحضاري يجد استجابة ويضرب على وتر حساس في العالم كله...أيد رئيس المفوضية الأوروبية **جاك دبلو** صراحة مقولته عن "أن منازعات المستقبل تستغلها عوامل ثقافية، وليس اقتصادية وإيديولوجية، وحذّر من أن الغرب في حاجة إلى تطوير فهم أعمق للافتراضات الدينية والفلسفية الكامنة وراء الحضارات الأخرى، والطريقة التي ترى بها الأمم الأخرى مصالحها، وذلك

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص ص 84_ 85.

لتحديد الشيء المشترك الذي يجمع بيننا" ويرى المسلمون بدورهم أن الصدام يوفر دليلا على تمايز حضارتهم واستقلالها عن الغرب ويضفي عليها درجة من المشروعية، إن الحضارات كيانات هادفة تتفق مع الطريقة التي يرى بها الناس الواقع ويعايشونه"[1].

فالمقال الذي نشره هنتنجتون عن صدام الحضارات وطوره في كتابه: "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" يؤكد فيه هنتنجتون أن الهويات لا يمكن أن تحل مكان بعضها مع بعض، وإنما سنشهد عالماً متعدد الحضارات، مختلف الهويات والثقافات، وإن العودة إلى إحياء تلك الثقافات والهويات داخل الحضارات الواحدة، وبين الحضارات سينتج عنه نوع من الصراع والصدام، لأن تلك الاختلافات الحضارية حقيقية وليست وهمية، وإن الناس سيموتون من أجل الدفاع عن قيمهم وهوياتهم مما يخلق مجالا للنزاعات والحروب والعنف، وبعد أن انتهت الصراعات الإيديولوجية، فإن الصراعات الإثنية والحضارية ستحل محلها.

"لا يقول هذا المقال إن الهويات الحضارية ستحل محل الهويات الأخرى، وإن الدول والأمم، وإن كل حضارة ستصبح كيانا سياسيا متماسكا موحدا، وإن المجموعات داخل حضارة ما لن تتنازع أو لن تحارب بعضها بعضا، إن هذه الورقة تطرح فروضا عن أن الخلافات بين الحضارات حقيقية ومهمة وإن الوعي بالحضارة آخذ في التزايد، وإن النزاع بين الحضارات سيحل محل الأشكال الإيديولوجية وغيرها للنزاع باعتباره الشكل العالمي المهيمن للنزاع، وأن العلاقات الدولية التي كانت تاريخيا مباراة يتم لعبها داخل الحضارة الغربية، سيتم نزع طابعها الغربي بصورة متزايدة، وتغدو مباراة تكون فيها الحضارات غير الغربية قوى فاعلة وليس مجرد مفعول به"[2].

فبعد أن انتهى الصراع الإيديولوجي لصالح القوى الليبرالية وانتصار الغرب على العدو الشيوعي، وظهور عالم متعدد الأقطاب والحضارات، والذي أصبحت فيه الثقافة هي المشكّل الرئيس للعلاقات والسياسات الدولية، أصبحت الرموز التي تعبّر عن الهوية تدخل في الحسبان في صراعات الأمم والشعوب، بالإضافة إلى عناصرها الجوهرية، وعن هذه الرموز يقول هنتنجتون إنه:

"في عالم ما بعد الحرب الباردة أصبحت الأعلام تدخل في الحساب توضع في الاعتبار، وكذلك رموز الهوية الأخرى مثل الصليب والهلال حتى غطاء الرأس، لأن الثقافة لها أهميتها ولأن الهوية الثقافية هي الأكثر أهمية بالنسبة لمعظم الناس"[3].

لقد عادت الأهمية إلى الثقافة بما تحمله من موروث، يعود للغة والدين والتاريخ والعادات وغيرها وانطلاقا من هذا الموروث يعرّف الناس أنفسهم، ويعرّفون الآخر، وهم يكتشفون هويات جديدة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص 87.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 40.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 36.

وفق تلك الهويات القديمة، وهذا يعني أن الهوية ليست معطى ثابتاً غير قابل للتغير، فلا زالت وستبقى الهوية ذات أهمية كبرى في أعين الشعوب والحضارات، وقد تكون سببا في الصدام الحضاري إذا أحست بخطر ما على وجودها، حيث "يرى هنتنجتون أن الهوية الثقافية تكتسب المزيد من الأهمية...ويعتبر الفروق الأساسية سببا أوليا لصدام الحضارات"[1].

وهذه هي الفكرة الأساسية التي تدور حولها أطروحة صدام الحضارات، حيث اعتبر هنتنجتون أن الحضارات الثماني المشكلة لعالم اليوم هي أهم التجمعات العالمية، وهي في صدام مع الغرب الذي يريد فرض قيمه الحضارية، مما جعلها تعود إلى إحياء هويتها الثقافية في عملية عكسية لما يقوم به الغرب، حيث "تنحو الخطابات حول التنوع الثقافي منحى معاكسا لأطروحة "صدام الحضارات" التي طورها هنتنجتون في مجلة (Foreign affairs) سنة (1993) ثم في كتاب سنة (1996) الموت للإيديولوجيا للفكرة القومية وللشرخ بين الأغنياء والفقراء، ففي نزاعات القرن الحادي والعشرين ستحل الثقافة الدور المركزي وبالأخص البعد الديني، فالشروخ ستسير في خط الصدع بين سبعة أو ثمانية كيانات ثقافية كبرى"[2].

لقد زال التقسيم الحضاري على أسس الإيديولوجيا، والشمال والجنوب، والأغنياء والفقراء، ولقد أصبحت الثقافة هي أساس الانتماءات والتقسيمات الحضارية، وعلى أساسها تحدد التفاعلات والتحالفات والصدامات والصراعات، وهو ما فرضه عالم ما بعد الحرب الباردة.

حيث "تقدم فرضية هنتنجتون ورؤيته لصراع الحضارات على أن الثقافة أو الهوية الثقافية الحضارية والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة"[3].

ولقد حددت الثقافة العلاقات بين الحضارات، سواء أكانت اقتصادية أو سياسية، وأصبحت تقوم على الأبعاد الهوياتية والثقافية، وعلى هذا الأساس اعتقد هنتنجتون أن عالم ما بعد الحرب الباردة مقسم إلى ثماني حضارات مختلفة ثقافيا وحضاريا، معتمدا في ذلك معيار الدين، حيث "يرى هنتنجتون أن نهاية الحرب الباردة (بين المعسكرين الغربي الرأسمالي والشرقي الشيوعي) هي بداية حرب بين حضارات ثمانية...وقال: "إن أساس صراع الحضارات هو الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة

1- جودت سعيد وعبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية، قراءات وتعليقات على مقالين صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، دمشق، دار الفكر، ط1، 1996، ص 24.

2- أزمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، ط1، 2008، ص191.

3- المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، دمشق، دار الفكر، ط1 2010، ص ص 66_67.

...الهويات الثقافية هويات حضارية، وهي التي تشكل أنماط التماسك، الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة"[1].

والثقافة الغربية بالنسبة إلى هنتنجتون، لها ما يميزها عن غيرها، فهي ثقافة قامت على التحديث وبالتالي فهي الرائدة في مجال التحديث والتغيير، إن الحداثة الغربية هي التي قادت الغرب إلى القوة والتفوق والسيطرة، وعلى الثقافات أن تحتذي هذا النموذج إذا أرادت أن تصل إلى ما وصل إليه الغرب، وإن الحداثة هي التي جعلت من الغرب وقيمه عالمية وكونية، يقول هنتنجتون: "على اعتبار أن الغرب هو أول حضارة تعرف التحديث، فإنه أول من اكتسب بشكل كامل ثقافة الحداثة...إن الثقافة الغربية ستصبح ثقافة كونية"[2].

واعتقاد كونية الغرب وقيمه، هو الذي قاد إلى صدام الحضارات، كذلك أن إعادة تشكيل السياسة الكونية على أسس ثقافية وظهور نظام دولي جديد وفق معطيات العولمة، ودخول الثقافة كلاعب أساسي في العلاقات الدولية، كل ذلك جعل من أطروحة هنتنجتون تجد المبررات على واقعيتها، إننا نشهد العودة إلى الأديان والهويات المحلية، كما نشهد نموا ديمغرافيا كبيرا، وتغيراً في معطيات العلم والتكنولوجيا، ووسائل الاتصال.

ولقد حدد هنتنجتون ملامح مستقبل العلاقات الدولية بين الحضارات والشعوب والأمم، من خلال الحوار الذي أجرته معه صحيفة دي فيلت الألمانية حيث جاء فيه: "تقوم نظريتكم في صراع الحضارات على فرضية أن السياسة الدولية، أو سياسة العولمة في عصرنا الحالي تتحدد ملامحها من خلال الصراع الرهيب بين الحضارات المختلفة، والأديان المتعددة هل ترى أن نظريتك أسيء استخدامها وتم استغلالها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001؟ وهلا قمت اليوم بتعديل نظريتكم حول صدام الحضارات؟

_ صموئيل هنتنجتون: حسبما أعتقد فإن العلاقات بين دول العالم في السنوات القادمة على أقصى تقدير سوف تشهد تغيرا في طبيعتها، حيث إنها سوف تعكس ارتباط كل دولة بثقافتها والصلات والتناقضات الثقافية لكل دولة على حدة، أكثر من قدرتها على عكس ظروف أو أحوال أخرى، فمن الواضح تمام الوضوح أن القوة سوف تؤدي من الآن فصاعدا الدور المركزي في السياسة العالمية كما هو الحال دائما، إلا أنه من المعتاد أن تندلع الحروب والصراعات بين أمور أخرى غير ذلك...

فما هي بؤر الصراع خلال العقد القادم؟

1- محمد علي صالح، هل ظلم العرب صموئيل هنتنجتون؟، جريدة الشرق الأوسط، عدد 10999، 08 يناير 2009.

2- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص 182_ 183.

لا زلت أرى أن الهوية الثقافية والتناقضات والانتماءات لثقافة دون أخرى، لن تلعب دورا فقط بالنسبة للعلاقات بين الدول، بل إنها سوف تكون صاحبة الدور الأهم والأكثر حيوية في تلك العلاقات"[1].

ووفق هذا الحوار مع هنتنجتون فإنه يمكن أن نفهم أنه لا يزال يدافع عن أطروحته، كما أنه يؤكد أن الهوية الثقافية، والانتماءات الثقافية ستحدد بشكل كبير العلاقات بين الدول والحضارات كما أن القوة ستحدد دور الحضارات وسيطرتها، وسيشهد العالم صراعات حضارية وإثنية بين جماعات لا تنتمي لنفس الحضارة، أو أنها تنتمي لنفس الحضارة، إلا أنها مختلفة هوياتيا، كما سيشهد المستقبل عودة الدين كقوة محركة لكثير من الصراعات في العالم، لأن "الدين قوة مركزية، وربما كانت هي القوة الرئيسية التي تعبئ الناس وتدفعهم...تقسيم العالم القائم على الحرب الباردة قد انتهى، وانقسامات البشرية على أساس العرق والدين والحضارة تظل كما هي وتفرخ صراعات جديدة"[2].

والدين قد يحدد هوية البشر بدرجة كبيرة، ويكون له دور التوحيد الهوياتي أو الصراع والإختلاف، ولكن الدين واللغة والتاريخ المشترك، تكون هي الركائز الأساسية لأي هوية خاصة في زمن العولمة واتساع التفاعلات والعلاقات التجارية والاقتصادية بين الشعوب والأمم، ومن المنطقي أن هذه العلاقات التجارية ستحمل معها قيماً ومؤسسات غريبة عن الهوية، مما يؤدي إلى تلاقح الثقافات والحضارات، إلا أن أصول الهوية الثقافية تكون دائما هي المرجع، وهي الجذور التي تقوم عليها أي حضارة.

"فالناس يحددون هويتهم بما هم ليسوا عليه، وحيث إن التطور في وسائل الاتصال والتجارة والانتقال يزيد من العلاقات المتبادلة والمتداخلة بين الحضارات، فإن الناس يضفون وثاقة أكبر على هويتهم الحضارية"[3].

فكل حضارة تحتمي بأصولها الثقافية أمام رياح الحضارات الأخرى مخافة أن تقتلعها، وكل حضارة ترى أن العدو الذي يهدد هويتها، إما أن يكون قادماً من الداخل أو الخارج، وكما يعتقد الأمريكيون، أن العدو الخارجي يهدد ثقافتهم وهويتهم مما يجعلهم يعودون لإحياء هذه الهوية، وهذا هو معنى التجديد الداخلي للحضارة والثقافة، وبما أن للحضارة هذه القدرة، فإن الغرب يعتقد بخلود حضارته، "وسوف يشكل الفهم الجديد لخطر الهجوم الخارجي على أمريكا وتأثير التفاعلات الشديدة في أمريكا بين أقوام من ثقافات وديانات مختلفة الهوية الأمريكية بشكل حاسم، وقد تحث هذه التأثيرات الخارجية الأمريكيين على إعادة اكتشاف وإحياء هويتهم الدينية التاريخية وثقافتهم الأنغلوبروتستانتية"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، حوار مع صحيفة (دي فيلت) الألمانية، نقلها وائل الأجهوري: **www.medad.com** .

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 110.

3- المصدر نفسه، ص ص 111_ 112.

4- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 299.

إن وهم العدو الخارجي نجده في المخيال الغربي، إنه خطر وضرورة في نفس الوقت، فهو خطر على الحضارة الغربية، لأنه يهدد مصالحها ووجودها، وضروري لأنه يدفعها إلى التمسك بهويتها وإحيائها من الداخل والتجدد، وبالتالي تقويتها والمحافظة على الحضارة الغربية، إن الآخر ضروري لوجود الأنا، لأنه على أساسه تتحدد هويتي ووجودي وشخصيتي "فأية هوية تتطلب آخر ما"[1].

وبعد أن أدرك الغرب خطر العدو الخارجي منذ الحرب الباردة، سعى إلى إيجاد عدو بديل بعد انهيار المعسكر الشيوعي، هذا العدو البديل تصوره الغرب في حضارتين هما الحضارة الإسلامية والصينية، وبدأ في تحدي هاتين الحضارتين، مما دفع الغرب إلى أن يعيد تعريف هويته، بغية التمسك بها والدفاع عنها، خاصة وأن هذه الحضارات قد ارتكزت في يقظتها على الدين، الذي يخالف عقيدة الغرب وديانته، إن العدو الخارجي _كما ذكرنا سابقا_ مهم بالنسبة إلى الغربيين، لأنه يدفعهم الى التمسك بهويتهم وحضارتهم، ولقد عرفت الهوية الأمريكية منعطفا جديدا في هذا القرن من حيث التشكل والأهمية، وهو ما يؤكده هنتنجتون بقوله: "بدأت الهوية الأمريكية مرحلة جديدة مع القرن الجديد وتتشكل أهميتها وجوهرها في هذه المرحلة بقابلية أمريكا للخطر أمام الهجوم الخارجي، وانعطاف جديد إلى الدين، يقظة كبيرة في أمريكا توازن انبعاث الدين في معظم أرجاء العالم"[2].

إن افتراض عدو أو خلق عدو يساعد على التمسك بالهوية وتقويتها، وفق النظرة الأمريكية، ولقد عدّ الغرب الإسلام هو العدو القديم الجديد بعد زوال الشيوعية أو العدو الأحمر، وأصبح العدو الأخضر أو الإسلام هو الذي يجب أن تقف ضده قوى الغرب، وإن اعتبار الإسلام هو العدو يدعو الأمريكيين إلى إعادة تعريف هويتهم بلغة جديدة ألا وهي لغة الدين، يقول هنتنجتون: "فعدائية المسلمين تشجع الأمريكيين على تعريف هويتهم بلغة دينية وثقافية، مثلما عززت الحرب الباردة تعريفات تلك الهوية بلغة سياسية وعقائدية"[3].

ففكرة وجود عدو بقدر ما تدفع إلى العودة إلى الذات والتمسك بالهوية، بقدر ما تعزز العلاقات بين البشر الذين ينتمون إلى نفس الثقافة، مما يزيدهم وعيا بالانتماء وبالمصير المشترك، ويوقظ فيهم الرغبة في العيش المشترك، أما إذا كان هناك تعدد إثني فإنه يجعل الثقافة والهوية أكثر تمزقا، وقد يقودها ذلك إلى التفكك.

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 305.

2- المصدر نفسه، ص 339.

3- المصدر نفسه، ص 360.

"والناس ينتمون إلى أولئك الذين يشبهونهم، وأولئك الذين يشاركونهم في الوعي الإثني المشترك والدين والتقاليد وأسطورة الأصل المشترك والتاريخ المشترك، وقد كشف هذا التشظي في الهوية بالولايات المتحدة عن نفسه في ظهور التعدد الثقافي والوعي العرقي والإثني والجنوسي"[1].

وكما ذكر هنتنجتون أن مستويات الهوية متعددة، فهناك المستوى الأعلى، وهناك المستوى الأدنى، ويمكن للهوية أن تتوسع وتضيق، على حسب المكونات والانتماءات، فقد ينتمي الأفراد إلى نفس الحضارة والثقافة والهوية، مهما باعدت بينهم المسافات إذا كانوا يحملون نفس الدين واللغة والتاريخ والعادات، وعليه فإن الهوية تجاوزت المفهوم القومي لتشمل المفهوم الحضاري والثقافي، كما لها القدرة على التغير والتبدل في سيرورتها التاريخية.

"وقد توازى هذا التحقيق في الهويات في كل حال بتوسع الهوية، بينما بدأ الشعب يتفاعل على نحو متزايد مع شعوب أخرى ذات ثقافات وحضارات مختلفة جدا، وفي الوقت نفسه هو قادر عبر وسائل الاتصال الحديثة على الانتماء إلى شعب بعيد جغرافيا، ولكنه ذو لغة أو دين أو ثقافة مماثلة وقد كان بروز الهوية الأوسع ما فوق القومية أكثر وضوحا في أوروبا، وبروزها هناك يؤكد على تدقيق الهويات المتزامن"[2].

وعلى سبيل المثال، يتكلم هنتنجتون عن الهوية الأمريكية، التي انبنت على عدة مكونات تاريخية وخصائص تراثية، ولم يكن من عناصرها الرقعة الجغرافية، وهو ما يميزها عن غيرها من الهويات التي ارتبطت دائما بالأرض أو ببقعة مقدسة، وهنا يقول هنتنجتون عن الهوية الأمريكية أن "الهوية الأمريكية تمتلك مكونات كثيرة وتاريخيا لم تكن الأرض إحداها...غالبا ما ارتبطت الهوية الوطنية بجزء محدد من الأرض لدى شعوب العالم أجمع، فقد ارتبطت بأمكنة ذات أهمية تاريخية أو ثقافية"[3].

وإن التكوين الحضاري يشارك في بروز أو اختفاء أو موت الهويات، فالهوية الأمريكية لم تُبنَ على الإثنية مثلما نجد في كثير من الحضارات، لأنها محدودة وضيقة، وليست مثل الدين أو العرق اللذين يعرفان توسعا وانتشارا، ويحظيان بقيمة هوياتية لدى الأمم والشعوب، وعليه كانت "الإثنية مسألة محدودة أكثر من الدين أو العرق، ومع ذلك أدت تاريخيا دورا مركزيا في تعريف الهوية الأمريكية أيضا، يعود تاريخ الهوية الأمريكية كمجتمع متعدد الإثنيات إلى الحرب العالمية الثانية، وإلى حد ما كان نتيجة لها"[4].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 29.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 62.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 69_ 70.

وإن من خصائص الهويات الحية أنها متفتحة وليست مغلقة، بمعنى أنها تقبل التلاقح الحضاري بين الهويات، وأنها من ذلك لا تعرف الثبات، إنها ليست نهائية فهي دائمة التشكل، ولا بد من الوعي حتى تشعر بكيانها ووجودها، وإن من الهوية القومية من بين مستويات الهوية تتكون وتزول، كما أنها تقوى وتضعف، ولكل شعب نظرته لهذه الهوية القومية، كما أنها تتغير مع تغير معطيات الزمن "فهوية الأمم ليست ثابتة ودائمة، وليس الشعور القومي قوة مهيمنة على كل شيء آخر باستمرار توجد أمة ما فقط عندما تفكر مجموعة من الناس بنفسها أنها أمة، فالهويات القومية مثل غيرها من الهويات تبنى وتفكك، تمجد وتحتقر، وتقدر شعوب مختلفة الهوية القومية بشكل مختلف مقارنة بهوياتها الأخرى، وبروز الهوية القومية النسبي فيما يتعلق بأي شعب يتغير مع مرور الزمن"[1].

لقد شهد القرن الماضي الذي عرف بعصر القوميات، بزوغ وبروز هويات وموت هويات كما أنه عصر شهد صراعاً بين القوميات المختلفة، وبدأت الدول الأمم تحدد انتماءاتها القومية وفقا للمعطيات الثقافية والحضارية، وبدأت القوميات في البناء الحضاري واعتبرت قوميات أعلى من أخرى حيث يعتقد الأمريكيون أن الهوية القومية الخاصة بهم هي أعلى وأفضل من الباقي.

حيث إن"تطور بروز الهوية القومية منذ القرن السابع عشر إلى نهاية القرن العشرين، مقارنة بالهويات الأخرى عبر أوسع مراحل وفي مرحلة واحدة فقط من هذه المراحل، وضع الأمريكيون هويتهم القومية فوق الهويات الأخرى"[2].

وترتبط الهوية والقومية بمصطلح الأمة، فالأمة من حيث هي تجمع ثقافي غير سياسي، تبنى على أبعاد ثقافية وحضارية تمتد إلى عمق التاريخ، فالأمة عبارة عن جماعة من الناس تربطهم روابط معنوية وتجمع بينهم لغة ودين وتاريخ وعادات ومصير مشترك، أو يجمعهم عنصر من هذه العناصر الأساسية، وبما أن الأمة هي تاريخ قومي لشعب ما، فإن الولايات المتحدة لا تملك مثل هذا التاريخ ولهذا لم تشكل أمة في بداية نشأتها، وفي هذه الأفكار يقول هنتنجتون على لسان أحد علماء الغرب أن "الأمة كما قال بندكت أندرسون جماعة متخيلة، غير أنها بتحديد أكثر هي جماعة في الذاكرة جماعة ذات تاريخ متخيل وتعرف بذاكرتها التاريخية، لا توجد أمة في غياب تاريخ قومي، يدّخر في عقول شعبها ذكريات مشتركة عن آلامها وانتصاراتها...ووفقا لهذا المعيار لم تكن الولايات المتحدة أمة في القسم الأكبر من القرن التاسع عشر، لأنها لا تمتلك تاريخا قوميا"[3].

وبعد أن عرف القرن الماضي ظهور وبروز الهويات الثقافية على مستوى عالمي، فإن القرن الحالي قد شهد انحسار النزعة القومية وتراجعها، بل وتآكل الهويات القومية، لقد أدى التنوع الثقافي

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 117.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 125.

والتعدد الحضاري إلى إعادة بناء العلاقات الحضارية بين الأمم والشعوب على مستوى أعلى من القومية، ألا وهو الهوية الثقافية والحضارية، "ولتآكل الهوية القومية هذا في العقود الأخيرة من القرن العشرين أربعة مظاهر رئيسية: شعبية عقائد التعددية الثقافي والتنوع بين بعض العناصر النخبوية والمصالح الخاصة التي ارتقت بالهويات العرقية الإثنية الجنوسية، وهويات أخرى فرعية فوق الهوية القومية"[1].

ومن بين العناصر التي تعدّ أساسية في أي قومية أو هوية حضارية، نجد اللغة إضافة إلى الدين، ولقد بنى الألمان قوميتهم على اللغة، وجعلوها بمثابة الروح الذي يسكن في الجسد، إلا أن اللغة تختلف عن الدين من حيث إنها لايمكن أن تكون مصدرا للنزاع أو الصدام أو الحروب، كما تفعل الأديان والأعراق، إن اللغة رابط فكري معنوي بين أفراد الأمة التي يتكلمون بلسان واحد، وهذا يجعلهم يشتركون في نفس الأفكار والمفاهيم عن الوجود والله، فهي بالتالي رابط روحي، تمكّن من يتكلمون نفس اللغة من القدرة على التواصل فيما بينهم والتشارك في الآلام والآمال.

إن "اللغة كما قال **ميغيل دي أونامونو (Miguel de Unamuno)*** "هي دم الروح" وهي أيضا شيئا ما أكثر واقعية إنها أساس الجماعة...تختلف اللغة عن العرق والدين، فغالبا ما اقتتل الناس من مختلف الأعراق، ومختلف الأديان فيما بينهم، ولكن إذا كانوا يتكلمون اللغة نفسها يمكنهم أن يتكلموا معا، ويقرأوا ما يكتبه الآخر، فالأمم...هي جماعة من الناس الذين يتواصلون على نحو أكثر شمولا وتركيزا فيما بينهم أكثر مما يتواصلون مع الناس الآخرين، ودون لغة مشتركة يغدو التواصل صعبا إذا لم يكن مستحيلا وتصبح الأمة ميدانا لمجموعتي لغة أو أكثر، التي يتواصل أفرادها على نحو أكثر تركيزا مع أفراد مجموعتهم من هؤلاء الذين ينتمون إلى المجموعة الأخرى"[2].

إن الهوية تعبّر عن حقيقة المجتمع وأفراده وتطلعاتهم إلى المستقبل، إنها أساس التشارك في المحن والأفراح، إنها الضمير المعبّر عن صوت الأمة، ولهذا سعى الأمريكيون لأن يكونوا هوية تعبّر عن ثقافتهم وحضارتهم في جزئها الأمريكي غير الأوروبي، ولقد بدأ تشكّل الهوية الأمريكية منذ نشأة الولايات المتحدة التي كانت تعاني في بدايتها مشكلة العنصرية، أو وجود قوميات متمايزة، قد تشكل خطرا عليها، وزوال الإثنية جعلها تنطلق نحو البناء، ودمجها للمهاجرين الإسبان الذين أصبحوا يتكلمون نفس اللغة ولهم نفس الثقافة، وبالتالي زالت الفروقات العرقية داخل المجتمع الأمريكي، ولقد لخص هنتنجتون هذه الأفكار في أربعة ميول كما يسميها، تشكّل مستقبل الهوية الأمريكية في قوله "هناك أربعة ميول في المجتمع الأمريكي تشكل مستقبل جوهر الهوية الأمريكية وعلامتها البارزة.

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 145.

* ميغيل دي أونامونو (1864_1936) فيلسوف إسباني، من أهم كتبه: الإيمان.

[2]– صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص ص 165_ 166.

- الزوال الفعلي للإثنية كمصدر للهوية لدى الأمريكيين البيض.
- تلاشي الفروق العرقية البطيء، وزوال علامة من الهويات العرقية البارزة.
- تنامي عدد وتأثير المجموعات ذات الأصل الإسباني والميل باتجاه أمريكا ثنائية الثقافة واللغة.
- الهوة بين سمة الهوية القومية البارزة لدى نخب كثيرة، وعلاماتها البارزة لدى العامة جميعا"[1].

لقد بدأ طرح مشكلة الهوية الأمريكية في رأي هنتنجتون منذ التأسيس، وازداد هذا الطرح في الصراع الحضاري الجديد، حيث عرفت الولايات المتحدة تعدداً هوياتياً بداخلها، كما أنها واجهت تعدداً حضارياً عالمياً دفعها إلى تحديد هويتها وتمايزها عن الحضارات، وهو ما تلخصه الأسئلة التي تعبّر عن حقيقة الهوية الأمريكية، والتي طرحها المجتمع الأمريكي ويطرحها هنتنجتون نيابة عنه، والتي جاءت في قوله: "نحن الأمريكيين نواجه مشكلة حقيقية في الهوية الوطنية، يلخصها موضوع هذه الجملة، هل نحن "نحن" شعب واحد أم عدة شعوب؟ وإذا كنا نحن "نحن" فما الذي يميزنا عن "هم" الذين ليسوا "نحن" العرق، الدين، الإثنية، القيم الثقافية، الثروة السياسية أم ماذا؟"[2].

ومن التساؤل عن تكّون الهوية الداخلية، ينتقل هنتنجتون إلى الطرح العالمي للهوية الأمريكية من خلال وضع قيم الحضارة الغربية موضع تساؤل، هل هذه القيم التي جاءت بها الحضارة الغربية قيم صالحة لأن تسود جميع الحضارات وبالتالي تصبح عالمية؟ هل المحلية تقضي على الحضارة وهل الوصول إلى عالمية القيم يعني خلود الحضارة التي أنتجتها؟ هل الولايات المتحدة لها هوية فعلية بما أنها أسست على موروث أوروبي، هل يمكن الفصل داخل الهوية الغربية بين ما هو أوروبي وأمريكي، وبالتالي هل تشكل أمريكا أمة؟ هل هناك تعدد ثقافي داخل أمريكا أم أن لها ثقافة واحدة؟ وهل التعدد قوة أم هل هو ضعف؟

لقد زاد طرح هذه الأسئلة الحاسمة وغيرها بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 التي أيقظت المجتمع الأمريكي، ودفعته ليفكر في هويته ومصيره الحضاري، وجاء موقف مفكري الغرب، ومنهم هنتنجتون ليتساءلوا أولا، ثم ليضعوا الإجابات التي تجعل الغرب يجدد ثقافته وحضارته بما أنه يملك القدرة على النقد الذاتي ثانيا، ولقد حدد هنتنجتون هذه الأسئلة كالتالي:

"هل الولايات المتحدة كما جادل بعضهم "أمة عالمية" تقوم على قيم مشتركة لدى كل الإنسانية ومن حيث المبدأ تضم كل الشعوب؟ أو هل نحن أمة غربية بهويتنا التي يعرفها ميراثنا ومؤسساتنا الأوروبية؟ أو هل نحن فريدون بحضارة مميزة خاصة بنا؟ هل نحن أساسا مجموعة سياسية توجد هويتها

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 299.

[2]- المصدر نفسه، ص 25.

فقط في عقد إجتماعي...؟ هل نحن ذوو ثقافة متعددة أو ذوو ثقافة ثنائية أو ذوو ثقافة واحدة؟...هل نملك أية هوية ذات معنى كأمة تتجاوز هويتها القومية الثانوية والإثنية والعرقية والدينية؟ تبقى هذه الأسئلة للأمريكيين في حقبة ما بعد 11 أيلول"[1].

هذه الأسئلة الكثيرة التي تخص الهوية الأمريكية، والتي تضعها موضع التفكير، هي التي تبنى عليها السياسة الأمريكية في الداخل والخارج، وتضع الغرب في وضع الاستمرار أو الاضمحلال، ولقد عرفت الهوية الأمريكية مراحل من الصراع والتوكيد، حيث ظهرت فيها نزعات تدعو إلى التنوع والتعدد الثقافي، والتي هوجمت من أنصار الوحدة الثقافية والشمولية الحضارية، كما أنها طرحت سؤالاً مهمّاً وهو (من نحن؟) إنه سؤال يعني أن أمريكا لم تتحدد بعداً ثقافياً وهوياتياً، لقد تحددت من جهة المصالح كما حددت من يشاركها في المصالح، لكنها لم تحدد هويتها بعد، وفي كل الأحوال فإن الأسئلة السابقة التي مست الهوية الأمريكية هي "أسئلة ذات مضامين عميقة للمجتمع الأمريكي والسياسة الأمريكية في الداخل والخارج، ففي التسعينيات إنشغل الأمريكيون بـ...نزعة تعدد الثقافات والتنوع...والتأكيد على كل هذه القضايا هو سؤال الهوية الوطنية، فالمصالح الوطنية تشتق من الهوية الوطنية، وعلينا أن نعرف من نحن قبل أن نتمكن من معرفة ما هي مصالحنا"[2].

إن سعي أمريكا لتوكيد مصالحها في العالم وهيمنتها الاقتصادية، جعلها تتغاضى عن تحديد هويتها الثقافية، مما جعلها بلداً ممزقاً ثقافياً، كما أن المبادئ التي تدّعي أمريكا أنها هي التي تحدد بعض عناصر هويتها، ليست مقومات حقيقية للهوية في الحضارات الأخرى، ولهذا نجدها تسعى لنشر تلك المبادئ أو القيم، لتعطي المشروعية لوجودها الذي يفتقد إلى هوية ثقافية مثل باقي الحضارات وعلى أمريكا أن تعيد تشكيل السياسة الكونية الثقافية وفق نظرتها لمبادئها ومقوماتها الحضارية، و"إذا جرى تعريف الهوية الأمريكية بمجموعة مبادئ، الحرية والديمقراطية الشاملة فيفترض عندئذ أن يكون ترويج هذه المبادئ في البلدان الأخرى هو الهدف الأول للسياسة الأمريكية الخارجية"[3].

وعلى الولايات المتحدة أن تبني روابط ثقافية حضارية مع من يشاركها في نفس القيم والمبادئ ألا وهي أوروبا، فهما يشتركان في نفس الميراث اليهودي المسيحي، كما يرى برنارد لويس، لكن لأمريكا هوية داخلية متميزة، وما عليها إلا أن تحدد هويتها الخارجية بالمصالح الاقتصادية والسياسية في العالم.

و"إذا عرفت الولايات المتحدة على أساس ميراثها الثقافي الأوروبي كبلد غربي، فيجب عندئذ أن توجه إنتباهها إلى تقوية روابطها بأوروبا الغربية...إذا لم تكن لا الثقافة الإسبانية، ولا الأوروبية هي

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 25.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 26.

المركزية في الهوية الأمريكية، فيفترض بأمريكا أن تتابع سياسة خارجية متحررة من الروابط الثقافية بالبلدان الأخرى، وتولد تعاريف أخرى للهوية الوطنية من مصالح وطنية وأولويات سياسية مختلفة والصراع على ما يجب أن نفعل في الخارج، فتجذر في الصراعات على حقيقة من نحن في الوطن"[1].

فأمريكا خارجيا كانت تعرف نفسها بالنسبة إلى الآخر الذي يمثل قوى الشر والرجعية، والذي كان في السابق الاتحاد السوفياتي، أما اليوم فلقد بحث الغرب عن عدو جديد يحدد من خلاله ذاته فلم يجد إلا الإسلام والكونفوشيوسية، لأن هاتين الحضارتين قد حددتا هويتهما بمبادئ تخالف مبادئ الغرب وقيمه، بل إنهم أكثر أصالة وهوية من الغرب، الذي يخاف الانهيار والانحلال والزوال أو غزو هذه الحضارات.

"فنهاية الحرب الباردة جرّدت أمريكا من إمبراطورية الشر، التي استطاعت أن تعرف نفسها ضدها، نحن الأمريكيين لسنا ما كنا، ولم نكن متأكدين مما سنغدو...تاريخيا شمل جوهر الهوية الأمريكية أربعة مكونات رئيسية، العرق والإثنية والثقافة (اللغة والدين بشكل ملحوظ) والإيديولوجيا أمريكا العرقية والإثنية لم تعد موجودة، وأمريكا الثقافية تحت الحصار"[2].

لقد حدد هنتنجتون مصادر الهوية الأمريكية تاريخيا، فوجد أنها العرق والإثنية والهوية الثقافية التي حصرها في الدين واللغة والايدولوجيا، وأكد أن أمريكا العرقية والإثنية قد زالت، أما أمريكا الثقافية فهي محاصرة من باقي الهويات والحضارات، ويعتقد هنتنجتون أن مشكلة الهوية الأمريكية فريدة من نوعها، لأنها لم تطرح في أي ثقافة في السابق، رغم أن أمريكا ليست الوحيدة التي عانت مشكلة وأزمة هوية، فكل الأمم مرت بمشكلات الهوية، فالأفراد في نقاش دائم حول مكوناتهم الهوياتية، كما أنهم بذلك يعيدون تعريف هويتهم من خلال المشتركات الثقافية والحضارية بينهم، وفي نفس الوقت ما يميزهم عن غيرهم، ومن خلال من نحن ومن هم تتحدد معالم هوية أي أمة.

إن أزمات الهوية في العالم ظاهرة تشمل كل الأمم، كما أنها مختلفة من أمة إلى أخرى بحسب المعطيات الثقافية والحضارية لكل أمة، كما أن أزمة الهوية في زمن العولمة يختلف عنه في الماضي حيث تغيرت المعطيات الاقتصادية والتكنولوجية والاتصالات والنمو السكاني والانفتاح السياسي على الديمقراطية، وظهور نظام عالمي جديد، ومنظمات عالمية جديدة وغيرها، ومنه "لقد أصبحت أزمات الهوية الوطنية ظاهرة عالمية...تتنوع أزمات الهوية...في الشكل والجوهر والشدة، ودون شك لكل أزمة أسبابها الفريدة...وتتضمن الأسباب العامة لهذه البحوث والتساؤلات ظهور اقتصاد عالمي، وتحسينات

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 26.

[2]- المصدر نفسه، ص 27.

هائلة في الاتصالات والنقل وارتفاع مستويات الهجرة والتوسع العالمي للديمقراطية، ونهاية كل من الحرب الباردة والشيوعية السوفياتية كنظام اقتصادي وسياسي قابل للنمو"[1].

يشهد العالم اليوم ظهور اقتصاد عالمي جديد، مما جعل كثيراً من الدول تعيد تحديد انتماءاتها وهوياتها، بالمقابل نجد عودة الدين بقوة، حيث أصبح يشكل من جديد تعبيرا عن الهوية، بل لقد شهد هذا القرن إعادة تشكيل الهوية وفق معطيات الدين، وأصبحت الأمم تحدد على أساس ديني وحتى هنتنجتون في نظريته حول صدام الحضارات وتقسيمه للحضارات، فإنه انطلق من منطلقات دينية وعليه "يظل القرن الواحد والعشرون كقرن للدين في كل مكان، عمليا فالناس يعودون للدين للراحة والهداية والعزاء والهوية...وقد ظهرت حركات قوية في كثير من البلدان تحاول تعريف هوية بلدانهم بمصطلحات دينية"[2].

ولقد اعتبر هنتنجتون الدين عنصراً مركزياً في الهوية الأمريكية، وبما أن العالم يعيد تشكيل العلاقات والثقافات على أسس دينية، فإن الأمريكيين بدورهم يعودون إلى دينهم وهويتهم الدينية، ويرى هنتنجتون أن أمريكا تأسست لأسباب دينية، وعليه هناك من يرى أننا نشهد في الحقيقة صدام أديان لا حضارات بمعناها الأوسع، فالدين عنصر جوهري في جميع الحضارات والهويات، وكذلك بالنسبة إلى الغرب وأمريكا.

وإن الثقافة الأمريكية ثقافة متميزة، فإلي جانب الدين الذي يعد مركزياً في الهوية الأمريكية، فإن الأمريكيين يعرفون بتمسكهم بثقافتهم التي بنيت على خصائص متميزة، كالديمقراطية وحقوق الإنسان والقانون وغيرها، وكل هذه المحددات الهوياتية والثقافية هي ما يجعل أمريكا أمة وحضارة، ليست كباقي الحضارات، "إن الأمريكيين أناس يعرفهم ويوحدهم التزامهم بالميثاق الأمريكي الذي تتجسد فيه مبادئ الحرية، المساواة، الديمقراطية، الفردية، حقوق الإنسان، سلطة القانون، الملكية الخاصة...هذه هي الصفة المميزة لأمريكا كأمة"[3].

ويعتقد هنتنجتون أن من قدر أمريكا أن تكون المركز وباقي الحضارات الهامش، إنها هي التي تصنع الإيديولوجي وليس لها إيدولوجيا، وإن الأمة الأمريكية التي تتميز بثقافتها وهويتها بنيت على مبادئ _كما ذكرنا سابقا_ وليس على المبادئ المتعارف عليها في قيام الأمم، ألا وهي العرق أو الإثنية، واحترام هذه المبادئ في حد ذاته يعد هوية، وهي بالتالي تريد لهذه المبادئ أن تكون عالمية والنتيجة عالمية الهوية والحضارة الغربية.

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص ص 28_ 29.
2- المصدر نفسه، ص ص 30_31.
3- المصدر نفسه، ص 60.

"إن الأمريكيين أمتهم بخلاف الأمم الأخرى، عرّفت هويتها بالمبادئ بدلا من النسب، وفي الوقت نفسه الادعاء بأن أمريكا هي أمة عالمية لأن مبادئها قابلة للتطبيق في كل المجتمعات الإنسانية"[1].

ومن هنا فإن الطريقة التي يعرّف بها الأمريكيون أنفسهم قد حددت دورهم في عالم متعدد الحضارات كما أنها تدفعهم إلى تشكيل هويتهم في مقابل الهويات الأخرى، إلا أن هنتنجتون يطرح قضية أمريكا وباقي العالم، الذي ناقشها في عدة كتب ومقالات، كمقاله: "الغرب وبقية العالم"، بثلاثة تصورات، وهذه التصورات تقوم على، أولا: أن أمريكا تستطيع أن تكون عالمية بحضارتها وقيمها، وأن تفرض وتهيمن على الباقي، لأن مبادئ هويتها لم تُبنَ على العصبية والعنصرية والعرق، بل إنها مبادئ عالمية وتحمل قيماً كونية، وثانيا: تستطيع أمريكا أن تنفتح على باقي الثقافات والحضارات، وثالثا: تستطيع أمريكا أن تحافظ على قيمها وثقافتها وهويتها دون انفتاح ولا هيمنة.

وقد جاء ذلك في قوله: "إن طريقة تعريف الأمريكيين أنفسهم تحدد دورهم في العالم...ويشكل الهوية الأمريكية...توجد ثلاثة تصورات عريضة لأمريكا فيما يتعلق ببقية العالم، يستطيع الأمريكيون احتواء العالم، أي أن يفتحوا بلدهم للشعوب والثقافات الأخرى، أو يستطيعون محاولة إعادة تشكيل تلك الشعوب والثقافات الأخرى بلغة القيم الأمريكية، أو قد يحافظون على مجتمعهم وحضارتهم متميزة عن تلك الشعوب الأخرى"[2].

إلا أن المفكرين الغربيين وعلى رأسهم هنتنجتون يعتبرون فكرة الانفتاح خطراً على الهوية والثقافة والحضارة الغربية، فما على أمريكا والغرب إلا السعي لنشر القيم الغربية، مع ضرورة المحافظة على وحدة الغرب، وأن تبقى الحضارة الغربية دائما في الريادة متميزة وقوية ومهيمنة، إلا أن هذا الطرح يحتم القبول بصدام حضاري مع باقي الحضارات المنافسة لحضارة الغرب وقيمه، وكما يقول النقاد لنظرية صدام الحضارات، إنها نظرية بنيت على افتراض الصدام الحتمي للثقافات والهويات الثقافية وأن هذه الأخيرة لها دور كبير في علاقات التفكك والتماسك داخل الثقافة والحضارة الواحدة، وعليه فإن "الافتراض الأساسي في خطاب صدام الحضارات هو أن الثقافة، أو الهوية الثقافية الحضارية والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة"[3].

إن ما يفترض صدام الحضارات والثقافات، هو محاولة الهيمنة الغربية على النظام العالمي باستخدام المؤسسات العالمية والدولية، وعليه فإن الغرب يريد تشكيل عالم ما بعد الحرب الباردة وفق التصور الغربي وقيم الغرب، مما يعني الهيمنة والكونية والمركزية، "كما هو الحال في صدام

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 61.

2- المصدر نفسه، ص 364.

3- مفتاح محمد عبد العزيز، صدام الثقافات وتفاعل الحضارات، ليبيا، مجلس الثقافة العام، (د ط)، 2008، ص 17.

الحضارات فإنه من الممكن أن يحدث صدام بين الثقافات، وخاصة في ظل العولمة، والنظام العالمي الجديد بعد أن تم للدول الغربية وأمريكا تحقيق حلمها في الهيمنة الرأسمالية على اقتصاديات العالم عن طريق العديد من المنظمات الدولية"[1].

ويعود هنتنجتون مرة أخرى، ليؤكد أن إشكالية الهوية إشكالية جميع الأمم والشعوب منذ القديم منذ حضارة اليونان والرومان، حيث كان اليونان يحددون الآخر على أنه البربري، أي ضد الحضارة وحامل لواء الهمجية والتخلف، كما أن التحديد الداخلي للهوية كان بتقسيم المجتمع إلى سادة وعبيد فالعبد ليس له هوية بما أنه تابع وأنه يعرف بسيده، وكانت هذه ترمز للهوية الداخلية، وفي العصور الوسطى كانت أوروبا تحدد هويتها من خلال الآخر الممثل في الإسلام والعرب، حتى العصور الحديثة، وظهور الاستعمار أين أصبحت الهوية تحدد بشرق وغرب، وعليه و"منذ اليونان والرومان والمواطن يتعرف على هويته من خلال العبد داخليا والبرابرة خارجيا، أما في القرون الوسطى فلقد كان الإسلام أو العرب هو الآخر الذي تتعرف من خلاله أوروبا المسيحية على نفسها، أما في العصر الحديث...فإن ثنائية شرق/غرب أصبحت تحكم حديث الأوروبي عن نفسه"[2].

وبمجرد أن انتهت الحرب الباردة، وبدأت التكتلات الثقافية تتشكل، بدأ الناس يعودون إلى ثقافاتهم وحضاراتهم، ويعودون إلى قيمهم ومبادئهم لتحديد هويتهم، التي تعرف بهم وتميزهم عن غيرهم وتضعهم في مجموعات حضارية لها قيمها ومبادئها، ولها ماضيها ومستقبلها الهوياتي والحضاري وهذا ما أدى بكثير من الشعوب لأن تكتشف هوياتها، وتعيد بالتالي تحديدها وتجديدها والتمسك بها بل لقد أصبحت من الرموز والقضايا التي تمس الشخصية مباشرة، ولا يسمح بالتنازل عنها أو مس كيانها، وبدا وكأن الأمم والشعوب مستعدة للدفاع عن هوياتها الثقافية والحضارية، حتى وإن اضطرها ذلك إلى الدخول في نزاعات وحروب من أجلها، ومن هذا "يجادل هنتنجتون في صدام الحضارات أن البشر في حقبة ما بعد الحرب الباردة، أخذوا يكتشفون من جديد هوياتهم الثقافية، التي تعني لهم أكثر بكثير مما يعنيه أي شيء آخر... ويتخوف الكاتب من أن تؤدي الاصطفاءات الجديدة استنادا إلى الانتماءات الحضارية إلى اندلاع حروب بين الأعداء الحضاريين القدماء...خصوصا أن البشر يبحثون عن هوياتهم الثقافية، ويعيدون الارتباط بالأعراف التي ينتمون إليها، وهم بحاجة إلى أعداء يؤكدون لهم اختلافهم...إن الثقافة والهويات الثقافية أي الحضارات بالمفهوم الأوسع ستتشكل أنماط الصراع والصدام والتفكك في حقبة ما بعد الحرب الباردة"[3].

---

[1]– محمد الشبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 2002، ص 82.

[2]– محمد عابد الجابري، بدلا من صراع الحضارات توازن المصالح: **www.aljabriabad.net** .

[3]– فخري صالح، صموئيل هنتنجتون، هل من المحتم أن تتصادم الحضارات؟ مجلة العربي الكويتية، أول يوليو 2009، **www.arabphilosophers.com** .

والخلاصة أن الحروب اليوم هي حروب بين الهويات، وإنها حروب ثقافية حضارية، بعد أن زالت الحروب الإيديولوجية، إنها حروب تقوم على العناصر الجوهرية المكوّنة للهوية، وإننا نشهد فعلا صداما حضاريا حتميا غير قابل للحل، وإنه ميزة العصر، بعد أن اختفت كثير من الصراعات العرقية والإثنية، حيث "لم تعد الحروب حروب إيديولوجية، بل حروب هويات ثقافية وأنساق حضارية، والذي يحدد الهوية الحضارية هي مجموعة عوامل أهمها اللغة والدين والتاريخ والأعراف الاجتماعية"[1].

فالهوية شيئ مركزي في كل ثقافة وحضارة، انها المعبر الفعلي عن حقيقة كل أمة، وتصوراتها للماضي والحاضر والمستقبل، حيث تشارك في تحقيق التواصل بين افرادها، وتحافظ على التفاعل، وبالتالي الاشتراك في الآمال والآلام، ان هوية الأمة هي سر بقائها واستمرارها، خاصة اذا كانت هذه الأمة لا تعاني من تصدعات وتفككات اثنية بداخلها.

[1]– الطيب بوعزة، من نحن؟ قراءة في إجابة هنتنجتون عن سؤال الهوية الأمريكية، مجلة المعرفة، 2008/01/12.

خاتمة

إن الحضارت كيانات ثقافية، بل هي الشكل الأرفع والأعلى المعبّر عن الهويات الثقافية التي على أساسها تختلف وتتمايز الحضارات، وأن عالم ما بعد الحرب الباردة قد رسم معالم نظام عالمي جديد تكون للثقافة وعلاقات القربى الثقافية فيه هي المحدد للانتماء، وهي المحدد لمختلف العلاقات بين الحضارات، ولقد أتاح التراجع الحضاري لكثير من الأمم وانهيار المعسكر الشيوعي بزوغ فجر الحضارة الغربية، وهيمنة الغرب على العالم، وكان من نتائج زوال الثنائية القطبية، ظهور الأحادية القطبية، ممثلة في الغرب وحضارته، ونتيجة لما وصل إليه الغرب اعتقد بأنه يمكن أن يصير الحضارة العالمية والكونية الوحيدة في غرور سراب الخلود، مما قاده ذلك إلى أن ينظر إلى قيمه وثقافته نظرة كلية مطلقة، تعبّر عن الانتصار والتفوق، وهذا ما دفعه إلى أن يجعل منها النموذج الذي يجب أن تحتذيه باقي الحضارات، وأن يجعل من هذا البراديغيم المشكّل لمركزية حضارته، صالحاً لكل زمان ومكان، فأصيب الغرب بوهم الكونية، وبدأ في غزو باقي الحضارات التي تعد بالنسبة إليه هامشا، فأعيد تشكيل السياسة الكونية من جديد، وظهر عالم متعدد الحضارات والأقطاب، وهذا خلق نوعاً من الصدام الكوني بين الحضارات.

ونتيجة لمحاولة الغرب فرض قيمه التي يعتقد بأنها عالمية، قامت باقي الحضارات بالاحتماء بقيمها وثقافاتها وهوياتها، فذلك الاختراق الثقافي الغربي ولّد لها وعي الهوية، فنجد شعوبها تسعى للتمسك بقيمها في مقابل قيم الغرب التي وصفت بأنها سامة وقاتلة، إلا أن النخب في تلك الحضارات قد حدث لها صراع فكري ثقافي على مستوى الفكر والواقع، متمثلا في الوقوع في أزمة هوية، والتي تكمن في مأزق الاختيار بين النموذج الغربي الذي يعني التقدم والتطور واللحاق بركب الحضارة الغربية، أو العودة إلى الأصول والتمسك بها، من أجل مقاومة الغزو الغربي الذي يريد أن يقضي على الهويات المحلية من أجل عولمة حضارته وقيمه التي لا تتوافق مع باقي القيم الحضارية لباقي الحضارات، فكان أن ظهرت مواقف تنادي بضرورة الأخذ بالتحديث الغربي دون التغريب، ونتجت في كثير من الأحيان صراعات وصدامات ونزاعات داخل تلك الحضارات.

فالصدام بين الحضارات، سواء داخل الحضارة الواحدة، أو بين الحضارات الكبرى ما هو إلا تعبير عن تغير السياسة الثقافية الكونية، وظهور لاعب جديد في العلاقات الدولية، ألا وهو الثقافة. وعليه يمكن أن نقول بأن الصدام هو صدام ثقافات وهويات، وليس حضارات، خاصة وأن أكبر ما وظف للتعبير عن هذا الصدام هو الدين، فهل حقيقة أننا نشهد نهاية جميع الصراعات لصالح صدام الحضارات؟ وهل الصدام ضرورة حتمية؟ وبين من يكون الصدام؟

وهو ما سنعرفه في الفصل التالي.

الفصل الثالث

الحضارات ومآلات الصدام

مقدمة

المبحث الأول: الإسلام والغرب آفاق الصدام

المبحث الثاني: صدام الحضارات بين العولمة ونهاية التاريخ

المبحث الثالث: صدام الحضارات والنظام العالمي الجديد

المبحث الرابع: في نقد أطروحة صدام الحضارات

خاتمة

الفصل الثاني: الحضارات ومآلات الصدام.

مقدمة:

لمختلف الحضارات مكونات وعناصر منها الجوهرية ومنها العرضية، شاركت في ظهورها ونموها وتطورها، وانتقالها من مرحلة الى أخرى، وهذا يصدق على جميع الحضارات، بما فيها حضارة الغرب التي بنيت على مكونات أوروبية، وهي المكونات التي شاركت في ظهور الغرب الأمريكي ولهذا يرى علماء الحضارات أن الغرب بمعناه الواسع له جناحان: الجناح الأوروبي والجناح الأمريكي وهذه المكونات التي تعد بالنسبة إلى الحضارة الغربية القاعدة والأساس هي: المسيحية الكاثوليكية والقانون الروماني، والعقلانية الإغريقية، ولقد بدأ الغرب بمفهومه الحديث في التكون منذ العصور الوسطى وما يذكره علماء الغرب أنه بدأ منذ سنة 1300 للميلاد، ولو أن الكثير يرى في الغرب مفهوما غامضا أمثال روجيه غارودي، لأن الغرب حدث عارض، أما بالنسبة إلى هنتنجتون فهو يرى بأن الغرب هو حقوق الإنسان، واقتصاد السوق، والتقنية، والديمقراطية والليبرالية، والفصل بين الدين والدولة والتسامح.

وهذه في الحقيقة لا تعبّر عن جوهر الحضارة بل عن أعراضها، وهو ما يجعل الغرب في وضع البناء غير المؤسس، ويعرضه بالتالي إلى الانحلال والزوال على خلاف باقي الحضارات التي أُسست على عناصر جوهرية ثابتة في حضاراتها، ورغم ما يصيبها من تغيرات إلا أنها تبقى ثابتة لا يمكن أن تزول، وهذا ما يعرف بالتجدد الحضاري، ومنه فلها فرص العودة والرجوع وهو ما أدركه الغرب، حيث لاحظ الاختلاف بين حضارته وباقي الحضارات في المكونات، كما لاحظ قوة تلك الحضارات الروحية والثقافية وهو ما تفتقده حضارته، ونظر بالتالي إلى تلك الحضارات على أنها تشكل تحديا حقيقيا له ولحضارته وقيمه، فأراد بأطروحة نهاية التاريخ أن يعبّر لهذه الحضارات على أنه يمثل نهاية التطور الحضاري في سلم الحضارات الإنسانية، وأن الغرب بحضارته وقيمه مهيمن ومسيطر، وأنه من يصنع التاريخ والسياسة العالمية، والنظام العالمي، فأراد أن يموضع باقي الحضارات على هامش مركزيته ويعلن بعد نهاية التاريخ الصدام مع كل حضارة تشكل تهديدا وتحديا فعليا له.

ومن هذه الحضارات على وجه الخصوص نجد الحضارة الصينية والإسلامية، حيث يعتبرهما الغرب العدو الجديد بعد أن زال العدو القديم الممثل في الشيوعية، ولإدراكه خطر هاتين الحضارتين بدأ في خلق جو عالمي من التوتر والصدام، حتى يمنع من قيام تلك الحضارات وعقد تحالفا محتملا بينهما، لأن عالم ما بعد الحرب الباردة فرض تعددا حضاريا، وصعود قوى جديدة تسعى إلى خلق عالم متوازن سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا، وراح الغرب يشكل تكتلات تقوم في أساسها على هدف الحفاظ على هيمنته وسيطرته، وخاصة الحفاظ على مصالحه الإستراتيجية في عالم يشهد تعدد الأقطاب، وبروز الثقافة كلاعب جديد في العلاقات الدولية، والملاحظ أن الغرب بدأ في تآكل وتصدع حضاري داخلي مما زاد شدة التهديد والتحدي، فهل يمكن أن يقاوم الغرب تحدي الحضارات؟ وهل

يمكن أن يتصادم الإسلام مع الغرب؟ وهل أحداث 11 سبتمبر 2001 تعتبر تبشيرا بالصدام بين الاسلام والغرب؟ كيف يمكن أن نعتبر نهاية التاريخ هو بداية للصدام بين الحضارات؟ وهل العولمة مقدمة لهذا الصدام؟

المبحث الأول: الإسلام والغرب آفاق الصدام:

لقد وضع هنتنجتون أطروحة صدام الحضارات، بعد أن رأى بأن السياسة العالمية سيعاد تشكيلها، بعد انهيار المعسكر الشرقي والاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، فلم يعد الصراع صراعاً إيديولوجياً تحدد فيه الانتماءات وفق السؤال الأساسي مع من أنت؟ بل لقد انتقل العالم إلى مرحلة جديدة وتاريخ جديد، فبعد انتصار الليبرالية لم ينته التاريخ، كما كان يعتقد فوكوياما، بل إننا نشهد بداية تاريخ جديد ستحدد فيه العلاقات وفق لاعبين جدد في السياسية العالمية، وسيكون الدور الأساسي في هذه السياسة هو الانتماء الحضاري والثقافي والهوياتي، وسيتغير السؤال من مع من أنت؟ إلى من نحن؟ ومن هم؟

فما يهم الشعوب اليوم ليس شؤون الاقتصاد ولا شؤون السياسة، بل الانتماءات الحضارية المبنية على الانتماء الإثني والعرقي، وستشهد الحضارات ذات الهويات الواحدة تقارباً، والمختلفة الهويات تباعدا، كما سنشهد اختفاء الدولة القومية، وظهور نوع جديد من الصراع إنه الصراع بين الحضارات، وسيكون للدين الدور الأساسي في تحديد الانتماءات والصراعات، وأن هذه الصراعات لا تقبل الحوار والحلول الوسطى، ويرى هنتنجتون أن انتهاء الحرب الباردة، جعل الغرب يعتقد بأنه انتصر، وأن قيمه المتمثلة في الليبرالية قد انتصرت، وأنها الشكل النهائي لأنواع الحكم في العالم وبالتالي فقد عبّرت قيم الغرب عن تفوقها وعالميتها وكونيتها، وإن من يريد التحديث عليه أن يأخذ بهذه القيم، بل وإن من يقف ضدها فهو يقف ضد الحضارة والتطور، ويدعو بالتالي إلى الرجعية والتخلف.

إن تطور الغرب وفق أفكار هنتنجتون يثبت بأنه بني على وجود عدو، وبالتالي ذهب الفكر الغربي للبحث عن عدو، ليصل إلى أن العدو الحالي ضد الحضارة الغربية، هما الصين ممثلة بالدين الكونفوشيوسي والإسلام، فالإسلام هو العدو الأكبر للقيم والحضارة الغربية، وأن هناك تقارباً بين الدول الإسلامية، وقد بدأ ذلك بالتعاون فيما بينها اقتصادياً، كما أن الإسلام يعتبر القوة البشرية الأولى، وفي كتابه: "الإسلام والغرب" يقول هنتنجتون عن دور الثقافة والدين: "وتشكل الثقافة والدين أيضا أساس منظمة التعاون الاقتصادي، التي تضم عشر دول إسلامية غير غربية"[1].

هذا هو موقف الغرب من الإسلام، إنه بالنسبة إليه الخطر الذي يجب مواجهته، ويجب عدم ترك الدول الإسلامية تمتلك وسائل القوة كأسلحة الدمار الشامل، أما العدو الثاني فيتمثل في الصين وديانتها الكونفوشيوسية، وكذلك البوذية، وهذه الأديان ستتحالف ضد الديانة المسيحية واليهودية، وما

[1]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص ص 18 _ 19.

على الغرب إلا أن يمنع هذه الحضارات من امتلاك القوة ووسائلها، خاصة الإسلام، "وقد تنبأ هنتنجتون بمستقبل يتحد فيه الإسلام بالبوذية في الشرق، في مواجهة المسيحية واليهودية في الغرب وقد يكون الهدف هو إبعاد المسلمين عن الأخذ بأسباب القوة في الغرب"[1].

وفي تاريخ الحضارتين الغربية والإسلامية يرى هنتنجتون أن الصراع بينهما قديم، وأن الحضارة الإسلامية أرادت أن تتوسع في مرحلة ما من مراحلها على حساب الغرب، كما أنها حملت وتحمل عداءً شديدا للديانة المسيحية واليهودية، فالدين هو العلامة الفارقة والمميزة للحضارتين، بل ولكل الحضارات، وأن الشعوب في هاتين الحضارتين كانت تعود إلى الدين لتحتمي به من أي اختراق حضاري إلا أن الإسلام كان أكثر عنفا وهمجية في رده على الغرب وحضارته وقيمه، ولهذا اتخذ الغرب الإسلام بالمقابل عدوا، ونشأت الدراسات الاستشراقية التي تدرس الحضارة الإسلامية، ليس من أجل الاستفادة منها، ولكن من أجل مواجهتها ومحاربتها، إن الهوة التي تفصل حضارة الغرب عن الحضارة الإسلامية هو الدين، الذي أصبح سببا في الصراع بين الحضارتين، "ويدور الصراع على طول حد الهوة الفاصلة بين الحضارتين الغربية والإسلامية منذ 1300 عام"[2].

وكما يرى هنتنجتون، فإن العالم بدأ في التشكل من جديد، حيث نلاحظ تراجع القوة الغربية أمام صعود حضارات أخرى وتوازن القوى في عالم اليوم، فبعد أن تحررت الدول من الاستعمار التقليدي بدأت تتشكل العلاقات بين الدول وفق معطيات الهوية والثقافة، وأصبحت الشعوب تتقارب وفق هذه المعطيات الجديدة، ولم تعد المصالح الاقتصادية ولا الانتماءات الإيديولوجية هي الأساس بل الانتماء الحضاري، ووظفت كل الأفكار والطرق لتوحيد الأمم، منها الأمة العربية التي ظهرت فيها النزعة القومية، ثم التيار الديني اللذان أرادا إحياء أمجاد هذه الأمة ومواجهة الحضارة الغربية عن طريق التمسك باللغة والدين، وإذا "بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الغرب بدوره في التقهقر، واختفت القوى الاستعمارية، وفي البداية أعلنت القومية العربية عن نفسها ثم تلتها الأصولية الإسلامية"[3].

وبما أن الحضارة الإسلامية والصينية تعدان أكبر تحدٍ للغرب، فإن هنتنجتون يحذر من النمو المتصاعد للاقتصاد الصيني والنمو السكاني المتزايد للمسلمين، ورغم الاختلافات الثقافية والحضارية بين هاتين الحضارتين، إلا أن هنتنجتون يتوقع تحالفا بينهما ضد الغرب ومصالحه وقيمه وحضارته فعلى الغرب أن يقف في وجه المد الكونفوشيوسي الإسلامي، وأن يقاوم كل محاولة لزرع قيم تخالف قيم الغرب، التي يرى فيها أنها قيم إنسانية، وما عداها فهي قيم ضد الإنسان والإنسانية، إن ما يوحد الحضارتين ويجعلهما متحالفتين هو الهيمنة الغربية والإمبريالية التي يريدها الغرب، حيث "حذّر

[1]- حسن حنفي وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 25.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص ص 22 _ 23.

[3]- المصدر نفسه، ص 24.

هنتنجتون من قيام تحد كونفوشي _إسلامي مشترك للغرب، من غير أن يستبعد وقوع صدام كونفوشي_إسلامي... ويبرر هنتنجتون مخاوفه هذه، من أن العداء للغرب يجمع بين الإسلام والكونفوشية، الأمر الذي يشكل تحديا خطرا للحضارة الغربية ولقيمها الإنسانية"[1].

إن ماضي العلاقة بين الحضارة الإسلامية والغربية، يشهد على أنهما كانتا في صراعات، والسبب يعود إلى الاختلافات الثقافية والدينية، حيث نجد كل حضارة تعتقد بأنها الأصلح، وأن قيمها هي التي تمثل القيم العالمية المطلقة التي يجب أن تسود جميع المجتمعات، وأن الدين الذي تتبناه كل حضارة دين عالمي ومن الواجب السعي في نشره والقضاء على كل ما يخالفه، وبالتالي فالعلاقة بين الغرب والإسلام هي علاقة تنافس حضاري تاريخي، وأن كل حضارة تجتهد في الدفاع عن خصوصياتها وهويتها، مما يشحن الشعوب المنتمية إليها، ويؤجج النزاعات العرقية على طول خطوط التقسيم الحضاري، كما يسميها هنتنجتون، "ومن غير المرجح أن يتراجع هذا التفاعل العسكري الدائر منذ قرنين بين الغرب والإسلام، وقد يصبح أكثر قسوة"[2].

ويمكن أن نلاحظ مظاهر الصراع بين الغرب والإسلام في داخل الدول الإسلامية، حيث تسعى قوى داخل هذه الدول في تبيان أن قيم الغرب كالديمقراطية والليبرالية، تناقض القيم التي جاء بها الإسلام، وأن الغرب لا يسعى من وراء نشر قيمه إلا القضاء على الدين الإسلامي، وتحقيق الهيمنة المطلقة، بل إنه يعتقد وفق منظومته الفكرية أنه بفعله يدافع عن القيم الإنسانية ضد النظم التوتاليتارية والتي تقود إلى العنف والإرهاب ومنها الإسلام، وعلى هذا يسميها بالحرب المقدسة، والحرب ضد قوى الشر، والحرب ضد البرابرة والهمجيين، إن الغرب باسم الدين يبحث عن مبررات هيمنته وإمبرياليته فباسم حماية العالم الحر، يتدخل في الشؤون السياسية للدول، وإن العالم الإسلامي يقوم برد فعل ضد كل محاولة إختراق ثقافي حضاري غربي ما ينتج صراعا بين الحضارات، وإن المطالبة بنظام عالمي جديد، تقوم فيه العلاقات بين الدول والشعوب والحضارات على مبدأ العدل، يقاومه الغرب الذي أبدع نظاما عالميا لا يخدم إلا جهة واحدة، ألا وهي جهة الحضارة الغربية، ومن خلال ذلك نجد "في العالم العربي تسبب الديمقراطية الغربية في تعزيز وتقوية القوى السياسية المناهضة للغرب...وعلى كلا الجانبين ينظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب، على أنه أكثر من صراع بين الحضارات، ويشير الكاتب الإسلامي الهندي **أم جي أكبر** إلى أن "المواجهة القادمة للغرب، تتجه بلا ريب لتأتي من العالم الإسلامي، فمن حركة المد الإسلامي من المغرب حتى باكستان سيبدأ الصراع من أجل نظام عالمي جديد"[3].

1- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 155.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 24.

3- المصدر نفسه، ص ص 25 _ 26.

ما خلق رد فعل لدى الغرب، حيث عاد الغرب إلى الذات ليؤسس عالميته، وسعى بكل الطرق لتبيان أن الثقافة والحضارة الغربية متفردة وقيمها عالمية، وما على الحضارات الأخرى إلا أن تتبع قيمه، كما أن الغرب أبدع التحديث، وهذه الحضارات أخذت بالتحديث الغربي، مما يعني أن قيم الغرب هي الأصلح، حيث يقول هنتنجتون: "في السنوات الأخيرة أعاد الغربيون الثقة لذواتهم، وأثاروا غضب الآخرين بإعلانهم فكرة هي أن الثقافة الغربية يجب أن تكون ثقافة العالم"[1].

إن العداء للغرب من طرف الحضارات الأخرى، كالحضارة الإسلامية عداء تاريخي، كما يعتقد هنتنجتون وباستعراض تاريخ الحضارة الإسلامية، نجد أنها حضارة بنيت على دين كان يحارب باقي العقائد والأديان بما فيها المسيحية الغربية، ويعتقد الإسلام أنه دين عالمي، مما دفعه إلى أن يستخدم العنف في إقناع غير المسلمين بالدخول فيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى، دخل في صراعات دامية مع معتنقي الدين المسيحي، كما حدث في البوسنة وسراييفو، ولكن ما يجب قوله هنا، إن المسلمين لم يدخلوا في صراع عنيف ضد المسيحيين، بل إنهم هم من مورس عليهم العنف والتقتيل، والتصفية العرقية، لأن أوروبا كانت تخشى الشبح الإسلامي من أن ينتشر في أرضها وبين دولها، وبالتالي يهدد هويتها وقيمها، وبهذا يرى مفكرو الغرب، أن أوروبا لن ترضى بوجود مجموعات بشرية مسلمة في قلب الحضارة الغربية، لأنها ستكون سببا في تصدع الغرب وأفوله، "وتاريخيا كان التفاعل المعادي مع الحضارة العربية الإسلامية يدور مع الأرواحيين والوثنيين، والآن بشكل متزايد مع الشعوب المسيحية...وعلى حدود الإسلام الشمالية، تزايد تفجر الصراع بين الأرثوذكس والمسلمين، بما في ذلك مذبحة البوسنة وسراييفو "[2].

ومن خلال تلك المجازر التي ارتكبها الأرثوذكس ضد المسلمين تحت صمت الغرب، بل وإقراره، كانت تصفية عرقية للمسلمين في الحضارة التي تدعي الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان إنها مجازر سيشهد لها التاريخ، أنها ارتكبت باسم دين يدعي معتنقوه أنه دين التسامح، ومن خلال ذلك بيّن أنصار هذا الدين في صورة الضحية، والإسلام هو الجلاد، لدرجة أن وصل الأمر بمفكريهم وعلى رأسهم هنتنجتون أن يقولوا إن "الإسلام تحده حدود دموية"[3].

ولقد شاعت فكرة أن الإسلام انتشر بالسيف والدم، في كل الدراسات الاستشراقية الحاقدة على الإسلام وحضارته وشعوبه، وهي في الحقيقة الحرب الحضارية التي تستخدم فيها كل الوسائل حتى

1- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 181.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 27.

3- المصدر نفسه، ص 31.

الحرب النفسية، ومن هنا نشأ ذلك الصراع الطويل بين الغرب والإسلام، والذي يضرب بجذوره إلى عمق الحضارتين في القديم والحديث.

و"دائما كانت هناك تفاعلات وتداخلات بين الحضارات وتوسعت بشكل أكبر مع وسائل النقل والإتصالات الحديثة، ولكن معظم الحضارات الكبرى للعالم تتواجد على الأقل منذ ألف سنة...وهذه الحضارات لها سجل تاريخي مؤكد من الإثراء، والتفاعل المتبادل فيما بينها بشكل دعم إمكانياتها الذاتية على البقاء"[1].

إن تفاعل الحضارات حقيقة تاريخية، فلا توجد حضارة في التاريخ إلا ولها تأثير في الباقي كما أنها تتأثر بمختلف الحضارات، التي سبقتها أو التي تتواجد معها، ولا ينكر أي مفكر ذلك التفاعل الذي حدث في التاريخ بين مختلف الحضارات، هذا التفاعل هو الذي يجعل من كل حضارة تستفيد من منتجات الآخرين، بما لا يتعارض وأصولها، كما يدعم التمسك بهذه الأصول الحضارية، وهو ما يساعد الحضارة على التجدد والبقاء والاستمرار، كما لا يخفي التاريخ ذلك الصراع الذي حدث بين مختلف الحضارات، وحتى داخل الحضارة الواحدة، وكان منطلق معظم الصراعات هو الدين والإثنية ويعتقد هنتنجتون، أن الإسلام قد دخل في صدام وصراع مع كثير من الأديان، كالهندوسية والمسيحية الأرثوذوكسية، حيث يعود إلى تواجده في آسيا ليبرهن على أنه دين دموي عندما يقول: "ويضرب صراع الحضارات بجذوره بعمق في مكان آخر في آسيا، ويعلن الصدام التاريخي بين المسلمين والهندوس"[2].

ثم يعلل هنتنجتون سبب العنف الإسلامي، وهمجيته عندما يرى أن الإسلام كان الحضارة المهيمنة والعالمية، تصدّر الحضارات مدة طويلة من الزمن، ووصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأصبح القوة العظمى الأولى، خصوصا بعد انهيار الامبراطوريات التي شكلت العالم القديم وانهيار الحضارات المنافسة له، والمتمثلة في حضارة الفرس والروم، وبعد انتشاره في الأرض، اعتقد المسلمون أنهم الأمة الأكثر حضارة، وباقي الأمم أقرب إلى الهمجية والبربرية، وإيمانا بدينهم وبعالميته حاول المسلمون أن ينشروا مبادئ الدين الإسلامي وقيمه، معتبرينها القيم التي يجب أن تسود، وبما أن التاريخ يعيد نفسه بشكل أو بآخر، فقد عادت نفس الأفكار ولكن مع حضارة أخرى، ألا وهي حضارة الغرب، بل وهو نفس الاعتقاد في مختلف الحضارات، لكن الحضارة الإسلامية فقدت هيمنتها وعالميتها، ما جعل المسلمين يتراجعون حضاريا، وبزغ فجر الحضارة الغربية، فاعتقد المسلمون أن حضارتهم في خطر، حيث قاوموا هذه الحضارة وقيمها بكل الطرق، وبناء على ذلك "فثمة سبب وجيه

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص ص 189 _ 190.

2- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 29.

بالفعل للتساؤل والقلق وحتى للغضب، فقد كان العالم الإسلامي لقرون عديدة متصدرا للحضارة البشرية ومنجزاتها، ومن وجهة نظر المسلمين، كان الإسلام نفسه يشكل في الواقع تخوم الحضارة، فوراء حدوده لم يكن هنالك إلا البرابرة والكفار، وقد تمتعت بهذا التصور عن الذات غالبية الحضارات"[1].

وكما اعتبرت الحضارة الغربية هي الخطر على الحضارة الإسلامية اعتبر الدين المسيحي منافسا للدين الإسلامي، وأن القوة التي يمتلكها العالم المسيحي بدأت تتفوق على الدين الإسلامي، وهنا بدأ الصراع الذي يسميه الكثير بصراع الأديان لا صراع الحضارات، إن الدين جوهري في كل حضارة، فهو يعد أساس الهوية وأساس التعبئة الشعبية، لأنه وفق أطروحة هنتنجتون، فالناس لم تعد تهمهم قضايا الاقتصاد والسياسة، بقدر ما تهمهم قضايا الثقافة والدين، وعلى أساس هذين الأخيرين حددت الانتماءات وانقسمت الحضارات، وبنيت العلاقات، التي أصبحت بين دول القربى علاقات هوياتية بالدرجة الأولى، أما موقف الغرب من الإسلام كدين فتلخص في قول برنارد لويس: "أما العالم المسيحي، فقد كانت له أهمية خاصة لا ريب فيها، إذ أنه يشكل المنافس الجدي للإسلام كدين عالمي قوة عالمية"[2]

ولمنع عودة الإسلام، يسعى الغرب إلى الهيمنة على اقتصاديات مختلف دوله، كما أنه يمنع قيام دولة مركز تقود المسلمين إلى الوحدة الحضارية، ومن جهة أخرى، فإن الغرب يذكي الصراعات الطائفية والعرقية داخل الحضارة الإسلامية، إنه يقوم بفعل التفكيك الداخلي للإسلام مع حروب الدعاية الإعلامية وتصويره الدين الإسلامي على أنه دين الإرهاب، وأن معتنقيه متطرفون وأصوليون ورجعيون بل وصل الحد إلى وصفهم بالبرابرة والهمجيين، وبما أن المسلمين في صراعات داخلية فإن الغرب يخشى أن يتوحد المسلمون، لينقلوا صراعاتهم إلى المستوى الأكبر، ويصبح الصراع صراعاً بين الحضارات، إنه صراع بين الغرب والإسلام، أو حتى بين الإسلام والباقي، فالإسلام دين دموي، إنه يحمل العنف في ثناياه، وتكوينه الحضاري، ولا يمكن أن يتخلص من ذلك، لقد انتقل العالم من الحرب الباردة إلى حروب المسلمين فيما بينهم، والتي يمكن أن تتحول إلى حرب حضارية بين الإسلام وباقي الحضارات، "إن حروب المسلمين حلت بدلا من الحرب الباردة، وهذه الحروب المدنية والصراعات المحلية بين الدول، وهذه المستويات جميعا من شأنها أن تتحول إلى صراع كبير بين الحضارات بين

1- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط، ترجمة عماد شيخة، دمشق، دار الرأي ط1، 2006، ص 12.

2- المرجع نفسه، ص 13.

الإسلام والغرب، أو بين الإسلام والآخرين، ومن المتعذر تفادي ذلك كله، فثمة احتمال أن تنتشر أعمال عنف كهذه بشكل أكبر، وعلى نحو متكرر، وبأنماط مختلفة"[1].

لقد وصلت الحضارة الإسلامية، مثل باقي الحضارات إلى قمة تفوقها وذروة قوتها ومجدها، وربما كانت في وقت ما القوة الوحيدة المنافسة لها هي الصين، إلا أن الصين لا تشكل خطرا حضاريا على الحضارة الإسلامية، رغم أن الإسلام حارب العقائد والأديان التي تعبّر عن الحضارة الصينية، ورغم ذلك لم يقع صدام حضاري، أو ديني بين الحضارتين، وهو ما أقره المستشرق الأمريكي برنارد لويس عندما قال "في ذروة القوة الإسلامية، لم يكن هنالك إلا حضارة واحدة تصح المقارنة بها، سواء من حيث المستوى أو المحتوى وتشكيلة الإنجازات وهي بالطبع الصين"[2].

لكن أكبر تفاعل وصراع حدث بين الإسلام وغيره، كان بين الإسلام والغرب، وهو يضرب بجذوره في التاريخ الحضاري لكل أمة، ويعتقد هنتنجتون أن هذا التفاعل غير مرشح للخمود أو التراجع بل بالعكس، إنه يزداد ويتوسع، وما سينجر عنه سيكون خطرا على الحضارتين، إنها الحرب التقليدية بين الغرب والإسلام، وإن كل حضارة تنظر إلى ذاتها على أنها النموذج الأمثل، وبالتالي يرى هنتنجتون أنه لو وقعت حرب حضارية بينهما، فإنه لا يمكن أن تتوقف لأنها من نوع الحروب التي لا تقبل الحلول ولا الوساطة، ولهذا يسعى كل طرف لامتلاك وسائل القوة بما فيها القوة العسكرية، "إن هذا التفاعل العسكري، الذي يمتد عمره قرونا بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر، بل قد يصبح أكثر خطرا"[3].

والإسلام مقتنع بأنه يمكن أن يمتلك القوة كما كان في السابق، كما أنه مقتنع بحضارته، وأنه الدين والحضارة التي ضمت تحت جناحها أمماً كثيرة مختلفة الأجناس والأعراق، بما أنه رسالة ربانية عالمية، فقد استطاع أن يوحّد شعوبا وقبائل كانت تعيش على غزو بعضها بعضا، وكانت النعرات القبلية بينها مشتعلة، قادتها إلى حروب لم تخمد إلا بمجيء الإسلام، الذي بيّن أن الانتماء للدين أهم من الانتماء للعرق والقبيلة والجنس، فلا عبرة باللون أو اللسان أو الشرف أو الجاه أو غير ذلك، بل العبرة بالتقوى والدين، ومن هنا اكتسب الإسلام القوة التي جعلته رسالة وحضارة عالمية صالحة لكل زمان ومكان، حيث أذاب كل الانتماءات ليبقي على انتماء واحد، ألا وهو الانتماء للدين الإسلامي شريعة وعقيدة، فساد العالم ودخلت الأمم والشعوب فيه أفواجا، وعليه وباعتراف أكبر الحاقدين عليه وعلى رأسهم برنارد لويس، إن الاسلام "أبدع حضارة عالمية متعددة الأعراف والأجناس ودولية، يمكن

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، حروب المسلمين بدلا من الحرب الباردة، بغداد، مجلة الحكمة، عدد 26، أيار 2002 ص78.

[2]- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 13.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، مصدر سابق، ص25

للمرء أن يدعوها عابرة للقارات...لقرون عديدة بدت نظرة العالم للمسلمين ونظرتهم لأنفسهم وطيدة الأساس، لقد مثّل الإسلام القوة العسكرية العظمى على الأرض"[1].

إن الفتوحات الإسلامية، والحروب التي خاضها المسلمون ليس لغريزة فيهم، ألا وهي غريزة الدمار كما يسميها **سيجموند فرويد (Sigmund Freud)*** وإنما لحمل ونقل رسالتهم العالمية وإيصالها إلى جميع الناس، وإن هذا الفعل، هو واجب ديني مقدس، آمن به المسلمون واجتهدوا في فعله، ولقد كانت كل حروبهم تحكمها قيم أخلاقية، وهم ليسوا قوماً متعطشين للدماء كما يصورهم البعض، وفي اعتقاد هنتنجتون فإن حروب المسيحيين حملت نفس النظرة، ونفس الهدف، ونفس الواجب، الذي قامت عليه حروب المسلمين ضد غيرهم، "على الرغم من وجود جذور لحروب المسلمين في أكثر الأسباب عمومية، إلا أن هذه الأسباب لا تتضمن الطبيعة المتأصلة في التعاليم والمعتقدات الحضارية الإسلامية، أو التي في الحضارة المسيحية، والتي يتمكن المتمسكون بها استخدامها لتبرير السلم والحرب على وفق ما يرون"[2].

فلا يمكن أن نفسر الحروب التي قام بها المسلمون على أنها حروب توسعية، من أجل احتلال أراضٍ وضمّها إلى الدولة الإسلامية، ولا من أجل الحصول على الأموال، فالغرض أنبل من ذالك إنه نشر الرسالة الربانية، والمغالطة التي يريد أن يوقعنا فيها هنتنجتون، هي جعل الحروب المسيحية تبشيرا بالدين المسيحي، وأن المسيحيين قاموا في حروبهم بنفس ما قام به المسلمون، إلا أن الاختلاف في الحقيقة واضح بين الديانتين، كما أنه واضح في الهدف والوسائل والغايات وغيرها، فالإسلام مختلف تماما عن المسيحية، رغم أنهما دين سماوي، وهذا الاختلاف جعل برنارد لويس يعترف قائلا "أما الإختلاف الآخر الظاهر بين الإسلام والغرب، فهو في السياسة وبصورة خاصة في الإدارة"[3].

وبناء على هذه الاختلافات بالإضافة إلى اختلافات أخرى جوهرية، يرى هنتنجتون أن ذلك من شأنه أن يخلق خلافات أعمق في الدين والهوية، والقيم والمبادئ، وكذلك في الاقتصاد والسياسة، وحتى حقوق الإنسان، مما يخلق بدوره نوعاً من الصراع الحضاري بين الحضارتين، فالغرب يعتقد أنه يحترم القيم الإنسانية التي أبدعها، كما يعتقد أن الحضارات غير الغربية على عكسه، لا تحترم هذه القيم بالمفهوم الغربي، والواقع أن نظرة الإسلام لحقوق الإنسان تختلف في تصورها لنظرة الغرب، إلا أن ذلك لا يعني أن الإسلام لا يحترم الإنسان وحقوقه، بل إن له منظومة كاملة تعلي من قيمة الإنسان وكرامته وحريته، فليس بالضرورة أن نأخذ بالنظرة الغربية ونطبقها وإلا فنحن ضد الإنسان والإنسانية

1- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 14.

* سيجموند فرويد (1856_1939) طبيب وعالم نفس نمساوي من أهم كتبه: مدخل إلى التحليل النفسي.

2- صموئيل هنتنجتون، حروب المسلمين بدلا من الحرب الباردة، مجلة الحكمة، مصدر سابق، ص78.

3- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 47.

وعليه "إن من شأن الاختلاف في الثقافة والدين أن يتسبب في خلق خلافات حول القضايا السياسية ومن ثم تتفاوت صور الخلاف التي تدور مثلا حول حقوق الإنسان في ضراوتها وأشكالها"[1].

ولقد ظن الغرب فترة طويلة من الزمن، أن صراعاته مع الإسلام وحضارته قد أفضت الى انتصار الغرب وتراجع المد الإسلامي، وحتى وإن افترضنا عودة الاسلام، إلا أنه لن يكون بنفس القوة التي كان بها في الماضي، و"بدا أن الصراع الطويل بين الإسلام والعالم المسيحي، بين الإمبراطوريات الإسلامية وأوروبا قد انتهى بانتصار حاسم للغرب"[2].

لقد آمن الغرب بأن حضارته قد انتصرت، وما زاده إيمانا هو انتصار الليبرالية على الشيوعية أما بالنسبة إلى الإسلام، فإن الصراع التاريخي بين الحضارتين، أو بين الدين المسيحي والإسلام قد انتهى بانتصار الغرب، بعد أن تفككت الحضارة الإسلامية وانقسمت إلى دويلات، ومما زاد ضعف الحضارة الإسلامية هو خضوع معظم دولها للاستعمار، وكذلك الصراعات التي حدثت بين المسلمين أنفسهم مما أضعف حضارتهم، خاصة وأن هذه الصراعات كانت عقدية بمنطلقات سياسية، وبما أن الدين هو أساس الوحدة والقوة، فإن له دوراً كبيراً في تحديد المنتصر والمنهزم، فهو سلاح قوة، كما أنه سلاح ضعف وفرقة، إن "الدين هو على الدوام عنصر رئيسي، وكثيراً ما يكون العنصر الأساسي في تحديد الصراع"[3].

إن الدول الإسلامية تقاوم التغريب، والغرب بدأت قوته تضعف في السيطرة على العالم، وهي كلها معطيات تنبئ أولا بصراع حضاري مرتقب، كما تنذر ثانيا ببداية عالم جديد تتوازن فيه القوى الحضارية، وثالثا إنها البدايات الفعلية لأفول الغرب، كل هذه المعطيات تشجع الحضارات الأخرى على أن تعيد بناء حضاراتها من الداخل، استعدادا للمرحلة المقبلة ومن بين هذه الدول نجد كما قلنا "الهند على حافة اقلاع اقتصادي، والعالم الإسلامي يتزايد عداؤه للغرب، استعداد المجتمعات الأخرى لقبول أوامر الغرب أو التقيد بنصائحه يتبخر بسرعة، وكذلك ثقة الغرب بنفسه وإرادته في السيطرة"[4].

إن ضعف الثقة بالنفس، وسيطرة وهم التفوق من بين أكبر عوامل التقهقر والتصدع الحضاري وعندما تحدث تفاعلات بين الحضارات، وتجد حضارة تريد أن تقصي الأخرى، فإن ذلك يوحي ببداية الصراع، وهو ما يحدث اليوم بين الإسلام والغرب، العالم الإسلامي يشهد اليوم عودة الحضارة والقيم والوحدة والتماسك الهوياتي، وإنه بالتالي سيشكل أكبر تحد للغرب وحضارته، وإن مطالبة المسلمين بنظام دولي جديد هو تحدٍ آخر للغرب، كما أن العالم الإسلامي يعيش اليوم حركية حضارية جديدة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، مصدر سابق، ص 22.

2- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 57.

3- المرجع نفسه، ص 144.

4- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 134.

تنطلق من العودة إلى التمسك بالحضارة الإسلامية، ورفض كل القيم الغربية، وهو ما يعتبره الغرب ومفكروه عداءً للغرب وحضارته، حيث "يعتبر التفاعل بين الإسلام والغرب صدام حضارات، ويلاحظ م.ج. أكبر_ وهو مؤلف هندي مسلم_ أن المواجهة ستأتي حتما من العالم الإسلامي، إن الصراع سيبدأ من أجل نظام دولي جديد، انطلاقا من طغيان الموجة الكاسحة التي تمتد عبر الأمم الإسلامية من المغرب إلى باكستان، وقد توصل برنارد لويس إلى نتيجة مماثلة عندما قال: "إننا نواجه مزاجا وحركة يتجاوزان كثيرا مستوى القضايا والسياسيات والحكومات التي تنتهجها، ولا يقل هذا عن كونه صداما بين الحضارات...ربما غير عقلاني، لكن لاشك في أنه رد فعل تاريخي لخصم قديم لتراثنا اليهودي _المسيحي وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لهما معا"[1].

إن برنارد لويس كمستشرق، يعترف أن الخصم القديم الجديد هو الإسلام، الذي يمتلك منظومة فكرية وقيمية تنافس المنظومة الغربية، وبالتالي فإنه الدين الذي يرفض القيم اليهودية والمسيحية، حينما يعبّر عن تواجده، وحضارته، إن الإسلام لا يأخذ بالعلمانية، ويرفض أن تعولم قيم الغرب، ويحترم خصوصيات باقي الحضارات، وبالتالي فإن برنارد لويس، وصموئيل هنتنجتون يعتبرون رد الفعل الإسلامي على الحضارة الغربية عداء، بينما يرى المسلمون فيما يفعله الغرب محاولة للسيطرة والهيمنة، في كل أبعادها الحضارية والاقتصادية والسياسية، فاعتقاد الغرب بعالمية قيمه، وصلاحيتها لجميع الأمم كالليبرالية والديمقراطية والعلمانية وغيرها، هي مبررات من أجل فرض القوة والسيطرة وعليه كان "الأهم من أي تلك المواضيع النوعية هو تفاقم الشعور بأن جميع هذه الصراعات هي تمظهرات لمشكلة مسيطرة واحدة: الهيمنة الغربية على مجمل العالم الإسلامي"[2].

إن الصراع بين الحضارات لم ينته، فقد كان بين الحضارات في السابق، وهو يشهد اليوم رجوعا، بل إنه لم يتوقف، بل إن الصراعات تظهر وتختفي، كما أنها تكون مرات أكثر حدة، وكل الحضارات عرفت صراعات حضارية، فالمسلمون شهدوا صدامات حضارية داخل حضارتهم، أو بينهم وبين باقي الحضارات، إن "جذور الصراع بين الحضارات عميقة في أماكن أخرى في آسيا، فالصدام التاريخي بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية، لا يتبدى حاليا في الخصومة بين باكستان والهند فحسب، وإنما أيضا في إحتدام الصراع الديني داخل الهند"[3].

وبخلاف التفاعل الإيجابي بين الحضارات، واعتراف الحضارات بمنجزات الأخرى، والسعي للتحالف ضد ما يهدد الإنسان والإنسانية، نجد أن الفكر الغربي والاستشراقي على الخصوص، يدعو إلى فلسفة القطيعة مع الحضارات، خاصة مع الحضارة الإسلامية، على اعتبار أنها حضارة لا تنتج

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 26.

2- برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 144.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 27.

إلا الإرهاب والعنف والأصولية، التي تقف ضد الغرب وقيمه وعالميته، إن العالم الإسلامي محكوم بخلفيات الماضي والضغينة للغرب، لقد زالت الحضارة التي كان العرب والمسلمون يعدون مفاخرها ويعتقدون خلودها وعالميتها، وبعد أن تآكلت حضارتهم وبزغ فجر الحضارة الغربية، وكبرت حضارتها أصبح المسلمون ينظرون إلى هذه الحضارة نظرة مملوءة بالحقد والضغينة، كما جاء على لسان برنارد لويس "إن عبارة القطيعة بين الحضارات ظهرت لأول مرة في مقال كتبه المستشرق برنارد لويس، عام 1990 تحت عنوان الغضب الإسلامي، قائلا إن "الإسلام لا يعطي شيئا ذا نفع، والضغينة تتحول إلى غضب ضد الغرب"[1].

إن موقف الإسلام وحضارته من الغرب وحضارته، ليس مجرد رد فعل عدائي يحمل في طياته الضغينة والكراهية، بل إنه يقوم على الدفاع عن الذات ضد الإمبريالية وضد الهيمنة، إن الإسلام يعتقد بخصوصية كل حضارة، ويحترم التعدد والتنوع الحضاري، ويؤمن بالتفاعل والتدافع الحضاري وفي زمن الازدهار الحضاري الإسلامي، لم تمارس الحضارة الإسلامية فلسفة الإقصاء والعداء لباقي الحضارات، بل أرادت أن تنشر الدين بالطرق الحوارية معتمدة على احترام عقائد كل من رفض الدخول في الدين الجديد، والنماذج على ذلك كثيرة، كما أن التاريخ يشهد أن تمازج الحضارات والاقتباس الحضاري، كان بين الحضارات، بما فيها الحضارة الإسلامية، من منطلق أن الشعوب تستفيد من منتوج الحضارات الأخرى ولا تدعي المطلقية.

"إن الحضارة الإسلامية رغم تنوع أصولها، لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة، بل هي بالأحرى خلق جديد انبعثت فيه هذه العناصر لتكون حضارة جديدة، وذلك بأن انتقلت إلى صور عربية وإسلامية، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل هذه الحضارة"[2].

بينما الغرب في تكوينه الحضاري، كان يعتقد أن ضمان القوة والاستمرارية والعالمية لحضارته تعتمد على إقصاء الآخر والهيمنة عليه في جميع الميادين، وجعله تابعا حتى يتسنى نشر قيمه دون مقاومة، والتمكن من هوية أي أمة أو حضارة، يعني إخضاعها بشكل مطلق، إن فلسفة حتمية وجود عدو هي التي بنيت عليها السياسة الغربية، في محاولتها للسيطرة على العالم، وجعل الحضارة الغربية هي النموذج، وها هو هنتنجتون يعترف بهذه الفلسفة الغربية قائلا: "طرح قائد روماني سؤالا هو "إذا استطعنا أن نحقق انتصارا على أعداء روما، ولم يعد هناك عدو آخر ماذا نفعل؟ جاء الجواب على

1- تيبري ميسان، صدام الحضارات، نقلا عن برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الأوسط مرجع سابق، ص 171.

2- برنارد لويس، العرب في التاريخ، ترجمة بنيه فارس ومحمود يوسف زايد، بيروت، دار العلم للملايين، 1994 ص 192.

لسان (هنتنجتون) نفسه...قائلا: إذا انتهى الأعداء فعلينا أن نلفق أعداءً جددا لماذا؟ لأن التاريخ لا يستطيع أن يسير إلا بوجودهم"[1].

فالغرب يريد أن يجعل من نموذجه هو النموذج الأصلح، وأن يعولم قيمه على أساس أنها القيم التي يجب أن تسود، لأنها أثبتت صلاحيتها، فالديمقراطية الليبرالية على سبيل المثال هي الشكل النهائي لأنواع الحكم التي يجب أن تسود العالم، لأنها ضد الحكم التوتاليتاري، وإن أكبر من يرفض هذه القيم وهذا النوع من الحكم هو الإسلام، لذا نجد أن محاولة نشرها في العالم الإسلامي، يجعل كل القوى تقف في وجه الغرب، لأنها تعلم أن الهدف ليس هو نظام الحكم بقدر ما هو محاولة لضرب القيم والخصوصية لكل أمة، والواقع يؤكد "أن الديمقراطية الغربية في العالم العربي، تعزز القوى السياسية المعادية للغرب، وقد تكون هذه ظاهرة عابرة، لكن لاشك في أنها تعقد العلاقات بين البلدان الإسلامية والغرب"[2].

ومن خلال هذا الرفض، يعتقد مفكرو الغرب أن العلاقات بين الإسلام والغرب، ستزداد تعقيدا لأن الإسلام وحضارته هي الحضارة العصية على الانقياد، وأن الغرب لا يسمع لصوت العقل والحوار وقد أصابه الغرور، إنه لا يؤمن إلا بما ينتجه، ولا يؤمن إلا بقيمه وحضارته، ومن هنا فهو يمارس فلسفة الإقصاء لباقي الحضارات حتى لا تظهر، ولا تشارك في صنع النظام العالمي، لأن كل هذا ليس في مصلحة الغرب وبقاء حضارته، إن مجرد محاولة فرض نمط حضاري معين هو في حد ذاته هيمنة وإقصاء وتهميش، إن الغرب لا يزال يؤمن بأنه المحور، وباقي الحضارات هي الهامش، "إن كل جهد الغرب كان مبذولا لصنع الإيمان بالغرب، وعدم الإيمان بالذات، إنهم يريدون محو كل الحضارات حتى يفرضوا على العالم أنماطهم التي صنعوها"[3].

وكلما زادت الاختلافات الثقافية زادت الاختلافات الاقتصادية، وفي الحرب بين الحضارات تستخدم جميع الوسائل لتحقيق النصر، فرغم أن صدام حسين كما يرى هنتنجتون لا يعبّر عن الإسلام، إلا أنه استطاع أن يحشد الملايين حينما عبّر عن أن الحرب ضد العراق هي حرب ضد الأمة الإسلامية، بل ضد الإسلام، ولهذا يجب أن تقف الدول الإسلامية في صف واحد ضد الغرب وحضارته، فلا يمكن حصر الحرب بين دولة وأخرى، بل إنها بين حضارة وأخرى، وإن كان السبب هو المصالح لا غير، "ويفاقم الاختلاف الثقافي النزاع الاقتصادي، فيدّعي الناس في كل جانب أن الطرف الآخر عنصري...وقد أنكر صدام حسين القومية العربية، حين لجأ إلى الاستنجاد باسم الإسلام وحاول مؤيدوه أن يعرفوا الحرب كحرب بين الحضارات، يقول **سفر الحوالي** عميد كلية الدراسات

---

[1]- طيب تيزيني وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 48.

[2]- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 25.

[3]- علي شريعتي، العودة إلى الذات، القاهرة، الزهراء للنشر، (د ط)، 1986، ص ص 36-37.

الإسلامية في جامعة أم القرى بمكة..."إنها (حرب الخليج) ليست العالم ضد العراق، بل الغرب ضد الإسلام"، وقد دعا الزعيم الإيراني **آية الله علي خامنئي** إلى حرب مقدسة ضد الغرب"[1].

إن وصف بعض القادة المسلمين بالعدو والشر والإمبريالية يؤجج الصراع أكثر، وربما أصبح اليوم الصراع بين الإسلام والغرب أكبر من الصراع بين الغرب وباقي الحضارات، ومن هنا يصف الغرب أن خطوط التقسيم الحضاري التي تفصل الإسلام عن غيره من الحضارات هي خطوط دموية كما أن الإسلام هو أكبر الحضارات التي تمتاز بالعنف والقوة، ولا نجد بؤر الصراعات في العالم بين المجموعات الإثنية أو بين القوميات إلا والإسلام طرف فيها، حيث "يشير هنتنجتون إلى أن الصراع بين الحضارات يتفاوت في حد ذاته، إلا أن التصادم بين الحضارة الإسلامية وباقي الحضارات يتسم بالعنف والدموية، فعلى امتداد الخطوط الفاصلة بين الإسلام والحضارات الأخرى، تدور معارك ضارية وعنيفة ومتعددة"[2].

إلا أن موقف المسلمين من وصف حضارتهم مختلف، فهم يرون فيها الحضارة التي تدافع عن القيم الإنسانية العليا، وأن كل الحضارات استطاعت أن تتعايش مع الحضارة الإسلامية، وأن تقتبس منها، كما يرى المسلمون أن الهجمة الغربية على حضارتهم، والتي ولّدت الصراع مع الغرب لأكبر دليل على اختلاف حضارتهم، وأنها تحمل في ذاتها بوادر تفوقها وعلو قيمها، إن الاعتراف بخصوصيات الحضارات وتمايزها، وقبول عالم متعدد الحضارات والثقافات، هو ما آمن ويؤمن به المسلمون على خلاف الغرب، ومن خلال ذلك "يرى المسلمون بدورهم أن الصدام يوفر دليلا على تمايز حضارتهم واستقلالها عن الغرب، ويضفي عليها درجة من المشروعية، إن الحضارات كيانات هادفة تتفق مع الطريقة التي يرى بها الناس الواقع ويعايشونه"[3].

ورغم أن العالم اليوم متعدد الحضارات ومتنوع الثقافات، وأن كثيراً من الحضارات قامت على الدين، وأنها في خصوصيتها تدافع عن هويتها، كما أنها تحمل منافسة اقتصادية للغرب، إلا أن الغرب يعتبر دائما أن الإسلام هو الخطر الأكبر، وربما ذلك يعود إلى عدة عوامل تاريخية ودينية وثقافية وبالتالي حضارية، وإلى ماضٍ ثقيل بالأحداث بين الاسلام والمسيحية الغربية، "وإن الصراع بين هذه الحضارات التي تتميز برؤية وقيم خاصة بكل منها، هو الذي سيحكم السياسة الدولية، ويشكل المصدر الرئيسي للنزاعات والحروب في السنوات المقبلة، وقد ركّز هنتنجتون وبشكل لافت على

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص ص 27-29.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، ص 36.

3- صموئيل هنتنجتون، الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 84.

الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب، والذي سيكون أكثر الصراعات حدة ودموية بفعل عوامل متعددة"[1].

إن صراعات الإسلام مع الغير وفق نظرة هنتنجتون امتازت دائما بالعنف والدموية، وكأنه يريد أن يتهم الإسلام بأنه الدين الذي يحث على ذلك، وبالمقابل يظهر الدين المسيحي على أنه دين تسامح ومحبة وسلام، ونسي هنتنجتون الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، والتصفيات العرقية التي تعرضت لها الشعوب غير المسيحية، والمسلمون خاصة، إنها لنظرة عنصرية للدين والبشر والحضارة، تصدر من مفكر غربي كان من المفترض أن ينصف الشعوب، إن هنتنجتون يخشى الإسلام لقوته الروحية وهي صفة لا نجدها إلا في الإسلام، وربما في الكونفوشيوسية على حد اعتقاده، لقد زاد تواصل الشعوب خاصة التي تنتمي لنفس الثقافة والحضارة، كما بدأ التعاون الاقتصادي فيما بينها، كما نجده بين دول آسيا، إن العبارة التي يعبّر بها هنتنجتون عن موقفه من الإسلام هي قلق الغرب من الإسلام، وعليه "يمكن أن نسجل أسبابا أخرى لقلق الغرب من الإسلام والكونفوشيوسية، من بينها أن هناك إنبعاثا روحيا جديدا خاصة بالنسبة للإسلام...إن التنوع الثقافي في وسائل البقاء بالمعنى السوسيو _اقتصادي الثقافي، وهو مفتاح التواصل الثقافي الذي هو في رأيي مشكل في العالم"[2].

إن الصراعات والصدامات، قد قامت بين الشعوب والحضارات، إلا أن أشدها كانت تلك التي تحمل طابعا إثنيا ودينيا، ولعل أكبر تلك النزاعات والتصفيات العرقية هي التي كانت بين شعوب تنتمي لحضارات وأديان مختلفة، وكانت تعيش في حضارة واحدة، ولهذا فقد أصبح التاريخ الحضاري يفصل بين الشعوب والأمم وفق الانتماءات العرقية والدينية، وليس على أي أساس آخر، ولقد شهدت الحضارات التي لها خطوط حضارية مع الإسلام انتشارا أكبر للصراعات والنزاعات العرقية، مما دفع إلى القول: "إن للإسلام حدوداً دمويةً" كما يرى هنتنجتون، حيث إنه "لم يكن انتشار النزاعات الإثنية الذي يتجسد في أشد صوره تطرفا في "التطهير العرقي" عشوائيا بشكل كلي، فقد كانت أكثر تواترا وأشد عنفا بين المجموعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة، ويشكل الخط التاريخي الفاصل بين الحضارات من جديد...إن للإسلام حدوداً دموية"[3].

لقد دافع هنتنجتون عن موقفه ضد الإسلام، وخاصة عندما أُنتقد لوصفه الإسلام بأن له حدوداً دموية، وليبرر موقفه استعرض نماذج من صراعات المسلمين مع غيرهم، وصراعاتهم بعضهم ضد بعض، وهذا ليجعل من الدين الإسلامي بمثابة الدين الذي يدعو إلى العنف والقتل والدموية، يقول

1- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 14.

2- المهدي المنجرة، حوار التواصل، العولمة وحوار الحضارات والثقافات، مرجع سابق، ص 48.

3- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 28.

هنتنجتون: "لقد تم انتقادي بشدة لأنني تحدثت في مقالي حول "صدام الحضارات" عن الحدود الدموية للإسلام، وبالرغم من ذلك، فإن هذه العبارة تعبّر عن واقع موجود بالفعل في البوسنة الشيشان...ومشاركة المسلمين في هذه النزاعات هي أكثر ارتفاعا من أي حضارة أخرى"[1].

إن الصراعات التي يراها هنتنجتون بين المسلمين، هي في الحقيقة ضد المسلمين من طرف الغرب، فالتصفية العرقية لم تكن من المسلمين ضد المسلمين، بل إنها من المسيحيين ضد المسلمين بل وأكثر من ذلك كانت بين الطوائف المسيحية أشد عنفا ودموية، وموقفه هذا جاء ليعبّر عن رفض الغرب من أن تكون جماعات إثنية إسلامية في قلب الحضارة الغربية، لأن ذلك في نظره خطر على الحضارة الغربية، وعلى الدين المسيحي، وفي تصريح لكثير من زعماء الغرب قولهم: إن الغرب لن يقبل بالإسلام في أوروبا، وحتى إنه اشترط على بعض الدول أن تتخلى عن القيم الإسلامية والدين الإسلامي، إذا أرادت أن تنضّم للاتحاد الأوروبي، ولن نشهد عصر حروب المسلمين ضد بعضهم كما يدّعي هنتنجتون، بل إننا سنشهد عودة الحضارات، وتمسكها بثقافتها وهويتها وإحياء الدين، فالإسلام عرف ما يسمى بالصحوة الإسلامية، وباقي الحضارات عرفت مرحلة العودة إلى الذات والأصول، وهو ما جعل لهذه الحضارات القدرة على إعادة البناء والتجديد والتشييد، إنها تحتوي على عناصر لا تموت بل إنها تحتوي على عناصر الحياة والاحياء والعودة، وهو ما تفتقده الحضارة الغربية، وكل ذلك جعل الغرب يرى في ذلك تهديدا حقيقيا له ولقيمه وحضارته.

كما أن الغرب يخشى حربا حضارية بين الإسلام والغرب، أو بين الغرب والباقي تتحد فيه جميع الحضارات وتتحالف ضد الإمبريالية الغربية إن الغرب بدأ في التآكل من الداخل، وهو ما يبشر بانهياره، إلا أن هنتنجتون يرى أن سراب الخلود قد أصاب الغرب، وأعمى بصيرته وبصره، حيث يرى أنه رغم التصدع الذي بدأ في الحضارة الغربية، إلا أن الغرب سيبقى مسيطرا لقرون، وممكن أن يمر بفترة ركود، إلا أنه يمكن أن يستيقظ ويزيد من تأكيد قوته وهيمنته العالمية، بل إنه يمثّل الزعامة العالمية، وأنه سيقود العالم لفترة طويلة، رغم أن "الصحوة الإسلامية والقوى الاقتصادية المحركة في آسيا تدل على أن الحضارات الأخرى حية وبحالة جيدة وأنها على الأقل يمكن أن تهدد الغرب، إن حربا رئيسية تضم الغرب ودول المركز في حضارات أخرى، ليست أمرا حتميا ولكنها قد تقع، من ناحية أخرى فإن انهيار الغرب التدريجي وغير المنتظم والذي بدأ في بداية القرن العشرين قد يستمر لعدة عقود وربما لقرون قادمة، أو قد يمر الغرب بفترة يقظة ويقلب نفوذه المتدهور في الشؤون العالمية، ويعيد تأكيد وضعه كقائد تتبعه وتقلده الحضارات الأخرى"[2].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 36.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 488.

فالغرب يؤمن ولا يزال يؤمن بخلود حضارته، وأطروحة نهاية التاريخ أكبر دليل على ذلك، وبالنسبة إليه فالإسلام رغم أنه لا يعيش مرحلته الذهبية الحضارية التي عاشها في الماضي، إلا أنه لا زال يريد أن يعتلي سلّم الحضارات، وبالتالي فهو من أكبر الحضارات التي يمكن أن تدخل في صراع مع الغرب، فهو دين دموي، إنتشر بحد السيف والقتل، كما أنه يعرف حروباً ودموية داخل حضارته_ وكما ذكرنا سابقا_ فإن هنتنجتون يعتقد أن معظم الصراعات والصدامات المحلية أو العالمية إلا وللإسلام دخل فيها، إنه الخطر والشر والبربرية والأصولية المتعطشة إلى الدماء، وكلها أوصاف يصف بها الغرب الإسلام وعقيدته، حيث "يخلص هنتنجتون إلى أن الإسلام هو أكبر الحضارات حدّة على مستوى القوى التصارعية، ويقول: "بالفعل للإسلام دم على حدوده داخل كيانه الترابي...حاولوا أن تجدوا في أية منطقة من العالم صراعا مهما لا يكون قائما بين مجتمع إسلامي وآخر غير إسلامي حدود العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا هي خط مجابهة متواصل ومستمر"[1].

وفي المقابل يعتقد المسلمون أن حضارتهم حضارة راقية وسامية، وأنها حضارة قامت على العلم والحوار والسلام، ونظرة الغرب فيها حقد قديم على الإسلام، لأنه الدين الصحيح الذي أبطل أكاذيب الغرب وافتراءات النصارى، كما أن الغرب في تعامله مع الأمم والشعوب والحضارات، والإسلام يستخدم معايير مزدوجة، وهو ما يعترف به بصريح العبارة هنتنجتون، معلنا أن سياسة المعايير المزدوجة هي التي يجب أن تحكم العلاقات بين الحضارات، فحضارات القربى لا يتعامل معها الغرب بنفس المنطق ونفس المعاملة، كما يتعامل مع الحضارات التي لا تنتمي للغرب، أو غير تابعة له وبالتحديد الحضارة الإسلامية، ويتجلى ذلك في قول هنتنجتون: "يدّعون (المسلمون) أن الغرب يكيل بمكيالين، بيد أنه من المحتم أن يكون عالم الحضارات المتصادمة هو عالم الكيل بمكيالين، فالناس يكيلون بمكيال للبلدان التي تمتّ إليهم بقرابة، وبمكيال مختلف للآخرين"[2].

إن ما يجعل الحضارة الإسلامية اليوم ضعيفة ولا تستطيع منافسة الغرب، هو التفكك والانحلال الذي آلت إليه، كما أنها تفتقر إلى ما يسميه هنتنجتون دولة مركز، فلهذه الدولة الدور الكبير في لم الشمل، والتوحد هوياتيا وحضاريا واستشعار الخطر والعدو، كما أن غياب دولة المركز في العالم الإسلامي يجعل من دوله متباينة في علاقتها من الغرب، فهناك دول إسلامية ترفض التغريب والقيم الغربية، بل وتحاول التمسك بقيمها الحضارية، وهناك دول تسير في فلك الغرب، وهناك دول لا تستطيع أن تحدد موقفها، مما جعل العالم الإسلامي منقسما ومصدوعا، إلا أن التحولات السياسية العالمية التي حدثت بعد الحرب الباردة، دفعت جميع الدول إلى إعادة تحديد انتماءاتها، وكشفت تلك

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 38.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 24.

الأحداث عن إمبريالية الغرب، مما جعل الدول الإسلامية تتخذ من الغرب موقفا معاديا، وترفض كثيراً من أفعاله وسياساته، ومن ثم قيمه وحضارته.

و"لأن الحضارة الإسلامية تفتقر إلى دولة مركز، فإن علاقتها مع الغرب تتباين من دولة إلى أخرى، إلا أنه منذ السبيعينات يوجد اتجاه معادٍ للغرب ثابت تقريبا، من علاماته صعود الأصولية وتحولات القوة داخل الدولة الإسلامية من حكومات أكثر موالاة للغرب، إلى حكومات أكثر عداء له"[1].

إنطلاقا من أن الغرب يكيل بمكيالين باعتباره يملك القوة ومسيطرا على السياسة العالمية وعلى الهيئات العالمية، وبما أنه يعتبر الإسلام والمسلمين هم العدو، فإنه يريد أن تبقي القوة في الغرب، وألاّ تنتشر في العالم الإسلامي، وبما أن القوة اليوم تتمثل في امتلاك وسائل الدفاع من أسلحة متطورة خاصة أسلحة الدمار الشامل، فإن الغرب يريد أن يمنع الدول الإسلامية من امتلاكها، وذلك عن طريق وضع إتفاقيات وغيرها، إلا أنه لا يمنعها عن دول أخرى داعمة للغرب، وتنتمي إلى منظومته الفكرية كإسرائيل، حيث "صرح مسؤول إيراني قائلا "طالما أن إسرائيل مستمرة في امتلاك الأسلحة النووية فلابد أن نتعاون نحن المسلمين لإنتاج قنبلة ذرية، بصرف النظر عن محاولات الأمم المتحدة لحظر انتشار الأسلحة"...كما تقول التقارير إن الدول الإسلامية الأخرى مهتمة بتطوير أسلحة نووية تضم ليبيا والجزائر والسعودية"[2].

وإن خرق إسرائيل وبعض الدول الغربية لاتفاقيات حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل، يجعل ذلك للدول الإسلامية والعربية الحق في تطوير قدراتها النووية، مادامت إسرائيل تشكل خطرا على الأمة الإسلامية، أما سياسة الكيل بمكيالين الغربية فإنها أصبحت أمرا مفضوحا، وبما أن الغرب يدرك خطر امتلاك الدول المحسوبة على الحضارة الإسلامية للسلاح النووي، فإنه وفق إستراتيجيته، أصبح يتدخل في شؤونها الداخلية بغية زعزعة أنظمتها، ودفع شعوبها إلى الاقتتال والحروب، باسم الطائفية والإثنية، ومن ثمة إضعاف قدراتها العسكرية وانهاك اقتصادياتها التي تقوم على اقتصاد الحرب وبالفعل لقد أفلح الغرب في ذلك في كثير من دول العالم الإسلامي كالعراق وليبيا وسوريا وقبلهم الجزائر، واستطاع أن يمارس ضغوطاته من أجل نزع أسلحتها الفتاكة فكان له ما يريد، كما أنه مارس نفس الإستراتيجية مع كل دولة في العالم الإسلامي أرادت البروز كدولة مركز، ومع زعمائها كما فعل مع صدام حسين.

وبالرجوع إلى تاريخ الإسلام، يعتقد هنتنجتون أنه دين دموي وأنه دين توسعي، يؤمن بالعنف والقتل لكل من خالف العقيدة الإسلامية، ولقد انتشر الإسلام في كثير من القارات والحضارات عن

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 296.

[2]- المصدر نفسه، ص 301.

طريق الإرهاب، وليس بالحكمة والحوار، وبالتالي فهو دائما يخلق بؤر الصراع والنزاع داخل حضارته وبينه وبين باقي الحضارات، إنه دين يعتمد على الهمجية البربرية، وليس على العقل كما يرى مفكرو الغرب، وهنتنجتون واحد منهم، الذي يفسر العنف الإسلامي بقوله: "يرجع تعدد الصراعات داخل العالم الإسلامي، ومع باقي الحضارات إلى أن هناك جذوراً تاريخية لهذه الصراعات، والتاريخ لا يخمد أبدا على العكس هو دائما نشيط وقاتل حسب هنتنجتون، الإسلام دين توسعي يمجد قيم العنف، وهو لا يفصل بين الديني والسياسي...الإسلام ينتج وعيا هوياتيا مشتركا يفتقد إلى الانسجام والتماسك، مما يؤدي إلى عدة صراعات ويخلق تهديدات للحضارات الأخرى"[1].

فرجوع الحضارات إلى هوياتها الثقافية لإعلان كياناتها ووجودها، وعملية إحياء الثقافات وتحديد الانتماءات هي حركة حضارية نتجت عن محاولة الغرب طمس معالم باقي الحضارات، وإعلان الحضارة الغربية كحضارة عالمية وحيدة، وأن باقي الحضارات تسير في فلك الغرب، ورغم أن كثيراً من الحضارات مازالت تبحث عن وحدتها الهوياتية، وتشهد تفككا وصراعات بداخلها كالإسلام، إلا أنها مرشحة للعودة ولمنافسة الغرب، إن العالم بدأت ترتسم معالمه، فهو يسير نحو تعدد الحضارات وتأكيد التمايزات والاختلافات الهوياتية، ورفض عولمة الحضارة باسم حضارة القوة، لا قوة الحضارة، ومن ثمة توكيد القيم الحضارية لكل حضارة، إن الغرب متفرد بحضارته وقيمه، لكنه ليس عالميا، ولن يكون و"المستقبل لن يكون لتأحيد العالم وعالمية القيم الغربية، والعالم يسير نحو تعزيز قوة الحضارات، وربما نحو تصارعها، وستكون الحضارة الإسلامية الأكثر تصارعية مع باقي الحضارات، كما أن الشعوب الآسيوية سيزداد اعتزازها بقيمها الخاصة، ورفضها للثقافة الغربية"[2].

إن فلسفة الرفض نجدها لدى كثير من الحضارات، والتي ترفض الهيمنة الغربية والعالمية والمركزية، وتؤمن بالتفاعل الحضاري، والتشارك في قيم الحضارة الإنسانية، والقول بالعالمية هو في حد ذاته ضد القيم، لأن ذلك دليل التعالي والادعاء بتخلف الحضارات وقيمها، وسيجد الغرب نفسه يوما أمام نفس الوضع، لأن حضارته بدأت في التراجع والتآكل والضعف، وإن سعي الغرب لتعزيز قيم الديمقراطية في كثير من مناطق العالم بغية حماية العالم الحر وحضارته، قد ينقلب ضده، فالديمقراطية التي يريدها الغرب في باقي العالم قد تقود إلى حكومات غير موالية، وهنا سيقوم الغرب برفضها، لكن هذا يعد في حد ذاته انقلابا ضد القيم التي يدافع عنها، ويعتبر هذا الفعل تناقضا في المواقف والقيم والدليل على ذلك أن الغرب شجع التعدد الحزبي والتوجه الديمقراطي، في بلد يحسب على العالم الإسلامي ألا وهو الجزائر، إلا أنه بالمقابل استحسن تدخل الجيش في توقيف المسار الانتخابي، لأن الأصوليين قد وصلوا إلى السلطة عن طريق الانتخابات الديمقراطية التي آمن بها الغرب، ونفس الحال

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 38.

[2]- المرجع نفسه، ص 117.

بالنسبة إلى حماس في فلسطين، إنها سياسة المعايير المزدوجة التي يكيل بها الغرب مع باقي الدول التي لا تنتمي إلى الحضارة الغربية، وبالتالي فإن "النفوذ الغربي لم يتضاءل فقط، ولكن التباس الديمقراطية أيضا يضعف الإرادة الغربية في تبنيها في عالم ما بعد الحرب الباردة...الافتراض الغربي السهل بأن الحكومات المنتخبة ديمقراطيا سوف تكون متعاونة، وموالية للغرب لا يحتاج لأن نعتبره صحيحا في المجتمعات غير الغربية، حيث يمكن أن تأتي الانتخابات إلى السلطة بقوميين وأصوليين معادين للغرب، لقد شعر الغرب بارتياح عندما تدخل الجيش الجزائري في سنة 1992 وألغى الانتخابات التي كان من الواضح أن الجبهة الإسلامية FIS الأصولية ستفوز بها"[1].

فالديمقراطية التي يريدها الغرب هي التي توصل إلى حكم موالٍ للغرب، وإلا فإنها لا تعد ديمقراطية في نظره، ومن هنا فإن الغرب يبدأ بالتحضير لإيصال الموالين له إلى السلطة، انطلاقاً من مرحلة الإعداد للانتخابات، حيث يزودهم بالمال ويدعمهم بوسائل الدعاية، إلا أنهم بالمقابل لا يتحمسون لدمقرطة البلدان والدول غير الغربية، لأن ذلك قد يعود سلبا عليهم وعلى قيمهم وحضارتهم.

"وحيث إن قادة الغرب يدركون أن العمليات الديمقراطية في المجتمعات غير الغربية، غالبا ما تأتي بحكومات غير صديقة، فإنهم يحاولون التأثير على تلك الانتخابات، كما يفقدون حماسهم كذلك لتنمية الديمقراطية في تلك المجتمعات"[2].

إن العلاقة بين الغرب والإسلام علاقة تاريخية، فلقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة متفوقة لقرون، وكانت بدورها تحتضن كل الأجناس والأمم كلها تدين بدين واحد، ولكن دبّ الفساد إلى قلب هذه الحضارة وتراجع دورها الريادي، مما فتح المجال لبزوغ حضارات خاصة الحضارة الغربية، ولقد عرف الغرب قيمة الحضارة الإسلامية، فاقتبس منها ما مكّنه من اعتلاء الصرح الحضاري، كما عرف أن سر قوة المسلمين هو تمسكهم بدين قوي، وأنهم جعلوه أساس حياتهم الدينية والدنيوية، ولم يفرقوا بين الدين والدنيا، ولكن بالمقابل الغرب وحضارته لم يفعل مثلما فعل المسلمون مع غيرهم، حيث احتلوا وقهروا واستعبدوا على يد الغرب وديانته التي تدعي التسامح، من هنا نشأت علاقة الحقد والكراهية بين العالمين المسيحي والإسلامي، وهي العلاقة التي عبّر عنها هنتنجتون، عندما أجاب عن سؤال العلاقة قائلا: "عن سؤال أنت واثق من أن المواجهة القادمة للغرب ستكون مع العالم الإسلامي ولماذا؟ أجاب هنتنجتون "أولا" الإسلام هو أكثر الأديان صرامة خارج العالم المسيحي، ولا يوجد في الإسلام تمييز بين الدين والدنيا والسياسة، وثانيا هناك شعور عام لدى المسلمين بأن الغرب قد قهرهم واستغلهم لفترة طويلة"[3].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 317.

2- المصدر نفسه، ص 318.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 86.

تقوم الحضارة الإسلامية على الدين، باعتباره الرابطة الروحية التي تجمع المسلمين، كما أن الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة، فهو نظام من العيش تتحدد فيه العلاقات بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان وربه، أما الغرب فإنه يرى في قيمه التي أسس عليها، والتي آمن بها ودافع عنها بأنها هي التي تمثل البعد الديني، فالغرب يؤمن بالحرية والديمقراطية والتجارة الحرة، وفصل الدين عن الدولة وغيرها، وهي القيم التي لا نجدها في باقي الحضارات، بل هناك من الحضارات من ترفضها وتقف منها موقف الاستعداء كالحضارة الإسلامية، يقول عبد الوهاب المسيري متسائلا: "ولكن كل حضارة كما يؤكد هنتنجتون تستند إلى رؤية دينية، فما البعد الديني للحضارة الغربية؟ يعلن هنتنجتون أن قيم الحضارة الغربية، هي الديمقراطية والاقتصاد الحر، وفصل الدين عن الدولة والليبرالية والدستورية وحقوق الإنسان"[1].

هذه القيم هي دين الغرب الجديد، والتي يريد منها أن تكون عالمية، معتبرا باقي الحضارات تفتقر إلى مثل هذه القيم، فهي حضارات تقضي على الحرية، ولا تؤمن بالديمقراطية وتستعبد الإنسان تقوم على نظام كهنوتي ساد أوروبا في عصر الظلمات وتحررت منه بفصلها بين الدين والسياسة، أو ما يعرف بالعلمانية، فالغرب يعتقد أن غياب تلك القيم عن باقي الحضارات، أفقدها التحديث والتنوير والعقلانية، وجعلها تتمسك بقيم الظلامية والعنف والتطرف، وباعتبار الغرب يحمل رسالة عالمية، فإنه يريد أن تعولم قيمه الحضارية، إلا أنه يواجه حضارات تؤمن بقيمها وثقافتها وأصولها وخصوصيتها مما يجعل الغرب يخاف ويقلق من هذه الحضارات، بالإضافة إلى تراجعه الحضاري، وصعود حضارات التحدي، فالإسلام يعد تحدياً ديمغرافياً حقيقياً للغرب، لأنه استطاع أن يغزو المجتمعات الغربية ويشكل جماعات تحمل ثقافة وديناً مخالفاً للغرب في قلب الغرب، ومنه كان "قلق الهجرة الإسلامية التحدي الديمغرافي... كما أن التحدي ثقافي أيضا، المجتمعات الإسلامية، سواء التركية في ألمانيا، أو الجزائرية في فرنسا، لم يتم اندماجها في الثقافات المضيفة...هناك خوف يتنامى في أوروبا من مجتمع إسلامي يتقاطع مع الخطوط الأوروبية، يصبح نوعا من دولة ثالثة عشرة في الاتحاد الأوروبي"[2].

فالهجرة الإسلامية إلى الغرب، تعد أكبر تحدٍ يواجه الحضارة الغربية، لأن أكبر النزاعات كانت في التاريخ عرقية، كما أن أكبر الحضارات انهارت بسبب مثل هذه النزاعات، والغرب لا يقبل بمجتمع إثني، وبالتحديد مجتمع يختلف في الدين عن دين الغرب، فالمسلمون في ألمانيا أو فرنسا بأعداد كبيرة، وهم لم يندمجوا في المجتمع الجديد، وبقوا على أصولهم وديانتهم، بينما الأفارقة فيرى هنتنجتون ألاّ خوف منهم، لأنهم لا يحملون أي تهديد للغرب وحضارته.

1- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 164.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 321.

"إن المهاجرين الأفارقة غير العرب لا يخشى منهم، ولا ينظر إليهم باحتقار، العداء في معظمه موجه للمسلمين، كلمة "مهاجر" مرادفة عمليا لكلمة "الإسلام" الذي هو الآن ثاني أكبر عقيدة في فرنسا ويعكس تعصبا إثنيا وثقافيا، جذوره عميقة في التاريخ الفرنسي"[1].

إنه الخوف من الإسلام وحضارته، فهو التحدي الذي سيهدد كيان الغرب، ويخلق له صدامات داخلية تقود إلى تفسخه وانحلاله، فإذا كان الغرب قد استعمر العالم الإسلامي عن طريق قوة السلاح فإن الإسلام سيغزو الغرب بحضارته وهويته عن طريق المهاجرين الذي سيشكلون جماعات إثنية في قلب الحضارة الغربية، حيث سيحافظون على دينهم وقيمهم، والتي تميزهم في نفس الوقت عن غيرهم ومن هنا تكونت لدى الغرب فوبيا من الإسلام ومن المسلمين، "هذه الفوبيا ذات الجذور في التدهور الديمغرافي النسبي كما يلاحظ "**ستانلي هوفمان (Stanley Hoffmann)**"*مبنية على صدامات حضارية حقيقية، وقلق بشأن الهوية القومية"[2].

ويرى هنتنجتون أن الخطر ليس في الإسلام والهجرة فقط، بل أيضا في ذلك التصدع الهوياتي التي ستخلقه الهجرة إلى أوروبا وأمريكا، فالولايات المتحدة في تحدٍ للهجرة الإسبانية، وهو ما عبّر عنه هنتنجتون بالهسبنة، وأن المهاجرين سيشكلون مجموعات حضارية متمايزة، تطالب بحقوق القوميات وتدافع عن قيمها وأصولها، وما على الغرب إلا أن يسعى لدمج المهاجرين في حضارته حتى لا يشكلّوا خطرا عليه، إن ضرب الهوية الداخلية لأي أمة أو حضارة دافع أساسي لتفككها وإنهيارها، إن الغرب يدرك خطر التصدع الهوياتي، لذا فهو يقوم بحماية هذه الهوية والدفاع عنها بدمج المهاجرين إجتماعيا وثقافيا، ومن هنا كانت "القضية ليست إذا ما كانت أوروبا سوف تتحول إلى الإسلام أو الولايات المتحدة إلى الهسبانية، القضية هي إذا ما كانت أوروبا وأمريكا ستصبحان مجتمعات مشقوقة أو مصدوعة، تضم مجتمعين متمايزين ومنفصلين من حضارتين مختلفتين إلى حد كبير، وهذا بدوره يتوقف على عدد المهاجرين، ومدى استيعابهم في الثقافات الغربية السائدة في أوروبا وأمريكا"[3].

إن العودة إلى الهوية وإحيائها والتمسك بها، هو رد فعل حضاري على محاولة الحضارة الغربية الهيمنة على باقي الحضارات والهويات، فلكل هوية تاريخ عريق وماض حافل، وقد يجعل التحدي الحضاري كثيراً من الحضارات إلى أن تتحالف ضد طغيان الحضارة الغربية، إنه رد فعل ودفاع طبيعي عن الخصوصيات الحضارية والهويات الوطنية.

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 321.

* ستانلي هوفمان (1928_) مفكر أمريكي.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 321.

[3]- المصدر نفسه، ص 329.

إن "تقوية الهويات الحضاراتية وجدت فيما بين المشاركين في حروب خط الصدع من حضارات أخرى ولكنها ظاهرة أساسا بين المسلمين"[1].

ومن بين أكبر الحضارات التي أكدت هويتها الحضارية نجد الحضارة الإسلامية، ولقد زادت أهمية الإسلام بالنسبة إلى المسلمين، عندما تعرضت حضارتهم لهجمة حضارية من طرف الغرب ووصف الإسلام بالدموي والعنيف والمسلمون بالإرهابيين، إنه الحقد الديني المسيحي على الإسلام، إن الإسلام يشكل بكليته هوية المسلم، ولا يفصل بين الدين والسياسة، إنه كل متكامل يعبر عن إنسانية الإنسان وعلاقات الناس فيما بينهم، وفيما بينهم وبين الله، فهو دين كامل ومتكامل، وإن الحقد الغربي بدأ منذ بدأ الصراع الحضاري بينهم "منذ 1300 سنة، وهناك تحالف إسلامي كونفوشيوسي موجه لضرب الغرب"[2].

فالغرب يتوقع حربا حضارية بينه وبين الإسلام، وقد يتحالف فيها الإسلام والكونفوشيوسية ضد الغرب، وقد اعتبر الكثير من المفكرين في حرب الخليج، أن هذه الحرب الحضارية قد إنطلقت وسبقتها طبعا حرب حضارية باردة، رغم أن بعض القادة الغربيين لا يريدون العداء للاسلام وحضارته ويعتبرون أن من يمثل من المسلمين عدوا هم الجماعات المتطرفة، إلا أن تاريخ العلاقات بين الغرب والإسلام، تؤكد الصراعات التاريخية التي كانت بينهما، فكل حضارة كانت تنظر إلى الآخر على أنه متمايز ومختلف وأنه عدو، وبالتالي لا بد من قهره والسيطرة عليه، حيث "يقول بعض الغربيين بمن فيهم الرئيس **كلينتون (Bill Clinton)*** إن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أي مشكلة، وإنما المشكلات موجودة مع بعض المتطرفين الإسلاميين، أربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثوذوكسية أو الغربية، كانت عاصفة غالبا، كلاها كان الآخر بالنسبة للآخر"[3].

فكل طرف كان ينظر للآخر نظرة عداء، تقوم على الكراهية والحقد، لكن الغرب كان يعتبر الإسلام أكبر منافس لحضارته، لدرجة أن زوال المنافس الإيديولوجي، والمتمثل في الاتحاد السوفياتي والشيوعية، دفع الغرب إلى أن يبحث عن عدو، لأن ذلك بالنسبة إلى الغرب دافع للقوة والهيمنة فنهاية الصراعات يجعل الغرب تخمد قواه، كما أن ذلك يرشح ظهور صراعات داخلية، قد تؤدي إلى التصدع الداخلي، وبالتالي الانهيار الحضاري، ولقد عبّر كثير من المفكرين الغربيين وبعض القادة عن

---

[1]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والاسلام، صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 211.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صراع الحضارات، مجلة السياسة الدولية، مصدر سابق، ص 321.

* بيل كلنتون (1946 -) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والأربعون.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 338.

هذه الأفكار، حيث "صرح الأمير **تشارلز** ولي عهد بريطانيا في محاضرته الشهيرة بمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، بأن "العالمين الإسلامي والغربي، قد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق في علاقتهما، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان، وأنا لا أوافق على مقولة أنهما يتجهان نحو صدام في عهد جديد من الخصومة والعداء"[1].

إنه اعتراف بالصدام الحضاري، رغم أن الأمير تشارلز يدعو إلى تغليب الحكمة والعقل والبحث عن طرق التصالح والحوار، لكن الواقع ومعطيات السياسة العالمية، وخصوصية كل حضارة يرشح المواجهة والصراع، أكثر من الحوار والتفاهم والتعايش، فلو كانت الاختلافات اقتصادية أو سياسية أو إيديولوجية بين العالم الإسلامي والغربي لكانت لها حلول وربما زالت، إن الاختلافات أكبر من ذلك، إنها ترتبط بالكينونة الحضارية والهوية الثقافية، كما ترتبط بالدين، فكل حضارة تعتقد في دينها أنه الدين الذي يجب أن يسود، وأن الحرب مع الآخر تحمل طابعا دينيا فيما يسمى بالحرب المقدسة، إن التبشير بقيم الحضارة يعد واجبا دينيا مقدسا بالنسبة إلى كل حضارة، لأن تلك القيم تناهض الظلامية والبربرية والتخلف، إنه صراع الوجود والكينونة والقداسة، فمهما كانت الصراعات في العالم فإنها لن تصل إلى مستوى الصراع بين الحضارات، وبالتحديد بين الحضارة الغربية والإسلامية وعليه كان"صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية، ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية، أحيانا كان التعايش السلمي يسود غالبا، كانت العلاقة علاقة تنافس واسع، مع درجات مختلفة من الحرب الباردة "محركتهما التاريخية" كما يعلق "**جون اسبوسيتو**" وجدت المجتمعين دائما في حالة تنافس وثبتت أحيانا في صراع مميت للقوى والأرض والأنفس"[2].

كما يرى المستشرق الأمريكي برنارد لويس في أطروحته حول العلاقة بين الإسلام والغرب، أنها علاقة امتازت بالتنافس والصراع، إلى درجة أن الإسلام ساند دائما كل من يقف ضد الغرب وحضارته، حيث وقفت كثير من دوله ضد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وساندوا الشيوعيين ضد أمريكا، ومنه اعتبر الغرب الإسلام عدوا، بل إنه يدعم قوى الشر التي تقف في وجه الحضارة والقيم والتطور، إنها علاقة حاول من خلالها الإسلام أن يتحصل على مساندة من باقي الدول، التي تقف نفس الموقف من الغرب وحضارته، وفي ذلك يقول برنارد لويس: "أن الإسلام الضعيف منذ قرنين كان

1- الأمير تشارلز، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 98.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 338.

يبحث باستمرار عن سند في حربه ضد عدوه المتمثل في الديمقراطية الغربية، فقد ساند في البداية قوى المحور ضد الحلفاء، ثم الشيوعيين ضد الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي أدّى إلى كارثتين"[1].

إن الصراع بين المسيحية والإسلام قديم في التاريخ، فمنذ أن عرف الإسلام مجده بدأ في التوسع ووصل إلى كثير من الأقطار والحضارات، وعرف المسلمون مقاومة من بعض الديانات، ومنها المسيحية، وكانت العلاقة بين الديانتين مبنية على الصراع أحيانا والهدنة أحيانا أخرى، كما أن التوسع الإسلامي قد توقف أحيانا عند تخوم خطوط التقسيم بينه وبين المسيحية، إلا أن بداية التراجع الإسلامي فتح المجال للمد الصليبي، وبدأت ما يسمى بالحروب الصليبية، التي دفعت بالإسلام إلى التراجع، وهنا بدأ التوسع الغربي.

"عبر القرون، كانت خطوط العقيدتين تصعد وتهبط، في تتابع من نوبات انبعاث مهمة فوقفات وانتكاسات، الاكتساح العربي الإسلامي في اتجاه الخارج منذ بداية القرن السابع إلى منتصف القرن الثامن أقام حكما إسلاميا في شمال إفريقيا...ولمدة قرنين تقريبا كانت خطوط التقسيم بين الإسلام والمسيحية مستقرة، بعد ذلك في آواخر القرن الحادي عشر، أكد المسيحيون سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط الغربي...وفي 1095 بدأت المسيحية الحملات الصليبية"[2].

وبدأت الصراعات والصدامات على خطوط التقسيم الحضاري بين الغرب المسيحي والإسلام وانتشرت أفكار تصف الإسلام بالعدو والحضارة البائدة، والدين الإسلامي بأنه الدين الدموي، والعنيف حتى إن برنارد لويس، اعتبر المواجهة بين الغرب والإسلام، هي مواجهة حضارية عبّر عنها، كما عبّر عنها أستاذه هنتنجتون بصدام الحضارات، إن الإسلام عدو قديم جديد للتراث اليهودي والمسيحي وللحاضر العلماني وللديمقراطية الليبرالية، ولحقوق الإنسان وللحرية، إنه عدو لجميع القيم الإنسانية وفق النظرة الغربية، ومنه كانت "نظرية صدام الحضارات، التي تضع في المواجهة خصمين محددين ومتميزين الإسلام من جهة، والغرب أو ما يسمى بالحضارة اليهودية المسيحية من جهة ثانية، تشكل لب تفكير برنارد لويس"[3].

ليصل برنارد لويس، ليعبّر عن موقف الغرب من الإسلام، وموقف الإسلام من الحضارة الغربية، حيث يرى أن العداء التاريخي بين المسيحية والإسلام، يقوم على كراهية الآخر المختلف، فهو لا يقوم على عداوة أساسها المصالح، إن العداء مبني على ما هو أكبر من ذلك إنه يتجاوز إلى المقومات الأساسية لكل دين وحضارة، لقد وصل العداء عند المسلمين، كما يرى برنارد لويس إلى

1- برنارد لويس، نقلا عن محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق ص 16.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 338_ 339.

3- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 19.

رفض كل ما هو غربي، من حضارة وثقافة وقيم، وفي هذا "يقول برنارد لويس، إن هذا الحقد يتجاوز مجرد معاداة بعض المصالح، أو بلدانٍ بعينها، ليشكل رفضا للحضارة الغربية، لا بما تقوم به، وإنما لذاتها وللمبادئ والقيم التي تمارسها وتدعو إليها"[1].

إن المد الإسلامي وصل إلى أوروبا وشمال إفريقيا، لقد فتح المسلمون الشرق والغرب، وحملوا الحضارة الإسلامية، بل وجميع قيمها لشعوب وأمم جديدة، دخلت في دين الله أفواجا، وحمل لواء الإسلام الأتراك والذين وصلوا إلى قلب أوروبا، في إسبانيا والنمسا وغيرها، لقد أصبح الإسلام بالنسبة إلى الغرب أكبر تهديد، كذلك يعتبر الإسلام أول من أدخل الشك للحضارة الغربية، إلا أن التفوق الإسلامي بدأ في التراجع والضعف، وفي المقابل بدأت أوروبا تشهد نوعاً من التنوير وحركة الإحياء والنهضة وبموازاة التراجع الإسلامي، هناك بروز لأوروبا وللحضارة الغربية، إنه التاريخ وإنها الحتمية الحضارية حضارة يأفل نجمها، وأخرى يسطع نجمها، ففي الماضي "كان الأتراك العثمانيون قد ظهروا على المسرح...ويلاحظ برنارد لويس، مدة ما يقرب من ألف سنة، منذ أول رسو مورسكي في أسبانيا وحتى الحصار التركي الثاني لـ"فينا" كانت أوروبا تحت تهديد مستمر من الإسلام، الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك...وبحلول القرن الخامس عشر، بدأ المد ينقلب"[2].

إن الحقد الغربي على الإسلام وحضارته، إنطلق من هنا، من اختراق الإسلام لقلب الحضارة الأوروبية، مما جعل مفكري الغرب يعتقدون أن المسلمين هم من يكره الغرب، وليس العكس، إن سبب الكراهية بين الحضارتين تعود على حد قول هنتجتون، في سؤال إستفساري "لماذا يكره المسلمون الغرب؟ وكانت الإجابة (من هنتنغتن) أنهم يكرهوننا، لأن قيمنا تمثل الخير، وهم يمثلون الشر"[3].

فالعقل الغربي عقل يبني أحكامه على خلفيات ومنطلقات خاطئة، فهم يحكمون على الإسلام وحضارته وشعوبه، بأنه دين حدوده دموية، ونسوا الحروب الصليبية، ويرون أن قيم الحضارة الغربية هي القيم العليا، والتي يجب أن تسود جميع الحضارات نظرا إلى عالميتها، وأن الحضارة الأقوى هي التي تقدم نموذج القيم التي تحكم العلاقات بين الحضارات، فالإسلام يمثل الشر وفق الطرح الغربي والمسلمون إرهابيون، وهم قوم يحبون العنف، وبالتالي فحضارتهم تعبر عن الجهل والظلامية والبربرية والهمجية، إن رفض المسلمين لقيم الغرب يعني أنهم ضد الحضارة، وإنهم يدعون بأفكارهم إلى التخلف والرجعية، حيث "يتجنى برنارد لويس وصموئيل هنتنجتون على المسلمين، بادعائهم أن المسلمين هم

1- برنارد لويس، نقلا عن محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق ص 19.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 339.

3- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 50.

المسلمون، وهما يقصدان تحديدا العرب هم العرب، أي أنهم شعب حاقد ومتحجر لا يتطور ولا يتفاعل مع الحضارات الأخرى"[1].

وبالتالي، فالإسلام حضارة منطوية على ذاتها، والمسلمون لا يظهرون إلا حيث يكون العنف والقتل وسيل الدماء، ولقد أحصى هنتنجتون الصراعات في العالم، فوجد أن أكثرها فيها طرف من المسلمين، وأن الصراع بين المسلمين وغيرهم، خاصة من أصحاب الدين المسيحي، لا يعود على حد قول هنتنجتون إلى عاطفة زائلة أو غير ذلك، إنها تعود إلى التركيبة الأساسية لكلتا الديانتين وطبيعتهما أي إلى معتقداتهما، حيث يعتقد كل دين على أنه الدين الأصح، وأن قيمه هي التي يجب أن تسود، وبالتالي إن محاربة كل ما عداه هو واجب مقدس، و"الطبيعة العنيفة لهذه العلاقات المتغيرة تعكسها حقيقة أن 50% من الحروب تضمنت ثنائيات من دول ذات أديان مختلفة...كانت حروبا بين مسلمين ومسيحيين، أسباب هذا النمط من الصراع لا تكمن في ظاهرة انتقالية مثل العاطفة المسيحية في القرن الثاني أو الأصولية الإسلامية في القرن العشرين، إنها تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليهما"[2].

والمبادئ الدينية التي يؤمن بها كل دين، زادت من شدة الاختلاف والتمايز، وجعلت كل طرف ينظر إلى الآخر كآخر، كذلك فإن لكل دين معتقداته وتصوراته عن الحياة والموت، وعن الوجود والله والعلاقة بين الدين والدنيا، فالإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة على خلاف المسيحية، هذه الأخيرة تعتقد أن الفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الأمير ضروري في تطور الغرب وقوة حضارته، على خلاف الإسلام، وما يشتركان فيه كذلك أجج الخلافات بينهما، بمعنى أن كل منهما دين توحيد يعتقد أنصاره أنهم على حق، وباقي الأديان على باطل، وبهذا يجب أن يتبعوا الدين الصحيح، بالإضافة إلى النظرة الحضارية والثقافية، حيث كل منهما له نظرة تقوم على "نحن" و"هم"، وما نتج عن هذا التمايز من الإيمان بقداسة الرسالة التبشيرية التي يحملها كل دين، ومنه "فالصراع كان من ناحية نتيجة الاختلاف، خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز، ويربط بين الدين والسياسة، ضد المفهوم المسيحي الغربي الذي يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر، كما أن الصراع نابع من أوجه التشابه بينهما، كلاهما دين توحيد ويختلف عن الديانات التي تقول بتعدد الآلهة، ولا يستطيع أن يستوعب آلهة آخرين بسهولة، وكلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية "نحن" "هم"، كلاهما يدعي أنه العقيدة الصحيحة الوحيدة التي يجب أن يتبعها الجميع، كلاهما دين تبشيري يعتقد أن متبعيه عليهم الالتزام بهداية غير المؤمنين، وتحويلهم إلى ذلك الإيمان الصحيح"[3].

---

[1]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 93.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 340.

[3]- المصدر نفسه، ص 340 _ 341.

وهذه المقارنة التي عقدها هنتنجتون بين المسيحية والإسلام، أراد من خلالها أن يبين طبيعة العلاقة التصارعية بين الديانتين، من خلال تبيان الاختلافات الجوهرية فيما بينهما، كذلك حتى في التشابه بينهما، لا يعد ذلك عامل اتفاق وتفاهم، بل عامل اختلاف وتمايز، فإذا كان كلاهما يؤمن بإله واحد فهذا ما يدفع كل واحد منهما أن يعتقد بأنه الدين الصحيح والأخر على باطل، ومن ثمة فإنه يقوم بواجب الدفاع عنه ونشره، ويرى هنتنجتون أن الإسلام في انتشاره قام على الفتوحات، أما المسيحية فقامت على الحروب، ولقد استخدم الإسلام مصطلح الجهاد في مقابل المسيحية التي استخدمت مصطلح الصليب، إن ما يميز الإسلام والمسيحية واليهودية أنها أديان سماوية على خلاف باقي أديان العالم، كما أنها أديان تشترك في التفسير الغائي للتاريخ على عكس تفسير باقي الأديان والحضارات.

"الإسلام منذ البداية انتشر بالفتح، والمسيحية كانت تفعل نفس الشيء عند وجود الفرصة مفهوما "الجهاد" و"الصليب" المتوازيان لا يشبهان بعضهما الآخر فقط، وإنما يميزان العقيدتين عن الأديان العالمية الأخرى، الإسلام والمسيحية مع اليهودية، لهم كذلك نظرات غائية للتاريخ على عكس النظرات الحلقية أو الساكنة السائدة في الحضارات الأخرى"[1].

وتاريخيا يرى هنتنجتون، أن الصراع بين المسيحية والإسلام، كان يمر بمراحل عنيفة أحيانا وهادئة أحيانا أخرى، إلا أن مستوى الصراع يرتبط خاصة بالنمو السكاني، والتحولات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية والعلمية، بالإضافة إلى مدى دعوة شعوب الديانتين للتمسك بالدين والدفاع عنه وانطلاقا من هذا كله، فإن "مستوى الصراع العنيف بين الإسلام والمسيحية عبر الزمن، كان يتأثر دوما بالنمو الديمغرافي وهبوطه، وكذلك بالتطورات الاقتصادية، والتحول التكنولوجي وشدة الالتزام الديني"[2].

بالإضافة إلى ما ذكرناه من أسباب الصراع العنيف التاريخي بين المسيحية والإسلام، أو بين الغرب والإسلام من نقاط اختلاف وحتى تشابه، فإن هنتنجتون يذكر عوامل أخرى إرتبطت بزيادة الصراع بين الديانتين، خاصة في القرن العشرين، يمكن أن نجملها فيما يلي:

"مجموعة متشابهة من العوامل زادت من الصراع بين الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين:

أولا: خلّف النمو السكاني الإسلامي أعداداً كبيرة من الشبان العاطلين والساخطين الذين أصبحوا مجندين للقضايا الإسلامية، ويشكلون ضغطا على المجتمعات المجاورة، ويهاجرون إلى الغرب.

ثانيا: أعطت الصحوة الإسلامية ثقة متجددة للمسلمين في طبيعة وقدرة حضارتهم وقيمهم المتميزة مقارنة بتلك التي لدى الغرب.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 341.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثالثا: جهود الغرب المستمر لتعميم قيمه ومؤسساته، من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والإقتصادي، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي، تولد إستياءً شديدا بين المسلمين.

رابعا: سقوط الشيوعية، أزال عدواً مشتركا للغرب والإسلام، وترك كلا منهما لكي يصبح الخطر المتصور على الآخر.

خامسا: الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين بالغربيين، يثير في كل من الجانبين إحساسا بهويته الخاصة وكيف أنها مختلفة عن هوية الآخر"[1].

فالخواف من الإسلام، يأتي أولا من ازدياد عدد شعوبه، فالقوة البشرية اليوم عامل مهم في النصر والحرب والصراعات، بينما هناك تراجع رهيب لنسبة الولادات في الحضارة الغربية، بالإضافة إلى أن النمو السكاني في بلاد الإسلام، خلق لدى شبابها مشاكل البطالة والعمل، مما دفعهم إلى الهجرة إلى بلاد الغرب، وهم يحملون قيما وثقافة تخالف قيم وثقافة الغرب، وتمسكهم بالإسلام كدين معبّرٍ عن هويتهم، وبالمقابل عرفت مختلف الدول الإسلامية صحوة دينية، مما جعل شعوب هذه الدول تعود إلى الدين وتتمسك به، في مقابل قيم الغرب، الذي يسعى إلى تعميم قيمه وعولمتها، وتوكيد مؤسساته المحلية والعالمية خارج حضارته، كما أنه يسيطر على مراكز القوة العسكرية والاقتصادية ويلجأ في كثير من الأحيان إلى التدخل المباشر في شؤون المسلمين، لخلق الفرقة والنزاعات بينهم مخافة توحدهم، وهذا بالمقابل يخلق استياءً لدى الشعوب الإسلامية، ويزيدها رفضا للغرب وقيمه، وإن الحرب الباردة، قد أسقطت العدو الإيديولوجي للغرب وحتى للإسلام، إلا أن ذلك جعل الغرب والإسلام وجها لوجه، بعد أن زال العدو المشترك، ومع تزايد حركة الهجرة، وتطور وسائل الاتصال الحضاري بين الغربيين والمسلمين، كل ذلك جعل من كل طرف يحدد هويته بتمايزه واختلافه عن الآخر، ويرى هنتنجتون في هذه الأسباب الدافع الأساسي للصدام والصراع، والتي يمكن أن نلخصها في القوة والثقافة، فكل طرف وكل حضارة تسعى لكسب وسائل القوة وتحقيق الوحدة الثقافية، من أجل السيطرة والهيمنة، وهنا يقول هنتنجتون: إن "أسباب تجدد الصراع بين الإسلام والغرب يكمن في التساؤلات الأساسية للقوة والثقافة من الذي يحكم؟"[2].

إن التواجد الحضاري لشعب ما داخل حضارة الآخر، يخلق مشاكل حضارية وتظهر تلك المشاكل عندما يتعرض ذلك الشعب أو تلك الأقلية للاضطهاد، أو لعدم المساواة مع شعب الحضارة الأصلية أو التي يمثل أفرادها الأغلبية، وعندما تظهر تلك النزاعات وتبلغ مرحلة ما، يزول التسامح ويظهر العنف والقتل والدمار، ولهذا يرى هنتنجتون أنه حتى الدمج الحضاري لشعوب غير غربية في

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 342.

[2]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والاسلام صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 157.

الحضارة الغربية، يولد صدامات حضارية، حيث إن "التداخل والامتزاج أيضا يفاقمان من الخلافات حول حقوق أبناء حضارة ما، في دولة يسيطر عليها أبناء حضارة أخرى، في الثمانينيات والتسعينيات انهار بشدة ذلك التسامح بالنسبة إلى الآخر، في كل المجتمعات الإسلامية والمسيحية، وهكذا فإن أسباب الصراع المتجدد بين الإسلام والغرب، توجد في الأسئلة الأساسية للقوة والثقافة من الفاعل ومن المفعول به، من الذي يجب أن يحكم ومن الذي يجب أن يكون محكوما"[1].

إن الجدلية التاريخية بين الإسلام والغرب، كانت ومازالت في فرض القوة والهيمنة والحكم والتبعية، فالإسلام يريد أن يكون المسيطر والمهيمن والمتبوع، ونفس المنطق الذي يريده الغرب وباعتبار أن موازين القوى اليوم في صالح الغرب، فإن هذا الأخير يريد أن يحكم العالم، إلا أن رد فعل المسلمين بالرفض يجعل العلاقة بينهما علاقة عداء وصراع مستمرين، هذا الصراع الحضاري استخدمت فيه جميع الوسائل من أجل تحقيق الانتصار واخضاع الآخر، فالإسلام الضعيف يريد أن يكتسب وسائل القوة، والغرب يقف في طريق ذلك مخافة الإسلام في حد ذاته، مما دفع الغرب إلى أن يثير قضايا كحظر الأسلحة النووية، وانتشار الديمقراطية، وخاصة اللعب على وتر حساس، ألا وهو حقوق الإنسان، والجماعات المضطهدة في الحضارة الغربية، كما أن الغرب يدعم ويساند كل دولة تسير في فلكه، وتقف موقفاً عدائياً من الاسلام والمسلمين كإسرائيل، إن "الصراع بين الغرب والإسلام ركز على القضايا الحضاراتية المتداخلة، مثل انتشار الأسلحة النووية والديمقراطية وحقوق الإنسان"[2].

وما هذه الأسباب إلا ظاهر للأسباب الحقيقية، والتي تعود إلى الجذور التاريخية للدين الإسلامي والمسيحي، فالبدايات ترى أن رفض المسيحية للإسلام، كان منذ نشأته وظهوره، بما أن المسيحيين كانوا يعتقدون أن دينهم هو آخر دين ونبيهم عليه السلام هو الآخر الأنبياء، إلا أن ظهور الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، قد أبطل كل خرافاتهم وتحريفاتهم، مما ولّد لهم منذ البداية العداوة والكراهية والضغينة للدين الجديد، وبدأت المناقشات تدور حول أي دين هو الصحيح، وعليه كانت "القضية المركزية للسياسة كما حددها لينين، هي جذور الخلاف بين الإسلام والغرب، إلا أن هناك أيضا الصراع الإضافي الذي كان يراه لينين بلا معنى بين صورتين مختلفتين لما هو صواب وما هو خطأ، ونتيجة لذلك من هو المحق ومن هو المخطئ"[3].

إن الغرب متناقض في مواقفه اتجاه الإسلام، فهناك مواقف تقف ضد ما يسمونه بالاسلاموية ويعتبرونها عملاً لا يعبّر عن الإسلام كدين يدعو إلى السلام والمحبة والتسامح، ويعتقدون بالتالي أن

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 342.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام صموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 157.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 342.

مشكلة الغرب مع الإسلاموية وليست مع الإسلام، وهناك مواقف يمثلها المستشرقون على الخصوص تقف من الإسلام كدين وحضارة موقف العداء والكراهية، إن الاختلاف الأساسي بين الإسلام والغرب هو اختلاف بين حضارتين وبين دينين، فالإسلام كدين يعتقد بعالمية رسالته وربانيتها، وأنه على المسلمين الإيمان بذلك، وبالتالي السعي في نشرها وتأكيد تفوقها، وإن ما عداها فهو دونها وباطل ونفس المنطق نجده في الغرب، حيث يعتقد الغربيون أن الحضارة الغربية هي أرفع حضارة، والدين المسيحي هو الدين القويم، وأن القيم الغربية عالمية، وبالتالي يجب أن تسود العالم، وباعتبار الغرب يملك القوة، فإنه لا بد من تسخيرها لنشر الرسالة المقدسة، ومحاربة قوى الشر والتخلف والإرهاب والدموية، إنها حرب باردة بين الإسلام والغرب، يعتقد فيها الكثير بأنها مرشحة أن تتحول إلى حرب فعلية بين الحضارات.

إن"المشكلة في الغرب ليست الإسلاموية، المشكلة الإسلام حضارة مختلفة، وشعوبها مقتنعة بتفوقها الثقافي وواعية بدونية موقفها...المشكلة، الغرب حضارة مختلفة شعوبها مقتنعة بعالمية ثقافتها واعتقاد هذه الشعوب بتفوقها، القوة تجبرهم بالالتزام لتوسيع تلك الثقافة خلال العالم، هذه هي المكونات الأساسية والتي تشعل الصراع بين الإسلام والغرب"[1].

وعليه فالصراع الحضاري بين الإسلام والغرب قديم وله جذور تاريخية، مر بفترات إشتعل فيها الصراع إلى درجة الحرب، ومر بمراحل الهدنة والتعايش السلمي، إلا أنه صدام لا يخمد إلا ويظهر مرة أخرى تستدعيه التغيرات الحضارية والتاريخية والسياسية، أو التغيرات الحضارية في كل زمن وحقبة، وإن استشراف المستقبل يؤكد استمرار الصراع، وأن هذا النوع من الصراع هو الذي لا يقبل الحلول الوسطى، وإن الدعوة إلى الحوار الحضاري لدى البعض هو ضرب من الخيال، وهو ما سنراه في الفصل الذي نتناول فيه الحوار بين الحضارات، كأطروحة مضادة لأطروحة هنتنجتون المعبّرة عن الصدام الحضاري.

و"طالما أن الإسلام يظل (وسيظل) كما هو الإسلام، والغرب يظل (وهذا غير مؤكد) كما هو الغرب، فإن الصراع الأساسي بين الحضارتين الكبيرتين، وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقاتهما في المستقبل، كما حددها على مدى الأربعة عشر قرنا السابقة، هذه العلاقات يزيد من تعكيرها عدد من القضايا الجوهرية، تختلف عليها مواقفهم أو تتصارع"[2].

فالقضايا التي تشكل لب الاختلاف بين الحضارتين، تكمن في أنها مرتبطة بالتكوين الأساسي لهما، وهنا تكمن الخطورة في العلاقة بين الغرب والإسلام، وهي علاقة مرشحة للتصادم أكثر من

1- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 165.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 343.

التقارب والحوار والتعايش، مادام كل طرف يتهم الآخر ويصفه بأبشع الأوصاف، وطالما الحكمة والعقل غائبان فإن التوتر في العلاقات هو ما سيسود بينهما، فالغرب يعتقد أن معظم الصراعات العنيفة والدموية كان وراءها المسلمون ودينهم، فالسيطرة على الأرض كانت أساس كثير من الصراعات بين المسلمين وغيرهم، وبين المسلمين والمسيحيين، إن صراعات خطوط التقسيم الحضاري تؤكد العنف الإسلامي، وأكبر مثال يقدمه هنتنجتون على ذلك هو الحرب العرقية بين الكروات والبوسنيين، إنها حرب كانت مدعمة من طرف الغرب، الرافض طبعا للإسلام في قلب الحضارة الأوروبية، إنه تطهير عرقي استهدف المسلمين، رغم أن الغرب صورها على أنها حرب عادلة بين شعبين ينتميان لحضارتين مختلفتين، فكانت المجازر ضد المسلمين، وكان وراءها الصمت الغربي المؤيد لهذه التصفية العرقية، ومنه "تاريخيا كانت إحدى القضايا الرئيسية هي السيطرة على مساحة من الأرض، ولكن ذلك_نسبيا_ لم يكن مهما في منتصف التسعينيات، كان هناك 19 صراعا بين المسلمين والمسيحيين، من مجمل 28 صراعا بين المسلمين وغير المسلمين، عبر خطوط التقسيم الحضاري...واحد فقط من هذه الصراعات العنيفة، أو التي كان يمكن أن تكون عنيفة، هو ذلك الذي حدث مباشرة بين الكروات والبوسنيين على طول خط التقسيم بين الغرب والإسلام"[1].

لقد اتهم الإسلام بالعنف، وأن خطوطه الحضارية خطوط دموية، وأصبح ينظر إلى المسلمين على أنهم متوحشون، وأن طبيعتهم البيولوجية ميالة إلى الدماء والعنف والإرهاب والقتل الوحشي، إنها أحكام لأكبر مفكري الغرب، الذين درسوا الحضارة الإسلامية وتاريخ المسلمين، ووصلوا على حد زعمهم إلى حقائق تؤكد أن الإسلام انتشر بحد السيف وأن المسلمين المتعصبين للدين، قد قاموا بأبشع مذابح في التاريخ ضد كل من رفض الدخول في الدين الإسلامي، أو كل من خالفهم في العقيدة.

"إن الإسلام ثقافة ميالةٍ للعنف بشكل خاص...فالمسلمون بحاجة دائما في كل نزاع متداخل الثقافات إلى خصوم غير مسلمين...فمن بين إثنين وستين فريقا يشتبكون في صدامات عنيفة بين الثقافات، هناك واحد وعشرون_أي الثلث_من الدول أو الجماعات ذات الأصول الإسلامية...فالشعوب الإسلامية تقع محشورة مثل الجبن في الشطيرة، بين ثقافات عالمية أخرى، في حين يشكل البحر حماية لأجزاء كبيرة من أجنحة (الثقافات) الأخرى"[2].

ومن خلال ذلك يرجع الفكر الغربي جل النزاعات والصراعات العنيفة إلى المسلمين، وأن المسلمين ميالون إلى عنف، خاصة مع كل من يخالفهم في الدين والثقافة، فكأنهم لا يعرفون الحوار والتسامح والسلام، إنهم جبلوا على العنف، والقسوة والجبروت، وذلك يعود إلى عقليتهم وطبيعتهم وبيئتهم وأنهم يرفضون كل ثقافة وكل حضارة، ومن حسن حظ الغرب أنه بعيد عن دوله، وأن هناك ما

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 343.

2- هارولد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتغتون، مرجع سابق، ص 28.

يفصله عن المسلمين ألا وهو البحر، لأن جل حروب المسلمين على الأرض كانت مع جيرانهم الذين لهم امتداد جغرافي معهم، فبعد أن أنهى الغرب علاقته بالعالم الإسلامي فيما يسمى بالاستعمار، لم يعد هناك احتكاك مباشر بين الغرب والمسلمين، وانتهى الصراع الطويل بينهم للتوسع على الأرض ليفسح المجال لخلافات حضارية تقوم على الاختلاف في المبادئ، والأسس كالعلمانية وحقوق الإنسان والديمقراطية، وما يرتبط بها من السعي لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، والهجرة التي يرى فيها الغرب أنها الخطر القادم من الشرق، والإرهاب الدولي والعابر للحضارات، وموقف الغرب من كل هذه القضايا، وتدخلاته في الدول الإسلامية، كوسيلة وقائية للحفاظ على هيمنته وعلى حضارته، مما فهمه المسلمون على أنه إمبريالية جديدة، وصراع حضاري بين الغرب والإسلام، فبعد "انتهاء الاستعمار الغربي للأراضي، وغياب التوسع الإسلامي، أحدثا نوعا من العزلة الجغرافية، لدرجة أن التجاور المباشر بين مجتمعات غربية وإسلامية لا يوجد إلا في مناطق قليلة في البلقان، وهكذا فإن تركيز الصراع بين الغرب والإسلام على الأراضي أقل مما هو على قضايا التداخل الحضاري الأوسع، مثل نشر الأسلحة وحماية حقوق الإنسان، والتحكم في النفط ومواد الطاقة، والهجرة وإرهاب الإسلاميين والتدخل الغربي"[1].

وبالعودة إلى تاريخ الصراعات بين الأمم والشعوب والحضارات، نجد أن معظمها كان عابرا وكان يقوم على الجزئيات، وأمور الاقتصاد والثروة وغيرها، أما الصراع الحضاري المؤسس على البعد الديني فإنه تجسد في صراع الغرب والإسلام، لقد مر الغرب في تاريخه بصراع مع الماركسية، إلا أنها كانت حربا إيديولوجية، انتهت بانتصار الليبرالية وإعلان نهاية التاريخ، والتحول الديمقراطي عند مختلف شعوب الحضارات، إلا أن الحرب الحضارية بين الإسلام والمسيحية، لم تعرف منهزماً ولا منتصراً لحد الآن، فقد مرت بمراحل التعايش والخمود، ولكنها تعود وتظهر وفق المتغيرات الحضارية والتاريخية.

"إن الصراع الذي شهده القرن العشرون بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية، لا يعدو كونه ظاهرة عابرة سطحية، إن هو قورن بعلاقة النزاع العميقة المتواصلة بين الإسلام والمسيحية ولربما يكون هذان الطرفان قد عرفا التعايش السلمي في بعض الأحيان، غير أن العلاقة بينهما غالبا ما اتسمت بتنافس محموم، وحروب ضارية تفاوتت في شدتها"[2].

لقد زادت شدة العداء بين المسلمين والمسيحيين، وظهرت مرحلة التشنج بين الحضارتين خاصة في حرب الخليج، أين اعتبر المسلمون هذه الحرب حربا على الإسلام، في حين يرى فيها الغربيون

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 343.

[2]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن كيفن جيه أوتول، الإسلام والغرب، ترجمة، هبة الباشا، دمشق، دار الفكر، ط1 2010 ص 117.

أنها حرب ضد الطغيان والحكم الشمولي، وضد الاحتلال، كما أنها كانت حربا من أجل تحذير الأمم الاسلامية، التي بدأت تعرف نوعا من الاستيقاظ، فهي حرب رادعة أرادها الغرب، من أجل أن يردع الدول الاسلامية وحضارتها، ويستظهر قوته في نفس الوقت، وبدأت بسببها فيما يشبه الحرب الباردة بين الغرب والإسلام، هذا الأخير الذي اعتبر الاعتداء على الأمة الإسلامية، هو إعتداء على الإسلام وحضارته وقيمه الحضارية، وكانت بالتالي "شدة هذا العداء التاريخي المتزايد، كانت أمرا معترفا به من قبل أبناء المجتمعين في أعقاب الحرب الباردة، في سنة 1991 مثلا كان "**باري بوزان (Barry Buzan)**"* يرى عدة أسباب لنشوب حرب مجتمعية باردة بين الغرب والإسلام، تقف فيها أوروبا على خط المواجهة، هذا التطور له علاقة بالقيم العلمانية مقابل القيم الدينية، له علاقة بالخصومة التاريخية بين المسيحية والإسلام، وبالغيرة من القوة الغربية، وبالاستياء من السيطرة الغربية الناجمة عن بنية الشرق الأوسط السياسية، بعد زوال الاستعمار، وبالشعور بالمرارة والامتهان نتيجة المقارنة البغيضة بين إنجاز الحضارتين الإسلامية والغربية في القرنين الأخيرين"[(1)].

يعتقد الغربيون أن أسباب العداء بين الغرب والإسلام كثيرة، ذكرنا بعضا منها في السابق ونذكر البعض الآخر هنا، حيث تعود علاقة العداء إلى الخصومة التاريخية من جهة، ومن جهة أخرى إلى أن الحضارة الغربية قامت على العلمانية، على خلاف الإسلام، وكذلك فإن الشعوب الغربية والإسلامية أصبحت تحمل كراهية بعضها لبعض، أي أن الكراهية لم تقتصر على الحكام والمفكرين بل امتدت إلى الشعوب، وما زاد الكراهية هو اعتقاد الغرب بأن المسلمين يغارون من الحضارة الغربية ومنجزاتها، في مقابل ضعف وتراجع الحضارة الإسلامية، كما أن معظم دول العالم الإسلامي قد خضعت للاستعمار الغربي، ما جعل المسلمين يشعرون بالامتهان، وأنه لا وجه مقارنة بين الحضارة الغربية التي تجاوزت الحضارة الإسلامية، وحتى باقي الحضارات بقرون من الزمن لا يمكن تداركها لكن الغرب بالمقابل، يعتقد أن وجود الآخر ضروري لتقوية الهوية، والاستعداد للدفاع عن القيم والحضارة، فهو عامل موحد، وإن استشعار عدو معناه العودة إلى الذات، لتأكيد القيم الحضارية وتوجيه القوة نحوه، مما يؤدي إلى زوال الصراعات الداخلية، وتوحيد الصفوف، "إن حرباً مجتمعية باردة مع الإسلام، سوف تساعد على تقوية الهوية الأوروبية بشكل عام...ومن هنا قد يكون هناك مجتمع في الغرب مستعد، ليس لدعم حرب مجتمعية باردة فقط مع الإسلام، بل ولتبني سياسات تشجع عليها"[(2)].

---

* باري بوزان (1946_) باحث إنجليزي.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 343 _ 344.

2- المصدر نفسه، ص 344.

وبضبط هنتنجتون لمفهوم الغرب، الذي استعرضناه في السابق، فإنه لا يفرق بين الغرب والمسيحية وكثيرا ما عبّر عنه بقوله الغرب المسيحي، لأن المسيحية لا يمكن فصلها عن الحضارة الغربية، رغم أن مفهوم الغرب، ليس مفهوما واضحا حتى نسقطه على المسيحية، وهنا يقول **كيفن جيه أوتول** "ويطرح هنتنجتون فرضيته هذه، تحت عنوان الإسلام والغرب، كما يستخدم كلمتي الغرب والمسيحية ببساطة مساوياً بين دلالتيهما من الناحية الفعلية، لكن مفهوم الغرب بحد ذاته ليس واضحا على الإطلاق"[1].

لقد نادى برنارد لويس بالصدام الحضاري، قبل مجيء هنتنجتون، ولقد حذّر من الخطر الإسلامي، لأن الإسلام في نظره ضد الغرب وحضارته وقيمه، خاصة قيم العلمانية والتراث اليهودي والمسيحي، وهنا يضيف برنارد لويس حلقة ثالثة في الصراع مع الإسلام، ألا وهم اليهود، وطبعا هذا يعود إلى أصوله اليهودية، وجعله اليهود والمسيحيين في جهة، والإسلام في جهة، حتى يظهر للغرب أن اليهود لا يقفون ضد الغرب بل يساندونه، وإن الإسلام ضد كل الحضارات والأمم والشعوب، التي تخالفه، فبرنارد لويس يعتقد أن الإسلام يقف ضد قيم الحضارة الغربية وضد عولمتها، وعلمانيتها ويدعو إلى عدم الاستثارة لذلك، لأن ذلك ليس من مصلحة الغرب، وعليه فـ "في سنة 1990 قام برنارد لويس، وهو مفكر غربي بارز مهتم بالإسلام، بتحليل جذور الغضب الإسلامي، واستنتج قوله "يجب أن يكون واضحا الآن، أننا نواجه حالة وحركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها، وهذا ليس أقل من صدام حضارات، والذي ربما كان غير منطقي، ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لمنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني، وانتشار كل منهما على مستوى العالم، ومن المهم جدا أننا من جانبنا، لا يجب أن نستثار إلى رد فعل تاريخي، ولا منطقي معادل ضد ذلك التنافس"[2].

ولقد عبّر جل المفكرين في الحضارتين، على أن العلاقة بين الغرب والإسلام تمر بفترة صعبة حيث يحمل كل طرف العداء للآخر، ويصفه بأبشع الأوصاف، فالغرب يرى في الإسلام ديناً دموياً وفي المسلمين إرهابيين، والإسلام يرى في المسيحية على أنها باطلة، وفي الغربيين على أنهم كفار وإمبرياليين، وهذا الوضع والمشهد العالمي، يعبّر عن حالة الاحتقان والصدام بين الحضارتين، ومنه "تمر العلاقات بين العالم الإسلامي، والبلدان الغربية بأزمة حقيقية، كما تصطبغ نظرة كل طرف إلى الآخر بالتحيز والإرهاب والعدوانية"[3].

---

[1]- كيفن جيه أوتول، الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص 117.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 344.

[3]- مجموعة من المؤلفين، الغرب والعالم الإسلامي، تقرير معهد العلاقات الخارجية، ألمانيا، (د ط)، 2002، ص 05.

لقد عبّر الفكر الإسلامي والمسيحي عن حالة الصدام بين الديانتين والحضارتين، وكل المعطيات ترشح الصدام بينهما، فالغرب يدعم من قوته بالهيمنة، واحتكار الهيئات العالمية الدولية وتسخيرها لصالحه، كما أنه يرفض بناء نظام عالمي جديد، تقوم فيه العلاقات بين الدول على الاعتراف بالتعدد الحضاري وبنظام عالمي عادل، تتوازن فيه القوى، ويقوم على الحوار، تكون فيه البدايات من كف الحضارة الغربية عن استصغار باقي الثقافات والحضارات وقيمها، وأن تراجع قيمها ومواقفها، لأن عالم الأحادية القطبية قد ولّى، وإن المستقبل سيعرف حضارات سيكون لها الدور البارز في صنع نظام عالمي جديد.

"ففي الجانب الإسلامي الكاتب الصحفي البارز **محمد سيد أحمد** كان يقول في عام 1994 "هناك علامات لا تخطئها العين على صدام يتنامى بين الفكر اليهودي المسيحي، وحركة الإحياء الإسلامي، والذي يمتد الآن من الأطلنطي غربا إلى الصين شرقا"، كما تنبأ هندي مسلم بارز في عام 1992 بأن المواجهة القادمة للغرب ستأتي تحديدا من العالم الإسلامي، مع زحف الدول الإسلامية من الغرب إلى باكستان، وسيبدأ صراع من أجل نظام عالمي جديد، كما يرى محامٍ تونسي كبير، أن الصراع قائم بالفعل "الكولونيالية حاولت أن تشوه كل التقاليد الثقافية للإسلام، أنا لست متأسلما، ولا أعتقد أن هناك صراعا بين الأديان، هناك صراع بين الحضارات"[1].

ويربط هنتنجتون الصراعات والحروب في العالم دائما بالإسلام كدين، إنه يتهمه بالدموية والعنف، ويعتقد في مقال أننا نعيش حروب المسلمين، فلقد زالت كثير من النزاعات، إلا أن الصراعات بين المسلمين، وبين المسلمين وغيرهم زادت حدتها، ويرجع هنتنجتون هذا الواقع الدموي للإسلام إلى غياب دولة مركز في العالم الإسلامي، كما أنه لا توجد دولة إسلامية تطمح إلى الزعامة، ولكن هذه مبررات عامة حتى يظهر هنتنجتون غير حاقد على الإسلام، لأنه في مقالات أخرى يتهم الإسلام كدين بالدموية والهمجية والقتل، وفي حوار له يقول هنتنجتون "استعملت تعبير الحدود الدموية للإسلام لأعبّر عن هذا الواقع...المسلمون يدخلون في حروب مع الشعوب الأخرى، أكثر من شعوب باقي الحضارات، وهم يتصارعون فيما بينهم أكثر من شعوب الحضارات الأخرى، أيضا أعتقد أن هذا نتيجة لغياب أية دولة مهيمنة سياسيا في الإسلام، ولأية منافسة على الزعامة بين الدول الإسلامية"[2].

لقد قاوم الإسلام وحضارته كل أشكال التغريب والتبعية، كما سعى الإسلام إلى إحياء المرتكزات الحضارية الخاصة به كدين وكحضارة، وزرع القيم الإسلامية والأخلاق، والرجوع إلى منابع الدين للاحتماء به من كل رياح التغريب، التي هبّت على العالم الإسلامي، رغم أن هناك من فتح لها نوافذه

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 344 _ 345.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص ص 119 _ 120.

إلا أن المسلمين في العالم الإسلامي، اعتبروا كل ما يأتي من الغرب شراً، وبالتالي الرفض التام له إلا أن الغرب اعتبر ذلك ضد التحديث والحضارة، وسعى بدوره جاهدا لنشر قيمه في العالم الإسلامي حتى يخلق تيارات تغريبية داخله، تخلق بدورها صدامات داخل العالم الإسلامي، وتحدث أزمات في الهوية، وكل هذا من أجل أن يجهض الغرب أي صحوة إسلامية، وحتى يحافظ على ريادته وقوته ومن ثمة مصالحه في العالم.

و"في الثمانينيات والتسعينيات كان التوجه العام للإسلام مضادا للغرب، وهذا في جزء منه نتيجة طبيعية للصحوة الإسلامية، ورد فعل ضد ما يعتقد أنه "تسميم غربي للمجتمعات الإسلامية، تأكيد الإسلام مهما كان شكله المذهبي، يعني رفض المؤثرات الأوروبية والأمريكية في المجتمع المحلي وعلى السياسة والأخلاق"[1].

وبدأت بين الغرب والإسلام حرب حضارية، كانت بدايتها حرب القيم، حيث وصف الغرب الإسلام وقيمه بالتخلف والتعصب والظلامية والرجعية، وكل هذا ضد الحضارة، بينما وصف قيمه التي يرى فيها العالمية على أنها تمثل التنوير والعقلانية وتحمل قيم التقدم والإنسانية، وبالمقابل وصف الإسلام الغرب وحضارته وقيمه، بأنها تمثل قيم الشر والانحلال الأخلاقي والفساد الديني والمادية الملحدة وغيرها من الأوصاف، وأكثر من ذلك اعتقاد كل طرف بأنه على صواب، والآخر على خطأ.

لقد كانت"التقاليد الثقافية والفكرية للتراث اليهودي والمسيحي (عند هنتنجتون) تمثل التقدم والتنوير والعقلانية، بينما يمثل العالم الإسلامي الظلمات اللاعقلانية، والتعصب والحب السادومازوشي* للاستشهاد"[2].

ولقد شهد العالم الإسلامي مراحل في التاريخ، فبعد أن كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوجها، وبعد أن أصيبت بالضعف، حاول بعض المفكرين والعلماء النهوض بالحضارة الإسلامية واللحاق بالركب، فظهرت تيارات في عصر النهضة العربية، منها من تأثر بالغرب، ورأى أنصاره أنه حتى نحقق نهضة فكرية وعلمية لا بد أن نتغرب، وبالمقابل ظهر تيار ينادي أصحابه برفض القيم الغربية والعودة إلى المحلية، أي العودة إلى قيم الحضارة الإسلامية والتمسك بها، فهي نفس القيم التي جعلت الأمة الإسلامية في الريادة في زمن ماضٍ، عندما تمسك بها الناس، أما قيم الغرب فإنها تحمل التسميم والتبعية، وهي خطر على الهوية الحضارية، وعليه فقد "كان زعماء المسلمين في الماضي يقولون لشعوبهم أحيانا "لا بد أن نتغرب"...والحقيقة أننا من الصعب أن نجد عبارات مديح للقيم

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 345.

* السادية والمازوشية اضطراب نفسي يتجسّد في التلذّذ بِإيقاع الألم على الطرف الآخر. أيّ التلذّذ بالتعذيب عامةً.

[2]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 23.

والمؤسسات الغربية على لسان أي مسلم، سواء من السياسيين أو الرسميين...إنهم بدلا من ذلك يؤكدون الاختلافات بين حضارتهم والحضارة الغربية، وعلى تفوق ثقافتهم والحاجة إلى الحفاظ على ثبات تلك الثقافة ضد الهجوم الغربي، المسلمون يخشون ويمتعضون من القوة الغربية، وما يمثله ذلك من خطر بالنسبة لمجتمعاتهم ومعتقداتهم"[1].

وهذا الاختلاف الجوهري بين الحضارتين، هو ما أيقظ الصراع بينهما، إنه صراع القيم التي تحملها كل حضارة وتدافع عنها وتعتقد بمطلقيتها وعالميتها، ومن هنا يتضح معنى الصراع بين الغرب والإسلام على أنه "لا يعني الصراع، تلك الصورة الحاضرة في مخيلتنا من الإرث الماركسي عن الصراع الطبقي، ولا تلك التي أثارها هنتنجتون في نظريته عن الصدام بين الحضارات، وإنما هي أقرب إلى الجدل الدائر والمتجدد دوما حول الخصوصية والعالمية، أو الهوية والعولمة، بل إن البعض أصبح يتحدث عن "صدام القيم" أو "الحرب بين القيم"[2].

لقد فتحت العولمة باب الصدام الحضاري أكثر فأكثر، بين الإسلام والغرب، فالعولمة كخطاب عالمي، يريد أن يجعل العالم يسير على نسقية واحدة وثقافة واحدة وحضارة واحدة، يقضي على الخصوصيات، ويكرس ثقافة القوي، ولهذا نجد المسلمين يقاومون الوافد الغربي، ويعتبرونه فاسدا ومفسدا، وأنه لا يحمل أية أخلاق، إلا الأخلاق المادية، وإن كان فيها جانب معنوي، فهو يؤثر سلبا في حياتهم وثقافتهم وأسلوب حياتهم، وموقف الإسلام من المسيحية موقف واضح، حيث يرى المسلمون في الدين المسيحي أنه دين سماوي محرف، وبالتالي فالغرب يتخذ منه ذريعة لتحقيق مصالحه وللهيمنة فقط، وبالتالي فالغربيون لا يحترمون دينهم، لأن دين الغرب اليوم أصبح المادة وفقط، بعد أن عزلوا الدين المسيحي من حياتهم وفصلوه عن سياستهم واقتصادهم وجل شؤونهم، على خلاف المسلمين ودينهم، ومن هنا فإن "المسلمين يرون الثقافة الغربية ثقافة مادية فاسدة متفسخة، ولا أخلاقية، كما يرونها معنوية، ومن هنا يؤكدون أكثر فأكثر على الحاجة لمقاومة تأثيرها على أسلوب حياتهم، ويهاجم المسلمون الغرب بدرجة متزايدة، لا لأن الغرب يتبع دينا غير كامل أو خاطئاً، رغم أنه دين كتاب، بل يهاجمونه لأنه لا يتبع أي دين بالمرة"[3].

إن حرب القيم بين الإسلام والمسيحية والغرب، وصلت إلى بحث كل طرف عن نقاط الضعف في حضارة وثقافة الآخر، فالمسلمون يرون في الغرب علمانياً ولا دينياً، وبالتالي لا أخلاقياً، لقد قامت الحضارة الغربية على الفكر الفلسفي المادي التطوري، وقانون البقاء للأقوى والأصلح، التي نظّر لها داروين وغيره من الفلاسفة التطوريين، بينما يهاجم الغرب خصومه من الشيوعية واللينينية والإسلام

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 345.

2- رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ص 71 _ 72.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 345.

واصفا أياهم بالكفار، أما المسلمون فيستخدمون نفس المصطلح لوصف الغرب، بالإضافة إلى أنه غرب متوحش ومادي يفتقر إلى الأخلاق الروحية، وهو نفس التصور سواء عند القادة أو عند عامة الشعب، كما يعتقد هنتنجتون الذي يقول في هذا السياق "في نظر المسلمين: العلمانية اللادينية وبالتالي اللاأخلاقية شرور أشد سواء في المسيحية الغربية التي أنتجتها، في الحرب الباردة كان الغرب يصف خصمه بالشيوعية الكافرة، في صراع حضارات ما بعد الحرب الباردة، المسلمون يرون خصومهم "الغرب الكافر" هذه الانطباعات عن الغرب كمتغطرس ومادي وقمعي ومتوحش ومتفسخ لا توجد عند أئمة الأصوليين فقط، وإنما أيضا عند أولئك الذين يعتبرهم كثيرون من الغرب حلفاءهم ومؤيديهم الطبيعيين"(1).

إن الموقف من الغرب، له أبعاد تاريخية ووقائع حاضرة، وليس هو مجرد وهم أو فوبيا، لقد مارس الغرب كل الأشكال الاضطهادية التي جعلت من كل الحضارات، وليس الإسلام فقط تصفه بالإمبريالي، فقد استعمر الدول وسلب خيراتها، واستعبد شعوبها ووصفهم بالعبيد الذين خلقوا لخدمة سادتهم أصحاب الحضارة في الغرب، كما أنه يمتلك قوة استخدمها في قهر الشعوب والأمم وتجويعهم دون رحمة أو تسامح أو إنسانية، لقد سخّر الغرب كل إمكانياته العلمية والتكنولوجية لإخضاع الشعوب خاصة المسلمة منها، وألقى عليهم القنابل المدمرة، وانتهك كل حقوق الإنسان، في حين يتشدق بالدفاع عنها، صورة الغرب في المخيال الإسلامي، وغير الإسلامي هي غرب استغلالي، لا يعرف الأخلاق في التعاملات الاقتصادية والسياسية، وتأكدت كل تلك الأفكار والتصورات في كثير من تدخلات الغرب في العالم الإسلامي، خاصة في حرب الخليج، إلى أن وصل الغرب إلى مساومة العراقيين بالحليب أو الغذاء مقابل البترول، إنها أبشع صور التراجع الحضاري والإنساني، وإنها صور تعبّر عن الوحشية والبربرية ويبقى،"الغرب مادي وإمبريالي، وألحق أذى بالأمم الأخرى من خلال الرعب الكولونيالي، الفردانية السمة الدامغة للثقافة الغربية، هي مصدر كل متاعب، القوة الغربية مخيفة الغرب منفردا هو الذي يقرر إذا ما كانت الأقمار الصناعية تستخدم لتعليم العرب، أو لإلقاء القنابل عليهم...الغرب قوة تسحقنا تحاصر أسواقنا...هكذا كنا نتخيل موقعنا، ثم جاءت حرب الخليج لتحول هذا التخيل إلى يقين"(2).

وتؤكد كل المعطيات في العلاقة بين الغرب والإسلام، أنها علاقة تقوم على التنافر، وأن هنتنجتون يعبّر عنها في الصدام، إلا أن بعض المفكرين، لا يرون فيها صداما حقيقيا بل سوء تفاهم أمثال إدوارد سعيد الذي يقول: "إن هنتنجتون يريد أن ينتهي عالمنا إلى حالة صراع... إنه يسعى إلى تدبير مشكلة بين الغرب واللاغرب، وفي هذا السياق هناك اهتمام واضح بالرغبة في فتح معركة مع

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 346.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الإسلام...فهو يصور الإسلام باعتباره الحضارة المرشحة لتكون الأكثر صدامية مع الحضارات الأخرى في العالم، ومن هنا تصويره للإسلام كهلال له حدود تتقطر دما"[1].

إن هذا التصوير يؤكد الحقد القديم على الإسلام من طرف الغرب، فرغم أن هناك تمايزاً واختلافاً حضارياً، إلا أن الإسلام لم يدخل يوما في صدام مع المسيحية، حيث كان النصارى يعيشون في أرض الإسلام لهم جميع الحقوق، ولهم حرية العبادة والمعتقد، ولكن الفكر الغربي الحاقد على الإسلام صورهم على أنهم محبّو الدماء، وأن الإسلام لا يمكن أن يكون دون أن تكون له حدود دموية والحقيقة هي أن التمايز الحضاري لا يمكن أن يكون سببا في الحروب والصدام، ما احترمت كل حضارة خصوصيات الحضارة الأخرى، سواء أكان ذلك بين الإسلام والغرب، أو بين الغرب والباقي فالاختلاف طبيعة الثقافات والحضارات والهويات، كما أن التنوع حقيقة أقرها العالم والعلم والتاريخ، وإن محاولة جعل الحضارة والثقافة واحدة، هي ثقافة وحضارة الأقوى، هو تعدٍ على الطبيعة في حد ذاتها وقضاء على الخصوصيات الثقافية، وإذا كانت العولمة تريد ذلك فإنها لن تستطيع مادامت هناك أمم وشعوب تقاوم.

"إن المسلمين متفقون على وجود اختلافات أساسية بين ثقافاتهم وثقافة الغرب، وكما عبّر عن ذلك الشيخ "**الغنوشي**" بقوله: "الخط الأساسي هو أن مجتمعاتنا مؤسسة على قيم غير تلك التي لدى الغرب""[2].

هناك حملة غربية على الثقافات والحضارات، فبعد أن وعى الغرب أن زمن الأحادية قد انتهى وإن عالماً جديداً بدأ في البروز والظهور يقوم على تعدد الأقطاب، والتي ستشارك في رسم السياسة الكونية، بدأ الغرب في الهجمة على الحضارات خاصة الصينية والإسلامية، معتمدا في ذلك على منظّريه أمثال برنارد لويس وهنتنجتون، اللذين اعتبرا الإسلام الخطر القديم الجديد، بعد زوال الشيوعية وعليه كانت "من بين أهداف الحملة فرض هيمنة الثقافة والقيم الغربية عموما، والأمريكية خصوصا على الثقافة والحضارة الإسلامية... متخذة من كتابات صموئيل هنتنجتون عن (صراع الحضارات) وكتابات برنارد لويس عن (خطر القوس الإسلامي الممتد من نهاية حدود المغرب، حتى بداية حدود الصين)، دافعا إيديولوجيا وتبريرا حركيا لإستراتيجية الهيمنة، التي يراد فرضها على عالمنا الإسلامي وذاتيتنا الحضارية"[3].

1- إدوارد سعيد، نقلا عن محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق، ص 96.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 346.

3- فؤاد السعيد وفوزي خليل، الثقافة والحضارة مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي، دمشق، دار الفكر، ط1، 2008 ص 83.

فهناك ثنائية متناقضة، الإسلام يزداد عداؤه للغرب وقيمه وحضارته، والغرب يزداد قلقه من صعود المد الإسلامي، وازدياد عدد سكانه ومهاجريه إلى الغرب، بالإضافة إلى تنامي ظاهرة الأصولية الإسلامية التي تحمل التطرف، وتنادي بالقضاء على كل ما هو غربي، بل وبغزو الغرب، ولهذا يحذّر القادة الغربيون من مغبة امتلاك المسلمين للسلاح النووي، واستخدامه في عمليات إرهابية ضد مصالح الغرب وحضارته، إن "العداء الإسلامي المتزايد للغرب، يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من الخطر الإسلامي المتمثل في التطرف، إنهم ينظرون إلى الإسلام كمصدر للانتشار النووي والإرهاب، وإلى المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في أوروبا، وهذه المخاوف تشترك فيها الجماهير والقادة معا"[1].

فالغرب بعد أن أسقط الشيوعية، ازداد فخرا بقوته وحضارته وقيمه، وما زاده حماسة هو أنه انتصر في حرب دون خسائر مما زاده قوة، إن تجربة الغرب مع المعسكر الشيوعي الأحمر يريدها الغرب أن تتكرر، لكن هذه المرة مع الخطر الأخضر ألا وهو الإسلام، ولهذا ينصح زعماؤه ومفكروه بضرورة الإسراع في التصدي له، قبل أن يتمكن حضاريا ويصبح خطرا على الغرب، حيث عبّر عن هذه الأفكار الرئيس الأمريكي السابق **نيكسون (Richard Nixon)*** الذي يقول: في كتابيه: (نصر بلا حرب) و(انتهزوا الفرصة، التحدي الأمريكي في عالم القوة العظمى الواحدة)، "إنه بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، ومعه سقوط الحركة الاشتراكية عالميا، سيواجه الغرب والولايات المتحدة خصوصا (ماردا آخر) هو الإسلام فينبغي للولايات المتحدة أن تعمل بسرعة على الامساك بما أسماه بالريادة الروحية في العالم وأن تعمل على عدم السماح لنموذج التشدد الإسلامي حسب تعبيره أن تجد فرصتها في هذا المجال"[2].

كل الظروف تشير بل تبشر بصدام حتمي بين الغرب والإسلام، وعلى هذا الأساس بدأت التعبئة في الغرب للتحضير لمرحلة ما بعد الحرب الباردة وزوال الشيوعية، إنها مرحلة تتطلب من الغرب أن يسيطر على مراكز القوة وتدعيمها، ومنع دخول غير الدول الغربية فيها، إنه الحلف الأطلسي القوة الرادعة ضد أي خطر من أي طرف غير غربي، كما أمسك الغرب أكثر بزمام الهيئات العالمية، وأصبحت تعبّر عن قراراته التي لا تخدم إلا مصلحته، حيث كل مرة يقرر مشروع قانون إلا وكان في خدمته، وكل مرة يعترض على مشروع قانون، إذا كان في مصلحة الباقي، وخاصة الدول الإسلامية، كما أن الغرب بإستراتيجيته العالمية، في السيطرة والهيمنة والتفوق، يحرك بؤر الصراع

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 348.

* ريتشارد نكسون رتشارد (1913_1994) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثين.

[2]- ريتشارد نيكسون، نقلا عن عبد الله فهد النفيسي، هل يشكل الإسلام خطرا على الغرب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003، ص ص 12 _ 13.

حتى يجعل من الدول دائما في حالة ضعف وفوضى، كما يستغل الغرب العلاقة المتوترة بين المسلمين واسرائيل، فالإسلام شر وخطر ودموي وعنيف، هي أفكار نجدها في الفكر الغربي، "وقد جاءت هذه الأفكار بعد نهاية الحرب الباردة، وفي أعقاب ما تنبأ به الرئيس الأمريكي السابق نيكسون من صراع حتمي بين الغرب والعالم الإسلامي، وما صرح به أمين عام الحلف الأطلنطي حينذاك، من أن الإسلام هو الخطر القادم، أو العدو البديل بعد سقوط الاتحاد السوفياتي"[1].

لقد زاد الضغط على العالم الإسلامي، منذ أن تعالت الأصوات وكثرت الأطروحات حول عدائيته، مما جعل العالم يعيش حالة من الترقب، وحرباً باردة جديدة بين الإسلام والغرب، ومما أشعل غضب الغرب وتوكيد أفكاره عن الاسلام هي هجمات 11 سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة الأمريكية، واتهام الإسلام والمسلمين بأنهم من خطط لضرب أكبر قوة عظمى في العالم، ومن هنا بدأت حرب الغرب وهجومه على المسلمين، ووصفهم بالإرهابيين، ولقد سماها أنذاك **جورج ولكر بوش (George Walker Bush)*** بالحرب المقدسة وادّعى أن الرب قد أمره بها، للقضاء على الشر أو محور الشر، وتحقيق العدالة العالمية.

إن دوائر صنع القرار في الغرب وأمريكا، تريد تشويه صورة الإسلام العالمية، التي تقوم على التسامح والسلام وإحترام حقوق الإنسان، إنها الفرصة المناسبة لضرب الإسلام في العالم، وجعله ديناً دموياً همجياً، وأن المسلمين الأصوليين ضد الحضارة بكل معانيها، فهم محبون للموت، والقتل والدمار، والواجب على الغرب أن يقف ضد أي انبعاث حضاري للإسلام، وأن يقف في وجه أي دولة إسلامية تريد أن تتزعم المسلمين، وتقود الحضارة الإسلامية، كما يجب على الغرب أن يمنع دول العالم الإسلامي من امتلاك وسائل القوة كالأسلحة النووية، مثل سوريا والعراق وإيران والجزائر، لقد "أشار عضو رفيع المستوى في إدارة كلينتون إلى الإسلام كمنافس كوني للغرب...بالإضافة إلى صور التطرف الإسلامي، لم يكن غريبا أن تتطور حالة شبه حرب حضارية بين الإسلام والغرب، بعد الثورة الإيرانية في 1979م"[2].

كما أن الإسلام، لا يعرف صراعا مع باقي الحضارات إلا الحضارة الغربية، إنه متجه بكل كيانه وثقافته وهويته وحضارته نحو مهاجمة الحضارة الغربية وتحديها، إضافة إلى الكونفوشيوسية، وربما هذه الأخيرة لا تتصارع مع الغرب إلا من خلال المصالح الاقتصادية، لكن تحالفاً حضارياً بين الإسلام والكونفوشيوسية أمر محتمل، وسيكون ضد الغرب وحضارته، "إن هنتنجتون قد تحدث عن

1- محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002، ص 73.

* جورج ولكر بوش (1946) رئيس أمريكا الثالث والأربعين.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 349.

الإسلام وتنبأ بأن بؤرة النزاع في المستقبل ستكون بين حضارة الغرب، من جانب والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية من جانب آخر"[1].

في بداية تحليله لعلاقة الغرب بالإسلام، التي تعرف صراعا وصداما حضاريا، كان هنتنجتون يرى أن العالم الإسلامي وجل دوله تقف ضد الغرب في جميع القضايا، وضد قيمه وحضارته، إلا أنه يرى أن العالم الإسلامي لا يحارب الغرب ككل، بل هناك دول تقف موقفا معاديا من الغرب، ألا وهي السودان وإيران، وهاتان الدولتان تعرفان بالنسبة إلى الغرب على أنهما دولتان أصوليتان، أما الدول الإسلامية التي تعادي الغرب، وهي ليست أصولية فهي العراق وليبيا وسوريا، وكل هذه الدول كانت تحارب الغرب بدعم من دول إسلامية أخرى، ومن منظمات إسلامية، خاصة الدول الغربية التي كانت تمنح إسرائيل الشرعية في فلسطين، إنه العداء التاريخي، وإن مساندة الغرب لإسرائيل على حساب المسلمين زاد من الحقد والكراهية لدى الشعوب الإسلامية، وجعلهم يرفضون السياسة العالمية التي تكيل بمكيالين، وتميل إلى دول القربى على حساب الدول الإسلامية، وقضاياها العادلة.

"فلم يكن كل الإسلام يحارب الغرب، دولتان أصوليتان (إيران والسودان) وثلاث دول غير أصولية (العراق وليبيا وسوريا) بالإضافة إلى عدد كبير من المنظمات الإسلامية، بدعم من دول إسلامية، مثل السعودية، كانوا يحاربون الولايات المتحدة وأحيانا بريطانيا، ودولا وجماعات غربية أخرى بجانب إسرائيل واليهود بوجه عام"[2].

إن ورقة إسرائيل في العلاقات الدولية مهمة بالنسبة إلى الغرب، لأنها تحدد العلاقة بين الغرب والإسلام، كما تحدد علاقة باقي الدول التي لا تنتمي إلى الإسلام، ولا إلى الحضارة الغربية، بالإسلام والغرب، ويمكن بالتالي تشكيل عالم ليس من ثماني حضارات، كما تصورها هنتنجتون في البداية، بل عالم يتشكل من ثلاث كتل، الغرب، والإسلام، والكونفوشيوسية، وفلسفة خلق عدو جديد للغرب تقوم عليه الحضارة الغربية، هي فلسفة آمن بها الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة، وتشكل عالم جديد، حتى إن الحضارة الغربية وصلت إلى مستوى أن جعلت من ذاتها في مقابل الباقي، من منطلق أن الغرب خرج منتصرا في حروبه التي خاضها، سواء في الحرب العالمية الثانية، أو في الحرب الباردة، وبالتالي أصبح يمثل القوة العظمى الوحيدة، وإن حضارته هي حضارة القوي، وقيمه هي الصالحة، والنموذج الحضاري الغربي هو الأمثل، ومنه كانت أفكار الغرب تنصّب في ضرورة وحتمية خلق عدو، أي "لابد

---

[1]- محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 73.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 350.

من خلق خصم جديد للغرب، يستطيع أن يوجه قواه لاحتوائه وإخضاعه، ولابد من افتعال صراع جديد مع الآخر...يكتب صموئيل هنتنجتون عن الغرب واضعا إياه قبالة سائر العالم"[1].

وإن سعي العالم الإسلامي لامتلاك وسائل القوة، جعل الغرب في خطر وخوف، وبدأت العراقيل والتهم واستخدام سلاح الديمقراطية، ومحاربة الديكتاتورية وحقوق المرأة والإنسان، لإيجاد مصوغات التدخل العسكري لفك الترسانة النووية، والتي بدأت تنتشر في كافة دول العالم الإسلامي، خاصة بعد ظهور مجموعات تقوم بنقل التكنولوجيا النووية إلى العالم الإسلامي، فها هي إيران تبني مفاعلات نووية، قادرة على صنع قنابل نووية، كما أن الدول الإسلامية كانت تنادي بحقها في امتلاك الطاقة النووية، وبالتالي من حقها بناء مفاعلات نووية للتزود بالطاقة، وأن كل رفض من طرف الغرب يعني إعلان الحرب، "كلا الطرفين كان يعترف بأن هذا الصراع حرب، فقد صرح "**الخميني**" باكرا وبدقة شديدة أن "إيران في حالة حرب فعلية مع أمريكا"، والقذافي كان باستمرار يعلن الحرب المقدسة ضد الغرب"[2].

إن قادة الدول في العالم الإسلامي، رغم أن الكثير منهم علماني، إلا أنهم كانوا يهللون أن الغرب هو العدو ويقومون بحشد الشعوب، وإظهار أن مواقفهم ضد الغرب من أجل حماية الإسلام والمسلمين، إلى أن وصل الغرب إلى التعبير عن حقده الدفين اتجاه العالم الإسلامي، بفكرة صدام الحضارات، خاصة وأنه أدرك ذلك النمو الحضاري للإسلام، "وما يعزز فكرة هذا القلق إزاء الظاهرة الإسلامية، ذلك التهلهل الذي اندلع في العالم الغربي للفكرة التي أطلقها في العام 1993 عالم السياسة الأمريكي الشهير صموئيل هنتنجتون...فاعتبر أن صدامات العالم الجديد لن تكون إيديولوجية، ولا اقتصادية، وإنما ستكون حضارية في الدرجة الأولى، وبعد أن عدد سبع حضارات أساسية في العالم خلص إلى القول بأن الصدام الحقيقي، سيكون بين الإسلام بمفهومه الثقافي والحضاري، وبين الغرب بعامة"[3].

وانطلاقا من معارضة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية العالمية، وسياستها ضد الدول الإسلامية، وكيلها بمكيالين، واستخدام معايير مزدوجة ودعمها غير المشروط لإسرائيل، عدو العرب والمسلمين، فإن دول العالم الإسلامي واجهت عدوانا أمريكيا، إن بالقوة العسكرية أو بالتدخل في سياساتها الداخلية، أو بإذكاء روح القبلية والعنصرية بين شعوبها، كما قامت الولايات المتحدة بتصنيف دول العالم وشعوبها إلى دول صديقة، ودول تسير في ركب الحضارة الغربية، ودول إرهابية، وبدأت

1- عبد النبي أصطيف، نحن والغرب، من صدام الحضارات إلى الشراكة المعرفية، مجلة الآداب، بيروت، المجموعة الطباعية، عدد ½ يناير/ فبراير، السنة 48، 2000، ص ص 04-05.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 350.

3- عبد الله فهد النفيسي، هل يشكل الإسلام خطرا على الغرب؟ مرجع سابق، ص ص 15_16.

الحرب الباردة، ووصف الغرب كثيراً من الدول أنها تمثل مثلث الشر، والذي يحتوي على دول من العالم الإسلامي ودول من آسيا، يعتقد فيها الغرب أنها خرجت عن القانون الدولي، وأنها دول ترعى الإرهاب، وتدعمه وتحمي مصالحه، كما أنها تقف ضد الحضارة، وهذه الدول هي التي تريد في الحقيقة أو تسعى لامتلاك الطاقة النووية، وبما أنها دول أصبحت لا تنتمي إلى عالم الحضارات المعاصرة فإنه يجوز غزوها وتوجيه ضربة عسكرية لها ولحكوماتها، و"على الجانب الغربي حددت الولايات المتحدة سبع دول كدول إرهابية بينها خمس دول إسلامية (إيران، العراق، سوريا، ليبيا السودان) والدولتان الأخريان هما كوبا وكوريا الشمالية ...المسؤولون الأمريكيون يشيرون إلى تلك الدول، كدول خارجة عن القانون، وعنيفة، شاذة، وهكذا يضعونها خارج المجتمع الحضاري العالمي ويجعلون منها أهدافا شرعية لإجراءات مضادة جماعية أو فردية"[1].

لقد زال العدو التقليدي للولايات المتحدة وللغرب المتمثل في الشيوعية، وأصبح العدو رقم واحد هو الإسلام، يقول في ذلك **هانز كينغ** في كتاب مشترك مع **محمد سعيد رمضان البوطي** "إذا كانت الشيوعية في الماضي العدو رقم واحد لزمن طويل، بالنسبة إلى بعض المسيحيين المتدينين وإلى اليهود فقد أصبح الآن بالنسبة إلى كثير من المسيحيين واليهود هو الإسلام"[2].

لقد زاد التوتر أكثر بين الغرب والإسلام، بعد الهجمات التي تمت على برجي التجارة العالمية حيث دمرت أحد قلاع القوة الأمريكية، ورموز الحضارة الغربية، التي تتحكم من خلالها في العالم والتي يسطر عليها في الواقع اللوبي اليهودي، إن مجرد تعرض أمريكا لهجمات يعد صدمة بالنسبة إلى الغربيين والأمريكيين، ففي حين كان الكل يعتقد بقوة ومتانة جهاز المخابرات الأمريكية، وقوة التكنولوجيا الغربية، انهار هذا الاعتقاد بعد الهجمات، ودخل الشك في نفوس الغربيين، بل إن الكثير بدأ في مراجعة فكرة قوة الحضارة الغربية وسيطرتها وعالميتها وحتى خلودها، ومن خلال ذلك ولتبرير ضعفها، فإن "حكومة الولايات المتحدة اتهمت الذين فجروا "مركز التجارة العالمي" بقصد "شن حرب إرهاب مدني ضد الولايات المتحدة...فإذا كان المسلمون يزعمون أن الغرب يحارب الإسلام، والغربيون يزعمون أن الإسلام يحارب الغرب، يصبح من المعقول أن نستنتج أن ما يدور شيء يشبه الحرب إلى حد كبير"[3].

إن هذه الأحداث قد شجبت من طرف الجهات الرسمية في العالم الإسلامي، كما شجبت من طرف الغرب وقادته، وتعالت أصوات تنادي بعدم جعل تلك الأحداث دافعا لعداء المسلمين وحضارتهم ودينهم، ودعوا إلى تغليب منطق الحكمة والحوار، وأن هذا العمل الإرهابي هو عمل معزول، ولا يعبّر

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 350 _ 351.

2- هانز كينغ ومحمد سعيد رمضان البوطي، دورالأديان في السلام العالمي، دمشق، دار الفكر، ط1، 2011 ص76.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 351.

عن الوجه الحقيقي للإسلام، كما أنه لا يعبّر عن السياسة الرسمية لقادة دول العالم الإسلامي، رغم أن هناك جهات قد استفادت منها ومن نتائجها كإسرائيل، ومنه يجب ألاّ نقع في فخ التحريض على الصدام بين الغرب والإسلام، وكما جاء في دراسة لمفكرين يحسب أحدهما على الإسلام والآخر على الغرب، ألا وهما محمد سعيد رمضان البوطي، وهانز كينغ، اللذان دعوا إلى التعقل وشجب العمل الإرهابي على أمريكا، وأن من قام بهذا العمل لا يعبّر عن سماحة الإسلام حيث يقولا: "ونحن لا يجوز لنا مع كل الشجب لأحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 ضد الولايات المتحدة، أن نسمح أن تحرض مثل هذه الأحداث على صراع الحضارات، الذي يمكن أن يسقط فيه ملايين الناس من لحم ودم في معركة بين تجريدين الإسلام والغرب"[1].

إلا أن إعلان الولايات المتحدة الحرب ضد الإسلام، أو ما سماه القادة الغربيون بالإرهاب أجج الوضع وأزَمه أكثر، وجعل المجتمعات في حالة ترقب، وجعل الوضع في حالة احتقان، وحدث ما يشبه الحرب الحضارية، حيث بدأ "الإسلاميون يخططون لاغتيال شخصيات غربية مهمة، الولايات المتحدة تتآمر لقلب الأنظمة الإسلامية المتطرفة...حيث شاركت الولايات المتحدة في 17 عملية في الشرق الأوسط، كانت كلها موجهة ضد مسلمين، ولن تحدث أي عمليات أمريكية من هذا النمط ضد أي شعب من حضارة أخرى"[2].

وقد استغلت الولايات المتحدة الظروف لتعلن الحرب ضد الإسلام، وكان العالم الإسلامي ودوله هو المستهدف، حيث قامت بعمليات عسكرية مباشرة، وأخرى تحت غطاء هيئة الأمم المتحدة وأخرى بتحريك قوى المعارضة في هذه الدول والموالية للغرب، قصد زعزعة الأنظمة التي تعتقد أنها تشكل خطرا عليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، سعت الولايات المتحدة من خلال كل ذلك إلى إعادة بعث الثقة في نفوس الغربيين، والتعبير عن قوتها التي لا تقهر، وبالتالي فتعرضها لمثل هذه الهجمات هو حدث عارض، بل إنه مفيد لفعل البناء، أي إعادة بناء القوة والتوحد حضاريا، لأن أمريكا استطاعت بهذا المنطق أن تقنع الغرب بأن حربها ضد المسلمين مشروعة، بل واستطاعت أن تقنع حتى بعض قادة الدول في العالم الإسلامي، فبإسم محاربة الإرهاب، جعلت أمريكا الإسلام العدو الأول والأكبر الذي يجب أن يحارب، فكانت بالتالي "أحداث 11 سبتمبر سنة 2001 الذرائعية (التي اعتبرت) أن الإسلام ينبغي أن يكون العدو الخصم، ومحور الشر الذي يجب شن حرب صليبية جديدة مدمرة عليه"[3].

1- هانز كينغ ومحمد سعيد رمضان البوطي، دور الأديان في السلام العالمي، مرجع سابق، ص 160.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 351.

3- السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ المنصورة، دار الوفاء، ط1، 2004 ص 12.

إن مصطلح الحرب الصليبية الجديدة، هو ما أكدته دوائر صنع القرار في الغرب، وعلى لسان بعض قادتها، اعتبرت الحرب على الإرهاب حربا صليبية جديدة على الإسلام، كما أنها حرب مقدسة أمر بها الرب، على قوى الشر والطغيان، وعلى الأنظمة التي تستعبد شعوبها، وتمارس عليهم الديكتاتورية، فلا بد من نقل قيم الديمقراطية للدول غير الغربية خاصة الإسلامية، لأنها أكبر الدول التي تعاني حكم الطغيان، وتحت قناع نشر الديمقراطية ومحاربة الإرهاب، دخل الغرب بكل حلفائه في حرب الخليج ضد الطاغية صدام حسين، ثم تغيرت أهداف الحرب، وأصبحت امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، التي تهدد الأمن القومي لإسرائيل والغرب، وما زاد الغرب حقدا على الإسلام والمسلمين هو الصمت الذي أبداه قادة بعض الدول الإسلامية حول الهجمات، وربما هو نفس المنطق الذي يتعامل به الغرب مع القضايا التي تخص المسلمين، فالغرب مارس الصمت عدة مرات في تقتيل الفلسطينيين وفي التصفية العرقية ضد البوسنيين، وهو يعترف بذلك، وبالنسبة إلى هجمات 11 سبتمبر فإن "الإحتجاجات ضد العنف المعادي للغرب غائبة تماما في الدول الإسلامية، الحكومات الإسلامية حتى الحكومات المحصنة الصديقة للغرب، والمعتمدة عليه صمتت لدرجة مثيرة، عندما يكون عليها أن تدين الأعمال الإرهابية ضد الغرب، من الناحية الأخرى نجد أن الحكومات والشعوب الأوروبية كثيرا ما أبدت ونادرا ما انتقدت الإجراءات التي تتخذها الولايات المتحدة ضد خصومها المسلمين"[1].

ويعتقد مفكرو الغرب أن بعض القادة في الدول الإسلامية، وبعض الزعماء ممن أعلنوا الحرب ضد الغرب وحضارته وقيمه، قد ألحقوا الأذى والإساءة بالإسلام، ولم يخدموا بالتالي حضارته في شيء بل جلبوا لها الحرب والدمار، وما على الباقي إلا تحسين صورة الإسلام في المحافل الدولية.

وإذا عدنا إلى الصراعات الحضارية، فإننا نجد أن الشعوب التي تشترك أو تتقارب ثقافيا وحضاريا وهوياتيا، يقف بعضها إلى جانب بعض، وتستشعر الخطر، الذي يكمن في الآخر المختلف إن الغرب ينظر اليوم إلى الاسلام على أنه الآخر، ووضع الإسلام في هذا المكان ليس دليل التمايز والاختلاف فقط، لأن ذلك من طبيعة الحضارات والأديان، وإنما المقصود منه الآخر العدو، كما أن الإسلام يضع الغرب في نفس الموضع، إن الغرب بالنسبة إلينا هو الآخر، لكن هنتنجتون يرى أن المشكلة ليست في الإسلام وفي الغرب، بل المشكلة تكمن في إقتناع كل طرف بتفوق حضارته وصحة عقيدته، وأن الآخر على باطل، وأن ثقافته أدنى من ثقافته، وأن هذه النظرة جعلت من كل طرف يعتبر حضارته وثقافته بأنها النموذج الذي يجب أن يسود العالم، ويعمم على باقي الحضارات والشعوب، إن نظرة الاستعلاء هي التي جعلت العلاقة بين الغرب والإسلام تكون دائما علاقة صراع ثقافي وحضاري، لم يعد إذن الصراع صراعا إيديولوجيا، لقد تحولنا إلى صراع أخطر لا يعرف النهاية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 352.

ولا الحلول الوسطى، وإذن يمكن القول بأنه "في الصراعات بين الحضارات على خلاف الصراعات الإيديولوجية الأقارب يقفون إلى جانب بعضهم البعض...المشكلة المهمة بالنسبة إلى الغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته المشكلة المهمة بالنسبة إلى الاسلام ليست المخابرات المركزية الأمريكية، ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي الغرب، حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفوقة إذا كانت متدهورة فإنها تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم، هذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب"[1].

إنها مكونات تنبع من عمق وصميم كل حضارة، الإسلام بدينه وثقافته يعتقد بعالميته، والغرب بديانته وحضارته يعتقد نفس الاعتقاد، وهذا ما يجعل علاقة الأخذ والرد بينهما قائمة، وعليه يرى هنتنجتون أن السلام والحوار بينهما غير ممكنة، إلا أنه يتهم في ذلك الإسلام، الذي يعدّه ضد القيم الغربية، وأنه دين متحجر غير منفتح على الآخر، إلا أن الواقع يؤكد أن جهود الغرب لتعميم قيمه ومؤسساته ليس الهدف منها الرقي بالمسلمين حضارياً، وإنما من أجل أن يسهل انقيادهم وإخضاعهم والهيمنة عليهم، "لهذا فقد رأى هنتنجتون استحالة الوئام بين الإسلام والغرب المسيحي، لأسباب زعم أنها نابعة من الإسلام، يأتي في مقدمتها كما يزعم (هنتنجتون) استياء المسلمين من جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته في العالم...من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي"[2].

إن الحرب هي حرب القيم والمعتقدات والهويات، فالإسلام يعتقد بأن قبول قيم الغرب، يعد هوية قاتلة لهويته، وأنه عليه بتحصين الهوية الداخلية حتى لا يتم اختراقها من طرف من يملك اليوم القوة ولقد أكد المستشرق الأمريكي برنارد لويس في دراساته، أن الإسلام عدواني، وأنه بالتالي العدو الأول للحضارة الغربية، إن المنطق الذي يسير عليه هؤلاء هو أن كل رفض للقيم الغربية، أو كل عملية إحياء للقيم المحلية يعد عملاً عدائياً اتجاه الغرب، في حين أن الإسلام في سابق عهده لم ينظر إلى الحضارات التي كانت أدنى منه بنفس المنطق، إنه سراب الخلود للحضارة الغربية من أعمى بصرها وبصيرتها، حتى أصبحت ترى في الآخر المختلف عدوا يجب محاربته، بل وافناؤه، لقد وصلنا إلى نهاية التاريخ، لكن التاريخ لم ينته بدليل أننا انتقلنا إلى عصر حروب جديدة، هي الحروب الإسلامية والتي ستبنى عليها العلاقات السياسية، وتخلق بالتالي صدامات حضارية بين الغرب والإسلام، وبين الإسلام وباقي الحضارات، كما يرى في ذلك هنتنجتون، حيث سيشهد العالم عنفا منقطعا، وتوترا حادا في العلاقات بسبب العنف الإسلامي، وسيغذيها زيادة النمو الديمغرافي للدول الإسلامية، وزيادة نسبة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 352.

2- السيد أحمد فرج، حوار الحضارات، في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص 23.

الهجرة من العالم الإسلامي إلى الغرب، كما سيؤدي فيها الاقتصاد دورا حاسما، وبالإضافة إلى هذه المعطيات فإن هنتنجتون يرى بأن الغرب بدأ في التدهور، وهذا ما يفتح المجال لباقي الحضارات للتنافس والسيطرة، خاصة الإسلام، لذا على الغرب أن يقبل الحوار قبل أن يتصدع وتغزوه باقي الحضارات، ومن خلال هذا كله "يرى هنتنجتون، أن المرحلة التي كان فيها الغرب هو القوة المهيمنة على الساحة الدولية قد انتهت، وصراع الحضارات سيصبح القضية المركزية على المستوى العالمي والمواجهة ستكون أكثر احتداماً بين الغرب والإسلام، وذلك على اعتبار أن الإسلام دين صارم يرفض الفصل بين الدين والسياسة، وأن المسلمين يشعرون باستياء شديد إزاء الغرب، ويقترح على الغرب ضرورة فتح الحوار، وتعلم التعايش في عالم أصبح متعدد الحضارات"[1].

وبالمقابل، يرى هنتنجتون أن الهجمات على أمريكا، لا تعني أنها دفعت الغرب إلى الوحدة، فكل حضارة تعاني تصدعات، وانقسامات وصراعات، بما فيها الحضارة الإسلامية، وكما يقول: "لا أقول إن الغرب قد توحد، ولا أقترح ذلك، من الواضح هناك انقسامات في الغرب، وهناك انقسامات داخل المسلمين...الناس في كل مكان يتحدثون عن الإسلام والغرب"[2].

فكل الدراسات خلصت إلى أن الصراع بين الغرب والإسلام صراع ديني ثقافي، فالإسلام صدامي دموي بل هو العدو، فالإسلام دين قوي التأثير باعتراف فوكوياما وهنتنجتون، إلا أن واقع المسلمين اليوم يؤكد تفرقهم، وحروبهم وصراعاتهم، فلو يظهر من يجمع المسلمين ويوحدهم، سواء تجسد ذلك في شخص، أو دولة مركز، فإن الإسلام ستعود إليه قوته وعالميته، وسيمثل أكبر خطر على الغرب وحضارته، وكما يقول **السيد أحمد فرج**، في كتابه: "حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية" "يرى هنتنجتون ما يراه فوكوياما، إن الإسلام دين قوي التأثير، ولكن المسلمين المعاصرين فاقدو الوعي بتأثيره وجاذبيته، وقد يفيقون يوما ويعون دينهم، فيصبح الإسلام الخطر الأكبر الذي يهدد حضارة الغرب"[3].

ونظرا إلى القوة الحضارية للإسلام فإن كثيراً من الشعوب قد عادت إليه للتمسك به، والاحتماء من الغزو الغربي وهيمنته، وكثيرا ما يوظف الإسلام في الصراعات والصدامات بين التيارات الحزبية والوطنية، والتي تريد أن تصل إلى السلطة والحكم، لأنها تعلم ما في الإسلام من تأثير كبير في الجماهير، ولقد أدركت كثير من الدول الإسلامية قوة الإسلام، فها هي تركيا العلمانية تعود إلى الدين الإسلامي، فرغم محاولات علمنة تركيا وسلخها عن الطابع الإسلامي، ورغم مجهودات كمال أتاتورك وحتى الذين جاءوا من بعده، إلا أن تركيا عادت إلى الإسلام، ولم تستطع لا الأوربة، ولا التغريب أن

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 109.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، هل أساء الفهم؟ مرجع سابق، موقع **www.orook.com** .

3- السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص 77.

يسلخها عن هويتها الحضارية التي تجذرت فيها، إن الدين الإسلامي يسكن الشعوب ويحركها كما تسكن الروح الجسد وتحركها، ولا يمكن سلخ شعب ما، أو أمة ما عن دينها وهويتها، مهما كان بريق الثقافة والحضارة المستوردة، إن الحضارة المستلبة هي عبارة عن حضارة فقدت قيمها الروحية، وبقيت متمسكة بالقيم المادية، التي ما تفتأ تزول بزوال أسبابها، للإسلام قوة الجذب والتأثير، وعليه أصبح الكثير يعي قوته، و"(حتى) الحكومات والحركات المعارضة اتجهت نحو الإسلام لتقوية سلطتها، وحشد التأييد الجماهيري...معظم الحكام والحكومات، بما فيها الدول الأكثر علمانية، مثل تركيا وتونس أصبحت على دراية بالقوة المحتملة للإسلام"[1].

فبالإضافة إلى قوته الروحية، يمتلك الإسلام قوة الانتشار وقوة النمو، من حيث عدد السكان، إن القوة الديمغرافية للإسلام تعد أحد أخطر المظاهر على الغرب، فزيادة نسبة الولادات في الدول الإسلامية، يجعل هذه الدول تعاني البطالة وغيرها مما يؤدي إلى التفكير في العنف، والإرهاب الداخلي والخارجي، كما أن النمو السكاني يؤدي كذلك إلى زيادة المهاجرين إلى الغرب، مما يجعلهم يشكلون جماعات إثنية محافظة على دينها ولغتها، ومقوماتها الحضارية وهويتها، وقد يدفعها ذلك إلى المطالبة بحقوق الأقليات، كما أنها تؤثر في الأفراد أصحاب الحضارة الأصلية، وهذا ما يؤدي إلى الغزو الإسلامي لبلاد الغرب، مما ينذر بنهايته وأفوله، كما أن المسلمين في البلاد الإسلامية يرفضون قيم الغرب ويعتبرونها قيماً غير إنسانية، ما دامت تقوم على المصلحة اللاأخلاقية، وعلى صراع المصالح الذي يطبق فيه قانون البقاء للأقوى، كما أنها قيم جافة خالية من أي روح أو شعور، وهي بالتالي تناقض قيم الإسلام الحيوية، "ومن العوامل التي ساهمت في نظر هنتنجتون في ترسيخ الصراع بين الإسلام والغرب في القرن العشرين وتأجيجه، النمو السكاني المتزايد للمسلمين، والصحوة الإسلامية والممارسات الغربية المتمثلة في السعي إلى عولمة القيم والمؤسسات الغربية، والتدخل في صراعات العالم الإسلامي، وانهيار الاتحاد السوفيتي العدو المشترك للغرب وللإسلام، والاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين، اللذين فاقم الاختلافات وعزز التشبث بالهوية والأصالة"[2].

إن من أصالة الدين الإسلامي وهويته، الدفاع عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، ضد كل محاولات التحريف والتشويه، كما أن الإسلام قد حمل للمسلمين أساليب الحياة والعيش، وبناء المجتمع والدولة، وبالتالي فهم ليسوا بحاجة إلى استيراد نظم اجتماعية وسياسية من الغرب، وكل من يحاول ذلك فإن ثأر الله ولعنته ستلحقه، ويستشهد في ذلك هنتنجتون بباحث إسلامي حيث يقول: "باحث إسلامي بارز هو **علي هلال دسوقي**، يرى الصحوة لمساع من أجل إحلال القانون

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 182.

[2]- المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا_الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف_مرجع سابق، ص ص 69 _ 70.

الإسلامي محل القانون الغربي ...ثأر الله ظاهرة كونية، ولكن الله قد جعل ثأره متغلغلا في الأمة مجتمع الإسلام"[1].

لقد انطلق الفكر الإسلامي في عصر النهضة من حركة الإصلاح، كما انطلق الفكر الأوروبي من قبل، إلا أن المنطلقات والأهداف تختلف في الفكرين الإسلامي والأوروبي، لقد حاول علماء ومفكرو الأمة إصلاح العقيدة أولا، ثم إصلاح ما يتبعها من السلوك والمعاملات، أما قضية فصل الدين عن الدولة فلا نجد لها أثرا في الفكر الإسلامي، إلا بعد أن هبّت رياح التغريب على العالم الإسلامي واحتك المسلمون بأوروبا الحديثة، حيث عزا الكثير سر تطور الغرب الأوروبي إلى فعل التحديث والعلمانية، وأرادوا من هذا المنطلق أن يقلدوا أوروبا حتى في نهضتها، لكنهم لم يفلحوا وجاءت فيما بعد ما سمي بالصحوة الإسلامية، وكان الإسلام في حالة نوم ليستيقظ، ولكن ليجد نفسه في آخر الركب الحضاري، وطرح سؤال النهضة كيف نتقدم؟ وما السبيل للحاق بالركب الحضاري؟ هل بالعودة إلى التراث والتمسك به؟ أم هل بالأخذ بالحداثة والقطيعة مع التراث؟ أم هل بالأخذ بهما معا؟

جاءت الإجابات مشكلة تيارات مختلفة، فهناك التيار التغريبي، والحداثي والتراثي، وحركة الإصلاح التي قادها زعماء الإصلاح في الماضي والحاضر، والتي كانت تهدف إلى الإصلاح الجذري، وكانت بالتالي "الروح الرئيسية في كل من الإصلاح والصحوة هي الإصلاح الجذري "الإصلاح لابد أن يكون شاملا"... يؤكد "**حسن الترابي**" هذه الصحوة شاملة، إنها ليست عن الإصلاح الفردي فقط، ليست فكرية فقط، وليست مجرد صحوة سياسية هي كل ذلك، إعادة بناء شاملة للمجتمع من القاع إلى القمة"[2].

إن الصحوة الإسلامية، وحركة الإصلاح في الفكر الإسلامي إذن، كانتا تريدان إعادة بناء المجتمع والفرد، حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من النهوض والرقي واللحاق بالركب الحضاري، ويؤكد كثير من مفكري الإسلام أن حركة النهضة والإصلاح، ليست الهدف منها مقاومة الغرب وقيمه وحضارته فحسب، بل كانت تهدف بالأساس إلى بناء مجتمع على أسس إسلامية صحيحة، وبالتالي خلق سبل التواصل والتفاعل بين أفراد الأمة، من أجل توحيدها والتمسك بهويتها، وهو ما عرف كذلك بحركة الإحياء الديني، التي عرفتها كذلك أوروبا في حركة الإصلاح التي مرت عليها، وإن عملية الإصلاح ستأتي ثمارها في المستقبل، وستعرف المجتمعات الإسلامية يقظة من سباتها، لتنطلق في عملية البناء والتشييد، وبهذا لا يمكن أن نغض الطرف عن هذه الحركة، كما يرى هنتنجتون الذي يقول بأن "تجاهل

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 182.
[2]- المصدر نفسه، ص 183.

أثر الصحوة الإسلامية على سياسة نصف الكرة الشرقي في أواخر القرن العشرين يعادل تجاهل أثر الإصلاح البروتستانتي على السياسة الأوروبية في أواخر القرن السادس عشر"[1].

وانطلاقا من هذه الحركية التاريخية، وإيمان المسلمين بعودة حضارتهم التي تحمل بوادر ظهورها في ذاتها، فهي حضارة تقوم على البناء الداخلي الروحي للفرد، فمهما انهارت القيم المادية أمامه، إلا أنه يبقى صامدا جوانياً، إن الإسلام قوة روحية، له تأثير كبير في الأفراد، وإن عودته إلى مصف الحضارات الكبرى تتطلب إصلاح سرائر الأفراد فقط، لتنبثق تلك القوة وتمضي في طريق الازدهار والتطور، كما أن أرض الإسلام تزخر بالثروات التي إذا ما استغلت أحسن استغلال فإن الإسلام ودوله مرشحة لقيادة العالم مرة أخرى، بالإضافة إلى قوته الديمغرافية، ومنه فإن الغرب ينظر إلى الإسلام من هذه الزوايا على أنه العدو، إنه الخطر القادم من الشرق، كما أن العودة إلى الإسلام، وظهور النهضة والصحوة الإسلامية "جعل هذا الأمر الغرب ينظر إلى الإسلام عبر التاريخ على أنه قوة عسكرية مهددة، ومجال اقتصادي حيوي، وعدو إيديولوجي، ونمت على وفق هذا المعيار ولادة أوروبا، ولا يمكن أن تتم إلا عبر الإسلام"[2].

وقد بدأت هذه الصحوة التي يتكلم عنها هنتنجتون في العالم الإسلامي، بالعودة إلى الدين والمعتقدات وإصلاحها، كما ازداد التمسك بمبادئ الدين الإسلامي، وظهر ذلك جليا في الممارسات والسلوكيات لدى المسلمين، وحتى في اللباس وغيرها، كما أن الإسلام بدأ يجد المساندة من جميع الشعوب الإسلامية، والمطالبة به كقانون حياة، أو كعقيدة وشريعة، وظهرت إلى الوجود جمعيات وأحزاب إسلامية، ولقي ذلك استحسانا ومساندة من الشعوب الإسلامية، كما بدأت حركة الإصلاح والصحوة والتجديد من إحياء الثقافة الإسلامية، ثم شملت المجتمع والسياسة وحتى الاقتصاد، إنها عملية تهدف إلى إعادة بعث الدين الإسلامي من جديد، في زمن التعدد الحضاري والمنافسة بين الحضارات، وفي زمن يشكل فيه الانتماء الثقافي أساس الهوية وأساس التمايز عن الآخرين، ولقد بدأت هذه العملية بعد انتهاء الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، وإعلان استقلال الدول العربية والإسلامية "في بداية السبعينيات اكتسبت الرموز والمعتقدات والمبادئ والممارسات والسياسات والتنظيمات الإسلامية التزاما متزايدا ودعما في كل أنحاء العالم، المكون من بليون مسلم...عنيت عملية الأسلمة أن تتم أولا في عالم الثقافة، ثم تنتقل إلى المجالات الاجتماعية والسياسية"[3].

ونتيجة لما لاحظه الغرب من حركية في العالم الإسلامي الكبير والواسع برقعته وشعبه، وبعد أن انهار العدو الشيوعي، ظهرت فكرة ايجاد عدو جديد، يحدد إستراتيجية أمريكا في رسم السياسة العالمية

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 183.

[2]- هشام جعيط، أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة، بيروت، دار الطليعة، ط2، 2001، ص 78.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 183.

والانتقال من مرحلة الصراع الإيديولوجي إلى مرحلة الصراع الحضاري، لضمان ديمومة الحضارة الغربية، والإبقاء على ريادتها وقوتها، فغياب عدو إستراتيجي يعني نهاية التنافس، وهذا قد يقود الغرب إلى حالة من الركود، والصراعات الداخلية وإلى التصدع ومن ثمة الزوال والأفول، إن بقاء الغرب متوقف على وجود آخر مختلف، يعتبر بمثابة الدافعية إلى الوجود والوحدة والقوة والكينونة، وعليه "لقد جهدت الإستراتيجية الأمريكية في اختيار الإسلام ليكون بديلا عن الشيوعية، وليملأ الفراغ العدواني حتى ليمكن القول أن المسألة لا تتعدى كونها ضرورة سياسية، وإستراتيجية أمنية تقتضيها سياسة ملء الفراغ العدواني الذي تفرضه ديمومة واستمرارية الحضارة الغربية"[1].

وبدأت الصحوة الإسلامية تكتسح جميع مجالات الحياة الإسلامية، بما فيها الحياة السياسية للمسلمين، أين بدت دعوات إحياء نظام الحكم في الإسلام، وأن الحاكمية لله، على خلاف أوروبا التي تفصل بين الدين والدولة، إلا أن الحراك الذي شهدته الصحوة على الجانب الثقافي والاجتماعي، أكثر منه على الجانب السياسي، وربما ذلك يعود إلى عدم النضج السياسي للمنظمات الإسلامية، ولكن النتيجة هي أن التطور الثقافي والاجتماعي، سيقود حتما إلى نضج سياسي، وستشهد الدول الإسلامية تغيرات هامة في المستقبل، وهو ما يراه هنتنجتون نفسه عندما يقول: "التجليات السياسية للصحوة الإسلامية أقل تغلغلا وانتشارا عن تجلياته الاجتماعية والثقافية، ولكنها ما تزال التطور السياسي المهم والوحيد في المجتمعات الإسلامية في الربع الأخير من القرن العشرين"[2].

إن إعادة البناء في الفكر الإسلامي تنطلق من الفرد والمجتمع، من أجل توكيد القيم العليا للدين وللثقافة الإسلامية، ثم التحضير لمرحلة البناء السياسي، الذي لا يعدّ هدفاً في حد ذاته، بل نتيجة، وهي المراحل التي تتبعها الصحوة في إعادة البناء الحضاري في كافة العالم الإسلامي.

"وذلك من البديهي أن تتبدى دوافع النزعة الثقافانية لدى هنتنجتون بصورة جلية، عندما ركز عمله بالأساس على الجانب الثقافي، وآنيه في ذلك، وأن معرفة الغرب بالإسلام والشعوب الإسلامية لم تكن لتنشأ وتتزعزع عن الهيمنة والمواجهة فحسب، وإنما من الكراهية الثقافية بالدرجة الأساس"[3].

فالنزعة الثقافية بدأت تطغى على الحضارات غير الغربية، من أجل العودة إلى الأصول، وإحياء الهوية الوطنية معتمدة في ذلك على الدعم الثقافي والديني والحضاري، في مواجهة مخاطر الهويات القاتلة والتغريب، إنها مراحل التجديد في كل ثقافة وحضارة، عندما تستيقظ وتهب إلى المستقبل، وهو

---

[1]- مؤيد عزيز، الإسلام والغرب، مجلة الموقف الثقافي، عدد 23، بغداد، دار الشؤون الثقافية، أيلول/ تشرين الثاني 1999، ص 10.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 185.

[3]- برنارد لويس وإدوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية، بيروت، دار الجيل، (د ط)، 1992 ص126.

ما تعرفه كثير من دول العالم الإسلامي، يغذيها الشعور بقوة الإسلام وكماله، كما آمن الكثير بأن الإسلام قادم، وإن بدايات الانهيار الغربي في ثقافته وهويته وحضاراته، هي بداية عودة الحضارة الإسلامية من جديد، وإن " الإحياء الإسلامي هو نتيجة انهيار قوة وهيبة الغرب"[1].

وهذه الجدلية التي تحكم الحضارات في تاريخها، هي التي وجدت في الماضي بين الغرب والإسلام وهي تعود اليوم، فهناك حضارة تتراجع في مقابل حضارة تعود وتنتشر، وهذا يعدّ من أكبر مخاوف الغرب، فما عرفه العرب في العصر الحديث والمعاصر، من حركة النهضة إلى الإصلاح إلى ظهور القومية، والرابطة الإسلامية وغيرها، إنما يعبّر أحسن تعبير عن محاولة الرجوع والنهوض بالحضارة، واللحاق بسائر الحضارات، وما يدعم هذه الأفكار هو أن الغرب يعتمد كثيرا على النفط من دول تنتمي إلى العالم الإسلامي، كما أن النزاع بين العرب واسرائيل، يؤدي دورا أساسيا في الصراع بين الغرب والإسلام، ومن هنا "يستطرد هنتنجتون كثيرا في مسألة النزاع ما بين الحضارتين الإسلامية والغربية الذي بدأ قبل 1300 عام، ويشرح مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وانبعاث القومية العربية والأصولية الإسلامية وتزايد اعتماد الغرب على نفط الخليج الفارسي (كذا) واندلاع حروب عديدة بين العرب وإسرائيل بفعل الغرب"[2].

فالعالم الإسلامي يمتلك مؤهلات تجعله منافسا لباقي الحضارات، كما تجعله متحررا من كل تبعية، فالثروات التي يزخر بها تجعله من جهة معتمدا على ذاته، كما أنه من جهة أخرى يعد مطمع الغرب وحضاراته التي تفتقر إلى هذه الثروة، ومن هنا يمكن أن نطرح جدلية الثروة والقوة والثقافة، لأن الغرب يعزو انتصار حضارته وقوته إلى امتلاك وسائل القوة والاقتصاد، وبالنسبة إلى العالم الإسلامي فإنه يمتلك الثروة التي ترشحه لامتلاك القوة، وبالتالي السيطرة والتفوق، "ومثلما كان ينظر في السابق إلى الثروة كدليل على تفوق ثقافة الغرب، أصبح ينظر إلى الثروة النفطية كدليل على تفوق الإسلام"[3].

إن العلاقات بين الغرب والإسلام، ستبنى على معطيات أساسية، ستحدد الصراعات والنزاعات أو الحروب في المستقبل، سواء أكانت باردة أو عسكرية، ولا توجد نيات حسنة للحوار الحضاري خاصة من طرف الغرب، ايمانا منه أن القوي لا يحاور الضعيف، وحتى الأطروحات التي تعد بديلا للحوار الذي يفترض الندية الغائبة، فإنها لم ترق إلى مستوى فلسفة الفعل، وهي مطروحة من جانب واحد فقط، ألا وهي فكرة تعارف الحضارات التي نادى بها **زكي الميلاد**، وفكرة تعايش الحضارات

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 191.

2- محمد مختار، جبهات الصدام وأسباب الصدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية، القاهرة، مجلة قضايا دولية، عدد 202، تشرين الثاني، 1993، ص 26.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 192.

وفكرة تحالف الحضارات التي نادى بها التويجري، إنها أطروحات تريد أن تكون البديل الفعلي لأطروحة صدام الحضارات التي جاء بها هنتنجتون، وقد تقود مثل هذه الأطروحات الى التخفيف من حدة الصراع والتوتر بين الغرب والإسلام، إلا أنها لا تقضي عليه، وستعبر عمّا يسميه هنتنجتون في فترة من فتراتها على سلام بارد، والخلاصة لهذه الأفكار أنه "لن تصبح العلاقات بين الإسلام والغرب وثيقة ولكنها ستصبح أقل صراعا أو ما يشبه الحرب، سيكون الطريق مفتوحا أمام حرب باردة، وربما سلام بارد"[1].

وقد عبّر الفكر الغربي بأطروحاته، سواء أطروحة نهاية التاريخ أو أطروحة صدام الحضارات عن انتصار الغرب وقيمه في الديمقراطية والليبرالية، والتحضير لمرحلة عولمتها، وقد رحبت كثير من دوائر صنع القرار في الغرب بهاتين الأطروحتين، إلا أنه في العالم الإسلامي فهم ذلك على أنه إمبريالية جديدة ومحاولة لضرب الإسلام وقيمه، وفرض نموذج حضاري على باقي الحضارات دون مراعاة للخصوصيات الثقافية والهوياتية، وعليه فقد كانت "كتابات عدد من الأكاديميين الغربيين وبخاصة في الولايات المتحدة، وهي كتابات عديدة، ولكن أكثرها شهرة كتابات الأول "لصموئيل هنتنجتون" بعنوان: صدام الحضارات، والثاني لفوكوياما بعنوان: نهاية التاريخ، وقد أثار هذان الكتابان ردود فعل متناقضة ففي حين اعتبرتهما دوائر غربية أنهما يعبران عن انتصار الرأسمالية والفكر الديمقراطي الغربي، وأنهما يبشران بمرحلة من التعميم الدنيوي على الأرض، وأيضا يحذران من بروز الأعداء الجدد الذين من بينهم الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية، اعتبرهما مفكرون من دول العالم النامي وخاصة العالم الإسلامي، بمكانة المانفستو الجديد لإعلان الحرب على الإسلام"[2].

إن الفكر الغربي قد أدخل في فكره وذاكرته ومخياله فكرة العدو، حتى إن الطبيعة تصبح عدوا للغرب إذا ما دمرت المدن والقرى، وأصبح زعماء الغرب يلقون باللوم على كل ما يدمر جزءاً من حضارته حتى الجمادات، إنها العادة التي رسخت في الفكر الغربي، لكن لا ننسى أن تعّود هذا التفكير يجعل الذات تنظر إلى الغير نظرة احتقار وعدوانية، رغم أن الآخر قد لا يحمل أي عدوانية أو حتى يفكر فيها، فما على الفكر الغربي، إلا أن يراجع ذاته، ويقوم بفعل النقد الذاتي حتى يدرك عيوبه ويصحح مساره ونظرته وسلوكياته الحضارية اتجاه الآخر، وكما يقول الفيلسوف الانجليزي **برتراند راسل (Bertrand Russell)*** "وفي كل كارثة هناك حافز طبيعي للبحث عن عدو لننحى عليه

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 198.

[2]– محمد نعمان جلال، الإسلام والمسلمون، التحديات والإستجابات في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007، ص 29.

* برتراند راسل (1872_1970) فيلسوف وعالم منطق ورياضي بريطاني، من أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة الغربية.

باللائمة... والالتجاء إلى كراهية عدو مزعوم كتبرير لأي حدث مؤلم في حياتنا، يكون في العادة مدمرا ومشئوما"[1].

إن العدوانية طبيعة متأصلة في البشر، لا تخضع لمنطق الانتماء ولا لمنطق البيئة، فالإنسان عدواني بطبعه، تحكمه مجموعة من الغرائز والدوافع، كما أنه مسالم محب للسلام والتواصل والتفاعل وإن الحضارة والمدنية قد هذّبت من سلوكياته العدوانية، وجعلت منه كائنا ثقافيا، ومخلوقا حضاريا ورغم أنه مارس العنف والجريمة والقتل الخبيء في لا شعوره، إلا أن العقلانية تفوقت على ذلك وقادته إلى التحضر والرقي بسلوكه والتعايش مع بني جنسه، ويجب ألاّ نقف من العنف موقفا سلبيا وأن نتهم كل سلوك عنيف بأنه خارج الحضارة، فكل حضارة مارست العنف في التاريخ، وعليه لا يمكن أن نبني عليه العداوة، فالعدوانية قد امتزجت بالحضارة منذ بداياتها الأولى، ولا يمكن أن نفصلها عنها، ولا أن نستثني حضارة دون أخرى، وإن "العنف الذي كان منذ القدم، العنف الذي يؤكد منابته الماورائية...هو الذي دشن تاريخ الإنسان من لحظة خروجه من الجنة وصار علامة فارقة له، عبر مفهوم (العدو) هذا المفهوم الذي امتزج بالثقافات، وتسلل إلى قلب الحضارات... وتداخل مع أشكال القيم الاجتماعية والتربوية والجمالية، فهو ليس وليد عصرنا الحديث، ليس حديث العهد دون أن يعني تبريرا للعنف المؤسس والمدار والمحتكر أمريكيا هنا"[2].

لقد تغلغل العنف في جميع السلوكيات الإنسانية، وحمل صفات العدوانية، إلا أنه يجب ألاّ نجعله هدفاً وغاية تريد أن تقضي على الآخر، وتدمر الإنسان والحضارة، كما أن احتكار العنف الرسمي أو المؤسس يجب ألاّ يكون من طرف الحضارة المهيمنة، والتي تدّعي العالمية، إن الحضارة تعني تجاوز العدوانية والسلوكيات البربرية والهمجية، فكلما ارتقى الإنسان في سلم الحضارة إلا وتخلى عن كثير من دوافعه العدوانية والغريزية في الهدم والتدمير.

"إن المزاعم التي أفرزتها أطروحتا "(فوكوياما) و(هنتنجتون) بأن خطوط التقسيم الثقافي هي التي رسمت لكل حضارة تاريخها، هي نوع من البلبلة المصطنعة لإيهام المسلمين أن الثقافة البروتستانتية الكاثوليكية ساعدت الغرب على إحراز التقدم والزحف نحو التحديث، ودعّمت الحقوق الإنسانية وحققت الرفاهية الاجتماعية، أما الثقافة الإسلامية التي شغلت نفسها بقتال دموي بحسب تعبير (هنتنجتون) في كل خطوط التقسيم الثقافي والديني، فهي المسؤولة بزعمه عن تأخر أصحابها وتخلفهم عن

---

[1]- برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة لطيفة عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د ط)،1994، ص ص67_68.

[2]- جان بودريار وإدغار موران، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، تقديم إبراهيم محمود، سوريا، دار الحوار، ط1 2005، ص 23.

التحديث والتقدم، بل هي التي تدفع الغرب إلى التفكير في اتخاذ المواقف المضادة لإدارة الشعوب الإسلامية وتحتم الصراع بين الغرب والإسلام"[1].

لقد أفرزت أطروحتا فوكوياما وهنتنجتون تاريخاً جديداً ورسمت معالم عصر جديد، يقوم على أن التقسيمات التقليدية قد زالت لتحل محلها التقسيمات على أساس القربى الثقافية، كما تعمدت تبيان سمو الحضارة الغربية والثقافة البروتستانتية، وعزت التطور الحضاري الغربي إلى الثقافة المسيحية والعلمانية الغربية، وفي المقابل، اتهمت تأخر المسلمين بسبب ارتباط حضارتهم وثقافتهم بالدين الإسلامي، الذي يعد عائقاً أمام التطور والرقي، بأفكاره المتخلفة عن الحياة وتغيراتها، فهو دين جامد يصيب العقل بالجمود والركون إلى التخلف، بل والتراجع في الركب الحضاري، بالإضافة إلى أنه دين دموي محب للقتل والعنف والإرهاب، على خلاف المسيحية التي تسمى بديانة التسامح، وأن الإسلام لم يعرف تغيرات سواء اجتماعية أو ثقافية وحتى سياسية، حيث بقي يفتقر إلى محرك لحضارته، ألا وهي دولة المركز، فغياب هذه الدولة جعله يعاني صراعات داخلية أدت إلى تمزقه، وصراعات خارجية أدت إلى ضعفه. و"إن غياب دولة مركز إسلامية عامل مساعد وأساسي على الصراعات الخارجية والداخلية المستمرة التي تميز الإسلام، وعلى الوعي دون تماسك، كما أنه مصدر ضعف بالنسبة للإسلام، ومصدر تهديد للحضارات الأخرى"[2].

من خلال هذه المقدمات والمنطلقات الحضارية، أصبح الإسلام مصدر تهديد للغرب، بل وقد صوره الغرب بأنه مصدر تهديد لكل الحضارات، حتى يستميل تلك الحضارات لتقف ضد الإسلام وقام مفكرو الغرب بدراسات استشراقية تناولت الإسلام وحضارته، ومكوناته الثقافية والدينية، وتاريخه الحضاري، للوصول إلى تفكيك كيف يفكر الإسلام والمسلمون، ووصلوا إلى استعداء الإسلام، ثم بعد ذلك عددوا الأسباب التي قد تجعل الغرب والإسلام في حالة صدام دائم، وهذه الأسباب وفق النظرة الهنتنجتونية تقوم على:

1- النمو السكاني في العالم الإسلامي...
2- الصحوة الإسلامية...
3- جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته...
4- سقوط الشيوعية...
5- الاحتكاك والامتزاج بين أبناء الحضارتين..." [3].

---

[1]– السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟، مرجع سابق، ص 20 _ 21.

[2]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 289.

[3]– سليمان العسكري، ماذا بقي من نظرية صراع الحضارات، مجلة العربي، العدد 518، يناير، 2002، ص 11.

إن هذه الأسباب في نظر مفكري الغرب، هي التي تجعل من الإسلام والغرب في حالة عداء وصدام دائم، وإن هذا الصدام سيزداد حدة في القرن الواحد والعشرين، وهي في حد ذاتها أسباب تحمل تحدياً خطيراً للحضارة الغربية، فالمسلمون يزداد عددهم بأضعاف الغربيين، كما أنهم أصبحوا أكثر تمسكا بهويتهم الحضارية، خاصة بعد الصحوة التي عرفها الإسلام، وبعد سقوط العدو المشترك للغرب والإسلام، واعتقاد الإسلام أن العدو الوحيد المتبقي هو الغرب، ولقد كانت الهجرة الإسلامية إلى بلاد الغرب من بين الأسباب التي أطلعت المسلمين على الحضارة الغربية وقيمها، واعتبارها قيماً مادية ومناقضة للإسلام، وهنا كان العداء الإسلامي للغرب، والذي في نظر الغرب بني على أسس ومبادئ يذكرها هنتنجتون في قوله:

"إن العداء الإسلامي للغرب هو:

أولا: عداء سياسي وليس حضارياً، عداء سببه السياسات الغربية ودورها المدمر...

ثانيا: عداء للسلوكيات الغربية وليس للشخصية الغربية أو الحضارة الغربية.

ثالثا: عداء عقلاني لأنه يمارس على أفراد لمجرد انتمائهم إلى الحضارة الغربية.

رابعا: عداء غير فعال وبالتالي لا يشكل أي تهديد حقيقي للحضارة الغربية..." [1].

ومن خلال هذه الأسباب دافع هنتنجتون عن موقف الحضارة الغربية من الإسلام، بل واعتبر تدخلات الغرب في دول العالم الإسلامي بالشرعية والضرورية، لنشر قيم الديمقراطية ومواجهة الأصولية والتطرف، التي تريد أن تضرب القيم، وحتى الغرب في عقر داره، ولهذا "كان هنتنجتون بالإضافة إلى فوكوياما من بين "المثقفين" الأمريكيين الستين، الذين وقعوا رسالة موجهة إلى العالم الإسلامي، توضح سبب تأييدهم لـ"الحرب الإنسانية" التي تخوضها الولايات المتحدة ضد الإرهاب في أفغانستان"[2].

والواقع أن العداء الغربي للإسلام عداء حضاري وسياسي وثقافي وديني، أما فكرة رفض الإسلام لسياسات الغرب، فكل الحضارات ترفض تلك السياسات القائمة على الهيمنة والمصلحة، وليس الإسلام فقط، كما أن الإسلام لا يعادي الحضارة الغربية ولا دينها، بل إنه يرفض ما تقوم به بعض الدول من سلوكيات ومعاملات ضد الإسلام، كما يرفض فلسفة القوة التي تطبقها أمريكا، والتي تريد من خلالها سيادة قيمها وعالميتها، وإقصاء قيم باقي الحضارات، بل عدم الاعتراف بالتنوع الثقافي والحضاري على أساس أن القيم التي يجب أن تسود هي قيم الحضارة الأقوى.

وعن فكرة تحالف الحضارات واتحادها في زمن الصراع، يعتقد هنتنجتون أن الإسلام سيتحالف مع الكونفوشيوسية، ضد المسيحية واليهودية، باعتبار أن الإسلام ليس له عداوة مع الكونفوشيوسية وليس له قرابة، إلا أن العدو المشترك سيوحدهما، أما بالنسبة إلى الغرب فإنه قد تتحالف المسيحية مع

1- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 110.

2- المرجع نفسه، ص 112.

اليهودية ضد الإسلام وحليفته الصينية، وعليه فقد "تنبأ هنتنجتون بمستقبل يتحد فيه الإسلام بالبوذية في الشرق في مواجهة المسيحية واليهودية في الغرب"[1].

وبهذا فإن مفهوم التحالف الحضاري له عدة معانٍ، منها تحالف حضارات ضد أخرى في زمن الصراع الحضاري، ومنها تحالف الحضارات ضد كل ما يقف في وجه الإنسانية وأمام تقدمها وتطورها، ولقد اعتقد الغرب في مرحلة من مراحل تاريخه، أن الغرب الذي أسقط الشيوعية، ورماها في مزبلة التاريخ، قادر على فعل الشيء نفسه مع الإسلام، وأن ذلك قضية وقت فقط، وأن العداء الغربي للإسلام يكمن في الإسلام الأصولي، الذي نجده في إيران وبعض الدول الإسلامية التي تحمل الكراهية والحقد للغرب وحضارته، وإذن "كما حوّل انهيار الاتحاد السوفيتي في العالم 1991 الشيوعية إلى شيء من بقايا الماضي، قررت واشنطن أن عدو الغرب رقم واحد الجديد بات الإسلام الجذري، الذي يستلهم التجربة الإيرانية، جرى الانتقال هكذا في وقت قصير من "نهاية التاريخ" إلى صدام الحضارات"[2].

إن هذا الانتقال قد رسم معالم تاريخ جديد، يقوم في الغرب باستشعار الخطر الأخضر، بعد زوال الخطر الأحمر الممثل في الشيوعية، وعليه إننا نعيش عصر الحروب الإسلامية، وزمن الصدام الحضاري، ولقد سئل هنتنجتون عن إمكانية التقارب بين العالمين الغربي والإسلامي فأجاب، بأن الغرب يتعاون مع العالم الإسلامي، وهناك دول مع العالم الإسلامي تتعاون معه، إلا أنه تعاون مبني على المصالح الإستراتيجية، فلا عدو دائم ولا صديق دائم في نظر الغرب، وقد تضطر أمريكا إلى أن تتحالف حتى مع الأنظمة الديكتاتورية إذا كان ذلك في مصلحتها، وفي حوار أجرته معه جريدة دي فيلت الألمانية يجيب هنتنجتون بصراحة عن السؤال التالي:

"هل توجد فرصة للتقارب بين العالمين الإسلامي والغربي؟ هنتنجتون: العالم الغربي يتعاون مع الدول الإسلامية والعكس، نظرا لأن السياسة الدولية لا تزال سياسة معقدة للغاية، فالدول لها مصالح متباينة وتلك المصالح هي التي ربما تقودها إلى تحالفات عجيبة وغير معتادة، فعلى سبيل المثال فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحالفت، ولا تزال تتحالف حتى الآن مع ديكتاتوريات عسكرية، حيث يبدو الموقف أننا كأمريكا نريد أن تتحول تلك الديكتاتوريات إلى ديمقراطيات، ولكن انطلاقا من مصالح قومية تقوم تلك التحالفات، كما هو الحال مع باكستان وأفغانستان والبقية تأتي"[3].

1- حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مرجع سابق، ص 35.

2- جلبير الأشقر، صدام الهمجيات، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل 11 أيلول وبعده، نقله إلى العربية كميل داغر، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2002، ص 60.

3- حوار هنتنجتون مع صحيفة (دي فيلت) الألمانية، نقلها وائل الأجهوري: **www.medad.com**

لقد زاد التصور السيئ للغرب عند العرب والمسلمين، فكل ما يعارض الإسلام فهو من الغرب، وبالتالي يجب رفضه ومحاربته، ويلاحظ هنتنجتون أن المسلمين لهم مشاكل حضارية مع جيرانهم وهو ما يؤكد أن خطوط التقسيم الحضاري تجعل الإسلام أكثر دموية، فالمسلمون لا يستطيعون العيش في ظل التسامح والسلام، ولقد ظهرت نزاعات على طول خطوط الإسلام بين الجماعات المسلمة وغير المسلمة، لا نجده بين الجماعات التي تنتمي إلى حضارات أخرى، إن حدود الإسلام تقطر دما هي العبارة التي يستخدمها هنتنجتون دائما ليبرر صراعات المسلمين فيما بينهم، أو بينهم وبين جيرانهم أما الغرب في نظر هنتنجتون فلا يعاني صراعات داخلية، وإنه لم يخض أكثر من صراعين بين حضارات مختلفة وصراعين داخل حضارات معينة، إن الغرب ليس مثل الإسلام الذي يحب العنف والدم والقتل، إن حدود الإسلام دموية تقطر دما، ثم يضيف إليها هنتنجتون حتى الأحشاء تقطر دما فالإسلام دين الدم، والمسلمون بطبعهم يميلون إلى الاقتتال وإراقة الدماء والعنف، بعد هذه الأحكام المبنية على خلفية إيديولوجية يتساءل هنتنجتون: "لماذا والقرن العشرون يوشك على الانتهاء نجد أن المسلمين هم الأكثر تورطا في مزيد من العنف بين الجماعات من شعوب الحضارات الأخرى...وهل كانت تلك هي الحال دائما؟"[1].

مازال هنتنجتون من خلال تحليلاته للعنف يتهم الإسلام والمسلمين، ويربط فلسفة العنف والإرهاب والقتل والتدمير بالحضارة الإسلامية، بل إنه يتساءل مستغربا إننا دخلنا القرن الواحد والعشرين، وما زال المسلمون على حالهم من حب العنف باسم الدين، ومن خلال حاضر المسلمين يتساءل هنتنجتون عن ماضيهم هل هو يشبهه، وهنا يرى بأن العنف في الإسلام قد نشأ معه، ولم يتوقف لحظة، وأنه ما زال مستمرا، إنها الحقيقة الطبيعية للدين الإسلامي، فهو قد انتشر بحد السيف ولا زال أفراده يفكرون في ممارسة العنف باسم الدين، ويعود هنتنجتون إلى تاريخ الحضارات في استقصائه لظاهرة العنف ليقرر بعدها "إن تحليل الميل إلى العنف في الحضارات عبر التاريخ قد يتطلب بحثا مطولا...(لكن) هناك ستة أسباب ممكنة تفسر كلا من ذلك والعنف داخل الإسلام نفسه ثلاثة أيضا تفسر فقط الميل الإسلامي المعاصر نحو العنف، بينما تفسر ثلاثة أخرى ميلا إسلاميا تاريخيا إن وجد، وإذا لم يكن هذا الميل التاريخي موجودا، فإن أسبابه المفترضة التي لا يمكن أن تفسر عدم وجود ميل تاريخي، يفترض أيضا أنها لا تفسر الميل الإسلامي المعاصر نحو العنف الجماعي:

أولا: هناك محاوجة أن الإسلام كان دينا للسيف منذ البداية، وأنه يمجد فضائله القتالية، الإسلام نشأ بين قبائل بدوية رحل متناحرة، هذه النشأة العنيفة مطبوعة في أساس الإسلام يذكر عن "**محمد**" نفسه أنه كان مقاتلا عنيفا، وقائدا عسكريا ماهرا (لا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن **المسيح** أو عن

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 426.

بوذا) نسبة "الفتنة" أو الصراعات الداخلية إلى "الجهاد" تحولت إلى حد كبير لصالح الأول "القرآن" وغيره من الإفادات في المعتقدات الإسلامية يحوي القليل مما يحض على تحريم العنف، كما أن مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلاميين.

ثانيا: منذ نشأته في الجزيرة العربية فإن انتشار الإسلام...وضع المسلمين في إحتكاك مباشر مع شعوب مختلفة"[1].

هذه الحقائق التاريخية وفق نظرة هنتنجتون تجعل من الإسلام ديناً يشجع على العنف، فقد قدّس الإسلام الجهاد، وجعله من أركان الدين الجديد، وهو بالنسبة إلى الغربيين عنف، كما أن الإسلام بعد ظهوره قد ضم قبائل كانت حياتها كلها قائمة على العنف والقتل والغزو، وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد في الجهاد، فإن هنتنجتون يقول إنه أول من يشجع على العنف، وهذا تفسير غير صحيح، كما أن هنتنجتون يتجاوز العنف الصليبي والجرائم التي ارتكبها المسيحيون في حق الشعوب الأخرى ومنهم المسلمون، نحن لا نقول عن **عيسى عليه السلام** أنه يشجع العنف، ولا عن **موسى** ولا عن محمد عليهم الصلاة والسلام، فهم كلهم أنبياء، كما أن اتهام القرآن الكريم الذي يحتوي على آيات الجهاد بأنه كتاب يحث على العنف فيه مغالطة، فالقرآن يحث على الجهاد لنشر الدين، والجهاد قد يكون بالسيف أو الكلمة أو القلم أو القلب، وله قواعد وضوابط، وبعد هذا التهجم على الإسلام وأصوله، يتهجم هنتنجتون على عقيدته، حيث يرى فيها أنها تمارس الاستبداد العقدي، لأنه دين غير علماني لا يفصل بين السياسة والدين، كما أنه يفرض الجزية على أهل الذمة، ويمارس التمييز العنصري، عندما يصف بلاده بدار السلام، ودار غيره بدار الحرب، ويتجلى ذلك في قوله: "الإسلام عقيدة أكثر استبدادية حتى من المسيحية، الإسلام يمزج بين الدين والسياسة، ويضع فاصلا حادا بين أولئك في "دار الإسلام" وأولئك في "دار الحرب""[2].

هناك موقف غير صحيح من الإسلام، يقوم على التحيز والتعالي واتهام الآخر، والنظرة الضيقة حيث يعتقد هنتنجتون أن الغربيين لا ينظرون إلى الإسلام على أنه عدو، في حين الإسلام يرى في أمريكا عدوا، وهذا تفسير ذاتي ينطلق من التحيز للحضارة الغربية، حيث يقول هنتنجتون: "لا يرى الأمريكيون الإسلام شعوبه، ديانته، أو حضارته عدوا لأمريكا، أما المجاهدون الإسلاميون المتدينون والعلمانيون على حد سواء، فيرون أمريكا شعبها، ديانتها وحضارتها عدوا للإسلام" [3].

إن استعداء أمريكا من طرف المسلمين، يعود في نظر هنتنجتون إلى أنها تحمل قيما وثقافة مضادة للإسلام، وأنها بتلك القيم تريد أن تقضي على الدين الإسلامي، ومشروعه الحضاري، إننا نرى

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 426_427.

2- المصدر نفسه، ص 428.

3- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 359.

ونشهد مشروعاً حضارياً ضد مشروع حضاري مناقض، فالثقافة الأمريكية ثقافة علمانية، تنادي بالحرية المطلقة، وترى في القانون الإنساني أساس قيام الأنظمة، وفي الديمقراطية أفضل نظام سياسي، وفي الليبرالية منهجا للتطور، وكل هذه المبادئ معارضة لتصورات الإسلام، عن الفرد والمجتمع والحرية والدين والدولة، ولكن بالمقابل يرى هنتنجتون أن وجود عدو قد يكون سببا في الوحدة والتماسك والتمسك بالهوية الحضارية لدى الغرب، لكن على الغرب أن يحذر من الإسلام وحضارته، وعليه أن يبقي السيطرة على دوله، وأن يزرع الفرقة بينها، كما يمنع الإسلام من امتلاك وسائل القوة والمنافسة العالمية، وكما يقول **عبد الله علي العليان،** معقبا على أفكار هنتنجتون "وإن على الغرب أن يستعد للنزال مع الحضارة الإسلامية، إذ هي حضارة معادية...ومن الاستعداد للصراع المقبل تجريد المسلمين من عناصر القوة والنهضة منذ الآن، حتى إذا وقع الصراع تكون قدرات العدو ضعيفة، وتكون تكاليف المواجهة من ثمة قليلة"[1].

لقد بدأ الصراع بين الغرب والإسلام، بعد سقوط الشيوعية، وكانت البداية بحرب باردة بين الإسلام والغرب، انطلقت من حرب الأفكار واتهام كل طرف للآخر، مستخدما في ذلك سلاح النقد للغير وإظهار نقائص كل حضارة وسلبياتها، من أجل زعزعة إيمان شعوبها ومناصريها، وضرب هويتها الحضارية، حتى يدبّ الضعف إليها ويسهل ترويضها أو القضاء عليها، قبل أن يتحول الصراع إلى حرب أو مواجهة عسكرية، وكما يقول **علي حرب** "إن الصراع بين الإسلام والغرب هو المقصود من عبارة الصدام، وهو صراع نعيش اليوم على الأقل على مستوى الفكر محطاته وفصوله"[2].

فالعقل الإسلامي يقر بأن تاريخ العلاقات مع الغرب قد عرف فترات حوار وتفاعلات، وأخرى فترات صراع، لكن التاريخ يثبت أن مراحل الحوار تمت في زمن السيطرة والقوة الإسلامية، وأن الغرب بتفاعلاته مع الحضارة الإسلامية، عرف كيف يقتبس عنها كثيراً من المعطيات الحضارية، التي شاركت في نهضته وتفوقه، وبعد تلك المرحلة بدأ الصراع مع الإسلام، خاصة بعدما أدرك الغرب التراجع الحضاري للإسلام، إن منطق الغرب هو منطق القوي الذي عادة ما يرفض الحوار، "والحق أن تاريخ العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية عرفت فترات حوار وتفاعل، وفترات تصادم وتطاحن"[3].

---

[1]- عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، ص ص 210 _ 211.

[2]- علي حرب، العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007 ص 61.

[3]- أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، الكويت، مجلة العربي، عدد 477، أغسطس، 1998، ص 31.

وتعتمد تفسيرات هنتنجتون في استشراف المستقبل على فكرة التوقع، انطلاقا من واقع العلاقات الدولية والسياسة العالمية بين الدول، والمتغيرات التي خلفها عالم ما بعد الحرب الباردة، حيث "توقع صداما للحضارات...وتوقع صراعا وحربا بين الإسلام والغرب بعد انهيار الاتحاد السوفياتي"[1].

وبالعودة إلى ما قاله هنتنجتون في أطروحته عن صراع الحضارات، على الغرب أن يستعد جيدا للمرحلة المقبلة، التي ستشهد صراعا مع الإسلام وصداما حضاريا قد ينتهي إلى حرب بين الحضارات، ما دام الإسلام يعتبر في نظر الغرب حضارة معادية وليست صديقة، وما على الغرب إلا أن يعد العدة للمواجهة المرتقبة "وما قاله هنتنجتون إن الصراع المقبل سيكون صراع حضارات، وأنه ينبغي على الغرب أن يستعد للنزال مع الحضارة الإسلامية "[2].

[1]- منذر الشوقي، صدام الحضارات أم صدام المصالح، جريدة الزمان، عدد 17، كانون الأول، 2006.

[2]- عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، الدار البيضاء، مركز الثقافي العربي، ط1 2005، ص 17.

المبحث الثالث: صدام الحضارات بين العولمة ونهاية التاريخ.

بعد أن انتهت الحرب الباردة وسقوط الشيوعية، وزوال الثنائية القطبية، وانتهاء الحرب الإيديولوجية بين الشرق والغرب، والتي جعلت الدول والأمم في توجس وخوف من أن تتحول إلى حرب عالمية ثالثة طرح السؤال أنذاك مع من أنت؟ وكانت إجابات الدول، إما مع الغرب الرأسمالي الليبرالي أو مع الشرق الشيوعي الاشتراكي، أو دون تحديد الانتماء من قبل بعض الدول، التي رأت في عدم الانحياز أفضل لها ولحضارتها وهويتها ومصلحتها، ولقد كان الانحياز أمرا ممكنا على خلاف عالم ما بعد الحرب الباردة، بعد كل هذا ظهرت أطروحة نهاية التاريخ للمفكر الأمريكي ذي الأصول اليابانية فرنسيس فوكوياما، الذي أعلن في كتابه "نهاية التاريخ والرجل الأخير" عن انتصار الليبرالية الغربية وأن هذه الأخيرة _أي الحرب الباردة_ هي آخر شكل من أشكال الصراع بين البشر، وأن الغرب سيمثل أحادية قطبية دون منافس، وأن القيم الغربية أثبتت صلاحيتها وقوتها وقيمتها، ولقد اعتبر هنتنجتون كلام فوكوياما غير صحيح أو صادق مطلقا، معلنا أن التاريخ لا ينتهي، وأنه رغم انتهاء الحرب الباردة إلا أن الصراعات لا تنتهي، بدليل ظهور صراع جديد، إنه الصراع بين الحضارات كذلك تصور الغرب لعدو جديد، ألا وهو الإسلام دليل آخر على بداية تاريخ جديد، تتحدد فيه العلاقات بين الحضارات على أساس القربى الحضارية والانتماء الهوياتي.

ولقد آمن هنتنجتون مثل باقي مفكري الغرب بأن كل حضارة تمر بأطوار ثلاثة، الأول طور الولادة، والثاني طور القوة، والثالث طور الإنهيار، وهنا ينتهي التاريخ، بالنسبة إليها لأنها لم تعد تصنع التاريخ، وأصبحت على هامش التاريخ، كما حدث لكثير من الحضارات في التاريخ الطويل، ولقد وصل الغرب إلى أوج حضارته، مما جعل الغربيين يعتقدون بأن حضارتهم أصبحت عالمية وكونية بل وكما يقول أرنولد توينبي اعتقاد سراب الخلود، بمعنى أن الخلود بالنسبة إلى أي حضارة هو سراب لأنه يرى في حضارته الشكل النهائي لأي حضارة يمكن أن يصل إليها الإنسان، ولقد مر هذا الاعتقاد على كثير من شعوب الحضارات السابقة.

وعليه "ينتهي التاريخ مرة على الأقل في تاريخ كل حضارة، وأحيانا أكثر من مرة، وعندما تنشأ دولة الحضارة العالمية يغشى بصر شعبها ما يطلق عليه توبيني "سراب الخلود"، ويصبح مقتنعا بأن ما لديه هو الشكل النهائي للمجتمع الإنساني، هكذا كان الأمر بالنسبة إلى الامبراطورية الرومانية والخلافة العباسية والإمبراطورية المغولية، والإمبراطورية العثمانية، مواطنو مثل هذه الدول العالمية "في تحد للحقائق المجردة الواضحة يميلون إلى اعتبارها أرض الميعاد، وهدفا للسعي الإنساني، وليس مأوى ليلياً في برية"[1].

1– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 487.

وفي دراساته للحضارات، يعتقد أرنولد توينبي أن الغرب في بداية الصراع مع الحضارات، وأنه في أوج قوته لا يتوقع هجوما مضادا، إلا أن الواقع بحسب أرنولد توينبي يتوقع هجوما منها، من أجل الدفاع عن هويتها وثقافتها، حيث نجده يقول: "إننا لا نزال في الفصل الأول فقط من قصة الصراع مع حضارات: المكسيك والبيرو، والمسيحية الأرثوذكسية، والإسلام، والعالم الهندوسي والشرق الأقصى...أخذنا منذ زمن وجيز نشاهد بعض آثار صراعنا مع هذه الحضارات، ولكننا لم نبدأ في مشاهدة آثار الهجوم المضاد والذي ستقوم به علينا"[1].

وبعد أن ينطلق هنتنجتون ليؤكد أن التاريخ لا ينتهي، وإن انتهى بالنسبة إلى حضارة ما، فقد بدأ في أخرى، كما أن التاريخ قد ينتهي في الحضارة الواحدة عدة مرات، إذا مرت هذه الحضارات بتعثرات ثم بقفزات، وانتصارات واستيقاظات، ولقد قدم هنتنجتون لنا مثالا عن نهاية التاريخ في الغرب ممثلا في بريطانيا، حيث "هكذا كان الأمر في أوج "السلم البريطاني" بالنسبة إلى الطبقة المتوسطة الإنجليزية في سنة 1897، حيث كانوا يرون أن التاريخ بالنسبة إليهم قد انتهى، وكان لديهم من الأسباب ما يكفي لجعلهم يهنئون بعضهم على الحالة الدائمة من السعادة العظيمة التي خلعتها عليهم نهاية التاريخ"[2].

هناك موجات في التاريخ الحضاري، ولعل هنتنجتون أدرك ذلك مما جعله يكتب كتابه الموجة الثالثة، مؤكدا أن الموجة الثالثة التي يشهدها تاريخ البشرية حاليا هو ظهور موجة الصراع والصدام الحضاري، أما ألفن توفلر في كتابه: "بناء حضارة جديدة" فيوافق هنتنجتون في فكرة الصراع، إلا أنه يختلف عنه وعن باقي المفكرين، عندما يقرر بأن الصراع المقبل لن يكون بين الإسلام والغرب أو الغرب والباقي، ولن تكون أمريكا في مرحلة اضمحلال، وإننا لا نشهد نهاية التاريخ، كما قرر فوكوياما بل إننا نشهد إعادة تشكيل العالم وفق ثلاث حضارات متصارعة فيما بينها، وتنطلق الاختلافات التصارعية فيما بينها على البعدين الاقتصادي والإستراتيجي، وهنا نجده يقول: "وعندما تصادم موجات التاريخ فإن حضارات بأسرها تتصادم...إن النظرية الموجية للصراع، تتنبأ بأن الصراع الأساسي الذي نواجهه ليس بين الإسلام والغرب أو "الآخر ضد الغرب" كما قال صموئيل هنتنجتون أخيرا، وليس أن أمريكا في حالة تدهور كما أعلن **بول كينيدي (Paul Michael Kennedy)**• ولا نحن على حد قول فرانسيس فوكوياما، نواجه نهاية التاريخ، وإنما التغير الاقتصادي والإستراتيجي الأكثر عمقا من

1- أرنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ترجمة أمين محمود الشريف، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (د ط)، (د ت) ص195.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 487.

• بول كينيدي (1945_) باحث أمريكي.

كل شيء هو انقسام العالم القادم إلى ثلاث حضارات مختلفة متمايزة، الصراع بينها وارد ولا يمكن رسم حدودها وخرائطها باستخدام المفهومات والتعريفات التقليدية"[1].

وعندما تصل حضارة ما إلى أوج قوتها ينتابها غرور المطلق، وتعتقد بالخلود والأبدية، فهل يصدق هذا على الغرب وحضارته، أم أن الغرب لا يخضع لقانون الحضارات؟ إن الحضارة الغربية متفردة ومختلفة عن غيرها، وهي عالمية، لكن هذا لا يعني أبدا أنها خالدة وأبدية، إن ما أصاب الحضارات من قبل سيصيب الحضارة الغربية لا محالة، رغم أن "المجتمعات التي تفرض أن تاريخها قد انتهى هي دائما مجتمعات يكون تاريخها على حافة الانهيار، فهل الغرب استثناء من هذا النمط السؤالان الرئيسيان صاغهما "**ميلكو**" على نحو جيد:

أولا: هل الحضارة الغربية صنف جديد في مرتبة وحدها...مختلفة لدرجة ألا يمكن مقارنها بكل الحضارات الأخرى التي كانت قائمة؟

ثانيا: هل اتساعها العالمي يهدد (أو يعد) بانهاء إمكانية تقدم كل الحضارات الأخرى؟"[2].

إن الإجابة عن هذه الأسئلة بحسب هنتنجتون في الفكر الغربي تحمل طابع الإيجاب، ولهذا يعتقد الفكر الغربي، بأن الحضارة الغربية لها من الخصائص والمميزات ما يجعلها متفردة وكونية وبالتالي لا تصاب بداء الفناء، إن الغرب مهيمن ومسيطر، وربما قد بلغ قمة السيطرة، ويعد رائد التحديث، وكل الحضارات تنظر إلى الغرب على أنه القوة العالمية الكبرى، وتحاول أن تقتبس من الغرب طرق التحديث من أجل اللحاق بالحضارة الغربية، ولهذا فالتاريخ لا ينتهي بالنسبة إلى الغرب وحضارته بل إنه انتهى للحضارات الأخرى، ليفسح المجال لامتداد حضارة الغرب واستمرارها، ومن خلال السؤالين الذين طرحهما هنتنجتون على لسان ملكو في الحضارة الغربية، يتوقع إجابة عنهما كما يلي: "يميل معظم الغربيين، وهذا طبيعي إلى الإجابة عن السؤالين بالإيجاب، وربما كانوا على حق في الماضي، كانت شعوب الحضارات الأخرى تفكر على نفس النحو وكانوا مخطئين، من الواضح أن الغرب يختلف عن جميع الحضارات التي كانت قائمة، في أن تأثيره طاغ على كافة الحضارات الأخرى التي وجدت منذ سنة 1500، كما أنه هو الذي دشن عملية التحديث التي أصبحت عالمية وكنتيجة لذلك كانت المجتمعات في الحضارات الأخرى كلها تحاول اللحاق به في الثروة والحداثة"[3].

لقد أصبحت المركزية الغربية هي المهيمنة على السياسة العالمية، وعلى صنع التاريخ العالمي، ولقد اعتبرت من خلال منطلقاتها أنها تمثل المركز، وباقي الحضارات تمثل الهامش، فالغرب هو الذي يصنع التاريخ وأحداثه، كما له السبق في إبداع الحداثة، وهيمن بقيمه العالمية، كالرأسمالية والليبرالية

[1]- ألفن توفلر، بناء حضارة جديدة، مرجع سابق، ص 29.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 487.

[3]- المصدر نفسه، ص 488.

واعتقد أنها قيم صالحة لجميع الحضارات، ومن ثمة أراد أن يقضي على الخصوصيات الثقافية لكل حضارة باسم العولمة والعالمية الغربية، فالثقافات التي سبقت الحضارة الغربية قد أنهت عهدتها الحضارية التاريخية، ومن الحضارات ما أفلت، مما يفتح المجال للحضارة الغربية لتعبر عن وجودها وبقائها وقوتها، وما على الحضارات إلا أن تندمج في الحضارة الغربية، إن هي أرادت أن تبقى وتستمر.

حيث "بدأت عملية احتكار تفسير التاريخ، والحركة التاريخية من كتابات المركزية الغربية التي صاغ صموئيل هنتنجتون مؤخرا مقولتها الأساسية في نهاية التاريخ، ومضمونها المركزي القول بأن التاريخ قد انتهى عند الرأسمالية الغربية التي تمثل النظام المثالي الأصلح لكل البشرية في كل مكان وبالتالي فإن الثقافات الأخرى هي ثقافات شاخت أو ما تزال قاصرة، ولم تعد قادرة على مسايرة التغيرات العلمية والاقتصادية والسياسية المعاصرة، لذا ينبغي إلغاؤها أو إلحاقها بثقافة العولمة"[1].

إن تفرد الغرب وتميزه الحضاري عن باقي الحضارات، كان بسبب التحديث، وإن الغرب وحضارته يخضع لنفس المسارات التي تظهر وتتطور وفقها أي حضارة، فالفرق في الزمن والوسائل أما الأطوار التي تمر بها الحضارات فهي واحدة في جميع الحضارات، رغم أن هناك من يرى بأن آليات ظهور وتطور الغرب كذلك فريدة ومتميزة عن باقي الحضارات التي سبقته، وهذا ما يجعله خالدا، وهنا يأتي السؤال الأساسي ألا وهو: "هل تعني سمات الغرب هذه أن تطوره وقواه المحركة كحضارة مختلفة تماما عن النمط الذي كان سائدا في الحضارات الأخرى؟ الدليل التاريخي وأحكام الباحثين في التاريخ المقارن تقول بالعكس، تقدم الغرب حتى الآن لم ينحرف بشكل كبير عن أنماط التطور التي كانت معروفة في الحضارات عبر التاريخ"[2].

إن الحضارات منها البائدة، والتي انتهت في التاريخ، ومنها المقاومة، ومنها التي في مرحلة النمو، ومنها التي تشهد حالة من القوة والنضج، ورغم أنه قد حدث بين الحضارات سواء في القديم أو الحديث صراعات، إلا أن التاريخ يؤكد أنه لم تستطع أي حضارة من إفناء حضارة أخرى، وعليه يمكن للحضارة أن تضمحل بالوهن الداخلي الذي يصيبها فتتحلل، وكما يذكر العلامة ابن خلدون أن الترف مدعاة لاضمحلال الحضارات، و"التاريخ يبرهن على أنه رغم الصراعات بين الحضارات، والتي أحيانا تتخذ أبعادا مدمرة، ومأساوية فإن أي حضارة لم تتمكن من قهر ولا تصفية الحضارات الأخرى نهائيا"[3].

1- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، الأسس الفكرية والنفسية والإجتماعية لدراسة الإرهاب، عمان، دار الحامد، ط1، 2006، ص 318.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 488.

3- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص153.

هناك في أي زمن حضارة مهيمنة وحضارات، ولم يخلُ التاريخ من تعدد الحضارات، وإن تطور التاريخ، وانتهاء الحرب الباردة أوحى للكثير بانتهاء الثنائية وظهور الأحادية الكونية، بسيطرة الحضارة الغربية وهيمنتها، إلا أنه كما قلنا سابقا، أن التاريخ يؤكد أنه لا يوجد عصر كانت فيه حضارة واحدة بل هناك حضارات، وعليه بعد الحرب الباردة، وحينما كان الغرب يعتقد بانتصاره النهائي وهيمنة حضارته كحضارة واحدة كونية، ظهر عالم جديد، وتشكلت سياسة كونية جديدة تقوم على عالم متعدد الحضارات متعدد الأقطاب، ويعود دائما هنتنجتون في هذه الفكرة إلى نظرية نهاية التاريخ التي نادى بها مواطنه فرنسيس فوكوياما في كتابه الشهير: "نهاية التاريخ والرجل الأخير" حيث يرى هنتنجتون أن فوكوياما اعتقد بنهاية التاريخ عندما انتصرت الليبرالية على الشيوعية وانهار الاتحاد السوفياتي وانتهت بالتالي الحرب الإيديولوجية بين المعسكرين، وبالتالي فإن الغرب وحضارته قد انتصر وانتصرت قيمه التي يريد أن تعولم وتصبح عالمية وكونية، وعليه رأى فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية، هي التي يجب أن تسود في كل دول العالم، كشكل نهائي من تطور الحكومات في العالم، وعليه لقد انتهت الصراعات وحسمت، ولم تبق إلا صراعات حول القضايا الاقتصادية والفنية، إلا أن هنتنجتون يعارض هذا الرأي، ويرى أن انتهاء الحرب الباردة ليس نهاية للتاريخ، وأن الصراعات لن تختفي، بل ستزيد حدة وستحمل طابعا جديدا ممثلا في الصراع بين الحضارات.

وفي تعليقه على نظرية فوكوياما حول نهاية التاريخ يقول هنتنجتون:"أحد النماذج المغرقة في التفاصيل كان يقوم على افتراض أن انتهاء الحرب الباردة، يعني انتهاء الصراع الكبير في السياسة الكونية، وظهور عالم واحد منسجم نسبيا، والصيغة التي نوقشت على أوسع نطاق من هذا النموذج كانت هي أطروحة "نهاية التاريخ" لـ "فرنسيس فوكوياما"، يقول فوكوياما "ربما كنا نشهد نهاية التاريخ بما هو نقطة النهاية للتطور الإيديولوجي للبشرية، وتعميم الليبرالية الديمقراطية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الإنسانية"، ثم يقول: وللتأكيد فقد تحدث بعض الصراعات في أماكن من العالم الثالث، ولكن الصراع الكبير قد انتهى، وليس في أوروبا فقط" وبالتحديد في العالم غير الأوروبي"، حيث حدثت التغيرات الكبرى خاصة في الصين والاتحاد السوفيتي، لقد انتهت حرب الأفكار، وقد يظل المؤمنون بالماركسية اللينينية موجودين...ولكن الديمقراطية الليبرالية الشاملة قد انتصرت، وسوف يكون المستقبل مكرسا ليس من أجل الصراعات الكبرى الحامية حول الأفكار، بل بالأحرى من أجل حل المشكلات الاقتصادية والفنية المعاشة"[1].

إن الصراعات الكبرى في العالم قد انتهت من وجهة نظر فوكوياما، لتفسح المجال للهيمنة الغربية وحضارة الغرب، وإن وجدت بعض الصراعات فهي التي تكون بسبب المشاكل الاقتصادية والمعيشية

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 51 _ 52.

إلا أن لهنتنجتون ونظريته موقفاً آخر، حيث يؤكد عودة الصراعات، ولكن هذه المرة على المستوى الأكبر، إنه الصراع بين الحضارات، والذي يحمل صراعاً ثقافياً وهوياتياً، فالناس لم يعد يهمهم الاقتصاد وقضايا السياسة، بقدر ما يهمهم الانتماء الإثني والحضاري، ومن أهم عوامل الانتماءات نجد الدين، وستنشأ بالتالي نزاعات وصراعات داخل الحضارات، تقوم على الإثنيات، كما يمتد الصراع ليشمل الدول/الأمم وسنشهد انهيار الدولة بالمفهوم التقليدي، وتصبح الانتماءات تتم على مستوى الثقافة والحضارة، كما أن هناك صراعا بين العالمية والمحلية، وربما يقصد هنا هنتنجتون صراع الثقافات والحضارات، بين حضارة تعتبر نفسها عالمية، ألا وهي حضارة الغرب، وحضارات نامية تدافع عن خصوصياتها المحلية، والنتيجة أننا نشهد ولادة تاريخ جديد مبني على الصدام بين الحضارات، حيث "تدخل السياسات العالمية مرحلة جديدة لم يتردد المثقفون إزاءها في تقديم رؤى لما ستكون عليه نهاية التاريخ، وعودة النزاعات التقليدية بين الدول/الأمم وانهيار الدول/الأمم من جراء الدوافع المتعارضة للنزعة القبلية والنزعة العالمية"[(1)].

إن فلسفة نهاية التاريخ قد حكمت على نهاية الصراعات التي تنبعث من البعد الإيديولوجي لتأتي نظرية صدام الحضارات، لتعلن بداية نوع جديد من الصراعات، ألا وهي الصراعات ذات الطابع الحضاري، وعلى هذا الأساس سيعاد تشكيل العالم وفق السياسة الكونية الجديدة، ومن خلالها سيعلن ولادة تاريخ جديد، إن انتصار الليبرالية الغربية سيجعل كثيراً من مفكري الغرب يعتقدون بنهاية التاريخ حيث "يذكر فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ، أن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي تمثل نهاية التاريخ"[(2)].

إن التاريخ الجديد، الذي بدأ بعد نهاية الحرب الباردة، وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 سيحدد الانتماءات وفق أطروحة جديدة، ألا وهي أطروحة الانتماءات الثقافية والهوياتية والحضارية، حيث أصبح الانتماء يحدد وفق من نحن؟ ومن هم؟ أي وفق البعد الذاتي، والتعرف إلى حقيقة الشخصية وفي نفس الوقت التمايز عن الآخر المختلف ثقافياً وهوياتياً وحضارياً، ومن هذا المنطلق ستعرف الحضارات التي تتكون من عدة هويات مختلفة صراعات داخلية، تقوم على البعد الإثني والعرقي وستكون أشدها تلك التي تكون مبنية على الاختلافات في الدين، وسنشهد صراعات داخل الحضارات تقود إلى تمزق بعضها داخليا وتفككها، كما سيشهد العالم مرحلة تحديد الإنتماء، فهناك من الحضارات ما يعود ويتجه إلى إحياء ثقافاتها والتمسك بإنتماءاتها، وهناك التي تعاني تصدعات داخلية، وهناك التي تسير في فلك الغرب، وهناك التي تقبل بالتحديث الغربي، إلا أنها ترفض التغريب حفاظا على هويتها الحضارية.

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 11.

2- عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، مرجع سابق، ص 95.

"ففي المستقبل وعندما يتمايز الناس في ما بينهم بحسب الحضارة، فإن البلدان التي توجد فيها أعداد كبيرة من الشعوب ذوي الحضارات المختلفة...مرشحة لتقطيع أوصالها، ولدى بعض البلدان الأخرى درجة كبيرة من التناغم الثقافي، لكنها منقسمة حول إذا ما كان مجتمعها ينتمي إلى حضارة أو إلى أخرى، وتلك هي البلدان الممزقة، وعادة ما يرغب زعماؤها في اتباع إستراتيجية الانطواء في قافلة العربات وجعل بلدانهم أعضاء في الغرب، لكن تاريخ هذه البلدان وثقافاتها وتقاليدها ليست غربية"[1].

وتعود في الحقيقة أطروحة نهاية التاريخ، كما يرى فرنسيس فوكوياما إلى الفلاسفة الألمان وعلى رأسهم فريديك هيجل، وكارل ماركس، **وفريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)**• ووفقا لفلسفته في التاريخ، فإن كلهم يعتقدون أن نهاية التاريخ، تعني وصول البشرية إلى شكل مجتمع يحقق فيه الأفراد جميع رغباتهم، فهيجل حصر هذا المجتمع في المجتمع الليبرالي، وهو ما رآه فوكوياما وهنتنجتون وجون راولز وغيرهم، أما ماركس فحصره في المجتمع الشيوعي، وهو ما فنده فوكوياما وغيره، عندما رأوا انهيار الشيوعية والمجتمع الذي يمثلها، مما زادهم إيمانا بأن الشكل النهائي الذي يجب أن تصل إليه البشرية هو الليبرالية والديمقراطية الغربية، حيث "يرى فرانسيس فوكوياما، أن كلا من هيجل وماركس، كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع الاحتياجات الأساسية والرئيسية للبشر، فهو عند هيجل الدولة الليبرالية، وعند ماركس المجتمع الشيوعي، ولكن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بشأن الديمقراطية الليبرالية كنظام صالح للحكم، بعد أن ألحقت الهزيمة بالإيديولوجيات المنافسة"[2].

وبالتالي فقد اتفق هنتنجتون مع فوكوياما على أن الليبرالية قد انتصرت، معلنة انتصار الحضارة الغربية ونهاية الصراعات الإيديولوجية، إلا أن هنتنجتون يختلف مع فوكوياما حول نهاية التاريخ وانتهاء الصراعات، سواء بين الدول أو الأمم أو الحضارات، ليؤكد أن المرحلة المقبلة ستشهد صراعات وصدامات من نوع جديد، تقوم على البعد الثقافي، وبالتالي بداية تاريخ جديد، وهو ما يراه عبد الوهاب المسيري عندما يقول: "إن أطروحة هنتنجتون هي عكس أطروحة فوكوياما، فبينما يعلن الأول تصاعد الصراع بين الحضارات، يعلن الثاني انتهاء الجدل والتدافع والتاريخ"[3].

إن نهاية التاريخ تعني نهاية الصراعات الإيديولوجية، وأن هذا كله لصالح الغرب وحضارته، وأن القيم الليبرالية الممثلة في قيم الديمقراطية والليبرالية، هي القيم التي يجب أن تسود العالم، ويجب أن تعولم على باقي الحضارات والثقافات، باعتبارها القيم التي انتصرت بانتصار حضارتها القوية، و"إن

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم، مصدر سابق، ص 30.

• فريدريك نيتشه (1844م _1900م) فيلسوف ألماني. من أهم كتبه: هكذا تكلم زرادشت.

2- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 160.

3- المرجع نفسه، ص 162.

الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية، والشكل النهائي لأي حكم إنساني، أي أنها من هذه الزاوية "نهاية التاريخ""[1].

ووفقا لأطروحته، يرى هنتنجتون أن عالم ما بعد الحرب الباردة سيتشكل من ثماني حضارات مختلفة فيما بينها هوياتيا وثقافيا، ومن المتوقع أن تشهد هذه الحضارات صدامات فيما بينها، كما أن أكبر الحضارات تحديا للغرب هما الحضارتان الإسلامية والصينية، باعتبارهما تقومان على أسس حضارية مختلفة تماما عن تقاليد وقيم الغرب، هذا من جهة، كما أنهما الحضارتان اللتان ترفضان نهاية التاريخ، والخضوع المطلق للغرب وحضارته وقيمه، إنهما حضارتان تمتلكان تاريخاً ثقافياً عريقاً وماضٍ حضارياً عتيداً، ولهذا فهما ترفضان التغريب، وتسعيان لأن تكونا منافساً حضارياً للغرب وحضارته، فالصين تحقق نمواً اقتصادياً كبيراً، والإسلام يعرف تزايدا في معتنقيه، وفي عدد سكانه وهذا في حد ذاته يحمل أكبر التحديات للحضارة الغربية التي ترى في ذاتها مركزا والباقي هامشاً، إن الغرب يعتقد أنه من يصنع التاريخ، والباقي على هامش التاريخ، وهي في الحقيقة عقدة تفوق واستعلاء، ولقد كانت "الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية كل منهما ينتظم تقاليد ثقافية عظيمة تختلف جدا عن التي عند الغرب، وهي في نظرهما أرقى من تقاليد الغرب بمراحل لا محدودة وقوة وتأكيد كليهما إزاء الغرب تتزايدان، كما يتزايد الصراع ويشتد بين مصالحهما وقيمهما ومصالح وقيم الغرب"[2].

لقد بدا التاريخ في نهايته، وإعلان بديات جديدة عندما انتهت الصراعات بين الدول القومية وإنتقل العالم من صراعات محلية وإقليمية وإيديولوجية إلى صراع بين الحضارات، عندما أصبح العالم متعدد الحضارات والأقطاب، وزالت الأحادية القطبية، ولقد أصبحت الحضارات لاعبا أساسيا في السياسة العالمية، كما أنها تريد عالماً متوازن القوى لتنتهي به الهيمنة الغربية على الشؤون العالمية.

حيث "يبدأ هنتنجتون بتأكيد أن دور الدولة القومية كفاعل أساسي في الصراعات الدولية قد تراجع (ولم يختف كلية) وظهر بدلا من ذلك الصراع بين الحضارات والثوابت الحضارية، وقد نشب هذا الصراع نتيجة دخول الحضارات غير الغربية كعناصر فاعلة في صياغة التاريخ، فالغرب لم يعد القوة الوحيدة في هذه العملية، فالصراع ليس حتميا وإنما هو نتيجة دخول لاعبين جدد"[3].

إن الصراع مرحلة تاريخية ينتج من تغيرات حركية التاريخ العالمية وحتميته، وليست حتمية الصراع بمعنى أن بقاء واستمرار الحضارات لا يتوقف على الصراع فيما بينها، لأنه على خلاف النظرة الغربية، هناك نظرية تقول بأن وجود الآخر ضروري لوجودي وتحقيق ذاتي وتميزها، وليس الآخر هو

[1]- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مرجع سابق، ص 23.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 295 _ 296.

[3]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 162.

الجحيم، وأن بقائي متوقف على زوال الآخر وإفنائه، فالحضارات في التاريخ شهدت نوعاً من التعايش والتفاعل الإيجابي، وليس دائما الصراع، وكل حضارة وصلت إلى القوة والنضج، كانت تتعايش مع حضارات دونها قوة، والأطوار التاريخية تمر بها كل حضارة من ولادة ونضج وانهيار، رغم أن هناك من يرى أن المراحل التي تمر بها الحضارات أكثر من ثلاث، وبالنسبة إلى الغرب فقد مر بعدة أطوار، كان أولها عندما امتزجت فيها عناصر كثيرة من مختلف الحضارات، وهي مرحلة تسمى بمرحلة الحمل، ثم مرحلة التكون والنمو، وتلتها مرحلة النضج والقوة، وقد شهد الغرب صراعات داخل حضارته، وانتهت تلك المرحلة، ليجد الغرب نفسه أمام حضارات وصراعات فيما بينها.

لقد أكد "كارول كويجلي، أن هناك نمطا من سبع مراحل في تطور الحضارات التاريخية، يقول في محاجته إن الحضارة الغربية بدأت تأخذ شكلها بالتدريج بين عامي 370 – 750م من خلال مزج عناصر الثقافات الكلاسيكية والسامية والعربية والبربرية، استمرت فترة الحمل من منتصف القرن الثامن إلى نهاية القرن العاشر، تبعها حركة غير مألوفة بين الحضارات إلى الأمام وإلى الخلف، بين مراحل تمدد ومراحل صراع حسب تعبيره وتعبير الباحثين في الحضارات الأخرى، فإن الغرب يبدو الآن وكأنه يتحرك خارجا من مرحلة الصراع"[1].

إن قبول الغرب لعالم متعدد الثقافات والحضارات، هو اعتراف منه بنهاية التاريخ، بالنسبة إلى ثقافته وحضارته المهيمنة والمسيطرة، إن اعتقاد الغرب بتفوق حضارته قد تجاوزه الزمن، ولكن الغرب لا يؤمن بذلك، وما زال يرى في الثقافة والقيم الغربية، المطلقية والأبدية، وعليه يرفض التعدد والتنوع الثقافي، كما يرفض الحوار بين الحضارات، لأن مجرد القبول بالحوار هو اعتراف بنهاية السيطرة الغربية، لكن **برهان غليون** يرى أنه "لا يعني الاعتراف بالتعددية الثقافية الاعتراف بالمساواة بين الثقافات، أو رفضا لمبدأ التفوق الثقافي بالضرورة، ولكن ذلك الاعتراف يعكس الانحسار النسبي للهيمنة الثقافية الغربية المطلقة في العالم...ولا يعني الاعتراف بالتعددية الثقافية كذلك أن حوار الثقافات مسألة حتمية أو ضرورية"[2].

لقد أفرزت حالة نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية، نوعاً من التباين بين الحضارات، خاصة بين الحضارة الغربية والحضارات التي تريد البروز، كحضارات آسيا بصورة عامة، كما أن الغرب يشهد فترة من تاريخه تعرف بتراجع الغرب وقوته وحضارته وقيمه وثقافته، مما قاد إلى نوع من الصدام الحضاري بين آسيا وأمريكا، وحتى اليابان التي يرى فيها الغرب أن موقفها مزدوج وغير واضح، فمرة نجدها مع الغرب، ومرة ضد الغرب، فهي تسير وفق منطق المصلحة، هي لا تمثل تهديدا مباشرا

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص488_489.

2- برهان غليون، في نقد صراع الحضارات وحوار الحضارات، في أصل التفاهم بين الأجناس، مجلة الآداب، 4/3، 2000، ص 45.

للغرب، لكن تحالفها مع الحضارات المتحدية للغرب يجعلها تحمل تهديدا غير مباشر، إن معطيات "انتهاء الحرب الباردة وزيادة التداخل بين آسيا وأمريكا، التدهور النسبي في القوة الأمريكية...كل ذلك أبرز إلى السطح صدام الثقافات بين الولايات المتحدة واليابان والمجتمعات الآسيوية الأخرى، ومكن الأخيرة من مقاومة الضغط الأمريكي"[1].

إن الغرب الأمريكي تحديداً اعتقد في تفوق حضارته وثقافته، واستصغر الباقي، مما دفع بباقي الحضارات أن تنفجر وتبرز وتسعى للقضاء على السيطرة والتبعية، كما أن الغرب في التاريخ، لا يمكن أن يكون إلا بتصوره لعدو وخصم، وقد كان ذلك التصور في الشيوعية، أما اليوم فإن الخصم هو الخصم الاقتصادي ممثلا في الحضارة الآسيوية، والخصم التاريخي الثقافي الديني ممثلا في الإسلام وحضارته، إن الغرض من استعداء الآخر، وفق الرؤية الغربية الأمريكية، تكمن في جعله يسير في فلكه أو الحد من توسعه وعالميته، وعليه يلجأ الغرب لوصف الآخر بكل ما يناقض الحضارة والتحضر، فقد وصف آسيا بالشر، والإسلام بالبربرية، وهذا كله من أجل أن يفرض هيمنته وتفوقه وفي نفس الوقت حتى تكون له المشروعية في التدخل في شؤون الحضارات وبسط هيمنته، وتشكيل السياسة الكونية وفق رؤية مصلحية واحدة، ألا وهي مصلحة الغرب، وعليه فإن" العقل الأمريكي مدفوع بأطروحة البحث عن الخصم وضرورة استعداء الآخر، بعد إلباس هذا الآخر مختلف أنواع الشرور، وإقناعه بأنها تتلبسه لكي يكون هذا الآخر جاهزا للتشكيل، بحسب ما يتلاءم مع الرؤية الأمريكية في إدارة الصراع السياسي العالمي الذي ينطوي على كل أنواع الصراع، خاصة الصراع الثقافي"[2].

إن الصراع الجديد الذي انبثق بعد الحرب الباردة هو صراع ثقافات، وهو أخطر أنواع الصراعات التي تشهدها البشرية، ولهذا يقدم هنتنجتون نقدا كبيرا لنظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، فمن جهة، إن التاريخ قد أذن ببداية جديدة تقوم فيها العلاقات بين الحضارات على أساس القربى الثقافية لا على أساس الإيديولوجيا، كما أن الإقرار بنهاية التاريخ بانتصار الليبرالية، يعني أن الحضارة الغربية قد اقتربت من الأفول والزوال، فالحضارة الغربية آمنت بأنها كونية، وبالتالي فهي مطلقة، وإنها خالدة وهذا ما يسميه توينبي بسراب الخلود، وفي نقده لفرنسيس فوكوياما "يعتقد صمويل هنتنغتن أن تلميذه فرانسيس فوكوياما أخطأ التقدير، عندما أعلن بلهجة انتصارية عن نهاية التاريخ، حيث يرى هنتنغتن أن نهاية أية حضارة تبدو في الغالب وكأنها نهاية للتاريخ...فعندما تبلغ حضارة ما مستوى الكونية يصاب أهلها بما يسميه توينبي سراب الخلود، فيعتقدون أنهم بلغوا أعلى درجات تطور المجتمع

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 370.

[2]– السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص 18.

الإنساني، ولكن المجتمعات التي تعتقد أن تاريخها اقترب من النهاية، هي بوجه عام مجتمعات اقتربت من الأفول"[1].

فالتاريخ الأمريكي، هو تاريخ الهوية الأمريكية التي انبنت على مبادئ سميت بمبادئ الحضارة الغربية، فهي تؤمن بالفردانية والحرية والديمقراطية وغيرها، وإن انتصار هذه المبادئ جعل هذه الحضارة عالمية والغرب متفردا فيها، بمعنى أن الفضل للغرب، لأنه كان السباق في اكتشافها وتطبيقها ومن منطلق قوته، فإنه يريد أن يعممها اليوم باسم العولمة التي اختصرت الحضارات في حضارة واحدة والتاريخ في تاريخ الغرب، محاولة القضاء على الخصوصيات الثقافية المحلية، إن تراث الحضارة الغربية هو ما شارك في ظهورها، إضافة إلى القانون الديمقراطي سياسيا، ويتمثل تراث الحضارة الغربية في العقيدة اليهودية المسيحية، وعليه فإن هنتنجتون يعتقد أن القيم التي انبثقت من هذا التراث هي قيم عالمية، لأنها تجسد العالم الحر والليبرالية والعلمانية، وحقوق الإنسان وغيرها، ورغم كل ذلك، فإن الكثير يتساءل عن الدين الحقيقي للغرب، باعتبارهم يجعلون الدين المحرك الأساسي للحضارات والهويات الثقافية، وهنا يتساءل عبد الوهاب المسيري قائلا: "ولكن كل حضارة كما يؤكد هنتنجتون تستند إلى رؤية دينية، فما البعد الديني للحضارة الغربية؟ يعلن هنتنجتون أن قيم الحضارة الغربية هي الديمقراطية والاقتصاد الحر، وفصل الدين عن الدولة، والليبرالية والدستورية، وحقوق الإنسان"[2].

إلا أن هذه المبادئ والقيم ليست سوى مبادئ تخص حضارة بعينها، كما أن الحضارات غير الغربية لها نظرتها الخاصة لهذه القيم، فهي لا تعارض حقوق الإنسان ولا الحرية ولا الديمقراطية، وإنما لها تصوراتها وكيفية تطبيق هذه المبادئ وفق قيمها الثقافية والدينية، فيجب ألاّ يدعي الغرب بأنه مكتشف هذه المبادئ وأن حضارته فقط تحمل هذه القيم، بل إنها موجودة في جميع الحضارات والأديان، بالإضافة إلى ذلك فإن ما تتفوق به باقي الحضارات على الغرب، هو أنها لها دين وهوية وثقافة متميزة، وعليه فإن مصير الغرب مثل مصير باقي الحضارات، ومثل مصير الاتحاد السوفياتي ويعود في ذلك هنتنجتون إلى أحد فلاسفة اليابان الذين رأوا أن قيم الغرب ليست مطلقة، وأن الغرب مآله الزوال، حيث "يقول الفيلسوف الياباني "**تاكيشي أومي هارا (Hara Takashi)***" الإخفاق التام للماركسية...والتفكك الدرامي للاتحاد السوفياتي، ليس سوى نذر بسقوط الليبرالية الغربية، التي هي تيار التحديث الرئيسي وبعيدا عن كونها بديلا للماركسية والإيديولوجية الحاكمة في نهاية التاريخ، ستكون الليبرالية هي حجر الدومينو الذي عليه الدور في السقوط، وفي حقبة تعرف فيها الشعوب نفسها في

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص ص 36 _ 37.

2- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 164.

* تاكيشي أومي هارا (1856_1921) سياسي ياباني.

كل مكان بالأسلوب الثقافي، أين مكان مجتمع ليس له قلب ثقافي، ويعرف نفسه فقط بقانون سياسي"[1].

ومن خلال ذلك، فإن فلسفة نهاية التاريخ بقدر ما تنظر في الفكر الغربي على نهاية الصراع مع الشرق وإعلان انتصار الليبرالية، بقدر ما ستكون هي التي تعلن نهاية التاريخ بالنسبة إلى الغرب وحضارته، إن الغرب يضع نفسه في مقابل باقي العالم، فهو ينظر إلى نفسه على أنه يمثل الحداثة والعلمنة، أما الباقي فعلى العكس إنه لا يمثلها بل يقف ضدها، كما لا يمكن لباقي الحضارات أن تكون حداثية وقيمها حداثية ومنافسة للغرب، إنها نظرة دونية للحضارات والثقافات غير الغربية، وهذه الحضارات تؤمن بقيمها، لهذا تسعى لتوكيدها أمام التغريب الحضاري الذي يريده الغرب باسم قيم الحداثة والعلمانية، ومن هنا ستشهد السياسة العالمية صداما للحضارات، لقد انتهى عالم الأحادية القطبية لتظهر تعددية مبنية على ثنائية، يقول عنها المسيري: "ثمة ثنائية حادة واستقطاب متطرف في عالم هنتنجتون، بين الأنا الغربي الحديث العلماني من جهة، والآخر غير الغربي وغير الحديث وغير العلماني من جهة أخرى، وهي ثنائية لابد أن تمحى، وهذا هو في واقع الأمر صراع الحضارات، أي صراع الحضارة الغربية الحديثة العلمانية ضد الحضارات الأخرى، وهي الثنائية الكامنة في عالم فوكوياما"[2].

هذا الصدام يصنفه هنتنجتون بصدام من المستوى الأعلى، أما الصدام من المستوى الأدنى فهو الذي يحدث داخل الغرب وأمريكا، حيث ظهرت في الولايات المتحدة عدة أطروحات، نتيجة لتغير عجلة التاريخ، وظهور عوالم جديدة، وحضارات على المستوى العالمي، هذه الأطروحات منها ما يدافع عن التعددية الثقافية في عالم أصبح يؤمن بالتعدد والتنوع، وبين الرافضين لهذه التعددية ومؤمنين بالغرب الأمريكي على أنه غرب الحضارة الواحدة والقانون وغيرها من القيم، وعلى أساس هذه الأطروحات يرى هنتنجتون أن الصراع الحقيقي هو بين هذين النظريتين داخل الحضارة الغربية، ومنه كان "الصدام بين دعاة التعددية الثقافية والمدافعين عن الحضارة الغربية والقانون الأمريكي هو "الصدام الحقيقي" داخل الفلقة الأمريكية من الحضارة الغربية"[3].

إن الصراع داخل الغرب والولايات المتحدة على الخصوص، هو بداية نهاية التاريخ الغربي، لأن هذه الصراعات ستحمل طابعا إثنيا وثقافيا وهوياتيا، وهو الصراع الذي قد يقود الغرب إلى الأفول، وإن أكبر ما يعبّر عن هويات الأمم والشعوب هو الدين، "والدين كما قال هنتنجتون هو أساس الهوية والخصوصية الحضارية التي تتجاوز الحدود القومية وتوحد الحضارات، فالصراع ليس صراعا بين

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 495.

[2]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 166.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 496.

الحضارات، لكل منها قيمتها وقيمها، وإنما الصراع بين منظومة قيمية غربية علمانية...ولكن هنتنجتون موقن تماما أن ذلك صراع مؤقت، فثمة نقطة أساسية واحدة يتجه نحوها العالم، فيتحقق فيها القانون الطبيعي والعقل الكلي الغربي"[1].

فالدين من أهم ما يوحد الشعوب ويجمع بينها، خاصة عندما تشعر بالخطر على هويتها، إن الصراع الحقيقي في نظر المسيري، ليس صراعا بين القيم، وإنما حول فرض تلك القيم، من طرف الحضارة الأقوى، إن الغرب يريد تحقيق المشروع الكوني الذي نظّر له العقل الغربي، وهو جعل تلك القيم الحضارية كلية وعالمية، للتعبير عن عالميتها، وتوظيفها للهيمنة والسيطرة، إلا أن الكثير آمن بأن قيم الغرب نسبية وليست مطلقة، كما أن لكل حضارة قيمها وخصوصيتها، ومنهم فوكوياما الذي يقول:"إنه بالإمكان الادعاء أن الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من هذه التناقضات الأساسية...التطبيق غير الكامل لمبدأي الحرية والمساواة، اللذين هما الركيزتان لأية ديمقراطية حديثة...إن الذي أشرت إلى نهايته، لم يكن بالطبع التاريخ كتتابع للأحداث، وإنما التاريخ كمجرد مسار متماسك للتطور، الذي يأخذ في الحسبان تجربة جميع الشعوب في آن معا"[2].

وهنا يوضح فوكوياما، أن التاريخ مستمر فهو لا يعرف نهاية، من حيث إنه تتابع للأحداث، أما التاريخ بمعنى تراكم التجارب الإنسانية فإنه قد وصل إلى نهايته مع الحداثة الغربية وما أنتجته والحضارة الغربية وقيمها، كنتاج للعقل التحديثي الغربي، وعليه يعتقد فوكوياما ومن سار على دربه بأن الغرب وحضارته، هما قمتا التطور الإنساني، وأن النماذج التي قدمتها الحضارة الغربية لم تقدمها، ولن تقدمها الحضارات غير الغربية، فالغرب يساوي الحداثة، والحداثة هي من إنتاج الحضارة الغربية، وهو ما جعلها حضارة قوية، ولا يمكن بالتالي التفكير في التحديث دون التغريب بأي وجه على حد قول عبد الوهاب المسيري، "إن كلمة الغرب تعني في واقع الأمر الحداثة...إن الحضارة الغربية حديثة وغربية، أي أن التحديث هو التغريب، ومن ثم فإن من يود أن يحدث فليغرب...إن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية التي تناسب كل الناس"[3].

فالغرب هو الذي أنتج الحداثة بكل معطياتها، والتراث الغربي هو تراث أوروبي بالأساس، لأن أوروبا هي التي شهدت التنوير، والعلمانية والفردانية وحقوق الإنسان، والحرية وغيرها من العناصر التي أسست لحضارة أوروأمريكية، ولهذا يدّعي الغرب أن هذه الأفكار نبعت من الحضارة الأوروبية وليست من باقي الحضارات، ولو وجدنا هذه القيم في باقي الحضارات، فإنها متبناة وليست أصيلة فيها، إن قيم الحضارة الغربية هي التي تجعلها حضارة فريدة في التاريخ، ومنه فهي تسعى لأن تصبح عالمية

1- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 167.

2- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والرجل الأخير، مرجع سابق، ص 24.

3- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 163.

إن قيمة الحضارة الغربية على حد اعتقاد هنتنجتون، تستمد من قيمها وليس من عالميتها، من فردانيتها خاصة، وعليه فإنه على الغربيين الحفاظ على هذه القيم وعلى الثقافة الغربية، ولا يهم أن تصبح هذه القيم عالمية وكونية، لأن هذا في غير مستطاع الغرب، كما أن تشكيل السياسة الكونية وفق هذه المبادئ والقيم، يجعل الغرب في موضع الضعف، وتلصق به تهم الإمبريالية الجديدة، وإذن فعلى الغرب، وخاصة أمريكا باعتبارها تمثل قلب وقوة الحضارة الغربية، أن تسعى للحفاظ على القيم الغربية وهنا يستحضر هنتنجتون مقولة لأحد الغربيين حيث "يقول آرثر م شليزنجر الأصغر: "أوروبا هي المصدر...المصدر الفريد لأفكار الحرية الفردية، والديمقراطية السياسية، وحكم القانون، وحقوق الإنسان والحرية الثقافية...هذه كلها أفكار أوروبية وليست آسيوية ولا إفريقية، ولا شرق أوسطية إلا بالتبني، "وهي التي تجعل الحضارة الغربية فريدة، كما أن الحضارة الغربية ذات قيمة، لا لأنها عالمية وإنما لأنها فريدة، وبالتالي فإن المسؤولية الرئيسية على قادة الغرب، ليست هي محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى على صورة الغرب، وهذا ليس في مستطاع قدراتهم المتدهورة، وإنما الحفاظ على الصفات الفردية للثقافة الغربية وتجديدها، ولأن الولايات المتحدة هي أقوى دولة غربية، فإن هذه المسؤولية بكاملها تقع على عاتقها"[1].

وهذه المهمة هي التي تجعل التاريخ يشهد مرحلة من مراحل البشرية التي هيمنت فيها الحضارة الغربية منطلقة من فعل التحديث، ومؤمنة بقيم ومبادئ، هي من أصول الحضارة الغربية، وخاصة بعد أن انتصرت في الحرب الباردة، معلنة أن الليبرالية والديمقراطية هما من قيم الغرب، التي يجب أن تسود، وبالتالي إعلان نهاية الدولة القومية، وإعلان نهاية التاريخ، وأن الدولة الشمولية قد حلت محل الدولة التقليدية القومية، و"لقد أكد **ألكسندر كوجيف** بإلحاح، وهو أحد المفسرين لهيجل في القرن العشرين، أن التاريخ قد انتهى، لأن ما يدعوه بالدولة الشمولية والمنسجمة_ بالنسبة إلينا الديمقراطية الليبرالية_قد حلت بشكل نهائي مسألة الاعتراف متبدلة علاقة السيد بالعبد"[2].

هذا بالنسبة إلى الليبراليين وتصورهم لفكرة نهاية التاريخ، بإحلال الدولة الليبرالية محل الدولة القومية وإعلان انتصار الغرب على الشرق الشيوعي، وإن كانت فكرة نهاية التاريخ تعود في الأصل للفيلسوف الألماني هيجل، ممثلة عنده في الدولة الليبرالية، فإنها عند ماركس والماركسيين، تتمثل في الشيوعية وزوال الدولة كهيئة سياسية، لأنها تمثل الطبقية وتزول فيها العدالة، وعليه فالتاريخ يجب أن يصل إلى شكل من المجتمع، تسود فيه العدالة، ويزول فيه الظلم، ولن يكون ذلك إلا بنهاية الدولة وتفكك الحضارة، وحصر العلاقات الاجتماعية داخل القرية والعائلة، فالمجتمع الليبرالي بالنسبة إلى الماركسيين أقر أكثر الظلم والطبقية والاستغلال والاستعباد، وإذا زالت اليوم الشيوعية، فإن بعض

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 504.

[2]- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مرجع سابق، ص 31.

المجتمعات لا زالت تحمل نواة العودة، والانبثاق من جديد للفكر الشيوعي، ومنه "إن الهدف الأخير عند الماركسيين الذين يطمحون في نهاية التاريخ إلى بعث متحد متكامل حيث السياسة غير ضرورية إن هذه الفكرة المرتجلة لن تنجح، إلا إذا كان التاريخ معكوسا، والحضارة مفككة ومستوى التنظيم البشري مختصرا في العائلة أو القرية"[1].

أما بالنسبة إلى الغرب وحضارته، فإن المفكرين الغربيين بمن فيهم فوكوياما وهنتنجتون يعتقدون بنهاية الحرب الإيديولوجية وانتصار الليبرالية، وأن التاريخ بالتالي، قد رسم معالم المستقبل، حيث ستستمر الليبرالية في رسم وتشكيل معالم السياسة الدولية، ورسم خريطة العالم الحر الديمقراطي، وإن التاريخ قد فسح المجال لأن يتصور الشكل الوحيد للمجتمعات، محصورا في المجتمع الليبرالي والدولة الليبرالية والحكم الديمقراطي، إنها بالنسبة إلى مفكري الغرب أرقى أشكال التحضر، ومن يقف ضد هذه القيم فهو همجي وبربري ومتخلف ورجعي، لأنه أينما كانت هناك دعوة للأصولية، فهناك دعوة للبربرية لقد أعلنوا نهاية التاريخ، والذي يعني لهم بكل وضوح الهيمنة والسيطرة المطلقة لحضارة الغرب وقيمه وهو ما نلمسه في قولهم: "نحن في نهاية التاريخ دائما، لأنه لا يوجد إلا نظام واحد سيستمر في السيطرة على السياسة العالمية، هو نظام الغرب الديمقراطي الليبرالي"[2].

لهنتنجتون موقف واضح من أطروحة نهاية التاريخ، حيث يقدم نقدا لفوكوياما وأطروحته، من حيث إنه يرى أنها قد توقعنا في مغالطة مؤداها، أن نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية زمن الإيديولوجيات الكبرى، وأن زوال الشيوعية قد فسح المجال لليبرالية، والتي تعد آخر شكل تطمح إليه المجتمعات، وأن الحضارة الغربية بقيمها عن الديمقراطية والليبرالية ستصبح عالمية، كل ذلك يوهمنا بأن هناك حضارة وحيدة، وأن العالم يعيش عصر الحضارة الغربية، متغافلا عن باقي الحضارات ودورها في السياسة الكونية، لأن عالم ما بعد الحرب الباردة عرف تعدد الحضارات، كما أن أطروحة نهاية التاريخ قد حصرت أشكال الصراع في الصراع الإيديولوجي، بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، وإن انتهاء هذا الصراع يعني نهاية كل أشكال الصراع في العالم، غير أن هنتنجتون يعتقد العكس، حيث يرى أن هناك أنواعاً كثيرة من الصراع قد انبثقت بعد نهاية الحرب الباردة، منها على المستوى المحلي نجد صراعات قومية وإثنيه وعرقية، وعلى المستوى العالمي نجد صراعا أكبر هو صراع وصدام بين الحضارات، التي انبثقت بعد إعادة تشكيل السياسة الكونية وفقا لمعايير جديدة هي معايير الثقافة والهوية، وهنا نجده يقول: "هناك مقولة بأن انهيار الاتحاد السوفياتي يعني نهاية التاريخ، والانتصار الشامل للديمقراطية الليبرالية عبر العالم، وهذه المقولة تعاني مغالطة

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، مصدر سابق، ص 20.

[2] *-Francis. Fukuyama, Nous sommes toujours à la fin de l'histoire in le monde, 18 Octobre. 2001.*

البديل الوحيد، وترجع بجذورها إلى الافتراض الذي شاع في الحرب الباردة، بأن البديل الوحيد للشيوعية هو الديمقراطية الليبرالية، وأن زوال الأولى يؤدي إلى عالمية الثانية، بيد أنه من الواضح أن هناك أشكالا عديدة من النزاعات الاستبدادية والقومية...لا تزال حية...إن هناك جميع البدائل الدينية التي تقع خارج العالم المدرك بمقاييس الإيديولوجيات العلمانية، أي الدين مركزي في العالم الحديث وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، والاعتقاد بأن الغرب قد كسب العالم إلى الأبد بسبب انهيار الشيوعية السوفياتية مجرد غرور محض"[1].

إن فوكوياما أغفل أو تغافل عن عودة الصراعات المحلية والعالمية بين الحضارات، التي يعد الدين مركزا لها، فلا يمكن بالتالي إقرار أطروحة تعاني من ناحية الصدق الواقعي والتاريخي، حيث إن نهاية مرحلة تاريخية تمهد لظهور مرحلة أخرى، وبالتالي فإن معطيات العالم في الحرب الباردة قد تغيرت بعدها، وتشكلت سياسة جديدة وعوالم جديدة، مبنية على التعدد والتنوع الحضاري والثقافي، كما نجد عودة الدين كمحرك للتاريخ الحضاري للأمم والشعوب، وأنه سيؤدي دورا كبيرا في تشكيل العلاقات المستقبلية بين الشعوب والحضارات، كما أن الإعلان أن الليبرالية والديمقراطية والاقتصاد الحر، هي عقيدة الإنسان في القرن الواحد والعشرين، هو تجاوز لحقائق التاريخ وأصول الحضارات وخصوصيات الثقافات، وأخلاقيات الإنسان، فالعالم سيتشكل من حضارات مختلفة، لكل منها قيمها وتصوراتها ونظرتها للإنسان والحياة والعالم، وأمور السياسة والاقتصاد.

فللعالم الغربي قيمه المتمثلة في الليبرالية والفردانية وغيرها، ولباقي الحضارات قيمها الخاصة وإذا كان العالم قد وصل إلى الليبرالية والديمقراطية والاقتصاد الحر، فلا يعني ذلك أبدا بأن نهاية التاريخ التي يؤكدها "فوكوياما بصفته مدافعا عن الليبرالية المؤسسية الجديدة، وسياسيا سابقا في واشنطن أن العالم بلغ "نهاية التاريخ، وليس معنى ذلك أن الأحداث التاريخية ستتوقف، بل معناه أن التاريخ الذي هو تطور للمجتمعات البشرية عبر مختلف أشكال الحكم، وقد وصل أوجه في الديمقراطية الليبرالية الحديثة ورأسمالية السوق"[2].

وبهذا العرض والنقد الذي قدمه هنتنجتون لنظرية نهاية التاريخ والرجل الأخير لفوكوياما، ومن منطلق تحليله لعالم ما بعد الحرب الباردة، والتغيرات التي شهدها العالم في السياسة والثقافة والحضارات وعودة الثقافة كلاعب أساسي في العلاقات الدولية، وتشكيل العالم المعاصر، ينتهي هنتنجتون إلى نتيجة حتمية مفادها، أن التاريخ لم ينته ولن ينتهي بالمفهوم الفوكويامي، بمعنى أن تطور التاريخ سيشهد نهاية مرحلة وبداية مرحلة، فالتتابع من خصائص تطور التاريخ، وإننا نشهد اليوم عودة الصراعات بين الحضارات والثقافات، وعودة النزاعات الثقافية والهوياتية داخل الحضارات، وبين

---

[1]– صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟_ مصدر سابق، ص 84.

[2]– المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 86.

الحضارات ذاتها، وإن صعود قوة جديدة وبداية أفول قوة الغرب، سيجعل من العالم ينتقل من مرحلة إلى أخرى، تتغير فيها موازين القوة، فالثقافة والانتماء الحضاري ستصبح أساس وحدة الشعوب والفارق الأساسي بينها.

لقد أصبح الانتماء الثقافي والحضاري عند الناس أهم من الانتماء الإيديولوجي، وأهم من المصالح الاقتصادية، لقد أفرزت الحرب الباردة، إيديولوجيا جديدة، لكنها ذات بعد ثقافي وحضاري فالانتماءات أصبحت تحدد العلاقات بين الشعوب إن ثقافيا أو حضارياً وحتى اقتصادياً، فالناس يميلون لدول القربى ويختلفون عمن يخالفهم في الدين والقيم والهوية الثقافية، وهو ما حدد سؤال الهوية والإنية المبني على: من نحن؟ ومن هم؟ فلم يعد يهم السؤال الذي كان مطروحا في زمن الحرب الباردة والذي كان على الشكل التالي: مع من أنت؟ والذي يحدد، إما أنك مع الغرب أو ضده أو منحاز، وبالتالي تشكلت ثلاثة عوالم للانتماء، كانت كلها مبنية على أساس إيديولوجي، ولكن بعد انهيار الشيوعية تحدد الانتماء على أساس الثقافة والهوية والحضارة، وأصبح العالم متعدد الحضارات رغم السيطرة الواضحة للحضارة الغربية، و"هكذا بقيت حضارات الإنسان متعددة ومتنوعة رغم الهيمنة الظاهرة أحيانا لحضارة على غيرها على مر مراحل التاريخ، وحتى أيامنا هذه...أي حضارة لا تموت إلا بأسبابها الخاصة، ولا تختفي إلا لأسباب داخلية فيها"[1].

فرغم أن هناك تعدداً وتنوعاً حضارياً، إلا أن بعض مفكري الغرب لا يعتبرون ذلك تحديا للغرب وحضارته، ولا يعدون تلك الحضارات خطرا على الغرب، بل إن قانون فناء الحضارات يقر بأن كل حضارة كانت تحمل بوادر قوتها وفنائها داخل ذاتها، وما العوامل الخارجية إلا عوامل عارضة، وهي نظرية تعبر عن موقف أكبر فلاسفة الحضارة الغربيين، من أمثال أرنولد توينبي وأزوالد شبنغلر وروجيه غارودي، هذا الأخير في دراسته للغرب وحضارته وقيمه، وصل إلى نتائج كثيرة من بينها قوله: "لقد أدركت بأن الغرب على امتداد آلاف السنين من التاريخ، ظاهرة عابرة غير جوهرية"[2].

فكما عبرت حضارات التاريخ على مر التاريخ، فإن الغرب وحضارته، رغم أنها تمثل حضارة فريدة في خصائصها ومبادئها إلا أنها مثل باقي الحضارات عابرة وماضية، وسيسري عليها قانون الحضارات الذي مر على سائر الحضارات من قبل، واليوم يعيش الغرب مرحلة من أهم مراحل حضارته، فهو يشهد أوج قوته، إلا أنه داخليا بدأ في التآكل والتصدع، ولا يمكن أن نقول بأن انهيار الغرب سيكون سببه الأساسي ظهور حضارات تعتبر تحديا للحضارة الغربية، وهو ما نلمسه في السؤال الذي طرحه كيشوري محبوباني، في كتاب مشترك مع هنتنجتون، وكثير من المفكرين، حيث يقدم ملاحظة في صيغة سؤال جاء فيها: "لقد تقاعس هنتنجتون عن طرح سؤال واضح: إذا كانت الحضارات الأخرى

1- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 153.

2- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، ترجمة سلمان حرفوش، دمشق، دار كنعان، 2007، ص 31.

تحيط بنا منذ قرون كثيرة، فلماذا تشكل تحديا الآن فحسب؟ إن المحاولة المخلصة للإجابة عن هذا السؤال...(تبين) العجز عن تصور أن الغرب، ربما كان قد طور أوجه ضعف...هيكلي في نظم القيم والمؤسسات الأساسية الخاصة به، ويفسر هذا العيب جزئياً الاندفاع الأخير لتبني الافتراض القائل، إن التاريخ قد انتهى بانتصار النموذج المثالي الغربي: إن الحرية الفردية والديمقراطية ستضمنان دوما بقاء الحضارة الغربية في مقدمة الجميع"[1].

إن قيم الغرب التي أفرزتها الحضارة الغربية، والتي كانت تعبّر عن قوة الغرب الحضارية مثلها مثل باقي القيم في جميع الحضارات، لها من القوة ما لحضارتها، ولكنها تبدأ بالتآكل والإنحلال لتعبّر عن الضعف وقروب النهاية، وعليه كانت لكل حضارة قيم خاصة تعبّر عنها وعن خصوصياتها الثقافية، ورغم الهيمنة الغربية اليوم، إلا أننا لا يمكن أن نقول إن هناك حضارة واحدة، رغم أن "البعض يتحدث عن حضارة واحدة، وبعضاً آخر يتحدث عن حضارات..اتجاه يذهب إلى أن الحضارة هي الحضارة الغربية فقط، ويقذف بالحضارات الأخرى خارج التاريخ"[2].

إن عقلية المركزية والهامش، هي عقلية تنظر إلى الحضارة الغربية على أنها صانعة ومحركة للتاريخ، وباقي الحضارات تعيش على الهامش، إنها مستهلكة لما ينتجه الغرب، وبالتالي فإن تبعيتها له شيء لازم، فالغرب هو من أبدع الحداثة والتنوير والليبرالية والديمقراطية، أما باقي الحضارات فلم تنتج قيما مثل قيم الغرب العالمية.

ولقد تلت مقالات لفوكوياما، كلها كانت تؤكد أن نظريته حول نهاية التاريخ صحيحة، وأن العالم يتجه نحو عالمية القيم الغربية، إلا أنه أكد أن ما يعيق نشر قيم الغرب وعالمية الليبرالية هو العدو الجديد للغرب، ألا وهو الإسلام، معتبرا إياه فاشية وبربرية وأصولية متطرفة، تقف ضد قيم العولمة والليبرالية والديمقراطية والحضارة وبالتالي: "يفترض فوكوياما في كتاباته الجديدة، أن رؤيته لفرضية نهاية التاريخ هذه تظل صحيحة، وأن التاريخ ما زال مصرا على السير نحو الديمقراطية العالمية، ولكن الفاشية الإسلامية هي آخر عقبة تعترضه"[3].

لقد سقطت آخر معاقل الشيوعية بسقوط حائط برلين، وآذن التاريخ بنهاية كل شكل من أشكال الحكم التوتاليتاري الكلياني الشمولي، بانتصار الفكر الليبرالي، الذي جاء بمبادئ الحرية والمساواة وهي مبادئ "ليست وليدة الصدفة، وليست خاصة بجنس دون آخر، وإنما تجسد طبيعة الإنسان الكونية، وبناءً عليه، فإن إنتصار تلك المبادئ يدعونا إلى إعلان نهاية التاريخ، وعندما تنتشر مبادئ الديمقراطية، وتعم جميع الشعوب والأمم، وهو إتجاه يراه فوكوياما واقعيا، وعندما تصبح كل الأمم

[1]- كيشوري محبوباني وآخرون، صدام الحضارات_أخطاء التفسخ_ مصدر سابق، ص61.

[2]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 86.

[3]- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 86.

شبيهة بعضها ببعض، بحكم "نظرية التحديث" ستشهد ميلاد "الرجل الجديد" الذي سيكون شغله الشاغل الشعب، لتلبية احتياجاته الأساسية، بدلا من البحث عن أعمال جليلة أو شن حروب لا طائل من ورائها"[1].

إنها طوباوية تنبع من الفكر الغربي، الذي آمن في فترة من تاريخه بعالمية حضارته، وقيمه المطلقة، ورأى في الرجل الغربي على أنه الرجل المفكر المبدع لهذه القيم وللعلم والحضارة، وبالتالي فإنه سيحمل على عاتقه فعل التنوير لباقي المجتمعات والشعوب التي تعاني الظلامية والبربرية والتخلف والرجعية، إن تلك القيم كونية وعالمية، ويجب أن تسود جميع الأمم والشعوب، لدرجة أنه لابد من الوصول إلى مجتمع عالمي واحد تحكمه نفس المبادئ والقيم، وتعبّر عن حضارة واحدة لعالم واحد، إنها القيم التي بدأت العولمة في نشرها، وبدأت تغزو جميع الحضارات بمفاهيم النهايات والبدايات، وإن الرجل الغربي هو الرجل الأخير في سلسلة تطور الجنس البشري، باعتباره رجل التنوير والعقل المستنير، رجل العلم والإبداع، وبالتالي هو من سيحمل على عاتقه نشر هذه القيم داخل باقي الشعوب والأمم، وهنا يكون الغرب في مقابل الباقي، وإن ما يدفع الغرب إلى جعل العالم واحدا، هو فعل التحديث الذي ابتدعته الحضارة الغربية، ولا تستطيع باقي الحضارات أن تمتنع عنه، وإلا فإنها ستبقى على هامش التاريخ، إن التحديث بالنسبة إلى مفكري الغرب بمن فيهم فوكوياما، لا يمكن أن يتم دون الأخذ بالقيم الغربية، رغم أن هناك من يرى أن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، حيث "عبّر(فوكوياما) عن اقتناعه بأن الحداثة، وهي تعني بالنسبة إليه انتشار الرأسمالية والتبادل الحر والديمقراطية الليبرالية، هي الأفق الوحيد المطروح أمام البشرية جمعاء، لأن السياسة العالمية تهيمن عليها قيم الغرب الديمقراطي الليبرالي"[2].

إنه لا يوجد خيار أمام الشعوب والأمم والحضارات في دخول الحداثة الغربية، ومن ثمة فهي مجبرة على قبول قيم الغرب الحضارية، ومؤسساته، إنها قيم تعبّر فعلا عن نهاية التاريخ، لأن التشكيل السياسي للعالم أصبح من صنع الغرب، وإن العالم يسير وفق قيم الغرب وسياسته، إلا أنه كما ذكرنا في معرض حديثنا عن نقد هنتنجتون لنظرية فوكوياما، إن التاريخ لم ولن ينتهي بالمفهوم الفوكويامي لأن التاريخ كتتابع للأحداث يتجدد فنهاية الحرب الباردة، أعقبتها فترة من العودة إلى الأصول الحضارية للشعوب، مما أدى إلى إحياء الثقافات والهويات الثقافية، وهذا بدوره خلق نوعاً من النزاعات العرقية والإثنية والقومية، سواء المحلية أو العالمية، ومنه ظهر تاريخ جديد، ينطلق من فكرة الصراع الثقافي والصدام الحضاري، "فبمجرد أن حلت فرضية (الصدام) توارت على الفور فرضية (نهاية التاريخ) ولعل السبب كان كامنا في الوظيفة التي تؤديها فكرة الصدام، حيث تقدم فكرة (نهاية التاريخ)

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 54.

2- المرجع نفسه، ص 58.

قراءة عن عالم الحرب الباردة، وما يترتب عليه من أنظمة وسياقات، وهو ما يبعث على الاطمئنان لمستقبل الولايات المتحدة، بتأكيدها على الانتصار النهائي لـ(الليبرالية) في حين أن فرضية (صدام الحضارات) تشير إلى ما هو مستقبلي، وتحذر من خطر المواجهة والحرب المحتملة، وتدعو صراحة إلى الحيطة والتحسب والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي"[1].

إن التمايز بين نظرية فوكوياما في نهاية التاريخ، ونظرية هنتنجتون في صدام الحضارات تمايز واضح بين فكرين، الأول يصل بطرحه إلى تبيان قوة الحضارة الغربية وهيمنتها، وأن قيمها قيم عالمية كونية يجب أن تسود العالم وجميع المجتمعات الباحثة عن التحديث، وبالتالي فإن فوكوياما ينظر إلى الغرب وحضارته على أنه وصل إلى مرحلة القوة والنضج والهيمنة المطلقة، وإنتهت جميع الأخطار التي تهدد الغرب، وإن المستقبل سيرتسم وفق معايير غربية، وكما يقول الجابري: "إن فكرة نهاية التاريخ تتحدث عن الماضي، وبالتالي تبعث على الإطمئنان على مستقبل أمريكا، إذ هي تؤكد الإنتصار النهائي لليبرالية"[2].

بينما أعادت نظرية هنتنجتون إلى الفكر الغربي صور الخطر الحضاري، والنمو الذي تعرفه الحضارات، وأن الغرب متفرد في حضارته وليس كونيا، وأن هناك حضارات تسعى لفرض قيمها أي فرض ذاتها وكينونتها، والدفاع عن حضارتها، مما سيؤدي إلى صدام حضاري محتمل، وبالتالي على الغرب أن يعيد توجيه حضارته، حتى تتعايش مع عالم متعدد الحضارات والأقطاب، وألاّ يغتر الغرب بقوته وهيمنته، وأن يعيد بناء حضارته من الداخل، لأن التآكل بدأ يصيبها، وهذه النظرة النقدية لهنتنجتون تريد أن تستشرف المستقبل، وأن تزيل التعالي الغربي وادعاءات حضارته، وأن تحضّر للمرحلة المقبلة التي ستشهد تدافعا نحو الصدام الحضاري، وعليه كان "التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات، ومن المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنسانية بأي معنى آخر...إن أسباب وظهور وصعود وتفاعلات وإنجازات، وانهيار وسقوط الحضارات، كان يتم استكشافها بواسطة مؤرخين وعلماء اجتماع وأجناس متميزين منهم **ماكس ويبر(Maximilian Carl Emil Weber)*** وإميل دوركهايم وأزوالد شبنجلر و**بيتريم سوروكين (pitirim Sorokin)**** وأرنولد توينبي..."[3].

ويعود هنتنجتون إلى أهم المؤرخين وعلماء الحضارات الغربيين، ليستشهد بأفكارهم ونظرياتهم وليستدل على أن الحضارات في التاريخ كانت تسير على خط الولادة والنضج، ثم الأفول والزوال، وأن

1- محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 2007، ص 84.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* ماكس ويبر (1864_1920) فيلسوف وعالم إجتماع ألماني، من أهم كتبه: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

** بيتريم سوروكين (1889 _1968)عالم إجتماع روسي، من أهم مؤلفاته: الجريمة والعقاب.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 67.

من يعتقد أن الحضارة الغربية خالدة، فإنه كمن يرى السراب، وإذا كانت الحضارة الغربية اليوم في أوجها فإنها مهددة بأخطار التفكك والتصدع، وبالتالي الانحلال والزوال، ويجب ألاّ ننخدع بقيمها التي تريد منها أن تكون عالمية.

هناك حضارات لها رؤية للعالم ولسياسة الدولية، كما أنها تنافس الغرب من أجل فرض قيمها والتعبير عن ثقافتها وخصوصياتها، وإن دوائر صنع القرار في الغرب تعتبر"نهاية التاريخ تبريراً للرأسمالية وانتصارها، بعد انهيار الاشتراكية، وايقاف الزمن، حتى تظل الرأسمالية هي المطلق الثابت والمرحلة النهائية لتطور البشرية"[1].

وحيث إن الكثير من الغربيين يؤمنون بأن التاريخ ينتهي مرة على الأقل في أي حضارة، فإن الغرب آمن بأن الحضارات التي سبقته قد انتهت في التاريخ، لتولد بالتالي الحضارة الغربية، ولكن الفكر الغربي آمن بالنهايات بالنسبة إلى كل الحضارات، إلا أنه لا يرى لحضارته نهاية، وكما يقول **أحمد محمود صبحي:** "ثمة اعتقاد سائد في الحضارة الغربية، بأن التاريخ ينتهي مرة على الأقل في تاريخ كل حضارة، وعندما تنشأ دولة الحضارة العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية) يغشى بصر شعبها ما يطلق عليه توينبي "سراب الخلود" ويصبح مقتنعا بأن ما لديه هو الشكل النهائي للمجتمع الإنساني"[2].

إن البشرية مازالت في تطور مستمر، مادامت عجلة التاريخ في حركة مستمرة، وإذا كنا لن نشهد حروباً إيديولوجية أخرى، فإنا سنشهد حروباً حضارية بتعبير المهدي المنجرة، وإن إعلان نهاية التاريخ، ما هو إلا محاولة لإقناع الآخرين بقوة الغرب، وأن مقاومة الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية سيقود الأمم إلى البربرية والتخلف، بما أن هذه المبادئ التي تقوم عليها الحضارة الغربية، مرتبطة بأهم عامل ألا وهو التحديث، لقد "أعلن فوكوياما أننا على الأغلب لا نشهد نهاية الحرب الباردة، أو أية مرحلة تاريخية ما بعد الحرب بعد نهاية التاريخ كما كان، أي النقطة الأخيرة من نقاط التطور الإيديولوجي للبشرية، وتصميم الليبرالية الديمقراطية الغربية كشكل أخير من أشكال إدارة المجتمعات البشرية، وهذا لا يعني أنه من الآن فصاعدا لن تقع أحداث جديدة"[3].

لقد انطلق زمن الصدام الحضاري، والذي نتج عن ظهور عالم جديد متعدد الحضارات والأقطاب، وانتهاء الشيوعية كعدو إيديولوجي، وانتصار الليبرالية ونهاية التاريخ، كما يرى فرنسيس فوكوياما، إلا أن هنتنجتون وكثيراً من المفكرين الغربيين يعتقدون أن التاريخ لم ينته، بل سنشهد بداية

---

[1]- حسن حنفي وآخرون، خطابات عرية وغربية في حوار الحضارات، مرجع سابق، ص59.

[2]- أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة اليونانية، الإسلامية، الغربية، مصر، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2000، ص353.

[3]- أيمن نور الدين عمر، العولمة ومستقبل البشرية _ رؤية إسلامية _، لبنان، دار لبنان، ط1، 2000، ص 119.

أو ولادة تاريخ جديد، وكل ما في الأمر أن التاريخ يجدد نفسه، وأن هناك حوادث عالمية تنهي مرحلة تاريخية لتبدأ مرحلة أخرى، وبالنسبة إلى القرن الواحد والعشرين فإن التاريخ قد جدد نفسه، أولا بظهور عالم جديد متعدد الحضارات تتحدد فيه الانتماءات على لاعب جديد في السياسة الثقافية الكونية وثانيا إن زوال العدو التقليدي للغرب دفعه لأن يبحث عن عدو جديد، فكان الإسلام وحضارته.

ومما زاد الصراع بين الإسلام والغرب من جهة، رفض العالم الإسلامي ومقاومته للحضارة الغربية وقيمها المادية، والصحوة التي عرفتها كثير من دوله، إلا أن العداء الحقيقي للإسلام من طرف الغرب بدأ بعد الحرب الحضارية الأولى، كما يسميها المهدي المنجرة، وزاد هذا العداء فيما سمي بهجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 على برجي التجارة العالمية، حصن الولايات المتحدة ومركز قوتها العالمية واتهام المسلمين بشن هجمات إرهابية على الحضارة الغربية، مما دفع الولايات المتحدة لأن تصف المسلمين بالإرهابيين، كما أن الهجمات أعطتها المشروعية، لتعلن الحرب على الإسلام، أو كما سماه قادة الغرب بمحور الشر، وان الرب قد كلفهم القضاء على الشر، ولقد اعتبر الغرب الهجمات بمثابة إعلان الإسلام للحرب على الحضارة الغربية وقيمها، والتعبير عن عنفه ودمويته، بل إن الهجمات شبهت بالدمار الذي كان يلحقه البرابرة بالحضارات، ورغم أن هنتنجتون وبعض المفكرين الغربيين ظاهريا نصحوا الغرب بضبط النفس، وألاّ يجعل من هذه الهجمات دافعا للحرب على الإسلام وإعلان حرب الثقافات، إلا أنهم بالمقابل دعوا إلى الرد بقوة ضد الذين يقفون وراءها سواء كأفراد أو أنظمة أودول، لأن الهجوم على أمريكا ليس فقط الهجوم على دولة، بل على حضارة العصر والتي تعتبر حضارة عالمية، وبما أنها حضارة الأقوى، فإن ضرب هذه الحضارة يعد إعتداءً على الإنسانية كما أن هنتنجتون كفيلسوف سياسي، يرى بأن الرد على الهجمات مفيد للغرب، حتى يبين للباقي بأن الحضارة الغربية مازالت تمتلك القوة والعالمية، وبالتالي لا تفكر أي جهة في منافسة قوة الغرب، كما أن هنتنجتون وأتباعه أرادوا أن يعيدوا الثقة للفرد الأمريكي، الذي اقتنع في فترة ما من تاريخ حضارته المعاصر أن الغرب أصبح عالميا، وقيمه كونية وعالمية، وأصبح لديه ما يسمى سراب الخلود فجاءت الأحداث، وفيما يخص أحداث 11 سبتمبر 2001 يقول هنتنجتون "إن الضربة كانت في المقام الأول هجوما لبرابرة مبتذلين ضد المجتمع المتحضر في العالم كله، وضد الحضارة كما هي اليوم، وكل شرفاء العالم أدانوا ذلك بقوة، وثانيا من المهم ألاّ تصبح هذه الجريمة هي الواقعة التي سيترتب عنها الصراع بين الثقافات"[1].

وبالتالي فقد اعتبرت الهجمات مؤشرا على بداية صدام الحضارات، رغم أن تاريخ الصدام الحضاري قديم، فقد عرف العالم من قبل ما يسمى بالصراع بين الشرق والغرب، أو الدول القوية

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 13.

والضعيفة، ثم الصراع بين الشمال والجنوب، وبعدها الصراع الإيديولوجي، كما أن الصراع الثقافي والفكري كان ومايزال، فقد حاول الغرب نشر قيمه في الدول التي استعمرها، لأنه يعتقد أن تلك القيم تعد قيما عالمية تعبّر عن الحداثة والتمدن والإنسانية والعالمية، إن الغرب يريد أن يحمل تلك القيم إلى العالم، وبالتالي "ليست هي المرة الأولى التي يدور الحديث فيها عن صراع الحضارات في التاريخ فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومع تصاعد حركات الاستعمار والإلحاق، واقتسام العالم إبان تحول الاستعمار إلى إمبريالية عالمية، كثر الحديث عن الصراع بين شرق وغرب، وعن حضارة غربية يحمل أصحابها رسالة التمدن إلى العالم"[1].

ولقد عبّر الكثير عن رفض الإمبريالية الغربية، وقاومت الحضارات والهويات الثقافية هذا الاستعمار الجديد إلى أن جاءت أحداث 11 سبتمبر، لتؤكد رفض العالم للسياسة الغربية العالمية وتباينت المواقف وردود الأفعال، واعتبر الكثير أن الهجوم على أمريكا، هو هجوم للعالم البربري على مركز الحضارة العالمية، وأن هذه الهجمات قد بينت العداء الإسلامي للغرب، حيث نجد فوكوياما يدعو إلى التصدي للإسلام والمسلمين، لأنهم أكبر خطر على الحضارة الغربية وتاريخهم دموي، كما أن الغرب بدأ يخاف من القيم التي يحملها الإسلام، وهي في عمومها مناقضة لقيم الغرب "أما فوكوياما بعد 11 سبتمبر، فقد رأى ضرورة تصدي الغرب للإسلام بحزم، خوفا من انتشاره في الغرب لما له من جاذبية، ولما تظهره شريعته من عدل سياسي وإجتماعي، وهي قيم قد تكون خطرا على انتشار القيم الديمقراطية، كذلك تكون خطراً على رأسمالية السوق، وكل القيم الحضارية الغربية"[2].

إن مفكري الغرب يدركون جيدا قوة الإسلام وعالميته وقوة قيمه، وبما أنهم يبحثون عن عدو لأن ذلك من مصلحة حضارتهم، حيث إن العدو يوحد الشعب ويدفعه إلى التمسك بهويته، متجاوزا الخلافات العرقية، كما أن الناس لم يعد يهمهم قضايا الاقتصاد والسياسة، بقدر ما تهمهم قضايا الثقافة والانتماء الحضاري، وهنا وجد الغرب الفرصة لإعادة توكيد تفوقه الحضاري، وعالميته وسيطرته، وأن الدول المارقة بتعبير **نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)*** مصيرها الدمار، بل إن كل من يقف في وجه الغرب سيكون مصيره الخراب، كما حدث للعراق، وعليه فإن هذه الأحداث قد أيقظت الغرب من سباته، كما أنها عملت على احياء الانتماءات الحضارية، وبينت العدو من الصديق، وأعطت الغرب مشروعية أكثر لأن يشن هجماته العسكرية والفكرية الحضارية على الباقي، وبالتحديد على الإسلام حيث بدأت الحرب الكلامية أو الباردة بين الغرب والإسلام، عندما وصف الغربيون المسلمين بالإرهابيين، وأن الإسلام يمثل الشر وأنه يقف ضد الحرية والعدالة والديمقراطية، بل وضد الحضارة

1– وجيه كوثراني وآخرون، صدام حضارات أم إدارة أزمات، مرجع سابق، ص 92.

2– السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟، مرجع سابق، ص ص 87 _ 88.

* نعوم تشومسكي (1928_) هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي من أهم كتبه: الدول المارقة.

والرقي والتطور، إنه دين ظلامي ورجعي وتدعو قيمه إلى التخلف والدموية والبربرية، لقد وجد الغرب الفرصة التاريخية حتى يشن هجومه على العالم الإسلامي وحضارته، وتجسدت بالتالي أطروحة صدام الحضارات، "حيث مثّلت أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 الجانب العملي من فرضيتي لويس وهنتنجتون، كذلك غيرت من مواقف وآراء كثير من الغربيين اتجاه العلاقة بين الغرب والإسلام، والتي عملت على زيادة التوتر والصدام"[1].

فالغربيون ازداد حقدهم وكراهيتهم لكل ما يمثل الإسلام ويرمز إلى قيمه، وتم تعميم جميع الأفكار على جميع المسلمين ودينهم وحضارتهم، فهم متطرفون إرهابيون، لا يريدون بناء الحضارة، بل هدم الحضارات، لأن أفكارهم مبنية على الهدم لا البناء، فهم محبون للقتل باسم الجهاد، ومحبون للعنف والهمجية، حيث يقول فوكوياما: "إن الأمر _لسوء الحظ_ ينصرف إلى خطر أوسع من ذلك بكثير وليس معنيا بجماعة معينة من الإرهابيين فحسب، وإنما يخص جماعة من الإسلاميين والمسلمين المتطرفين الذين تلغي هويتهم الدينية جميع القيم الإسلامية الأخرى"[2].

وما زاد إيمان الغرب بخطر الإسلام، هو قوته في تجنيد أناس لضرب مراكز الحضارة الغربية سواء من داخل حضارته أو من الحضارات الأخرى، وبالتالي فإن قوة الإسلام تكمن في قوته الروحية وقيمه التي يدافع عنها المسلم حتى الموت، بل إن الموت في نظره عبادة يجب أن تطلب ما دامت من أجل إعلاء كلمة الله، ودفع كلمة الشيطان، فللإسلام قوة على التعبئة، ولقد اعتقد المسلمون أن تلك الأحداث جاءت كرد على الهجمة الغربية على الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم، وأنها قد بعثت برسالة للغرب، تحذره من مغبة الإمبريالية التي يمارسها، وأن الإسلام لا يزال الدين والحضارة التي تقاوم كل غزو غربي، كما أنه بعث الشك في حضارة تعد نفسها قوية وأن مبادئها عالمية، وعليه فهناك "اتجاه يؤكد قوة وخطر الإسلام على أهمية اتخاذ إجراءات لمنع الصراع بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، التي اعترف فيها المشاركون بانتمائهم إلى الإسلام"[3].

لقد أصبح الإسلام يمثل التحدي الكبير للحضارة الغربية، بالإضافة إلى الكونفوشيوسية، فبعد تفجيرات برجي التجارة العالمية، عمت الأفكار المسيئة للإسلام والمسلمين في أمريكا، وكثير من الدول حتى الدول غير المعادية للإسلام، ولا تنتمي للحضارة الغربية، فالإسلام أصبح رمز للظلامية والعدوانية والدمار، وأن قيمه تمثل قيم الشر، على خلاف المسيحية، فهي تحمل القيم الفاضلة وبالتالي فإن الإسلام سيمنع من انتشار قيم الغرب، لذا يجب محاربته ومحاربة قيمه الرجعية

1– مجيد محمدي، حوار الحضارات_تعديل نموذج العلاقات بين الحكومات والشعوب_ القاهرة، مختارات إيرانية، عدد 21، نيسان، 2002، ص 49.

2– فرنسيس فوكوياما، هدفهم العالم المعاصر، مجلة الحكمة، بغداد، عدد 26، أيار، 2002، ص 74.

3– وولف فيغر هاوس ومصطفى عمر التير، دور الدين في المجتمع، دمشق، دار الفكر، ط1، 2011، ص166.

والملاحظ أن الغرب زاد تخوفه من الإسلام، خاصة بعد تلك الأحداث، حيث "يناقش هنتنجتون التحدي الذي تطرحه الحضارتان الإسلامية والكونفوشيوسية، فمنذ تفجير مركز التجارة العالمي، بدأ الأمريكيون يتمثلون (البارانويا) الأوروبية في شأن الإسلام، الذي يتصورونه قوة للظلام، تحوم حول الحضارة المسيحية الفاضلة، ومن السخرية أن الغرب يتزايد خوفه من الإسلام"[1].

فرغم أن أطروحة صدام الحضارات في بداياتها الأولى سنة 1995 كانت عبارة عن مقال نشره هنتنجتون في مجلة (فورين أفيرز) وحوّلها فيما بعد إلى كتاب بعنوان: "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" فرغم أنها كانت مجرد أطروحة ونظرية تعبّر عن قلق الغرب من الإسلام، ومن عالم متعدد الحضارات، ومن ازدياد عملية الإحياء الثقافي للحضارات، وعودة الشعوب للتمسك بهوياتها وقيمها الحضارية، إلا أن تلك الأطروحة عادت بقوة بعد هجمات 11 سبتمبر، وكأنها أكدت نبوءة هنتنجتون من الصدام الحضاري، وأن الإسلام سيصبح العدو الجديد للغرب، فكل الأفكار التي شكلت كتاب صدام الحضارات، تأكدت في أرض الواقع، وعليه فإن كثيراً من دول العالم قد أكدت ضرورة تجاوز الصدام الحضاري، واعتبار الهجمات عملا معزولا، لا تشجع عليه أي جهة، ولا يجب شن هجوم على الإسلام كدين، ولا على المسلمين الذين يرفضون العدوان، ويقفون ضد الهجمات ولا يدافعون لا على المهاجمين ولا على الحضارة الغربية، ومن هنا ظهرت أصوات تنادي بضرورة تحكيم العقل والدعوة إلى الحوار، في حين هناك من رأى بأن الهجمات جاءت تعبيرا عن الإمبريالية والهيمنة والظلم الأمريكي، ويرى هؤلاء أنه على أمريكا أن تعيد النظر في سياساتها الخارجية، إنها فرصة للغرب ليراجع وينقد ذاته التي اعتقدت بالقوة المطلقة وبالمطلقية في قيمها وحضارتها، ولا ينخدع الغرب بما وصل إليه من قوة وتطور وتحديث، وعليه فقد "جاءت أحداث 11 أيلول/سبتمبر وأعادت أطروحة "صدام الحضارات إلى واجهة النقاشات الفكرية، والسياسية في جميع مناطق العالم واعتقد العديد من المفكرين بتحقق نبؤة "صدام الحضارات" لكن غالبية الأوساط الفكرية والسياسية العالمية نبّهت إلى ضرورة العمل بجد لتحقيق السلام والعدالة في العالم، للحيلولة دون نشوء الشروط المشجعة على حدوث الصدام بين الثقافات"[2].

لقد تعالت الأصوات وارتفعت في العالم معلنة تحقق فكرة الصدام الحضاري وأطروحة هنتنجتون، ومعلنة نهاية أطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما، ونظرت تلك الأصوات إلى الهجمات بعدة صور، منها على الخصوص أنها تعبّر عن هجوم على أقوى حضارة، ألا وهي الحضارة الغربية، كما عبّرت عند البعض عن الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب، وفي نظر البعض الآخر شكلت إيذانا

---

[1]- كيشوري محبوباني وآخرون، صدام الحضارات_ أخطار التفسخ_ مرجع سابق، ص 58.

[2]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 12.

ببداية الحرب المقدسة ضد قوى الشر، كما أن هناك من وصفها بالبربرية، وأضاف إليها كلمة الإسلام، لقد فتحت الهجمات جبهات الصراع الفكري والديني والسياسي والاقتصادي، بين الإسلام والغرب، وبين الغرب والباقي، فبعدها مباشرة بدأ الغرب يبحث عن طرق الانتقام، فكان التدخل مرة أخرى في العراق وأفغانستان، والهدف هو الإسلام، لقد مثّلت الهجمات بالنسبة إلى الغرب، محاولة لضرب الحضارة الغربية في قوتها الاقتصادية وتحدياً للعالم الحر، وعليه نلاحظ أنه "مباشرة بعد وقوع أحداث 11 أيلول/سبتمبر ارتفعت عدة أصوات إعلامية وسياسية وفكرية، سواء في الغرب أو العالم الإسلامي أو مناطق أخرى، لاعلان تحقق التصادم الحضاري، حيث اعتبروا الإنفجارات وما ترتب عنها بمثابة هجوم على الحضارة الغربية، وتهديد لنمط الحياة الأمريكية وتحد للعالم الحر وهجوم للبرابرة الجدد، وصراع إيديولوجي بين الغرب والإسلام، وحرب بين الخير والشر"[(1)].

وقد قام الكثير من المفكرين في الحضارتين الإسلامية والغربية، بتحليل هذه الأحداث ورأوا فيها أحداثاً قد تعبّر عن صراع بين الحضارتين، وقد تعبّر عن حقيقة واقعية تتمثل في الإمبريالية الغربية حيث يرى محمد سعدي أن "هذه الأحداث لا يمكن رؤيتها من منظور أحادي واعتبارها:

1- صداما بين حضارات لها قيم، ورؤى مختلفة للعالم.
2- صراعا دينيا بين مبادئ ثقافتين مختلفتين.
3- صراعا بين قوى الشر والخير، وبين المتحضرين والبرابرة، وبين عصر الأنوار وعصر الظلمات.
4- صراعا بين الغرب وباقي العالم.
5- صراعا بين الثقافة العالمية المؤحدة وبين الثقافات المحلية.
6- تجسيدا لغياب العدالة وللفوارق الاجتماعية الحادة بين الشمال والجنوب.
7- تعبيرا عن التناقضات الصارخة التي تنتهجها العولمة في مختلف تفاعلاتها الاقتصادية الاجتماعية، السياسية والثقافية"[(2)].

أما بالنسبة إلى الفكر الغربي، فإن هناك أصواتا دعت إلى حرب الحضارات، وضرورة الرد على الإرهاب الإسلامي، في حين هناك من نادى بالحوار، ورأى في الهجمات رداً عادلاً على الإرهاب الغربي، وكما يقول روجيه غارودي: "ومنذ شهر أكتوبر بدأ (بوش) يتحدث عن "حرب صليبية حقيقية" مستلهما سيناريو هنتنجتون "صدام الحضارات" والقائل بأن الحضارة الغربية اليهودية_المسيحية واقعة تحت تهديد "التحالف الإسلامي الكونفوشيوسي...ضمن هذا الإطار، يتجلى معنى 11 سبتمبر/ أيلول

---

[1]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 28.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 30 _ 31.

فهو ليس التعبير عن صدام بين الإسلام والمسيحية ولا بين الشرق والغرب، علما أنه كذلك فعلا وفق سيناريو هنتنجتون، الذي يزعم المتآمرون بأنهم سوف يجعلونه إطار القرن الحادي والعشرين"[1].

فالغرب آمن منذ الهجمات بضرورة الردع، وشن هجمات على العالم الإسلامي، وجعل الحرب على الإسلام حربا مقدسة ضد قوى الشر، إنها حرب صليبية جديدة بثوب محاربة الإرهاب، ونشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والتي تعبّر فعلا عن الحضارة الإنسانية، وعن التقدم والرقي في مقابل الهمجية والبربرية والتخلف التي يمثلها الإسلام، خاصة الإسلام الأصولي أو السياسي، لقد تأكد العدو الذي كانت تبحث عنه أمريكا، فقد رسم بن لادن الإسلام عدوا أبديا للحضارة الغربية، "وخلص بعض الأمريكيين إلى رؤية المجموعات الأصولية الإسلامية، أو على نحو أوسع الإسلام السياسي، إنه العدو...وفي 11 أيلول 2001 أنهى أسامة بن لادن بحث أمريكا عن عدو، فالهجمات على نيويورك وواشنطن...تجعل من الإسلام الجهادي عدو أمريكا الأول في القرن الحادي والعشرين"[2].

فبالرغم من أن الهجمات قد أبانت عن العدو الجديد لأمريكا، بعد انتصارها في الحرب الإيديولوجية ضد الشيوعية، إلا أنها في المقابل أبانت عن أنها ليست بمنأى من الهجوم الخارجي لأي حضارة، وأنها ليست الحضارة الأقوى على الإطلاق، بل أبانت الهجمات على ضرورة البناء والتجديد الحضاري للحضارة الغربية، لأنه هناك حضارات صاعدة في عالم متعدد الأقطاب، لقد زالت الثنائية القطبية، وزالت الأحادية القطبية التي ترسم السياسة العالمية وفق المقاس الغربي، وأن هناك حضارات تنادي بضرورة العدالة العالمية، وضرورة احترام باقي الشعوب والهويات الثقافية، وعليه "بنهاية الاتحاد السوفياتي غدت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم، تملك دورا قائدا في كل مناحي القوة العالمية عمليا، ومهما يكن أظهر 11 أيلول، أنها أيضا أكثر عرضة للهجوم مما كانت في معظم مئتي عام مضت"[3].

لقد كانت أمريكا طوال زمن من التاريخ تصنع الحدث العالمي، وترسم معالم سياسة جديدة بتفوقها وقوتها، وإنها بعيدة عن أي خطر محتمل نظراً إلى بعد المسافة، إلا أن هجمات 11 سبتمبر أيقظتها من ذلك الوهم، فالعلم والتكنولوجيا قد قربا المسافات، وأن الغرب الذي صنع وسائل الحضارة والدفاع عن حضارته، صنع في نفس الوقت وسائل الهجوم عليه وعلى حضارته، فالخطر موجود ويمكن أن يصل إلى أمريكا من خارجها وحتى من داخلها، وهنا أدرك الغرب قوة الإسلام في الإنتشار لهذا أصبح يعبّر بالنسبة إليهم عن الخوف، وجعل الغربيين يطرحون عدة أسئلة عن حقيقة حضارتهم وقيمة قيمها وعالميتها، كما تساءلوا عن هويتهم، التي يعبّر عنها في سؤال "من نحن؟" وبالمقابل

1- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، مرجع سابق، ص 11.

2- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟، التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 269.

3- المصدر نفسه، ص 339.

تساءلوا عن حقيقة الحضارات التي تخالفهم في الهوية والقيم، وهل تلك الحضارات مخطئة عندما تدافع عن قيمها وهويتها وحضاراتها؟ كما يدافع الغرب عن حضاراته، لماذا يريد الغرب الهيمنة الحضارية؟ وهل جلبت له تلك الحضارة وتلك القيم الأمن والسلام؟

إنها أسئلة يرى فيها هنتنجتون أساس ما يميز الغرب عن الباقي، من حيث إن له القدرة على النقد الذاتي، واعتبر هنتنجتون وكثير من مفكري الغرب وقادته أن أسامة بن لادن قد قدم خدمة جليلة للغرب، من حيث إنه دفع الغرب للتوحد، وأبان له عدوه الجديد، وجعل الغربيين أكثر تمسكا بهويتهم وانتمائهم للمسيحية، حيث يقول هنتنجتون في هذا الصدد: "عندما هاجم أسامة بن لادن أمريكا، وقتل عدة آلاف من الناس، فعل شيئين آخرين أيضا، ملأ الفراغ الذي أحدثه **غورباتشوف (Mikhaïl Gorbatchev)*** بعدو جديد خطير بلا شك، وحدد هوية أمريكا بدقة كأمة مسيحية"[1].

كما أوضحت الهجمات وفق أطروحة ونظرية هنتنجتون تلك المشاعر السلبية التي يحملها المسلمون للغرب وحضارته، وخاصة أمريكا التي يرون فيها الراعية الرسمية للشر، وفرح المسلمون بموت الكثير من الغربيين في الهجمات بل هناك من احتفل، واعتبر ذلك بداية النهاية للحضارة الغربية، رغم أنها عملت دورا إيجابيا من جهة أخرى، عندما عبّرت عن فكرة أمريكا شعب واحد وثقافة مشتركة، وأحيت الهوية القومية بدل الهويات الأخرى، فهذه الهوية هي التي تجعل من أمريكا قوية وتدافع عن حضارتها وعالميتها ضد الباقي، وخاصة الإسلام، "ففي الحادي عشر من أيلول عام 2001 خفقت الأعلام... وبعد ذلك بأسبوعين ...رفع علم الولايات المتحدة الوطني...لقد أعاد قاطنو شارع تشارلز اكتشاف أمتهم، وشعروا بالانتماء إليها عندما تعرضت بلادهم للهجوم"[2].

فالهجمات زادت من الشعور بالقومية ووحدة الانتماء بالنسبة إلى الأمريكيين، رغم أن فكرة القومية لم تكن في أفكارهم وحياتهم، لكن الهجمات أيقظت تلك النزعة القومية، وأصبح الأمريكيون يستشعرون الخطر والخوف من الآخر، الذي يريد أن يدمّر حضارتهم ويقضي على ثقافتهم وقيمهم العالمية، لقد كان الفكر الغربي يتحدث عن قيم العولمة والحداثة وحقوق الإنسان والعالم الحر، إلا أنه بعد الهجمات أصبح يتكلم عن القومية والهوية والإثنية، فقد "كانت ضآلة أهمية القومية لدى بعض الأمريكيين، قبل 11 أيلول، وبدا أحيانا أن الهوية القومية، قد غابت عن رؤية بعض المثقفين، والنخبة الأمريكية فالعولمة والتعددية الثقافية، والعدمية القومية، والهجرة والنزعة القومية الثانوية، والنزعة

---

* غورباتشوف (1931_) شغل منصب رئيس الدولة في الإتحاد السوفييتي.

[1]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 359.

[2]- المصدر نفسه، ص 19.

المناهضة للقومية أضعفت الوعي الأمريكي، وتقدمت الهويات الإثنية والعرقية والجنسية إلى الواجهة"[1].

إن الهجمات ساعدت الأمريكيين على إعادة اكتشاف أمتهم كما يقول هنتنجتون، ورفعت الأعلام تعبيرا عن الوحدة الأمريكية، ولكن بالمقابل إن الأسلوب الذي اتخذه الأمريكيون للتعبير عن هويتهم بواسطة الأعلام، جعل الكثير يضع الهوية موضع شك، لأن الأمريكي لم يكن يستشعر هذه الهوية، ولا يرتبط بها، إنها أمة بنيت على التعدد وعلى الحرية، ولم تطرح يوما أسئلة الهوية، ولهذا كان "تكاثر الأعلام الذي حصل ما بعد 11 أيلول، يمكن أن يكون دليلا جيدا، ليس فقط على البروز الحاد لهوية الأمريكيين الوطنية، ولكن على شكهم في جوهر هذه الهوية أيضا"[2].

ومنه، لقد شكلت تلك الهجمات صدمة حضارية وثقافية وهوياتية، بالنسبة إلى قلب الحضارة الغربية ألا وهي أمريكا، وجعلتها تراجع كثيراً من منطلقاتها الحضارية، وأن تعلن أن الهجمات تعبير عن البربرية والهمجية، وأن الإسلام الذي ينتمي إليه منفّذو الهجمات دين بربري ضد الحضارة وقيمها وأنه يمجد الإرهاب والعنف، وبهذا توالت الهجمة الحضارية على الإسلام والمسلمين، "وعندما سئل (هنتنجتون) عن حدث الحادي عشر من سبتمبر 2001 اكتفى بالقول في إحتراس وارتياب: "إنما هو صراع بين الحضارات والهمجية""[3].

ومنه فان الغرب يريد ويسعى الى فلسفة العولمة وفرض قيمه، لأنه يعتقد انها القيم التي يجب ان تسود نظرا لعالميتها وتفوقها على باقي القيم في باقي الحضارات، وانه بهذا يسعى الى تأحيد العالم وتنميطه، والقضاء بالمقابل على الخصوصيات والهويات الثقافية، ومنه يعتقد بعض مفكري الغرب بان التاريخ قد انتهى بمعنى ان زوال الصراعات الاديولوجية وعدم وجود عدو ضد قيم الغرب يعني ان هذا الأخير قد انتصر، وانه باستطاعته ان يرسم خارطة جديدة للعالم، الا ان الصدمة كانت بعد ان عبر العالم عن رفض هذه الامبريالية والكولونيالية الجديدة فكانت احداث 11 سبتمبر بمثابة الضربة التي ايقظت الرجل الغربي من سباته، وجعلته ينتبه لما يحدث في العالم، وان التاريخ لم ينتهي فعلا بدليل عودة الحضارات والثقافات لتعبر عن وجودها ودورها في صنع التاريخ الجديد.

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 20.

2- المصدر نفسه، ص 24.

3- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 40.

المبحث الرابع: صدام الحضارات والنظام العالمي الجديد (حضارة عالمية واحدة)

بعد نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما شهدته من تغيرات في الخريطة العالمية سواء العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية، وبعد خروج الحلفاء منتصرين على النازية ودول المحور ظهرت للوجود حرب أخرى، ألا وهي الحرب الباردة، والتي انقسم فيها العالم إلى دول تساند الشرق ممثلا في الاتحاد السوفياتي، ودول تساند الغرب ممثلا في أمريكا، وهناك دول اتخذت من الحياد موقفا لها وسميت تلك الحرب بالحرب الإيديولوجية، لأنها كانت بين نهجين ونظامين مختلفين، كل نظام يعتقد أنه الأمثل ويسعى أنصاره إلى تعميمه على العالم ولو بالقوة، وعرفت هذه المرحلة السباق نحو التسلح واكتساب وسائل القوة، إلا أن إعلان تفكك الاتحاد السوفياتي وسقوط الشيوعية، فتح المجال للغرب ليتزعم العالم، معلنا نهاية التاريخ وانتصار الليبرالية وقيمها، التي أريد لها أن تكون عالمية وأصبح العالم يعيش أحادية قطبية، كما بدأ الغرب في البحث عن عدو جديد بديل للشيوعية، فكانت أطروحة صدام الحضارات التي رشحت مع صاحبها هنتنجتون الإسلام لأن يكون عدوا جديدا، وظهر للعالم نظام دولي جديد، وبدأت ترتسم خارطة سياسية جديدة لعالم ما بعد الحرب الباردة، وبرزت إلى الوجود الثقافة والحضارة كلاعبين أساسيين في العلاقات الدولية بين الدول والأمم والشعوب، وعلى أساسهما تحددت الانتماءات، وعادت القوميات والهويات إلى الواجهة، وأصبح الناس يتكلمون عن صدام محتمل بين الحضارات.

ونظرا إلى الهيمنة الغربية على شؤون العالم، وسعي الغرب لأن يجعل من حضارته وقيمها النموذج الوحيد في العالم وتبنيه لعولمة القيم الغربية، التي يرى فيها أنها قد أثبتت نجاحها ونجاعتها وأصبح ينظر إلى الباقي على أنهم الهامش، ولذاته على أنها تمثل المركز، أدى كل ذلك إلى الإيمان بالقوة العظمى الوحيدة، والتي سيطرت على مختلف الهيئات العالمية، كما هيمنت على الاقتصاد العالمي، مما جعل الباقي يهمش في بناء الحضارة، ووضع النظام العالمي الذي نتج عمّا بعد الحرب الباردة، والذي أصبح نظاما في خدمة فئة معينة على حساب الباقي، وهذا النظام الجديد بني على الحضارة والتكتلات الحضارية والثقافية، وكما يقول عنه هنتنجتون، إنه "نظام عالمي قائم على الحضارة يخرج إلى حيز الوجود، المجتمعات التي تشترك في علاقات قربى ثقافية تتعاون معا الجهود المبذولة لتحويل المجتمعات من حضارة إلى أخرى فاشلة، الدول تتجمع حول دولة المركز أو دولة القيادة في حضارتها"[1].

إن التكتلات الثقافية والحضارية هو ما رسم عالم اليوم، وإن الدول تتجمع حول دولة المركز في كل حضارة، وتبقى الدول التي ليس لها دول مركز تعاني التفكك والشتات الحضاري، مثل الدول

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 37.

الإسلامية، وبالعودة إلى التاريخ، فإننا نجد أن النظام العالمي السابق أي قبل وأثناء الحرب الباردة نجده قد انقسم إلى ثلاث كتل، الكتلة الشيوعية ويقودها الاتحاد السوفياتي وتحمل الإيديولوجيا الشيوعية، والكتلة الغربية وتقودها أمريكا، وتحمل الإيديولوجيا الليبرالية، والكتلة المحايدة، وبعد نهاية الحرب الباردة تشكل نظام دولي جديد وفقا لخريطة سياسية جديدة، حيث تفكك الاتحاد السوفياتي وانتمت معظم دوله للغرب، واعتلى الغرب القيادة العالمية، وظهر عالم جديد مبني على الانتماءات الثقافية الحضارية ودول القربى، والعلاقات بين هذه الحضارات ستتشكل وفق الصراع والصدام، لأنه قد ظهر لاعب جديد في السياسة العالمية، ألا وهو الثقافة والانتماءات العرقية والهوياتية، وعليه "يمكن إختصار نظرية هنتنجتون، بأن النظام العالمي السابق كان يقوم على صراع بين ثلاث قوى رئيسية الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفياتي، والعالم الثالث، أما النظام العالمي الجديد_ نظام ما بعد الحرب الباردة_ فيقوم على صراع بين ثماني حضارات، هذه الحضارات هي: الحضارة الغربية واليابانية والكونفوشية والهندوسية والأمريكية اللاتينية والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية، وفي اعتقاده أيضا أنه يمكن أن تضاف إلى ذلك الحضارة الإفريقية"[1].

إنها حضارات ثمانٍ، تختلف في مكوناتها وأسسها ومبادئها ثقافيا وحضاريا ودينيا، وستنتمي الدول إلى هذه الحضارات وفق القربى الثقافية، ولا نجد دولة لم تحدد إنتماءها كما حدث في الحرب الباردة، وهذه الحضارات ستعود إلى ثقافتها للتمسك بها وإحيائها، وتعتمد عليها في عملية البناء الحضاري، وتصنيف هنتنجتون للحضارات تم وفق معيار الثقافة والدين، وهناك من يصنف الدول أو الأمم وفق معيار القوة السياسية أو المادية، ويعتقد بالتالي أن الدول الكبرى الصناعية هي من سيرسم معالم النظام الدولي الجديد، الذي يقوم بالدرجة الأولى على الاقتصاد، حيث "يقول "**هنري كسنجر (Henry Kissinger)***" النظام العالمي في القرن الواحد والعشرين سيضم على الأقل ست قوى رئيسية، الولايات المتحدة أوروبا، الصين، اليابان، روسيا، وربما الهند، بالإضافة إلى عدد كبير من الدول متوسطة أو صغيرة الحجم" والقوى الرئيسية عند كسنجر تنتمي إلى خمس حضارات متباينة جدا بالإضافة إلى ذلك هناك دول إسلامية مهمة تجعلها مواقعها الإستراتيجية، وتعدادها الضخم أو مواردها البترولية مؤثرة في الشؤون العالمية، وفي هذا العالم الجديد تكون السياسة المحلية هي السياسة العرقية، والسياسة الكونية هي سياسة الحضارات، ومحل المنافسة بين القوى الكبرى يحل صدام الحضارات"[2].

---

[1]- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص153.

* هنري كسينجر (1923 _) باحث سياسي أمريكي وسياسي ألماني النشأة.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 46.

إن إعادة صنع النظام العالمي وفق أطروحة هنتنجتون، وتقسيم الحضارات إلى مجموعات ثقافية مختلفة الغرض منه تحديد الانتماءات، وتحديد القوى والتحالفات، وإظهار الأعداء، فالدول الكبرى بالنسبة إلى الغرب لا تشكل تحديا ثقافيا ولا حضاريا، والعلاقة معها هي علاقات مصلحية براغماتية كما أنها لا تحمل تهديدا حضاريا له، أما بعض الحضارات، كالإسلامية والكونفوشيوسية، فهما ما يشكل تهديدا للغرب، وبعض دولهما تحتل مكانة إستراتيجية هامة جغرافيا أو اقتصاديا، تستطيع بواسطتها أن تشارك في رسم معالم النظام العالمي، وهناك نوع من توزع القوة في النظام العالمي الجديد، إلا أن القوة العظمى هي بيد الولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلال هذه المعطيات فإن هنتنجتون يرى أن هذه الحضارات ستشكل قوى متصارعة، وعلى أساسها تحدد الانتماءات التي تتجاوز حدود العرق إلى الانتماءات الثقافية والدينية، وإن العالم في المستقبل سيشهد نوعاً جديداً من الصراعات والصدامات، ألا وهو الصراع بين الحضارات، حيث يرى هنتنجتون "أن الإنتماء إلى حضارة ما يتعدى الفوارق الإثنية والحدود الوطنية، وإن الحضارات الثماني الكبرى تختزن قوى الصراع المستقبلي، وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جبهات لها في نقاط التماس بين الحضارات، وخاصة بين الإسلام وكل واحدة من هذه الحضارات على حدة"[1].

وسوف تنحسر الصراعات العرقية والتي تقوم على أبعاد اقتصادية ليفتح المجال لصراع أعلى وعلى مستوى أكبر، أي سيكون بين الأمم المختلفة ثقافيا وحضاريا، فالناس لم تعد تهمهم قضايا الإقتصاد والسياسة، وإنما ما يهمهم هو الهوية والثقافة والانتماء، إلا أن الصراعات الكبرى ستكون داخل الحضارة الواحدة وبين الحضارات، وإن حدثت حرب حضارية، فإن الدول التي تنتمي لنفس الحضارة ستتحالف وتتكتل لنجدة الدولة المعتدى عليها من نفس الحضارة، إنه النظام الدولي الجديد الذي خلفته الحروب السابقة خاصة الحرب الباردة، فقد ورثت البشرية إرث تلك الحروب، فرسمت لها نظاما يقوم فيه البقاء للقوي، والذي يمتلك المؤهلات الحضارية للصراع فـ "في هذا العالم الجديد لن تكون الصراعات المهمة والمسلحة والخطيرة بين الطبقات الاجتماعية، أو بين الغني والفقير، أو بين جماعات أخرى محددة اقتصادياً، الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة الحروب القبلية، والصراعات العرقية، سوف تحدث داخل الحضارات، إلا أن العنف بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة، يحمل معه إمكانية التصعيد، فتهب دول وجماعات من تلك الحضارات وتتجمع لدعم "دول القربى""[2].

إن الصراعات في القرن الواحد والعشرين، ستحددها عوامل ثقافية وحضارية وإقتصادية، فالدول التي تريد أن تحقق نموا اقتصادياً قد تتعرض لحروب من دول أفقر، وبالتالي فإن هذه الدول الفقيرة

1- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 153.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 46.

ستعرض السلام العالمي للخطر، وهذا ما يؤثر في الغرب والدول المتقدمة، والسبب في ذلك هو خضوعها لأنظمة غير ديمقراطية، من هنا بدأ الغرب يفكر في تغيير أنظمة تلك الدول بطرق مختلفة سواء بالتدخل العسكري المباشر باسم حقوق الإنسان أو الديمقراطية، أو عن طريق الانقلابات أو فرض حصار اقتصادي عليها أو غيرها، وهنا" يلتقي **تافلر (Alvin Toffler)*** مع صموئيل هنتنجتون، في اعتقاده أن المناطق التي تحقق نمواً اقتصادياً سريعاً (الصين، كوريا، ماليزيا، وغيرها) تشكل بؤر حروب محتملة وتعرض سلام الدول المتقدمة لخطر مصدره دول أفقر وأصغر، وذات أنظمة سياسية سيئة"[1].

بالإضافة إلى هذه الحروب، هناك الحروب الحضارية، وهي التي تحدث داخل حضارة بين مجموعات بشرية تختلف في الانتماءات العرقية أو الدينية، كما حدث في البوسنة وكشمير، وهنا ستكون الحرب المعلنة بين هذه المجموعات، غير معلنة من طرف دول القربى التي تقدم مساعدات ليس الهدف منها هدف سياسي أو إيديولوجي، وإنما ثقافي حضاري بحت، فلقد كادت "الصراعات الدموية بين الحضارات في البوسنة والقوقاز وآسيا الوسطى أو كشمير، قد تتحول إلى حروب أوسع في الصراعات اليوغسلافية قدمت روسيا مساعدات دبلوماسية للصرب، وقدمت السعودية وتركيا وإيران وليبيا معونات وأسلحة للبوسنيين...لا لأسباب إيديولوجية أو سياسة قوى أو مصلحة اقتصادية، وإنما بسبب القربى الثقافية"[2].

هناك إعادة تشكل للعالم بعد الحرب الباردة، فالشكل الجديد نتج عن انتهاء الحرب الباردة وظهور نظام دولي عالمي جديد مبني على الحضارات، وتشكل العوامل الثقافية والهوياتية والدينية أهم العوامل في تحديد الانتماءات والعلاقات بين الدول والحضارات، وبناءً على هذه العوامل ستحدد أهم القضايا العالمية الاقتصادية والسياسية، وستتضح المصالح والعدوات والصداقات، وبما أن العالم مشكل من دول كبرى وأخرى صغرى، فإن كل دولة من هذه الدول تنتمي إلى حضارة مختلفة عن الأخرى، أما على المستوى العالمي، فإن هنتنجتون يعتقد أن الحروب داخل الحضارات من المرجح أن تصبح بين الحضارات، وهي التي تقع فيها النزاعات بين دول وحضارات تقع على طول خطوط التقسيم الحضاري، إننا نشهد اليوم نظاما عالميا تتصارع فيه الحضارات حول قضايا رئيسة كالثقافة والانتماء، بالإضافة إلى أن القضايا العالمية السياسية والاقتصادية ستؤدي دورا أساسيا في الخلافات والصراعات بين الدول، "إن عالم ما بعد الحرب الباردة هو عالم مكون من سبع أو ثماني حضارات العوامل الثقافية المشتركة، والاختلافات هي التي تشكل المصالح والخصومات وتقاربات الدول، أهم

---

* إلفين تافلر (1928_) باحث أمريكي.

[1]– محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 151.

[2]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 46.

دول العالم جاءت من حضارات مختلفة، الصراعات الأكثر ترجيحا أن تمتد إلى حروب أوسع هي الصراعات القائمة بين جماعات ودول من حضارات مختلفة، وأشكال التطور السياسي والاقتصادي السائد تختلف من حضارة لأخرى، القضايا الرئيسية على أجندة العالم تتضمن الاختلافات بين الحضارات، القوة تنتقل من الغرب الذي كانت له السيطرة طويلا، إلى الحضارات غير الغربية السياسة الكونية أصبحت متعددة الأقطاب متعددة الحضارات"[1].

ومن منطلق أن الغرب اليوم هو من يملك القوة، فإن صناعة نظام عالمي جديد ستكون وفق النظرة الغربية، وأنه سيحدد العلاقات بين الدول، ورغم أن الغرب يدرك أن العالم اليوم المشكّل من الحضارات بدأت فيه موازين القوى تتغير، وبدأ بروز لاعبين جدد على الساحة الدولية، مما يعني انتقال القوة أو مركز القوة من الغرب إلى هذه الدول، وهذا يعني تغيرا حتميا في النظام العالمي والسياسة الكونية، وعليه فقد كانت السياسة الغربية العالمية، تقوم على افتراض وجود عدو كان ممثلا في الاتحاد السوفياتي، ولكن اليوم أصبح العدو حضاريا وثقافيا وليس إيدولوجيا وتم تحديده وفق هذا المعيار في الإسلام والكونفوشيوسية، حيث "لا يخفي هنتنجتون إيمانه بأن النهضة الأمريكية قامت على قاعدة وجود عدو خارجي، وأن هذا العدو الخارجي كان حتى نهاية الحرب الباردة هو الاتحاد السوفياتي، أما الآن فإنه يرى أن العدو الخارجي الذي لابد منه لاستمرار العوامل المحرضة على النهضة والمحركة لها، يكمن في العلاقة الإسلامية الكونفوشية"[2].

إنه عالم جديد سيبني نظامه وعلاقاته الدولية الحاضرة والمستقبلية على عوامل ثقافية دينية حضارية، وسترتسم الخرائط الجديدة التي تقسم العالم إلى حضارات وثقافات مختلفة ومتصارعة في كثير من الأحيان، إن الجيوبوليتيكا هي ما سيرسم هذه الخرائط، فالانتماءات الحضارية ستصبح الإستراتيجية المقبلة بالنسبة إلى الدول والشعوب، وستحدد علاقاتها فيما بينها ومصيرها، وتحدد العدو والصديق، إنه نظام عالمي جديد، تتشابك فيه الثقافة بالحضارة، وتدفع الإنسان إلى البحث عن هويته وانتمائه بالتساؤل عن "من نحن؟" و"من هم؟"، وليس "إلى أي جانب أنت؟" لقد انتهى التحديد الإيديولوجي في نظام عالمي كان مقسماً إلى كتلتين، وظهر نظام عالمي جديد يقسم العالم إلى ثماني حضارات، تؤدي فيه الثقافة الأساس في العلاقات الدولية، و"هذه الصورة للسياسة في عالم ما بعد الحرب الباردة، والتي تشكلها العوامل الثقافية، والمتضمنة لتفاعلات بين الدول والجماعات المنتمية إلى حضارات مختلفة صورة شديدة التبسيط...لابد من صنع الخرائط، وكما أوضح "**هاري ترومان**

1– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 48.

2– محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 156.

(Harry Truman)* "تدريب على رسم الخرائط الجيوبوليتيكية التي تصور المنظر الدولي بأسلوب مفهوم للجميع"[1].

ولقد أدرك الغرب أهمية رسم نظام عالمي جديد، وتغير العلاقات الدولية والعالمية واستنادها إلى عوامل ثقافية وحضارية، وبدأ في دراسة الحضارات وأسباب القوة والضعف فيها، وسعى إلى فرض نموذجه الحضاري والقيمي من خلال النظام العالمي الجديد، الذي وضعه بعد خروجه منتصرا في الحرب الباردة، وبدأ في رسم إستراتيجية عالمية للتحكم في الحضارات والهيمنة عليها، والإبقاء على حضارته مركزا وباقي الحضارات هامشا، فنظر إلى الحضارات ووجد أن هناك حضارات تمثل تحديا له وللنظام العالمي الذي أوجده، وهي الإسلام والكونفوشيوسية، وهناك حضارات تابعة وضعيفة، وهي بحاجة إلى الغرب، كحضارة أمريكا اللاتينية وإفريقيا، وهناك حضارات تحدد علاقاتها وفق إستراتيجيتها ومصلحتها كاليابان والهند، حيث "يدعو (هنتنجتون) إلى إقامة تحالفات ذات طبيعة استقطابية لحضارات ضعيفة (أمريكا اللاتينية_إفريقيا) ضد الحضارات التي تشكل خطرا على الغرب، وخاصة الإسلام"[2].

لقد سبق إعلان نظام عالمي جديد عدة تغيرات متسارعة في العالم، فالحرب الباردة تلفظ أنفاسها الأخيرة، والعالم يترقب تلك اللحظة التاريخية للقطيعة مع صراع إيديولوجي، لو استمر لكانت حربا كونية ثالثة تستخدم فيها أسلحة لم تستخدم من قبل، أوروبا التي كانت منقسمة إيديولوجيا تتوحد ثقافيا واقتصادياً، الأمم المتحدة بدأت تهيئ نفسها لعالم جديد، وبالتالي فهي مضطرة إلى أن تهيكل نفسها وتصنع منظمات عالمية جديدة وفق السياسة الكونية والمتغيرات العالمية، وبدأت أطروحات السلام والأمن تطفو على الساحة العالمية، وهنا تبلور نظام عالمي جديد، بل وبدأ تاريخ جديد.

إن "توقع التوافق كان أمرا مشتركا على نطاق واسع، وقد عبّر قادة السياسة والفكر عن أفكار متشابهة حائط برلين سقط، النظم الشيوعية تهاوت، الأمم المتحدة كان لها أن تتبنى لنفسها أهمية جديدة متنافسو الحرب الباردة منهمكون في مشاركات وصفقة كبرى، صناعة السلام والحفاظ عليه في الحالة السائدة، رئيس الدولة المهيمنة في العالم أعلن عن النظام العالمي الجديد"[3].

وجاء هذا النظام العالمي ليحمل قيم حضارة تعتقد بأنها كونية وعالمية، وما على الشعوب والأمم أو الباقي كما يسميه هنتنجتون إلا أن تتبع نموذج هذه الحضارة الذي خرج منتصرا في كل حروبه، إن الغرب بقيادة أمريكا آمن بالعالمية والعولمة والكونية، وبدأ في نشر قيم الحضارة الغربية كمحاولة منه

* هاري ترومان (1884_1972)، الرئيس الأمريكي الثالث والثلاثون.

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 49.

[2]- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 157.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 52.

لتعميم القيم الحضارية الغربية وعولمتها، من أجل حضارة واحدة لعالم واحد، معتمدا في ذلك على الخطاب الديني، حيث يرى الغرب في حضارته وأمته على أنها تحمل رسالة تبشيرية مقدسة وأنه بنشره للقيم العالمية والكونية، فإنه يحارب بالتالي قوى الشر والطغيان والظلامية والرجعية، ويحمل قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والعلمانية والتحديث والسوق الحر بالورود لباقي الأمم والشعوب، حيث "يقول هنتنجتون إن الغرب وخصوصا الولايات المتحدة التي كانت دائما أمة رسالية مبشرة، يعتقد أن الشعوب غير الغربية يجب عليها أن تلتزم بالقيم الغربية للديمقراطية، السوق الحرة، الحكم غير المطلق والعلمانية، حقوق الإنسان والفردانية وسيادة القانون، وعليها إدماج هذه القيم في مؤسساتها في باقي الحضارات، أقليات فقط هي التي تبنت وتتبع هذه القيم...إن ما يعتبره الغرب كونيا هو إمبريالي بالنسبة للآخرين"[1].

لكن بالمقابل الحضارات الأخرى، ترى في كل ذلك هجمة حضارية إمبريالية لم تكن في تاريخ الحضارات، فلكل حضارة قيمها وخصوصياتها وانتماءاتها، وإن محاولة تنميط وتأحيد العالم باسم نظام دولي معولم، هو هيمنة وإمبريالية وفعل غير حضاري، وممارسة القوة ضد تلك الحضارات هو همجية وبربرية جديدة باسم الحضارة، إن دول العالم اليوم ترى في هذا النظام العالمي الجديد على أنه جاء ليكرس التفوق الغربي والسيطرة على العالم، والتأكيد على أنها لم تشارك في وضعه، فهو في خدمة مصلحة طرف فقط، وهو بالتالي يفتقر إلى العدالة العالمية بين الشعوب والأمم، وإن هذا النظام الذي خلق هيئة عالمية ممثلة في هيئة الأمم المتحدة، جعلها تفتقر إلى الشرعية ما دامت من صنع الغرب وهي خاضعة وتابعة له حضاريا وماليا، وتفتقر إلى الاستقلالية، فلا بد من مراجعات في السياسة العالمية والنظام العالمي، والذي يبدأ بالاعتراف بالتعدد الحضاري، وإنهاء الأحادية القطبية، وإشراك جميع الحضارات في صنع النظام العالمي، وفق أسس حضارية ومشتركات إنسانية لا تطغى عليها حضارة دون أخرى، وعلى هذا النظام الجديد أن يحدد العلاقات بين الحضارات التي يجب أن تبنى على التفاعلات، لا الصراعات والصدامات، وأن يتجه لخدمة الأمن والسلام والحوار في العالم.

و"هكذا انتقلت العلاقات بين الحضارات في القرن العشرين، من مرحلة يغلب عليها التأثير الموجه من إحدى الحضارات على غيرها، إلى تأثير ذي تفاعلات متعددة الاتجاه بين كل الحضارات، السمات الرئيسية للعلاقات المتداخلة بين الحضارات، والتي كانت تميز المرحلة السابقة بدأت بالاختفاء"[2].

إن التكوينات الجديدة للحضارات من حيث الانتماءات، هي ما جعلها تعيد تشكيلاتها الثقافية وعودتها إلى قيمها ومبادئها للتمسك بها، وبالتالي رفض الهيمنة والسيطرة من حضارة تدعي العالمية

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 195.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 87.

والكونية وتريد تسيير العالم من جانب واحد، على اعتبار أنها من حرر العالم من النازية والشيوعية فهي تحمل رسالة العالم الحر إلى باقي الدول والشعوب، إن العالم الغربي مازال يفكر بالمنطق الموجه وأحادي القيمة رافضا أن يتشكل العالم على المنطق متعدد القيم، وهذه إمبريالية جديدة تمارس باسم نظام عالمي جديد، إلا أن دوائر الفكر الغربي بدأت تتنبه إلى الحقيقة الحضارية المعاصرة، ألا وهي ظهور الحضارات ونموها الثقافي والاقتصادي، ودخولها إلى العالم المعاصر كمنافس للغرب، بل وتحمل العداء للغرب وحضارته وقيمه، إن هيمنة الغرب على رسم نظام عالمي جديد دون إشراك باقي الحضارات، سيكون إحدى المنطلقات في تفكك الغرب ونظامه، كما بشر بذلك مفكرو الغرب ذاتهم أمثال شبنغلر وتوينبي وهنتنجتون، ولذا "يحذر هنتنجتون من مجموعة من المخاوف، ويرمي من وراء ذلك إلى التحسين والتنبيه إلى هدف إستراتيجي أساسي يتمحور حول: كيف يؤمن الغرب بقيادة الولايات المتحدة تفوقه في عالم أصبح فيه مهددا بمجموعات حضارية منافسة ومعادية له؟"[1].

إن التعدد الحضاري والتنوع الثقافي، حقيقة فرضها عالم ما بعد الحرب الباردة، والبشرية أدركت بعدها الثقافي والحضاري، وسعت لتوكيد هويتها وانتماءاتها، وهذا الإحياء أيقظ فيها الرغبة في العودة الحضارية والبناء والمساهمة في تشكيل العالم وسياسته، وبدأ الرفض الكبير من طرف الحضارات لعالم الأحادية ولنظام مفروض قادها إلى الويلات والأزمات بمختلف أشكالها، إن الغرب في مرحلة تاريخية معينة وصل إلى قمة مجده، ولكن القانون الذي يحكم الحضارات ينطبق على جميعها، ومنها الحضارة الغربية التي بدأت في التفكك الداخلي، وبدأ انحسار الغرب عالميا، فهناك مقاومة حضارية لحضارته وقيمه، وهناك رفض لسياسته وهيمنته من قبل الشعوب والأمم الأخرى، وهناك حركة عالمية تاريخية ستقود حتما إلى تراجع الغرب وبروز الدول/ الأمم والحضارات، وهذه الحركة التاريخية ستقود إلى تغير في موازين القوى في جميع مجالاتها، وبدأت فكرة خلود الحضارة الغربية في التلاشي، بل إن الباقي أصبح عنصرا فعالا في صنع السياسة العالمية، بل وحتى في صنع الغرب، "وبعبارات المؤرخين المفضلة، انتهى توسع الغرب وبدأ التمرد على الغرب، القوة الغربية تراجعت بدرجات غير متساوية وبوقفات وتقلبات بالنسبة إلى قوة الحضارات الأخرى...موازين القوى العسكرية والاقتصادية والنفوذ السياسي تغيرت، استمرار الغرب في أن يكون له تأثير واضح في المجتمعات الأخرى، ولكن العلاقات مع الغرب والحضارات الأخرى أصبح يغلب عليها "رد فعل" الغرب ازاء التطورات في تلك الحضارات وبعيدا عن كونها أدوات للتاريخ المصنوع بواسطة الغرب، فإن المجتمعات غير الغربية أصبحت تحرك وتشكل تاريخها وتاريخ الغرب"[2].

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 44.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 88.

وفي خضم هذا الحراك العالمي التاريخي والحتمي للحضارات والمجتمعات والأمم، نحو صنع المشهد العالمي والقضاء على الاستئثار الغربي الحضاري، فإن ذلك قد جعل الغرب يعيد مراجعة قيمه وحضارته وذاته، وكان أن قام برد فعل على سياسته في النظام العالمي الجديد، ولذا فإن المفكرين يرون بأن حضارة تقوم في علاقاتها وسياساتها على رد الفعل، لدليل على الغطرسة من جهة، وعلى بداية أفولها من جهة أخرى، إلا أن الغرب بدأ يستشعر الخطر، فنجد مفكريه أمثال هنتنجتون يحثونه على ضرورة التحصن ضد باقي الحضارات، التي تعرف نموا ونهوضا سريعا اليوم، وما على الغرب إلا التدخل لحماية مصالحه وحضارته وقيمه، لأن تلك القيم من شأنها أن تعزز الحضارة الغربية وتجعلها تدافع عن نفسها ضد أي منافسة حضارية عالمية، وعليه "يطرح هنتنجتون مجموعة من التوجهات العملية التي على الغرب الاسترشاد بها قصد محاولة التحرك والوقوف في وجه مختلف التحديات الثقافية والعسكرية التي سيواجهها للحفاظ على مصالحه وقيمه الحضارية أمام الحضارات الأخرى غير الغربية"[1].

إن الغرب يريد أن يفرض نظاماً عالمياً على باقي الحضارات، وأن يهيمن من خلال ذلك، ولقد تم بناء ذلك النظام العالمي من طرف الغرب، بعد أن أنهت أوروبا مرحلة الصراعات الداخلية التي دامت فترات طويلة وشتت أوروبا، فبعد أن أعاد الغرب بناء ذاته وخروجه من الحروب العالمية والنزاعات الداخلية، بدأ ينظّر لنظام ينهي الصراعات داخله، لكنه يؤججها بين الباقي حتى يبقي على سيطرته، إنها إستراتيجية طويلة الأمد تضرب بجذورها في عمق التاريخ الغربي، جعلت الغرب يستفيد من ماضيه الثقافي والحضاري، ليحضر للحظة الراهنة، ويفكر بالتالي أكثر في المستقبل، ومحاولة الغرب عولمة ذلك النظام من أجل التمركز في خضم الحضارات أكثر، إنها تطورات حاسمة شهدتها الحضارة الغربية، و"نتيجة لتلك التطورات، امتد النظام العالمي إلى ما وراء الغرب، وأصبح متعدد الحضارات، في الوقت نفسه خمد الصراع بين الدول الغربية، وهو الذي كان يسيطر على ذلك النظام على مدى قرون، وبأواخر القرن العشرين خرج الغرب كحضارة من مرحلة حالة الحرب" نحو مرحلة حالته العالمية""[2].

وبعد أن أصبح الغرب على وعي بالوضع العالمي للحضارات وللسياسة الكونية، وأن عالميته على المحك ازداد وعيا بضرورة معالجة حضارته من الداخل، فهي تعرف نوعاً من التشققات والتفكك والتآكل، وما عليه إلا أن يعود مثل باقي الحضارات إلى الثقافة، لتمتين العلاقات والروابط بين دوله وأن يساير باقي الحضارات فيما تقوم به على الجانب الثقافي، وعليه أن يتخلص من عقدة التفوق وإن حاول استيعاب الوضع الدولي الراهن من أجل أن يستشرف المستقبل، ومن هذا يرى "هنتنجتون أن

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 45.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 88.

أولويات الغرب الثقافية تكمن في ضرورة استعادة وحدة وتجانس الحضارة الغربية، وذلك بتدعيم التعاون داخل الغرب...كما يرى أن الأولوية بالنسبة إلى الغرب في السنوات الخمس والعشرين القادمة تكمن في احتواء هذه التحديات وتطوير وحدته والتخفيف من كبريائه للتكيف مع القرن الواحد والعشرين"[1].

فالغرب يسعى إلى عالمية حضارته من خلال عالمية دولته، معتمدا في ذلك على الديمقراطية كشكل أقصى للحكم وصلت إليه البشرية، وأن هذه الدولة التي تطمح إلى العالمية لا تعبّر عن الأنظمة الشمولية التوتاليتارية التي تجاوزها الزمن، ما دامت تستند إلى الديمقراطية.

لقد "كانت الدول العالمية في الحضارات السابقة إمبراطوريات، وحيث إن الديمقراطية هي الشكل السياسي للحضارة الغربية، فإن الدولة العالمية الناجمة عن الحضارة الغربية ليست إمبراطورية، وإنما هي بالأحرى تركيبة من فيدراليات وكنفدراليات وأنظمة ومؤسسات دولية"[2].

فالتركيبة السياسية لدولة الغرب_أمريكا_ تجعلها ديمقراطية، وليست إمبراطورية وإن الفضل يعود إلى طبيعة الحضارة الغربية، التي بدأت منذ ظهورها بتحديث أجهزتها ومؤسساتها، وبالتالي عالميتها وأصبحت قيمها كونية، ولما أدركت كثير من الدول ما قامت به الحضارة الغربية، خاصة في مجال التحديث أرادت أن تأخذ بالتحديث، لكنها اصطدمت بالتغريب، وهنا رأت تلك الحضارات أنه إما أن تأخذ بالتحديث دون التغريب، أو تأخذ بالتحديث والتغريب أو تعود إلى ماضيها الحضاري والثقافي لتنطلق منه، وهو ما عرف بأزمات النهضة والهوية في دول تلك الحضارات على اعتبار أن القيم لصيقة بمن أنتجها وحضارته ومؤسساته ووسائله التي ابتدعها، ونتيجة لذلك بدأت الحضارات في النمو واللحاق بالحضارة الغربية، لكن مع المحافظة على قيمها، وهو ما جعل الغرب يعي ذلك التغير العالمي في الحضارات، التي أصبحت تطمح بدورها للريادة من خلال سعيها لاكتساب وسائل القوة والتطور، وهنا "يرى (هنتنجتون) أن الحضارة الغربية هي حضارة غربية وحديثة في آن واحد والحضارات الأخرى قامت وتقوم بمحاولات للتحديث دون الأخذ بالتغريب، وهي تواصل سعيها للحصول على الثروة والأسلحة والتكنولوجيا... وعلى الغرب أن يحاول بصورة مستمرة التراضي مع تلك الحضارات الحديثة غير الغربية، التي تقترب قدرتها من الغرب، والتي تختلف عنه في قيمها ومصالحها"[3].

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق ص ص 47_48.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 88.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق ص ص 48_49.

ولا يعني التراضي الحوار مع تلك الحضارات، فموقف الغرب واضح من فكرة الحوار الحضاري، بل على الغرب أن يعي ويستوعب تلك الحضارات ويحاول ضمها تحت جناحه، وأن تسير في تياره عن طريق فرض قيود على دولها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وحتى ثقافياً، ومنعها من امتلاك أسلحة الدمار الشامل، التي تعد ردعا لها، والدليل أن الغرب يخاف من امتلاكها لتلك الأسلحة، نجد الهند حيث غيّر الغرب موقفه منها بمجرد أن قامت بصناعة أسلحة نووية، أما الدول التي في طريقها لصانعة مثل تلك الأسلحة، فالغرب يمارس عليها كل الضغوطات من أجل التنازل عن مشروعها كإيران وكوريا الشمالية، والدول التي يرى فيها الغرب أنها تفكر في تلك الأسلحة سارع لإدخالها في دوامة من العنف والفوضى الداخلية، حتى يسهل عليه التدخل في شؤونها، وبالتالي جعلها تبعد تفكيرها عنها ولا تفكر إلا في مشاكلها الداخلية، كليبيا وسوريا والعراق والجزائر، وقد جاء ذلك صريحا على لسان هنتنجتون، إنها الإستراتيجية العالمية للغرب ليبقى الحضارة الوحيدة المهيمنة، والتي تمتلك وسائل القوة والهيمنة، سواء الإقتصادية أو العسكرية، وما أحداث 11 سبتمبر 2001 إلا تعبير عن رفض تلك الهيمنة الاقتصادية والتحكم في الاقتصاد العالمي، وبالتالي التحكم في البشر عن طريق التجويع، كما حدث في العراق.

لقد أنتج الغرب حضارة كما أنتج قيما ومؤسسات وإيديولوجيات تصارعت واختلفت فيما بينها شاركت في حروب عالمية وويلات إنسانية، وأدت إلى تقسيم العالم إلى شمال وجنوب، شرق وغرب دول رأسمالية وأخرى شيوعية، دول ديمقراطية وأخرى فاشية توتاليتارية، فالغرب هو من أنتج الإيديولوجيا المتوحشة، و"الإيديولوجيات السياسة الكبرى في القرن العشرين تتضمن: الليبرالية الاشتراكية، الفوضوية، الاتحادية، الماركسية الشيوعية الديمقراطية، الاشتراكية المحافظة، القومية الفاشية الديمقراطية المسيحية، وكلها تشترك في شيء واحد، جميعها نتاج الحضارة الغربية، وعلى أية حال فإن المجتمع الدولي يوجد فقط عندما تكون الدول في النظام العالمي لها "مصالح مشتركة" يشاركون في عمل مؤسسات مشتركة، ولديهم ثقافة أو حضارة مشتركة"[1].

وعليه، يفترض هنتنجتون أن النظام الدولي ناتج عن المصالح المشتركة، بين دول لها نفس الحضارة والثقافة، وهي التي لها الحق في أن تؤسس للهيئات العالمية والمؤسسات الدولية، وهذه هي النظرة التي أعطت الغرب الحق لأن يبني نظاما عالميا على مقاسه، دون إشراك الآخر المختلف ثقافيا وحضاريا، فالغرب من خلال منطلقاته في التأسيس يرتكز على البعد التاريخي، حيث يرى بأن الباقي أو باقي الحضارات مدينة له، لأنه حررها من النازية والفاشية وغيرها من الدكتاتوريات، وحمل لها قيما جديدة هي قيم الحضارة الغربية، التي هي في نظره إنسانية وعالمية كونية، لأنها تعبّر عن البعد

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 90.

الحضاري للإنسان، وتحرره من كل القيود وتحترمه كإنسان، إلا أن الغير أو الحضارات غير الغربية ترى العكس، فهي تعتقد أن الرجل الغربي باسم الحضارة وباسم نقل القيم الإنسانية قد مارس اللاحضارة واللاإنسانية، باستخدامه القوة في فرض قيمه، وهذا من زاوية أخرى عمل غير أخلاقي بل إنه ينمّ من البعد البربري في الحضارة، فلقد احتلت دول الغرب باقي الدول واستعبدت شعوبها ومارست التقتيل والإجرام في حقها، وكل هذا تم تحت منطق مغلوط، ألا وهو نشر قيم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والقانون وغيرها، وهنا "يقول هنتنجتون، إذ تم أخذ الأمور بجدية، فإن الاعتقاد بأن الشعوب غير الغربية، عليها أن تتبنى قيم ومؤسسات وثقافة الغرب، هو اعتقاد لا أخلاقي في تبعاته...لقد حان الوقت لكي يتخلى الغرب عن وهم الكونية، ويقوم بتعزيز قوة تماسك وحيوية حضارته في عالم متعدد الحضارات، إن مصالح الغرب لن تدعم بالتدخل السافر في خلافات الشعوب الأخرى"[1].

إن وهم الكونية هذا قد عشش في الفكر الغربي، حتى وصل إلى تصور خلود حضارته وأزليتها ونسي بأن الحضارات لا تدوم على حالة واحدة، فهي مثل أعمار الإنسان كما يذكر علماء الحضارات بمن فيهم العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، الذين يرون أن الحضارات تمر بأجيال وأعمار، منها عمر القوة، ويأتي بعده عصر الانحطاط والأفول، وقد يصيب حضارة ما عندما تصل إلى القمة ما يسميه أرنولد توينبي "بسراب الخلود" وهو ما يحدث اليوم للغرب وحضارته فـ" كل حضارة ترى نفسها مركزا للعالم وتكتب تاريخها، وكأنه الدراما الرئيسية في التاريخ الإنساني، وربما كان ذلك ينطبق على الغرب أكثر ما هو على أي ثقافة أخرى، وجهات النظر هذه ذات المنطلق الحضاري المفرد ليست ذات صلة كبيرة، أو فائدة في عالم متعدد الحضارات وقد أدرك الباحثون في الحضارة هذه الحقيقة البديهة منذ زمن في سنة 1918 استنكر "شبنغلر" تلك النظرة القاصرة للتاريخ السائد في الغرب بتقسيمه إلى مراحل قديمة ووسطى وحديثة تتعلق بالغرب فقط"[2].

إن فلسفة الإلغاء، فلسفة أراد الغرب أن يمارسها على باقي الحضارات، وأن يكتب التاريخ الحديث والمعاصر بفلسفة الحضور للحضارة الغربية، ووهم الحضور هذا للأسف وقع فيه حتى بعض الفلاسفة العالميين أمثال فريدريك هيجل، الذي يمجد الدولة والحضارة الغربية، ومفسرا حركة التاريخ بأنها حركة لانتقال الروح من اليونان إلى أوروبا المسيحية في العصور الوسطى ثم الحديثة، حيث ينفي أن تكون الروح قد عبرت عن باقي الحضارات، بما فيها الإسلام وحضارته، ولكن بعض مفكري الغرب أنصفوا الحضارات الأخرى، ورأوا بأن الحضارات تؤثر في بعضها ويتأثر بعضها ببعض، وأن

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص ص 195 _196.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 90 _ 91.

الغرب في تكونه وظهوره على الساحة العالمية قد استفاد كثيرا من باقي الحضارات بما فيها الحضارة الإسلامية، وهنا نجد هنتنجتون يعود دائما إلى أقطاب الحضارة الغربية من مفكرين وفلاسفة، أمثال شبنغلر وتوينبي، صاحب نظرية التحدي والاستجابة في نشوء الحضارات، حيث "انتقد توينبي بشدة ضيق أفق الغرب ووقاحته التي تتبدى في الأوهام المتمركزة حول الذات، بأن العالم يدور حوله، وأن هناك شرقا ثابتا، وأن التقدم حتمي، ومثل "شبنغلر" لم يجد فائدة لافتراض وحدة التاريخ، افتراض وجود نهر واحد للحضارة حضارتنا وأن الآخرين جميعا إما روافد له أو يضيعون في رمال الصحراء"[1].

إن اعتبار الغرب حضارته مركزا، وباقي الحضارات هامشا، هو ما يجعله يسعى لعولمتها من أجل الهيمنة، بعد أن أصبحت باقي الحضارات تشكل تهديدا حضاريا للغرب، ومنافسا قويا له، وكما يقول محمد سعدي: إن "الهدف الرئيسي لهنتنجتون هو كيف يضمن الغرب هيمنته، في مجال أصبح فيه مهددا بحضارات منافسة ترفض القيم الغربية؟...ليجيب بأن العالم برمته يسير نحو ثقافة عالمية شاملة منسجمة بقيادة العالم الغربي"[2].

إن وهم العولمة والعالمية الغربية، قد سيطر كما قلنا من قبل، على الفكر الغربي ودوائر صنع القرار في الحضارة الغربية، ومنهم هنتنجتون الذي يرى بأن الغرب يسعى لجعل الحضارات الأخرى تابعة للغرب، حيث بدأ في نشر قيمه التي يرى فيها أنها كونية ومطلقة، وأن منطق العولمة اليوم سيفرض نفسه على باقي الثقافات والحضارات، التي ستكتسحها الحضارة الغربية وقيمها، لتسير بالتالي نحو حضارة عالمية واحدة لعالم واحد، معبرا عنه في براديغيم غربي خالص، إلا أن هنتنجتون يبدو متناقضا في مواقفه وأقواله، فمرة يؤمن بعالمية الحضارة الغربية وقيمها، ومرة نجده يعتبر ذلك وهما حيث يقول: "لا زالت الأوهام والتحيزات التي حذر منها هؤلاء الباحثون حية، وقد ازدهرت في أواخر القرن العشرين على هيئة وهم وضيق أفق، وزعم بأن حضارة الغرب الأوروبية هي الحضارة العالمية اليوم"[3].

فالغرب مر بمراحل النزاعات والصراعات الداخلية، إلى أن وصل إلى المرحلة الكونية أو العالمية، وما يميز الحضارة الغربية اليوم ودولتها الكونية، أنها لم تعد مثل تلك الإمبراطوريات السابقة بل إن ما يجعلها دولة كونية عالمية هو الديمقراطية، والتي تعد الشكل السياسي الأرقى في الأنظمة المعاصرة، بل هناك من يعتبرها الشكل النهائي لجميع الأنظمة، أما باقي الدول في العالم فهي تتراوح بين دول مركز في حضارتها أو دول عادية، ووفقا لهذه المركزيات والاختلافات تتحدد السياسة الكونية، وبالتالي فإن ما يجمع الدول اليوم بدول المركز هو الثقافة، بدل الإيديولوجيا التي قسمت

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 92.

2- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 51.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 92.

العالم إلى كتلتين متصارعتين، وعليه "في السياسة الكونية الناشئة، تحل دول المركز في الحضارات الرئيسية محل القوى الكبرى في الحرب الباردة، وتصبح هي أقطاب الجذب والطرد بالنسبة للدول الأخرى، وتتضح هذه التغيرات بجلاء في الحضارات الغربية"[1].

وبما أن العالم أصبح متعدد الأقطاب والحضارات، فإن الثقافة هي ما سيحدد العلاقات بين الدول ودول المركز، ويحدد الانتماءات والاختلافات، ومنه فعلى الغرب أن يبحث عن ديناميكية جديدة يحافظ بها على تفوقه وسيطرته، ويكون ذلك بتحصين حضارته من الداخل، خوفا من التحلل والتفكك خصوصا وأن العالم ينظر إلى الغرب ودوله خاصة أمريكا على أنها الدولة التي استطاعت أن تحافظ على وحدتها وتماسكها، وأن أي صراع أو توتر قد يقود الغرب إلى التفكك، وتكون تلك اللحظة التي تنتظرها جميع الحضارات، لإعادة صنع نظام عالمي جديد، يقوم على العدالة والتنوع والتعدد.

لقد تجاوز الغرب فعلا مرحلة الصراعات داخل حضارته، إلا أن ذلك لا يعني عدم عودتها وأن وعي الغرب بتلك الحقيقة، هو ما دفعه لأن يعيد توحيد دوله وفق ديناميكية جديدة، تقوم على الهيمنة وتحريك بؤر النزاعات والصراعات بين الدول، خاصة المرشحة لأن تقول كلمتها في السياسة العالمية إن الحضارة الغربية مشروع لم يكتمل بعد، والغرب يسعى لأن يكتمل مما يزيده تمسكا بعالمية حضارته وعالمية قيمه، وهنا يريد نظاما عالميا جديدا ربما لا يؤمن بالحوار الحضاري، حيث "ينظر هنتنجتون للعصبية الغربية وتفوق حضارتها مقابل بقية الشعوب والدول معتبرا أن الحضارة الغربية تجاوزت الطور الذي تتطاحن فيه الدول، وهي تتجه نحو طور دولتها العالمية وهذا الطور لم يكتمل بعد"[2].

وللبحث عن القوة، تقوم الدول بعملية جذب للدول التي تشترك معها في نفس الثقافة، وتبعد المختلفين عنها، ولكن في الإستراتيجية العامة، قد تقوم حضارة ما بدمج شعوب من حضارات مختلفة أو السيطرة عليها، مما يخلق مقاومة لدى تلك الشعوب، وهنا تحدث نوع من الصراعات الحضارية، إلا أن الغرب يستخدمها من أجل دفع شعوبه لاستشعار الخطر، وبالتالي التمسك بالوحدة والهوية، إنه عمل وقائي من أجل أن تحتمي به الحضارة، ضد كل ما يهددها خارجيا وداخليا، إن الغرب يريد نظاما عالميا تسيطر فيه القوة الغربية، وتوجه العلاقات الدولية وفق نظرتها الخاصة، وإن من أعداء الغرب الذين يقفون عائقا أمام تحقيقه هذا المغزى، نجد محاولات التفكك الداخلي من خلال المناداة بالتعددية الثقافية بداخله، وثانيا محاربة التفكك الأمني بين دوله، وعلى هذا الأساس "يصوغ هنتنجتون نظريته الصدامية مع هذا العدو الجديد، الذي يصطنعه على أساسين ثقافي وأمني، يقول الأساس الثقافي بوجوب استعادة وحدة الحضارة الغربية أولا، وتقتضي هذه الاستعادة مكافحة التعددية الثقافية

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 253.

[2]_ غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات مرجع سابق، ص 74.

في الغرب وإحياء ثقافة غربية واحدة، أما الأساس الأمني فيقول بوجوب إعادة الصدقية إلى التحالف السياسي العسكري الثقافي في الكتلة الغربية"[1].

وبما أن الغرب يدرك قيمة العوامل الثقافية المشتركة في توحيد الدول، فإنه كان يسعى دائما للحفاظ على وحدته الثقافية وتعاون دوله أمنيا، وربما اقامة حوار حضاري بين كتله الثقافية، وكانت تلك العوامل الثقافية دافعا حاسما للوحدة بينها ولنمو الوعي الهوياتي في داخلها، ومنه أدرك الغرب أن فرض القيم بواسطة القوة فعل غير أخلاقي وغير مفيد، كما أن الحلم في العالمية والكونية، قد أصبح خيالا، "وبمرور الزمن تمكنت العوامل الثقافية المشتركة ونمو الوعي الحضاري الواسع والعميق من التقريب بين الدولتين (فيتنام والصين) مثلما حدث بين الدول الأوروبية الأخرى...في العالم الناشئ أصبحت القوة الكونية أسلوبا قديما وأصبح المجتمع الكوني حلما بعيد المنال"[2].

وما على الغرب وأمريكا إلا أن تؤمن بالواقع، وأن تتخلى عن الطموح نحو الكونية باسم العولمة كما أنه لن يفيدها أن تنعزل عن عالم الحضارات المتعدد، بل يجب أن تتعامل مع هذا الواقع الجديد بإستراتيجيته، والتي تقوم على الانتماءات الثقافية والحضارية، إذن ما على أمريكا إلا أن تقوي علاقاتها بالغرب الأوروبي، وأن تتبنى القيم المشتركة التي تحمل نفس المبادئ، ونفس المصالح، وهنا "يقول هنتنجتون لا النزعة الشمولية التوسعية، ولا التقوقع والانعزالية، لا التعددية ولا الأحادية ستخدم مصالح الولايات المتحدة، وستدعم مصالحها أكثر لو تجنبت هذه الحدود القصوى، وتبنت بالمقابل سياسة أطلسية للتعاون الوثيق مع شركائها الأوروبيين، ما سيحمي ويدعم مصالح قيم وثقافة الحضارة الفريدة والنفيسة التي يتقاسمونها"[3].

وعلى هذا الأساس، سيتم بناء وتحديد نظام عالمي، تقوم فيه العلاقات بين الدول على أساس الانتماءات الثقافية، ودول المركز ستؤدي دورا كبيرا في لم شمل الدول المتقاربة ثقافيا والحوار فيما بينها، لتشكل بالتالي حضارة قوية، وتتفاعل مع القيم المشتركة فيما بينها، كما أن ذلك يمنح دولة المركز العالمية نوعاً من الشرعية في وضع نظام عالمي، وسياسة عالمية، هي في الواقع تخدم مصالحها ومصالح الدول التي تنتمي إليها ثقافيا، ومن هنا ظهر ما يسمى بالحوار جنوب جنوب، والحوار شمال شمال، وغيرها.

وبالتالي فإنه على الغرب أن يدرك دور الثقافة في السياسة الكونية وقيمتها في العلاقات السياسية وأن يعي حقيقة العالم اليوم متعدد الحضارات، بهذه الطريقة يستطيع مع دوله أن يحافظ على الهيمنة والديمومة، إنه العالم الجديد "العالم الذي تلعب فيه دول المركز دورا قياديا...عالم تضبط فيه دول

---

[1]- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات، والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 156.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 254.

[3]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 200.

المركز سياستها، وتعدل من ممارستها لنفوذها عن طريق الثقافة التي تشترك فيها مع الدول الأعضاء في نفس الحضارة، العوامل الثقافية المشتركة تعطي شرعية للقيادة ولدور دولة المركز في فرض النظام"[1].

وحول علاقة دول الغرب بعضها ببعض داخل الحضارة الغربية، يرى هنتنجتون أن أمريكا هي من يمثل دولة المركز في الحضارة الغربية المشكّلة من أمريكا وأوروبا، وبالتالي الهيمنة الغربية على العالم، كما أن هنتنجتون يمنح دولة المركز العالمية_كما يسميها_الدور الريادي أولا: في لم شمل الدول الأعضاء التي تنتمي إليها ثقافيا، وثانيا: يمنحها الحق في وضع نظام عالمي، وفق تصوراتها وقيمها وحضارتها، وهنا تمارس حق الأبوة على الأبناء، فهي ترى أنها تملك حق الامتياز في تنظيم العلاقات داخل حضارتها أو بين الدول والحضارات المختلفة، ووفق هذا التصور فإن "دولة المركز يمكن أن تقوم بوظيفتها النظامية، لأن الدول الأعضاء تنظر إليها كقربى ثقافية، الحضارة أسرة ممتدة ومثل أعضاء الأسرة الأكبر سنا، تقوم دول المركز بتوفير الدعم والنظام للأقارب"[2].

إن الرابطة الثقافية بالنسبة إلى الغرب وأمريكا تزيدها قوة ودعما، في مواجهة الحضارات الأخرى خاصة التي بها دولة مركز، والتي تعرف نموا اقتصاديا سريعا على غرار دول شرق آسيا والصين وهذه الحضارات تعتبر وجود نظام عالمي يقوم على الأحادية القطبية تحديا لها، ومن خلال ذلك تسعى إلى تغيير هذا النظام، الذي بني على فلسفة القوة، فالغرب خرج منتصرا وقويا من حروب سابقة وإن ذلك قد منحه الشرعية في قيادة العالم، واعتبار نفسه القوة العظمى الوحيدة، ونتيجة لتغير المعطيات السياسية والاقتصادية الدولية، فلا بد للغرب أن يغير من سياسته، ويراجع ذاته وأن يكف عن التصرف كقوة عظمى وحيدة، فتجاهل القوى الصاعدة يعدّ في الحقيقة خطراً على الغرب ذاته وهو ما يؤكده هنتنجتون قائلا: "في العالم الأحادي القطبية، القوة العظمى الوحيدة تشكل في ذاتها تهديدا للقوى الكبرى الأخرى... يتحتم على الولايات المتحدة التوقف عن التصرف وكأننا نعيش في عالم أحادي القطبية، فنحن لا نعيش في أحادية قطبية"[3].

وبالتالي، فقد بدأت السياسة العالمية تميل مع توازن القوى، وبدأ النظام العالمي يتراجع عن الأحادية حيث بدأت الحضارات غير الغربية تفرض وجودها، وخاصة الحضارات التي لديها دول مركز، فوظيفة هذه الدول أنها تجعل من باقي الدول المنتمية لنفس الحضارة أكثر وحدة وتماسكا، مما يخلق لديها الشعور بوحدة الانتماء والهوية والمصير المشترك، بالإضافة إلى أنها تقدم دولتها المركزية على أنها

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 254.

[2]- المصدر نفسه، ص 255.

[3]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص 212 ، 217.

تمثل القائد أو الزعيم، وفي نفس الوقت يحدث تمايز عن الغير وحضاراتهم، وهنا تظهر على الساحة الدولية أقطاب، تستطيع أن تعيد صنع النظام العالمي وفق النظرية التعددية، فلدول المركز دور أساسي، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، و"عندما تفتقر الحضارات لدول مركز تصبح مشكلات إرساء النظام داخل الحضارات أو التفاوض عليه فيما بينها أكبر صعوبة...إن العوامل الرئيسية للنظام العالمي الجديد القائم على الحضارات توجد حيث توجد دول المركز"[(1)].

ويرى هنتنجتون في النظام العالمي، أنه نظام يجب أن يبنى على قيم عالمية، وهي القيم التي فرضتها الحضارة الغربية، باعتبارها الحضارة العالمية والقوة والكونية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن تلك القيم في نظر هنتنجتون تعتبر من المشتركات الإنسانية، فلا بد من صياغة نظام عالمي يعبّر عنها في أساسه، لأنها نتجت بعد مخاض عسير للبشرية مع تجارب النهضة الفكرية والثورة الصناعية والتنوير وبعدها التحديث، إلا أن ذلك في الحقيقة هو محاولة غربية لإخضاع باقي الشعوب لنظرة أحادية وتنميط ثقافاتها في قيم العولمة، وخلق نظام عالمي، يتماشى وقيم الحضارة الغربية فقط، وهذا ما رفضته الأمم والحضارات، حيث "ينظر هنتنجتون لواقع الطموح الذي يمتلك الليبرالية الأمريكية ويحكم عقليتها اتجاه الشعوب للسيطرة والاستغلال والتفرد والهيمنة، وهو الذي يشكل في محصلة نهائية جوهر النظام العالمي الجديد"[(2)].

لقد كانت الولايات المتحدة في وقت مضى تشكل الدولة المركز، وخاصة في الحرب الإيديولوجية حيث كانت تضم دولا عدة بقيادتها، دخلت في صراع مع الكتلة الشرقية الشيوعية، هدفها الحد من انتشار الشيوعية والدفاع عن العالم الحر، وهو ما عرف في عدة مرات بالحلفاء، أو الغرب ولقد خرج الغرب منتصرا من تلك الحرب الإيديولوجية، وأعلن نهاية الشيوعية وانتصار الليبرالية والديمقراطية كشكل نهائي من أشكال الحكم في العالم، وهو ما عبّر عنه فوكوياما في كتابه: "نهاية التاريخ والرجل الأخير"، وبقيت الولايات المتحدة تعتبر نفسها بالنسبة إلى الغرب دولة مركز، وأنها من يحمل القيم العالمية التي يجب أن تسود فكانت في "أثناء الحرب الباردة الولايات المتحدة في المركز من تجمع يضم دولا متعددة الحضارات، تشترك كلها في هدف منع زيادة توسع الاتحاد السوفييتي، هذا التجمع الذي كان يعرف في الماضي باسم "العالم الحر" أو الغرب" أو "الحلفاء" كما يضم الكثير من المجتمعات الغربية"[(3)].

ومن تلك المرحلة خلقت لدى أمريكا والغرب عموما، نظرة شمولية تعتقد بأن الغرب الذي حرر العالم من النازية والفاشية والشيوعية وغيرها، هو من يمثل القوة العالمية، وإرادة الشعوب، وأن حضارته

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 255.

[2]- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 96.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 256.

وقيمه هي التي يجب أن تسود، وظهرت نزعة التمركز حول الذات وتهميش الآخرين، بل إن الغرب سعى لأن تسود تلك القيم التي _كما يدّعي_ أنها قد أثبتت مصداقيتها وصحتها، وآمن بالتالي بالعالمية والكونية والعولمة، كما ظهرت فكرة الحضارة الواحدة لعالم واحد، ألا وهي حضارة الغرب وبدأت آثار العولمة تظهر في العالم غير الغربي، مما أدى إلى صراعات داخل تلك الحضارات حول المحلية والعالمية، مما خلق لها إشكاليات حضارية في الثقافة والهوية، وكرد فعل نادت تلك الشعوب باحترام التعددية الثقافية، كمنطلق لنظام عالمي جديد، تحترم فيه جميع الأمم واختلافاتها الثقافية، ولا تفرض فيه ثقافة أو حضارة على الباقي، وكان "ثمة منظور ينطلق من رؤية مركزية ذاتية للدفاع عن ثقافة عالمية واحدة، هي المرجع والمحور لكل الشعوب وإقصاء وتهميش الثقافات المحلية، باسم العولمة التي خلقت انقلاباً كاملا في القيم والعادات والأفكار داخل هذه الثقافات، وفقط تكوين التعددية الثقافية بإمكانه أن يسمح بالتخلص من انغلاق العالم على نفسه"[1].

فالعولمة تريد أن تعمم براديغيم واحد، وتنمط الثقافات الأخرى بغية خلق نظام عالمي لا يخدم إلا مصلحة طرف واحد، ولقد وقفت الأمم والشعوب ضد هذه السياسة، وهذا النظام الغربي، وقد عرفت مرحلة الحرب الباردة تغيرات سياسية هامة، منها إعادة تشكيل العالم وفق منظور جديد، ألا وهو منظور الثقافة والحضارة، وانتهاء الانتماءات الإيديولوجية والتي جمعت شعوبا من حضارات مختلفة فلم يعد معيار الانتماء هو السياسة بل الثقافة، وكما حدث للعالم الشرقي حدث للعالم الغربي، حيث أعاد الغرب تشكيل حضارته من خلال نفس المنطلق، ألا وهو الثقافة والحضارة، حيث كانت تنتمي إليه دول لا تحمل نفس الانتماء، اضطرتها ظروف الحرب الباردة إلى أن تنطوي تحت لواء المعسكر الغربي، وبالتالي فقد أعيد تشكيل العالم والسياسة الكونية، وفق نظرة جديدة مغايرة لسابقتها.

"وبانتهاء الحرب الباردة، تفتتت تلك المجتمعات المتعددة الحضارات والمتداخلة الثقافات، ذوبان النظام السوفييتي، ونجاح حلف وارسو تم بشكل درامي، العالم الحر المتعدد الحضارات والذي كان موجودا أثناء الحرب الباردة يتم إعادة تشكيله بطريقة مشابهة، وإن كان ببطء أكثر في تجمع جديد ممتد مع الحضارة الأوروبية تقريبا"[2].

وانطلاقا من إقرار هنتنجتون لتغير السياسة العالمية بعد الحرب الباردة، وظهور عالم متعدد الحضارات، وعدم قدرة الغرب على فرض حضارته وقيمها، أصبح هنتنجتون يؤمن بطرح جديد وفق تصوره لنظام عالمي جديد، هذه الفكرة هي سيطرة وهيمنة الحضارة المتغلبة، التي تدافع عن قيمها ومبادئها، ولا يهم عولمتها وكونيتها، وفكرة التغلب هذه نجدها عند ابن خلدون، الذي يرى أن الحضارة

---

[1]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 34.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 256.

المتغلبة تلجأ إلى الدفاع عن وجودها من الغزاة، وإن المغلوب مولع بتقليد الغالب، وبالتالي جعل تلك الحضارات هي من يختار تقليد الغرب والاندماج فيه، كما أن هنتنجتون يعارض بشدة التعدد الثقافي داخل الغرب، لأن ذلك بالنسبة إليه سيجعل الغرب دون حضارة ويعرضه للضعف، ومن ثمة الانحلال والتفكك، حيث "يرفض هنتنجتون فكرة الحضارة الكونية، ويطرح بديلا عنها، فكرة الحضارة المتغلبة التي لا تقبل المساومة بقيمها ومبادئها ولا تقبل التفاوض حولها، وينتقد هنتنجتون الذين يريدون خلق بلد ذي حضارات متعددة، أي بمعنى بلد لا ينتمي إلى أية حضارة، ومحروم من الوحدة الثقافية...لن تكون الولايات المتحدة إذا كانت ذات حضارات متعددة، وإنما الأمم المتحدة"[1].

أما فيما يخص الجزء الثاني من الغرب، الذي يعتبر مهد الحضارة الغربية، فهو أوروبا، والتي شهدت صراعات ونزاعات إقليميه كبيرة في تاريخها، وعرفت تمزقات وانهيارات، وذلك حتى الحرب الباردة، ولكن بمجرد سقوط الشيوعية، فكرت أوروبا في إقامة اتحاد قوي، فكان ذلك في حد ذاته تحدياً كبيراً، وأجيب عن السؤال الماهوي الذي كان يطرح ما هي أوروبا؟ ليتم تحديدها بأن أوروبا هي الغرب، وفق أطروحة المفكرين الغربيين، ومنهم هنتنجتون الذي يقول: "كانت إقامة هذا الخط في أوروبا (اتحاد) أحد التحديات الرئيسية، التي واجهت الغرب في عالم ما بعد الحرب الباردة، في أثناء الحرب الباردة لم تكن أوروبا موجودة كوحدة، إلا أنه مع سقوط الشيوعية أصبح من الضروري الإجابة عن سؤال ما هي أوروبا؟"[2].

يجيب هنتنجتون على هذا السؤال عن طريق المحددات الحضارية والهوياتية، التي تجمع دول أوروبا، تلك الأسس والمبادئ المشتركة التي أوجدت أوروبا الحضارة، وأوروبا الثقافة، وأكبرها وأهمها الديانة المسيحية، وبالتالي فإن أوروبا لها حدود حضارية مع باقي الدول والحضارات التي لا تشترك معها في تلك المحددات، وتمتد أوروبا لتشمل أمريكا، وبالتالي يصبحان حضارة واحدة، ألا وهي الحضارة الغربية، ومنه فإن "أوروبا تنتهي حيث تنتهي المسيحية الغربية، ويبدأ الإسلام والأرثوذوكسية...إن خط تقسيم حضاري جديد يخرج إلى حيز الوجود"[3].

وبعد أن تحددت معالم النظام العالمي الجديد المبني على التقسيم الحضاري والاختلاف الثقافي والهوياتي، فقد أعيد بناء العلاقات الدولية والسياسية بين الدول على هذا الأساس الجديد، ولم تعد هناك اعتبارات للانتماءات الإيديولوجية، إلا أن انتهاء ذلك النوع من الصراعات، لا يعني نهاية الصراعات مطلقا، أو نهاية التاريخ، بل إن التاريخ يشهد ولادة مرحلة جديدة مختلفة عن سابقاتها، وإن أكبر ما سيكتب التاريخ الجديد هو الصراع أو الصدام بين الحضارات، التي أخرجها النظام العالمي

---

[1]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 43.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 257.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 258 _ 259.

الجديد إلى الوجود، وأخرجته هي بدورها، و"لقد ارتبطت مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بالإعلان عن نظام دولي جديد، تحدده الصراعات بين ثماني حضارات"[1].

إن النظام الدولي الجديد، رغم أنه من صنع الغرب ويميل لصالح الغرب، إلا أنه يشهد تعدداً حضارياً فرضته التغيرات التي حدثت على المستوى العالمي، وإن كان الغرب يريد بهذا النظام الزيادة من التوسع والهيمنة، وفرض قيمه الحضارية على الغير، ليجعل من حضارته مركزا والباقي تابعا، إلا أن رد فعل الحضارات كان واضحا، سواء في العودة إلى حضاراتها للتمسك بها في مقابل التغريب والكوننة المفروضة، أو محاولتها المشاركة في صياغة ذلك النظام وفق الرؤية التعددية والانطلاق من الاختلاف الحضاري، وقد خلق ذلك نوعاً من الصدام بين الحضارات، خاصة الغرب والإسلام والصين وأدى كذلك إلى اتساع وازدياد بؤر النزاعات داخل الحضارات، والتي من المحتمل أن تصبح بين الحضارات الكبرى، وعليه فإن "مزاعم الغرب في العالمية، تضعه بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الأخرى، وأخطرها مع الإسلام والصين، وعلى المستوى المحلي، فإن حروب خطوط التقسيم الحضاري وبخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، ينتج عنها تجمع الدول المتقاربة وخطر التصعيد على نطاق واسع، وبالتالي جهود من حول المركز لإيقاف تلك الحروب"[2].

ومن المخاطر التي أدركها الغرب، هو امتداد الصراعات الحضارية بين الشعوب داخل الحضارة الواحدة إلى الآخر المختلف، ورغم أن الكثير يرى بأن الصدامات الحضارية، ستتنوع بين الصدامات العسكرية، وبالتالي اندلاع الحروب الحضارية، وهناك من يرى أن الحرب الحضارية لا يمكن أن تكون عسكرية، بل هي حرب ستحدد ملامحها بالتفوق المعرفي والثقافي والسياسي والاقتصادي، أو ما يمكن أن نسميه بالحرب الحضارية الباردة، يقول في ذلك حميد حمد السعدون، إن "الصدامات أو الصراعات القادمة ستدور بشأن المعرفة، ومثل هذه الصدامات لن تكون بأسلحة وعتاد وجيوش، بل سيكون مسرحها وميدانها عقول البشر، وما تحتوي عليه من معلومات ومعارف"[3].

وفكرة الصدام بين الحضارات، التي كانت المحور العام الذي تدور حوله أفكار هنتنجتون تتكرر في جميع مؤلفاته ومقالاته، ففي مقال: "الغرب وبقية العالم" يعود هنتنجتون ليؤكد أن النظام العالمي الجديد، سيشهد لا محالة صداما بين الحضارات، وأن البشرية قد تجاوزت مرحلة الانقسامات الإيديولوجية لتعرف نوعا جديدا من النزاعات، والتي على أساسها ستبنى العلاقات السياسية بينها، إنها الانقسامات الحضارية والثقافية، وعليه فإن لعبة الأمم كما يسميها بعض المفكرين هي في قدرتها على تحديد الانتماء والتمسك بالهوية وإبراز الحضارة، وعليه ستظهر الانقسامات الحضارية وفق هذا

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مجلة السياسة الدولية، مرجع سابق، ص 321.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 37 _38.

3- حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 41.

المعيار الجديد، وستكون هناك خلافات ونزاعات تصل إلى درجة الحروب الأهلية، ويمكن أن تصبح تلك النزاعات عالمية بين الحضارات، ليشهد التاريخ مرحلته النهائية، من حيث أنواع الصراعات ألا وهي الصراعات بين الحضارات، وليس مجرد سقوط الشيوعية يعني نهاية التاريخ، ومن هذه المنطلقات يرى هنتنجتون أنه يبني فروضا سيثبتها التاريخ، لتصبح نظريات صحيحة، وهو ما تحقق فعلا، حيث قال عندما عرض أطروحته قبل سنة 1996 أن "الفرض الذي أقدمه، هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد، لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا وستظل الدول/الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، ويسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل...وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة في تطور النزاع في العالم الحديث"[1].

إن فلسفة التاريخ تؤمن بالتغير والتطور، سواء في عالم الأفكار أو الأشخاص أو الأشياء، وبما أن التاريخ قد عرف في مراحله المختلفة عدة حضارات، فإنه قد أثبت أنه كانت بينها علاقات مرت بجميع الأشكال، من الصراع إلى الحوار إلى التعايش والتفاعل، ولا يمكن بالتالي أن نجزم بنهاية التاريخ، وأن الصراع بين الحضارات يعتبر المرحلة النهائية التي ستشهدها البشرية، فإذا كان هنتنجتون يوجه نقدا لفوكوياما حول أطروحة نهاية التاريخ، فإنه في أطروحته قد وقع في نفس الخطأ، فحينما ينظر هنتنجتون إلى الحضارة الغربية، ويعتبرها أرقى ما وصلت إليه البشرية من أفكار ومبادئ، ويعزو ذلك الى الرجل الغربي فقط مستثنيا باقي الحضارات والشعوب، فإن ذلك يشجع على الصدام بين الحضارات، لأن محاولة نشر تلك القيم العالمية والكونية، وفق المنظور الهنتنجتوني يجعل من باقي الحضارات تدافع عن قيمها، وتعتبرها هي الأخرى عالمية، وتسعى إلى عولمتها، فيحدث في الأصل ما نسميه حقيقة صراع القيم وليس الحضارات، وهنتنجتون "تعد تصريحاته...معبرا عن النهاية العظمى في عالم الأفكار وتمثلاتها الاجتماعية، عاملا فاعلا في تكوين الصراع المتعدد الأطراف والمتنوع الاهتمامات، ذلك أن عد حقوق الإنسان والديمقراطية الليبرالية منتهى ما يبلغه الفكر البشري في الحاضر والمستقبل، تأسيس للصراع بمفهومه الواسع، صراع يهدف إلى تكريس الهيمنة الأمريكية على العالم، وتثبيت هذا الموقف اقتضى تبني العولمة بوصفها تعبيرا عن النهاية العظمى في عالم الأفكار "[2].

1- صموئيل هنتنجتون، وآخرون الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 11.

2- عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، مرجع سابق، ص 95.

ولكي يجد الغرب مسوّغا لتعميم قيمه والتعبير عن عالميتها، لجأ إلى فلسفة العولمة، مدّعيا أن العولمة التي يريدها الغرب هي التي تنادي بالتأحيد والتنميط، وتسعى إلى جعل القيم واحدة والحضارة والثقافة واحدة، لكنها تحصرها في قيم الحضارة المتفوقة، ولكن كما قلنا إن هذا التنميط هو محاولة القضاء على باقي الحضارات وخصوصياتها الثقافية، فما يعد في الغرب عالمياً، لا يعد في حضارة أخرى وهكذا فكل القيم تخضع لمعيار الخصوصية، وبالتالي لا يمكن أن نقول إن قيماً معينة أفضل من أخرى، "إن المفهوم القائل أنه يمكن أن تكون هناك حضارة عالمية، هو نفسه فكرة غربية تتناقض بصورة مباشرة مع خصوصية معظم المجتمعات الآسيوية وتركيزها على ما يميز شعب عن آخر...إن القيم الأكثر أهمية في الغرب هي الأقل أهمية على النطاق العالمي"(1).

إن النظام العالمي الجديد في تفسير البعض، يعني سيطرة إيديولوجية وإثنيه معينة على الباقي لأن من يدير دواليب هذا النظام العالمي هم اليهود تحت جناح النصارى، والكل يعلم ما يحمله اليهود والنصارى من حقد وكراهية للدين الإسلامي، وحتى لباقي الأديان والحضارات، وقد أكدوا نزعتهم العالمية، وهيمنتهم من خلال كثير من الأفعال والمواقف والقضايا، وأنشأوا لذلك هيئات عالمية تدافع وتحمي مصالحهم، معتبرين باقي الشعوب مثل العبيد الذين يجب عليهم خدمة السيد فقط، ومن خلال نزعتهم العنصرية نظرو إلى حضارتهم على أنها تسمو على الباقي نتيجة لسمو الرجل الغربي، الذي أنتجها.

إن "النظام الدولي الجديد يعني سيطرة اليهود والنصارى على المسلمين...وهكذا يقول النصارى واليهود الآن كما صممنا على سحق الشيوعية، يجب أن نصمم الآن على سحق الإسلام"(2).

وقد أقام الغرب النظام العالمي وفق السياسة الغربية، التي طبعا لها الحق في أن تصنف الدول من مع الغرب، ومن ضد الغرب، وهذا التصنيف مبني على الاختلافات الدينية والثقافية والولاءات ومن هذا فإن الغرب يمارس سياسة تكيل بمكيالين في القضايا العالمية، كامتلاك الأسلحة النووية فهي مسموحة لإسرائيل، وأي دولة في الغرب، وممنوعة على أي دولة إسلامية، كذلك عندما يقتل جندي إسرائيلي تعلن أمريكا بأن هذا إرهاب يجب محاربته، وعندما يموت الآلاف من الأطفال الفلسطينيين، أو من الشعب الأعزل، فهذا دفاع عن النفس وعن الحضارة والغرب، والعالمية والكونية وعليه لتبقي أمريكا وحلفاؤها على العالمية، لابد أن تستخدم ازدواجية المعايير في جميع القضايا العالمية، ومنه "لا يتردد غير الغربيين في الإشارة إلى الفجوات بين المبادئ والتصرفات الغربية النفاق، إزدواجية المعايير...كل ذلك هو ثمن تلك العالمية المزعومة، الغرب مع الديمقراطية، "ولكن ليس"عندما تأتي

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 29.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 167.

بالأصوليين الإسلاميين إلى السلطة، ومنع انتشار الأسلحة يطلب من إيران، ولكن ليس من إسرائيل...ازدواجية المعايير في الممارسة العملية، هي الثمن الذي لا يمكن تجنبه في مستويات المبادئ العالمية"[1].

ويعود هنتنجتون إلى واقع النظام العالمي الجديد، الذي أفرزته المرحلة الراهنة في عصره، ليرى أننا نشهد تسارعا وتغيرا كبيرا في الساحة الدولية السياسية والثقافية الحضارية، وهي ما يسمح بقراءة المستقبل على ضوئها فانهيار المعسكر الشرقي وما نتج عنه من عودة الصراعات العرقية وعودة الحضارات والإثنيات من جديد، والانبعاث الحضاري والهوياتي لدى بعض الدول، وعودة الصراعات الاقتصادية بين الدول الكبرى، وردود الأفعال الدولية حول الهيمنة الثقافية والحضارية للغرب، وسعي كثير من الدول لتطوير قدراتها العسكرية، باكتسابها لأسلحة دمار شامل، وإن تسارع الأحداث، كله يدل على ولادة عالم جديد ونظام دولي جديد، ينطلق من افتراض وقوع صدامات بين الحضارات ويلخص هنتنجتون كل ذلك في قوله: إن "تطورات مهمة كثيرة بعد نهاية الحرب الباردة كانت متماشية مع النموذج الحضاري، وكان يمكن التنبؤ بها من خلاله، وهي تتضمن:

- تفكك الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا، الحروب الدائرة في أراضيها السابقة.
- انبعاث الأصوليات الدينية في العالم.
- النزاعات داخل روسيا وتركيا والمكسيك حول الهوية.
- اتساع الصراعات التجارية بين الولايات المتحدة واليابان.
- مقاومة الدول الإسلامية للضغط الأمريكي على العراق وليبيا.
- جهود الدول الإسلامية والكونفوشيوسية للحصول على أسلحة نووية ووسائل استخدامها.
- الدور المتواصل للصين كقوة عظمى من الخارج تعزيزا لنظم الديمقراطية في بعض الدول دون غيرها، وتطور المنافسة في مجال السلاح في شرق آسيا، إن وثاقة الصلة بين النموذج الحضاري والعالم الذي ظهر، تصورها الأحداث التي تلائم هذا النموذج، والتي وقعت في فترة ستة شهور من عام 1993... كتحالف الدول الإسلامية والكنفوشية الرافضة لمبدأ العالمية الأمريكية"[2].

ووفق التحليل الغربي للتاريخ، فإن هذا الأخير يسير في خط مستقيم، هو نموذج الحضارة الغربية، وما كلامه عن التعدد الحضاري وفكرة الصراع، إلا من أجل أن يبرر هذا السير التاريخي وبالتالي فإن التاريخ لن يتجه في اتجاه معاكس، أو انحرافي عن القيم الغربية العالمية، التي يجب أن تكون بدورها البراديغيم الوحيد الذي يسود العالم والحضارات، وعلى ضوئه يصاغ النظام العالمي الجديد، وكما يقول عبد الوهاب المسيري في كتابه: "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان" "إن التاريخ يتبع

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 294 _ 295.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 62 _ 63.

مسارا واحدا فقط، وأن هنتنجتون يؤمن بالنموذج أحادي الخط، برغم كل حديثه عن التعددية والصراع...أبطال هنتنجتون رجال يؤمنون بأن الحضارة الغربية حضارة عالمية، تناسب كل الناس في كل زمان ومكان"[1].

ولإعطاء الصفة العالمية للقيم الغربية وحضارتها، سخّر الغرب الهيئات والمؤسسات العالمية لخدمة تلك العالمية والكونية، بل وأصبحت تلك الهيئات تعبّر عن إرادة الغرب لا إرادة الأمم، وبالتالي حلّت الأمم المتحدة محل العالم الحر، الذي أراد أن يعمم تلك القيم، ويبني نظاما عالميا باسم الأمم المتحدة، وهذا طبعا من أجل الحفاظ على المصالح المشتركة للدول الغربية، والقضاء على أية محاولة من طرف الحضارات الأخرى للتفكير في منافسة الغرب على ريادة العالم، وفرض نظام مخالف لإرادته ومصالحه الجيوسياسية والمستقبلية، والتحكم في المجتمعات غير الغربية، وجعلها تابعة للغرب وحضارته، ومنه كانت "القرارات التي يتخذها مجلس الأمن، أو صندوق النقد الدولي، والتي تعكس مصالح الغرب، تقدم للعالم لاعتبارها قرارات تعكس رغبات المجتمع العالمي، بل إن تعبير "المجتمع العالمي" نفسه أصبح اسما جماعيا مطلقا (يحل محل العالم الحر) لإضفاء مشروعية كونية على الأعمال التي تعكس مصالح الولايات المتحدة، والدول الغربية الأخرى"[2].

إن العالمية والكونية، كانت إحدى الأهداف والطموحات الغربية، خاصة لدى الولايات المتحدة الأمريكية، والتي خلقت بهذه الفكرة المبادئ العالمية والقيم الكونية الصحيحة، والرجل العالمي الذي لا يقهر والجيش الذي لا يهزم، والاقتصاد الذي لا يفلس، والسياسة النهائية لكل السياسات، والليبرالية والديمقراطية كشكل نهائي لأنظمة الحكم، إنها تمارس بهذه الأفكار فلسفة النهايات التي بدأت في الفكر الغربي، وانتشرت مع فكرة نهاية التاريخ، إن الغرب بذلك قد اعتقد أنه وصل إلى المطلق وانتابت حضارته ما ذكرناه سابقا مع توينبي "سراب الخلود"، ولكن ما يظهر للعالم أن الحضارة الغربية قد دخلت كثيراً من المجتمعات غير الغربية في مظهرها المادي فقط، وليس الثقافي والحضاري وبالتالي فإنها تعاني هشاشة الانتشار، لأن المبادئ والأسس التي تقوم عليها باقي الثقافات بقيت ثابتة لم تتأثر، كما أن تلك الحضارات في الحقيقة، لها تصورات مخالفة لتصورات الغرب عن القيم التي يجب أن تسود في تلك الحضارات أو العالم، ويرى هنتنجتون أن مفكري الغرب انقسموا بين من يرى عالمية قيم الحضارة الغربية، وبين من يرى أنها متفردة وليس عالمية، وهنا يستشهد هنتنجتون بأحدهم عندما يقول: "وقد حاج **ف.س ثايبول (Vidiadhar Surajprasad Naipaul)*** بأن الحضارة الغربية، هي حضارة كونية كلية تناسب كل الناس، وإذا كان صحيحا على المستوى السطحي، أن

1- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 164.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 32.

* ف. س. نايبول (1932_) روائي بريطاني.

الحضارة الغربية تخللت حقا باقي العالم، فإن المفاهيم الغربية على مستوى أساسي بدرجة أكبر تختلف بصورة أساسية عن تلك السائدة في الحضارات الأخرى، فالأفكار الغربية عن الفردية والليبرالية والدستورية وحقوق الإنسان والمساواة والحرية وحكم القانون والديمقراطية والأسواق الحرة وفصل الكنيسة عن الدولة، ليس لها عادة جاذبية كبيرة في الثقافات الأخرى...وبدلا من ذلك أنتجت جهود الغرب لنشر مثل هذه الأفكار رد فعل معاديا لإمبريالية حقوق الإنسان، وإعادة تأكيد للقيم المحلية الأصلية"[1].

إن محاولة فرض تلك المبادئ والقيم، يعبّر عن إمبريالية غربية جديدة، تريد أن تحتكر العالمية وتعتقد في أن الحضارة الغربية صالحة للجميع، وما على الآخر إلا أن يتبنى النموذج الغربي ناسية التكوين الثقافي للشعوب والأمم، والاختلافات فيما بينها، وأن التعدد والتنوع معطى طبيعي، لا يمكن إلغاؤه باسم العالمية والكونية، وكثير من الدول اعتمدت فكرة العزلة الحضارية حتى لا يدخلها الفساد الغربي بتعبير هنتنجتون، "ومن المرجح أن يشمل المحور المركزي للسياسات العالمية في المستقبل على حد تعبير كيشوري محبوباني، في النزاع بين الغرب وبقية العالم، وردود الحضارات غير الغربية على القوة والقيم الغربية...(هناك) دول غير غربية...تحاول إتباع مسار العزلة، لتعزل مجتمعاتها عن تسلل الفساد من الغرب، والواقع أنها تختار بذلك عدم المشاركة في المجتمع العالمي الذي يهيمن عليه الغرب"[2].

وينطلق هنتنجتون دائما من حقائق التاريخ، باعتباره أستاذا للعلوم السياسية، وفيلسوفا للحضارة حيث لاحظ أن كثيراً من الدول، قد انتهجت النهج الديمقراطي، وتخلت عن أنظمتها السياسية التسلطية لكن هل يعني ذلك أن تلك الدول قد تخلت عن قيمها وثقافتها، وبالتالي حضارتها؟ هل تلك الدول اندمجت وذابت في الغرب؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة يؤكدها واقع تلك الدول التي اندمجت مع الدول التي تتفق معها في الثقافة، وتبنّي الديمقراطية السياسية لا يعني التخلي عن القيم الثقافية، فلا يمكن للسياسي أن يعبر عن الثقافي إلا في بعض الحالات الأخرى، أما على المستوى الثقافي والحضاري، فإن الأمم مهما تأثرت بالغرب وحضارته، وتبنت بعض القيم والمبادئ الغربية، إلا أن ذلك لا يعني أنها تغربت، ولقد أكد هذه الحقائق هنتنجتون ذاته، الذي قال في السابق إن التحديث لا يعني التغريب، فهناك تحولات سياسية فرضت على كثير من الدول تبنّي الديمقراطية فـ "ما بين 1974-

---

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، مصدر سابق، ص 33.

2- المصدر نفسه، ص 34.

1990 أكثر من 30 دولة من جنوب أوروبا، وأمريكا اللاتينية، وغرب أوروبا، تحولت من أنظمة تسلطية إلى أنظمة ديمقراطية"[1].

وبالمقابل، هناك دول تنادي بضرورة التعاون الثقافي والحضاري، من أجل صد الهيمنة الغربية وصد القيم الغربية، حتى ولو كان ذلك عن طريق عقد التحالفات، ويعود هنتنجتون إلى فكرته عن النظام العالمي الذي يريده الغرب، ومعارضته من كثير من الدول والأمم، خاصة الإسلامية والأسيوية حيث يستشهد بأقوال رئيس دولة عربية تحسب على الحضارة الإسلامية، ألا وهو **معمر القذافي** الذي يقول عنه: "معمر القذافي الذي أعلن في مارس 1994 "أن النظام العالمي الجديد، معناه أن يسيطر اليهود والمسيحيون على المسلمين...ما يقوله اليهود والمسيحيون الآن، كنا مصرين على سحق الشيوعية والآن لابد من سحق الإسلام والكونفوشية، الآن نتمنى أن نشهد مواجهة بين الصين التي ترأس المعسكر الكونفوشي، وأمريكا التي ترأس المعسكر المسيحي الصليبي، وليس لدينا أي مبررات سوى أن ننحاز ضد الصليبيين، نحن نقف مع الكونفوشية، وبانحيازنا إلى جوارها، والقتال بجانبها في جبهة عالمية واحدة، سوف نقضي على عدونا المشترك، وهكذا فإننا كمسلمين سوف ندعم الصين في كفاحها ضد عدونا المشترك، نتمنى النصر للصين"[2].

ولذا يعتبر هنتنجتون أن تحالفا إسلاميا صينيا ضد الغرب محتمل، من أجل القضاء على العدو المشترك، وأن صدام الحضارات هو المعبّر عن هذه العداوة بين الحضارات، فالغرب بالنسبة إلى الكثير يعني اليهود والصليبيين، ومن هنا كانت في الحقيقة الصراعات ليست بين الحضارات، بل بين الأديان كما يسميها البعض، وأن ما هو ظاهر للسياسة العالمية هو أن هناك صراعا حول تشكيل نظام عالمي جديد، بين الغرب والباقي، والنتيجة "أن صدام الحضارات أصبح عين التعريف المحدد لطبيعة سياسة النظام العالمي الجديد، خلال القرن الواحد والعشرين"[3].

ولقد عبّر هنتنجتون بوضوح عن طبيعة هذا النظام العالمي الجديد، في تأكيده بألاّ الحضارة الغربية تستطيع أن تصنعه بمفردها، ولا الحضارات الأخرى يمكنها أن ترسم معالمه، إنه في الحقيقة منتج غربي، باعتبار الغرب القوة العظمى، ومعترفا بوجود أقطاب وحضارات غير غربية، لكنها لم تشارك في وضعه، إنه نظام عالمي هجين لا يعبر حقيقة عن العالمية والكونية، التي تعني المشاركة الجماعية في وضعه وإنشائه، فطبيعته هي أنه "لا يأخذ النظام العالمي شكلا أحاديا، أو متعدد

---

[1] -*Samuel P. Huntington, How countries democratize political, science quarterly, Vol 106, N° 04, 1991/1992, p 579.*

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 388.

[3]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 133.

الأقطاب، وإنما يقوم على واقع ثنائية هجينة قوامها نظام أحادي/ متعدد الأقطاب، يضم قوة عظمى واحدة، وقوى أخرى في الطرف الآخر"[1].

وباعتبار هنتنجتون أستاذاً في جامعة هارفارد الأمريكية في قسم الدراسات الإستراتيجية، فإنه كان ينظر إلى المرحلة التي ستأتي بعد الحرب الباردة، والتي تقوم على إيجاد دور جديد للغرب والبحث عن المتغيرات العالمية لإعادة التمركز والتموقع، وبالتالي مراقبة التغيرات الجديدة لوضع نظام عالمي مركزي، وخلق فوضى في العالم عن طريق إيقاظ بؤر النزاع داخل الحضارات، حتى تبقى مهتمة بالنزاعات الداخلية، إلى غاية ما ينتهي الغرب من إعادة تشكيل العالم، وصياغة النظام العالمي الجديد، فكانت بالتالي "وظيفة (هنتنجتون) في هذه الأثناء هي التنظير للحرب الباردة، فأصبح عليه أن يبحث عن موقع ودور تنظيري جديد يستجيب للمتغيرات التي يعيشها العالم، وربما كان تقريبا هو إيجاد محددات جديدة، وسهلة التصنيف للسلوك الدولي المعاصر الذي تخيم عليه ظلال الفوضى"[2].

ومن ثمة التحضير لجعل الحضارة الغربية عالمية، بمحددات النظام العالمي الجديد، وعن طريق ذلك النظام، يتم نشر والتبشير بالقيم الحضارية للغرب، ومحاولة عولمتها على الحضارات الأخرى، ليس طبعا حبا للخير والرقي والتطور لتلك الحضارات، وإنما لإخضاعها والهيمنة عليها، ومن خلال بعض المظاهر الزائفة الغربية التي غزت بعض الحضارات، اعتقد الغرب في لحظة تاريخية ما أن قيمه أصبحت كونية، وأن الشعوب في باقي الحضارات بدأت في التخلي عن قيمها وثقافتها وحضارتها، وبدأت تعلن الولاء للغرب وحضارته، فهناك جدلية بين الغرب وباقي الحضارات، تكمن في أن الحضارات غير الغربية أخذت بالتحديث وليس التغريب، أما الغرب فاعتقد أن ذلك يعني إقرار بصحة قيمه وثقافته، مما خلق في كثير من الدول أزمة هوية، واعتقدت بعض الأمم أن الأخذ بالتحديث لا يعني التغريب بالضرورة، في حين عادت أمم أخرى إلى ثقافاتها المحلية بغرض إحيائها ومقاومة أي غزو للقيم الغربية، وبذلك تبدّى للغرب أن قيمه في نهاية المطاف قد عمت العالم وبالتالي فإن الحضارة الغربية قد انتصرت، و"في السنوات الأخيرة اطمأن الغربيون، وأغضبوا الآخرين بدفاعهم عن الفكرة لقائلة: إن حضارة الغرب هي حضارة العالم، بل ينبغي أن تكون كذلك، ويتخذ هذا التصور شكلين: الأول هو مقولة استعمار(الكوكا) التي يزعم أنصارها أن الحضارة الغربية وخصوصا الحضارة الأمريكية الشائعة تلف العالم...والثاني له علاقة بالتحديث، فهو لا يزعم فحسب أن الغرب قاد العالم إلى المجتمع الحديث، ولكن أيضا أن الناس في الحضارات الأخرى، وهم يكتسبون الطابع الحديث، يكتسبون أيضا الطابع الغربي، فيهجرون قيمهم وأعرافهم وعاداتهم التقليدية ويعتنقون القيم

---

[1]- *Samuel Huntington, The west unique, Foreign affairs, op,cit, p43.*

[2]- ألبرت ويكس، هل تثبت الحضارات؟ مجلة الحرس الوطني، عددا 164 و 165، أبريل 1996، ص 93.

والأعراف والعادات السائدة في الغرب، وكلا التصورين يبين عالما يظهر غربيا متجانسا على نحو عالمي كلي، وكلاهما خطر زائف يقوم على الغطرسة وسوء التقدير"[1].

وهنا نلاحظ مواقف هنتنجتون المتناقضة، حيث نجده مرة يدافع عن عالمية القيم الغربية، ومرة يعتبر ذلك فعلاً لا أخلاقياً وغطرسة، وغيرها من الأوصاف التي يصف بها هنتنجتون الحضارة الغربية، التي لا تعترف بالتنوع والتعدد الثقافي والحضاري في عالم اليوم، كما أن الحضارة الغربية تعتمد معايير ذاتية للحكم على باقي الحضارات، فتصف حضارة ما بأنها دموية، وأخرى بالغازية وغيرها، ومنه فإن "استنباط معايير من الحضارة الغربية وحدها لتقييم المجتمعات الأخرى، يجعل هذه وحدها حضارة، ويتجاهل إمكانية وجود حضارات لا تتفق ضرورة مع هذه المعايير، هكذا من كونها نتاج حضارة معينة، صار العمل على جعلها معايير حضارة عالمية تحكم على غيرها بالدونية...هذا المفهوم يتجاهل وجود حضارات أخرى ذات قيم ومعايير مختلفة"[2].

وبالعودة إلى التركيبة الثقافية والحضارية للشعوب، فإننا نجد أن كل شعب له طرقه الثقافية والحضارية التي يعبّر بها عن ثقافته وديانته وسلوكياته ومعتقداته وعاداته وقيمه وغيرها، ولقد عرفت البشرية كيف تكيف ثقافاتها وحضاراتها مع التغيرات التي فرضتها الحضارة الحديثة، وذلك دون أن يعني ذلك أنها تخلت عن قيمها وهويتها وانسلخت عنها، إن الدخول من باب الحداثة لا يعني بالضرورة الانسلاخ والتخلي عن الخصوصية والتحديث، معناه أن تساير الحضارات والثقافات التغيرات الجديدة في العالم، وأن تقوم بتحديث مؤسساتها وطرق عيشها، إلا أن ذلك لا يعني أن تصبح غربية فرغم أن الحداثة عالمية، ورغم أن الحضارة الغربية متفردة بالحداثة، إلا أنها ليست عالمية، وعليه فإن "مواقف الناس وقيمهم ومعرفتهم وحضارتهم في مجتمع حديث، تختلف اختلافاً كبيراً عنها في مجتمع تقليدي، والغرب باعتباره أول حضارة تكتسب الطابع الحديث، كان أول من اكتسب تماما حضارة الحداثة، وعندما تتخذ المجتمعات الأخرى أنماطا مماثلة للتعليم والعمل والثروة والهيكل الطبقي، وتنتشر بالتالي مقولة التحديث فإن هذه الحضارة الغربية، تصبح هي الحضارة الكلية للعالم"[3].

وهذا لا يضعنا في الحقيقة كما يتصور الغرب أمام مفارقة، والتي تقتضي أن الأخذ بالحداثة يعني الأخذ بالتغريب، هذا غير ضروري، بل يمكن أن نأخذ بالحداثة دون التغريب، وما على الحضارة الغربية إلا مراجعة مواقفها وتصوراتها حول التحديث والتغريب والعالمية، ومراجعة مواقفها خاصة من الثقافات والحضارات الأخرى، وأن تحترم التعدد والخصوصيات الثقافية، وأن تتوقف عن محاولات تنميط العالم وتأحيده، وعليها وعلى باقي الحضارات أن تسعى للعالمية من خلال احترام الآخر والبحث

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق ص 03.

2- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 87.

3- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 04.

عن المشتركات الإنسانية بينها، لتكون أهم المرتكزات لبناء نظام عالمي وحضارة عالمية واحدة، غير ذلك فإننا نفتح المجال للتسلطية والإقصاء، وبالتالي القضاء على التنوع والتعدد، والذهاب حتما الى الصدام بين الحضارات، وعليه "يجب التخلي عن النظر إلى الحضارة الغربية على أنها النموذج والمثال...هناك عدة حضارات، كل منها متحضر بطريقته الخاصة...لكن رفض النظر إلى الحضارة الغربية على أنها الحضارة الأسمى، وبالتالي الوحيدة والتسليم بأن المعايير المستنبطة من حضارة معينة لا تصلح لتقييم حضارية الحضارات، إلا أنه ليس هناك ما يمنع التطلع إلى حضارة إنسانية واحدة، ذلك لأن الحضارة الواحدة لا تمنع التعدد والتنوع داخلها...إذ يمكن لحضارة إنسانية واحدة أن تقوم دون منع التعدد والتنوع والخصوصيات"[1].

يعتقد هنتنجتون أن هناك عدم توازن في حضارات العالم، ففي حين تعرف حضارات تقدما كبيرا وتحديثا عاليا، هناك حضارات تقليدية لا تزال بعيدة عن طور النمو والتقدم والتطور، مما خلق عالما غير متجانس، وبما أن الحضارات المتقدمة لا تستطيع أن تتراجع إلى الخلف، فما على الحضارات التقليدية إلا محاولة اللحاق بركب الحضارات المتقدمة، وهذا طبعا لن يكون إلا بالأخذ بعوامل التحديث والتطور، ولهذا يدعو هنتنجتون تلك المجتمعات للتحديث للوصول إلى عالم متماثل، وبالتالي الوصول إلى حضارة واحدة لعالم واحد، فلا يوجد "خلاف حول وجود اختلافات ملموسة بين الحضارات الحديثة والحضارات التقليدية، ومن الواضح أن العالم الذي تكون فيه بعض المجتمعات حديثة بدرجات كبيرة ومجتمعات أخرى لا تزال تقليدية، هو أقل تجانسا من عالم تكون فيه جميع المجتمعات حديثة بدرجات مماثلة، ولكن لا ينبغي أن يترتب على هذا بالضرورة أن المجتمعات ذات الحضارات الحديثة، يجب أن تكون أكثر تماثلا من المجتمعات ذات الحضارات التقليدية"[2].

وهنا نلاحظ دعوة هنتنجتون إلى حضارة عالمية واحدة، ولكن الوصول إلى هذه الحضارة الإنسانية يجب ألاّ يتم عن طريق القوة والهيمنة، وفرض قيم غربية على جميع الحضارات، ومن المعلوم أن الهوة بين الحضارات اليوم، قد شارك الغرب في إيجادها بتقسيمه العالم، بداية إلى دول الشمال والجنوب والدول الغنية والفقيرة، وغيرها، كما لا ننسى استغلال الغرب لخيرات الشعوب، مما أدى إلى إفقارها وتخلفها، في مقابل تطوره، وحدثت من ثمة عدم المماثلة التي يريد منها الغرب أن تزول، ولكن تبقى الحضارات تدور حول حضارته، باعتباره يشكل المركز، "لكن الطريق إلى الحضارة الإنسانية الواحدة هذه ليس الصدام، وليس هيمنة حضارة على غيرها، وليس تبادل الاتهامات، وإنما الحوار الذي هو عملية تاريخية لا تحدث بين يوم وليلة"[3].

---

[1]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص ص 88 _ 89.

[2]- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص ص 04 _ 05.

[3]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 89.

فنمو الحضارات يخضع للسيرورة التاريخية، والتغيرات التي تحدث على مستوى العالم، وبما أن الحضارات كيانات مختلفة، فإنها تتمايز بعضها عن بعض، إلا أنه توجد بينها بعض المشتركات الإنسانية التي يمكن أن تكون أرضية للوصول إلى حضارة عالمية إنسانية بالدرجة الأولى، ورغم ذلك فإنه لا يمكن أن تندمج في حضارة واحدة، لأن ذلك ضد مبدأ التعدد الحضاري، وقد أكد هنتنجتون بعض الحقائق منها، أن الحضارة الغربية كانت غربية قبل أن تصبح حديثة، وإنها انطلقت أولا في بناء المبادئ التي انبنت عليها أولا، ولهذا فإن فرض التغريب على باقي الحضارات غير ممكن فيمكننا أن تأخذ بالتحديث دون التغريب، ويمكن للحضارات أن تتفاعل إيجابا فيما بينها، حيث "يوجد الكثير من الأمور المشتركة بين المجتمعات الحديثة، ولكنها لا تندمج بالضرورة لتصبح متجانسة والحجة القائلة بذلك، تفترض أن المجتمع الحديث، يجب أن يتخذ تقريبا نمطا واحدا، هو النمط الغربي وأن الحضارة الحديثة حضارة غربية، وأن الحضارة الغربية حضارة حديثة، ولكن هذا التعريف زائف ويتفق جميع علماء الحضارة على أن الحضارة الغربية نشأت في القرنين الثامن والتاسع، واتخذت السمات التي تميزها في القرون التالية، وهي لم تبدأ في اكتساب طابع حديث إلا في القرن الثامن عشر، فالغرب باختصار كان غربيا قبل أن يصبح حديثا بزمن طويل"[1].

ورغم أن الغرب اليوم فارض لمنطقه الحضاري نتيجة لقوته، إلا أنه لا يمكن أن نصل إلى نظام عالمي عادل يشارك فيه طرف واحد، معتبرا باقي الحضارات هامشا له، ورغم أن الحضارة قد فرضت كذلك منطقها في بعض الجوانب، إلا أن العولمة لم تستطع اكتساح الخصوصيات والهويات الثقافية للشعوب، وهذا ما يقاوم فرضية تنميط العالم، وحصره في حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، حيث "تسود في عصرنا الراهن حضارة على العالم أجمع...وتتشكل لأول مرة في التاريخ ظاهرة العولمة...ولذلك يتميز عصرنا بوحدة حضارية شاملة من أدنى الأرض إلى أعلاها، وإن اختلفت مستويات هذه الحضارة الواحدة بين مجتمع وآخر...فهناك منتجون لهذه الحضارة ومبدعون لها، وهناك مستهلكوها الهامشيون...ولكن هناك حضارة واحدة...وهي التي يطلق عليها اسم الحضارة الغربية"[2].

وبهذا، يربط هنتنجتون الحضارة العالمية بالقوة، مستندا في ذلك إلى تاريخ الحضارات والإمبراطوريات السابقة، حيث وصل الرومان إلى مثل هذه الحضارة عندما اكتسحوا الأرض بالقوة لكن ما فتئت حضارتهم أن زالت وأفلت واندثرت، ويربط عن خطأ هنتنجتون بين العالمية والقوة

1- صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، مصدر سابق، ص 05.

2-محمود أمين العالم، صراع حضارات أم تعدد ثقافات؟بيروت، مجلة المستقبل العربي، عدد 23، 1998/12 ص77.

والسلطة حيث نجده يقول: "إن حضارة عالمية شاملة لا يمكن أن تكون إلا نتاجا لسلطة عالمية شاملة فقد أنشأت القوة الرومانية حضارة شبه عالمية داخل الحدود المعينة للعالم القديم"[1].

وبهذا يرى هنتنجتون، أن البراديغيم أو النموذج الحضاري الذي يجب أن يسود العالم، هو البراديغيم الغربي، لأنه القوة العظمى الوحيدة اليوم، والذي يسعى إلى حضارة عالمية واحدة، أو الشاملة.

نعم هناك حضارة إنسانية عالمية واحدة، إلا أن هناك حضارات مختلفة، إن الحضارة اليوم هي حضارة الإنسان المعاصر الذي عرف كيف يخترق الأجواء، ويبدع العلم والتكنولوجيا، إلا أن الحضارات استطاعت أن تستوعب المتغيرات الحضارية، دون أن يقضي ذلك على خصوصياتها واستقلاليتها الهوياتية، ولا تناقض في ذلك، ولكن المطلوب هو أنسنة الحضارة العالمية اليوم، حتى تصبح في خدمة الإنسان، وفي صالح الإنسان، "واليوم والعالم يعيش في ظل حضارة إنسانية عالمية، ما تحتاج إليه البشرية هو أنسنة هذه الحضارة، وتحديد أهدافها بدقة لتكون في خدمة الإنسانية، وفي خدمة التواصل والحوار بين الشعوب والحضارات"[2].

فما على الإنسانية إلا العمل لأجل تلك الحضارة الإنسانية العالمية، التي تحترم الإنسان وتحترم التنوع والتمايز بين الحضارات، وتجعل من المشتركات الإنسانية أساس التواصل والتفاعل الحضاري الإيجابي، بدل الصراع والصدام، والذي يقود لا محالة إلى الضد حضارة.

وعلى الجانب الآخر، فإن النظام العالمي الجديد القائم على فلسفة العولمة، قد بدأ في عملية الدخول في عصر جديد هو عصر الحضارات، واعتقد الكثير بأن التحديث والتقدم الحضاري سيقضي على الدين والمعتقدات وغيرها، مما يؤدي إلى اغتراب الإنسان، والقضاء على قيمه، وهذا بدوره سيجعل الإنسان غريبا عن ذاته وعن وجوده وعن الآخرين، فالتقدم الذي عرفه العلم والعودة إلى العقل والمادة، أوحى بنهاية الدين في الحضارة المعاصرة، إلا أن ما حدث هو العكس، حيث عادت الشعوب للتمسك بدينها أكثر عن طريق حركة الإحياء، وإعادة الدور الريادي للأديان في العالم، ومنه "تتجلى عملية التأصيل الكونية هذه بشكل واضح في الإحياء الديني...كانت النخب المثقفة تفترض أن التحديث الاقتصادي والاجتماعي، يؤدي إلى ذبول الدين كعامل مهم في وجود الإنسان...العلمانيون من دعاة التحديث، كانوا يرحبون بالمدى الذي وصل إليه العلم والعقلانية والبراغماتية في القضاء على الخرافات والأساطير واللاعقلانية والطقوس التي تكون جوهر الأديان الموجودة: المجتمع الناشئ

[1]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق ص 72.

[2]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 40.

سيكون متسامحا عقلانيا، عمليا، تقدميا، إنسانيا، وعلمانيا، المحافظون المنزعجون على الجانب الآخر حذروا من العواقب الوخيمة لاختفاء المعتقدات والمؤسسات الدينية...النتيجة النهائية ستكون الفوضى والفساد وتقويض الحياة المتحضرة كان "**ت.س إليوت (*Thomas Stearns Eliot*)***" يقول: "إن لم تتخذ لنفسك إلها_ وهو إله ظنين_ فلا بد أن تقدم احتراماتك لـ هتلر أو ستالين"، النصف الثاني من القرن العشرين، أثبت أن تلك الآمال والمخاوف لا أساس لها...هذا الإحياء الديني تضمن في جزء منه اتساع رقعة بعض الأديان...المسيحية والإسلام واليهودية والهندوسية والبوذية والأرثوذوكسية، كلها حدثت فيها صحة في الالتزام"[1].

فالنظام العالمي الجديد، لم تتضح بعد معالمه نتيجة لما يشهده العالم من تحولات وتغيرات، وبروز صدامات حضارية ونزاعات ثقافية بين الشعوب، مما يجعل تصور العالم في المستقبل أمرا صعبا، خاصة وأن أطروحة صدام الحضارات، ترى بأن أي تصور لعالم جديد، يجب أن ينطلق منها ومن التعدد الحضاري، وبهذا فإن "صموئيل هنتنجتون، الذي جادل بأنه عوضا عن التقدم باتجاه منتظم عالمي واحد _ يبقى العالم غامضا في صدام حضارات، تتعايش من خلاله ست أو سبع مجموعات حضارية رئيسية، من دون أن تتجمع، وإنما تشكل خطوط انقسام جديد للصراع العالمي"[2].

هناك خلفيات سياسية وحضارية لطرح فكرة صدام الحضارات في هذا الوقت بالذات، حيث يشهد العالم مرحلة انتقالية حاسمة، فبعد الإعلان عن نهاية الصراعات الإيديولوجية، وإعلان انتصار الليبرالية، أعلن في ذات الوقت انتصار القيم الغربية، وبالتالي للغرب الحق في صياغة نظام عالمي كما يتصوره هو، وكما يقول عبد المجيد عمراني: "إننا ندرك المعنى الحقيقي لنهاية الصراعات السياسية والإيديولوجية المختلفة العديدة، والتي انتهت مع انتهاء الحرب الباردة بتفوق الرأسمالية الغربية مما جعلها تحدد المفاهيم والمعاني، وتبشر الإنسانية بالنظام العالمي الجديد، وتتنبأ بصدام الحضارات وتدّعي أو توهمنا، بأن الصراعات العسكرية والصراعات الجيوسياسية التي كانت هي المجال الحيوي في أوروبا ستصبح لا قيمة ولا معنى لها، مقارنة بالاستثمارات الاقتصادية والاكتشافات المعلوماتية"[3].

إن التوجه نحو العولمة هو توجه نحو الحضارة المهيمنة، وبالتالي فإن تلك الحضارة المعولمة قد فرضت نظاما عالميا جديدا، فبدل عن الحروب الدموية والاقتتال، هناك نوع جديد من الإمبريالية

---

* ت. س. إليوت (1888_1965) أديب حاز على جائزة نوبل في الأدب.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 157 _ 158.

2- فرنسيس فوكوياما، لقد ربح الغرب، نقلا عن محمد جربوعة، مهلا هنتنغتون...مهلا فوكوياما_نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة_ الجزائر، القلمان والنخلتان للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص 12.

3- عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة، الإمارات، ندوة الثقافة والعلوم، 2004 مرجع سابق، ص 41.

والكولونيالية ممثلا في نظام عالمي مفروض من طرف القوى المهيمنة، والتي تسيطر على القوة العسكرية التي أصبحت وسيلة ردع، ومسيطرة على الاقتصاد العالمي، وبالتالي فإن تبنيها لنظام عالمي سيكون وفق مصالحها وإستراتيجياتها الحضارية، ولكي تحقق تلك الأهداف والمصالح، كان عليها أن تخلق أعداءً جددا، وتنظّر لأفكار من مثل نهاية التاريخ وصدام الحضارات، فركون الحضارات إلى السلام والحوار والتعايش، ليس في مصلحة الغرب، الذي لا يظهر ولا يقوى إلا في الصدامات والنزاعات، وعلى هذا الأساس "استخدم المنظر الأمريكي (صموئيل هنتنجتون) كلمة الصراع أو الصدام، وربطها بالنظام العالمي الجديد، الذي هو في حقيقته اختراع أمريكي على أساس أن الصراع حتمي بين الحضارات والثقافات، وهو صراع دموي مدمر بطبيعته و(صموئيل هنتنجتون) يعني أن الصدام بين الشعوب المتباينة الثقافات، تحركه قواعد دينية وثقافية، في مواجهات عسكرية حتمية مادامت ثقافاتهم متباينة"[1].

وباعتراف هنتنجتون أن السياسة العالمية عرفت مرحلة جديدة، وقطيعة مع المراحل التي سبقتها بظهور نظام عالمي جديد يسيطر عليه الغرب، إلى درجة أن سمي بالنظام الغربي وليس العالمي، لأن الحضارات كانت مغيبة عند تأسيسه، فهو بالتالي لا يعبّر إلا عن إرادة واحدة، هي إرادة القوة والسيطرة والهيمنة والاقصاء، وكانت دول الغرب تتفاعل فيما بينها ضمن هذا النظام، ما دامت تشترك في نفس المحددات الثقافية والحضارية، وتم استبعاد الآخر المختلف ثقافيا وحضاريا، وعليه فإن "ظهور هذا النظام العالمي المسمى بـ"الغربي" كان هو التطور الرئيسي الثاني في السياسة الكونية...بالإضافة إلى التفاعل بأسلوب السيطرة/التبعية مع المجتمعات غير الغربية، كانت المجتمعات الغربية أيضا يتفاعل بعضها مع البعض، على أساس أكثر مساواة، هذه التفاعلات المتبادلة بين كيانات سياسية داخل حضارة واحدة، كانت تشبه تلك التي حدثت داخل الحضارات الصينية والهندية واليونانية، كانت تقوم على تجانس ثقافي يتضمن "اللغة والقانون والدين، والممارسات الإدارية والزراعية، ملكية الأراضي وربما درجة القربى أيضا"[2].

فوصول حضارة ما إلى العالمية، لابد أن تحدث تجانسا ثقافيا أولا، ثم أن تخلق تفاعلا فيما بينها، وأن توجد نظاما عالميا معبرا عن إرادتها وسلطتها، وهو ما أراده الغرب من خلال التكتلات التي قام بها سواء الثقافية أو الاقتصادية أو الحضارية، ومن خلال عالمية قيمه التي أرادها أن تسود بالقوة أراد أن يوجد نظاما عالميا، يكون في صالح حضارته، فسيطر على الهيئات العالمية التي أنشاها، وبدأ يهيمن على مراكز القوة والاقتصاد، ومن ثمة أراد لحضارته أن تكون كونية مركزية، ومهمشا الباقي وهنا

1- السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص 09.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 86.

ترتبط الحضارة بالسلطة، وكما يقول هنتنجتون "إن حضارة عالمية شاملة، لا يمكن أن تكون إلا نتاجا لسلطة عالمية شاملة"[1].

إلا أن هذا لم يتحقق للغرب، نظراً إلى أن العالم المعاصر عرف نمو حضارات وعودة الثقافات مما أدى إلى ظهور أطروحة الحضارة الواحدة لعالم واحد، ولكن التي تنطلق من المشتركات الإنسانية وليس من الحضارة الأقوى عالميا، ورغم ذلك إلا أن هناك من يرى أن محاولة الوصول الى هذه الغاية هو ضرب من الخيال، لأن الحضارات لا تعرف الاتفاق، بل إن من أكبر مميزاتها الاختلاف والتعدد والتنوع، وعليه لا يمكن للنظام العالمي الجديد أن يقيم أياً من تلك الحضارات، لأنه قائم على الفرض والهيمنة والقوة، وعليه كان "البديل غير الواقعي هو نموذج العالم الواحد، الذي يقول إن هناك حضارة عالمية شاملة قائمة الآن، أو من المرجح أن تقوم في السنوات القادمة، ومن البديهي أن الناس يتسمون الآن، وقد إتسمو منذ آلاف السنين بسمات مشتركة، تميز البشر عن الأنواع الأخرى، وكانت هذه السمات على الدوام متسقة مع وجود ثقافات مختلفة جدا، ومقولة أن ثقافة عالمية، أو حضارة عالمية شاملة تبزغ الآن، تأخذ أشكالا مختلفة لا يصمد أي منها حتى للتمحيص العابر "[2].

فبالإضافة الى القوة والسلطة التي يمتلكها الغرب، والتي يريد من خلالها إيجاد نظام عالمي جديد، فإن الانتماءات الثقافية بالنسبة إلى دوله تحدد بنسبة كبيرة عالمية حضارتهم وكونيتها، ولذا نجد الغرب يريد أن يحدد هويته ويحصرها في مجموعة المبادئ التي شاركت في إيجاده وإخراجه من القوة إلى الفعل، ومنه فالتحديد الهوياتي والانتماء للحضارة هو ما يجعل الغرب، بما فيه أمريكا يفكر في العالمية والكونية، وهنا يؤكد هنتنجتون أن "طريقة تعريف الأمريكيين لهويتهم بدورها تؤثر على مدى تفكير الأمريكيين ببلدهم عالميا أو إمبراطوريا أو قوميا، في علاقاته مع بقية العالم""[3].

لكن هذه النظرة، وهذا التصور للكوننة والعالمية ومنطلقاتها من طرف الحضارة الغربية، أوجد نظاما عالميا مختلا، حيث همشت الحضارات غير الغربية، والتي لم تشارك فيه، وقامت بالتالي بردود فعل عليه، منها من قامت برفضه، ومنها من قامت بالمطالبة باعادة صياغة النظام العالمي، ومنها من إندمجت فيه، سواء بإرادتها أو بقوة الغرب الحضارية، إلا أن أغلب الدول نادت ومازالت تنادي بنظام عالمي جديد، يقوم على العدل والتكافؤ، وهذا لن يكون إلا باعتراف الآخر بالحضارات، ومن ثمة السعي في الحوار الحضاري الجاد والفعال، وفق أسس الديمقراطية العالمية، ومن هنا جاء النداء من طرف تلك الحضارات "إننا نطالب بنظام جديد، يتأسس في ضوء التكافؤ بين الشعوب والعدل نحن

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، الغرب وبقية العالم، بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 82.

[2]- المصدر نفسه، ص 80.

[3]- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 14.

لا نريد الديمقراطية لنا وحسب، بل نسعى إلى سيادة الديمقراطية الدولية في نظام عالمي جديد، من خلال حوار الحضارات"[1].

بينما الطرح الغربي لمفهوم وآليات قيام النظام العالمي في الحقيقة، سيقود إلى أزمة في النظام العالمي، وسيكرس بالتالي صراع وصدام الحضارات لا حوارها، إن الغرب يعاني من الداخل، أي داخل حضارته من التفكك والانحلال أخلاقياً وثقافياً، وبالتالي فإنه أكبر ما يعاني تفكك مؤسساته وقيمه، فكيف به أن يبني نظاما عالميا من المفروض أن يقوم على التكامل والتفاعل؟

إن عقدة الغرب من باقي الحضارات، تجعله يوجد نظاما عالميا من الفوضى والصراع والنزاع بين الحضارات، ليبقي على هيمنته وسيطرته، وبما أنه يعي تفككه الذي قد يقوده إلى الزوال، فهو يسعى لأن يفرض نظاما عالميا لا يسمح لأي حضارة بأن تنافسه أو تأخذ مكانه، أو ممكن أن تغزوه إنها الإستراتيجية الحضارية التي نظّر لها الفكر الغربي منذ قرون، حيث "اختل التوازن العالمي اليوم جراء ما نشهده من خطاب التفوق والاستعلاء، ومحاولة دمج شتى الثقافات والمجتمعات في نظام عالمي والهوس الذي يمتلك القوى العظمى فيما يتصل بتصدير أزماتها إلى خارج حدودها الجغرافية"[2].

إن الغرب بذلك، يريد أن يصدر أزماته الحضارية والثقافية والأخلاقية لباقي العالم والحضارات التي تعرف نموا وعودة إلى الساحة العالمية، من أجل أن يخلق بينها صدامات وصراعات، ومن أجل أن يعالج أكبر أزماته الداخلية، المتمثلة في ضياع الأخلاق، وتفكك المؤسسات وانهيار المجتمع، وهو ما يبشر بالتراجع الحضاري للغرب في المستقبل القريب، وبالتالي فهناك عودة الأحداث التاريخية التي سيتمخض عنها نظام جديد وسياسة كونية جديدة، بل وخارطة عالمية جديدة، وبهذا فإن "العالم الجديد آخذ في التماثل مع العالم الذي حدثت فيه في الثلاثينيات تغييرات هائلة، إلا أن هناك أوجه تماثل متزايدة، فقد تغيرت الرأسمالية الغربية كثيرا...لقد انتهت الحرب الباردة، لكن الحروب الساخنة تستعر...ويصعب القول أن هذه الظاهرة جاءت نتيجة للنزاع بين حضارات مختلفة"[3].

ولقد نصّبت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها كشرطي عالمي، لحفظ النظام العالمي، وتشكيل السياسة العالمية، لقد رأى فيها هنتنجتون أنها القوة العظمى الوحيدة الرشيدة، التي تستطيع أن تسير العالم وأن تمارس الوصايا على الباقي، على اعتبار أن هذا الباقي ليس له القدرة والكفاءة للظهور عالميا وتسيير شؤون العالم، بل إن منح فرصة للباقي يعني الدخول في دوامة من الفوضى والانهيار العالمي للإنسانية، ومنه جاء "تصريح هنتنجتون بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الوحيدة الضابطة

1- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق، ص ص 60 _61.

2- محمد خاتمي، حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي، المطبعة العلمية، دمشق، دار الفكر، ط1، 2002 ص 96.

3- ليو بينيان وآخرون، صدام الحضارات_الحضارات ليست جزرا_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995، ص 65.

لتوازن العالم، إذ ليس بمقدور الحضارات البشرية المخالفة التأسيس للتواصل، فضلا عن التفاهم...والسعي إلى تأسيس نظام دولي جديد يقوم على الحضارات، تلك الحضارات التي صرح بأنها غير قادرة على التأسيس للتواصل الإنساني"[1].

إن منطلقات الفكر الغربي للسيطرة على العالم وفق نظام عالمي من إنتاجه، هو طرح مبررات وهمية إن صح التعبير، تكمن في أن العالم بحاجة إلى من يقوده إلى السلام والأمن والتواصل، والحد من مظاهر النزاعات والصراعات العرقية والدينية وغيرها، وبما أن القوة اليوم في يد الغرب فإنه المخوّل أن يقوم بتنظيم العالم وفق الرؤية التي يراها مناسبة، وعلى الأمم أن تخضع وتقبل بما يراه الغرب، لأنه من له القدرة على فرض النظام وتحقيق التواصل بين الشعوب والحضارات، وهنا نلمح أن الغرب يستخدم مفهوم التواصل لا الحوار، لأن الحوار يفترض الندية والمساواة، والغرب باستعلائه يرفض المساواة مع باقي الحضارات، والتي يرى فيها أنها عاجزة من جميع النواحي، هذا هو التصور الغربي لنظام عالمي مؤسس على المعرفة والسلطة، ولا يعترف بالمجتمع العالمي إلا الذي يدور في فلك حضارته.

إن الغرب يسعى لفرض هيمنته وسيطرته، فهو يعتقد أنه يملك القوة والمعرفة، كما أنه يعتقد أن حضارته تحمل قيماً عالمية وكونية، وأنها خرجت منتصرة في الحروب السابقة، خاصة الحرب الإيديولوجية مع المعسكر الشرقي، وهو ما أتاح للغرب أن يبسط سيطرته أكثر، ويفكر في وضع نظام عالمي جديد، ينطلق من المركزية الغربية، ولتحقيق ذلك أراد الغرب أن ينمّط باقي الثقافات والحضارات، وأن يخلق داخلها توترات ونزاعات وصراعات، حتى يبقي على القوة العظمى الوحيدة في العالم، التي تسعى لنشر قيم الحضارة الغربية، وتبقي على تبعية الباقي لحضارته، وتجنب التفكك والصراع داخل حضارته، إنها إستراتيجية حضارية سياسية عالمية، يهدف من ورائها الغرب إلى صنع نظام عالمي، يمهد للوصول إلى حضارة عالمية واحدة لعالم واحد، وفق أطر العولمة والكوننة والعالمية والإلغاء وليجد الغرب تبريرا لهيمنة حضارته دعا إلى حضارة عالمية إنسانية، ولكنها في الحقيقة وفق قيم غربية، من أجل الوصول إلى الشمولية والمطلقية، وبالتالي تحقيق وهم الخلود، حيث "يعتقد البعض أن هذه الحقبة تشهد ما يدعوه ف. س. نابيول بـ"الحضارة العالمية" فما المقصود بهذا المصطلح؟ تتضمن الفكرة بشكل عام، التقارب الثقافي الإنساني، والقبول المتزايد بقيم وتوجهات وممارسات ومؤسسات مشتركة من قبل شعوب العالم"[2].

إن الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة لعالم واحد، من منطلق أن البشر يشتركون في قيم عامة إنسانية هي دعوة في ظاهرها إيجابية، ولكن في باطنها تريد أن تروج للحضارة الغربية لتزيد من

---

[1]- عمار جيدل، حوار الحضارات، ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، مرجع سابق، ص 103.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 93.

انتشارها وسيطرتها، فليس باسم الإنسانية تخترق الثقافات والحضارات، وتهمش من نظام عالمي إمبريالي، وليس باسم العولمة يقضى على الخصوصيات الثقافية والهوياتية، إن الكونة والكوكبة لا تعني التنميط والتأحيد الثقافي والحضاري، والحضارة الإنسانية لا تعني الانطواء تحت جناح الحضارة الغربية أو الخروج من التاريخ، إن صناعة حضارة إنسانية، تعود في الأساس إلى صناعة نظام عالمي تشارك فيه كل الأمم والشعوب، يقوم على العدل واحترام الآخر المختلف، والإعتراف بالتعدد والتنوع الثقافي والتفاعل الحضاري الإيجابي بين الحضارات، فمنطلقات بناء حضارة عالمية واحدة، يجب أن تكون منطلقات إنسانية، وتهدف إلى أن تستفيد جميع الحضارات بعضها من بعض، لأن "البشر في كل المجتمعات بالفعل يشتركون في قيم أساسية معينة...وإذا كان ذلك هو المقصود بالحضارة العالمية فإنه يصبح من المهم والمهم جدا، ولكنه ليس جديدا... وإذا كان الناس قد اشتركوا في قليل من القيم والمؤسسات عبر التاريخ، فإن ذلك قد يفسر بعض الثوابت في السلوك الإنساني...إذا كانت هناك حضارة عالمية معروفة لكل البشرية، فما هو المصطلح الذي سوف نستخدمه إذن لتحديد الجماعات الثقافية الرئيسية الأقل من الجنس البشري؟

الإنسانية مقسمة إلى جماعات فرعية، قبائل، أمم، وكيانات ثقافية أكبر تسمى عادة بالحضارات"[1].

إن مفهوم الحضارة العالمية مفهوم عام، ويمكن أن يفهم منه كل من يشارك في بناء الحضارة فهو ينتمي إلى هذه الحضارة، فالحضارة ومنتجاتها، وكل ما أبدعه الإنسان، ليس حكرا على جنس أو ثقافة دون أخرى، ولذا يجب أن نميز بين الحضارة العالمية، وعالمية الحضارة، إن الأولى: الحضارة العالمية تعني أن هناك نموذج أو براديغيم يريد أن يهيمن منطلقا من مجموعة من المقدمات منها القوة التي تمتلكها تلك الحضارة، سواء أكانت قوة ثقافية أو علمية أو عسكرية، وهذا المفهوم الحضاري للحضارة لا يعبّر عن الحضارة بمعناها الإنساني المشترك، بل يعبّر عن محاولة فرض نموذج وفق إيديولوجية وإستراتيجية حضارية لا تخدم إلا جهة واحدة، وتريد تأكيد عالمية قيم واحدة، ومن ثمة تبحث عن التمركز وتجعل الآخر هامشا، وبالتالي فهي لا تؤمن بالتشارك ولا بالتفاعل ولا الحوار بينما عالمية الحضارة فإنها تعني أن الحضارة التي تصل إلى العالمية، هي التي وصلت إلى قمة التطور والرقي الحضاري، سواء المادي أو المعنوي، وأصبحت الثقافة فيها أساس التماسك الهوياتي وانفتحت على الآخرين معبرّة عن قيمها ومنتجاتها بلغة التواصل والحوار والتشارك والتفاعل، رافضة للهيمنة والقوة والصراع، مؤمنة بالحوار الحضاري.

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 93.

وقد عرف التاريخ نماذج كثيرة عن النوعين، أي الحضارة العالمية وعالمية الحضارة فالحضارة الإسلامية مثلا وصلت إلى العالمية، ولم تدّعِ أن حضارتها عالمية بالقوة، ولم ترد أن تفرض قيمها بينما الحضارة الغربية اليوم نموذج للنوع الثاني، الذي يرى في حضارته النهائية والمطلقية.

لقد ارتقت المجتمعات وانتقلت عبر التاريخ من مرحلة إلى أخرى، وكل حضارة استفادت من الحضارات الأخرى، وإننا اليوم نتجه نحو العولمة والكوكبة، وستبدأ المجتمعات في الاندماج في الحضارة العالمية باسم الإنسانية، وهذا سيقود إلى اختفاء المجتمعات البربرية والمتخلفة، إن التفتح العالمي على الثقافات والحضارات، سيقود إلى حضارة تتفاعل أطرافها تفاعلا سيتحدد وفق العلاقات القائمة فيما بينها، وأساس تلك العلاقات، ومنه فـ "مصطلح الحضارة العالمية يمكن أن يستخدم للإشارة إلى ما هو مشترك بين المجتمعات المتحضرة مثل المدن، معرفة القراءة والكتابة، والذي يميزها عن المجتمعات البدائية والبربرية، وهذا بالطبع هو المعنى المفرد للمصطلح في القرن الثامن عشر، وبهذا المعنى تنشأ حضارة عالمية، مما يسبب فزعا لعلماء الإنثروبولوجيا وغيرهم ممن ينظرون إلى اختفاء الشعوب البدائية"[1].

فالحضارة التي تحمل معاني التقدم والرقي والتواصل والعالمية، هي الحضارة التي يجب أن تسود وأن تقوم، ولا يمكنها أن توجد بمعزل عن الحضارات الأخرى التي تستمد منها قيمها المشتركة وتساعد بالتالي على انتشارها وشموليتها باسم الإنسان وخدمة للإنسان، فليس للحضارة جنسية وانتماء ولا عقيدة فهي مشترك إنساني، والكل شارك في إنتاجها عبر التراكمية التاريخية، وبانتشار وسائل العلم والتواصل والتكنولوجيا، زاد انتشار هذه الحضارة وبدأت الحواجز السياسية والجغرافية تزول، وبدأت الحضارات أولا في اختراق بعضها بعضاً، لنصل إلى عولمة الحضارة وحضارة العولمة، وكل الحضارات اليوم مجبرة على الدخول في هذا العالم الجديد، وإلا فإنه محكوم عليها بالتهميش ومن ثمة الزوال، إن الحضارة إنسانية، وهي "بهذا المعنى آخذ في الاتساع تدريجيا عبر التاريخ الإنساني وانتشارها بهذا المعنى المفرد كان يتوقف مع وجود حضارات كثيرة بالمعنى الجمعي"[2].

وبما أننا اليوم أمام حضارة تفرض ذاتها باسم العالمية والعولمة، فإن الكثير يعتقد أن الحضارة اليوم تختزل في الحضارة الغربية، على أساس أنها الحضارة المسيطرة، والتي استطاعت أن تقوم بفعل التحديث أكثر من غيرها، وأن تقوم على مبادئ العصرنة وأن تبدع وتنتج وسائل العصرنة والتطور أما باقي الحضارات فهي مستهلكة لما تنتجه حضارة الغرب، وبما أن قيم الغرب أصبحت عالمية كالديمقراطية والليبرالية والاقتصاد الحر وغيرها، بل ومتبناة من كثير من الدول في الحضارات غير الغربية، فهذا يعني أن الحضارة الغربية حضارة عالمية، ومنه "مصطلح الحضارة العالمية" قد يشير

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 94.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إلى الافتراضات والقيم والمبادئ التي يعتنقها الكثيرون الآن في الحضارة الغربية، والبعض في الحضارات الأخرى، في كل عام يلتقي في المنتدى الاقتصادي العالمي...رجال أعمال...مشتركون في الأفكار بخصوص الفردانية واقتصاد السوق والديمقراطية السياسية، وهي أمور سائدة أيضا في الحضارة الغربية"[1].

كما أن الحضارة الغربية التي تعرف انتشاراً في مظاهرها تعتبر ذلك دليلا على عالميتها، وأن الحضارات الأخرى لم تستطع أن تقدم للبشرية قيما عالمية، كما أنه في كل فترة تاريخية يشهد العالم حضارة واحدة مسيطرة ومهيمنة تقود العالم، واليوم تلك الحضارة هي الحضارة الغربية، المتفوقة على جميع الأصعدة، فانتشار الماكدونالد والهامبورغر والكوكاكولا وغيرها من أنماط السلوك الغربية، دليل على انتشار وهيمنة الحضارة الغربية.

"الفكرة تقوم على أساس أن انتشار أنماط الاستهلاك الغربية، والثقافة الشعبية حول العالم سوف يؤدي إلى حضارة عالمية، وهذه محاولة ليست عميقة وليست ذات صلة، الأزياء الثقافية انتقلت من حضارة لأخرى عبر التاريخ، وإبداعات حضارة ما ستتبناها الحضارات الأخرى بانتظام"[2].

وبالتالي يعتقد الغربيون أن مظاهر الثقافة والحضارة الغربية، قد غزت باقي الثقافات والحضارات تمهيدا للعالمية، وبما أن باقي الحضارات لم تستطع ثقافاتها مقاومة ذلك الغزو القيمي والثقافي الغربي فهذا دليل على سمو تلك القيم، ومن ثمة عالمية حضارتها، كما أن تلك الحضارات لم تستطع أن تقدم نموذجاً للتنافس، فهي ما تزال تعاني الصراعات الهوياتية والثقافية، كما أن الكثير منها لم يحسم موقفه من التحديث، وبالتالي فإن مؤسساتها ماتزال تعاني التخلف والتأخر، وسلوكياتها من الهمجية والبربرية فما على تلك الحضارات إلا القبول بالنموذج الغربي، إن هي أرادت اللحاق بالركب الحضاري الذي يعرف تسارعا لم يسبق له مثيلا من قبل.

بالإضافة إلى المظاهر العامة للحضارة الغربية التي أصبحت عالمية، فإن الفكر الغربي يعتقد أن من عالمية أي حضارة هو هيمنتها على كل مظاهر الحياة، وباعتبار الدين واللغة من أكبر مقومات أي حضارة فإن الغرب يرى أن سيادة لغاته العالمية الكون، وانتشار ديانته الكبير لدليل على المضي لعولمة العالم، والوصول إلى الحضارة العالمية، التي هي في الأصل حضارة الغرب، ومن هنا قام الغرب بنشر لغاته، والقيام بحركات التبشير الديني، ومما ساعده على ذلك وسائل العلم والتكنولوجيا التي ساعدت على سرعة الاتصال، ونقل المعارف والمعلومات، وأصبحت اللغة الانجليزية وهي اللغة الأكثر انتشارا في الغرب والعالم لغة الحضارة ولغة العلم، وبهذا يعتبر هنتنجتون أن "اللغة والدين هما العنصران الرئيسيان في أي ثقافة أو حضارة، وإذا كانت هناك حضارة عالمية تظهر أو تبزغ، فلا بد

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 95.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 95 _ 96.

أن تكون هناك ميول نحو ظهور لغة عالمية ودين عالمي..."إن الإنجليزية هي لغة العالم" وهذا يعني شيئين، أحدهما فقط هو الذي يدعم حالة الحضارة العالمية"[1].

وبما أن هنتنجتون يرى أن هناك صراعا حضاريا قد يعيق ظهور نظام عالمي جديد، وظهور حضارة عالمية، فإنه يرى أن اللغة قد تصبح عالمية مثل الدين، لأن الدين هو المعبّر عن جوهر كل حضارة إلا أنه يرى أن ظهور دين عالمي أقل احتمالا من ظهور لغة عالمية، ولو حدث العكس أن ذلك سيكون بعد صراع بين الأديان خاصة السماوية، رغم أنه يعتقد أن الكفة قد تميل لصالح الدين الإسلامي، وهو ما جاء في قوله بأن "احتمال ظهور دين عالمي أقل من احتمل ظهور لغة عالمية...محمد سينتصر "[2].

ومن هنا، يصل هنتنجتون إلى أن الحضارة الغربية هي التي أنتجت مفهوم الحضارة العالمية وساعدها في ذلك التطور الذي وصلت إليه وسائل الاتصال، والنمط الذي وصلت إليه البشرية من العالمية، وما فرضته العولمة اليوم، وإن الموجات التي بدأت تكتسح العالم اليوم من طرف الحضارة الغربية، ساعدت الغرب على أن يفرض نموذجه الحضاري والثقافي، ووجدت باقي الثقافات نفسها مجبرة على أن تقلد الغرب في مؤسساته بغية التقدم والرقي، إلا أن ذلك بالنسبة إلى الغرب قد ساعده على تمرير رسائله الحضارية التي بدأت تخترق وتفكك الخصوصيات الثقافية في تلك الحضارات، إنها الإيديولوجيا العالمية للغرب في ضرب تلك الثقافات وتفكيكها، لأن ضعفها هو قوة للغرب، إلا أن تلك الحضارات اعتبرت ذلك عاملا مساعدا على تقوية تماسكها الثقافي والحضاري، وتعزيز الهوية وهو ما يضع الحضارة العالمية على المحك، وبالتالي فإن "مفهوم الحضارة العالمية إنتاج مميز للحضارة الغربية، إن مفهوم الحضارة العالمية يساعد على تبرير بسط السيطرة الثقافية الغربية على المجتمعات الأخرى وحاجة تلك المجتمعات إلى تقليد الممارسات والمؤسسات الغربية العالمية، هي إيديولوجية الغرب لمواجهة الثقافات غير الغربية، وكما هو الحال عادة مع المهمشين أو المتحولين، وبين المتحمسين لفكرة الحضارة الغربية، يوجد المهاجرون بأفكارهم إلى الغرب مثل "نابيول".."فؤاد عجمي" الذي يقدم لهم هذا المفهوم إجابة مريحة عن السؤال الرئيسي من أنا؟"[3].

إن السؤال عن الهوية هو سؤال عن الذات، ولا يمكن أن نجعل من الذوات المتعددة ذاتا واحدة تفكر بنفس الطريقة وتمارس نفس السلوك، إن هذا التنميط في حد ذاته يسير بالبشرية نحو النهاية والفناء وعليه فإن هناك الكثير من يعارض فكرة الحضارة العالمية، حتى من داخل الحضارة الغربية فهناك تعارض في تصور الحضارة الغربية، وتعارض في القيم العالمية التي يجب أن تسود، فما يراه الغرب

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 98_ 99.

2- المصدر نفسه، ص ص 106، 108.

3- المصدر نفسه، ص 109.

كونيا يراه غير الغربيين إمبرياليا، وما يراه الغرب عالميا يراه الآخرون استعماراً، إن الإيمان بأن نهاية فكرة أو مبدأ أو إيديولوجياً يعني عالمية الأخرى هو إيمان مضلل، ومن هذه المنطلقات يرى هنتنجتون "أن فكرة الحضارة العالمية لا تجد سوى القليل من التأييد في الحضارات الأخرى، فما يراه الغرب عالميا أو كونيا يراه غير الغربيين "غربيا" وما يرحب به الغربيون كتكامل كوني حميد مثل انتشار الأعلام على مستوى العالم يستنكره غير الغربيين كاستعمار غربي شائن، وبقدر ما يرى غير الغربيين العالم وحدة واحدة يرونه خطرا، والقول بأن شكلا من أشكال الحضارة العالمية يمكن أن ينشأ (يفترض)...إن انهيار الشيوعية السوفيتية، يعني نهاية التاريخ والانتصار العالمي للديمقراطية في أنحاء العالم، وهذا الزعم يعاني من المغالطة الواحدة البديلة، فالمتجذر في منظور الحرب الباردة أن البديل الوحيد للشيوعية هو الديمقراطية الليبرالية، وأن زوال الأولى يؤدي إلى عالمية الثانية"[1].

فالعالمية اليوم لا تعني النظرة الغربية، بل إنها نظرة ترى في الحضارات كيانات ثقافية مستقلة تتفاعل فيما بينها، وتتجه نحو مجتمعات أرقى من ذي قبل، تقوم فيها التفاعلات على أسس ثقافية وتخلق بينها تواصلات إيجابية، مما يوجد نوعاً من الوعي الحضاري المشترك، والقيم المشتركة، وهذا يقود البشرية إلى الإيمان أكثر بالتقارب والحوار الحضاري، بل وحتى التحالف ضد كل ما يعيق تقدمها ورقيها، كما أن هذا التعدد الحضاري تحت سقف الحضارة الإنسانية العالمية يؤمن بدور الثقافات المحلية على التماسكم الهوياتي، ويعترف بالخصوصيات، بالإضافة إلى العودة إلى الدين والانطلاق منه لجعل البشرية جنساً واحداً، دون فوارق مميتة أو قاتلة، وكل هذا نجده "في عالم يسير باضطراد نحو التجمع يتميز بدرجات لا مثيل لها في التاريخ، من الاعتماد المتبادل حضاريا واجتماعيا وانتشار الوعي، هناك استفحال في الوعي الذاتي الحضاري والاجتماعي والعرقي، الإحياء الديني على مستوى الكون أو العودة إلى المقدس، ما هو إلا استجابة لرؤية الناس للعالم على أنه مكان واحد"[2].

إن الغرب يعتقد في عالمية حضارته، والتي كانت كنتيجة للتحديث الذي ظهر في الغرب، وهو عملية تغيير جذري في المجتمع ينقله من البدائية إلى الحضارة، وكما حدث للحضارات البائدة التي انتقلت من مرحلة البداوة إلى الحضارة، كذلك اليوم بفعل التحديث انتقل الغرب إلى العالمية وفرضت حضارته وجودها في العالم بقيمها ومؤسساتها العالمية كذلك، وهو ما لم تشهده باقي الحضارات المعاصرة، ومن هنا ظهرت مواقف في الغرب تحاجج لصالح العالمية الغربية، وهي "المحاجة التالية الأكثر شيوعا عن قيام حضارة عالمية، ترى ذلك على أنه نتيجة لعمليات التحديث...التحديث عملية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 109 _110.

2- المصدر نفسه، ص 112.

ثورية تقارن فقط بالتحول من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المتحضرة، أي ظهور الحضارة بمعناها المفرد والتي بدأت في وديان دجلة والفرات والنيل"[1].

وهنا يربط هنتنجتون الحضارة بالثقافة وبالتحديث، حيث يرى أن الحضارة الغربية التي عرفت التحديث قامت بتحديث ثقافتها، وعرفت توجهات جديدة على مستوى القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية، وارتبطت تلك التوجهات بما أسفرت عنه عملية التحديث في الحضارة الغربية، وبالمقابل بقيت الثقافات غير الغربية تمتاز بالتقليدية والتخلف، لأنها لم تعرف التحديث، وعندما وصلها التحديث لم تقم به على المستوى الثقافي، المستوى الجوهري، بل اكتفت به على مستوى الحياة العامة فقط، مما جعلها تعاني التراجع الحضاري في قيمها وثقافتها.

"تختلف توجهات الناس وقيمهم ومعارفهم وثقافاتهم في المجتمع الحديث عنها في المجتمع التقليدي، ولأن الحضارة الغربية كانت أول حضارة تقوم بالتحديث، فإنها تعتبر الفائدة في استحواذها على ثقافة التجديد، وحيث إن المجتمعات الأخرى لديها أنماط مماثلة من التعليم والعمل والثروة والتركيب الاجتماعي، يسري الزعم بأن الثقافة الغربية ستكون هي الثقافة العالمية أو الثقافة العامة في العالم"[2].

لكل حضارة أسلوبها في التعبير عن طرق العيش لدى أفرادها ومكتسباتهم الثقافية، وهذا أدى إلى تعدد الثقافات وتنوعها، ولم تقم أي حضارة بفرض طرق العيش وثقافتها إلى غيرها من الحضارات والثقافات من منطلق الاختلاف والاستقلالية، إلا أن الحضارة الغربية تريد اليوم أن تشمل العالم بمبادئها وقيمها وثقافتها، وتريد أن تكتسح باقي الثقافات جوهرا ومظهرا، ومحاولة جر المجتمعات إلى فعل التحديث كمرحلة أولى للتغريب، مما جعل الحضارات الأخرى تقوم برد فعل، وتعلن أن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، وأن المحلية والخصوصية لا تناقض العالمية والتطور والرقي الحضاري وأن التحديث بالتالي لا يعارض التحضر، فالغرب الذي يربط فعل التحديث بالتغريب، كان غربيا قبل أن يكون حديثا، لأن المبادئ التي بني عليها الغرب سابقة عن معطيات التحديث، وهذا يؤكد الانفصال بين الفعلين، وأن التحديث هو نتاج تراكم خبرات الشعوب والحضارات التي استفاد منها الغرب ليبني حضارته، والتي يدّعي عالميتها وكونيتها، وعليه كان "الزعم بأن...افتراض أن المجتمع الحديث لابد أن يقترب من نمط وحيد، هو النمط الغربي، وأن الحضارة الحديثة هي الحضارة الغربية والحضارة الغربية هي الحضارة الحديثة، فهذا تحديد زائف تماما...الغرب كان هو الغرب، قبل أن يكون حديثا بوقت طويل، السمات الرئيسية للغرب، والتي تميزه عن الحضارات الأخرى أقدم من تحديث الغرب... والسبب المؤسسات والممارسات والمعتقدات الرئيسية التي يمكن أن تعرف بحق أنها

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 112 _ 113.

2- المصدر نفسه، ص 113.

جوهر الحضارة الغربية، وتتضمن ما يلي: التراث الكلاسيكي...الكاثوليكية والبروتستانتية المسيحية الغربية..." [1]

إنها أهم السمات التي يذكرها كثيرا هنتنجتون، كلما تكلم عن المكونات الأساسية لتكون الغرب وحضارته، وهي سمات تختلف طبعا عن سمات باقي الحضارات، بالإضافة إلى اللغات الأوروبية والدين المسيحي، وكل ذلك يشكل الحضارة الغربية التي تمتاز بالانفراد فيها، وليس بالكونية وهو ما جاء في مقال لهنتنجتون، أن الغرب منفرد وليس عالميا، وبالإضافة إلى تلك المميزات للحضارة الغربية، يرى هنتنجتون أن الغرب قد سبق إلى فلسفة فصل السلطة الروحية عن المدنية، أو ما يسمى بالعلمانية، إن "أهم سمة هي الحضارة الغربية ...اللغات الأوروبية، اللغة هي التي تلي الدين كعامل مميز لشعب ثقافة ما، عن شعب ثقافة أخرى...الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الدنيوية...الفصل والصدامات المتكررة بين الكنيسة والدولة، التي تطبع الحضارة الغربية لم تحدث في أي حضارة أخرى هذا الفصل بين السلطتين أسهم إلى حد كبير في تطوير الحرية في الغرب...حكم القانون... وضع الأسس الدستورية وحماية حقوق الإنسان...في معظم الحضارات الأخرى، كان القانون عاملا أقل أهمية في تشكيل الفكر والسلوك، التعددية الاجتماعية... الهيئات النيابية...تطورات مع التحديث إلى مؤسسات للديمقراطية... اليوم لا يوجد عند أي حضارة أخرى معاصرة مثل هذا الإرث من الهيئات النيابية...الفردانية، كثير من الملامح السابقة في الحضارة الغربية أسهم في ظهور روح الفردانية وتراث الحقوق والحريات الفردية بين المجتمعات المعاصرة...وتبقى الفردانية علامة مميزة للغرب بين حضارات القرن العشرين"[2].

إنه وصف عام وشامل للحضارة الغربية ومقوماتها وأسسها ومبادئها، استند إليه هنتنجتون ليبين أن الحضارة الغربية متفردة ومتميزة ومختلفة عن باقي الحضارات، وأن تلك المبادئ قد كانت سر ظهور الغرب ونشأته وتطوره، وانتقاله من مرحلة النمو إلى مرحلة الحضارة، خاصة بعد أن ارتبطت الحضارة الغربية بالتحديث الذي زادها قوة وانتشارا، إن المبادئ التي بني عليها الغرب وساهمت في تكونه وتحديد انتمائه الحضاري بداية بالتراث الكلاسيكي، والكاثوليكية المسيحية، واللغات الأوروبية والعلمانية، والحرية، وحكم القانون وحقوق الإنسان، وأخيرا الديمقراطية والليبرالية، كانت هذه المبادئ من تأسيس الغرب، ولقد بدأت تنتشر في الحضارات الأخرى، مما يقود البعض إلى الدفاع عنها، وعن عالميتها، ويقر هنتنجتون أن مجموع هذه العوامل كان حاسما في تكون الغرب، وليس عاملا واحدا فقط "لاعامل من هذه العوامل بمفرده كان هو الحاسم أو الفريد بالنسبة إلى الغرب الحاسم، والفريد هو امتزاجها جميعا معا، وهذا ما أعطى الغرب خاصيته، وهي تشكل على الأقل جزءًا من الجوهر

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 115.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 115 ، 118.

الضروري والدائم للحضارة الغربية...وهي العوامل التي مكنت الغرب من أن يملك الزمام لتحديث نفسه ويسبق العالم في ذلك"[1].

وانطلاقا من أن الغرب قام بفعل التحديث، وما صاحب ذلك من حدوث ثورة ثقافية وحضارية في وجوده وحاضره ومستقبله، نجد الكثير في باقي الحضارات نادوا بضرورة اتباع الغرب في نفس المنهج والمسار، الذي انتهجه بغية الانطلاقة الحضارية المرتقبة، وانقسمت المواقف في تلك الدول والحضارات بين الأخذ بالتحديث دون التغريب، والتمسك بالقيم الثقافية والحضارية، لأنها تمثل الخصوصية والهوية، وبين موقف يرى ضرورة الأخذ بهما معا، وأن قبول أحدهما يعني قبول الآخر وذلك وفق النظرة التي لا تفصل التحديث عن التغريب، وهذا الصراع الذي حدث داخل تلك الحضارات والدول عبّر عن أزمات ثقافية وهوياتية لديها، وهو ما عبّر عنه هنتنجتون بقوله: إن "توسع الغرب أدى إلى تحديث وتغريب المجتمعات غير الغربية، القادة السياسيون والمفكرون في تلك المجتمعات استجابوا للتأثير الغربي بواحد أو أكثر من الأساليب الثلاثة: إما رفض التحديث والتغريب معا أو تبنيهما معا، أو تبني الأول ورفض الثاني"[2].

والنتيجة أن التحديث يتعارض مع التغريب، بمعنى أن التحديث الحضاري لا يقود بالضرورة إلى التغريب الثقافي، وإن التحديث فعل حضاري يمكن أن يعمم لتستفيد منه جميع الحضارات، ودون أن يعني ذلك أنه على الثقافات أن تتخلى عن هويتها وخصوصيتها، وهيمنة الحضارة الغربية لا يعني نهاية باقي الحضارات، فالغرب بحضارته متفرد وليس كونيا، معنى ذلك "أن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، المجتمعات غير الغربية يمكن أن تتحدث...دون أن تتخلى عن ثقافتها المحلية الخاصة كما تبنت القيم والمؤسسات والممارسات الغربية بالجملة، ومن الحماقة كما يقول برودل: "أن نعتقد أن التحديث أو انتصار الحضارة بالمفهوم المفرد قد يؤدي إلى نهاية تعددية الثقافات التاريخية التي تجسدت في حضارات العالم الكبرى، التحديث بدلا من ذلك يقوي من تلك الحضارات، ويقلل من القوة النسبية للغرب، والعالم يصبح أكثر "حداثة" وأقل غربية في أمور أساسية"[3].

وبما أن الحضارة التي تريد أن تكون عالمية لابد لها من قوة عالمية، والغرب لا يمتلك هذه القوة اليوم فإن عالمية حضارته ستبقى محصورة في حضارته وحدودها، وإن هناك تقسيماً حضارياً عالمياً أقره النظام العالمي، يؤمن بالتعدد والاختلاف الحضاري، وحتى الحضارات القديمة التي وصلت إلى الإمبراطورية العالمية قامت بذلك في حدود معينة، أما اليوم فبزوال نظام الإمبراطوريات وظهور الدول التي تنتمي ثقافيا إلى الحضارات، فإن إقامة نظام عالمي يقود إلى حضارة عالمية لا يمكن أن يتم

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 119.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص 129.

وفق معطيات حضارة واحدة، تفترض أنها تملك مؤهلات العالمية والكونية دون أن تشاركها باقي الحضارات، وللوصول إلى الحضارة العالمية الإنسانية، لا بد من حدوث التكامل والتفاعل الإيجابي بين الحضارات، وكما يقول هنتنجتون "والعالم في نهايات القرن العشرين لا يعد بيتا واحدا، بل إنه في سبيله إلى التكامل الوثيق والاعتماد المتبادل هو الاتجاه السائد في عصرنا"[1].

إن العالمية هي العالمية المعاصرة، التي تشمل كل الحضارات وثقافاتها ومبادئها، والتي تنظر إلى الإنسان في كليته وفي إنسانيته، وبقدر ما يرى الغرب حضارته عالمية، بقدر ما يدرك أنها آخذة في الانحسار والتآكل من الداخل، فأوروبا الغربية تراجعت بعد نهاية الاستعمار، وأمريكا تعاني تفككاً في الهوية، وهذا كله يبشر بالتراجع الحضاري للغرب، ونهاية حلم العالمية والكونية، وهنا يعترف هنتنجتون بأن "حضارة عالمية شاملة لا يمكن أن تكون إلا نتاجا لسلطة عالمية شاملة...وسعت قوة الغرب في شكل الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر، والهيمنة الأمريكية في القرن العشرين نطاق الثقافة الغربية لتشمل كثيرا من أرجاء العالم المعاصر، ولقد انتهى الاستعمار الأوروبي والهيمنة الأمريكية آخذة في الانحسار، ويتبع ذلك تآكل الثقافة الغربية مع إعادة تأكيد العادات واللغات والمعتقدات والمؤسسات المحلية ذات الجذور التاريخية لمكانتها"[2].

إن عودة الثقافات غير الغربية وقيمها، يضعنا أمام نهاية أطروحة الحضارة العالمية الغربية، كما إن التفاوت والاختلاف بين الحضارات يقودها إلى الصدام والصراع لا الوحدة والانحسار، وبالتالي رفض الفكرة التي تقول إن الحضارة الغربية تناسب الجميع، لأنها فكرة خيطت على مقاس الغرب، لا على مقاس باقي الحضارات، وإن أكبر الحضارات رفضا واعتراضا على حضارة عالمية غربية، هي آسيا والإسلام، ومن هنا اعتبرهما الغرب الأعداء الجدد له بعد زوال الشيوعية، وعليه كانت "النظرية الخاصة عن إمكانية وجود "حضارة عالمية" ليست سوى مجرد فكرة غربية تتناقض مباشرة مع خصوصية معظم المجتمعات الآسيوية"[3].

وإن الوصول إلى حضارة عالمية إنسانية، ينطلق من التأسيس لأرضية تلك الحضارة، انطلاقا من الاعتراف بوجود عالم متعدد الحضارات، ومن ذلك التأسيس لنظام عالمي جديد، وسياسة كونية تقوم على التكافؤ والعدالة، ومن هنا يمكن أن يحدث التفاهم حول المشتركات الإنسانية الحضارية لبناء حضارة جديدة، ومن هذا المنطلق يرى الكثير أن تحديد المشكلات الأساسية، جزء من الوصول الى الحلول وإنهاء النزاعات والصراعات، والاعتراف بالآخر، وبداية التأسيس لمجتمع إنساني عالمي تزول فيه الحدود لتتفتح فيه الثقافات في فعل التثاقف والتواصل، ومن ثمة الإبداع والرقي والتطور الحضاري

1- صموئيل هنتنجتون، الموجة الثالثة_التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين _ مصدر سابق، ص 90.

2- صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات، إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟، مصدر سابق، ص 85.

3- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 45.

ومنه فإن "مشكلة التفاهم الدولي، هي مشكلة علاقة بين الحضارات، ومن هذه العلاقة يجب أن يظهر مجتمع عالمي جديد على أساس التفاهم والاحترام المتبادل، ويجب أن يتبنى المجتمع نزعة إنسانية جديدة بحيث تتحقق فيه العالمية، من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة"[1].

الحضارة الواحدة اليوم هي حضارة العلم والتكنولوجيا، حضارة الإعلام والاتصال، وإن التعدد الثقافي والحضاري ليس عائقا أمام ظهور هذه الحضارة وبقائها واستمرارها، ومن هذا يجب أن نعدل من أطروحة الحضارة الواحدة، التي تبناها الغرب محاولا في ذات الوقت إقصاء والقضاء على باقي الثقافات والحضارات، إننا نعيش في زمن التعدد الذي يقر بأن لكل شعب نظرته إلى الوجود والحياة والله، ونظرته إلى الآخر، وإلى القيم والمبادئ، سواء أكانت حضارية أم دينية، وأن في إقرار هذا التعدد والتنوع إقراراً بأبعاد الإنسان وجعله دافعا إبداعيا، والتخلص من رفض الآخر، والاستفادة من منتجات الحضارات في فعل تواصلي خلاق، والتراجع عن المواقف غير الحضارية في التهجم على الحضارات ووصفها بالبربرية والهمجية، وتعلم النقد الذاتي قبل نقد الآخرين، يجب في النهاية أن نقبل بعالم واحد ومتعدد الثقافات، أي القبول بالتثاقف في زمن العولمة، فهناك أصوات متعددة في عالم واحد، ولأن "الواقع يقول إننا نعيش في ظل حضارة واحدة، تقوم على أسس الثورة العلمية والتكنولوجية وأضيفت إليها الثورة الاتصالية الكبرى، وذلك يعني أننا في العالم نعيش في ظل ثقافات متعددة لكل منها رؤيتها المتميزة للعالم، وعلى ذلك من الأفضل أن نتحدث عن حضارة واحدة وثقافات متعددة، وليس هناك شك في أن كل ثقافة معاصرة لها إستراتيجيتها في فهم وتأويل والتعامل مع هذه الحضارات الواحدة ومن هنا فلابد من ممارسة حوار الثقافات"[2].

---

[1]– محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص ص 48 _ 49.

[2]– السيد يسين، الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، مصر، نهضة مصر، (د ط)، 2004 ص 286.

المبحث الرابع: في نقد أطروحة صدام الحضارات.

لقد تعرضت نظرية أو أطروحة صدام الحضارات لهنتنجتون، إلى اهتمام ودراسة ونقد كبير من طرف المفكرين وعلماء الحضارات، وعلماء الاجتماع والسياسة والفلاسفة، نظراً إلى ما تحمله من أفكار عن الحضارات، ومن دراسات لمستقبل العلاقات بين الحضارات، كما أنها بنيت على خلفيات إيديولوجية وعادت إلى تاريخ العلاقات الحضارية، وقد نظّر لها المفكر والفيلسوف الأمريكي صموئيل هنتنجتون الذي كان أستاذا للعلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد، وكان مقربا من مركز صناعة القرار في الغرب الأمريكي، ولقد نشر هنتنجتون أطروحته حول صدام الحضارات أولا كمقال في مجلة (فورين أفيرز) ثم طوره في شكل كتاب حمل عنوان: "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" وهو كتاب ضخم، يستند فيه هنتنجتون في تفسيره لأطروحة الصدام بين الحضارات إلى حقائق التاريخ، معتمدا على إحصائيات وخرائط ومنحنيات بيانية، تبين لنا بأن هنتنجتون يريد أن ينطلق من حقائق لبناء فرضيات، وهو منهج الاستقصاء والتحليل بغية استشراف المستقبل، مؤكدا أن العالم اليوم يشهد تعدد الحضارات، وأن هناك نظاما عالميا في الأفق سيرتسم كما أن الحضارات كيانات لها وجودها ومميزاتها، وأن العلاقات السياسية المعاصرة بين الحضارات ستبنى وفق علاقات القربى الثقافية، وأن ما يميز الثقافات هو الهويات، وإذا حدث وأن حاولت حضارة أن تحتل أخرى، فإن هناك حرباً حضارية ستعلن.

وباعتبار الغرب هو الحضارة الأقوى اليوم فإنه يواجه أعداءً جدداً، بعد أن زال العدو القديم والمتمثل في الشيوعية، وهذا العدو الجديد هو الإسلام وحضارته، هذا الأخير الذي يدعو إلى حوار وتحالف الحضارات نتيجة لضعفه، كما يعتقد مفكرو الغرب بمن فيهم هنتنجتون، وأن أطروحة الصدام هي المحركة والمفسرة للتاريخ الذي لم يعلن نهايته بعد، ومن ثمة على الغرب أن يسعى لتعميم حضارته وقيمه، من أجل أن يتفادى من أفول حضارته أو غزوها من أعداء خارجيين، وإن الوصول إلى حضارة عالمية واحدة بعيد المنال وفق المعطيات التاريخية الحالية، وعليه يمكن أن نقول بأن هنتنجتون قد لخص أطروحته في قوله "ولا تبغي هذه الدراسة الدفاع عن الرغبة في حدوث صراعات بين الحضارات، بل تهدف إلى توضيح افتراضات نظرية لما قد يكون عليه المستقبل"[1].

ورغم أن هنتنجتون هنا يريد أن يقول أنه بأطروحته لا ينظّر إلى فلسفة الصراع بين الحضارات بل إنه يقوم بدور المحلل والمفسر للواقع، ومن ثمة التنبؤ بالمستقبل، إلا أن الدارس لكل أفكاره المنبثة في كل كتبه يصل إلى أن هنتنجتون، كان ينظّر إلى صدام بين الحضارات، ولم تكن دعوته بريئة فكثيرا ما نصح الغرب بالدفاع عن الحضارة الغربية، واعتبار الآخر عدوا خاصة الإسلام بمن فيهم

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 61.

أستاذه برنارد لويس، فموقفه ينم عن الحقد الدفين على الاسلام وحضارته، وجاء ذلك صريحا عدة مرات في أقوال هنتنجتون وأقوال أستاذه، هذا الأخير الذي يقول عن الإسلام بأنه عدو ضد التراث اليهودي والمسيحي، وهذا طبعا ليستعطف الغرب ضد الإسلام، إن الخلفيات التاريخية والدينية، هي التي فرضت أطروحة صدام الحضارات، و"إن أطروحة هنتنجتون حول صدام الحضارات "لم تكن تأسيسا لفلسفة الصراع الثقافي بقدر ما كانت استثمارا سياسيا قائما على فلسفة الكائن، الذي هو أساس كل سيطرة، كما يقول روجيه غارودي: وإنسان غربي يرى الوطن كل أرض يفرض فيها سيطرته وإرادته كما يقول شبنجلر، وتاريخ غربي، لا يزال صراع السيد والعبد يشكل محركه الأول، كما يرى هيجل وتحقيب تاريخي في الغرب يقوم على تعقب أدوات السيطرة التي قهر بها الإنسان الطبيعة وظلم نفسه"[1].

إنه وصف منطقي لفلسفة الفكر الغربي، الذي قام على تصور الغرب على أنه من يمثل الحضارة، وأنه لا يمكن أن نجد حضارة خارج الغرب، هذه النظرة العنصرية المتعالية نجدها حتى عند الفلاسفة الذين كانوا يؤمنون بالعقل والحكمة والعدالة، حيث تصوروا الحضارة الغربية على أنها أرقى الحضارات، وأن الليبرالية التي جاءت بها، والقيم التي تنادي بها، هي القيم الأصح والأصلح، وكل هذا من إبداع الرجل الغربي، الذي لديه القدرة على التفكير والإبداع، على خلاف الباقي في الحضارات الأخرى، ومن ثمة فإن الغربي كان يعتقد بأن الأرض كلها قد خلقت له، وعليه أن ينشر فيها قيمه وحضارته فكان الاستعمار والإمبريالية

إنه فكر غربي يستند إلى صراع المتناقضات، والجدل الهيجلي الذي يقوم على صراع بين السيد والعبد، ومن ثمة السعي للهيمنة على الحضارات، وقبل ذلك تسخير الطبيعة من أجل هيمنة أقوى وأكبر على الطبيعة وعلى باقي الحضارات، إلا أنه نسي نفسه ومشاكله، وأصبح الإنسان الغربي خارج ذاته يبحث عنها فيما ينتجه، وقد أصيب بخيبة الأمل والاغتراب الذي أفقده حريته، وجعله مثل الآلة يفتقد إلى القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية العليا، مما تسبب في تفكك علاقاته الاجتماعية والسرية، وأصبح يبحث عن وجوده فاكتشف وجوده الزائف بعد أن ابتعد عن الدين والحقائق الروحية ليجد نفسه يقدس المادي الذي لا يشفي غليله في المعرفة والقيم، إنها أزمة الحضارة الغربية، التي تبنت نموذجا ضد الإنسان واعتقدت أنه في خدمة الإنسان، وكانت الحركة التاريخية فيها تقوم على فلسفة الصراع لا الحوار والتحالف، وأصبحت أطروحة الصدام مركز كل تفكير، ذلك "أن ما أثارته نظرية صدام الحضارات من جدل ونقاش ومجال فكري وعقائدي وسياسي داخل أمريكا وخارجها، ذلك أن هذه النظرية كانت رؤية شاملة لكل أطراف عالمنا المعاصر من خلال حضاراته الراهنة، وفي

[1] – وجيه قانصوة، حوار الحضارات والتأسيس للمختلف، السفير، 2002/02/27، ص 21.

الوقت ذاته رؤية خاصة للعلاقة بين الغرب والإسلام، وكحضارتين سيكونان في صدام، وهي المقولة التي يؤسس عليها هنتنجتون رؤيته في الصراع"[1].

كما اعتقد فيها البعض، أنها جاءت لتقف ضد كل ما هو ديني روحي، وتدعو بالتالي جميع الشعوب والحضارات إلى أن تتخلى عن معتقداتها وهوياتها وخصوصياتها، إن هي أرادت أن تلتحق بركب الحضارة الغربية، التي تخلت عن تلك العوائق منذ أن بدأت في فلسفة الفصل بين الدين والدولة أو ما يسمى بالعلمانية، إن التطور في نظرهم مرتبط بالتحديث والتغريب، وإن من منطلقاته التنازل عن القيم الحضارية لكل حضارة، حيث "سعت نظرية صدام الحضارات على المستوى السياسي والثقافي والإيديولوجي والإعلامي، إلى إقناع الشعوب العربية بضرورة وأهمية نسف المعلومات الروحية والعقدية والثقافية للحضارات الأخرى، وتهميشها واحتقارها وتشويه صورتها"[2].

هناك استهداف غربي للثقافات والحضارات، وانطلاقا من أن حضارة الغرب أُفرغت من مضمونها الروحي، وهي حضارة تحتضر اليوم بشهادة هنتنجتون، وكثير من مفكري الغرب، فإن الغرب يرفض الصعود الكبير الذي أصبحت تمتاز به باقي الحضارات، وعملية الإحياء الثقافي والحضاري هي عملية جاءت كرد فعل على الهيمنة الغربية، ومحاولة فرض نموذج حضاري واحد من أجل تنميط الثقافات والحضارات، وتأحيد العالم فيما يسمى بالعولمة والكوننة أو الكوكبة، وكأن الحضارة قطار يسير يقوده الغرب، ومن لا يمتطي عربات هذا القطار سيرمى في مزبلة التاريخ، إن نظرة الغرب إلى الآخرين، هي ما جعله يتعصب لأفكار ومبادئ وقيم الحضارة الغربية، معلنا كونيتها ومطلقيتها، بل وأن كل ما عداها لا يصلح للبشرية، إنها دعوة عنصرية تنم عن ضيق أفق الفكر الغربي وعدم قدرته على تقبل الآخر، ولا فهم منطقه في التفكير والحوار، "أما الدعوة الغربية الملفقة لهذه الفكرة فهي من أساسها إنطلقت من مبدأ صراع الحضارات، الذي تبناه هنتنجتون...المفعمين بالفكر التعصبي تجاه الآخر"[3].

فالتفسير غير التاريخي وغير العقلاني للحضارات، دفع بهنتنجتون إلى أن ينتقي من التاريخ بعض الحوادث لتبرير فلسفة الصدام التاريخي، وتعميمها على تاريخ الحضارات والإنسان، ومن ثمة الاحتكام إليها في جميع العلاقات التي بنيت، والتي يجب أن تبنى بين الحضارات، والاعتماد عليها في استشراف المستقبل، من هنا فإننا نجد أنفسنا "أمام انتقائية واضحة تنطلق من وقائع، وأدلة جزئية

---

[1]- رسول محمد رسول، الغرب والإسلام، قراءات في رؤى ما بعد الإستشراق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001، ص 31.

[2]- المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، مرجع سابق، ص68.

[3]- أحمد صدقي الدجاني، حوار الحضارات بين الواقع والطموح، مراجعة وتحقيق، خالد الكركي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د ط)، 2004، ص 40.

متفرقة، يتم تعميمها بشكل تعسفي، بهدف الخروج بحقيقة شاملة عامة، مفادها أننا على ضوء هذه الوقائع سندخل عصر الصدامات الحضارية"[1].

وبالعودة إلى الأطروحة، يعتقد الكثير من الباحثين أنها مجرد فرضية، استغلت ما تمر به الحضارات من نزاعات وصراعات وتغيرات على مستوى الخارطة السياسية للدول والأمم، أما الصراع في حد ذاته فهو سنة كونية، ولم تخل مراحل التاريخ من صراع بين الحضارات والأقوام، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، كما لم تخل الحضارات من علاقات الحوار والتحالف والتدافع والتعارف والتعايش، هناك إذن علاقات بين الشعوب والثقافات والحضارات، تمر بمرحلة خمود مرة وبمراحل مختلفة مرة أخرى، وهو ما يفسر حركية التاريخ وتغيره، وتطور الإنسانية وانتقالها من مرحلة إلى أخرى، وإن تقسيم العالم إلى خطوط ثقافية بدل جغرافية، هو محاولة لرسم الحدود مع الإسلام ثقافيا فهو الحضارة المقصودة من هذا التقسيم، على اعتبار أن الغرب يعتقد أن للإسلام حدوداً دموية وأنه انتشر بحد السيف، كما أن هذا التحديد يتيح للغرب أن يوسع هيمنته ويسيطر على باقي الحضارات، في حركة توسعية لحضارته وثقافته وقيمه، ومن ثمة مهاجمة الحضارة الإسلامية واستعداء الآخرين لها، ومن ذلك فتقسيم هنتنجتون للحضارات قائم في حقيقته على أبعاد دينية وليست حضارية أو ثقافية، "والحق أن أطروحة وجود صراع حضاري هي مفهوميا فرضية متطفلة على القوة المسيطرة لتصنيف وحيد فريد قائم على ما يسمى الخطوط الحضارية، أو الفروق الحضارية أو الثقافية، والتي هي بالمناسبة تتبع التقسيمات الدينية التي يوجه الانتباه إليها وحدها، يضع هنتنجتون الحضارة الغربية في مقابل الحضارة الإسلامية، والحضارة الهندوسية والحضارة البوذية"[2].

وإن إعلان القادة في الغرب الحرب ضد قوى الشر والبربرية والهمجية، إنما هو إعلان باسم الدين، وقد جاء في خطاباتهم أنهم يخوضون حربا مقدسة باسم الرب، وأنهم بالتالي يحملون قيم الخير والحضارة لباقي العالم، كقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وفصل الدين عن الدولة، وغيرها من القيم التي يريدونها عالمية وكونية، وإن نشرها واجب ديني مقدس، وأن الصدام بين الحضارات حتمية لخدمة أغراض دينية، و"من المؤكد أن مشكلة أطروحة صدام الحضارات، تبدأ قبل أن نصل إلى قضية صدام حتمي، إنها تبدأ مع زعم مسبق بأن تصنيفا أوحد له أهمية بالغة، والحق أن السؤال هل تتصارع الحضارات؟ مؤسس على الزعم المسبق بأن الإنسانية يمكن تصنيفها أولا وقبل كل شيء إلى حضارات

---

[1]– خلدون الشمعة، صدام الحضارات أم نقاء ديكة عمياء، مجلة الشرق الأوسط، 1995/01/21، ص 10.

[2]– أمارتيا صن، الهوية والعنف، ترجمة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، يونيو، (د ط)، 2008، ص 13.

متباينة ومنفصلة...إن الخلل الأساسي في هذه الأطروحة يسبق كثيرا النقطة التي يمكن السؤال فيها عما لو كانت الحضارات لابد أن تتصارع"[1].

فالفرضية إذن تنطلق من تصنيف الحضارات على أساس الدين وليس شيئا آخر، ومن ثمة فهي تنطلق من الأحادية القطبية، وتلغي بالتالي باقي الحضارات، وترى في بعضها على أنها العدو، ومن هذا المنطلق فإن الحضارات كيانات متباينة لا بد لها أن تتصارع، بل إن وجود وبقاء البعض منها مرهون بهذا الصراع الحضاري، ولو أن الوجه الآخر لأطروحة هنتنجتون، يبين أن الفكر الغربي قد وقع في فخ الذاتية والإنطواء والتمركز حول الذات، واستبعد النقد الذاتي الذي بني عليه الفكر الغربي كما أنه وقع في أسر التعالي والدونية، وأراد أن تصبح حضارته وقيمها عالمية، دون اعتبار لباقي الحضارات وخصوصياتها الثقافية.

"إن نجاح نظرية صموئيل هنتنجتون عن صراع الحضارات، يكفي لتبيان تأخر الفكر النقدي بالقياس إلى المهمة التالية: البحث عن نزعة إنسانية لترقية الإنسان، ورفعة شأنه ولتجاوز جميع التصورات والقيم الموروثة"[2].

وبما أن الغرب ادّعى في محاولة عولمة حضارته وقيمه، أنه يريد أن يصل إلى حضارة إنسانية وقيم مثلى تناسب كل الناس، إلا أنه وقف بذلك ضد نزعة الأنسنة، وتجاوز حقوق الإنسان في التعدد والتنوع والانتماء الهوياتي، مما أوقعه في سراب العالمية والكونية، ومن ثمة سراب الخلود، إن تأكيد حتمية الصراع بين الحضارات، هو تفسير عنصري يقوم على التفسير العرقي، وإن الغرب يعتقد أنه يمثل الجنس الأعلى الذي لابد أن يهيمن، باعتباره جنساً يحمل حضارة ورسالة حضارية ومقومات وقيماً عليا، أما باقي الأجناس فهي لا تعرف للتحضر طريقا، بل إن طبيعتها تميل إلى البربرية والهمجية، وهنا "يطرح عدد كبير من المفكرين الغربيين خاصة الأمريكيين منهم فكرة صراع الحضارات أو صدامها باعتبارها حتمية...ويأتي صاموئيل هنتنجتون في مقدمة هؤلاء المفكرين...والقول بحتمية صراع الحضارات، أو صدامها يجافي سنة التاريخ، ويتعارض مع طبيعة الحضارة، فالحضارة لا طابع عرقي لها، وهي لا ترتبط بجنس من الأجناس، ولا تنتمي إلى شعب من الشعوب"[3].

والحقيقة الطبيعية للحضارات، أنها لا تتصارع بل لا يمكن تصور ذلك، لأنها كيانات معنوية كما أن ما يقع بينها هو تدافع وتفاعل، فتتلاقح ويستفيد بعضها من بعض، حيث لم تدّع حضارة يوما أنها أبدعت من عدم، بل لقد انطلقت من كثير مما قدمته باقي الحضارات، وزادت عليه وحصل لها

---

[1] – أمارتيا صن، الهوية والعنف، مرجع سابق، ص 14.

[2] – محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة وتعليق هاشم صالح، بيروت، دار الساقي ط1، 2001، ص ص 75، 79.

[3] – عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 24.

التطور والرقي، وهو قانون جميع الحضارات، ومحاولة تفضيل حضارة على أخرى هو عمل غير حضاري في حد ذاته، وكل ما يحدث في قانون الحضارات أنها تتعاقب وتتواصل، وهي ليست حكرا أو ملكاً لأحد، بل تعبّر عن نتاج الفكر البشري وخلاصته، ومن هنا فإن الحضارة الغربية بما تمتاز به من هيمنة وقوة، إلا أنها تحمل المتناقضات في داخلها، فهي كما يذكر هنتنجتون تدّعي العالمية، وفي نفس الوقت ترى تآكلا بداخلها، ينتابها سراب الخلود، وتعتقد أنها على مشارف الانهيار، تدافع عن الأحادية، ولا ترى إلا ذاتها ولاتعترف بعالم متعدد الأقطاب، وغيرها من التناقضات التي تحكم البنية الفكرية والعقلية لأطروحة صدام الحضارات، وعليه نجد "في دراسة لصموئيل هنتجتون لم يسلط عليها الضوء...يتبين التناقض الذي تقع فيه القوة الجديدة المنفردة بزعامة العالم، وتتضح الحيرة العاصفة التي تسود مجتمع النخبة في الغرب"[1].

وكل ما في الأمر أن الغرب وضع هذه الأطروحة ليحافظ على قوته ومصالحه، فالصدام في الحقيقة هو صدام مصالح ليس إلا، ومن أجل الدفاع عن مصالح الغرب، أو العالم الحر كما يسميه هنتنجتون، أعلن قبله فوكوياما نهاية التاريخ، معلنا انتصار الليبرالية ونهاية الشيوعية، ومحاولة تعميم قيم الديمقراطية والليبرالية هو من بين مخططات الغرب للتمركز أكثر في العالم، وبسط هيمنته والاستفادة من درس الشيوعية، ورغم أن نظرية صدام الحضارات ترى خلاف ما جاءت به أطروحة نهاية التاريخ، حيث تعلن بداية جديدة للتاريخ، إلا أنهما يصدران من نفس الخلفية الفكرية والأطر الحضارية للحضارة الغربية، مادام نهاية التاريخ يعلن انتصار الغرب، وصدام الحضارات تعلن هيمنة الحضارة الغربية وقوتها، وإرسال إنذار لباقي الحضارات على أن مصيرها سوف يكون مثل مصير الاتحاد السوفياتي، أو اليابان أو النازية أو الفاشية وغيرها، فالغرب أصبح يستخدم لغة الردع أكثر من الحرب المباشرة، وخاصة أنه يحتكر أسلحة الدمار الشامل الممنوعة على باقي الحضارات، حتى يبقي على سيطرته ويبقي على تبعيتها، ومن خلال هذا التحليل يتبين أنه " تكاد نظرية صراع الحضارات أن تكون تأسيسا وامتداداً لنظرية فوكوياما في نهاية التاريخ، رغم ما بينهما من إختلاف ظاهر، ذلك أن فوكوياما يقول بنهاية التاريخ، على حين أن هنتنجتون يقول بتجديده ومواصلته"[2].

أما من حيث المفاهيم، فإن هنتنجتون لا يفرق بين الحضارة والثقافة، وقد غلب على تفسيراته في الصدام عنصر الدين كمحدد أساسي للحضارة أو الثقافة، أما من الناحية الإستراتيجية فقد برزت نظريته بعد الحرب الباردة، وإعادة تشكيل السياسة الكونية والنظام العالمي، وذلك من أجل زيادة هيمنة الغرب أكثر على العالم، "ولهذا يقول هنتجتون، أن أساس الاختلاف بين الحضارات هو التاريخ واللغة

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 47.

2- محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص 45.

والدين، ولكن الدين هو أهم عناصر الاختلاف، وذلك لإضفاء صفة الدين على هذا الصراع بين الحضارات"[1].

فرغم ذكر هنتنجتون لأهم المقومات الحضارية، إلا أنه يركز على الدين، على اعتبار أن الحضارة الغربية قد قامت على الدين المسيحي، وأن الخطر إذن يأتي من الأديان، كالإسلام والكونفوشيوسية، والواقع "ليس ثمة في عصرنا الراهن حضارات مختلفة يحتدم بينها صراع على أساس ثقافي ديني، كما يذهب هنتنجتون، فليس ثمة صراع بين مسيحية الغرب وإسلامية وكونفوشيوسية الشرق، وليس ثمة صراع حضاري ديني بين أمريكا واليابان"[2].

إن تنافس الحضارات، لا يضعها في مقام الصراع، بل إن التدافع والتقابل بين الحضارات هو ما يحرك عجلة التاريخ نحو التطور والرقي، ويقلل من أشكال التخلف والهمجية والتراجع الحضاري وما إبداع الغرب لنظرية أو أطروحة صدام الحضارات، إلا من أجل الدفاع عن حضارته التي أفلست روحيا وقيميا، ونتيجة للثغرات الحضارية والتفكك الداخلي القيمي الذي أصابها، فإنها تريد فرض منطق القوة، حتى تسد ذلك الضعف والعجز، وحتى تحوّل الأنظار إلى الاهتمام بالساحة العالمية والتغاضي عمّا يحدث داخل هذه الحضارة التي تعاني روحيا وأخلاقيا وقيميا، وإن توجيه الرأي إلى الساحة العالمية، فمن أجل جعل الناس يفكرون في الخطر القادم من الشرق، وتناسي التفكك الداخلي، وإن الحضارة الغربية حضارة لا يمكن أن تزول، وإن بقاءها مرهون بصراعها مع باقي الحضارات وهيمنتها عليها، كما أن الغرب تحكمه عقدة التفوق والسيطرة والقوة، وعقدة عودة الحضارات ونموها السريع ومن هنا قام مخياله على تصور الفناء بصعود باقي الحضارات، وكأن التركيبة النفسية للحضارة الغربية تقوم على الخواف من الآخر، الذي ترى فيه تهديدا لوجودها، وإن إفناء الآخر بقاء لها، إنها منطلقات غير منطقية تحكم النسيج الفكري للحضارة الغربية بجميع أطروحاته الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية، إنها فوبيا الحضارات، ومنه يمكن أن نقول بأن "نظرية هنتنجتون، وربما أيضا نظرية فوكوياما...لم تكونا سوى آلية دفاعية عن الحضارة الغربية المنهارة، الأولى تؤكد على سمو الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات، وعلى انتصارها في الحرب الثقافية، والثانية تؤكد أن الرأسمالية التي هي العلامة البارزة للحضارة في القرن العشرين انتصرت على غيرها من الإيديولوجيات"[3].

وبهذا يتبين ما يحكم الغرب من منطلقات إيديولوجية وإثنيه وحضارية، حيث يخضع لمنطق البقاء للأقوى، وأنه على الحضارة الغربية أن تكون دائما مستعدة بجميع الوسائل لمقاومة أي اختراق

1- محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص 46.

2- المرجع نفسه، ص ، ص 60.

3- المرجع نفسه، ص 356.

ثقافي حضاري للغرب، بل والوقوف أمام أي ظهور لأي حضارة غير غربية، ومن هذه المنطلقات كان الغرب يرفض دائما الحوار مع باقي الحضارات، ويعتبر الحوار في حد ذاته تنازلا وضعفا، وتراجعا عن عولمة الحضارة والقيم الغربية واعترافا بالآخر، وهذا ما لم تبن عليه الإستراتيجية الغربية، بل إن الغرب يرفض أي تفاعل إيجابي مع باقي الحضارات، "لقد أراد هنتنجتون أن يهدم الحوار عندما صوره على أنه صراع إيديولوجية روحية مناهضة لإيديولوجية الغرب المادية، وشدد على خطورة هذا الصراع عندما رسم نتاجه على أنه عداء لا مناص منه بين تلك القوى المتجانسة عقائديا، بين القوى المتجانسة تقدميا"[1].

وانطلاقا من فلسفة الرفض الغربي للحوار، اعتقد الغرب أن طرح فكرة الحوار من طرف الحضارات، ما هي إلا إستراتيجية حضارية على اعتبار أن تلك الحضارات تعاني الضعف والتبعية للغرب، وبالتالي فهي ليس لديها القدرة على المقاومة أو التصدي للغرب وقيمه، ومن هنا ابتكرت وسيلة لاختراق ثقافته وحضارته سلميا، ومحاولة تفكيكه داخليا، ومن دلائل ذلك كما يذكر هنتنجتون الهجرة الكبيرة إلى الغرب، ومحاولة المهاجرين خلق مجتمعات موازية للمجتمع الغربي، مع الحفاظ على عاداتهم وديانتهم ولغتهم، بل ومطالبتهم الغرب بالاعتراف بهم، وهذه من بين أكبر التحديات والأخطار التي تهدد وجود الغرب وتتنبأ بأفوله، ورغم إيمان الفكر الغربي بأن عالماً متعدد الحضارات يسطع في الأفق، إلا أن الشكل الذي ستكون عليه العلاقات بين هذه الحضارات، هو شكل وحيد ألا وهو الصدام، مستبعدا الحوار والتفاعل وغيرها من الأشكال، لأن ذلك يخالف منطق الغرب في التفكير والوجود والبقاء، حيث "يؤكدها هنتنجتون في مقاله أن الحضارات حقيقية ومهمة، ويتنبأ بأن النزاع بين الحضارات سيحل محل أشكال النزاع الإيديولوجية وغيرها، باعتباره الشكل العالمي المهيمن من المنازعات، ثم يحاج بأن المؤسسات العاملة من أجل التعاون، من المرجح بدرجة أكبر أن تتطور داخل الحضارات، وأن المنازعات ستثور عادة بين مجموعات في حضارات مختلفة"[2].

ومن منطلقات الصدام الحضاري عند هنتنجتون، أن النزاعات ستزداد بين الحضارات، وداخل الحضارة الواحدة، وما على الغرب إلا أن يدعم تلك النزاعات حتى يبقي على سلطته وهيمنته، ويمنع تلك الحضارات من النمو والتفكير في العالمية، إنه منطق القوة والإقصاء والرفض، يقوم على عدم الاعتراف بالآخر، بل إن الغرب هو من يريد أن يخترق باقي الثقافات والحضارات، حتى يسهل التحكم فيها عن طريق إذكاء روح العداوة والنزعات العرقية والقبلية والعصبية، مما خلق لها أزمات في الهوية وهذا سينعكس إيجابا على الغرب اقتصادياً، حيث يزود المتقاتلين بالسلاح، مما يؤدي إلى نقص في

1- صالح بن بكر الطيار وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، م2، ص 84.

2- جين كيركباتريك وآخرون، صدام الحضارات_حتمية التحديث التقاليد والتغيير_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995، ص 71.

عدد السكان وغيرها، وهي في الحقيقة مخططات يهودية، فاليهود يشجعون على الصدام ويرفضون الحوار، كما أن تصنيف الحضارات في هذه الأطروحة يقوم في الحقيقة على عوامل ذاتية، وليست موضوعية، لأن الحضارة اللاتينية تشترك مع الغربية في كثير من الخصائص، التي تبنى عليها الحضارات، إلا أنها لا تنتمي إلى الغرب، هناك تصنيف عنصري مقصود للحضارات من طرف هنتنجتون، على اعتبار أن تلك الحضارات هجينة، ولا تحمل قيم الغرب.

"إن تصنيف هنتنجتون للحضارات المعاصرة مثير للتساؤل...فإذا كانت الحضارة تحدد بعناصر موضوعية مشتركة مثل اللغة والعادات والمؤسسات، وتحدد بصورة ذاتية بالتطابق والتماثل، وإذا كانت الجماعة في أوسع صورها هي التي يتوحد معها الأشخاص بصورة كثيفة، فلماذا التمييز بين الحضارة الأمريكية اللاتينية والحضارة الغربية"[1].

ومن حيث التركيبة المعرفية للأطروحة، يعتقد كثير من الباحثين أنها وضعت للتعبير عن نهاية الإيديولوجيا، إلا أنها وقعت فيها، فالفكر الغربي الذي يقدم هذه الأطروحة كأطروحة بديلة عن الحرب الباردة، تحكمه تصورات غير صحيحة عن الحضارات والثقافات والأديان في العالم، مما يجعله يتخذ موقفا عدائيا منها، دون أن يحاول التعارف أو التقارب أو التحاور، أو حتى التعايش معها، ورغم أن الغرب يدّعي أن فكره الفلسفي والعلمي قام على النقد والنقد الذاتي خاصة، إلا أننا لا نلمس ذلك في تعامله مع فكرة التعدد الحضاري والخصوصيات الثقافية، ومن هذا كانت "هذه الأطروحة (صراع الحضارات) لهنتنجتون أطروحة إيديولوجية نظرية، لا تمت للمعرفة العلمية بأية صلة، حتى وإن ادعى هنتنجتون بأنه ينطلق من رؤية علمية في استقراء الحضارات، ومنطلقاتها الفكرية والتاريخية"[2].

وإن الاستمرار في هذا الطرح سيقود العالم إلى تأجيج الصراعات والنزعات، والعودة إلى العداوات التي تجاوزها الزمن بين الأديان والثقافات والحضارات، ومحاولة إسقاط مفاهيم جديدة عليها وتحليلها بنظريات ومنطلقات معاصرة، مما يدفع الحضارات إلى أن تعيش في جو الصدام بالقوة، حتى ولو كانت رافضة له، فكأن الصراع أطروحة تقوم بالحرب النفسية بين الحضارات، وتجعل كل الحضارات تعيش مرحلة الشك الثقافي والحضاري، وهذا سيدخلها في دوامة من أمرها، ولو أن بعض الباحثين يصرون على اعتبار ما يحدث هو صراع ثقافات، وليس صراع حضارات، "إنه لا يوجد على الصعيد الواقعي صراع بين الحضارات، لأن الحضارات هي منجز إنساني عام، والذي يوجد على صعيد الواقع هو صراع بين ثقافات، وكل ثقافة تصنع أمة وحضارة فيكون الصراع في جوهره صراعا بين هاتين الثقافتين، وإن استخدمت في هذا الصراع المنجزات الحضارية"[3].

---

[1]- جين كيركباتريك وآخرون، صدام الحضارات_حتمية التحديث التقاليد والتغيير_ مرجع سابق، 71.

[2]-عبد الله علي العليان، حوار الحضارات، في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، مرجع سابق، ص 211.

[3]- محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 131.

وحتى وإن سلمنا بوجود صراعات أو صدامات بين الثقافات، فهي لا تدعو إلى الحروب والقتل والتدمير والهمجية والتراجع الحضاري، إن الاختلاف سنة في الكون، ومن هذا نقول إن هناك اختلافاً وتمايزاً في الثقافات، ولكل ثقافة طريقتها في التعبير عن قيمها ومبادئها وأسسها، والتعبير بالتالي عن هوية جماعتها وخصوصياتها، كما أنها تعبّر عن الإنسان المنتمي إليها في كيانه وشخصيته ووجوده ونظرته إلى الوجود والحياة والله والطبيعة وغيرها.

وما على الحضارات إلاّ أن تحترم الإنسان في إنسانيته، بأن تحترم قيمه، وتحترم إيمانه بالتنوع كما يجب ألاّ أن نربط الصراع إن وجد بالدين، أو المثل والقيم العليا التي تجسدها الثقافة والحضارة بل إن معظم الصراعات في التاريخ كانت بسبب قضايا اقتصادية والتوسعات على الأرض، واستغلال الخيرات والملكية وغيرها، فكانت كذلك النزاعات الاجتماعية والسياسية، وهو ما يمكن إسقاطه على أطروحة صدام الحضارات، حيث "نستطيع القول بأن هنتنجتون حينما بلور رؤيته حول صدام الحضارات، لم يكن بعيدا عن المصلحة السياسية والإستراتيجية للحضارة الغربية، وإنما قام بجهد فكري يصب في إطار الحفاظ على سيطرة الغرب على العالم، لهذا نجده يحذر من قيام اتحاد كونفوشيوسي إسلامي مشترك ضد الغرب...ويبرر هنتنجتون مخاوفه هذه بأن العداء للغرب يجمع بين الإسلام والكونفوشيوسية، الأمر الذي يشكل تحديا للحضارة الغربية ولقيمها الإنسانية"[1].

ومن أكبر ما يخافه الغرب هو وجود تحالف بين الحضارات ضد الغرب وحضارته وقيمه خاصة الحضارات التي تملك بعدا دينياً واقتصادياً قوياً، ويقصد هنا هنتنجتون الإسلام والصين، حيث يشكلان تحديا حقيقيا للغرب وحضارته في كينونتها ووجودها واستمرارها، ومن هنا لجأ الغرب إلى فلسفة العولمة حتى يقوم بتنميط باقي الثقافات والحضارات، وإدراجها تحت جناحه، حيث أظهر لها من خلال سلوكياته أن النموذج الغربي هو النموذج الحضاري الذي يجب أن يسود العالم، وما على الشعوب الأخرى، إلا أن تتبعه لأنه يمثل قمة التطور ونهاية التاريخ، فالغرب هو مبدع الحداثة وبالتالي حامل لرسالة إنسانية، وإذا أرادت باقي الحضارات أن تصل إلى ما وصل إليه فعليها بالنموذج الغربي، ومن منطلقاته أن تتخلى عن قيمها المحلية وعن دينها، لأنها تشكل عائقا أمام نموها وازدهارها وهي دعوة ليست بالبريئة، طالما أنها تعلي من قيم الغرب، وتدني من قيم الحضارات الأخرى، بل وصل الأمر إلى وصف كثير من الحضارات، بأنها دموية وبربرية، وأنها همجية وتحمل قوى الشر في العالم وبالتالي ترفض الانطواء في النظام العالمي الذي يحتكم إلى معايير عالمية وقيم كونية كحقوق الإنسان والليبرالية والعلمانية والحرية وغيرها، "ولعل في مطالبة هنتنجتون الأمم الأخرى بتشكيل نمط

---

[1]- محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، مرجع سابق، ص ص 133 _ 134.

حياتها وحضارتها وفق النمط الغربي هو مؤشر صريح على عقلية التمركز الغربي، التي لا ترى في الوجود الحضاري التاريخي والمعاصر إلا الغرب وحضارته"[1].

وهناك من يرى في هنتنجتون فيلسوفا مبشرا بفلسفة الصراع الحضاري، على اعتبار أنه قريب من دوائر صنع القرار في الغرب الأمريكي، وعلى اعتبار أنه فيلسوف الإستراتيجية الأمريكية، وأستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة هارفارد، يحتكم في صياغة أطروحته إلى أصوله اليهودية المسيحية، والجنسية الأمريكية، معبرا من خلال هذه الأطروحة عن الحقد الدفين على الحضارات خاصة الحضارة الإسلامية، كاشفا ما تحمله الحضارة الغربية من عداء تاريخي للعالم، وللحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، لهذا قامت أطروحته، على فكرة التنظير لعدو قديم جديد، بلغة برنارد لويس بعد أن زال العدو الشيوعي، وعليه فإن الفكرة تنبع من مفكر ذي مكانة وقيمة، و"الرجل كمفكر إستراتيجي _يهودي الديانة_ أمريكي الجنسية قريب من دوائر صنع القرار، لم يكن داعيا ومبشرا بصدام الحضارات، وإنما كان كاشفا عن موقف الغرب الذي يمارس تاريخيا وحاليا صدام الحضارات"[2].

وعلى اعتبار أن الصراع هو لغة العصر، فإن هنتنجتون يضع إستراتيجية تقوم على التفكير في مصير الحضارة الغربية على المدى القريب والبعيد، تقوم أولا على ضرورة الوقوف في وجه الحضارة الإسلامية والصينية، لأنه كما قلنا سابقا يمثلان التحدي الحقيقي والكبير للغرب وحضارته، مع العمل على جعل باقي الحضارات إما مؤيدة للغرب ومتحالفة معه، أو أن يجعلها محايدة في هذا الصراع الحضاري، ورغم حياد تلك الحضارات، والتي يمكن أن تتبنى النموذج الغربي، إلا أن هنتنجتون يرى بأنه بعد أن يفرغ الغرب من الحضارة الإسلامية والصينية، سيتحول إلى تلك الحضارات لإضعافها وتفكيكها، إنه منطق الغرب البراغماتي الذي لا يعترف بالعلاقات السلمية والحوارية مع باقي الحضارات، فعدو الأمس صديق اليوم، وصديق الأمس عدو اليوم، وكل ذلك خاضع للمصالح الغربية التي لا تعرف القيم والأخلاق، من هنا فإن "هنتنجتون (أراد) ترتيب الأولويات في معارك صراع الغرب مع الآخرين، فدعاهم إلى البدء بكسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية_الصينية_ مع تحييد الحضارات الأخرى، حتى يفرغ الغرب من الإسلام والصين_ وبعد ذلك يستدير الغرب للصدام والصراع مع الحضارات التي حيّدها، والتي أبت تبني النموذج الغربي والذوبان في التغريب"[3].

1- محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، ص 136.

2- محمد عمارة، الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 ص 142.

3- المرجع نفسه، ص 144.

ولكي يجعل هنتنجتون الغرب قوة عالمية، نصحه بالتكتلات داخل حضارته، وبناء نظام عالمي في صالحه، وإنشاء هيئات عالمية في خدمته، كالأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي ومجلس الأمن الدولي، حيث يستطيع عن طريق هذه الهيئات أن يمرر القرارات التي تخدم مصالحه، وأن يضفي الشرعية على جميع قراراته، وأن يعترض على القرارات التي لا تخدم مصالحه وحضارته، ولكي تكون له وسيلة ردع عالمية أنشأ الحلف الأطلسي الذي تنتمي إليه دول الغرب فقط، من أجل حماية العالم الحر كما يسميه، أين "يرفع هنتنجتون في الضفة الأخرى للأطلسي شعار يا غربيوا العالم إتحدوا، فهو يدعو إلى قومية غربية تشبه طائر الرخ الذي جسده أمريكا، وجناحاه أوروبا وأمريكا اللاتينية، والذي يريد له هنتنجتون أن يثير الرعب في جميع الاتجاهات، ليحول دون أن يدنس الآخرون الثقافة الغربية"[1].

فالغرب يعتبر القيم التي تحملها حضارته قيماً عالمية وكونية، وهي مبنية على ثقافة وحضارة عالمية بدورها، كما أنها تخاطب العقل وتعلي من شأن العلم والإنسان، وهي قيم لا نجدها في باقي الثقافات والحضارات، التي تمتاز ثقافاتها وقيمها بالأساطير والعقائد البائدة، وبالتالي فهي تعرقل العقل وتقف عائقا إبستيمولوجيا أمام تطور العلم، والحضارة الغربية في النهاية تمثل المركز والباقي الهامش بل إن من الحضارات ما يقف ضد هذه القيم ويحاربها، لا لشيء سوى لأنها صادرة من حضارة غربية متفوقة ومتعالية، إلا أن هذه الأحكام لا تعكس الحقيقة، بقدر ما تسعى لإيجاد المسوّغات والقرائن لتبرير ضرورة صدام الحضارة الغربية مع باقي الحضارات، لا لشيء سوى لأنها ترفض الآخر وترفض حضاراته وقيمه، وترفض بالتالي الاستماع إليه والحوار معه، ولهذا هناك من رأى حتى في العالم الإسلامي أنه لا جدوى من الحوار مع حضارة ترفض الحوار، وترى فيه تنازلا وضعفا، فقد "أثارت نظرية صموئيل هنتجتون عن الصراع بين الحضارات جدلاً واسعاً في العالم الإسلامي بسبب تركيزها على مقولة الصراع بدل الحوار والتفاهم أولا، وبسبب مركزة هذا الصراع على الغرب والإسلام ثانيا"[2].

وفلسفة الرفض الغربي للحضارات، تنطلق من وضع خط فاصل بينها وبين باقي الحضارات بل إنها تقوم بتقسيم الحضارات وفق خطوط ثقافية، وما على الحضارات إلا السعي لإذابة تلك العقبات وإزالة تلك الخطوط العنصرية، ربط شبكات التواصل فيما بينها وفق أشكال التفاهم والتعارف والتعايش ونبذ العنف والصراع والتعصب، بل واستغلال كل وسائل العلم والتكنولوجيا، خاصة في ميدان الاتصالات لتحقيق ذلك التفاعل، والتقليل من الصدام، ومن ثمة خلق أو وضع "الحضارات في حالة

1- زكي الميلاد وتركي علي الربيعو، الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل، دمشق، دار الفكر، ط2، 2001، ص 50.

2- محمد سبيلا، زمن العولمة، فيما وراء الوهم، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 2006، ص 108.

تواصل وتفاعل وتبادل، وليس في حالة صدام كما يعتقد هنتنجتون، فدينامية التفاعل بين الحضارات توجد مع التطورات التي أتحدثتها الآلة والطبيعة"[1].

وما على الفكر في الشرق والغرب، الذي يمثل الضمير الإنساني والعقل المستنير، الذي يحتكم إلى مبادئ الإنسانية في السلام والتسامح والمحبة والعدالة.، إلا أن يعلن الحرب ضد هذه الأطروحة لأنها تريد إشعال حرب حضارات، وتعتدي بذلك على التنوع وعلى الثقافات والهويات والطبيعة، بل وحتى على الأجيال المقبلة، وكما يقول المفكر المغربي محمد عابد الجابري، إن "صدام الحضارات من الناحية العلمية مجرد وهم...فكرة غير معقولة، إذ يجب أن تكون الحضارات عبارة عن صحون أو سيارات، أو ما أشبه هذا وذاك حتى يمكن تصورها تتصادم...ولكن هذه الفكرة من ناحية الإستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تنطوي فعلا على قضية، وبما أننا نحن العرب والمسلمين على رأس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها"[2].

هناك إذن استهداف للحضارات، خاصة الإسلامية من طرف الغرب، عن طريق التنظير لمثل هذه الأطروحات، وبدل أن ينظر الغرب إلى التعايش والحوار والتحالف، راح يبحث عن الدلائل التي تبرهن على سمو حضارة الغرب، وهمجية حضارة الإسلام، ومما زاد هنتنجتون فخرا بصحة أطروحته هو هجمات 11 سبتمبر 2001 على برجي التجارة العالمية، وكان الإسلام طبعا في قفص الإتهام وأصبح بعدها يوصف بالإرهاب والتطرف والعنف، والقتل والتدمير، وكأن الإنسانية ستقف على مفترق طرق بين قوى الحضارة والخير، وقوى الهمجية والشر، وهكذا راح الفكر الغربي يسوق لمثل هذه الأفكار والأحكام على الإسلام والمسلمين، وكأنه كان يتحين الفرصة للانتقام من الحضارة التي علمت كثيراً من علمائه ومفكريه العلم والتفكير، وعلمته القيم العليا السامية كالسلام والتسامح، ولهذا نجد الغرب يريد ويسعى إلى تفكيك الإسلام، بضرب هويته الحضارية واتهامه بأنه سبب تأخر المسلمين وكان رد المسلمين طبيعيا بأن إلتجأوا إلى دينهم، بغية التمسك به في وجه الهجمة الحضارية عليه وكل هذا كان بسبب الفكر الغربي الذي قام بفعل "تأويل مفرط وتبنّ صامت لأطروحة "صدام الحضارات"، ما جعلها حقا واحدة من الأساطير المؤسسة للعنف الثقافي الموجه للسياسة الخارجية الأمريكية"[3].

حقيقة إنه عنف ثقافي فعلي، تمارسه أكبر قوة فوق الأرض، ضد باقي الحضارات، وتدّعي أنها تحمل قيم الخير والتسامح والمحبة والحرية، وقيم الإنسانية للإنسانية، رغم أن هنتنجتون يعود إلى الضمير الغربي، ليعتبر أن محاولة فرض هيمنة حضارية قيمية غربية على باقي العالم، هو فعل لا

1- مفتاح محمد عبد العزيز، صدام الثقافات وتفاعل الحضارات، مرجع سابق، ص ص 38 _39.

2- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص 86.

3- هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 113.

أخلاقي، وحتى الحضارات التي اتبعت هذه القيم بمحض إرادتها، حدث لها انفصام في الهوية وأصبحت بالتالي تعاني ثقافيا وحضاريا، وزادت الصراعات بداخلها، فما على الغرب إلا أن يقتنع بالتنوع والتعدد، وأن هذا قانون الطبيعة الذي لا يمكن الخروج عليه، وما عليه إلا أن ينطلق من فلسفة النقد الذاتي، وأن يخرج من قوقعته ومركزيته، ليتفتح على الباقي، ليرى في الآخر روح التعايش والسلام والتحاور، لا روح الكراهية والحقد والعداء، وأن يتخلص من مخططات اليهود الذين سيقودون العالم إلى الخراب لا البناء، ومن هذا نجد أحيانا "هنتنجتون حتى وهو يتحدث عن غرب فريد بقيم خاصة، يرى أن محاولة تعميم هذه القيم هو فعل لا أخلاقي، إذا ما أصبح مشروعا يستند إلى القوة والإكراه...إنه يدعو إلى ضرب من التجنيس الثقافي، فالقيم الغربية حتى ولو تبناها مجتمع بملء إرادته، فإنه لن يحقق بذلك سوى تمزقٍ في الهوية"[1].

وعليه، فقد وجهت إنتقادات كثيرة لهنتنجتون ولأطروحته، سواء من حيث بناؤها الفكري والإيديولوجي، أو بناؤها العلمي والمنطقي، أما هنتنجتون فقد تلقى انتقادات، سواء من طرف الفكر العالمي بما فيه الفكر الإسلامي، أو حتى الفكر الغربي ذاته، فهناك مغالطات تاريخية حملتها أفكاره التي تنظّر للصدام، كما أنه لم يؤسس موقفه على الحتمية التاريخية بمعناها الصحيح، والتي ترى أن التعاقب الدوري للحضارات حقيقة تاريخية، وأن هذا التعاقب لم يكن بسبب صراع أو صدام أو إفناء حضارة لأخرى، كما أن تطور حركية التاريخ تثبت أن الحضارات تراكمات، وأنها تشارك كلها في صنع السلم الحضاري للإنسانية، وليس الإبداع الحضاري حكراً على حضارة دون أخرى، كما يرى بعض الباحثين أن أطروحة هنتنجتون مبنية على نزعة عنصرية، والتي ترى في الجنس والرجل الغربي على أنه رجل حضارة، والباقي فهم مازالوا في طور البداوة والتخلف، نظرا إلى عدم قدرة حضاراتهم على الفعل المحرك للحضارة والتاريخ ألا وهو الإبداع، وهذه الأطروحة تفتقر إلى ميكانيزمات التفسيرات العلمية الصحيحة، سواء لظهور أو تطور الحضارات، كما تنفي العلاقات التي كانت موجودة فعلا بين الحضارات كالحوار والتعايش، فهي بالتالي تنظر إلى الحضارات من زاوية واحدة هي زاوية الصراع فقط من أجل حماية الهوية الغربية، ومن ورائها حماية مصالح الحضارة الغربية ومنه ندرك "أن نص صدام الحضارات، يعكس بكل وضوح مركزية الحضارة الغربية، بمعنى الانحياز ثقافيا وقيميا للحضارة الغربية ومصالحها الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، ولا شيء غير المصالح الغربية"[2].

ومن هنا، جاءت أفكار هنتنجتون كنتاج لفكرة الصدام وتكريسه، وهذه الأفكار بدأت بضرورة وضع نظام عالمي تسيطر عليه الحضارة الغربية وتهيمن فيه قيم الغرب، وهذا النظام يقوم على

1- هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 114.

2- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق ، ص 35.

مؤسسات وهيئات من وضع الغرب، وبالتالي إعادة تشكيل السياسة الكونية وفق منظور غربي لتكريس الأحادية والمركزية الغربية، "والإشكالية في مقولة هنتنجتون كما نعتقد، هي تلك الرؤية الأحادية للاختلاف، حيث يرى أن الاختلاف الثقافي دليل الانقسام والتصارع"[1].

وبما أن هناك نظرة أحادية للعالم تريد أن تهيمن، في حين الإقرار بالتنوع والتعدد الثقافي هو ما سيقود إلى الصراع بين الحضارات، من هنا جاءت الدعوة الغربية الى حضارة واحدة لعالم واحد، وليس الهدف من ورائها حضارة إنسانية، تشارك فيها كل الحضارات، بل التنظير لكي تصبح حضارة الغرب هي الحضارة العالمية الوحيدة، وما على الباقي إلا اتباعها والاقتداء بها، مادامت تمثل البراديغيم الأعلى للإنسانية.

فهناك نظرة ضيقة إلى باقي الثقافات والحضارات، فرضتها شمولية وعولمة الحضارة الغربية وقيمها وجعلت باقي الحضارات تدور في فلكها ولم تستطع التحرر منها، إلا القليل من يحاول أن يجد له مكاناً في الكوكبة العالمية وأن يعبّر عن قيمه وخصوصياته الثقافية، وفقا لمبادئه وامتدادات جذوره الحضارية كالحضارة الصينية والإسلامية، إلا أن هذا جعلهما في نظر الغرب محاولة لشق عصا الطاعة ومنافسة الحضارة الغربية، فنتج ما يعرف بصدام الهويات، إن"هنتنجتون لا ينظر هذه النظرة الواسعة إلى الحضارات والثقافات الإنسانية، بحكم رؤيته الأحادية وأحكامه المسبقة أو المدفونة، وإن كان أعطاها البعد الإستراتيجي والتخطيط المستقبلي، واستنتاج هذه الفرضية الشمولية لصدام الحضارات والهويات"[2].

إن رفض قيم الغرب، ليس لأنها من إنتاج الغرب، بل لأنها تحمل قيما باطنة تعبّر عن روح الحضارة الغربية، في حب الهيمنة والسيطرة، وروحها المسيحية وإعتقادها برسالتها المقدسة، ومن خلال هذا تعتبر التبشير بالقيم الحضارية الغربية واجباً مقدساً، وترى في قيم باقي الحضارات أنها لا تعبّر عن الإنسانية، بل إنها لا تحمل قيما أصلا، إنه الغرور والتعالي بل والوهم الغربي، رغم أنه يؤمن بأن الاختلافات بين بني البشر لا يمكن تغييرها، وأن الناس لا تهمهم قضايا الاقتصاد والسياسة بقدر ما تهمهم الهوية والدين والثقافة، وما على هنتنجتون وفكره الغربي إلا أن يفهم بأن هناك اختلافاً بين الإيديولوجيا والثقافة والحضارة، فإذا كان بالإمكان هزيمة إيديولوجيا ما، فإنه ليس بالإمكان هزيمة حضارة وقيم وثقافة ما، وهنتنجتون نفسه يعترف أنه في التاريخ لم توجد حضارة أفنت أخرى، مهما كان بينهما من صراع وحروب، ومن هنا كانت "الرؤية الأخرى لهنتنجتون، فتقول إن الخصائص والفروقات أقل قابلية للتبديل...كذلك أن الحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى في التاريخ واللغة

1- عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب، ما بعد 11 سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص ص 19 _ 20.

2- المرجع نفسه، ص 20.

والثقافة والتقاليد والدين، وأن هذه الاختلافات أكبر بكثير من الاختلافات الإيديولوجية السياسية، إذ كان السؤال أيام الحرب الباردة أين تقف؟ ومع من تكون؟ أما السؤال الآن فهو من نحن؟ ومن هم؟"[1].

إنه سؤال تحدد من خلاله الشعوب انتماءاتها الحضارية، متجاوزة السؤال الذي يحدد الانتماءات الإيديولوجية، هناك منطق يحتكم إليه الغرب، مبني على فلسفة الأنا والآخر، يقول هذا المنطق إن لم تكن معي فأنت ضدي، وهي في الحقيقة أغلوطة، لأنها لا تنظر إلى التمايزات والاختلافات في البنى الأساسية للحضارات والثقافات، وتضعها في مرتبتين تبدوان متناقضتين، ويجب ألاّ نزن الأشياء بمثل هذا الميزان، ولا يمكن أن نكيل بمكيالين، إن الحضارات كيانات متمايزة، تعبّر عن هويتها الحضارية والثقافية بطرقها وأساليبها واستقلالها، وإنها ترفض التنميط والثبات، فهي متنوعة متطورة متغيرة، كما أنها تتفاعل وتتأثر بعضها ببعض، ومهما وصف الغرب الحضارات بالآخر أو الباقي أو الغير، فإنه لا يمكن إلغاء وجودها وقيمتها ودورها في تاريخ الإنسانية، ومن هذا فإن "فكرة الصراع كامنة في عقلية الغرب حتى مع نفسه، وعلى قاعدة "الأنا والآخر" والغرب ضد الباقي، كما طرحها هنتنجتون في أطروحته...والشيء الذي ربما نسيه هنتنجتون أو تناساه...أن التاريخ أثبت أن الإرادات الإنسانية لا يمكن إلغاؤها، أو كبحها بصورة نهائية"[2].

فالحضارات تعبّر عن نفسها بقوة ثقافاتها وبكينوناتها المتمايزة، وهي تسعى لأن تجد لها مكانا في عالم التزاحم الحضاري، وأن تشارك بالتالي في تقدم الإنسانية، وتجاوز محنها وأزماتها الثقافية والأخلاقية، ومن هذا تدخل في حوار مع ذاتها ومع غيرها، متجاوزة الصيغ الثنائية التي تضعها في قفص وتحُد من تفتحها وتحررها، ومن هذا "تعبّر الصياغات الاختزالية "الغرب والإسلام"، "الحضارة والهمجية"، "نحن وهم"، "العالم المتحضر والإرهاب المتوحش"، عن تصور ثنائي مشوه للعالم واضعة أنموذجين من الخطاب هما: خطاب الحضارة المرتبط بالقيم الإيجابية من خير وحرية وديمقراطية وحقوق الإنسان، وخطاب التوحش الذي ينقل القيم السلبية من شر واستعباد واضطهاد واستبداد"[3].

ومن الذين حاوروا هنتنجتون في كتاب مشترك، نجد كيشوري محبوباني، الذي يضع أطروحة صدام الحضارات وصاحبها موضع نقد، حيث ينتقده متسائلا عن الحضارات التي يرى فيها هنتنجتون أنها تشكل تحديا، لماذا؟ وهي كانت جنبا إلى جنب منذ زمن طويل، لماذا اليوم فقط تحمل هذا التحدي وذاك الخطر بالنسبة إلى الغرب؟ ربما التفسير الوحيد على حسب كيشوري محبوباني، أن الأطروحة تحتكم إلى فلسفة النهايات في الفكر الغربي، وترى في الحضارة الغربية نهاية للتاريخ، ليس بالمفهوم الفوكويامي، بل بالمفهوم الهنتنجتوني، بمعنى أن قيم الغرب تعبّر عن أرقى ما وصلت إليه الحضارات

[1]- عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب، ما بعد 11 سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، ص 24.

[3]- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص 15.

وأنه لا يمكن إلا أن تكون بالتالي عالمية وكونية، وأن تعبّر عن شموليتها ومطلقيتها في الحضارات بل إن تلك القيم هي ما سيحافظ على تفوق الحضارة الغربية دوما، متناسيا الحركية والتغير التاريخي بل والحتمية التاريخية، فكل الحضارات تكون قد مرت بمرحلة العالمية، إلا أنها انتهت إلى التراجع أمام قيم حضارية جديدة صاعدة، والحضارة الغربية بقيمها مهما وصلت إلى العالمية، فإنها ستخضع لنفس منطق التاريخ، ومن هنا يقول كيشوري محبوباني: "لقد تقاعس هنتنجتون عن طرح سؤال واضح إذا كانت الحضارات الأخرى تحيط بنا منذ قرون كثيرة، فلماذا تشكل تحديا الآن فحسب؟...يفسر هذا العيب جزئياً الاندفاع الأخير لتبني الافتراض القائل أن التاريخ قد انتهى بانتصار النموذج المثالي الغربي: إن الحرية الفردية والديمقراطية ستضمنان دوما بناء الحضارة الغربية في مقدمة الجميع"[1].

ولا يمكننا تجاوز حقائق التاريخ الذي أثبت أن الحضارات في مسارها التاريخي، قد تفاعلت وتباينت واختلفت وحدثت بينها نزاعات، إلا أنها كانت دائما أقرب إلى فرص التسامح والحوار والتعايش ونبذ الصدام والعنف، وحتى تلك النزاعات كانت تحكمها مقتضيات وظروف عابرة، ولهذا فإن الدعوة الحضارية كانت دعوة للحوار والتواصل، وليس للقطيعة والانفصال والصدام، ومنه فبناء مصطلح الصدام في حد ذاته قد خضع للإيديولوجية الغربية، وتأولاتها الحضارية والقيمية، حيث "إن استعمال كلمة صدام تعني "أنه يحق للحضارة الغربية، أن تقوم بما يمكنها من القيام به تجاه أية حضارة أخرى تراها تكون تهديدا عليها، إن الصدام (Clach) بعقلية الغرب الأورو_أمريكي لا توقفه موانع أو محظورات أو مقدسات، بل تسيره عقلية براغماتية ذرائعية "[2].

ومن هذا يصبح الصدام مفهوماً غير حضاري، بل ومدمراً، لأنه يحمل النفي للآخر وضرورة إقصائه، كما أنه يقف ضد كل ما هو إنساني ومشترك، من حيث إنه يدعم حضارة واحدة، ألا وهي حضارة القوي، حيث تشعر فيه باقي الحضارات بالتهميش والإقصاء، ومن ثمة الاغتراب الثقافي والهوياتي عن عالم أصبح فيه للثقافة دور اللاعب الأساسي في السياسة العالمية، وبهذا تتراجع أكثر الحضارات الضعيفة وتقوى الغربية، وبالنظر إلى الحضارة في حد ذاتها، فإننا نقول بأنها كيان حيوي متغير لا تعرف الجمود والثبات، ومهما بلغت الحضارات من رقي أو من تدنٍ، إلا أن أصحابها لا يتوقفون عن الاعتزاز بها والدفاع عنها، والتمسك بالتالي بهويتهم الثقافية كمرتكز للهوية الحضارية والتي يمكن أن تكون القاعدة والأساس في البناء الحضاري، ولهذا "فإن الحضارة _أي حضارة_ لا يمكن أن تكون تكوينا متجانسا وجامدا...مع التأكيد أن ذلك لا يلغي اعتزاز أتباع مختلف الحضارات

1- عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص 35.

2- حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، مرجع سابق ص 26.

بحضارتهم ومحاولاتهم تحديد عناصر الثبات في هويتهم، لأن جميع الحضارات تحتوي على عناصر تناقص وانسجام وتمايز وعالمية"[1].

ومن الباحثين من يرى أن أطروحة هنتنجتون، قد كشفت الوجه الحقيقي للفكر الغربي، كما كشفت أقنعة العولمة، وهذا الوجه عبّر عنه في تفسير الحضارة الغربية، لكل ما يحدث في العالم، وما سيحدث إنه يتم في إطار من الصراع الحضاري وبالتالي، على الحضارات أن تحضّر نفسها لصراعات أكبر وأقوى على المستوى العالمي، قد تؤدي إلى زوالها وأفولها، وهذا هو المنطق الحضاري الذي تحتكم وتسير عليه الحضارة الغربية، "إن نظرية صدام الحضارات كانت بمثابة مكاشفة حضارية خطيرة أسقطت كل الأقنعة"[2].

أما **محمد السماك**، فيرى أن أطروحة صدام الحضارات هي استمرار للصراع الإيديولوجي الذي كان بين الغرب والشرق أو الاتحاد السوفياتي، إلا أن الاختلاف بينها، انتقل من صراع محدود وبين كيانات أصغر، أي بين دولتين إلى صراع أشمل وبين كيانات أكبر ألا وهي الحضارات، حيث يقول "لا تختلف هذه النظرية الصراعية أو الصدامية عن صورة الصراع، الذي كان قائما طوال عقود الحرب الباردة، إلا من زاوية واحدة وهي إضفاء بعد أشمل على هذا الصراع من خلال استبدال الدولة الوطنية بالمجموعة الحضارية التي تنتمي إليها الدولة المعنية"[3].

وعليه، فإن الغرب قد حمل الصراعات من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي، وهنا نلاحظ أن خوف الغرب من أن تنتقل تلك الصراعات داخل الحضارات إلى صراعات عالمية، بل وتنتقل إلى حضارته، جعله ينقل مستوى الصراع، وينبه إلى أن الثقافات غير الغربية تريد اختراق الثقافة الغربية إلا أنها لا تقوى على ذلك، بل إن العكس هو ما حدث وسيحدث، وهنا تقف الثقافات موقف رد فعل تجاه الغزو الثقافي الغربي فتظهر بداخلها تيارات منها ما يدّعم الإنتماء إلى الغرب، ومنه من يرفض فتحدث أزمات هوية، وهنا فقط تستعيد الحضارة الغربية قوتها وهيمنتها، ولهذا قيل عن الفكر الغربي إنه فكر لتسيير الأزمات، فهو يملك الميكانيزمات للتعامل مع كل المشكلات في العالم، بل وتحويلها إلى باقي الحضارات والاستفادة منها وحده، كما حدث في الحربين العالميتين، وكما حدث في الحرب الباردة، وكما يحدث اليوم في كثير من الدول والحضارات، فلأطروحة صدام الحضارات "رؤية

---

[1]- حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، مرجع سابق ص 46.

[2]- عطية فتحي الويش، واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 2003 ص 24.

[3]- محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 153.

ماكروسوسيولوجية مكثفة حول الثقافات، فلا يمكن وضع خرائط للثقافات، فهي متعددة تتحرك تتقاطع وتتشكل باستمرار "[1].

كما أنها أُتهمت بأنها تحمل متناقضات وتنبؤات مستقبلية، مبنية على معطيات غير واقعية وتعتمد على منهج سمي بالمنهج الاختزالي، نظرا إلى اختزالها الحضارة في الحضارة الغربية، والتاريخ في التاريخ الغربي، وادعائها أن من يصنع التاريخ اليوم هو الغرب دون باقي الحضارات، رغم أن موضوع العلاقات بين الحضارات وتحديد طبيعة تلك العلاقات، يحتاج إلى منهج يدرك جميع أبعاده المتشابكة وامتداداته المختلفة، فهو موضوع ذو أبعاد مختلفة، وبالتالي لا يمكن أن نفسره من زاوية واحدة.

كما أن الحضارات، رغم أنها كيانات ثقافية، إلا أن ذلك لا يعني أنها في معزل عن الدول وأنظمتها السياسية، فهي تتأثر بالقرارات التي تتخذ على مستوى الدول سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ومن هذا فهي لا تمتاز بالستاتيكية، بل بالحيوية والتغير والتعبير عن الامتدادات المختلفة لأمة ما، وعليه كان" الانتقاد الرئيسي لأطروحة هنتنجتون هو طابعها الحتمي، الذي يثبت الحضارات في أبدية تاريخية مستقلة عن الأنظمة والخيارات السياسية"[2].

كما رأى البعض أن هذه النظرية تقوم على الجهل بطبيعة الحضارات والثقافات وخصائصها الجوهرية، وهو ما يراه **محمد أركون*** عندما وجه نقدا لنظرية هنتنجتون، واصفا إياها بأنها تجهل كثيراً من الحقائق والمقومات التي يجب أن تعتمد في تفسير طبيعة الحضارات والعلاقات فيما بينها، كما أن هنتنجتون يصنف الحضارات على أساس واحد فقط، ألا وهو الدين، وهذا يعدّ قصورا في الولوج إلى طبيعة الحضارات، "ولعل أكبر خلل نظري تعاني منه الأطروحة، يتعلق بمعايير وطبيعة تصنيف هنتنجتون للحضارات، حيث يتميز تصنيفه بالخلط الشديد بين مفاهيم متميزة كالحضارة، الدين الإنتماء الجغرافي أو الإثني"[3].

وهناك تفسير غريب للحضارات، فمرة يعتمد هنتنجتون المعيار الديني والثقافي، ومرة يعتمد معيار اللغة والتقاليد والتاريخ، وما يفهم من هذا أن الحضارات تتمايز وتختلف في المحددات الرئيسة التي بنيت عليها، والتي ترتكز عليها في أي حركية وفاعلية بداخلها، أو مع الحضارات الأخرى التي تختلف عنها، فمن المعايير ما هو موضوعي، ومنها ما هو ذاتي، وإن عدم التمييز لدى هنتنجتون بين هذه المعايير جعله يقع في خلط منهجي بين الحضارات، وعدم إدراك الاختلافات الجوهرية بينها ومحاولة

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 60.

2- المرجع نفسه، ص ص 60 _ 61.

* محمد أركون (1928_2010) مفكر جزائري، من أهم مؤلفاته: الفكر العربي.

3- المرجع نفسه، ص 64.

تحديدها بمحددات متناقضة، وكذلك فإنه يربط بين القوة والمصالح ويسميها بالحضارة، كما أنه يشير في أحيان أخرى إلى أن الحضارة هي ما يحدد الثقافة، وهذا كما قلنا في بداية الفصل الأول أن هنتنجتون لا يميز بين الحضارة والثقافة، وهنا يجعل من الثقافة تعبيراً عن الجنس أو العرق، وهذا تصنيف عنصري، وأكثر من ذلك يعتبر القيم الثقافية المعبّرة عن مجتمع ما أنها ثابتة، وبالتالي غير قابلة للتطور أو الزوال، ومن ثمة تبقى جميع الحضارات ما عدا الغربية بدائية وترتبط بأجناس متخلفة وماضية، ومنه فإن "أطروحة صدام الحضارات، قائمة على افتراض أن الحضارة هي مكّون وعنصر محدد لثقافة وقيم المجتمعات بشكل ثابت وأزلي، وهذا ما جعلها محل انتقادات بصفتها تنطوي على نزعة عرقية تكرس وتعمق الخلافات والانقسامات بين الثقافات والشعوب، وذلك بتبنيها لفكرة الحضارات ككيانات ما فوق تاريخية، وككتل لها طبائع ثابتة متجانسة غير قابلة للتحول بفعل الزمن والمكان"[1].

وكما عبّر إدوارد سعيد في نقده لهنتنجتون، أن هذا الأخير يريد أن يجعل من الحضارات كيانات مغلقة، وأنها بالتالي تقوم على الثبات الهوياتي، ومن ذلك فهي غير قابلة للتغير والتحول، أما إذا عدنا إلى الفكر الغربي، فنجد كثيراً من مفكري الغرب قدموا انتقادات كبيرة لهنتنجتون وأطروحته، فاعتبر البعض أن هذه الأطروحة تزيد من حدة التوتر بين الحضارات، في حين نحن بحاجة إلى السلام والأمن لبناء الإنسانية، والانتباه إلى ما يصيبها من مخاطر وأمراض وفقر، وكل المشاكل التي نتجت بعد أن حوّل الإنسان اهتمامه من ذاته إلى خارج ذاته وابتعد عن إنسانيته، وأصبح مركز اهتمامه ما هو مادي معتقدا أن السعادة تكون حيث يكون، وهنا يقول غراهام فولر: "إن الصدام الحضاري لن يكون حول المسيح أو كونفوشيوس أو الرسول (ص) بل على سوء توزيع الثروة والقوة والتأثير""[2].
فالقضية إذن هي قضية مصلحية تتغطى برداء الثقافة والحضارة، فالفكر الغربي انطلق من قاعدته المشهورة أن من يملك المعرفة يملك الثروة والقوة، وعلى اعتبار أن الحضارة الغربية هي الحضارة المنتجة للمعرفة ولوسائل القوة، فهي إذن من يملك الهيمنة وعالمية القيم وكونيتها، وإن الحضارات الأخرى مجرد مستهلكة لكل ما تنتجه هذه الحضارة، ولا تستطيع بالتالي أن تتحرر من إسارها، وما توظيف الغرب لتلك المقومات، إلا من أجل أن يوجه تركيز فكر الحضارات لما هو ثقافي والتغاضي عما هو مادي، والدليل هو الاحتلال الغربي لبلدان تلك الحضارات واستنزاف خيراتها التي كانت من بين أكبر الأسباب في ظهور حضارته الحديثة والمعاصرة، وإن انشغال الناس في باقي الحضارات بصراعاتهم ونزاعاتهم في صالح الغرب، وهنا يقول أحد مفكري الغرب عن هذه المقومات ألا وهو

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 68.

[2]- المرجع نفسه، ص 74.

هنري شانك (Henry Chang) : "إن الدين هو بمثابة وقود، وليس بمحرك للصراعات التي هي في غالبيتها سياسية قومية أو بكل بساطة هوياتية""[1].

فالقيم المادية في الغرب أصبحت أكثر توحشا، بما أنها استطاعت أن تلغي القيم الروحية الإنسانية، وأن تفقدها حيويتها ومكانتها في المجتمعات الغربية، وهو ما يوحي به الانهيار الروحي والأخلاقي للغرب، وأن عداء الغرب لباقي الحضارات في حقيقته هو عداء لقيمها السامية العليا، لأنها عرفت كيف تحافظ عليها ولم تفقدها، لا باسم الحرية ولا فصل الدين عن الدولة، ولا باسم حقوق الإنسان والقانون ولا غيرها، فقد أصبحت تلك القيم بالمنظور الغربي نقمة على حضارته، بل قد تكون سببا في زواله وأفوله.

ورغم أن هنتنجتون يقر بوجود عالم متعدد الحضارات، إلا أنه دائما يضع الغرب في كفة، وباقي الحضارات في كفة أخرى، إذن هناك ثنائية تسيطر على الفكر الغربي، فبعد أن زال الطرف المنافس بعد الحرب الباردة، وجد الغرب نفسه في أحادية قطبية، إلا أن تلك الأحادية من الناحية الإستراتيجية ليست في مصلحته، حيث بدأ في البحث عن عدو جديد لحضارته، تتقوى به حضاريا وهوياتيا، ويكون دافعا للحضارة الغربية للوحدة والفعل، على أساس أنها تقوم على رد الفعل، فمرة يضع الغرب نفسه في مقابل الباقي، ومرة تجاه الإسلام والصين، وهنا يقول المسيري: "لو دققنا النظر لوجدنا أن التعددية التي يطرحها هنتنجتون واهية زائفة، إذ تظل الثنائية الصلبة برأسها، فالعالم ينقسم إلى قسمين اثنين الغرب من ناحية، وبقية العالم من ناحية أخرى"[2].

ومن مفارقات الفكر الغربي، أنه يؤمن بمبادئ لا يطبقها ولا يحترمها، فالديمقراطية التي تعني في بعض معانيها القبول بالآخر والحوار معه، لا تمارس إلا في الشكل الذي يريده الغرب، فهو يؤمن بالديمقراطية، لكنه يرفض الحوار ويرفض الآخر، كما يرى أن العالم مشكّل من ثقافات مختلفة، إلا أن الفكر الذي يؤمن بالتواصلية، كما يقول يورغن هابرماس يرفض التواصل مع الآخر المختلف، إنها قيم ومبادئ على المقاس، أي على مقاس الحضارة الغربية وتطبيقاتها على الباقي، تخضع لمكيالين أو معيارين مختلفين، ومن أكبر ما سبب هذا التناقض في الفكر الغربي، هي فكرة المركزية والانغلاق على الذات، ورفض التعدد الثقافي، والانحياز الفاضح للحضارة الغربية، والإيمان بالأحادية العالمية ورفض الآخر، إنها السمات السلبية الغالبة على الفكر الغربي، والذي عجز عن التحرر منها، رغم ادعائه الحرية ورغم تأسيسه لفلسفة النقد الذاتي، إلا أن الفكر الغربي ما يزال أسير ذاته ومركزيته ووحدويته، ومن هذا نجد أن "صموئيل هنتنجتون بحكم عدائه للديمقراطية، هو عدو للحوار، إذ يرى أن

---

[1]- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 75.

[2]- عبد الوهاب المسيري، نقلا عن غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق ص 206.

العالم هو فعلا متعدد الثقافات والحضارات، ولكنه لا يؤمن بالتواصل بين تلك الثقافات والحضارات ويعتبر أن كل حضارة تشكل كلا منفردا، ويكاد يكون منغلقا على ذاته، رافضا أي اندماج أو أي تكامل مع الثقافات المقابلة، فالتعدد الثقافي بالنسبة لهنتنجتون ليس نعمة، بل نقمة لأنه يحمل في ذاته بذور الصراع وربما الانفجار، وعلى الغرب اليهودي المسيحي أن يكون على أتم الاستعداد بالرفع من كفاءته العسكرية والقتالية تحسبا لأية مواجهة مع الحضارات المعادية"[1].

فالتعدد الثقافي بالنسبة إلى الغرب، هو وضع الغرب في بؤرة التفكك والصراع داخل حضارته ومن هنا جاء الرفض لفكرة التعدد الحضاري، كما أن ذلك يفتح المجال لباقي الثقافات المهمشة داخل الغرب، بأن تؤكد هويتها وتطالب بحقوقها الثقافية، مما يخلق عالماً جديداً داخل الغرب، ويؤدي إلى خلق مجتمعات موازية للغرب داخل الغرب، وهذا قد يقود إلى نزاعات إثنية ودينية، فتكون إذن المنطلقات الحتمية لتفكك الغرب، ولهذا نجد هنتنجتون يحذر من الهجرة، خاصة من العالم الإسلامي الذي يعرف انفجاراً سكانياً كبيراً.

والواقع أن الثقافات لا تتصادم مثلها مثل الحضارات، بل تتلاقح وتتفاعل وتؤثر بعضها في بعض، لأنها تعبّر عن أفكار ومشاعر الناس وتصوراتهم في الحياة اتجاه الكون والطبيعة والله، وإن من سنن الله في خلقه أن جعلهم شعوبا وقبائل من أجل التعارف والتواصل والتحالف، ضد قوى الشر في الكون، فكلما أدركت البشرية سر الوجود، كلما اتجهت بفكرها وفعلها وحضاراتها نحو الخير وقاومت بالتالي الشر، ولا يمكن أن نقول بأن ثقافة ما تحمل الشر والعنف في طبيعتها، إنه تفسير عنصري لا ينطبق على الثقافات وأهلها، لأن "أهل هذه الثقافة أو تلك، لا يصادم بعضهم بعضا بسبب اختلاف ثقافتهم وحضارتهم، وتصورهم للحياة والكون، وليس صحيحا أن ثقافة أو حضارة ما تحمل في داخلها عنفا أو عدوانية لثقافة أو حضارة أو لجماعة من البشر"[2].

وكل ما حدث في تاريخ الحضارات، أن الشعوب قد امتزجت ولا يوجد جنس صافٍ كما يقول العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، أما صور العنف والقتل والحروب والدمار، فهي موجودة في بني البشر لحبهم للسيطرة والثروة والملكية والسلطة، فهناك تدافع حضاري يكون السبب في تحرك عجلة التاريخ وتغيرها، أما ما تعرفه البشرية اليوم من عنف وغيره، فإنه يعود كذلك إلى التنافس على المصالح الجيوإستراتيجية ومحاولة التموقع عالميا، زد على ذلك تسخير ما وصل إليه الإنسان في ميدان العلم والتكنولوجيا في أمور ضد الإنسانية، مما زاد من همجية الإنسان لا من حضارته ورقيه وإن انقسام الحضارات وتمايزها ثقافيا، لا يجعلها في صدام أو عنف، بل ينظم الروابط فيما بينها إذا إنطلقت من فلسفة الحوار والتواصل، وعندما "جاءت مقولة صدام الحضارات، وكأنها تبشر بعصر أشد خطورة من عصر الحرب

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 59.

2- وجيه كوثراني وآخرون، صدام الحضارات_ صدام الحضارات أم إدارة أزمات_ مرجع سابق، ص 97.

الباردة، وبانقسامات حادة على مستوى الحضارات...وتجدد الاهتمام بمقولة حوار الحضارات باعتبارها المقولة التي تقوم بدور النقيض، والمقابل لمقولة صدام الحضارات"(1).

إلا أن الحوار كما ذكرنا آنفا، افتقد لميكانيزمات حضارية، كما أن الطرف القوي ليس له استعداد للحوار مع الباقي، وكأنه يقول باستقلالية حضارته، وعدم حاجتها إلى الآخرين، مادامت مكتفية حضاريا بذاتها، وهذا هو التقوقع والانطواء على الذات، بل إنها تنفر من أي حوار أو تواصل، مخافة اختراقها من الداخل وتصورها أن ذلك يقودها إلى التفسخ والانحلال، وبالتالي فإنها بذلك تقوم بحماية ذاتها من الآخر الذي يمثل خطرا عليها، "إن خطأ هنتنجتون يكمن في كونه يفترض خطأً أن تاريخ الحضارات والثقافات يقتصر على آلية مع حدود دقيقة لا يمكن تجاوزها في الزمان والمكان، لا علاقة لها بالماضي ولا إشعاع لها في المستقبل، وفضلا عن هذا لم تبرز أية حضارة أو ثقافة بطريقة مكتفية ذاتيا، لم تستخرج من ذاتها وحدها التقدم أو تنجز تطورات حاسمة دون حوار وتبادلات واتصالات"(2).

إن رؤية الحضارات بمنظار تاريخي على أنها كيانات ثابتة جامدة لا تتغير، هي رؤية غير علمية وغير صحيحة، واعتقاد أن الحضارة الوحيدة التي تتغير مع معطيات الواقع هي الحضارة الغربية، وبالتالي هي من تصنع التاريخ، هو تحيز واضح للحضارة الغربية، فمن أين استمدت الحضارة الغربية أصولها؟ هل وجدت في التاريخ دون وجود باقي الحضارات؟ إن الإجابة تقول مع علماء الحضارات وتاريخها، أنه لا توجد حضارة وجدت من عدم، ولا وجود لحضارة مكتفية ذاتيا، إن كل حضارة استفادت من باقي الحضارات التي سبقتها أو التي عاصرتها، والادعاء بعكس ذلك ينم من فكر وأفق محدود، ويوقع مثل هذا الاعتقاد في سراب الخلود كما يقول توينبي، وهو ما حصل لهنتنجتون، حيث "يبدو أن صموئيل هنتنجتون...وجد أن حضاراته كاملة ومتماسكة، تحت سماء خالدة وهذه الحضارات التي دفنت حية كما حدث خلال سنوات الحرب الباردة...نهضت فور إزاحة الحجر من عليها ونفضت الغبار عن نفسها وشرعت تطالب أتباعها بالولاء لها، وقد بدت الحضارات على الدوام لدارس التاريخ والثقافة مخلوقات تتسم بالفوضى...لكن هنتنجتون يتغافل...ويحدد أين تنتهي حضارة ما وأين تبدأ براري حضارة أخرى"(3).

وبهذا تحتكم أطروحة صدام الحضارات إلى منطلقات وأسس سياسية ثقافية حضارية فكرية إيديولوجية، رغم أن الفكر الغربي أعلن نهاية عصر الإيديولوجيات بعد انهيار الشيوعية، وأن الآليات التي تحتكم إليها هذه الأطروحة تنم من فكر يريد أن يصل إلى المطلق المستحيل، يحمل في طياته

1- زكي الميلاد وآخرون، تعارف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ط1، 2006، ص 18.

2- مصطفى شريف، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، _تحليل نقدي لكتاب صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون_ الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ج1، (د ط)، 2003، ص 56.

3- فؤاد عجمي وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها_الإستدعاء_ مرجع سابق، ص 41.

تصورات عن الذات وباقي الحضارات لا تلتقي، كما أنه يريد أن يخلق أعداءً، وبالتالي فإن الفكر الغربي يبحث عن المركزية الكونية، وأن يشد جميع الأنظار إليه، على أنه صانع للحضارة المعاصرة وصانع للتاريخ وباقي الحضارات متفرجة ومستهلكة، وما عليها إلا أن تأخذ بقيمه وحضارته باعتبارها النموذج الأوحد، إلا أن الخيوط الداخلية للأطروحة بعد تفكيكها، توضح أن الهجوم على الحضارات والثقافات، ليس الهدف منه هو تلك الثقافات والحضارات، وإنما من أجل الحفاظ على المصالح فالصدام إذن صدام مصالح ليس إلا، وهو ما تؤكده "المنطلقات السياسية والفكرية لنظرية صراع الحضارات وآلياتها، يوضح أنها رؤية فكرية إيديولوجية بالإضافة إلى سياقها العام، وارتباطها الوثيق بالحاجة إلى ملء الفراغ السياسي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، إنها نظرية تعكس بوضوح مركزية الحضارة الغربية وتجسد انحيازاً ثقافياً وقيمياً إلى الحضارة الغربية ومصالحها الإستراتيجية والسياسية الاقتصادية والعسكرية والثقافية"[1].

ويرى بعض الباحثين والدارسين لأطروحة صدام الحضارات، أن هنتنجتون قام بالتهجم على بعض الحضارات دون أن يتعرف عليها حقيقة، حيث حكم عليها من خارجها لا من داخلها، وحتى مظاهرها الخارجية لا تعبّر فعلا عن جوهرها، على أساس أن من صنع صورة هذا المظهر هو الغرب ووسائل الإعلام الغربية، التي تحارب الإسلام دينا وثقافة وحضارة، نظراً إلى سيطرة أطراف خفية عليها وعلى الفكر الغربي وتوجيهه الوجهة التي لا تعترف إلا بحضارة وحيدة في عالم اليوم، وإن الحكم على الحضارات بتلك الأحكام، ليدل على عدم قراءتها معرفيا ولا حضاريا ومنها الإسلام وإصدار أحكام بخلفيات حضارية وعرقية مرفوضة، وعليه فإن "هذه النظرية لا تقوم على أدنى أساس من المعرفة بأسس الإسلام السلمية وموقفه من الحضارات والثقافات الأخرى، لأنها نظرية تكرست في أجواء من الحيطة والحذر من قوة الإسلام الروحية ومبادئه، مما مكن من إبداء نوع من الكراهية والحقد تجاه حضارة الإسلام"[2].

وإن من بين مبادئ الإسلام وموقفه من الحضارات، أنه دين لا يؤمن بالصدام، بل بالتدافع والتعارف الحضاري، ولا أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم، التي تثبت ذلك، وعيب الفكر الغربي أنه لم يع جوهر الإسلام وحضارته، ولا مبادئه السمحة والتي تصل إلى درجة العالمية، بالحجة والبرهان والإقناع، لا بالقوة والعنف كما يعتقد الغرب، إن الصدام يحمل منطلقات لا أخلاقية، ومن المعلوم أن الإسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو الإنسانية، فهو رسالة ربانية

1- المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، مرجع سابق، ص 72.

2- حسن عزوزي، الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة وهم الصدام وحتمية الحوار، سلسلة تصحيح صورة الإسلام ط1، 2003، ص 18.

هادية إلى الطريق المستقيم، وليس الطريق الأعوج. "إن الإسلام لا يؤمن بالصراع الحضاري أو الصدام الحضاري، بل يقول بالتدافع الحضاري"[1].

ومن هذا فكما تعددت التفسيرات الكثيرة لأطروحة صدام الحضارات، واختلفت المواقف إزاءها بين مؤيد ومعارض، تعدد الانتقادات الموجهة إليها من منظور وزاوية كل مفكر وإيديولوجيته وإنتمائه الثقافي والحضاري، كما أنها تعرضت للنقد، حتى من داخل المنظومة الفكرية الغربية التي أنتجتها، من طرف بعض المفكرين الذين يؤمنون بالتنوع والتعدد الحضاري، ويدافعون على الحضارات الأخرى وحقها في تشكيل العالم، ويقفون ضد التنميط والتأحيد الحضاري الغربي، مؤكدين أن الاعتراف بالآخر وحضارته وقيمه لا يعني التنازل عن الحضارة الغربية، ولا تراجعها الحضاري، ولا حتى التبشير بفنائها ونهايتها، إن حضارة الموجة الثالثة، كما يسميها هنتنجتون، تريد أن تكتسح العالم، وكل الحضارات والثقافات، لتزرع داخلها النزاعات وتوقظ فيها النعرات وتدفعها بالتالي إلى فلسفة التصادم من أجل أن تستمد قوتها من هذه النزاعات وتلك الصراعات، وكأن الحضارة الغربية حضارة تؤمن بأن فناء الآخر أساس لبقاء الغرب، وأن وجود الآخر يتناقض مع وجوده، وهي مقابلة غير منطقية، وهذا ما يدفعها لتأجيج الحروب والصدامات الثقافية بين الحضارات، و"عندما نقول إن موضوع الصراع هو السيطرة على الرأسمال الرمزي، فذلك لكي نستبعد أي خلط مع فرضية هنتنجتون الشهيرة، التي تربط بين الصراع بين الثقافات، وبين الحرب أو الصدام العام بين الجماعات، فتجعل من الاختلاف الثقافي أو التعدد الثقافي المصدر الأول للنزاعات والحروب العالمية"[2].

ومن بين الحضارات التي يهدف الغرب إلى تفتيتها بإيديولوجيته الحضارية وتفكيكها، الحضارة الإسلامية، لأنها من الحضارات التي تحمل تحديا للحضارة الغربية، فهي من بين أهم الحضارات التي وصلت إلى العالمية، ومازال تطمع في النمو والعودة والظهور، بالإضافة إلى أنها الحضارة التي قالت لا للقيم الغربية ولا للتغريب، نعم للهوية والثقافة الإسلامية، نعم للنهوض والبعث والنهضة، وبالتالي كان خطابها الحضاري خطابا معارضا للحضارة الغربية وقيمها، ومحاولة الإسلام المشاركة في صنع النظام العالمي والسياسة الكونية، جعل الغرب يوجه هجومه الحضاري ضده، لدرجة أنه يفتعل كثيراً من القضايا للترويج لها عالميا، بأنها صادرة عن الإسلام ودوله وحضارته، ربما ما ينقص الإسلام هو الدولة المركزية التي تلم الشمل، وتقود الأجزاء والمفتت إلى الوحدة والكلية، ومن ثمة الانطلاق في العالمية والشمولية، وفق مبادئ حضارية لا خلل فيها، بل إنها تعلي من القيم الأخلاقية والروحية، ولا

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو)، (د ط) 2002، ص 40.

[2]- برهان غليون، في نقد صراع الحضارات وحوار الحضارات، في أصل التفاهم بين الأجناس، مجلة الآداب، مرجع سابق، ص45.

تحمل حقدا ولا كراهية ضد الآخر، تؤمن بالاختلاف الحضاري والثقافي، وتحترم هذا الاختلاف وتحترم كذلك التعدد، وتنبذ العنف والإمبريالية، ورسالتها عالمية، ونتيجة لهذه القيم والمبادئ اعتبر الغرب الإسلام العدو الذي يجب أن يحذر منه الغرب ويحتاط، لأن جميع الصراعات التي خاضها الغرب وخرج فيها منتصرا كانت دوافعها سطحية، إذا ما قورنت بالصراع مع الإسلام، الذي يحمل رسالة لا تموت ولا تنتهي، ويؤمن بأن نشرها واجب مقدس على المسلمين، سواء أكان ذلك بالطرق السلمية أو العنيفة، كما أن الإسلام لا يعترف بقيم الغرب، لأنه يرى فيها قيما جاءت لتضع الإنسان موضع الإله، وتبحث عن تبرير هذه الألوهية في الفكر والعلم، وتجعل منه مركز الكون، مما زاد الإنسان ابتعاداً عن جوهره وقيمه، وزاده توحشاً وانحلالاً وإبتعاداً عن الله، وأوجد الغرب إنسانا جديدا يفتقر إلى القيم والعلاقات الروحية والاجتماعية والإنسانية، همه الوحيد المادة، وأصبح العلم إلهه الجديد، ونسي في غمرة التطور العلمي من يكون.

وبهذا فإن الإسلام كرسالة حضارية ينطلق من تصحيح مسار الإنسانية، التي انحرفت وأصبحت تنظر إلى الإنسان بنظرة مغايرة للفطرة والطبيعة وتنازل الإنسان بموجبها عن إنسانيته وصار مثل الأشياء، فقد كينونته وحقيقة وجوده، وأصبح يعيش في عالم زائف ووهم، وكل هذا بسبب تجاوز الحضارات، وعدم إقرار التنوع حتى تستفيد الحضارات من بعضها وتدعم بعضها بعضا في المشتركات الإنسانية، وتضع خلافاتها ونزاعاتها جانبا من أجل الإنسان والإنسانية، ومن الخطأ النظر إلى الأديان نظرة صراع وصدام، حيث "يعتقد صموئيل هنتنجتون خطأ بأن هناك صراعا مستمرا بين الإسلام والمسيحية، وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويعتبر الصراع بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية صراعا سطحيا، إذا ما قورن بصراع الإسلام والمسيحية، وقد استعرض هنتنجتون التاريخ، لكي يثبت أصالة هذا الصراع من ناحية واستمراريته من ناحية أخرى"[1].

غن رفض الحوار والتحالف بين الحضارات سيقود حتما الى صدامها ومن ثمة الحرب بينها، نعم إن عودة الهويات في عالم ما بعد الحرب الباردة، أكد أن الصراعات في هذا العالم هي صراعات ثقافية وصدامات حضارية، حيث حاول الغرب أن يضفي مشروعية على هويته، وأن ينشر قيمه وحضارته، فبعد أن شهدنا نهاية التاريخ مع فوكوياما، بانتصار الليبرالية الغربية على المد الشيوعي ونهاية الصراعات الإيديولوجية، بدأ تاريخ جديد أعاد التشكيل الثقافي للسياسة الكونية، كما أن العالم أصبح مكوناً من ثماني حضارات على حد تقسيم هنتنجتون، وإن هذا التقسيم قد بني على معيار جديد هو الثقافة والدين، واعتبر الغرب أنه لوجوده واستمراره لا بد من نشر قيمه الحضارية وإبراز قوته بعد أن أصبح القوة العظمى في العالم، وتصور أن هذا العدو الجديد يكمن في المد الاقتصادي الصيني

---

[1]– محمد خليفة حسن، نقد رؤية هنتنجتون للصدام الحضاري، مقال نشر بجريدة الأهرام في: 30 رمضان 1422 مأخوذ من موقع: www.almualem.net .

الكونفوشيوسي والإسلامي، وعليه فقد شن حرباً حضارية ضد هاتين الحضارتين الحرب الاقتصادية على الصين، والعسكرية على الإسلام، واصفاً هذا الأخير بالدين الرجعي، والذي يدعو إلى التخلف والبربرية والهمجية والإرهاب، ولقد كانت حرب الخليج إحدى تمظهرات الحرب الصليبية على الإسلام والحضارة الإسلامية، شنها الغرب لتبرير احترام حريات الشعوب، وأن استعمار العراق للكويت يعد خرقا لهذه الحرية، في حين تحولت الحرب لتبرير امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، وأن هذا يعد خطرا على الغرب، ولقد "وصف المفكر المغربي البارز المهدي المنجرة حرب الخليج بينما كانت دائرة بأنها أول حرب حضارية، "إنها كانت حروب انتقال إلى حقبة يغلب عليها الصراع الإثني، وحروب خطوط التقسيم بين جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة"[1].

إنها الحرب الحضارية التي تحالف فيها الغرب، حتى مع دول تحسب على حضارات أخرى ضد دولة تنتمي للعالم الإسلامي، وهذا ما يبين أنها حرب حضارية باسم المصالح الاقتصادية، وإعادة الهيمنة الحضارية التي تنطلق من المصالح السياسية والاقتصادية، فمن يملك القوة يهيمن حضاريا والغرب يعتقد أنه يقود العالم ضد قوى الشر والرجعية، وأنه في الباطن يعيد بسط هيمنته الاقتصادية والسياسية من أجل حماية مصالحه الإستراتيجية، والسيطرة على مناطق النفوذ والثروة، "فكل شيء مرتبط بصراع المصالح، وبالصراعات السياسية، وعلى النقيض من أطروحة صموئيل هنتنجتون (1996) فإن حرب الحضارات ليست حربا لتأكيد الهوية (الإسلام ضد المسيحية) ولكنها صراع سياسي (من سيحصل على ماذا بأي وسائل) على خلفية التغير التاريخي (إنتاج الذات ضد إنتاج الخيرات)" [2].

فوجود الغرب متوقف على مدى قدرته على قوة حضارته، وهذه القوة متوقفة على السيطرة والهيمنة على مناطق الثروة والخيرات، إنها حرب مصالح، فالغرب يتدخل في البلدان باسم حماية الأقليات ومحاربة التطرف وحماية الديمقراطية، ولكنه بالمقابل يقوم باستغلال خيرات الشعوب، ثم يقدم لهم مساعدات باسم الإنسانية، وهي في الحقيقة من أجل السيطرة والاستغلال، ولقد وقع تدخل الغرب في كثير من الدول والبلدان، كما حدث في الحرب الباردة، عندما كان الغرب يقدم مساعدات للأفغان ليس من أجل بلدهم، بل من أجل محاربة السوفييت، وعندما انتهت الحرب الباردة، تدخل الغرب مرة أخرى في أفغانستان، ليس ضد السوفييت، بل ضد الأفغان، فصديق الأمس أصبح عدو اليوم، عندما تغيرت المصالح الإيديولوجية والاقتصادية والسياسية، ولهذا نجد كثيراً من الدول خاصة العربية والإسلامية ترفض المساعدات التي يقدمها الغرب باسم الإنسانية، لأنها في الحقيقة تفتح له مجال التدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلدان، كما تجعلها تابعة اقتصاديا وعسكريا، وبالتالي فإن نيات

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 399.

2- جان بيير قارنيي، عولمة الثقافة، مرجع سابق، ص130.

الغرب هي نشر قيمه وامتصاص خيرات الشعوب، لكي يبقي على قوته الحضارية وهيمنته الإمبريالية "ورغم أن الأفغان كانوا يحاربون السوفييت، إلا أن المشاركين العرب كانوا معادين للغرب بوجه عام وكانوا يستهجنون المساعدات الغربية الإنسانية، ويعتبرونها لا أخلاقية، بل ومدمرة للإسلام"[1].

إن الحرب الحضارية التي تقوم على إفناء أو القضاء على الآخر هي فعل حيواني، بل حتى الحيوان لا يسعى لذلك، لأنه يهاجم من أجل أن يأكل ويدافع عن نفسه فقط، فهذا الفعل لا يرقى إلى فعل الإنساني، وعليه فإن الإنسان في التاريخ والحضارة، كان يحارب من أجل حماية ذاته، أو من أجل دفع عدو، لكن إفناء الآخر ليس هدفا في حد ذاته، ومنه فإن "الحرب بين أصحاب الحضارات الحرب المطلقة (إفناء الآخر) التي هي غاية فاعلية الإنسان، من حيث هو منتسب إلى التاريخ الطبيعي في الإنسان، من حيث هو منتسب إلى الحضاري"[2].

وفي حالة الحرب الحضارية بين الغرب والإسلام، فإن هذه الحرب قد خلقت نوعاً من التحالف بين الدول الإسلامية ضد الغرب، فلم يكن هناك من مبرر للهجمة العسكرية الغربية على أفغانستان والعراق، إن الغرب يدّعي حماية العالم الحر من قوى الشر والطغيان والرجعية، ونسي أن الهمجية الغربية التي تقتل الأبرياء وتجوّع الأطفال ومساومة الدول بالغذاء مقابل البترول، هل هذه الحضارة تستطيع أن تتكلم فعلا عن القيم الأخلاقية والإنسانية، وهي تمارس كل ما هو ضد الإنسان والإنسانية؟ هل نظر الغرب إلى ذاته ولما يقوم به؟ هل نظر إلى ما تفعله إسرائيل ضد شعب أعزل؟

لقد "خلفت الحرب تحالفا مقلقا من منظمات إسلامية، عقد العزم على دفع الإسلام ضد كافة القوى غير الإسلامية...الحرب الأفغانية تحولت إلى حرب حضارات، لأن المسلمين في كل مكان كانوا يرونها هكذا...حرب الخليج تحولت إلى حرب حضارات، لأن الغرب تدخل عسكريا في صراع إسلامي، الغربيون دعّموا هذا التدخل بأغلبية ساحقة، والمسلمون في جميع أنحاء العالم فهموه على أنه حرب ضدهم"[3].

والمنطق الحضاري في الحرب، يؤمن بأن الشعوب التي تدخل في حرب أو صراع مع شعوب لا تنتمي لنفس حضارتها، فإنها تسعى للحصول على تحالف، وتسعى لأن تظهر الآخر في صورة المعتدي الذي يهدد الهوية والحضارة والقيم والدين، مما يجعل الشعوب المنتمية لنفس الحضارة تتحالف وتدفع دولها لأن تتحالف مع هذه الشعوب، كما حدث في كثير من الحروب الحضارية، ولقد شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة عودة الثقافة والدين، كعامل مشترك في مختلف الانتماءات والتحالفات الحضارية.

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 400.

[2]- أبو يعرب المرزوقي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 114.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 401.

و"من الطبيعي أن تحاول المجموعات أو البلدان المنتمية إلى حضارة واحدة، عندما تدخل في حرب مع شعب من حضارة أخرى الحصول على مساندة الشعوب الأخرى التي تشترك معها في الانتماء إلى الحضارة نفسها، ويبدو أن عالم ما بعد الحرب الباردة قد بدأ يرسو على حلول التشارك في الحضارة الواحدة، أو ما يدعوه **د.س غرنواي** ظاهرة "البلدان ذات القرابة" محل الإيديولوجيا واعتبارات توازن القوى التقليدية كقاعدة للتعاون والتحالفات الرئيسية"[1].

لقد حدثت صراعات حضارية لا تحمل في ذاتها حرباً حضارية عالمية، ولكنها في الحقيقة تعبّر عن الحرب بين الحضارات، كما حدث مع مسلمي البوسنة الذين طالهم التطهير العرقي بحجة أنهم مختلفون إثنيا أو دينيا، وبالتالي فهم خطر على الهوية الغربية من الداخل، ولهذا نرى الغرب يستعمل في مثل هذه الصراعات والحروب معايير مزدوجة، فعندما تمس هذه الحروب المسلمين فإنه لا يحرك ساكنا، أما إذا كانت هذه الحروب تمس دولة تنتمي إلى حضارته، أو كانت تمس مصالحه فإنه يحشد لها الدول والتحالفات والأمم المتحدة وغيرها.

"ويمكن أن نرى كيف ظهر بشكل تدريجي في أزمات ما بعد الحرب الباردة، سواء في القوقاز والبوسنة، أم في الخليج الفارسي، وعلى الرغم من أن أيّاً من هذه النزاعات ليس حربا شاملة بين الحضارات، إلا أن كلا منها يحتوي على عناصر تعبئة حضارية، كان يبدو أنها تكتسب مزيدا من الأهمية مع استمرار الصراع، وهي توفر عينة مسبقة لما سيحدث في المستقبل"[2].

وعليه، فقد عرف العالم المتعدد الحضارات اليوم، نوعاً جديداً من التحالفات والتعبئة الحضارية إنه ينمو ويتشكل وفق هذه التحالفات المبنية على أساس ثقافي حضاري، ويتوقع المفكرون أن الحرب القادمة إذا ما كانت ستكون فعلا حربا حضارية بين الحضارات، كما يرى المهدي المنجرة في كتابه الحرب الحضارية.

"لا تزال التعبئة على أساس حضاري حتى الآن محدودة، لكنها آخذة في النمو، ومن الواضح أن هناك إمكاناً لتوسع انتشارها إلى مدى أبعد...وستكون الحرب العالمية التالية إذا ما نشبت حرب بين حضارات"[3].

إن المصالح الاقتصادية والبحث عن مصادر الثروة والقوة، تجعل من الدول تدخل في صدامات وصراعات، ولقد زال الاحتلال التقليدي للدول الفقيرة، بعد أن تركها تتخبط في مشاكل اقتصادية، إلا أنه حافظ على مصالحه الاقتصادية، من حيث إنه جعل هذه الدول تابعة له، ولقد ظهرت حروب من نوع آخر، إنها حروب حضارية وتجارية، حيث أدرك الغرب النمو الكبير لبعض الدول والبلدان التي

1- صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص 23.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، 27.

تختلف عنه حضاريا، وحيث إنه لا يستطيع غزوها عسكريا، فإنه حاربها اقتصاديا وتجاريا كالصين حيث وضع القيود التجارية وأسس منظمات تحافظ على مصالحه، وتحدّ من هيمنة هذه الحضارات تجاريا، كما أسس لنظام اقتصادي يتماشى ومؤسساته ومنتجاته، ويساعده في السيطرة على الأسواق التجارية، كما أسس لصندوق النقد الدولي، حتى يترك باقي الدول في مديونية، وبالتالي يتحكم في سياساتها ويتدخل في شؤونها السياسية، كما أسس للشركات العابرة للقارات، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها، إيمانا منه بأن النصر في الحروب الحضارية يبدأ بالهيمنة الاقتصادية. وحيث إن هنتنجتون يستبعد أن تقوم حروب داخل الحضارة الغربية، فإنه يستبعد حروبا بين الفقراء والأغنياء، ولكنه لا يستبعد أن تكون حروب بين الدول الغنية تحمل طابعا تجاريا، وكذلك قد تقوم حروب بين الدول الفقيرة، وهو ما يسمى بتوازن القوى، إلا أنه يستبعد الحرب بين الفقراء والأغنياء.

و"قد تؤدي الفروق في الثروة إلى صراعات بين المجتمعات، ولكن الدلائل تشير إلى أن ذلك يحدث أساسا عندما تحاول المجتمعات الغنية والأقوى غزو أو احتلال المجتمعات الفقيرة... في العالم المعاصر تم التخلص من الاحتلال، وبدلا من حروب التحرير ظهرت الصراعات بين الشعوب المحررة، وعلى مستوى أعم فإن الصراع بين الأغنياء والفقراء غير وارد الآن...الدول الغنية قد تشن حروبا تجارية على بعضها البعض، الدول الفقيرة قد تشن حروبا طاحنة على بعضها البعض، ولكن حربا عالمية طبقية بين الجنوب الفقير والشمال الغني لهي أمر بعيد عن الواقع، كما هو بعيد عن الواقع كذلك عالم سعيد متآلف"[1].

إن تحقيق عالم يسود فيه الحوار والسلم والتعاون والتحالف الحضاري، في مثل هذه المعطيات مستبعد فالدول تسعى لامتلاك وسائل القوة والدفاع عن مصالحها، وتريد أن تحرم الدول النامية من ذلك، إنه منطق القوي يُفرض على الضعيف، بل ويبقيه ضعيفا حتى تسهل السيطرة عليه.

وإن البدايات الصراعية في عالم متعدد الأقطاب، يوحي بحرب حضارية، رغم أن ما يحدث لحد الآن هو حرب بين الطوائف العرقية، لكن توقع حرب حضارية أمر ممكن في ظل المعطيات الحالية وما يشهده العالم من السعي لتوكيد الهوية الحضارية، وعودة الثقافة التي سوف تبنى عليها التحالفات "إنه مستقبل في طور البناء، لا يمكن حصره في حرب بين الحضارات...لقد قدم هنتنجتون برهنة على ما يشبه حربا عرقية"[2].

إن الوضع الذي فرضه عالم ما بعد الحرب الباردة، يفترض وجود صدامات وحروب حضارية فهناك حرب ثقافية لتوطيد الهوية، وهناك حرب تجارية لفرض القيود التجارية والسيطرة على الأسواق وفي كل هذا هناك سلام بارد، إنه سلام من أجل الاستعداد للحرب، أو إنه حرب ضمنية باردة، بدأتها

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 54_ 55.

[2]– المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص42.

الدول والحضارات، كل وفق مصالحه وأهدافه، إن حروب التقسيم الحضاري قائمة، خاصة بين الشعوب التي تنتمي لحضارات مختلفة، ولكنها موجودة داخل نفس الحضارة، وإن أكثرها عنفا وانتشارا هي بين الشعوب التي تريد إقامة دول جديدة على أنقاض الدول القديمة، أو ما يسمى بدول الصدع والتي عرفت تمزقا حضاريا، مثل الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا، ويرى هنتنجتون أن مثل هذه الحروب الطائفية والعرقية نجدها أكثر بين المسلمين وغيرهم.

"وفي عالم مكون من حضارات، لن تكون تلك هي العلاقات الوحيدة التي توصف بهذا المصطلح، السلام البارد، الحرب الباردة، حرب التجارة...هذه العبارات كلها هي الوصف الأكثر احتمالا للعلاقات بين الكيانات المنتمية للحضارات تأخذ شكلين، على المستوى المحلي أو الصغير تحدث صراعات خطوط التقسيم بين دول جوار المنتمية إلى حضارات مختلفة، وبين جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة داخل دولة ما، وبين جماعات تحاول إقامة دول جديدة على أنقاض الدول القديمة، كما حدث في الاتحاد السوفييتي، ويوغسلافيا السابقة...صراعات خطوط التقسيم متفشية خاصة بين المسلمين وغير المسلمين"[1].

هناك حضارات بها دول مركز، مثل أمريكا واليابان والصين، وهناك حضارات تفتقر إلى دول مركز مثل الدول الإسلامية، وعليه فإن حروب دول المركز هي التي تسمى حروباً حضاريةً، كما أن دول المركز قد تساند الجماعات المحلية داخل حضارة موالية، وقد تحدث مواجهة بين دول المركز فتنتقل الحرب إلى حرب حضارية، والمثال على ذلك هو حروب أثينا اليونانية.

على أن حروب دول المركز يمكن أن تنشأ تحت ظرفين فقط أولا: قد تتطور نتيجة تصعيد صراعات خطوط التقسيم بين الجماعات المحلية، حيث تحتشد جماعات القربى بما فيها دول المركز لدعم المقاتلين المحليين، هذه الإمكانية قد تخلق دافعا أساسيا لدول المركز في الحضارات المعارضة لإحتواء صراع خط التقسيم أو حله، ثانيا: حروب دول المركز قد تنتج عن تغير في ميزان القوى الكوني بين الحضارات، القوى المتزايدة لأثينا داخل الحضارة اليونانية كما يقول "**تشيديدس**" أدت إلى حرب بيلو بو نيسيان" وتاريخ الحضارات الغربية بالمثل، هو تاريخ حروب سيطرة بين قوى صاعدة وقوى منهارة"[2].

ويعتقد هنتنجتون أنه بوجود صراع حضاري بين الحضارات، وأن هذا الصراع قد يقود إلى حرب عالمية رابعة أو حرب حضارية، ولتفادي هذه الحرب فهو يرى ضرورة ألاّ تتدخل الدول الكبرى المركز في صراعات بين الدول داخل الحضارات الأخرى، وهو هنا ربما يوجه خطابه إلى الغرب لأن الغرب هو من يتدخل في شؤون الدول الأخرى، مع ضرورة تحالف الحضارات، من أجل نشر ثقافة التسامح

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 335_ 336.

2- المصدر نفسه، ص 337.

والسلام، وثقافة التعايش الحضاري وقبول الآخر، والمنطلق يكون بقبول التعددية والتنوع الثقافي، وإن العالم لم يعد ثنائياً أو أحادي القطبية، بل متعدد الأقطاب الفاعلة، والتي تستطيع أن ترسم معالم نظام دولي مشترك، دون أن تسيطر به قوة دون أخرى، من أجل سلام دائم كما يقول **إيمانويل كانط (Immanuel Kant)***.

"ومن أجل تلافي حرب عالمية حضارية، يرى هنتنجتون أنه من الضروري امتناع الدول الكبرى داخل كل حضارة عن التدخل في الصراعات التي تجمع الحضارات الأخرى، وتشجيع نشر القيم والمبادئ المشتركة بين شعوب الثقافات المختلفة، لهذا لابد من احترام تعددية الثقافات وتنوعها قصد تحقيق السلام العالمي"[1].

إن الصراعات الحضارية تقوم اليوم بين دول تعتبر نفسها مركزا، ودول صاعدة مثل الصين وإن هذه القوة الجديدة، حتّمت على الغرب التكيف مع عالم متعدد الحضارات متعدد القوى، وهو مؤشر على بداية زوال القوة العظمى الوحيدة في العالم، هذه الدول الناشئة تسعى إلى الالتحاق بالدول الكبرى إما للتوازن معها أو للتفوق عليها، فالدول الآسيوية عموما تريد الالتحاق بالغرب، على خلاف الصين التي تريد التوازن في القوة مع الغرب، أو كطموح التغلب عليه.

وعليه "يتوقف مدى تشجيع العوامل المماثلة للصراعات بين دول المركز الصاعدة، والدول المنهارة في الحضارات المختلفة _إلى حد ما_ على الطريقة التي تفضلها الدول للتكيف مع القوة الجديدة الناشئة وهل هي التوازن معها أم هل هي الإلتحاق بها؟ وبينما قد يبدو الالتحاق هو الأكثر تمييزا للحضارة الآسيوية إلا أن صعود القوة الصينية استطاع أن يولّد محاولات التوازن من دول في حضارات أخرى"[2].

ويرى محمد سعدي في دراسته حول صراع الحضارات، أن ما يراه هنتنجتون من صدام الحضارات هو في الحقيقة صراع مصالح بين الدول الكبرى، وإعادة ترتيب هذه المصالح وفق المعطيات الحضارية التي خلّفتها نهاية الحروب الاستعمارية والحرب الباردة، وفي ذلك يقول: "يتبين أن وراء ما يسميه هنتنجتون بالانقسامات الحضارية، توجد انقسامات جيواستراتيجية تجسد صراعا للمصالح بين مختلف القوى الدولية"[3].

ولقد اعترف هنتنجتون أن الحروب الحضارية التي كانت داخل الحضارات، أو بين الحضارات معظمها كانت من أجل المصالح التجارية والهيمنة الاقتصادية، رغم أن الصراعات داخل نفس

* إمانويل كانط (1724 _1804) فيلسوف ألماني من أهم كتبه: نقد العقل الخالص.

1- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 55.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص،337_338.

3- محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 57.

الحضارة عادة ما تنتهي بسلام، نظراً إلى العلاقات الثقافية المشتركة، كما حدث في التاريخ بين بريطانيا وأمريكا، واليوم في صراع المصالح بين أمريكا وآسيا، وخصوصا الصين لا توجد قربى ثقافية إلا أن ذلك لا يعني مواجهة عسكرية أكيدة، أما بالنسبة إلى الاسلام، فإنه لا يزال يعاني حروباً داخلية بين دوله وشعوبه، مما يعني أنه لا يمكن أن يخوض حرباً حضارية ضد الغرب.

"فحرب السيطرة المفقودة في التاريخ الغربي، هي تلك التي بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، ومن المفترض أن التحول من سلام بريطاني إلى سلام أمريكي، كان يرجع في حد كبير إلى علاقة القربى الثقافية الوثيقة بين المجتمعين، غياب قربى من هذا النوع في ميزان القوى المتغير بين الغرب والصين، لايجعل الصراع المسلح مؤكدا...القوى المحركة للإسلام هي المصدر المستمر لحروب كثيرة صغيرة نسبيا على حدود التقسيم، وصعود الصين هو المصدر المحتمل لحرب تداخل حضاري كبير بين دول المركز "[1].

ونتيجة لصراع المصالح بين الحضارات التي بها دول مركز، فإن هنتنجتون لا يستبعد الحرب الحضارية في المستقبل، وقد تغذّي دول المركز تلك الصراعات الصغيرة داخل الحضارات، والتي تنتمي إليها حضاريا، مما يعني احتمال المواجهة واردة، كذلك إن تغير موازين القوى قد يكون باعثا لحرب حضارية بين الحضارات.

يقول هنتنجتون: "في المستقبل يمكن أن تندلع حرب بين القوى الرئيسية، وذلك بفعل تصاعد حدة النزاعات الممتدة على طول الخطوط الحضارية الفاصلة، والتي تدور بين مجموعات محلية مدعمة من الدول التي تقاسمها نفس الانتماء الحضاري، ويمكن أن يكون ذلك نتيجة لتغير موازين القوى بين الحضارات...إن تصاعد قوة الصين هو مصدر محتمل لحرب شاملة بين الدول المحورية للحضارات"[2].

ورغم أن مصطلح الحضارة، يعني التطور والرقي الفكري والمادي، والخروج بالإنسان من مرحلة الهمجية والبربرية إلى مرحلة الإناسة والمدنية إلا أن الحضارة اليوم تستغل للهيمنة والقتل والتدمير والحرب وعودة البربرية، فالحضارة التي وضعت لصالح الإنسان ولخدمة الإنسان، هي اليوم تقوم بالنقيض، وليس العيب في الحضارة، بل في توظيف معطيات الحضارة العلمية والتقنية، من أجل تدمير الإنسان لا الرقي بالإنسان، فيجب تصحيح المفاهيم، وإعادة تشكيلها لتتفق مع العقل والوعي وتتجاوز الغريزة والتدميرية في الإنسان التي هذبتها وثقفتها الحضارة، لتصبح عامل بناء لا عامل هدم وتدمير، إن "الحضارة والحرب صارا نقيضين تناقض البناء والتدمير، إنها أيضا رسالة كل إنسان حقا

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 338.

[2]- صموئيل هنتنجتون، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص ص177_ 178.

إنسان، كراهية الآخر، الحضارة الأخرى تجعل التقدم العلمي والتقني بين يدي قوى التدمير، من أجل هزيمة، إخضاع، أو تدمير الآخر"[1].

فتدمير الآخر والقضاء عليه، هو نزعة تهديمية ورغبة مازوشية تجعل من القوي يتلذذ بموت وقتل الآخر وتعذيبه وإفنائه، وإن الحضارة الإنسانية قد قطعت أشواطا من أجل التقليل من الجهل والبربرية، ولا يمكن باسم العلم والحضارة، تصور عودة الهمجية من جديد، فالصراع الطبيعي المحرك للتاريخ لا يعني إفناء الآخر، بل هو محاولة لإثبات الذات، والدفاع عنها، ويعتقد هنتنجتون، أننا في زمن الصدامات والحروب الهوياتية والدينية، وسيشهد العالم حروبا بين أكبر الديانات في العالم، كتلك التي ستكون بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وبين الغرب والكونفوشيوسية.

لقد "اعتبر هنتنغتن في كتابه "صدام الحضارات" أننا في مقتبل القرن الواحد والعشرين، أمام جيل جديد من الحروب...لاسيما الحرب بين الغرب اليهودي المسيحي والإسلام، وبين الغرب والكونفوشيوسية"[2].

وكما ذكرنا في السابق، فإن هنتنجتون يرى أن حرب الحضارات حاليا مستبعدة وفقا لمعطيات القوة والهيمنة والسيطرة، إلا أن بوادرها قد لاحت في الأفق، وأن مقدماتها بدأت في الظهور، وقد تتطور حرب الطوائف العرقية أو الدينية لتصبح بين دول المركز، ومن ثمة تصبح حرب حضارات وهي احتمالات كلها واردة.

ورغم ذلك "فإن حربا كونية تشارك فيها دول المركز في حضارات العالم الرئيسية أمر بعيد الاحتمال، لكنه ليس مستحيلا، وحرب كهذه كما أوضحنا، قد تنشأ نتيجة تصعيد حرب من حروب خطوط التقسيم بين جماعات من حضارات مختلفة وتضم على الأرجح دولا إسلامية في جانب، ودولا غير إسلامية في جانب آخر"[3].

والملاحظة أن هنتنجتون دائما يتوقع في احتمال الحرب الحضارية، أن تكون بين الإسلام والغرب، لأنه بالنسبة إليه التهديد الأخطر على الحضارة الغربية، لأن الإسلام يعني الدين، والدين هو أهم معبّر عن الهوية، وأهم مقوم للثقافة والحضارة، وعلى ذلك فإن الحرب الحضارية المحتملة ستكون منطلقاتها دينية وظاهرها إقتصادياً تجارياً، كما يعتقد هنتنجتون أن الحروب أو النزاعات المحلية داخل الحضارات قد تتحول إلى حروب كونية، إذا ما تدخلت فيها الدول الكبرى التي تعتبر دول مركز في حضاراتها، "من المرجح أن تتحول نظرة (هنتنجتون) النزاعات المحلية في السنوات القادمة إلى حروب

---

[1]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 158.

[2]- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 36.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 505.

كبيرة ستدور على الحدود الفاصلة بين الحضارات، وستكون الحرب العالمية التالية إذا ما نشبت، حرب بين الحضارات"[1].

وإن المعطيات التي حملها عالم ما بعد الحرب الباردة يرشح الصدامات بين الحضارات، كما يقوي من احتمال الحروب بينها في المستقبل، فميزان القوى تغير، والأحادية القطبية زالت، ونشأ عالم متعدد الحضارات، وزاد السعي لتوكيد الهوية والتمسك بالثقافات داخل الحضارات، كما أن هناك حضارات تعرف نموا اقتصاديا غير مسبوق ينافس الغرب ألا وهي الصين، وخروج الصين من عزلتها وتأكيد حضورها الاقتصادي والثقافي والحضاري بين الحضارات، يعدّ مصدرا آخر إلى جانب الإسلام من مصادر الخطر على الغرب ومصالحه.

"فميزان القوى المتغير بين الحضارات وبين دول المركز بها، هو أيضا أحد المصادر الخطرة لحرب كونية بين الحضارات، إن صعود الصين والتوكيد المتزايد "لأكبر لاعب في تاريخ الإنسانية إذا استمر سوف يخلق توترا شديدا في الاستقرار العالمي...وبزوغ الصين كقوة مسيطرة، سيكون ضد المصالح الأمريكية كما يفسر تاريخيا"[2].

ويعتقد كثير من الباحثين أن فكرة حرب الحضارات، هي من وضع المستشرق الأمريكي أستاذ هنتنجتون وصاحب فكرة صدام الحضارات، برنارد لويس، فهو الذي رأى بأن المواجهة بين الغرب والإسلام ستكون، وأنها ستقود حتما إلى حرب حضارية حتمية، بعد أن شهد العالم صداما بينهما ولا يزال، وعليه فهو الأب الروحي لفكرة الصدام والحرب بين الحضارات.

"وقد أصبح برنارد لويس الأب الروحي لحرب الحضارات...وقد اعتمد بالأساس على أن الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة الغربية بلغتا في أيامنا هذه ذروة المواجهة من أجل السيطرة والنفوذ"[3].

إن الغرب يتخيل الخطر والعدو في الصين اقتصادياً، وفي الإسلام حضاريا ودينيا، ووفقا لذلك يتخيل زوال قوته وسيطرته، بل وخضوعه لهيمنة هذه الحضارات، وهو ما يرفضه الفكر الغربي ويجعل من هذه الحضارات العدو الأول الذي يجب أن يحارب، وبالمقابل يعتقد هنتنجتون أنه لتجنب حرب محتملة بين الحضارات، على الدول الكبرى أن تكف عن التدخل في الصراعات المحلية في الحضارات الأخرى، وهو ما لا يستطيعه الغرب، لأن مصالحه متوقفة على التدخل في شؤون الدول غير الغربية، وتوجيه سياساتها والتحكم في اقتصادياتها وفقا لمصالحه الحيوية، ووفقا لهذا الطرح

1- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 64.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 505_ 506.

3- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ مرجع سابق، ص 22.

يتخيل هنتنجتون حرب حضارات، ثم بعد ذلك يقول: "فإن تجنب حروب رئيسية بين الحضارات في الحقبة القادمة يتطلب أن تحجم دول المركز عن التدخل في صراعات الحضارات الأخرى"[1].

إن الحوار هو العنصر الفاعل للحد من حالة التشنج التي يعيشها العالم بين الحضارات، وإن بروز الثقافات وتوكيد وجودها ومدى قدرتها على التفاعل فيما بينها، هو ما سيحدد حالة المستقبل من سلم وأمن، أو حرب وعنف، إن الفعل التواصلي بين الحضارات يجعلها كيانات تؤثر وتتأثر بعضها ببعض، وبالتالي يحدد العلاقات فيما بينها، ومنه تنبني معالم الوضع العالمي وتشكيلاته المختلفة ويتحدد دور القوى ومدى فاعليتها في صنع السلام الدائم، كما عبّر عنه كانط، أو ضرورة الحرب كما عبّرت عنه بعض الفلسفات الحداثية والمعاصرة، وعليه يبنى سؤال جوهري هو: "إلى أي حد سيؤثر توسع الثقافات واتصالها وتفاعلها إيجابا في المصير السلمي أو الحربي لحضارات البشرية التي هي في حالة تشكل دائم؟ إن السؤال حاسم ولاسيما أن الحضارات أو الهويات ليست كما يثبت ذلك إدوارد سعيد كيانات مفصولة"[2].

إن الحضارات كيانات تواصلية، تبني علاقات على أساسها يتحدد مستقبل الإنسان والعالم، وإذا أرادت البشرية أن تتجنب حرباً حضارية، قد تكون نتائجها أخطر من جميع الحروب السابقة، لأن الأسلحة التي يمكن أن تستخدم فيها يمكن أن تقضي على البشرية، ولتحقيق السلام العالمي الدائم كما يرى هنتنجتون، لابد أن تمتنع الدول الغربية _كما ذكرنا سابقا_ عن التدخل في صراعات محلية داخل الحضارات، كما أنه لا بد أن تتبنى الدول طرق الحوار، وتقبل دور الوسيط في حل الاختلافات الداخلية، وتجاوز الصراعات والصدامات العرقية والإثنية أو الدينية وغيرها، وهو ما يسميه هنتنجتون بقانون الامتناع.

و"قانون الإمتناع هذا، أي أن تمتنع دول المركز عن التدخل في صراعات داخل الحضارات الأخرى هو أول متطلبات السلام في عالم متعدد الحضارات متعدد الأقطاب، المتطلب الثاني هو "قانون الوساطة المشتركة" أي أن تتفاوض دول المركز مع بعضها الآخر لاحتواء أو ايقاف حروب خطوط التقسيم الحضاري بين دول أو جماعات داخل حضاراتها"[3].

فالاختلافات بين البشر حقيقة أزلية، وكذلك بين الحضارات والثقافات، وبين الشعوب والأمم وتمتد هذه الاختلافات الدينية والثقافية من داخل الأمة الواحدة إلى الحضارات، وهذه الاختلافات الطبيعية التاريخية لا تستدعي بالضرورة الحرب والعنف ومحاولة القضاء على الآخر، وليس كما يعتقد البعض أن وجودي يستدعي موت الآخر، لا بل إن وجودي متوقف على وجود الآخر، وإن إدراك

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 512.

2- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص 43.

3- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 512.

الذات أساس معرفة الأخر، ومعرفة العدو من الصديق، ولا يجب باسم الثقافة والحضارة والهوية، شن حروب وهمية على الغير، وإضفاء مشروعية عليها لا مبرر لها.

"إن حرب الحضارات التي يدعو لها زعماء التطرف في العالم الرأسمالي، هي نفس الحرب الإيديولوجية التي كانت تخاض ضد الاتحاد السوفيتي والحركات الاشتراكية...فمن الدفاع عن العالم الحر إلى الدفاع عن قيم الحضارة الغربية، وفي كل الأحوال كانت قوى الخير تطارد قوى الشر الشرير الشيوعي أصبح اليوم شريرا إسلاميا أو عربيا، وغدا سيصبح شريرا صينيا"[1].

لقد اتخذ الغرب من فكرة الدفاع عن العالم الحر ونشر قيم الديمقراطية، وقيم الحضارة الغربية بصفة عامة منطلقا لتبرير حروبه الحضارية وإعطائها مشروعية، بل واستطاع أن يقنع كثيراً من الدول وزعمائها بأن ما يقوم به هو من أجل القضاء على قوى الشر، وأن الرب قد كلف الغرب محاربة تلك القوى، والتي كثيرا ما تتمثل له في الدول المارقة، كما يسميها نعوم تشومسكي في كتابه: "الدول المارقة" واستخدام القوة في الشؤون العالمية، وانطلاقا من ذلك ظهر مثلث الشر، وقوى الشر والرجعية والإرهاب، وغيرها من المبررات غير المشروعة في أصلها، إن العالم أسس على الهيمنة والإمبريالية والظلم، فلا توجد عدالة بين الأمم والحضارات من منطلق أن هناك دولاً لها الحق والقوة، ودولاً لا تملك ذلك الحق وتلك القوة، وعليه فإن القضاء على الفوارق بين الحضارات، هو المنطلق الأول للذهاب إلى عالم متجانس وآمن، تنتشر فيه ثقافة السلام، وتزول فيه مظاهر العنف، وتقصى فيه مسببات الحرب والصدام، لكن فكرة المساواة بين العالم الحر والدول الكبرى الغربية وباقي الدول والحضارات، هي فكرة مرفوضة من طرف الغرب.

وإن "قبول هذه القوانين في عالم تسود فيه مساواة أكبر بين الحضارات، لن يكون من السهل على الغرب أو على تلك الحضارات التي تسعى إلى أن تكمل دور الغرب، أو أن تحل محله في السيطرة على سبيل المثال، في عالم كهذا قد نرى دول المركز أن من حقها (حق الامتياز) أن تمتلك أسلحة نووية، بينما تنكر ذلك الحق على أعضاء آخرين في نفس الحضارة"[2].

ويرى المهدي المنجرة أن الحروب الحضارية كانت ولا تزال في التاريخ، فمادام أن لكل حضارة هوية ثقافية وذاكرة جماعية، وأن الأمم والحضارات لا تتخلى عن ذاكرتها وماضيها وثقافتها الهوياتية وبالتالي فإن الدفاع عن هذه الثقافة والحضارة لا يستبعد الحرب الحضارية، والتي يرى فيها المهدي المنجرة أنها قد بدأت، وهي تختلف عن غيرها من أنواع الحروب التي كانت أهدافها مختلفة تماما

1- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 164.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 513.

وهنا نجده يقول: "ليست هناك حضارة بدون ذاكرة جماعية...هي في الحقيقة أول حرب عالمية، لأن أهدافها ليست اقتصادية وسياسية وعسكرية، بل هي أهداف حضارية"[1].

إن الحرب الحضارية في الواقع، هي حرب تبدأ مع الصدام الحضاري، ولا تتوقف إنها تختلف عن أنواع الحروب الأخرى، من حيث إن كل حرب في التاريخ كانت لها بداية ونهاية، أما الحرب الحضارية فإنها لا تنتهي، وإن مرت بفترات الهدوء النسبي، إلا أنها تعود مرة أخرى إلى الظهور والبروز وعليه، فإن الحرب الحضارية داخل ما يسمى بخطوط الصدع الحضاري قد تنتهي، ولكن الحرب بين الحضارات العامة لا تنتهي.

"وفق حرب خط الصدع، أو الحرب ذات البعد الحضاراتي "كل حرب يجب أن تنتهي"هذه الحكمة قديمة، هل تنطبق على حروب الصدع أو الحروب ذات البعد الحضاراتي؟ الإجابة نعم ولا"[2].

يعتقد هنتنجتون أننا نشهد ما يسمى بعصر الحروب الإسلامية، وهي حروب حضارية سواء داخل الدول الإسلامية أو بينها، أو بينها وبين الغرب، إنه يعتبرها مقدمات الصراع الحضاري المحتمل أو الذي بدأت بوادره في الأفق حسب بعض المفكرين، ومنهم هنتنجتون الذي يقول: "إن العالم دخل عصر الحروب الإسلامية، وهو عصر قد يتحول فعلا إلى صدام للحضارات"[3].

ويعود هنتنجتون ليؤكد أن مرحلة حرب الحضارات ستمر أولا بالصراعات والصدامات الحضارية وستكون أكثرها عنفا بين الشعوب التي لا تنتمي لنفس الحضارة، وأن هذه الصدامات التي تقود إلى حرب حضارية، ستعرف تحالفات حضارية، وقد تتجسد أكثر في الحضارات ضد الغرب أو الغرب ضد الباقي، ومن أهم الحضارات التي يرشحها هنتنجتون لتتصادم مع الغرب وحضارته، وفق معطيات السياسة العالمية _كما ذكرنا سابقا_ هما الحضارة الكونفوشيوسية أي الصين، والحضارة الإسلامية كما يتوقع أن تتحالف هاتان الحضارتان ضد الغرب وقيمه ومصالحه وحضارته، وانطلاقا من هذا نجده يقول: "وستكون الصراعات العنيفة بين الجماعات المنتمية إلى حضارات مختلفة هي المصدر الأكثر خطرا أو رجحانا للتصعيد، الذي يمكن أن يؤدي إلى اندلاع حروب عالمية، وسيتمثل المحور الأسمى للسياسة الدولية في العلاقات بين الغرب والباقي...وستكون بؤرة الصراع الأساسية في المستقبل القريب بين الغرب وعدد من الدول الإسلامية الكونفوشيوسية"[4].

1- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مصر، مكتبة الشروق، ط1، 1995، ص ص 49، 85.

2- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون_ مرجع سابق، ص 242.

3- المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، مرجع سابق، ص 82.

4- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 61.

وبما أن المعطيات العالمية للسياسة الكونية، تؤكد محاولة توكيد الغرب لهيمنته وسيطرته ونشر قيمه وتحدي باقي الحضارات للغرب وسياسته، وأن هناك اختلافات تاريخية ودينية وثقافية وحضارية لا يمكن من خلال كل هذا أن يحدث تقارب بين الغرب والباقي، فإن هذه الاختلافات بين الغرب والباقي لا يمكن أن تجد لها حلا بالطرق السلمية الحوارية، خاصة وأن الطرف الأقوى يرفض الحوار وعليه فإن الحروب هي ما سيتولى حل هذه الاختلافات. وأن ما يزيد من توقع إحتمال الحروب الحضارية هو زيادة النزاعات الإثنية داخل الحضارات، والتي قد تجد دعما من الحضارات التي تتفق معها في نفس الثقافة، وإن عودة هذه النزاعات مؤشر فعلي على تصاعد الصراعات من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى بين الحضارات، وإن أكبر خطر هو احتمال المواجهة بين الحضارات الكبرى المختلفة ثقافيا وحضاريا، وهنا يقول هنتجتون: "الحروب العشائرية والصراعات الإثنية في العالم ستنبعث داخل الدول وداخل الحضارات نفسها، ولكن حدة العنف الكامنة في الصراعات بين دول وجماعات لا تنتمي إلى نفس الحضارات هي أكبر بكثير، نظرا إلى تآزر وتعاطف الدول ذات القرابة الثقافية"[1].

إن الغرب سيخوض حروباً حضارية بينه وبين آسيا والصين تارة، وبينه وبين الإسلام تارة أخرى، أي بين المسيحية والكونفوشيوسية والإسلام، إنها الحرب الدينية التي خاضتها أوروبا، واليوم يخوضها الغرب، وكل مرة بمبررات وأهداف متباينة، إن الغرب هو الغرب، وموقفه من الآخر لا يتغير، فهو ينظر إلى الباقي على أنهم لا يفهمون إلا لغة السلاح والحرب والقوة، ولهذا فهو يريد تدعيم قوته التي تحمي وجوده بإضعاف الآخرين، وعدم السماح لأي قوة بالظهور والبروز على المستوى العالمي، ليحافظ على هيمنته وسلطويته العالمية، التي أصبحت مهددة، بل إن الحضارة الغربية في حد ذاتها أصبحت مهددة من طرف الحضارات الأخرى، وإن العداء التاريخي بين الإسلام والمسيحية جعلهما على خط مباشر ووجه لوجه في الصراعات الحضارية، و"إن الحركية التاريخية وضعت الطرفين (المسيحي والإسلامي) في مواجهة، وأدخلتهما أحيانا في حروب قاتلة من أجل السلطة والأرض وضمائر الناس"[2].

إن حرب الأديان هي أكثر الحروب دموية وعنفا، لأنها تقوم على التعبئة البشرية باسم الدين ورفع راية الحق والدفاع عن المقدس، وهي تخاطب القلب والضمير الديني، وتستعمل فيها جميع المبررات الدينية للسيطرة والهيمنة والقضاء على الآخر، إن الصراع بين الغرب والإسلام في كثير من المرات اعتبر حرباً حضارية، فتدخل الغرب في أفغانستان والعراق وغيرها اعتبر حرب حضارات، لأن الغرب تدخل في صراع داخل الحضارة الإسلامية، وإن تدخل الغرب في حروب داخل الحضارات ليس

---

[1] – محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 174.

[2] -*John L. Esposito, The Islamic threat, myth or reality, New York, Oxford university, Press 1992, p 46.*

من أجل القضاء على النزاعات، ودعوة الأطراف المتنازعة إلى الحوار، بل من أجل حماية مصالحه بدليل أن الغرب كان يدّعم الأفغان ضد السوفيات، وبمجرد أن انتهت الحرب الباردة أصبح صديق الأمس عدو اليوم عندما تغيرت المصالح والسياسات، وأصبح الأفغان المحاربون للسوفيات إرهابيين يجب أن يقتلوا، لأنهم يبعثون بخلايا الارهاب لتهاجم مركز الغرب وحضارته، إنها المعايير المزدوجة في عالم السياسة الدولية التي تحتكم إلى المصلحة، لا إلى العقل والوعي الإنسانيين، ومن خلال هذه النماذج اتخذ المسلمون موقفا عدائيا من الغرب وحضارته، واعتبروه الشر والإمبريالية والاستعمارية الجديدة، إن "الحرب الأفغانية تحولت إلى حرب حضارات، لأن المسلمين في كل مكان كانوا يرونها هكذا...حرب الخليج تحولت إلى حرب حضارات، لأن الغرب تدخل عسكريا في صراع إسلامي الغربيون دعّموا هذا التدخل بأغلبية ساحقة، والمسلمون في جميع أنحاء العالم فهموه على أنه حرب ضدهم"[1].

ونتيجة لما قام به الغرب ضد بعض الدول الإسلامية، فإن الشعوب العربية الإسلامية ازدادت كرها للغرب وقيمه وحضارته، كما أنها كانت تحتج على رؤسائها الذين لم يحركوا ساكنا، والذين يتعاملون مع الغرب، ولهذا فإن موقف أحد زعماء الدول العربية من الغرب جعله بطلا قوميا، كما يقول هنتنجتون، حيث كتب أحد المراقبين الأمريكيين أن "العالم العربي يغلي بالغضب ضد الولايات المتحدة، ولا أحد يستطيع أن يخفي فرحته بالأمل في ظهور قائد عربي جسور، يتحدى أعظم قوة على الأرض، ملايين المسلمين من المغرب إلى الصين تجمعوا خلف صدام، ونادوا به بطلا عربيا"[2].

لقد كانت حرب الخليج بالنسبة إلى كثير إيذانا بحرب حضارية بين الغرب والإسلام، ولقد استغلت كثير من الحركات الإسلامية في كثير من الدول الإسلامية تلك الحرب للدعاية بأن الغرب عدو للإسلام والمسلمين، وربما هذه الفكرة ستتأكد أكثر بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، والتي تطرقنا إليها في الفصول السابقة، ولقد رأى الكثير في حرب الخليج على أنها حرب صليبية ضد الإسلام مدعومة من اليهود الصهاينة، الذين أرادوا تحطيم مراكز الحضارة الإسلامية في العراق وسورية ومصر، وها هي مخططاتهم بدأت تتحقق، إنها حرب الأديان، وليست حرباً من أجل حماية الديمقراطية، لقد وصفها الرئيس جورج ولكر بوش بأنها حرب مقدسة، وأن الرب قد أمره بذلك، فكل هذا يوحي بأنها حرب ضد الإسلام وحضارته، وتحمل بعدا ثقافيا واقتصاديا ومصلحيا للولايات المتحدة الأمريكية.

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 401.

[2]- المصدر نفسه، ص 402.

"وبالنسبة إلى المسلمين، سرعان ما أصبحت الحرب حربا بين الحضارات، حرمة الإسلام مهددة فيها. الجماعات الإسلامية الأصولية...شجبتها كحرب ضد الإسلام وحضارته من قبل الصليبيين والصهاينة، وأعلنت دعمها للعراق"[1].

وهنا يؤكد هنتنجتون بالفعل، أن الحرب قد بدأت ضد الإسلام وحضارته، وما حجة احتلال العراق للكويت إلا لتبرير مشروعية الحرب القذرة التي خاضتها أمريكا وحلفاؤها ضد أحد مراكز الحضارة الإسلامية، ولقد كتب في ذلك هنتنجتون كتابا عنوانه: _الغرب والإسلام_ يؤكد فيه أن الحرب كانت ضد الإسلام، وأن الغرب قد بدأ مرحلة حرب الحضارات فعلا، وقد جاء ذلك على لسان كثير من قادة الغرب، بمن فيهم الرئيس الأمريكي جورج ولكر بوش أنذاك الذي "أعلن أن الحرب ليست حربا ضد العراق، إنها الغرب ضد الإسلام...وكما تقول **فاطمة المرنيسي:** إن الرئيس بوش بذكره المتكرر لله، والتضرع إليه باسم الولايات المتحدة، قوّى من شعور العرب بأنها كانت حربا دينية"[2].

ولقد سعى الغرب لأن يجعل الحرب ضد العراق حربا من أجل حماية العالم الحر، وقيم الديمقراطية واستقلال الشعوب، وليست حرب حضارات، حيث حشد لها كثيراً من الدول، بما فيها بعض الدول التي تحسب على الحضارة الإسلامية، كما قام بجعلها قضية أممية، حتى يحصل على الشرعية الأممية من هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الذي يسيطر عليه أصلا، وكانت حرب الخليج بداية من أجل تحرير الكويت، ثم فيما بعد أصبحت حربا بين العراق والغرب، عندما اتهم الغرب العراق بحيازة أسلحة الدمار الشامل، ثم أصبحت حربا بين الإسلام والغرب، وتطورت لتصبح حربا بين الشرق والغرب، وعبّرت لأول مرة بعد نهاية الحرب الباردة عن صدام حقيقي للغرب مع الإسلام، كما اعتبرت أول حرب حضارية بين حضارتين مختلفتين، أي بين الغرب والإسلام.

و"هكذا بدأت حرب الخليج كحرب بين العراق والكويت، ثم أصبحت حربا بين العراق والغرب ثم حربا بين الإسلام والغرب، وفي النهاية أصبحت في نظر كثير من غير الغربيين بين الشرق والغرب...حرب الخليج أول حرب موارد بين الحضارات بعد الحرب الباردة"[3].

يعتقد هنتنجتون في فلسفة الحرب أن الحروب كانت ومازالت ولن تنتهي، لأنها مرتبطة بالتاريخ البشري والنزاعات بين البشر والصدامات والصراعات بين الدول والأمم والحضارات، حيث تكون دوافعها مختلفة ومتعددة من حرب إلى أخرى ومن حقبة إلى أخرى، ومن أكبرها وأخطرها الحروب التي تقوم على الهوية، وهي التي يرى فيها هنتنجتون أنها ممتدة، لأنها لا ترتبط بمصالح اقتصادية أو

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 404.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص ص 406_ 408.

سياسية آنية، بل إنها ترتبط بعمق التكون الحضاري لشعب من الشعوب، ولهذا عادة ما تكون عنيفة ودموية وقد تدوم فترة طويلة من الزمن كما أنها يمكن أن تخمد ثم تعود إلى الظهور مرة أخرى، ويرى هنتنجتون أنها لا تنتهي، وبالتالي لا يكون فيها منتصر إلا في حالة الإبادة الكلية لشعب أو أمة تحمل هوية مختلفة، ولقد شهد التاريخ كثير من أنواع الحروب، هذه التي قامت فيها أمم بإبادة شعب أو أمة وتسمى كذلك بحروب التطهير العرقي.

إن "الحروب... كانت سائدة في كل الحقب، وفي كل الحضارات، لأنها ممتدة الجذور في هويات الشعوب، هذه الصراعات تتجه إلى أن تكون ذات طبيعة خاصة، حيث لا تتضمن قضايا إيديولوجية أو سياسية عريضة تتعلق بمصالح مباشرة لغير المشاركين فيها...كما أنها تتجه لأن تكون ضارية ودموية، عندما تصبح قضايا الهوية الأساسية مهددة، بالإضافة إلى ذلك فإنها غالبا ما تكون صراعات طويلة الأمد، تتخللها هدنات أو اتفاقيات...ولكنها معرضة دائما للانهيار لكي يستأنف الصراع، ومن الناحية الأخرى فإن الانتصار الحاسم لأحد الأطراف في حرب هوية أهلية يزيد من إحتمال حدوث إبادة جماعية"[1].

وفي عالم اليوم، يرى هنتنجتون أن هذا النوع من الحروب هو الذي نجده في حروب خطوط التقسيم الحضاري، وهي ما تسمى بالحروب الطائفية أو العرقية، وتكون داخل الدول، وحتى التي تنتمي إلى حضارة واحدة، ولها تقريبا نفس المميزات التي نجدها في الحروب السابقة العرقية، فهي قد تكون ممتدة وطويلة الأمد، ولا تنتهي إلا بالإبادة الجماعية لشعوب الهوية المختلفة، ويرى هنتنجتون أن حل مثل هذه الحروب يكون صعبا عن طريق الحلول السلمية كالتفاوض والحوار.

إن "حروب خطوط التقسيم الحضاري، لها بعض سمات الحروب الطائفية، وليس كلها فهي صراعات ممتدة عندما تدور في داخل الدول...وحيث إنها تتضمن قضايا أساسية تتعلق بهوية وقوة الجماعة يكون من الصعب حلها عن طريق التفاوض والتسوية"[2].

وما يؤكد عليه هنتنجتون، أن الحروب الحضارية لا تنتهي فهي ممتدة، وإن كانت تخمد فترة من الزمن، ثم تعود إلى الظهور، وكما ذكرنا مع هنتنجتون، إن الحروب الحضارية لا تنتهي إلا بإفناء أو تصفية عرقية لشعب ما، إن الحروب التي تقوم على الهوية أخطر من تلك التي تكون أسبابها سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك، فهي تقود إلى التمزق الحضاري، وتقود إلى نتائج أعنف من باقي الحروب إنها مدمرة، وإنها مأساوية، "حروب خطوط التقسيم الحضاري، تقوم وتتوقف وتقوم وتتوقف، حيث يمكن أن تنفجر في عنف شامل، ثم تخمد إلى مستوى الأعمال القتالية أو العدائية المحدودة، لكي تعاود الاشتعال مرة أخرى، نيران الهوية وأحقادها نادرا ما تنطفئ تماما إلا عن طريق الإبادة الجماعية

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 409.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 409_ 410.

ونتيجة لطبيعتها الممتدة، فإن حروب التقسيم شأنها شأن الحروب الطائفية الأخرى تخلف أعدادا كبيرة من القتلى واللاجئين"[1].

وبالنسبة إلى الحروب الحضارية والعرقية، فإن هنتنجتون يؤكد، كما أكد علماء التاريخ، أنها كانت في الحضارات السابقة، وهي الآن موجودة في حضارة القرن الواحد والعشرين، وإن وضع نهاية لحروب التقسيم الحضاري والحروب العرقية أمر غير ممكن، مثلما هو غير ممكن أن تحل بالطرق السلمية والحوارية، يمكن لهذه الحروب أن تتوقف مؤقتا لكنها تعود مرة أخرى، لأن ما يوقظها ليس عاملا ظرفيا زائلا، إن ما يوقظها هو الدين أو الهوية، فنيران الهوية لا تنطفئ، وعودة هذه الحروب في هذا العصر يعكس مدى عمق الهوية لدى الشعوب والأمم، رغم أن هنتنجتون يميز بين الحروب الحضارية التي تقوم على خطوط التقسيم الحضاري، والحروب العرقية الطائفية، حيث نجده يقول "ومعظم هذه الحروب المعاصرة، ليس سوى الجولة الأخيرة في تاريخ طويل من الصراعات الدموية وعنف السنوات الأخيرة من القرن العشرين كان دائما يفوق كل محولات وضع نهاية له"[2].

إنها حروب ممتدة ومستمرة، ولا تعرف نهاية لها، وهي حسب تقسيم هنتنجتون نوعان: هناك حرب طائفية، وهناك حرب تقوم على خطوط التقسيم الحضاري، ويرى هنتنجتون أنهما يتشابهان في أنهما ممتدتان ومستمرتان، وكذلك درجة العنف الذي تقومان عليه، إلا أنهما يختلفان في أن الحروب الطائفية، قد تقوم بين نفس الجماعات الإثنية أو الدينية، أما حروب خطوط التقسيم الحضاري، فإنها تقوم بين أديان مختلفة تماما، وكل شعب فيها يعتقد أن دينه هو الدين الصحيح، وأنه بالتالي يقوم بحرب مقدسة ضد قوى الظلام والشر، مما يزيد هذه الحروب دموية وعنفا، "وبينما تشترك حروب خطوط التقسيم الحضاري مع الحروب الطائفية الأخرى في طول استمرارها، ومعدلات العنف العالمية والغموض الإيديولوجي، إلا أنها تختلف عنها في ناحيتين:

أولا: الحروب الطائفية قد تحدث بين جماعات إثنية أو دينية أو جنسية أو لغوية، وحيث إن الدين هو السمة الرئيسية المحددة للحضارات، فإن حروب خطوط التقسيم غالبا وفي معظم الأحوال ما تكون بين شعوب لها أديان مختلفة...(الدين) لعله أعمق اختلاف يمكن أن يوجد بين البشر، إن تكرار واتساع وعنف حروب خطوط التقسيم الحضاري، يعززها إلى حد كبير الإيمان بآلهة مختلفة"[3].

ويرى هنتنجتون من ناحية أخرى، أن الاختلاف بين الحروب الطائفية، وحروب خطوط التقسيم الحضاري، أنهما تختلفان من حيث إن الحروب الطائفية عادة ما تخص حضارة معينة، أو تحدث داخل دولة محددة، مما يعني أنها لا تنتشر خارج تلك الحضارة أو الدولة، على خلاف حرب

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 410.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 411.

الحضارات، أو حرب خطوط التقسيم الحضاري، فهي تتسع لتشمل حضارات مختلفة، فهي بالتالي أوسع وأخطر، ونقطة الاختلاف الثانية هذه يقول عنها هنتنجتون: "ثانيا: الحروب الطائفية الأخرى تبدو خاصة، ومن هنا فهي _نسبيا_ لا يحتمل أن تنتشر لكي تضم أطرافا أخرى، حروب خطوط التقسيم على العكس من ذلك، وحسب تعريفها تقع بين جماعات تعد أجزاءً من كيانات ثقافية أكبر "[1].

ويرى هنتنجتون، أن أكبر لاعب في حرب الحضارات، أو حروب خطوط التقسيم الحضاري هي الدول الفاعلة أو القوية، فهي لا تحتوي على عنف طائفي داخل حضارتها، وتقوم بتشجيع أنواع العنف الطائفية في الحضارات الأخرى، لأن ذلك يخدم مصالحها، وأشهر حروب خطوط التقسيم الحضاري في عالم اليوم هي التي تحدث اليوم بين العرب واليهود، والهنود والباكستانيين، الأولى في فلسطين والثانية في قطاع كشمير، إلا أن هنتنجتون يتجاهل حرب التطهير العرقي في يوغوسلافيا سابقا بما أنها حرب حضارات حدثت داخل الحضارة الغربية التي تدّعي أنها لا تعاني حرب الطوائف الدينية المختلفة، حيث يقول: إن "الصراعات الطائفية وحروب خطوط التقسيم الحضاري، هي مادة التاريخ وبحسبة واحدة نجد أن 32 صراعا إثنيا قد حدثت خلال الحرب الباردة، تتضمن حروب خطوط تقسيم بين العرب والإسرائيليين، والهنود والباكستانيين"[2].

وبالنسبة إلى باقي الحروب والصراعات داخل الدول والأمم، فهي تسمى بالحروب الأهلية، إلا أن الحروب التي تقوم على الهوية أكثر انتشاراً من الحروب الأهلية وأكثر عددا، فهنتنجتون يرى أنه بعد نهاية الحرب الباردة برزت حروب الهوية على الساحة العالمية، ولكن وفق منظوره فإن الحروب الطائفية منتشرة أكثر في دول لا تنتمي إلى الحضارة الغربية، ويقصد هنا الحضارة الإسلامية، وكذلك حروب خطوط التقسيم الحضاري.

إن "حروب الهوية كانت تمثل حوالي نصف عدد الحروب الأهلية التي وقعت...وفي وجود المنافسة الواسعة بين القوى الكبرى، لم تجذب هذه الصراعات سوى القليل من الاهتمام...عندما خمدت الحرب الباردة أصبحت الحروب الطائفية أكثر بروزا...الصراعات الإثنية، وحروب خطوط التقسيم هذه ليست موزعة بدرجة متساوية بين الحضارات العالمية "[3].

ويعود هنتنجتون إلى حروب خطوط التقسيم الحضاري، ليؤكد أنها تقع دائما في المناطق التي تفصل المسلمين عن غيرهم، وهي لم تحدث في أمريكا، لأنه لا يوجد للمسلمين خطوط تقسيم حضارية مع أمريكا، وعليه فهي حروب منتشرة في إفريقيا وآسيا، أما الصراع العالمي الحضاري، فإنه ينحصر

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 412.

2- المصدر نفسه، ص 413.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بين الغرب والباقي، وعلى المستوى الجزئي، فإن الصراع هو بين الإسلام والآخرين، وليس الغرب فقط.

"إن غالبية صراعات خطوط التقسيم، قد حدثت على امتداد الحدود الملتفة عبر أوراسيا وإفريقيا والتي تفصل بين المسلمين وغير المسلمين، وعلى المستوى الكوني الأكبر للسياسة العالمية، نجد أن الصراع الرئيسي بين الحضارات، هو ذلك القائم بين الغرب والباقي، بينما على المستوى الأصغر والمحلي، نجد أن هذا الصراع القائم هو صراع بين الإسلام والآخرين"[1].

وبعد أن يستعرض هنتنجتون الفرق بين الحروب الطائفية والحروب الحضارية، مستثنيا الغرب من هذه الحروب، مؤكدا أن معظم هذه الحروب يكون الإسلام طرفا فيها، يتساءل هنتنجتون عن المسؤول عنها، والإجابة واضحة إنه الإسلام، الديانة التي تريد أن تنتشر بالقوة، وهي التي تؤمن بالسيف والدم وانتشرت بهما، إن الصراعات الحضارية بين الجماعات المختلفة، غالبا ما يوظف فيها الدين، وتعود إلى جذور تاريخية، واليوم يتم استغلال الماضي وصراعاته لخلق عداوات وصراعات جديدة بين الحضارات المختلفة في الدين، الذي يعد عنصرا بارزا في جميع الصراعات الطائفية والحضارية، وعليه يتساءل هنتنجتون:

"من المسؤول عن عدد زيادة حروب خطوط التقسيم الحضاري، وعن الدور المركزي للمسلمين في تلك الصراعات في أواخر القرن العشرين؟...
هذه الحروب لها جذورها العميقة في التاريخ، العنف المتقطع على خطوط التقسيم الحضاري بين الجماعات الحضارية المختلفة...هناك ميراث تاريخي من الصراع يجري استغلاله واستخدامه عندما يرون سببا لذلك"[2].

ومن بين الحضارات التي بينها خطوط التقسيم الحضاري نجد روسيا، التي لها حدود مع دول إسلامية، كما أن الاتحاد السوفياتي _كما كان يسمى_ مكّون من دول، الكثير منها تنتمي إلى الإسلام والحضارة الإسلامية، وما جعل روسيا تعاني هوياتيا، هو عدد السكان المسلمين بها، وانطلاقا من هذا فإن "حروب خطوط التقسيم الحضاري بين روسيا والشعوب الإسلامية في الجنوب، كان الفرق الكبير في الزيادة السكانية هو الذي يدعمها"[3].

إن حروب الحضارات مثلها مثل الحروب الطائفية، تبدأ ثم تمتد ولا تصل إلى حل سلمي أو تطرح بديلا حواريا، فهي تبدأ وتزداد حدة واتساعا، ويمكن أن تتوقف مؤقتا إلا أنها لا تنتهي، ويمكنها أن تستيقظ فجأة، وعادة ما تتطور وتتسع بفعل عامل الفعل ورد الفعل، ما دامت تنطلق من فكرة

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 414.
2- المصدر نفسه، ص 420.
3- المصدر نفسه، ص 421.

الهوية، وهنا نجد هنتنجتون يصف هذه الحروب بأنها حروب هوية، تمتاز بأنها عنيفة ودموية ولا تنتهي ولا تقبل حلا، ونلمس ذلك في قوله: "تمر حروب خطوط التقسيم الحضاري بعمليات حدة واتساع واحتواء وتوقف، ونادرا ما تصل إلى حل، وتبدأ هذه العمليات عادة متوالية...وبمجرد أن تبدأ حروب خطوط التقسيم، فإنها مثل غيرها من الصراعات الطائفية ويصبح لها شكلها الخاص وتتطور بأسلوب الفعل ورد الفعل، الهويات التي كانت في الماضي متعددة وعرضية تصبح مركزة ومتصلة فالصراعات الطائفية تسمى "حروب هوية" وهي تسمية ملائمة"[1].

إن حرب الحضارات والهويات، هي حروب إثبات الذات وتوكيد المغايرة، فهي تقوم على تعزيز عناصر الهوية وتوكيدها، ولهذا فالهوية الأكثر اتساعا وقوة هي التي تبرز في الحرب الحضارية، كما أنها تصبح أكثر معنى وقيمة بالنسبة إلى أصحابها، مما يجعلهم أكثر تمسكا ودفاعا عنها، وهذا يزيد من الحرب اشتعالا، خاصة عندما يؤمن كل طرف بهويته، ويعتقد بأنها الأعلى والأسمى والصالحة والتي يجب أن تسود، كما يتم توظيف الدين في الدفاع عن الهوية، مما يجعل أصحاب هوية ما يرون أن الهوية المناقضة إمبريالية واستعمارية، وتحمل قوى الشر والدمار، ولا تحمل قيما إنسانية، بل إنها ضد كل ما هو إنساني، وهذا كله يعد خطرا، فتلجأ إلى الجماعات التي تنتمي إلى نفس حضارتها وهويتها من أجل الدم، وهنا تبرز بأكثر شدة حرب الحضارات، "في الحروب تدوى الهويات متعددة العناصر وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع، هي السائدة وغالبا ما تتحدد هذه الهوية دائما بالدين فمن الناحية النفسية، يقدم الدين التبرير الأكثر توكيدا ودعما للصراع ضد القوى الكافرة، التي ينظر إليها كخطر، ومن الناحية العملية فإن جماعتها الدينية أو الحضارية، هي المجتمع الأوسع الذي يمكن أن تلجأ إليه الجماعة المحلية المشتبكة في صراع من أجل الحصول على الدعم"[2].

ولتأكيد هذه الأفكار، يلجأ هنتنجتون كعادته إلى أسلوب التمثيل حيث يقدم لنا مثالا يقول فيه "لو عرّفت إحدى القبائل في حرب محلية بين قبيلتين نفسها بأنها قبيلة مسلمة، والثانية بأنها مسيحية فإن القبيلة الأولى يمكن أن تأمل في دعمها بالمال السعودي والمجاهدين الأفغان، والأسلحة والمستشارين العسكريين من إيران، بينما يمكن أن تتطلع القبيلة الثانية للعون الاقتصادي والإنساني من الغرب، والدعم السياسي والدبلوماسي من الحكومات الغربية"[3].

إنه مثال واقعي سياسي عبّر ومايزال يعبّر عن الحرب الحضارية، والاختلاف الهوياتي، فإن العلاقة بين الغرب والإسلام هي علاقة صدام، بدليل أن هنتنجتون عندما قدم هذا المثال أراد من خلاله أن يبين مدى العلاقة الحضارية بين الدول، فرغم أن الإسلام لا يملك دولة مركز، إلا أنه بمجرد

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 431.

2- المصدر نفسه، ص 433

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أن يقتل المسلمون في أي بقعة من الأرض، فإن الدول التي تحسب على الحضارة الإسلامية تسارع بتقديم الدعم المادي خاصة، وهو نفس المنطق الذي يتعامل به الغرب، إذا كان الاعتداء على مجموعات تنتمي حضاريا للغرب المسيحي، حيث تسارع الدول المسيحية إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي لهذه الجماعات حتى تنتصر أو تحميها، أو تمنح لها حقوقا هي في الأصل ليست لها، إن منطق صدام الحضارات سيقود حتما إلى منطق حرب الحضارات، ويرى هنتنجتون في نموذج آخر أن الجماعات الحضارية، التي يقع عليها الاعتداء العرقي، إذا لم تصور نفسها كضحية، فإنها معرضة للإبادة بصمت الغرب، وهو ما حدث في البوسنة، عندما تعرض المسلمون إلى تطهير عرقي دون أن يتحرك الغرب، رغم أن المسلمين في باقي الحضارات نددوا ودعموا مسلمي البوسنة، إلا أن سكوت الغرب عن تلك المجازر منح الصرب مشروعية لمواصلة تقتيلهم بتزكية غربية، بما فيها الأمم المتحدة التي اكتفت بالتنديد والشجب فقط. وهنا يرى هنتنجتون أنه "إذا لم تتمكن جماعة من أن تفعل ذلك كما فعل مسلمو البوسنة وتصور نفسها بطريقة مقنعة كضحية للإبادة، وبالتالي تثير عطف الغرب، فإنها يمكن أن تتوقع مهمة من أقاربها من نفس الحضارة فقط"[1].

إن حروب خطوط التقسيم الحضاري، كما يعتقد البعض بمن فيهم هنتنجتون، هي حروب هوية محلية، وهي التي تقود إلى توسعها، لكي تشمل جماعات من حضارات أخرى، ولكنها تنتمي إليها هوياتيا مما يجعلها حروباً عالمية وشاملة، ويعتقد هنتنجتون أن تقوية الهوية في أثناء الحروب الحضارية حدث بين المسلمين أكثر من غيرهم من باقي الحضارات.

"فحروب خطوط التقسيم الحضاري، هي بتعريفها حروب محلية بين جماعات محلية ذات اتصالات أوسع، ومن هنا فهي تنمي الهويات الحضارية للمشاركين، تقوية الهويات الحضارية، حدث بين المشاركين في حروب خطوط التقسيم في حضارات أخرى، ولكنه كان سائدا بين المسلمين على نحو خاص"[2].

وتبدأ حروب خطوط التقسيم من الصراعات المحلية بين الأسر أو القبائل أو العشائر المختلفة في بعض العناصر الثقافية والحضارية، لكن في الإسلام، فإن الجماعات تلجأ إلى الإسلام رغم اختلافها، لتجعل منه أساسا للدفاع عن الهوية، وهنا يقدم هنتنجتون مثالا عن صدام حسين في حرب الخليج، أو الحرب الحضارية الأولى، كما يسميها المفكر المغربي المهدي المنجرة، فصدام حسين رغم أنه رجل علماني، إلا أنه أصبح بطلا قوميا في حربه ضد الغرب، فحتى الحركات الإسلامية الأصولية المعادية للعلمانية وقفت معه في هذه الحرب، إن "حروب خطوط التقسيم، قد تكون أصولها في صراعات أسرية أو عشائرية أو قبلية، ولكن لأن الهويات في العالم الإسلامي أقرب إلى شكل (U)

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 433_ 434.

[2]- المصدر نفسه، ص 434.

فإن الصراع كلما استمر، يلجأ المشاركون المسلمون لتوسيع هويتهم إلى "كل الإسلام"، كما حدث مع علماني معاد للأصولية مثل "صدام حسين""[1].

وبالعودة إلى حرب حضارية عرقية داخل الغرب، يرى هنتنجتون أن عودة وعي الهوية لدى البوسنيين جعلهم يتعرضون للتصفية العرقية، ويعود صعود الهوية لدى البوسنيين إلى إنهيار الهوية اليوغوسلافية، التي كانت تجمع هويات مختلفة، وبمجرد ما إن انهار هذا التجمع الذي كان في الحقيقة يعبّر عن الصدع بداخله، حتى أرادت جماعة من البوسنيين توكيد هويتها وانتمائها، وبما أن الغرب لا يريد هوية مخالفة لهويته داخل حضارته العالمية، فقد حدثت المذابح العرقية والتصفيات الإثنية.

"ففي البوسنة حدث صعود درامي للهويات الحضارية، وبخاصة بين مجتمع المسلمين، تاريخيا لم تكن الهويات الطائفية في البوسنة قوية...بمجرد أن انهارت الهوية اليوغسلافية العريضة، استعادت تلك الهويات الدينية أهميتها، وبمجرد أن بدأ القتال زادت قوتها...كل جماعة أصبحت تعرف نفسها بشكل متزايد بمجتمعها الثقافي الأوسع، وتحدد نفسها على أساس ديني"[2].

إنها نماذج حضارية عن حرب الحضارات، بل هي الحرب المعلنة، وغير الشاملة بين الإسلام والغرب، ومن هذه المنطلقات نظر الغرب إلى الاسلام بعد نهاية الحرب الباردة على أنه العدو الجديد.

"في حروب خطوط التقسيم الحضاري، هناك حوافز لدى كل جانب، لا لكي يؤكد هويته الحضارية الخاصة فحسب، وإنما هوية الجانب الآخر أيضا، وفي حربها المحلية لا تنظر جماعة إلى نفسها على أنها تحارب مجرد جماعة إثنية أخرى، بل على أنها تحارب حضارة أخرى، وهكذا يتم تعظيم الخطر واستعجاله بواسطة مصادر الحضارات الرئيسية، والهزيمة لها نتائج ليس على الجماعة فقط، وإنما على كل الحضارة التي تنتمي إليها، ومن هنا تكون حاجتها إلى حضارتها الخاصة لتكون وراءها في الصراع، الحرب المحلية أصبح يعاد تعريفها كحرب أديان وصراع حضارات، ولها نتائج تؤثر على قطاعات عريضة من البشر"[3].

إن الحرب الحضارية بين جماعات هوياتية مختلفة، يكون منطلقها توكيد الهوية بتوكيد هوية الآخر، فإن الآخر هو المختلف عنا، في الثقافة والدين واللغة، وكل القيم الحضارية، بل إنه يريد أن تهيمن حضارته وهويته، في مقابل ضعف وانحطاط وتفكك الهويات المنافسة، إنه المنطق الذي يلجأ إليه كل طرف في حربه ضد الآخر، إنها حرب مقدسة وواجب ديني، يدفع الأفراد الى الموت والتضحية من أجله، وأن أي هزيمة يعني تفكك الهوية، وزوال الحضارة ونهاية الدين، وعليه فإن الحرب الحضارية يمكن تعريفها على أنها حرب أديان، "وباتساع حروب خطوط التقسيم، فإن كل

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 434.

[2]- المصدر نفسه، ص 435.

[3]- المصدر نفسه، ص 438.

جانب يحوّل خصومه إلى شياطين، وغالبا ما يصورهم على أنهم دون البشر، وبالتالي يجوز له قتلهم"[1].

في الحروب بصورة عامة، وفي حرب الحضارات على الخصوص، فإن المجموعات الحضارية تصور الآخر على أنه يحمل قوى الشر، وضد الحضارة، وبالتالي يجوز قتله وتصفيته، كما تلجأ كثير من الجماعات إلى طلب الدعم من ذوي القربى في حربها الحضارية، سواء أكان الدعم مالا أو رجالا أو غير ذلك، ولهذا كان "المشاركون الرئيسيون في حروب خطوط التقسيم الحضاري، يمكن أن يعتمدوا على مساعدات ذوي القربى في نفس الحضارة، ويمكن أن تكون هذه المساعدات أساسية بالنسبة لهم...حكومات وشعوب حضارة ما، يبذلون الدم أو المال لمساعدة شعب من حضارة أخرى بخصوص حرب من حروب خطوط التقسيم"[2].

إن الحرب الحضارية لا تتوقف، فهي يمكن أن تخمد مؤقتا لتعود إلى الظهور مرة أخرى، كما أنها لا تقبل الحلول الوسطى ولا الحوار، وبالتالي فإنها لا تنتهي، ويرى هنتنجتون أنها يمكن أن تنتهي في حالة واحدة فقط، وهي خيانة ذوي القربى، حيث تكون ثمنا للسلام في حرب الحضارات، ولا يمكن للمشاركين في هذه الحروب أن يوقفوها، ممكن أن تتوقف بتدخل أطراف ثانوية، وليس لها مصلحة في هذه الحرب، ولكنه توقف مؤقت، وهو ما يؤكده هنتنجتون بقوله: "المشاركون الرئيسيون في حرب خطوط التقسيم لا يمكنهم وحدهم أن يوقفوها، وقف الحروب ومنع تصعيدها إلى حروب كونية، يعتمد أساسا على مصالح وأفعال دول المركز في حضارات العالم الرئيسية، حروب خطوط التقسيم الحضاري تفور من أسفل، أما سلام خطوط التقسيم يقطر من أعلى"[3].

إن عملية الاستنجاد بدول القربى عملية تقوم بها الحضارة في حربها مع حضارة أخرى، ولقد تشكل عالم ما بعد الحرب الباردة على الانتماءات الحضارية والثقافية، حيث حلّت الثقافة مكان السياسة، وأصبح الانتماء الحضاري هو أساس الحشد، إذا ما تعرضت دولة إلى تهديد من حضارة معادية، "بالطبع تحاول الجماعات أو الدول، التي تنتمي إلى حضارة واحدة، وتجد نفسها مشتركة في حرب مع أصحاب حضارة مختلفة حشد التأييد من إخوانها في الحضارة، ومع تطور عالم ما بعد الحرب الباردة أخذت شراكة الحضارة...تحل محل الإيديولوجية السياسية...ولم يكن أي من هذه الصراعات حربا شاملة بين الحضارات، لكن كلا منها اشتمل على بعض عناصر الحشد الحضاري التي أصبحت على ما يبدو أكثر أهمية مع استمرار الصراع، وبما يعطي مؤشرا للمستقبل"[4].

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 440.

2- المصدر نفسه، ص 469.

3- المصدر نفسه، ص 484.

4- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 32.

فالصراعات الحضارية، والانتماءات الثقافية والخصوصيات الهوياتية، هي ما سيرسم السياسة الكونية في المستقبل، بعد أن زالت الصراعات الإيديولوجية، وانتهت الحرب الباردة، إن عالم اليوم هو عالم متعدد الحضارات والأقطاب، ونتيجة لهذه التغيرات التي عرفها العالم سياسيا وثقافيا وحضاريا والتي أدت إلى بروز أنواع جديدة من الصراعات والحروب، وهو ما سيرسم ويشكل معالم العلاقات الحضارية في المستقبل القريب والبعيد، وأي حرب ستكون في هذا المستقبل، وفق المعطيات السابقة ستكون حتما حربا بين الحضارات، "وفي غضون السنوات القادمة، ستكون الصراعات المحلية المرجح بقدر أكبر أن تتصاعد لتصبح حروبا كبرى، هي تلك التي ستوجد على حدود الهوة الفاصلة بين الحضارات...وستكون الحرب العالمية القادمة إذا ما وقعت، حربا عالمية جديدة، حربا بين الحضارات"[1].

وبالنسبة إلى هنتنجتون، فإن حرب الحضارات تتجسد في الغرب والباقي، والسبب في أن يقف الباقي ضد الغرب، هو ادّعاء الغرب عالمية حضارته وسموها ورقيها، مما يجعله يريد أن تكون النموذج لجميع الحضارات، غير محترم للخصوصيات الحضارية والثقافية والهوياتية لباقي الحضارات وهذا بالنسبة إلى باقي الحضارات إمبريالية وإستعمارية كولونيالية جديدة، بعد أن انتهى الاستعمار التقليدي يريد الغرب أن يجدد استعماره بالقيم الغربية والحضارية لباقي الحضارات.

ولكن "إن الإيمان الغربي بعالمية الثقافة الغربية، يعاني من مشاكل ثلاثة: زيفه، فساده، وخطورته، إن الإمبريالية هي النتيجة المنطقية الضرورية للعالمية، وهي في وسعها أن تقود إلى حرب كبرى فيما بين الحضارات"[2].

وفي نظر هنتنجتون، أن الهيمنة التي يسعى إليها الغرب، قد تستمر لقرنين مقبلين، بعد أن عرف الغرب أوج قوته في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبما أن هناك حضارات تمثل التحدي للحضارة الغربية، برفضها للغرب وقيمه، فإن الغرب لن يستمر في تفوقه، وهذه الحضارات المتحدية للغرب هي الإسلام والكونفوشيوسية، ومنه "فالغرب يستمر في التفوق لعقدين من الزمن ثم يتدهور حسب رأي هنتنجتون، والحضارتان الإسلامية والكونفوشيوسية (الصينية) تشكلان لب "حضارات التحدي" أما حرب الحضارات فستكون حرب القرن الجديد"[3].

الحرب الحضارية هي ما سيميز القرون المقبلة، ولتجنب هذه الحرب التي ستعود بالدمار على البشرية نظرا إلى المعطيات الجديدة التي فرضها العلم، من أسلحة دمار شامل وقنابل نووية، ووسائل اتصال جد متطورة، فإن هنتنجتون يقترح أن تسود فكرة السلام، بدل الصراع والذي إن كان، فإن

1- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 40.

2- محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص 48.

3- المرجع نفسه، م3، ص 522.

أوروبا وأمريكا ستتحالفان ضد البربرية والهمجية والرجعية، وعليه لا بد من السعي للحد من أسباب هذا الصدام، الذي قد يقود إلى حرب الحضارات، ويكون ذلك بأن يقبل الغرب التعدد الحضاري، أو بعبارة أخرى، أن يقبل عالماً متعدد الحضارات، ومن ثم يبني نظاما عالميا جديدا، تحترم فيها الحضارات وخصوصياتها الثقافية والهوياتية، لقد "توخى هنتنجتون الخلوص إلى مقترح يبعد البشرية عن ويلات الحرب الحضارية، إذ في حالة الصدام سوف تتساند أوروبا وأمريكا معا، أو تتساند كل منهما على حدة في الصدام الأكبر الصدام الكوني (الحقيقي) بين الحضارة والبربرية، حضارات العالم الكبرى بكل انجازاتها، في الدين والأدب والفن والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والأخلاق والتراجم...سوف تتساند أيضا معا، أو تتساند فرادى ولتجاوز هذا الخطر الأكثر تهديدا للسلام العالمي، والضمان الأكيد ضد حرب عالمية، هو نظام عالمي يقوم على الحضارات"[1].

ولا بد من أن ندعو أولا إلى الحوار بين الحضارات، والتعايش الحضاري، بل وأن نمكّن هذه الحضارات من التحالف ضد الأخطار الحقيقية التي تهدد البشرية، لأن الحرب بين الحضارات ستقود حتما الى افولها وزوالها، بينما الحوار و التحالف هو ما يجع الحضارات تعبر عن السيرورة والتغير والاستمرارية التاريخية للانسان، ولكن علينا ان نفهم اسباب زوال وافول الحضارات، والتي تعد الحرب الحضارية من بين الأسباب المباشرة لزوالها، وفي المقابل غياب الحوار والتثاقف والتعارف والتعايش بينها من بين الأسباب الأساسية في زوالها وافولها، رغم ان فلاسفة الحضارات ينطلقون من اسباب داخلية واخرى خارجية، فأما الداخلية فهي التي تخص كل حضارة ومقوماتها واسسها، بينما الأسباب الخارجية فتعود بالدرجة الأكبر لزوال التلاقح والتثاقف بين الحضارات، ومن ثمة زوال الحوار والتحالف.

إن الحضارات تولد وتموت، إنها حقيقة تاريخية أثبتها التاريخ، حيث يرى علماء التاريخ والحضارات أن كل حضارة تمر بمراحل، وهي مرحلة الولادة ثم النضج وبعدها الانهيار والأفول، ولكن لم يتم بعد تفسير كيف تتم تلك العملية في التاريخ وأسبابها الحقيقية، ولو أن العلماء يؤكدون، أمثال ابن خلدون ومالك بن نبي وشبنغلر وتوينبي، على أن للحضارات أعماراً مثل أعمار الإنسان، فكل إنسان يولد ويصبح شابا ثم شيخا فيموت بعدها، وموت الفرد لا يعني موت الجميع، وكذلك الحضارات، عندما يأذن التاريخ بأفول حضارة ما، فإنه يأذن بولادة أخرى، حيث تستفيد الحضارات مما خلفته السابقة وهكذا تتم عملية الرقي والتطور في سلم الحضارة الإنسانية، ويصف لنا هنتنجتون أفول حضارة ما بقوله: "الناس يستنفدون رأسمالهم، وتتحرك الحضارة على مسرح الدولة العالمية إلى مسرح الانهيار وهي فترة كساد اقتصادي حاد، مستويات معيشية متدهورة، حروب أهلية بين المصالح

1– عمار جيدل، حور الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، مرجع سابق، ص 74.

المختلفة الراسخة، زيادة في نسبة الأمية، المجتمع يزداد ضعفا ولكن الانهيار يستمر، المستويات الدينية والثقافية والاجتماعية في المجتمع تبدأ في فقدان ولاء الجماهير على نطاق واسع، حركات دينية جديدة تبدأ في الانتشار في المجتمع، شعور بالتردد يتنامى بالنسبة إلى الكفاح من أجل المجتمع أو حتى مساعدته بدفع الضرائب، حينئذ يؤدي التدهور إلى مرحلة الغزو، "عندما تصبح الحضارة غير قادرة على الدفاع عن نفسها، لأنها لم تعد لديها الإرادة للدفاع عن نفسها، فتصبح مفتوحة أمام الغزاة البرابرة الذين يجيئون غالبا من حضارة أخرى أكثر شبابا وأكثر قوة، إلا أن الدرس المهيمن في تاريخ الحضارات هو أن هناك أشياء كثيرة، ولكن لا شيء حتمي، الحضارات تستطيع أن تتجدد، وأن تصلح من شأنها، وقد حدث ذلك بالفعل"[1].

يفهم من هذا أن من أسباب أفول حضارة ما، أن جوهر الحضارة قد زال، وهو ما عبّر عنه هنتنجتون برأس المال، ويعني به خاصة القيم الروحية، وهنا نلمس بعض التأثير الخلدوني في تفسير انهيار الحضارات، فبعد أن تكون الحضارة في أوجها وتصبح عالمية، يبدأ الانحلال يتسرب إليها بعد أن تتدهور اقتصاديا وتقوم بداخلها نزاعات مختلفة، وتتدهور معيشة أفرادها، فتعرف مرحلة الفوضى والضعف، ومما يزيدها ضعفا أن الناس يفقدون العلاقات والارتباطات الدينية والثقافية والاجتماعية وقد تظهر حركات دينية جديدة وأخرى لا دينية، ومن خلال هذه المظاهر الداخلية للتفكك والانحلال الحضاري، قد تتعرض الحضارة للغزو الخارجي، أو أن هذه المظاهر تعرضها عموما للغزو من طرف حضارة أخرى، وتفتقد للقوة والإرادة في الدفاع عن نفسها، إلا أن هنتنجتون يؤمن بعودة الحضارات التي أفلت، أو أن الحضارات يمكن أن تتجدد وتعرف الانطلاق من جديد، فلا شيء حتمي في عالم الحضارات، إلا أن البناء الحضاري على حسب علماء الحضارات، ليس بالأمر الهين، خاصة إذا كان ضعف الحضارة في البعد الروحي والأخلاقي، وهو البعد الذي يصعب إعادة بنائه، لأن غيابه أو انهياره أو ضعفه، هو ما قاد الحضارة إلى الانحلال والزوال والأفول، ويرى بعض الباحثين في العلاقات بين الحضارات، أن الإقرار بالصدام بين الحضارات سيقود حتماً إلى انهيار الحضارات وزوالها، بما فيها الحضارة الغربية التي ستخضع حتماً لقانون الأحوال الثلاث، أو قانون الحضارات لأن "الصراع بين الحضارات، يضعف هذه القوى الروحية والأخلاقية لصالح قوى الدمار، وسيكون هذا على حساب كل الحضارات"[2].

عندما يأذن التاريخ بأفول حضارة ما، فإن قوى الدمار تبدأ في عملها ونشاطها، مقابل تراجع قوى البناء الحضاري، حيث تضعف القيم وتتدهور العلاقات الاجتماعية والروابط الثقافية والدينية وتكثر النزاعات ويضعف الاقتصاد، وتنحل القيم الروحية، مما يقودها إلى التفكك، ومن ثمة الانهيار والأفول

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 490.

[2]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 157.

ومن هذا يرى توينبي وفقا لقانون التحدي والإستجابة أن الحضارات تولد وتنمو وتزدهر، لكنها تأفل وتموت، سواء أكان موتها طبيعيا، بمعنى أن فترتها التاريخية قد انتهت، أو بالانتحار الحضاري عندما تدمر نفسها بنفسها، والتاريخ هو من أكبر العوامل تأثيرا في الحضارات، من حيث بقاؤها واستمرارها أو فناؤها وزوالها، ومنه "فإن توينبي بعد دراسته لأكثر من عشرين حضارة خلال عصور التاريخ، تبين له أن أيًّا منها لم يقو على تحدي عامل الزمن بالخلود، سواء أكانت نهايتها موتا طبيعيا أو انتحارا"[1]. إنه القانون الذي مرّت به جميع الحضارات، ويمر به الإنسان، وإنها حتمية تاريخية أرادها الله وبثها في جميع الحضارات، فلم يعرف التاريخ خلود حضارة ما مهما أوتيت من قوة وهيمنة وسيطرة وربما الحضارة الغربية اليوم تعيش سراب الخلود كما يسميه توينبي، نتيجة لأنها لم تعِ درس التاريخ معتبرة قوتها الحضارية مختلفة عن سابقاتها، وأنها بالتالي تشذ عن القانون العالمي والتاريخي للحضارات ربما تضعف الحضارة ويمكن أن تعود وتتجدد من الداخل، بإحياء القيم وعودة الثقافة والنهضة الفكرية والإصلاح الديني، ولكنها ستمر لا محالة بمراحلها التاريخية، حيث "تمر كل حضارة بميلاد يعقبه طفولة فشباب ثم شيخوخة وفناء، ذلك ما أرادته وقدّرته مشيئة الله بالأمم والحضارات"[2].

ورغم أننا اليوم نعيش حضارات متعددة، إلا أن الحضارة الغربية هي الحضارة التي تسيطر اليوم على المشهد العالمي، وأن هيمنتها جعل كثيراً من المفكرين في الغرب يعتقدون بأنها حضارة أقوى مما يعني أنه لا يؤثر فيها قانون الحضارات، وبهذا أصيبت بسراب الخلود، حينما اعتقدت في حضارتها العالمية والمطلقية، وفلسفة النهايات تؤكد ذلك، ففرنسيس فوكوياما وصل إلى نهاية التاريخ بمعنى أن انتصار النموذج الغربي على الشرقي، وضع نهاية للثنائية القطبية، وبشّر بهيمنة مطلقة للحضارة الغربية، وأنها الحضارة التي لا تعقبها حضارة أخرى، فهي بهذا المعنى تعني نهاية التاريخ الذي تشكل أخيرا في حضارة واحدة لعالم واحد، وأعلن عالميته، وعالمية قيمه الحضارية، وأن أي رفض لهذه القيم التي قامت عليها الحضارة الغربية يعني نهاية الغرب وحضارته، كذلك لا يمكن تصور غرب دون جناحه الممثل في أوروبا، أو أمريكا، ومن هنا يقول هنتنجتون: إن "رفض قانون الحضارة الغربية يعني نهاية الولايات المتحدة التي نعرفها، ويعني كذلك بالفعل نهاية الحضارة الغربية لو تخلصت الولايات المتحدة من أثر الغرب فإن الغرب سيتم اختزاله إلى أوروبا...وبدون الولايات المتحدة يصبح الغرب جزءًا صغيرا جدا ومنهارا"[3] وإن انهيار الغرب، قد يقود إلى انهيار الحضارة العالمية، وانهيار الإنسانية وفق الطرح الغربي.

---

[1]- أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة اليونانية، الإسلامية، الغربية، مرجع سابق ص 01.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 496.

والحضارة العالمية اليوم تعاني مظاهر التفسخ والانحلال، وما زاد الحضارة ضعفا ودخولا في فوضى عالمية، هو غياب نظام عالمي دولي عادل، وضعف الدولة القومية، وعدم القدرة على مراقبة الحركات الجديدة التي تهدد الإنسانية وحضارتها، واستعمالها لوسائل جديدة هي وسائل العلم والتكنولوجيا في الاتصالات، مما أدى إلى الإعلان عن قلق في الحضارة، فالإنسان يدمر الطبيعة وهو بذلك يدمر ذاته وحضارته، فهناك منظمات تنشط خارج القانون، وهي تهدد البشرية بالجريمة والمافياوية والإرهاب واستخدام أسلحة الدمار الشامل، ومحاولة إغراق الإنسانية في الفوضى العالمية وإذكاء روح التوتر والانقسامات والصراعات داخل الحضارات، كما أن الحضارات تشهد اليوم ضعفا في الأخلاق والتفكك الأسري، والعلاقات الاجتماعية والهوياتية، وهذا ما يسمى بالانحلال والتفكك الحضاري الداخلي، أما على المستوى العالمي، فهناك عودة إلى فلسفة الصدام الحضاري التي نادى بها هنتنجتون.

إذن "هناك انهيار كوني في القانون والنظام ومافيا عابرة للقوميات، وكارتلات للمخدرات وإدمان متزايد لها، في كثير من المجتمعات وضعف عام في الأسرة، وانهيار في الثقة والتضامن في كثير من الدول، وعنف إثني وديني وحضاري، وحكم بقوة السلاح يقود أنحاء كثيرة من العالم...تبدو معدلات الجريمة في صعود كبير، وتخبو عناصر الحضارة الرئيسية، الناس يتكلمون عن أزمة كونية في الحكم...صعود عصابات الرعب التي تهاجم الحضارة بعنف"[(1)].

إن الحضارة اليوم، رغم عالميتها وتفوقها وتطورها، إلا أنها تعاني أزمات أو بلغة عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد، هناك قلق في الحضارة، فعودة الصراعات الإثنية، وانهيار النظام المالي والاقتصادي العالمي، وانهيار النظام الدولي، زاد من انتشار الجريمة العابرة للقارات، والإرهاب وسيطرة فئات قليلة على الاقتصاد العالمي، فيما يسمى بالكارتلات والشركات متعددة الجنسيات والعابرة للقارات، مما أدى إلى خلل في توزيع الثروة والمال والقوت، وهذا أظهر بدوره جشع الإنسانية، وأنانية الإنسان وحبه للتملك والهيمنة والسيطرة، فهو ذئب لأخيه الإنسان، وما هو ملاحظ عالميا أن "القانون والنظام هما المطلب الأول للحضارة، وفي أنحاء كثيرة من العالم..يبدو أن القانون والنظام يتلاشيان بينما يتعرضان أيضا لهجوم خطير في الصين واليابان والغرب، وعلى مستوى عالمي تبدو الحضارات وكأنها تستسلم للبربرية في جوانب كثيرة...ربما تنزل على الإنسانية عصور كونية مظلمة"[(2)].

إن الحضارة تشهد فترة التراجع في القيم والأخلاق والثقافة، فليس المقياس المادي دليلاً على التحضر في غياب القيم والدين والأخلاق، فمهما ارتقى الإنسان في سلم الحضارة المادية، وتراجع أخلاقيا فإن ذلك دليل على التراجع الحضاري، والعودة بالتالي إلى البربرية التي شهدتها الإنسانية في السابق فاستخدام الأسلحة الفتاكة، والتحكم في اقتصاد العالم من أجل تدمير حضارة ما، وإفناء شعب

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 519 _ 520.

[2]- المصدر نفسه، ص 520.

ما، هي في الحقيقة قمة الهمجية والبربرية، والكشف عن الوجه الحقيقي لحضارة الإنسان، هذا الأخير الذي أوجد حضارة وضعت في الأساس للبناء فإذا بها تدمر، ومن هذا فقد كانت الحتمية التاريخية التي تنطبق على الحضارات، تضع كل حضارة في مسارها الحقيقي، وتقودها بالتالي إلى الأفول والزوال بعد أن تستوفي حقها من الازدهار والسيطرة، وهنا يرى العلماء أنه "من الفروض والضوابط العامة التي يعتبر هنتنجتون أن العلماء اتفقوا عليها، كون الحضارات فانية...فهي تندثر وتدفن تحت رمال الزمن"[1].

إن فناء الحضارات، حقيقة تاريخية أثبتها التاريخ، ولم يصلنا أن هناك حضارة عرفت الخلود كما لم يصلنا أن حضارة ما قد قامت بإفناء حضارة أخرى، ومن بين الذين قدموا تفسيرات حضارية لظهور ونمو واندثار الحضارات، فيلسوف الحضارة أرنولد توينبي، صاحب قانون التحدي والاستجابة فكل حضارة نشأت تحت فعل التحدي والاستجابة، كما أنها تعرف القوة والازدهار والتطور وفق هذا القانون، وبعدها تأتي مرحلة الانهيار والانحلال، "وينقل عن توينبي قوله: بأن الحضارة تقوم ردا على تحديات، ثم تمر بمرحلة نمو تتضمن سيطرة متزايدة على بيئتها بفضل أقلية خلاقة، يتبعها مرحلة قيام دولة شاملة، ثم بعد ذلك يكون التفسخ"[2].

فانحلال الحضارات وانهيارها، ومن ثمة زوالها، تسبقه عوامل وأسباب تقود إلى ذلك، ومن بين العوامل والأسباب هو وصول الحضارة إلى القمة والمجد، وبعدها يعرف منحناها البياني في الدوران وتجاوز الذروة، بعد أن تتفشى فيها مظاهر التراجع الحضاري، من تراجع في القيم الأخلاقية، والدينية وموت الضمير، وتفكك العلاقات العامة والخاصة بين الأفراد وداخل الأسرة والمجتمع، وظهور النزاعات، وتقديس الماديات، وانهيار المثل، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية من بذخ بالنسبة إلى فئة معينة، وفقر وجوع لفئة أخرى، أي سوء توزيع الثروة والغذاء، كلها عوامل النهاية التي تكتبها الحضارات بخط يدها، ونهاية الحضارات قانون يصدق على جميع الحضارات، التي كانت والموجودة اليوم، والتي تعتقد أن المستقبل أمامها، فتتوهم الخلود، "أما عن مستقبل الحضارات، فيرى هنتنجتون أن المجتمعات التي تفترض أن تاريخها قد انتهى (بمعنى وصل إلى ذروة مجده) هي دائما مجتمعات يكون تاريخها على حافة الانهيار "[3].

وتسبق مرحلة الانهيار قوة في الحضارة، والحضارات تتفاعل فيما بينها، حيث تستفيد كل حضارة مما أبدعته الحضارات الأخرى، وهذا ما يسمى بقانون التراكم الحضاري، والذي تستفيد منه الأجيال وترتقي به في سلم التطور الحضاري، إن الخلود وهم، وإن الأبدية سراب، فكل الحضارات لها

[1]- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 50.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 120.

أعمار تعيشها وتقاس قوتها بمدى ما أبدعته، وما شاركت به في التطور الحضاري للإنسان، ويمكن بالتالي لأي حضارة أن تعمر طويلا، وأن تستمر فترة طويلة من الزمن، إلا أن ذلك لا يعني خلودها وأبديتها، إن "الحضارات فانية، أو ليست أبدية، إلا أنها أيضا تعيش طويلا، فهي تتطور وتتكيف وهي أكثر الجماعات الإنسانية ثباتا، وتحملا "حقائق المدى الطويل" جوهرها الفريد والخاص هو "استمرارها التاريخي الطويل"، الحضارة هي أطول قصة في الواقع، الإمبراطوريات تنهض وتسقط، الحكومات تجيء وتذهب، الحضارات تبقى وتنجو من كل التقلبات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية الكبرى وحتى الإيديولوجية"[1].

واستمرارية الحضارة وليس أبديتها، تتحكم فيها ميكانيزمات ثقافية وقيمية وتاريخية واقتصادية وغيرها فرغم التقلبات والتغيرات التي تشهدها الحضارات، من تغير نظم الحكم والتقلبات الاقتصادية والعسكرية، إلا أن ما هو ثابت ومستمر فيها هو المقومات والمبادئ التي بنيت عليها، والتي لا تعرف الزوال إلا بزوال الحضارة، إن بقاء واستمرار مجتمع ما، متوقف على تلك العلاقات التي تربط بين أفراده وتحمل بعدا ثقافيا وهوياتيا، ولا تخضع بالتالي إلى تقلبات السياسة والاقتصاد وغيرها، ومن هنا فإن "التاريخ الدولي يوثق عن حق أطروحة أن النظم السياسية حيل زائل على سطح الحضارة، وأن مصير كل مجتمع متحد لغويا ومعنويا، يعتمد تماما على بقاء أفكار بنية أساسية تجمعت والتحمت حولها أجيال متتالية، وبالتالي فهي ترمز إلى استمرارية المجتمع، وعمليا فإن جميع الحضارات الرئيسية في العالم في القرن العشرين، إما أنها استمرت مدة ألف عام، أو مثل حضارة أمريكا اللاتينية الذرية المباشرة لحضارة أخرى، عاشت طويلا، وبينما الحضارات تبقى، إلا أنها تتطور أيضا، وهي حركية تنهض وتسقط، تتحد وتنقسم، وكما يعرف كل دارس للتاريخ، فهي أيضا تندثر وتدفن في رمال الزمن، ويمكن تحديد مراحل تطورها بوسائل مختلفة، ويرى كويجلي أن الحضارات تتحرك عبر سبع مراحل: الامتزاج، الحمل، التوسع، عصر الصراع، الإمبراطورية الكونية، التآكل، الغزو"[2].

وبهذا يلخص لنا هنتنجتون حياة الحضارات وموتها، إن ما يساعد على استمرار الحضارة وبقائها عوامل تتجاوز العوامل المادية الزائلة والمتغيرة، وتخضع الحضارات إلى فعل التجديد والانقسام والصراع في حركية التاريخ التي لا تعرف التوقف، وقد تتحد الحضارات أو تتحالف كما ذكرنا سابقا كما أنه يمكن أن تشهد تقلبات كثيرة في جميع مراحلها وانتقالها من مرحلة إلى أخرى، وفي النهاية قد تصل إلى العالمية والشمولية والكوننة، إلا أنها تعدّ آخر مرحلة في حياة الحضارة، ليأتي دور التفسخ والانحلال والأفول، كما أن الخطر على الحضارة قد يكون خارجيا عندما تتعرض الحضارة إلى فعل الغزو والاحتلال، إلا أن ذلك لا يقود إلى فناء الحضارة التي يمكنها أن تعاود الظهور والبروز والنمو

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 72.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

من جديد، وجميع الحقائق تنفي خلود مجتمع أو حضارة، ويستند هنتنجتون في تأكيد هذه الفكرة إلى آراء بعض الفلاسفة حيث يقول: "لا يوجد مجتمع خالد وكما قال **روسو (Jean-Jacques Rousseau)***: "إذا كانت إسبرطة وروما قد زالتا، فأية دولة يمكن أن تأمل في الاستمرار إلى الأبد؟ حتى أكثر المجتمعات نجاحا تكون في مرحلة ما مهددة بالتفسخ الداخلي والتلاشي، وبقوى بربرية خارجية جبارة وعديمة الرحمة، وفي النهاية ستعاني الولايات المتحدة الأمريكية قدر إسبرطة وروما والجماعات الإنسانية الأخرى"[1].

ومنطلقات هذا التحليل في فلسفة الحضارة عند هنتنجتون من أجل الوصول إلى الحضارة الغربية، فقد نوه هنتنجتون أن قوة الحضارة الغربية وعالمية قيمها، وأنها الحضارة السائدة اليوم والمهيمنة، لا يمنع من أن تخضع لقوانين الحتمية التاريخية الحضارية، وأن ما أصاب الحضارات السابقة سيقع للغرب، وما على الغرب إلا أن يتخلص من سراب الخلود، وينطلق في إعادة بناء حضارته، وفق أسس ومعايير حضارية جديدة، تؤمن بالتعدد الحضاري ومشاركة جميع الحضارات في الحضارة العالمية الإنسانية والبناء الحضاري، وعليها أن تعترف بتلك الحضارات وقيمها، وبالتالي تنهي مرحلة التقوقع والتمركز حول الذات، لتفكر في نظام دولي جديد، تنفتح فيه جميع الحضارات بعضها على بعض، من أجل الإنسانية، إن الغرب ودولة المركز فيه، أي أمريكا محكوم عليها بالفناء إلا أن هنتنجتون يعتقد أن أمريكا تستطيع أن تجدد حضارتها مؤقتا من داخلها، وأن تؤجل فنائها مدة طويلة من الزمن، والدليل هو أن هنتنجتون توقع أن أمريكا قد وصلت إلى قمة التطور الحضاري وبالتالي حان الوقت لبداية الانهيار، إلا أن تحديات واجهتها جعلتها تعيد بناء نفسها وتدافع عن حضاراتها بعد أن ضربت من الخارج، مما أدى إلى الشعور بالوحدة والهوية لدى أفرادها، وكأن قانون التحدي والاستجابة قد فعل فعله هنا، فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001، جدد الغرب نفسه في مواجهة عدو جديد قديم، واعترف الغرب أن وجوده متوقف على وجود أعداء، وأن الصدام الحضاري أكبر ضامن لبقاء الغرب، وعليه "وكما لاحظ **روبرت كابلان (Robert Kablan)**** ربما توجد أسباب "أن أمريكا ولدت لتموت أكثر من أي أمة أخرى" ومع هذا، فإن بعض المجتمعات التي تواجه تحديات خطيرة لوجودها قادرة على تأجيل فنائها وإيقاف تفسخها بتجديد إحساسها بالهوية الوطنية، وهدفها الوطني وقيمها الثقافية المشتركة، وهذا ما فعله الأمريكيون بعد 11 أيلول، والتحدي الذي يواجهونه في

---

* *جان جاك روسو (1712_1778) فيلسوف فرنسي من أهم مؤلفاته: أصل التفاوت بين الناس.*

1– *صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص 27.*

** *روبرت كابلان (1952_) صحفي أمريكي.*

الأعوام الأولى من الألفية الثالثة، إذا ما كانوا يستطيعون أن يستمروا في فعل ذلك إن لم يكونوا تحت الهجوم"[1].

ومن حقائق التاريخ كذلك، أن الحضارة التي تصل إلى العالمية، وإلى الكونية والقوة تكون محط أنظار باقي الحضارات، وإنها تكون دائما المحركة للتاريخ وأحداثه، وصانعة للنظام العالمي، ومصدراً للقيم والتحولات، وتكون مجتمعاتها أكثر تهديدا وتحدق بها الأخطار من كل جانب، ولكن هذه الظروف والعوامل والتحديات، التي تواجهها الحضارات العالمية، كحضارة الغرب اليوم، تكون في كثير من الأحيان سببا في قوتها وتحديها، وبالتالي تعرف نوعاً من الوحدة والتماسك، مما يقودها إلى الاستمرارية وتأجيل فنائها، ولقد أدرك الغرب ذلك، فلم يكف لحظة عن تصور أعداء والدخول في صدامات حضارية مع الباقي، وهذه التحديات لا تدل على الضعف، بل العكس إنها عامل قوة، حيث "تواجه كل المجتمعات من حين لآخر تهديدات لوجودها، الذي تضحي من أجله في النهاية، ومع ذلك فثمة مجتمعات حتى عندما تكون مهددة تكون قادرة على إرجاء فنائها بالتوقف، وعكس عمليات الضعف وتجديد حيويتها وهويتها، أنا أعتقد بأن أمريكا تستطيع أن تفعل ذلك"[2].

إن العناصر المكونة والجوهرية في أي حضارة، هي ما يساعد الحضارة على البقاء، وينقذها من الموت والفناء، إنها تعود إليها كلما كانت هناك تحديات تواجه بقاءها، كل حضارة تعاني مراحل تمر بها كالضعف والركود والجمود، إلا أنه بمجرد أن تواجه خطرا حتى تنتفض قواها ومكوناتها الأساسية لإعادة بعثها من جديد، وتجديد ما تجاوزه التاريخ، فتحيي الأمجاد وتتمسك بالهوية الحضارية، وتستمر في الفعل الحضاري، إلا أن يأذن التاريخ بأفولها، "لابد من نفي صفة الانقطاع عن الفعل الحضاري لأن الحضارة قد ينتقل مركز نشاطها، قد تتغير وتتبدل معطياتها، قد تعاني الضعف والركود، لكن لا تتوقف أو تموت، لأن عناصر الحضارة تستمر"[3].

وتستمر الحضارة بقوة الثقافة التي تحملها، والتي يمكنها أن تتغلغل في داخلها، وحتى في الثقافات الأخرى، فالحضارات تولد وتموت، وهناك عوامل ومحددات لولادة حضارة وظهورها، بل وعالميتها وقوتها وانتصارها، كما أنه يمكن أن تولد حضارة عالمية تجمع بين الشعوب عن طريق المشتركات الإنسانية، ومنه فإن "الحضارة تولد كما يولد الطفل، بالرغم من صرخات الأم وبكائها وآلامها، ولكي تأتي عملية ولادة الحضارة الجديدة طبيعية بدلا من أن تأتي قيصرية، فلابد من اعتماد الخطوات التالية:

أولا: نزع فتيل الحرب عالميا...

1- صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، مصدر سابق، ص ص 27 _ 28.

2- المصدر نفسه، ص 15.

3- حسن إبراهيم أحمد، صدام المصالح وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص 108.

ثانيا: التعاون مع الشعوب التي تتولد حضارتها الآن...

ثالثا: دفع الدول العملاقة اقتصادياً إلى تحمل دور إنساني...

رابعا: الامتناع عن التدخل المباشر وغير المباشر ضد حضارات الآخرين"[1].

والأكثر من كل هذا خلق تواصلية حقيقية بين جميع الحضارات، يكون منطلقها الحوار والتعايش، ومنتهاها التحالف من اجل الانسان والانسانية، ودفع كل ما من شانه يكون سببا او مقدمة لنشوب حروب حضارية بين الحضارات، مع ضرورة احترام مبادئ واسس وقواعد كل حضارة، وثقافتها وهويتها.

وعليه فإن من بين أسرار بقاء الحضارات واستمرارها، قدرتها على الإبداع والتفاعل مع باقي الحضارات، وعلى كل حضارة ألاّ تعتقد بأنها قد وصلت إلى المطلق، وأنها مكتفية بما أنتجته وأبدعته وتستطيع بالتالي أن تخلق جوا من التواصلية والاحتكاك بالحضارات الأخرى، لها قدرة التجدد والبقاء ومواصلة المسيرة الحضارية التاريخية، وما عليها إلا أن تستمع لذاتها وللآخرين، وأن تكون لها رؤية خاصة للعالم والوجود، دون أن تعتبر تلك الرؤية هي الأصلح أو الأنسب لباقي الحضارات فتتحرر الحضارة بالتالي من عقدة التفوق ودونية الباقي، مما يجعلها قادرة على خلق فرص التواصل والحوار والتعايش والتحالف وتجاوز الجمود والثبات، وهذا يزيدها قوة وحصانة من التفكك الداخلي والغزو الخارجي، ولكن "حين تنتهي الحضارة، ويأفل نجمها فإن ذلك يعني نهاية عصر تلك الأسئلة والحاجات التي كانت الحضارة تجيب عنها وتتولى تلبيتها"[2].

---

[1]- هادي المدرسي، لئلا يكون صدام حضارات_الطريق الثالث بين الإسلام والغرب_ بيروت، دار الجديد، ط1، 1996 ص ص 66_67.

[2]- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرج سابق، ص 137.

خاتمة:

ومن هذا فإن الغرب الأوروبي الأمريكي بمكوناته الثقافية والحضارية، قد شكّل معالم عصر جديد فمنذ نشأته وفق المكونات الحضارية الخاصة به، والتي جعلها منطلقا وهدفا لبناء حضارة غربية تقوم على الاشتراك في قيم من إنتاجه، ومحاولا أن يعولمها ويعممها على باقي الحضارات، معتبرا نفسه مركزا بل والمرحلة الأخيرة في سلم الحضارات، ومقتنعا بأن التاريخ قد أذن بنهايته، في الوصول إلى الحضارة التي لا تعقبها حضارة أخرى، ومن هنا دخلت الفكر الغربي فكرة خلود الحضارة الغربية وأن التحديات الحضارية للغرب ستحملها حضارات لا تنتمي إلى المكون الأوروبي، إلا أن هذا التحدي يجب أن يقرأه الغرب قراءتين، الأولى أن الحضارات المتحدية تريد أن تخلق عالماً متوازناً حضاريا يؤمن بالتعدد والتنوع الحضاري، ورافضا لهيمنة القيم الحضارية الغربية، واعتبارها قيم مطلقة وكلية وهذا طبعا ما يسمح للغرب لأن يعزز من هويته ووحدته في مقابل تلك الحضارات، والقراءة الثانية أن هذا التحدي سيفرض قيام صراعات وصدامات بين الحضارة الغربية والحضارات المتحدية، وفي كلتا الحالتين فإن ذلك مفيد ونافع للغرب، لماذا؟

لأنه أيقظ الشعور بالهوية لدى أفراده، خاصة بعد أن زال العدو التقليدي المتمثل في الاتحاد السوفياتي وإيديولوجيته الشيوعية، وأبرز أعداءً جدداً للغرب تحمل قيما حضارية مخالفة له، تريد فرض منطقها وقيمها والتصدي للتغريب والهيمنة، وهذا بدوره قد خلق لدى الغربيين استشعار الخطر، خاصة بعد الهجمات على برجي التجارة الأمريكية رمز القوة والسيطرة الاقتصادية الغربية، ومن هنا فقد بدأت الحرب الحضارية كما يسميها المهدي المنجرة، بعد أن تشكلت معالم حضارية وسياسية وثقافية جديدة رسمها عالم ما بعد الحرب الباردة، وبما أن الحضارات المتحدية للغرب قامت في أساسها على الدين فقد اعتبر هنتنجتون هذه الحضارات المهدد الفعلي للغرب ومصالحه، لأن الغرب في الحقيقة لا دين له، بعد أن أعلن الفصل بين الدين والدولة وقام على مقومات حضارية لا تعبّر عن الهوية الثقافية، بل هي قيم عامة قد نجدها في كثير من الحضارات معبّرا عنها بطرق مختلفة فقط، ومن هنا فإن تلك الحضارات قد طالبت وسعت إلى إيجاد عالم متوازن القوى، يحترم التعدد والتنوع الثقافي والحضاري مطالبا بإسقاط الأحادية التي أرادت منها العولمة أن تكون في العالم، ومطالبة بنظام عالمي جديد تسود فيه قيم العدالة واحترام التعدد والتنوع الثقافي والهوياتي والخصوصيات الحضارية، وهذا لن يكون إلا بالإيمان بالحوار الحضاري، فهل حوار الحضارات ممكن في ظل العولمة؟

الفصل الرابع

أطروحتا حوار وتحالف الحضارات

مقدمة

المبحث الأول: حوار الحضارات، المفهوم والمنطلقات

المبحث الثاني: في نقد أطروحة حوار الحضارات

المبحث الثالث: تحالف الحضارات، المفهوم والبديل

المبحث الرابع: تحالف الحضارات، بين المنتديات والنقد

خاتمة

الفصل الرابع: أطروحتا حوار وتحالف الحضارات.

مقدمة:

لقد كانت الأطروحات السابقة تقوم على فكرة الصراع، وانطلاقا مما شهده العالم من تغيرات وتطورات تشكل نظام دولي جديد، وعالم متعدد الحضارات، وبدأت الحضارات في رسم معالم عالم جديد يقوم على الانتماءات الثقافية، وأصبح الناس يبحثون عن هويتهم الضائعة في زمن العولمة، وبما أن الغرب هو المهيمن على العالم، فإنه يريد لحضارته وقيمه أن تسود العالم، وبالتالي يريد أن يشكل العالم وفق تصوراته، ووفق مصالحه في نظرة أحادية تعبّر عن محاولة تأحيد العالم، وبناء حضارة عالمية واحدة لعالم واحد، مرة باسم العالمية، وأخرى باسم العولمة، وجعل باقي الحضارات والثقافات تعاني فقدان المعنى، ومن هنا كانت المقاومة لقيم العولمة والسعي لعولمة القيم.

وشهد العالم قبل هذا خروج المجتمعات من حرب إيديولوجية بين المعسكر الغربي والشرقي انتهت بانتصار الليبرالية وهيمنة النموذج الغربي، ونتيجة لمحاولة هيمنة الغرب، ونشر قيمه واعتبارها عالمية وكونية، وإقصاء باقي الثقافات، وعدم الاعتراف بالخصوصيات الثقافية والتعدد والتنوع، نشأ صراع جديد بين الحضارات واصطدم الغرب ببعض الحضارات التي ترفض تلك الهيمنة والسيطرة وتريد بدورها لقيمها وحضاراتها أن تشارك في صنع النظام العالمي، وحدث صراع بين الغرب والإسلام، وبين الغرب والباقي، وصل إلى درجة الحرب الحضارية والعسكرية، خاصة بعد الهجمات التي تعرضت لها أمريكا في 11 سبتمبر 2001، والتي أُعتبرت بداية تاريخ جديد، تحدد فيه العلاقات بين الحضارات على أسس ثقافية، واتهم بعدها الإسلام بالإرهاب والدموية، وبدأ الغرب يعبّر عن وجود عدو جديد، ألا وهو الإسلام، وظهرت في الأفق أفكار تصف الإسلام بالشر والبربرية والهمجية، وعليه ضرورة محاربته ومحاربة قيمه وحضارته، ولكن بالمقابل ظهرت مواقف تشجب هذا الفعل، وتعتبر الهجمات عملا معزولا، لا يعبّر عن موقف الإسلام من الغرب، ويجب ألاّ يتخذ بالتالي ذريعة لشن هجمات حضارية وفكرية وثقافية وحتى عسكرية على العالم الإسلامي ودوله، وإقرار مشروعية الصدام الحضاري.

وبالمقابل دعت أطراف أخرى إلى ما عرف كنقيض لأطروحة صدام الحضارات، ألا وهو حوار الحضارات، والذي نادى به كل من روجيه غارودي، ومحمد خاتمي، وبعض الدوائر الغربية فكانت فلسفة الحوار الحضاري، بإعلان الأمم المتحدة سنة 2001 سنة للحوار بين الحضارات، ودعت إلى ضرورة تفعيل هذا الحوار وديمومته، وكانت البدايات بعقد مؤتمرات وندوات دولية شارك فيها الكثير من المفكرين والعلماء من جميع الحضارات، وكان النقاش فعالا، وكثيرا ما اختلف المؤتمرون حول مفهوم الحوار ومنطلقاته أو أسس الحوار الحضاري البنّاء، وظهرت بالمقابل اطروحة اعتبرها الكثير امتدادا أو تطورا لأطروحة حوار الحضارات، ألا وهي أطروحة تحالف الحضارات، وعلينا إذن أن

نتساءل: ما مفهوم الحوار، وما هي الأسس التي بني عليها؟ وهل حقق أهدافه، وهل يمكن إقامة حوار حضاري حقيقي وهل هو حوار حضارات أم ثقافات أم أديان؟ وهل هو الأطروحة البديل لأطروحة صدام الحضارات؟ كيف انتقلنا من فلسفة الصدام الى الحوار ثم التحالف؟ ما موقف هنتنجتون من الحوار والتحالف؟

المبحث الأول: حوار الحضارات، المفهوم والمنطلقات

1_ في مفهوم الحوار.

أ_ من الناحية اللغوية:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "الحوار في اللغة الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، وحار إلى الشيء وعنه أي رجع عنه وإليه، وقال الجوهري: حار يحور، أي رجع، وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار، والحوار هو النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال، ويقال كان على حالة جميلة فحار عن ذلك، أي رجع"[1].

فالحوار هنا بمعنى الرجوع، أي الرجوع إلى لغة التفاهم والعقل، والرجوع بمعنى أن الفعل قد حدث ونود الرجوع عنه أو إليه، ويفيد المعنى اللغوي هنا عند ابن منظور، أن هناك انتقالاً من شيء إلى آخر، بمعنى أن الإنسان قد انتقل من لغة الحوار إلى العنف أو الصراع أو الصدام، ثم عاد إلى الحوار مرة أخرى، وهذا هو معنى أنه حار، أي انتقل من حال إلى حال، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى "فقال لصاحبه وهو يحاوره"[2]

والحوار في القرآن معناه التخاطب، وتبادل الكلام والرأي، بغية التفاهم والوصول إلى رأي، وقد يعني عند البعض أنه بداية الجدال، فالرجل الذي حاور صاحبه في القرآن، أراد أن يجادله بأنه أقوى منه، إلا أن الحوار عادة ما يكون بين اثنين فأكثر حول موضوع أو قضية ما، كما تستخدم فيه عدة طرق وأساليب، وهوما سنعرفه في مضمون هذا العنصر، أما من حيث الاشتقاق اللغوي لمصطلح الحوار فهو "فعال من فاعل، مصدر من حاوره حوارا، ومحاورة، وهو كلام لا يكون إلا بين اثنين فأكثر، والحوار كلام يدور بين اثنين ويرادفه الجدال...والحوار حديث بين طرفين، للعثور على أرضية مشتركة يتوصل من خلالها إلى أهداف محددة، قد تكون هذه الأرضية قيما مشتركة كإقامة العدل ونبذ الحروب... والحوار قيمة إنسانية"[3].

وهنا إشارة إلى بعض المعاني العامة للحوار، من حيث إنه لا يتم إلا بين اثنين فأكثر، كما أنه قد يفيد معنى الجدال، والهدف منه التخاطب بلغة مفهومة وواقعية وعقلانية، من أجل إيجاد منطلقات

1- ابن منظور، لسان العرب، ج1، مرجع سابق، ص 217.

2- سورة الكهف، الآية 37.

3- عبد الله بن محفوظ بن بيه وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص 180.

مشتركة، للتوصل إلى اتفاق أو تفاهم أو تواصل فيما يخص قضايا مختلفاً حولها، لتحديد مفهومها أو ممارستها وتحقيقها، مثل العدل والحرية وغيرها، بل إن الحوار فضيلة وقيمة أخلاقية عليا، تسمو بها النفس وتعلو لتنبذ من خلالها الدمار والحروب، فهي فضيلة إنسانية تقف ضد العنف، ويعلو فيها الضمير، وتطمئن فيها النفس، ويستنير فيها العقل.

ب_ الحوار من الناحية الاصطلاحية:

ولقد تعدد مفهوم الحوار، وتعددت أنماطه ومستوياته، فهناك الحوار السياسي والاقتصادي وهناك مستوى أعلى من الحوار وهو ما يعرف بحوار الأديان وحوار الثقافات وحوار الحضارات، هذا الأخير الذي جاء كرد على فلسفة الصدام الحضاري، التي جاء بها المفكر والفيلسوف وعالم السياسة صموئيل هنتنجتون الذي نظّر في كتابه: "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" لأطروحته معتبرا أن العالم سيعرف في المستقبل صداما بين حضارات، تختلف في مقوماتها ومكوناتها الثقافية وقد تمخضت تلك الحضارات عن نهاية الحرب الباردة، وظهور نظام دولي جديد، وصعود حضارات منافسة للحضارة الغربية، تريد أن تشارك في صنع النظام العالمي الجديد، وفرض وجودها من خلال الدفاع عن حضارتها وقيمها الثقافية، والتمسك بهويتها، وكبديل لما تحاول أن تفرضه العولمة ظهرت أطروحة مضادة، أو الأطروحة البديل عن الصدام، ألا وهي أطروحة الحوار بين الحضارات، والذي اختلفت مفاهيمه وتعاريفه، وفقا لاختلاف المنطلقات والإيديولوجيات، وموقع كل حضارة في النظام العالمي، و"يمكن تعريف الحوار الحضاري بأنه تواصل وتفاهم بين المنتمين إلى حضارات متعددة في أزمنة مختلفة، إنه حوار بين أنماط من البشر، يختلفون في ثقافاتهم وهواياتهم ومهنهم، وحقيقة الحوار الحضاري هو أنه تفاعل بين الشعوب"[1].

إن الحوار ينطلق أولا من الإيمان بالتعدد الحضاري، والتنوع الثقافي، وهو على خلاف منطلقات العولمة التي تسعى إلى تنميط وتأحيد العالم، ولا تعترف إلا بثقافة القوي، ومن ثمة لا تعترف بالتالي بالحوار الحضاري، كما يمكن أن نقول عن الحوار الحضاري، إنه تفاعل إيجابي بين الشعوب والأمم من منطلق أن قيم الحضارات قيم إنسانية عالمية، لا تحوزها حضارة دون أخرى، إن المنطلقات الأساسية لأي حوار حضاري، هو الاعتقاد بأن الحضارات تقف على قدم المساواة، وأن الهدف من الحوار هو التفاهم والتفاعل والقضاء على الصراع، وما يتبعه من تسميم للثقافات، بل إنه ينطلق من التعارف والتعايش والتفاعل والتحالف الحضاري، ولكل من هذه المعاني رابط يجمعها، فالحوار الفعال هو حوار العقل والإنصات والمشاركة، وليس الفرض والقهر والإملاء، ومنه يكون "حوار الحضارات المقصود به أن يكون بين ممثلي الحضارات المختلفة لقاءات، وتعاون وتفاعل يستمع بعضهم إلى

1- مانع بن حماد الجهني وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م3، مرجع سابق، ص 153.

بعض، وليستفيد بعضهم من بعض في شؤون الحياة المختلفة، وليبلغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدال والإقناع والبرهان، فهو بهذا يعد عملا فكريا"[1].

فالحضارات كيانات ثقافية، تتفاعل فيما بينها، ويستفيد بعضها من تجارب بعض، وإن ما وصلت إليه الحضارة اليوم، هو نتاج التراكمية التي مرت بها الأجيال، ولا وجود لحضارة ولدت من عدم، ولهذا لا يمكن لأي حضارة أن تدّعي المطلقية ولا السرمدية، لأن تعاقب الحضارات حقيقة تاريخية لا يمكن الهروب منها أو إلغاؤها، وإن الحضارات التي شهدت فترات ذهبية في حياتها، هي التي كانت تمارس الحوار والتواصل أكثر من العنف والحروب والدمار، إن فعل التثاقف هو الفعل الذي يجب أن يكون بين الحضارات المتحاورة، ومن خلاله يمكن أن تستفيد أي أمة مما ينتجه الآخرون، فتقوم بالتالي العلاقة بين الحضارات على التأثير والتأثر، وهذا الفعل ينطلق بدوره من الإيمان بالانتماءات والاختلافات والتعدد والتنوع والمساواة بين الحضارات، وعليه "يشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرس التعددية ويؤمن بالمساواة"[2].

وعليه فان الحوار فعل معبر عن انسانية الانسان، من حيث هو كائن عاقل وناطق، يتواصل مع بني جنسه، ويبادلهم الأفكار والثقافة كما يبادلهم الأشياء، وكلما تمت عملية الحوار تم من خلالها نقل الأفكار وكل ما ابدعه الانسان، ومن جهة أخرى يكتشف الانسان المتحاور بعض الأخطاء التي تساعده على التقدم بفضل تصحيحها وتغييرها، من هنا كان للحوار دور ايجابي على الأفراد والمجتمعات والحضارات.

2_ مبادئ وأسس الحوار الحضاري ومنطلقاته:

بعد أن عرف العالم صراعات وصدامات اثنية وعرقية، وبعد ان عرف حربين عالميتين مدمرتين، وما خلفته من انقسام العالم الى كتلتين متصارعتين مختلفتين اديلوجيا، كاد الصراع بينهما ان يصل الى حرب حقيقية بعد ان كانت الحرب بينهما تعرف بالباردة، ولكن بعد انهيار المعسكر الشرقي الشيوعي وزوال الثنائية القطبية، وظهور عالم احادي القطبية، أعلن الغرب عن انتصار الديمقراطية والقيم الغربية، وتأكدت قوة الحضارة الغربية مما دفع الكثير إلى التعبير عن هذا النصر، إلا أن الغرب سعى إلى أن يجد عدوا جديدا، لأنه اعتقد ان سر بقائه وقوته هو في وجود عدو، فكان هذه المرة الاسلام وما يحمله من قيم مخالفة لقيم الغرب، كما أن العالم بالنسبة للغرب قد تشكل من مجموع حضارات

---

[1]– إبراهيم الناصر، حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة، التقرير الإستراتيجي الثاني، مجلة البيان ص 72.

[2]– محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام، موقع طريق الإسلام: **www.islamway.com**

جديدة تربط بينها علاقات من نوع جديد، إنها العلاقات الثقافية الحضارية، أو ما يسمى بدول القربى وظهر صراع جديد بين الغرب والباقي، خاصة بعد أن سعى الغرب لتشكيل نظام عالمي جديد، يقوم على المصلحة الاقتصادية للغرب، ومحاولة نشر القيم التي يرى فيها الغرب سر بقائه واستمراره، من هنا ظهرت بوادر صراعات جديدة بين الغرب والباقي من جهة، وبين الغرب والاسلام من جهة اخرى خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وهو العام الذي نادى فيه كثير من المفكرين والسياسيين ورؤساء الدول بأن يكون عام حوار الحضارات، حيث اعتمدته الأمم المتحدة، وجعلته يوما عالميا للحوار والتفاهم بين الحضارات، وكان الرئيس الايراني محمد خاتمي صاحب الفكرة، حيث دعا من منبر الأمم المتحدة إلى اعتماد عام 2001 عاما لحوار الحضارات، وضرورة تقارب وتفاهم الحضارات للتقليل من بؤر الصراعات والصدامات، وتوجيه كل الجهود لمحاربة كل ما يهدد الانسانية، ومن جهة أخرى نشر ثقافة التعايش والتفاهم والتقارب بين الثقافات والحضارات والأديان، والسؤال المطروح ما هي الأسس والمبادئ التي انطلق منها الحوار بين الحضارات؟ هل تحققت الأهداف والتطلعات؟ هل فعلا زال الصراع والصدام؟ هل استطاع الحوار ان يقارب بين الحضارات ويخلق تواصلية بين الثقافات؟ هل الحوار معطى نظري ام حقيقة وواقع فعلي؟ هل حقق أهدافه؟

بالعودة الى تاريخ فلسفة الحوار بين الحضارات فإن الحضارات قد عرفت كثير من العلاقات التي قامت فيما بينها، حيث شهدت بعض الحضارات تواصلا واحتكاكا، وعرفت حوارا وتعارفا، وعرفت كذلك صراعا وصداما، ولذا فإن العلاقات بين الحضارات تتراوح بين التواصلية والتثاقف والتعايش والصراع، إلا أن التاريخ القديم يثبت بأن"مشروع حوار الحضارات قد بدأ في العالم القديم، وقد بدأ بين أربع دول هي مصر(الحضارة الفرعونية) وايران (الحضارة الفارسية) وايطاليا (الحضارة الرومانية) واليونان(الحضارة الاغريقية) وحاول المشروع البحث عن المشترك الانساني بين حضارات العالم القديم"[1].

ولقد عرفت الحضارات طوال مراحل التاريخ تفاعلات تراوحت بين الحوار والصراع والتعايش وكثيرا ما كانت علاقة التفاعل علاقة مثاقفة، إلا أن الصراعات التي شهدها العالم الحديث والمعاصر وكثرة الحروب قد دفع بفكرة الحوار أكثر الى الواجهة، فكانت بالتالي عدة مبادرات منها: "المبادرة الألمانية التي أطلقها الرئيس الألماني هيرتزوج وتبناها الرؤساء الذين جاؤوا من بعده، وقد اقتصر الحوار بين الحضارتين الاسلامية والغربية الأوروبية"[2].

ومن هنا فقد كانت العلاقة بين الغرب والاسلام علاقة متميزة، على مر مراحل التريخ وتراوحت بين الحوار والصدام، ولو عدنا الى الحوار في الحضارة الاسلامية لوجدنا أن الاسلام دعا

---

[1]_ وليد محمد عبد الناصر، حوار الحضارات، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007، ص ص 09_10

[2]_ المرجع نفسه، ص 10.

إلى الحوار والتعايش، فقد كان غير المسلمين يعيشون في أرض الاسلام وكان أهل الأديان الأخرى يمارسون عقائدهم في ظل حكم الاسلام، كما أن الكثير من مفكري الغرب يشهدون بأن الحضارة الغربية قد أخذت الكثير من الحضارة الاسلامية، وما الصراع الذي كان بين الاسلام والغرب في التاريخ إلا حالات عابرة، زال فيها الحوار وطغى فيها التعصب الديني والمذهبي، فالغرب المعتمد على ديانته المسيحية يؤمن بأن الدين المسيحي دين تسامح وسلام، والاسلام يحمل نفس المنطلقات فهو يدعوا إلى التسامح والتعايش والتعارف والحوار مع كل الديانات والملل ومع غير المسلمين، والتاريخ الاسلامي مليئ بالنماذج الحوارية الراقية، فقد دعا الاسلام الى الحوار البناء وعدم التعصب للراي، وقد حاور الله انبياءه، بل وحاور ابليس، كما حاور الأنبياء أقوامهم، وحاور رسول الله قومه، وقد عرف تاريخ الحوار مراحل تفعيل وممارسة ، كما عرف انتكاسات وتراجعات.

وبقيت فكرة الحوار بين التاييد والرفض، بين التنظير والممارسة، حتى العصر الحديث والمعاصر، وبعد أن عرف العالم تاريخ جديد بدأ بغزو العولمة لكل الأمم ونهاية صراعات وبداية صراعات من نوع جديد، عادت الدعوة الى فكرة الحوار الحضاري من جديد، وكما ذكرنا إذا كانت المبادرات التاريخية في العالم القديم بين بعض الحضارات، فإنه في العالم الحديث والمعاصر ونتيجة لتحدد العالم وفق معطيات ثقافية، بعد أن إنتهى زمن الانتماءات الاديولوجية، وظهور ما يعرف بدول القربى، بدأت الأمم والشعوب في تحديد انتماءاتها الحضارية والهوياتية، وانقسم العالم إلى ثماني حضارات كما يقول صاحب أطروحة صدام الحضارات_صموئيل هنتنجتون_ والذي تنبأ بوقوع صدامات من نوع جديد تنطلق من هذا المعطى الهوياتي، وستشهد الأمم والدول والحضارات صراعات بداخلها وخارجها، من هنا تعالت الأصوات والنداءات بضرورة تفعيل الحوار بين الحضارات، وقد حمل هذا النداء المفكر الفرنس روجيه غارودي، من خلال كتابه: "حوار الحضارات" في سبعينيات القرن الماضي حيث "طرح روجيه غارودي قبل حوالي العشرين سنة طرحا يرتبط بحوار الحضارات، وهذا الطرح كان له مجال أوسع لأجل تهيئة الجو لتفاهم الشعوب وله خصوصية الانتقاد لسلطة الغرب على عالم اليوم"[1].

وجاء بعده الرئيس الايراني محمد خاتمي، الذي أعاد طرح فكرة حوار الحضارات، والتي كانت بداية تسمى حوار الشعوب، لأن الحضارة عنده بصورة عامة هي محاولة من الانسان للاجابة عن سؤال الوجود، والعالم والانسان، من هنا بنى خاتمي مشروع الأمل، ألا وهو مشروع حوار الحضارات والذي يقول فيه: "من أجل تحقيق مثل هذا المشروع ليس أمامنا إلا ايجاد تحول سياسي في الأخلاق السياسية، فالتواضع والوفاء بالعهد والمشاركة هي من أهم اللوازم الأخلاقية لتحقيق الحوار بين

---

1 _ سيد صادق حقيقيت، حوار الحضارات وصدامها، مرجع سابق، ص 64.

الحضارات...إضافة إلى ذلك ينبغي على الدول التي كانت حتى الآن تحسب أن الغطرسة والاستكبار لغة مناسبة لتحقيق مصالحها الخاصة أن ترضخ للغة الحوار، وهذا بالطبع لا يمثل تغييرا في المصطلحات السياسية والاقتصادية، بل لابد من احداث تغيير في العنوان والمضمون"[1].

فبعد المبادرة اليابانية للحوار بين الحضارة الاسلامية واليابانية والتي تبناها الرئيس الياباني "**يوهاي كونو**" والتي تميزت بطرح فكرة التعايش الثقافي والتقني ثم جاءت المبادرة التركية التي تبنتها تركيا، وكانت ذات طابع مؤسساتي، أي بين تركيا ومنظمة المؤتمر الاسلامي، وقد نتج عن هذه المبادرات أن عقدت أولى جلسات الحوار بالمنامة في ربيع 2002 وتعددت الأطراف المتحاورة من الجانبين، وطرحت فيها قضايا المرأة والأقليات، والتطرف والاستعلاء الحضاري وغيرها، وبعدها مباشرة اتضحت بعض ملامح الحوار بين الحضارات، وبدى للمشتغلين بأطروحة حوار الحضارات أنه لتحقيق حوار ايجابي وفعال لا بد من من حسم بعض الإشكاليات ذات الطابع الجدلي في تركيبها ومنها:

"أولا: الحاجة للوصول الى حالة توازن بين الحوار فيما بين حضارات مختلفة، وبين الحوار داخل الحضارة الواحدة بين انساق فرعية حضارية وثقافية.

ثانيا: توحيد الحاجة لتحقيق صيغة ما تضمن التوازن بين الطابع المقيد للمشاركة في بعث مبادرات الحوار، وبين الحاجة لمظلة عالمية للحوار، حيث نلحظ غياب الولايات المتحدة الأمريكية وهي القوة العظمى الوحيدة في عالم اليوم عن كافة المبادرات...

ثالثا: يتأكد بمرور الوقت..... الحاجة لضمان مشاركة فعالة وذات طبيعة مترابطة في مبادرات حوار الحضارات...

رابعا: أثبتت الأحداث منذ 11 سبتمبر 2001 وتداعياته أن مسألة حوار الحضارات ليس ترفا ثقافيا...

خامسا: الحضارة الواحدة قد تظم أكثر من قبيلة أو مدنية أو أمة أو عرق أو دين، أو قومية أو مجموعة أعم، وفي كل الأحوال المحصلة النهائية هي وحدة الجنس البشري والانسانية في مجموعها...

سادسا: أنه في اطار كل حضارة يوجد تنافس بين الاطلاق والنسبية...

سابعا: ان العلاقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية ليست بالتاكيد في أفضل أحوالها...

ثامنا: أنه على الصعيد العملي فإن هناك دورا منوطا بالمسلمين والعرب في بقية انحاء العالم خاصة المقيمين منهم في الغرب بهدف تجاوز تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001"[2].

هذه هي الاشكاليات التي يجب ان تحسم قبل أن تنطلق فلسفة الحوار بين الحضارات، ولو انها اشكاليات بحاجة الى فعل وجهد لتجاوزها ولتهيئة أرضية صلبة للشروع في مشروع حوار

---

1 _ محمد خاتمي وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مصدر سابق، ص254.

2 _ وليد محمد عبد الناصر، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 17_18.

الحضارات، من أجل أن يحقق هذا المشروع الأهداف المتوخاة والنتائج المرجوة، من هنا يمكن أن نؤكد أن حوار الحضارات يجب أن ينطلق من فكرة الحوار في حد ذاته، ولا يجب أن نجعله كوسيلة دفاعية أو رد فعل على فكرة الصدام بين الحضارات، وخاصة بين الغرب والاسلام، كما يجب التأكيد على أن فلسفة الحوار الحضاري لا تعني العالم الاسلامي والغربي فقط، بل تعني الانسانية ككل، وإن محاولات حصر الحوار او الصدام بين الغرب والاسلام هي محاولات لتضليل الرأي العالمي عما يجري في العالم وربما هي دعوة صهيونية، تريد من خلال هذا الحصر أن تعتلي سلم الدول القوية على انقاض الصراع بين الغرب والاسلام.

إن الحوار بين الحضارات دعوة لحشد كل المنطلقات الانسانية والقيم العالمية من أجل التفاهم والاحترام والتسامح، تمهد الطريق لايجاد حلول فعلية وحقيقية لما يتهدد البشرية فعلا من تحديات تهدد بقائها واستمرارها، بل وتهدد عالميتها وانسانيتها، ولذا وجب البحث عن جميع المشتركات الانسانية بغية تثمينها واستثمارها للرقي بالفعل الحضاري الراقي نحو المستقبل.

من هنا فقد تبنت الأمم المتحدة حوار الحضارات بموجب القرار 22 عام 1998 وهو قرار ينطلق في مظمونه من منطلقات الايمان بالتفاهم والتعددية والتنوع الحضاري والثقافي، كما يؤكد القرار أن أي رفض لهذه المنطلقات سيكون سببا للصراعات والصدامات بل والحروب بين الحضارات، وبعد ذلك لاحظ العالم إقبال الكثير من الدول على تبني القرار، وإثرائه بموضوعات جديدة كحق تقرير المصير، وحقوق الانسان، وغيرها.

و"اعتبر حوار الحضارات مدخلا لتعزيز العلاقات الودية والتعاون بين الدول، وانهاء التهديدات للسلم والأمن..... وعتبرت انجازات الحضارات إرثا مشتركا للانسانية مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل حضارة وثقافة"[(1)].

كما تبنت المنظمات الرسمية والحكومية وغير الحكومية مقررات حوار الحضارات كجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي، وعقدت الملتقيات والندوات الفكرية التي تناقش المشروع ثمنت قضايا الحوار ومنطلقاته، من حيث أنه ينبذ كل أشكال العنف في حل القضايا العالمية والتدخلات العسكرية، ويدعوا إلى التسامح والاعتراف بحقوق الأقليات وحقوق الانسان، وإشاعة ثقافة السلام، واحترام سيادة الدول وغيرها.

وككل أطروحة فإن أطروحة حوار الحضارات انطلقت من فعل التنظير، فكان أن وضع المنظرون لهذه الأطروحة شروطا ومنطلقات حتى يتحقق فعل الحوار، وتتجسد المقررات، وتستنتج النتائج، حيث يرى الكثير بأن منطلقات الحوار الحضاري البناء هي:

---

1 _ وليد محمد عبد الناصر، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 22.

"1_ ينبغي أن يشمل الحوار كل مجالات وجوانب الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والفنية والأدبية...

2_ ألا يقوم على الروح التنصيرية...

3_ السعي نحو الحريات الديمقراطية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

4_ تفعيل البيان العالمي لحقوق الانسان وتعميمه لا تخصيصه.

5_ أن يحترم الحوار المرجعيات والخصوصيات الثقافية والابتعاد عن التسلط وإلغاء الآخر.

6_ أن يتبنى قاعدة (المعرفة والتعارف والاعتراف) وينطبق منها في سبيل التقارب ومعرفة ما عند الآخر معرفة جيدة."[1].

إنها المنطلقات المشتركة التي يجب أن ينطلق منها كل فعل حواري حضاري، فهي بمثابة الأسس والمبادئ والمنطلقات لتحقيق حوار حضاري فعال وناجح، يقضي على كل أنواع الصراع والصدام بين الحضارات، ويوجد أرضية للتفاهم والتعاون والتعارف بين الحضارات، ولو أنها أسس ومبادئ يرى فيها الآخر إملاءات من طرف أضعف حضاريا وعسكريا، كما أن الغرب يعتقد في الحوار بأنه طريق يهدد بقاءه ووجوده، ومن ثمة فهو فعل من طرف الآخر للحاق بالحضارة الغربية ورغم ذلك فإنه قد تعالت في الغرب أصوات تدعوا الى الحوار مع باقي الحضارات حتى غير الاسلامية، رغم وجود رأي معارض لفكرة الحوار، لأن الحوار يقتضي الندية، بمعنى أن يكون هناك طرفان كل منهما ند للآخر، وهذا الشرط في اعتقاد الكثيرين غير متوفر، ما دام هناك قوي وضعيف لأن القوي في هذه الحالة سيملي شروطه على الضعيف مما يفقد الحوار مصداقيته واهدافه، بالاضافة إلى ضرورة تحديد قضايا الحوار المختلف حولها، وحتى لا نقع فيما يسمى بحوار الطرشان، كما يجب تحديد الأهداف المتوخاة من الحوار حتى لا ينحرف عنها أي طرف، هذه هي الشروط العامة لمنطلقات الحوار، وبالاضافة إلى ذلك لابد"أن يكون هناك مناخ مناسب للحوار ينأى عن الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة، ويتحرر من العقد النفسية، سواء أكان ذلك يتمثل في عقدة التفوق في جانب أو مركب النقص في جانب آخر، فالنعرات الاستعلائية خطرها في أي حوار لا يقل عن خطر الشعور بالدونية"[2].

كما أن نجاح الحوار بين الحضارات منوط بالغاء النظرة الى الآخر نظرة استعداء واقصاء ودونية، فلا بد من الانطلاق من المساواة واحترام الآخر في خصوصياته الثقافية والدينية، والايمان بالمشترك الانساني الحضاري، دون تشويه أو تزييف للآخر المختلف.

[1] _ السيد ياسين، حوار الحضارات في عالم متغير، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، القاهرة مطبوعات التضامن، (د ط)، 1997، ص 40.

[2] _ محمود حمدي زقزوق، الاسلام والغرب، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005، 69.

أما سليم العوا فيرى أن المنطلقات والأسس الصحيحة لأي حوار حضاري تكمن في:

" أولا: الاعتراف بالآخر...وبخصوصيته...

ثانيا: التبادل الحضاري...بمعنى أنه يحق لكل طرف قول رأيه وبيان موقفه من القضايا التي يجري الحوار حولها...

ثالثا: الثقافة...بمعنى أن الاحاطة بجوانب التميز، والتغاير ثم الاستفادة منها في تبادل الخبرة والمعرفة."[1].

أما محمد خاتمي محيي أطروحة حوار الحضارات، فله طرح أعمق فيما يخص الشروط والمنطلقات والمبادئ التي يمكن أن تجسد فعلا مشروع الأمل، مشروع حوار الحضارات، حيث يقول "إن أحد الشروط الأخرى المسبقة لنجاح "حوار الحضارات" يكمن في اشاعة التسامح...واذا ما أريد للحوار أن يكون بداية فصل جديد ونموذج معرفي غالب في العالم لابد لنا أن نسمو بدعوتنا من مرحلة التحمل السلبي إلى مرحلة التعاون المشترك"[2].

وعليه فالرفع من مستوى الحوار بين الحضارات يكون بالرفع من قيمة المشتركات الانسانية والوعي بالهدف من الحوار، ومن المخاطر التي تحدق بالانسانية، كما أن خاتمي قد نبه الانسانية إلى أن الحوار يجب أن يبدأ مع الطبيعة أولا ثم ينتقل إلى مستوى ذاتي فيما يسمى بالحوار بين الذات وذاتها، ثم الحور مع الغير، وبعدها الحوار بين الحضارات والثقافات، وهنا نجده يقول: "ايجاد السلام بين الانسان والطبيعة اليوم واجب يتقدم على أي واجب آخر...إن الحوار بين الحضارات والثقافات والذي لابد له من أن يأخذ في الحسبان أهم القضايا ذات الاهتمام العاجل والضروري للبشر كافة ليس أمامه سوى أن يضع على رأس أولوياته قضية العلاقة بين الانسان والطبيعة"[3].

بعدها يعود خاتمي في قضية المنطلقات الفعلية لتحقيق حوار حضاري جاد وفعال إلى التأكيد على أن تحقيق السلام من بين أهم المنطلقات، بالاضافة إلى إشاعة روح التسامح، ففلسفة السلام بين الشعوب هي ما يمكن أن يخلق فعل تواصلي وتثاقف ايجابي بين الثقافات والحضارات، لأن القضاء على بؤر الصراع ومنطلقات الصدام والتشنجات بين الأمم من منطلقات السلام والتعايش والتفاهم، ولأن الانسان المعاصر"يحمل حاجة ماسة وعطشا شديدا للعدالة والسلام والحرية والأمن... من أجل تحقيق حوار الحضارات، فهو بحاجة إلى السلام وبعدما يتحقق الحوار فإن ذلك من شأنه أن يديم السلام"[4].

---

1 _ محمد سليم العوا وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مرجع سابق، ص ص 242، 245.

2 _ محمد خاتمي وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مرجع سابق، ص 256

3 _ المرجع نفسه، ص ص 257_258.

4 _ المرجع نفسه، ص 258.

إنها فعلا استراتيجية دقيقة لتحقيق الحوار بين الحضارات من منطلق تحقيق السلام الدائم بين الأمم والشعوب، فاذا زالت الحروب والصراعات التي تسببها زوال العدالة يمكن أن نجد أرضية صلبة لتحقيق الحوار بين الحضارات، وهو ما تؤكده عبارات محمد خاتمي الاتية: "إن نظرية "حوار الحضارات" ستبقى مشروعا ناقصا مالم تتزامن مع دراسة الأرضيات المؤدية للحروب والنزاعات ومطالعة واسعة في موضوع علم النزاع والجدال...إن التفاوت الفاحش والخطير بين الفقر والغنى وسط المجتمعات والبلدان المتعددة إذا لم يتم تعديله، فإن الدعوة الى السلام والحوار والتفاهم ستظل دعوة متفائلة ساذجة"[1].

إنها تقريبا نفس المبادئ والأسس والمنطلقات، فكل الآراء تكاد تجمع على أنه من شروط الحوار الحضاري الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل، والاتفاق على قضايا الحوار والسعي لتحقيق الأهداف المرجوة، ويضيف بعضهم فكرة الحرية، بمعنى يجب أن نوفر شيئا من جو الحرية في مناقشة قضايا الحوار، وحتى المؤسسات التي تمثل المتحاورين، لأن الحوار إذا أسند لأشخاص أو مؤسسات لا صلة لهم به فإنه يفقد معناه.

ولذا "فإن نجاح الحوار بين الحضارات رهين بمنطلقاته الأساس المتمثلة في الاحترام المتبادل والانصاف في المواقف والرؤى ونبذ التعصب وروح الاستعلاء، لأن الحوار الجاد الهادف إلى تحقيق الصلاح والخير للناس ونشر الأمن والسلام والتعاون على مافيه المنفعة بين البشر لا بد أن يفضي إلى تعايش حضاري وتفاعل ثقافي يغنيان الحياة الانسانية ويعززان العلاقات بين شعوب العالم"[2].

وهنا يؤكد التويجري أن الحوار الحضاري مرحلة أساسية تنطلق فيها الانسانية من التفاهم والتعاون ومحاربة الظلم والعدوان والاضطهاد والتفرقة العنصرية بين الأمم والشعوب من جهة، ومن جهة أخرى محاربة كل ما من شأنه أن يهدم البشرية ويدفعها إلى التخلف والهمجية كانحلال الأخلاق وتفكك الأسر، وكل أشكال الجريمة، بالاضافة إلى الاهتمام بالبيئة والطبيعة من أجل الأجيال القادمة.

ويمكن أن نقول بأن فعل الحوار معادلة صعبة عليه أن ينطلق في تحقيق أهدافه من فكرة التواصل، لأنها تلعب دورا هاما في التعارف بين الثقافات والحضارات، وتعميم القيم الانسانية المشتركة ومحاولة وعي الآخر وادراك حقيقة دافعيته للحوار أم الصراع، مع تطوير خطابات تحث على التعارف والتواصل في مقابل التقاطع والصراع، وإن تأكيد فكرة التفاعل والتلاقح والتثاقف الحضاري ضرورة أساسية لتحقيق الحوار الفعلي بين الحضارات، والوصول بالتالي الى حوار ناضج معبر عن الانسان والانسانية في كينونتها ووجودها.

---

1 _ محمد خاتمي وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مرجع سابق، ص 259.

2 _ عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 110.

3_ حوار الحضارات الحقيقة والواقع:

إن نظرة استعداء الآخر، هي النظرة التي هيمنت على الفكر الغربي، واعتبرت بعض الحضارات عدواً للغرب وحضارته، ومن هنا رفضت إقامة علاقات حوارية معه، كما فعلت مع الحضارة الإسلامية وانطلاقاً من أن الفكر الغربي كما يصوره هنتنجتون وفوكوياما فكر منتصر يحمل قيما عالمية وكونية فإن أي حوار ممكن في المستقبل يجب أن ينطلق من القيم الغربية، كمسلمات غير قابلة للنقاش أو التنازل، فالليبرالية أثبتت عالميتها، وبالتالي فهي التي يجب أن تسود، بينما أنظمة الحكم في العالم فهي تتراوح بين الديكتاتورية والتوتاليتارية وغيرها، فكيف بالغرب أن يحاور مثل هذه الأنظمة؟

وقبوله بالحوار معناه أنه مستعد للتنازل عن الليبرالية وقيمه وعلمنته وحضارته، وهو ما يرفضه الغرب جملة وتفصيلا، إن الفكر الغربي مبني على مبادئ وأسس، و"هذه أسس لما يدور في العقل الغربي وليس في عقل فوكوياما وهنتنجتون وحدهما، ولا يجب المساس بهذه الأسس عند إقامة أي حوار بين الحضارتين الغربية والإسلامية، فهم يرون أن الديمقراطية الرأسمالية هي أفضل نظم الحكم في العالم على مدى التاريخ البشري كله، وبالتالي يجب أن تسود العالم، وأن كل ما يصدر عن الغرب من ثقافة وسياسة واقتصاد وأسلوب حياة، يجب أن يسود أيضا في باقي الحضارات ومن ثمة يفرض الجانب الذي يمثل الحضارة الغربية في أي حوار، أن يسلم الجانب الآخر في الحوار بأن الديمقراطية الرأسمالية وكل ما تفرزه هو الأفضل والأمثل، والذي يجب أن يسود"(1).

ويمكن من خلال الأحداث العالمية والتعامل بين الحضارات وسلوكياتها، أن ندرك هل الجو العام مبشر بالحوار أم هل هو منذر بالصدام؟

والواقع أن ما نراه اليوم في العالم من السعي للهيمنة، واكتساب وسائل القوة والتدخل في الشؤون الداخلية للأمم، وكثرة النزاعات الطائفية والعرقية، يؤكد أن العالم في صراع، ويتجه إلى الصدام الحضاري، رغم أن هناك نداءات لمبادرات ومؤتمرات تنادي بالحوار وتفعيله بين الشعوب، ولكن يجب أن نوضح فكرة أساسية، ألا وهي أن الشعوب لا تعبّر عن الرأي الرسمي الذي تعبّر عنه الدول والحكومات، إن الدعوة إلى الحوار الحضاري يجب أن تسبقه مقدمات وتزول عنه الخلفيات، التي تنزع إلى التفوق والإقصاء، واعتقاد بالصحة والصوابية في العقيدة والثقافة والقيم الحضارية، إن الحوار لا يعني التنازل عن الأسس والمبادئ الحضارية لكل حضارة، بل يعني إيجاد أرضية للتفاهم، والحد من حالة التشنج العالمية واستعباد وقهر الآخر، والاعتراف بحقوقه في الحياة والوجود، واحترام خصوصياته الثقافية والحضارية، لكن علينا أن نتساءل "ما الأسباب المؤدية فعلا إلى سلوك قائم على الصراع

---

[1] _ السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص ص 23 _ 24.

وكذا عن ذهنية الحرب الصليبية، أو ما هو على النقيض من ذلك الميل لضبط النفس أو الاستعداد للحوار داخل الحضارات؟"[1].

والانتقال من فلسفة الصراع إلى فلسفة الحوار الحضاري، يجب ألاّ ينحصر في المؤتمرات والندوات واللقاءات والنداءات أو الجانب النظري، بل يجب أن يكون على مستوى الممارسة، وإبداء حسن النية، والسعي إلى تحقيقه على مستوى الفكر والواقع، وتجاوز فلسفة الشعارات الجوفاء التي تفتقر إلى مضمون وفعل، كما أن التثاقف يجب ألاّ ينحصر في الفنون والآداب والعلوم، بل يجب أن يمتد ليشمل كافة المجالات، وأن يركز على المستوى الأعمق لا السطحي، بمعنى أن يتناول كبرى الاختلافات التي قد تقود إلى الصراعات، إما لتجاوزها أو لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون والتفاهم فالحوار الديني على سبيل المثال، ينطلق من احترام الأديان لبعضها دون عقدة، ومن منطلقات هذا الإحترام الكف عن وصف الأديان بعضها لبعض، بالرجعية والإرهابية وغيرها، وتبرئة الذات من مثل هذه الأوصاف، إن الحوار الحضاري لا يمكن أن ينطلق من المعايير المزدوجة، والتي تكيل بمكيالين مختلفين، فالمساواة بين الحضارات، منطلق أساسي لكل حوار مقبل، مع وضع المصلحة العامة قبل الخاصة، ومن خلال ذلك، "فإن التحول من صراع الحضارات القديم، إلى حوار الثقافات الجديد، ليس فقط على مستوى النظر، العلوم والفنون والآداب، ولكن أيضا على مستوى العمل، في صياغة برامج عمل مشتركة تسترد فيها الإنسانية وحدتها، وتتكامل إمكانياتها، بحيث تتساوى كل أطراف الحوار وتتجه نحو هدف مشترك يحقق مصالح الجميع"[2].

وبالرجوع إلى تشخيص الواقع العالمي اليوم، نجد أن السياسة العالمية اليوم لا تشجع على الحوار، لأنها سياسة في صالح القوي، الذي يهيمن على الاقتصاد العالمي، والذي أسس نظاما عالميا يحافظ من خلاله على مصالحه وحضارته وقيمه، كما أنها سياسة تتحكم فيها الهيئات العالمية الخاضعة للغرب، وهي هيئات تفتقر إلى الاستقلالية، وحتى النظرة المستقبلية لمستقبل العلاقات الدولية تحكمها نظرة تشاؤمية، من أن الصراع سيزداد حدة، وأن بؤر النزاعات ستظهر مرة أخرى بين المجموعات الثقافية والإثنية المختلفة، وإن إحياء النعرات القبلية شيء وارد بغية جعل العالم في فوضى وعدم استقرار، لأن ذلك في مصلحة طرف واحد، وهنا سيوضع الأمن والسلام العالمي على المحك وستزداد التوترات والاضطرابات بسبب ازدياد الاختلافات والأطماع والتكتلات، ومن هنا يكون "السؤال الرئيسي الذي يجب طرحه هو: هل يشكل الخطاب الحالي للسياسة الدولية صداما، أو يلجئ إلى

1- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، مرجع سابق، ص 136.

2- طيب تيزيني وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 47.

ضرورة الحوار بين الحضارات؟ هل من رؤية وسطية يمكن أن تمد الجسور بين التعاون والصراع لفتح الباب لنظرية كونية غير تقليدية قادرة على النهوض بالسلام العالمي؟ إلى أين يمضي العالم؟"[1].

لقد زاد الوضع تأزما وابتعادا عن روح الحوار في عالم اليوم، خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، حيث اعتبرت أمريكا تلك الهجمات حربا ضدها، ووصفتها بالبربرية والشر والإرهاب، كما وصفت من قاموا بها وحضارتهم بنفس الأوصاف، مما أجج الوضع، خاصة وأن أمريكا توعدت بالرد السريع والحاسم والأليم على تلك الهجمات، إن روح الانتقام والكبرياء المجروح، قد أشعل نار الحرب وأمده بوقود الصراع والصدام بين الحضارات، خاصة بين الإسلام والغرب، وزاد ذلك بعد اعتبار أمريكا الإسلام هو العدو الجديد، الذي يجب أن يحارب، فلا حوار ولا سلام مع من يسعون لتهديم الحضارة وضرب القيم الغربية واقتصادياتها، هناك هجوم لبرابرة على الحضارة الغربية، ولا يمكن أن يتم حوار مع أنظمة فاشية دكتاتورية، هكذا يرى الغرب الحوار مع الآخر، والإسلام بالتحديد، ويقدم نصيحة للدول الإسلامية أن تبدأ في الحوار مع ذاتها، ومع الأصولية والرجعية، وتتخلى عنهم كشرط أول ليقبل الغرب الحوار مع الإسلام، أو مع باقي الحضارات، لقد تركت تلك الهجمات العالم في حالة من الترقب والشك، وأذنت ببداية تاريخ جديد، منطلقه الأساسي هو الصدام بين الحضارات، بل "وتوافق التطورات الأخيرة في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، إيمان الليبرالية المؤسسية الجديدة بأن العالم بلغ ذروة صدام الحضارات على حد تعبير هنتنجتون، أو حافة المواجهة بين الحداثة والفاشية الإسلامية، على حد تعبير فوكوياما، وعلى عكس الصدام والصراع المادي، يدل الحوار على تبادل للأفكار أو الآراء في قضية خاصة"[2].

لقد بدأ الحوار في نفس العام الذي حدثت فيه الهجمات، وكان منطلقه هو تبادل الأفكار في قضايا معينة، وكان يرى المشاركون فيه أنه لابد أن ينطلق من فلسفة التسامح، ونزع الحقد والكراهية بين المتحاورين أولا، ثم بعد ذلك تبني المشتركات الإنسانية، بهدف التعايش بين الحضارات، ومنه "يشترط في هذا الحوار مناقشات منفتحة متسامحة واسعة النطاق على أسس مشتركة... ويفترض وصول العالم إلى هذا المنعطف، أن يجد علماء المجتمع مخرجا من تدبير الصراع، وأن يتم الرجوع إلى حوار الحضارات...من أجل تعايش سلمي بين أمم العالم"[3].

لقد أصبح الحوار الحضاري مطلبا أساسيا، وحيويا بين الشعوب والحضارات والثقافات، من أجل التقليل من فرص الصدام، الذي لا يخدم أي حضارة ولا يخدم الإنسانية، بل إن الصدام يعبّر عن ذلك التقهقر في الحضارة، فإذا كانت الحضارة اليوم تسعى إلى القضاء على كل صور البربرية والهمجية

1- مصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ص 83 _ 84.

2- المرجع نفسه، ص 87.

3- المرجع نفسه، ص 88.

والارتقاء في سلم التطور والسمو بالإنسان في أعالي الإنسانية، فإن الصدام يعبّر عن ذلك التراجع في الحضارة والقيم، والتقهقر إلى درجات الحيوانية والوحشية، وعلى خلاف ذلك فإن الحوار تعبير عن إنسانية الإنسان، مادام ينبع من العقل والضمير الإنساني، لخدمة الإنسان والإنسانية، فهو إذن فضيلة أخلاقية، على الأفراد والشعوب والأمم والحضارات أن تتحلى بها، بل وتسخير مختلف التجارب الحضارية لتحقيق تنمية عامة تعود بالنفع على الإنسانية جمعاء.

ومن مفكري الإسلام الداعين إلى الحوار بدل الصراع، نجد الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، الذي ألّف في ذلك كتابا بعنوان: "حوار الحضارات" ورأى بأن الحوار الحضاري مطلب إنساني، ما دام الإنسان كائناً عاقلاً ومفكراً، ويمتلك لغة الكلام، فهو بالتالي يمكن له أن يتحاور مع بني جنسه ويقيم معهم علاقات إنسانية، تقوم على التفاهم والتبادل والتواصل، وبالتالي فإنه يمكنه أن يعتمد لغة الحوار بدل الصراع ولغة العنف والتدمير، بما أن الإنسان قد خرج من المرحلة البدائية واندمج في حضارات تعبّر عن سموه الروحي والعقلي والثقافي، وتمايزه عن باقي المخلوقات، ولقد عبّر خاتمي عن فكرة حوار الحضارات بما سماه مشروع الأمل، فرغم أننا نعيش عصراً جديداً تقوم فيه العلاقات الدولية العالمية بين الدول والأمم والشعوب على نوع من الصراع والنزاع والصدام، الناتج عن حب المصلحة والهيمنة وعقدة التفوق، فالأمل مازال قائما، مادام هناك إرادات صادقة في كل الحضارات تريد أن تحقق الحوار بين الحضارات، وأن تتجاوز فترة التعصب والإيدولوجيا والنظرة الضيقة لثقافة الآخر واحتقار حضارته، وعلى المفكرين والمثقفين، وحتى الساسة حمل هذا المشروع العالمي، لأجل الإنسانية والأجيال القادمة، حيث "أكد محمد خاتمي "أن النهوض بالحوار داخل المجتمعات المختلفة ينبغي أن يكون إحدى أسس التفاهم بين الثقافات والحضارات...وبإيماننا بالحوار نفتح الطريق لأمل كبير "[1].

أما بالنسبة للمواقف العالمية من فكرة الحوار الحضاري، فقد تباينت واختلفت، ولقد عبّرت الأمم المتحدة عموما عن وقوفها مع الفكرة ونبذ التعصب والصدام والحروب، حيث جاء على لسان أمينها العام آنذاك **كوفي عنان** في سؤال استفساري قائلا: "بأي معنى يمكن لمفهوم حوار الحضارات أن يكون مفهوما مفيدا؟ أولاً هو إجابة مناسبة وضرورة على فكرة الصدام الحتمي للحضارات، ويمكن له أن يشجع على تدعيم التعاون والحد من الصراع"[2].

---

[1]- محمد خاتمي، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 99.

[2]- كوفي عنان، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 100.

إن مبادرة الحوار بين الحضارات، تنطلق أولا من نبذ العنف والتطرف والإرهاب، والتخلي عن الخلفيات الحضارية والشعور بالتفوق أو الدونية، والانطلاق من النيات والإرادات الصادقة، بعد ذلك يكون الحوار، إن عملية الحوار لم تتوقف في مسار الإنسانية، منذ أن وجدت ولن تتوقف، نعم تعترضها عقبات ومصاعب، إلا أنها كانت وستكون، وقد تم الحوار بين الفرق داخل الأديان، كما تم الحوار بين الرسل وأقوامهم، وكان الحوار كذلك بين المختلفين إيديولوجيا، وكثيرا ما أنهى الحوار خلافات وصدامات كادت أن تتحول إلى حروب حضارية، وإن منطلقات الحوار الحضاري الفعّال هو الاستعداد لسماع الآخر، سواء المنتمي لنفس الحضارة أو المختلف حضاريا، من منطلق أن كل طرف يمكن أن يستفيد من الآخر، وما على كل طرف إلا أن يتنازل عن تعصبه، ووثوقيته المطلقة، ويضع كل ما يعتقده صوابا موضع المساءلة والشك، والتحلي بالموضوعية والتخلص من الذاتية، والحوار بمعناه العام، يمكن للجميع أن يشارك فيه، من أجل السلام الدائم والمحبة والإنسانية، يقول في ذلك روجيه غارودي: "فما سعينا إلى إحيائه بالأمس تحت اسم حوار الثقافات بين الماركسيين والمسيحيين، ثم تحت اسم حوار الحضارات بين الغرب والشرق، لا يمكن أن يكون إلا من عمل الجميع، من خلال تبادل الإستماع مع اليقين الذي هو في صلب كل حوار، لدى كل طرف ما يتعلمه من الطرف الآخر فهو بالتالي مستعد لوضع قناعاته اليقينية على بساط المساءلة، للتوجيه نحو آفاق حقيقية تظل دائما ثابتة ومتعذرة على حد سواء، لكنها دائما أكثر تعميقا وأكثر شمولية وأكثر محبة"(1).

فالحضارة إنسانية شارك في بنائها الإنسان، بغض النظر عن جنسه وانتمائه العرقي وعقيدته فهي مشترك إنساني، وما الاختلافات بين البشر إلا مجرد طبيعة لا يمكن تغييرها، هناك خصوصيات وهناك مشتركات عالمية، فلا يمكن احتكار القيم الإنسانية ونسبتها إلى حضارة دون أخرى، ولا يمكن بالمقابل وصف حضارة بوصف ما دون أخرى، كل الحضارات فيها من العنف والقوة، كما فيها من السلام والحرية والمحبة، وعليه لا بد من تثمين القيم الإيجابية والتقليل من السلبية، وهذا كله يعود إلى درجة الوعي الحضاري، والسمو الروحي، والرقي الفكري، ودرجة التنوير لدى الإنسان، فلم يعد هناك إنسان العصور القديمة، لقد استطاع الإنسان أن يبني حضارات تعبّر عن ذاتيته وكينونته، ورقيه الفكري وإن كل سلوك ضد الحضارة، هو سلوك يعود به الإنسان إلى الطبيعة الهمجية والبربرية فيه والتي هذبتها فيه الحضارة وأخرجته من قساوتها وعنجهيتها، إلى طور العقل والأخلاق والسمو الروحي، وما الدعوة باسم حوار الحضارات إلى حضارة عالمية واحدة، إلا أكبر دليل على زوال الحدود العرقية والثقافية والحضارية بين الإنسانية واحتكامها إلى المشترك الإنساني، وهو ما أقرته العولمة الإيجابية اليوم، "لا أتحدث عن حوار الحضارات، وإنما أتحدث عن حضارة واحدة، شارك الإنسان في

1- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، مرجع سابق، ص 37.

بنائها: أنبياء فلاسفة،...وحكماء،...وإن من العقل اليوم أيضا أن يكون الناس في الأرض شركاء في هذا المنجز الحضاري...اليوم أتحدث عن وحدة الحضارة الإنسانية، أتحدث عن المشترك الإنساني"[1].

والحوار الحضاري في منظور الغرب، يطرح من الحضارات الضعيفة التي لم تستطع أن تساير العصر، والتي ترى في الغرب حضارة عالمية متطورة، وربما هي نظرة المسلمين الذين يرى البعض منهم أن الحوار ضرورة حضارية، ما دامت الحضارة الإسلامية لا تستطيع أن تقاوم الغرب، فكأن الحوار يعبّر عن الضعف، وهذا منطلق غير صحيح، كما نجد نظرة أخرى لفلسفة الحوار الحضاري تبنى على أن الحوار فعل وحتى يتم، لا بد من الانفتاح على الحضارة الغربية، واقتداء وتمثل النموذج الغربي في الأخلاق والقيم، وبما أن الحضارة الغربية هي الحضارة التي تفرض نموذجها الحضاري اليوم، فإن قيمها تعبّر عن العالمية والكونية، فلا بد من الأخذ بتلك القيم أولا كمنطلق لكل حوار مع الآخر أو الغرب، حتى نوجد أرضية مشتركة تستند إلى المشترك الإنساني، وهو تقريبا نفس الطرح عند بعض المفكرين الغربيين الذين يرون في حضارتهم وقيمها، أنها أسمى من الباقي، وعليه للدخول في حوار فعّال على باقي الحضارات تقبّل تلك القيم، والإنطلاق منها كأرضية للتفاهم، و"نحن العرب والمسلمين نطرح حوار الثقافات من منظورنا المستند إلى قاعدة الانفتاح على الآخرين، والغربيون أو بعضهم يطرحون حوار الثقافات من منظورهم المستند إلى قاعدة أنهم الأسمى ثقافيا، والأقوى حضاريا وعلى الطرف العربي الإسلامي أن يتقبل الثقافة الغربية بكل مفاهيمها، ومعاييرها الأخلاقية والفكرية"[2].

ويرى الكثير من المفكرين والعلماء، أن الحوار هو حوار بين الثقافات وليس الحضارات، وإن هذه الدعوة بما تحمله من دلالة المعنى، الهدف منها معارضة فكرة أطروحة صدام الحضارات، كما أن الكثير يعتبر الحوار الحضاري فعلا تم في الحضارات، ولكنه لم يفلح في إنهاء النزاعات والصدامات الحضارية، ولهذا دعوا إلى ضرورة تعويضه بأطروحة حوار الثقافات، بما تحمله من معنى، فالثقافة منتوج إنساني يعبّر عن الحضارات، إلا أن الإيمان بالحوار بين الثقافات يقر التنوع والتعدد ويدعو إلى احترام الآخر وخصوصياته الثقافية، ولهذا فإن "الدعوة لحوار الثقافات، تحاول أن تنسق مفهوم حوار الحضارات، وقد يقول قائل إن الثقافات جزء طبيعي من الحضارات، فلا يمكن أن تكون الثقافات بمعزل عن الحضارات...إن الثقافة جزء مكون للحضارة بالطبع...لكننا ندرك الآن لماذا كثر الحديث عن مصطلح حوار الثقافات، وتناسى مصطلح حوار الحضارات، فيبدو أن حوار الحضارات وصل

1- محمد حبش وآخرون، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 107.

2- حسن الباش، صدام الحضارات، حتمية قديرة أم لوثة بشرية، مرجع سابق، ص 19.

إلى طريق مسدود، لاسيما بعد أن روّجت أوساط كثيرة مفهوم صدام الحضارات، الذي تصوره هنتنجتون أو فوكوياما أو غيرهما...فحوار الثقافات يختصر الطريق أكثر حسب بعض الغربيين"[1].

إن حوار الثقافات يعني أن تستفيد الثقافات مما تنتجه الثقافات الأخرى، حيث تتم عملية التلاقح والتمازج، دون أن يطغى ذلك على الهوية والخصوصية، وإن اتهام ثقافة ما على أنها منغلقة على ذاتها ترفض منتجات الآخرين، ولا تقدم للثقافات الأخرى إبداعا، يبدو اتهاما غير مؤسس، فما من ثقافة إلا وشاركت في المشتركات الإنسانية، بما فيها الحضارة العربية الإسلامية، فهذه الحضارة من بين الحضارات التي كانت تمارس الحوار الثقافي، وتفتح أبوابها لجميع الأمم والشعوب على اختلافهم واختلاف دياناتهم وثقافاتهم ولم تمارس الإقصاء ولا التعالي على الباقي، كما يفعل الغرب اليوم، لقد قبل المسلمون والعرب الفنون والآداب والعلوم قديما وحديثا من أي حضارة، واستفادوا من باقي الحضارات، كما أفادوا الحضارات الأخرى، والتي انطلقت في مختلف إبداعاتها مما وصل إليه العرب المسلمون أيام ازدهار حضارتهم.

ومنه "إذا كان حوار الثقافات ينصّب على مجمل الإنتاج الإبداعي، كالأدب والفن بكل أشكاله فنحن العرب والمسلمين أكثر الشعوب تعاطيا مع الأدب العالمي... المهم في حوار الثقافات، أن يكون هناك قواسم مشتركة في القيم الثقافية، أدبية كانت أو فكرية، وهذه القواسم لابد أن تستند إلى قيم إنسانية مطلقة"[2].

إن القيم المشتركة الإنسانية، هي قيم شاركت في بنائها جميع الحضارات، وهي لا تخص حضارة دون أخرى، وإن ممارسة الاختراق الثقافي من بعض الهويات القاتلة، لا يعد في الحقيقة حوارا بل صداما، إن الاعتراف بالاختلاف والتمايز هو من بين منطلقات حوار الحضارات، وإن أكبر ما تختلف فيه الثقافات والحضارات هو الهوية، وإن محاولة العولمة تأحيد العالم، وإعادة تشكيله في حضارة عالمية واحدة تعبّر عن حضارة الأقوى، هو ضد الحوار والتسامح والسلام، وإن الاعتقاد بسمو حضارة أو ثقافة أو هوية، أو حتى جنس على آحر من بين العقبات التي يواجهها حوار الحضارات إننا "نعتقد أن حوار الحضارات أو صدامها، هو في أحد وجوهه صدام هويات أو حوار هويات فالهوية قد تكون أسسها فكرية عقدية حضارية ممتدة عبر الزمن والجغرافيا، وقد تكون الهوية مؤسسة على القوة العسكرية، وفكرة التفوق العرقي أو السيطرة الاقتصادية"[3].

إن فلسفة الحوار الحضاري، قد فرضت من جهة أولى فكرة التعايش الحضاري، بمعنى على كل حضارة أن تتعلم كيف تتعايش مع الأخرى، وذلك انطلاقاً من فكرة احتواء الصدام بين الحضارات، ثم

---

[1]- حسن الباش، صدام الحضارات، حتمية قديرة أم لوثة بشرية، مرجع سابق، ص 20.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

[3]- المرجع نفسه، ص 29.

بعد ذلك تأتي مرحلة الحوار، وهو ما يراه أبو فلسفة الحوار الحضاري، المفكر الفرنسي روجيه غارودي الذي له كتاب بعنوان: "حوار الحضارات" والذي ألّفه في السبعينيات من القرن الماضي، أي قبل أن تقوم أطروحة الصدام بين الحضارات، بتفسير الوضع العالمي بين الدول والشعوب والثقافات معتبرة أن المرحلة المقبلة من العلاقات الدولية ستشهد صراعا بين حضارات، يتشكل على إثرها نظام عالمي جديد، بل إن هنتنجتون يرى في فلسفته للتاريخ، إن الصراع أو الصدام الحضاري ضرورة وحتمية تاريخية، وعليه فإن الدعوة إلى الحوار هو محاولة لإيقاف عجلة التاريخ التي لا تعترف إلا بالتغير ويرى غارودي على عكس هنتنجتون، أن الحوار ضرورة إنسانية وإلا فإننا سنعلن ليس نهاية التاريخ كما يرى فوكوياما، بل نعلن نهاية البشرية، وهنا يقول: "إنني عرفت الحوار بأنه تبادل، يكون كل طرف أثنائه على إقتناع منذ البداية بحاجته لتعلم شيء ما من الطرف الآخر، بمعنى أنه مستعد للإقرار بوجود تقص ما في حقيقته الخاصة، وهو بالتالي مستعد لإعادة النظر بشأنه هو شخصيا بالذات"(1).

إن من بين أسس الحوار الحضاري، أن يقوم كل طرف بفلسفة النقد الذاتي أولا، وتقبل نقد الأخر ثانيا، كما يقتنع بأنه يمكن أن يستفيد من أفكار وآراء الآخرين، ولو أننا نجد في الغرب من يؤمن بالحوار بين الحضارات، لكن للتخفيف من التوتر، والحد من الهجوم على الحضارة الغربية والسعي لتعميم القيم الغربية على أنها عالمية، فهذا منطق القوي على الضعيف، كما أن الفكر الغربي في كثير من طروحاته يركز على الحوار بين الثقافات، داعيا إلى ضرورة الفصل بينه وبين مشاكل الاقتصاد والسياسة، التي تتسبب في كثير من الأحيان في صراعات وصدامات بين الدول والحضارات، إلا أن هذا الفصل غير منهجي، وغير منطقي، لأن الشعوب تنادي بالحوار الحضاري بما يحمل من معنى كلمة الحضارة، والسعي لجعل الثقافة عاملا موحداً بين الشعوب، إلا أن ذلك في الحقيقة لن يتم دون تصفية قضايا العدالة العالمية والمساواة بين الشعوب، ومشاركة كل الحضارات في رسم معالم النظام العالمي الجديد، والسياسة الدولية والعلاقات بين الحضارات، ومفهوم الغرب للحوار بين الحضارات، هو مفهوم يقوم على النظرة البراغماتية، وتحقيق المصالح والحفاظ عليها، وكما يقول حسن حنفي: "حوار الحضارات، المقصود منه في الغرب أن يخف التوتر بين الشعوب، في حوار على مستوى الثقافة، بعيدا عن السياسة ومشاكلها والاقتصاد وهمومه، الثقافة توحد الشعوب، والاقتصاد يفرقها، فبدلا من كل أشكال الصراع بين من يملكون ومن لا يملكون، بين الأغنياء والفقراء...يمكن عقد حوار بين الطرفين"(2).

إن الحوار الذي ينشده الفكر الغربي، هو حوار من أجل أن تزول الصراعات التي تعيق توسعه وتوسع حضارته، ونمو اقتصادياته، فهو إذن حوار أفقي ينظر من أعلى إلى الباقي، ويريد أن يتكلم

1- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، مرجع سابق، ص 29.

2_ حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مرجع سابق، ص 36.

هو والباقي يستمع وينصت ويطبق، فليس هذا هو الحوار الذي تطمح إليه الشعوب والحضارات، نعم هناك تفاوت بين الحضارات، لكن أن نجعل من هذا التفاوت ذريعة للإملاءات، فهذا مرفوض وغير منطقي، فالقوي سيهيمن ويملي لغته على الضعيف، مما يخرج الحوار عن إطاره ومغزاه وهدفه، إن احترام الثقافات بعضها لبعض، والإيمان بدور كل واحدة منها في الحضارة العالمية، من بين المنطلقات التي تشجع على حوار بنّاء، وأن الصراع الثقافي الذي يقود إلى الحوار والبناء والتفاهم مقبول نوعا ما، لكن "عندما يكون حوار الحضارات بين طرفين غير متكافئين يعطي الطرف لغته للطرف الآخر، فحوار الحضارات مشروط بصراع القوى ثقافيا، وليس عسكريا"[(1)]

وتأكيدا لفكرة الصراع والصدام، يستعرض هنتنجتون التاريخ الحضاري، ليؤكد غياب الحوار فالعلاقات بين الحضارات مرت بعدة مراحل، فمرة نجد بينها احتكاكات محدودة أو أنها تميل إلى النزاع، وأخرى لا احتكاك بينها، ولو أن علاقة النزاعات هي التي طغت على معظم مراحل الحضارات، ولا يذكر هنتنجتون هنا مرحلة الحوار بين الحضارات، ملخصا ذلك في قوله: "مرت العلاقات بين الحضارات عبر مرحلتين، وهي الآن في الثالثة، ومدة تزيد على ثلاثة آلاف عام بعد ظهور الحضارات كانت الاحتكاكات بينها، إما غير موجودة أو محدودة أو متقطعة أو متوترة، مع بعض الاستثناءات وطبيعة هذه العلاقات، تعبّر عنها جيدا العبارة التي يستخدمها المؤرخون عادة بوصفها على أنها "مواجهات""[(2)].

إنها النظرة الصدامية للحضارات من طرف الفكر الغربي، ممثلا في موقف هنتنجتون وبعض المفكرين، وانطلاقا من فلسفة القوة التي حكمت العلاقات بين الغرب والباقي، فإن الغرب يريد أن يفرض منطقه الحضاري وقيمه وثقافته، ومهيمنا بالتالي على المشهد العالمي، رافضاً التعدد والتنوع الثقافي، إلا أن الكثير يرفض هذا المنطق الغربي المبني على الأحادية، وداعيا الغرب إلى الاعتراف بالآخر ودوره الحضاري، ومن منطلقات هذا الاعتراف الحوار معه، إذن "على الغرب أن يعتمد صيغة التعددية الحضارية على مستوى الكرة الأرضية...وليس ثمة شك أن عقلية التوحيد وفرض النمط الواحد إنما هي عقلية فاشلة، لأن الحضارات أساسا لا تقبل الاستنساخ"[(3)].

فلكل حضارة خصوصياتها، وما علينا إلا الحد من المواجهة بين الحضارات، وأن نخلق فضاءً للتعايش والتفاعل والتعارف، ومن ثمة التحالف الحضاري، لكي تستفيد كل حضارة من الأخرى والتخلي عن تطبيق قوانين داروين في العلاقة بين الحضارات، ففي مجال الثقافة والحضارة لا يوجد البقاء للأصلح والأقوى، ويجب بالتالي أن نؤمن بالتعددية والتنوع والاختلاف، ولا نجعل من ذلك ذريعة

1_ حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مرجع سابق، ص 42.

2– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 80.

3– هادي المدرسي، لئلا يكون صدام حضارات_الطريق الثالث بين الإسلام والغرب_ مرجع سابق، ص 156.

للصراع والقضاء على الآخر، كما يجب أن ننزع فكرة الخوف من الآخر، وأنه يشكل العدو الدائم، وأن بقاء أحدهم لا بد أن يكون بإفناء الآخر، يمكن لجميع الحضارات والثقافات مهما اختلفت وتنوعت أن تتقارب وتتفاعل وتتعايش، إذا بحثت في داخلها عن المشترك الإنساني، وجعلته الحلقة التواصلية فيما بينها وعلى خلاف التفسير التاريخي للعلاقات بين الحضارات، الذي اعتمده هنتنجتون ليثبت الصراع وينفي الحوار، يرى بعض المفكرين أن العلاقات بين الحضارات أخذت جميع الأشكال، من التنافس إلى الصدام إلى الحوار، "لقد مرت الحضارات الإنسانية عبر صيرورتها التاريخية بأحوال اتصلت فيها بعضها ببعض، وأحوال أخرى لم يثبت حدوث الاتصال فيما بينها، ولكن في الغالب كان الاتصال قائما بين الحضارات، وقد تميز هذا الاتصال بفترات حدث فيها صراع وتصادم وتنافس، وفترات أخرى كان فيها التواصل إيجابيا، إذ تعاونت وتعايشت وتحاورت الحضارات فيما بينها"[1].

في حين هناك مواقف أخرى من تلك العلاقات التاريخية بين الحضارات، حيث يرى البعض الآخر أن الصراع هو الأصل بين الحضارات، وما الحوار بينها إلا مرحلة هدنة لم تدم طويلا ليعود الصراع من جديد، بل إن الصراع حتمية طبيعية وكونية، ولولا الصراع لما تحركت عجلة التاريخ، ولما ظهرت الحضارات إلى الوجود، أما الفريق الآخر فينطلق من موقف يؤمن بأن التعايش والحوار هو السمة التي غلبت على العلاقات الحضارية، وما الصراع إلا مرحلة زال فيها التفاهم، واعتقدت حضارة ما بعالميتها وكونيتها ومطلقيتها وخلودها، فلجأت لفرض هيمنتها على العالم، ولقد مثّل نظرية الصدام الحضاري هنتنجتون، أما نظرية الحوار الحضاري، فقد مثلها روجيه غارودي، وكما يقول **زياد نجم** في مقاله حول "تعارف الحضارات" أنه "قد أوحت هذه الثنائية للمفكرين والباحثين بنظريات مختلفة، كل حسب قراءاته للتاريخ، فذهب فريق منهم إلى أن الصراع هو الأصل الذي يحكم العلاقة بين الحضارات، وما حالات السلم التي وجدت عبر التاريخ سوى مراحل اقتضتها ظروف تاريخية معينة وهذه الرؤية تولدت عنها نظريات جعلت من الصراع الحضاري منطلقا لها، كنظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون، وذهب فريق آخر، إلى أن العلاقة بين الحضارات غلب عليها التعايش والتحاور والتسامح، أما الصراع الذي وجد بينها فهو محدود بظروف معينة...كنظرية حوار الحضارات لروجيه غارودي"[2].

وعليه، لقد كانت بين هاتين الأطروحتين جدلية الصدام والحوار، ومن خلال المواقف التي تمثلها، نجد أن العلاقة كانت في التاريخ تتراوح بين الصدام والحوار، لكن اليوم ظهرت أطروحات أخرى أرادت أن تتجاوز هاتين الأطروحتين، نتيجة أن الصدام لا بد أن ينحصر، والحوار لم يحقق

---

[1]- زياد نجم، نظرية تعارف الحضارات: نحو رؤية جديدة للخروج من إشكالية ثنائية (الصدام والحوار)، مجلة المعرفة دمشق، وزارة الثقافة السورية، عدد 568، سنة 49، كانون الثاني 2011، ص 179.

[2]- المرجع نفسه، ص 179.

الغاية المرجوة منه، فظهرت أطروحة التعارف بين الحضارات، والتي نادى بها **زكي الميلاد** وذلك من خلال كتابه: "تعارف الحضارات"، وهناك أطروحة تحالف الحضارات التي نادى بها عبد العزيز بن عثمان التويجري، في كتابه: "تحالف الحضارات"، معتبرا كل واحد منهم أطروحته على أنها الأطروحة البديل للصدام والحوار، بالإضافة إلى أطروحة تعايش الثقافات، وكل هذا نتج عن ازدياد النزاعات بين الأمم والشعوب والحضارات، وتراجع الحوار بينهم، والملاحظ أن سبب انحصار الحوار الحضاري وتراجعه هو تزمت المواقف وتصلبها، كما أن المنطلقات غير مؤسسة على أساس صحيح حيث إن "العلاقات بين الدول وبين المجموعات الحضارية، ما لم تحتكم إلى القانون الدولي وترتكز على أساس الاحترام المتبادل وتستلهم القيم والمبادئ الإنسانية التي تعبّر عنها تعاليم الأديان السماوية، فإنها لن تستقر على قرار، ولن تكون في خدمة الأمن والسلم في العالم"(1).

والقاعدة الصلبة التي ترتكز عليها الحوارات الحضارية، هي ضرورة إيجاد نظام دولي عادل من الجانب القانوني، ومن الجانب الإنساني أن تحترم بعضها بعضا، وألاّ تتصور حضارة نفسها على أنها أفضل من الأخرى، أو أعلى منها أو أقوى منها، وتنطلق من القيم الإنسانية العالمية كالتسامح والسلام، وأن تستحضر عمق الأديان التي تعبّر عن تلك القيم والمبادئ، والتي ترفض الصدام والعنف والقتل والبربرية، إن العالمية الإنسانية هي هدف الحضارات، وليس العالمية الإمبريالية، ومادامت هناك فرص أمام البشرية للتحاور ومعالجة جميع المشاكل بينها عن طريق الحوار، فهناك إذن مشروع الأمل، والعلاقات يجب أن تبنى على الحوار المثمر، الذي يمضي بالأمم إلى أن تخطو خطوة إلى الأمام في سلم الحضارة، لا أن تتراجع إلى الخلف، ولابد من فهم طبيعة الثقافات وخصوصياتها، حتى لا نقع في فلسفة الرفض دون مبرر، ومن ثمة تتشكل النزاعات، وإن من المراحل التي يجب أن تصل إليها البشرية مرورا بالحوار، ما يعرف بالتحالف الحضاري، حيث تتحالف فيه الحضارات ضد كل ما يهدد الإنسانية في وجودها، من أمراض وحروب وأخطار طبيعية، أو ما صنعه الإنسان بيده، كأسلحة الدمار الشامل، التي إن وقعت في أيدي غير أمينة قضت على الإنسانية، فلا بد من تسخير العلم ووسائله لخدمة الإنسان والإنسانية، فالعلم ليس له جنسية وكذلك المعرفة، وهما بالتالي من المعطيات التي تشترك فيهما الإنسانية، إضافة إلى ما يرتبط بالإنسان كانسان، في كينونته ووجوده.

"ونحن نؤمن بأن المضي في سبيل جعل الحوار بين الحضارات، والثقافات محورا للعلاقات بين الشرق والغرب يوفر للأسرة الدولية فرصا ثمينة للتغلب على المشاكل، وإقامة أسس جديدة قوية وراسخة للتعاون الإنساني، بل لقد تخطينا مرحلة الحوار واتجهنا اليوم إلى مرحلة التحالف بين الحضارات والثقافات"(2).

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص ص 60 _ 61.

2- المرجع نفسه، ص 62.

وكل المواقف اليوم تجمع على أن حوار الحضارات ممكن، رغم النظرة السوداوية للبعض الناتجة عما يشهده العالم اليوم من عودة النزاعات داخل الحضارات وبين الحضارات، إن إمكان تحقيق حوار حضاري صحيح وصادق، يجب أن تنطلق من أسس متينة كالاحترام المتبادل بين الحضارات والثقافات، وتحقيق الإنصاف كما يسميه جون راولز في كتابيه: "العدالة كإنصاف" و"قانون الشعوب" وأن تكون الهيئات الدولية في خدمة الإنسانية، وليس في خدمة حضارة واحدة فقط مع الاعتراف بالحضارات ودورها في البناء، والاعتراف بالتالي بالتنوع والتعدد، فهذه القيم تساعد على الانطلاق في الحوار، مع ضرورة نبذ التعصب والآراء المبنية على أسس إيديولوجية، وإزالة الحواجز العرقية والإثنية ونبذ الكراهية وروح الاستعداء، ومن خلال كل ذلك "فإن نجاح الحوار بين الحضارات رهين بمنطلقاته المتمثلة في الاحترام المتبادل، والإنصاف في المواقف والرؤى، ونبذ التعصب وروح الاستعلاء، لأن الحوار الجاد الهادف إلى تحقيق الصلاح والخير للناس، ونشر الأمن والسلام والتعاون على ما فيه المنفعة بين البشر، لابد أن يفضي إلى تعايش حضاري وتفاعل ثقافي يغنيان الحياة الإنسانية ويعززان العلاقات بين شعوب العالم"[1].

وما على الحضارة الغربية التي ترى في ذاتها أنها الحضارة الأقوى والمهيمنة، إلا أن تتجه في اتجاه الحوار، وأن تنحو نحو التفاعل مع الحضارات، وأن تخرج من قوقعتها نحو عالم الحضارات متعدد الأقطاب، ولا بد من التأكيد أن العالم الجديد الذي نتج بعد نهاية الحرب الباردة، عالم يرتكز على أسس ثقافية، وأن الانتماءات الإيديولوجية والاقتصادية لم تعد هي أساس التحالفات بين الحضارات، وإن إدراك ذلك يحتم على الغرب وعي الحضارات، ووعي دوره الحضاري في التاريخ، من حيث إنه يمكن أن يرعى الحوار لا أن يرفض الحوار الحضاري، ومن هذا يرى بعض مفكري الغرب أن الحوار ممكن ولكن يشترطون له شروطا، فمن شروطه الاتفاق على أرضية مشتركة، أو كما قال غارودي منطلقات إنسانية مشتركة ووجود اختلاف لأن المتفقين لا يتحاورون، وبالنسبة إلى هذين الشرطين فهما في الحقيقة متوفران، فهناك مشتركات وقيم إنسانية واحدة في جميع الحضارات وبالمقابل هناك اختلافات جوهرية بين الحضارات والثقافات، هذه الاختلافات منها ما يرتبط بالمبادئ والأسس الحضارية، ومنها ما يرتبط بالفروع الثقافية، وهنا يرى أحد مفكري الغرب، ألا وهو **جوزيف سايفرت** أنه: "يشترط الحوار حيثما مورس شيئان: من جهة أرضية مشترك نقف عليها ونبدأ منها تعاونا سلميا مشتركا، ومن جهة أخرى اختلاف في الأصل، وخاصة اختلاف الاقتناع الذي لو كان غائبا لما كنا في حاجة إلى الحوار"[2].

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 110.

[2]- جوزيف سايفرت، تفاعل الحضارات، ترجمة حميد الأشهب، نداكوم للصحافة والطباعة، الرباط، (د ط)، 2004 ص 26.

وبالعودة إلى منظّر أطروحة الحوار بين الحضارات، روجيه غارودي، فإنه يعتقد بأن العلاقات الحضارية كانت وما تزال تقوم على فكرة التفاعل والتأثير والتأثر، ومنه لا توجد حضارة من عدم، فكل حضارة استفادت مما أنتجته الحضارات الأخرى، وبالإبداع تجاوزتها وعبّرت عن كينونتها وخصوصياتها، ولا يمكن في فلسفة الحضارة أن نختزل التاريخ في حضارة واحدة، وحتى أن فكرة الحضارة الواحدة لعالم واحد، اليوم إن بنيت على الحوار والتعايش فهي فكرة مقبولة، وإن بنيت على الأحادية والهيمنة، فهي تريد بذلك الإبقاء على الصراع الحضاري، ولا تريد بالتالي الوصول إلى التسامح والسلام العالمي، وبالتالي فهي مرفوضة، فمن أجل الإنسانية والأجيال المقبلة، على الحضارات أن تتحاور وتنظر دائما إلى الجانب الخير في منطلقاتها، ولهذا فقد "اعتقد (روجيه غارودي) أن المبدأ والأساس في العلاقات الإنسانية، وفي المواجهة بين الحضارات هو التفاعل والتكامل والتأثير والتأثر المتبادل إنه حوار وتفاعل يهدف إلى تقدم الإنسانية وتطورها"[1].

فالحوار فضيلة أخلاقية، تنبع من أعماق الإنسان، فهو كائن حواري يحاور نفسه، كما يحاور الآخرين، وفي علم النفس، إن الحوار يزيد الوعي، ويقضي على العقد والمكبوتات، فيتحرر الإنسان من ذاتيته الضيقة، لينفتح على الذوات الأخرى، وبالتالي يفيد ويستفيد، وهو ما ينطبق على الثقافات والحضارات، فالإنسان كائن موجود في الزمان، وكينونته تنمو وتتغير وفقا لماضيه وتتجه به نحو المستقبل، وإن استقرار الحضارات ونموها وتطورها، متوقف على مدى تحقيق الحوار فيما بينها، وفيما بين الشعوب، فثقافة السلام التي تطرح اليوم على المستوى الأممي والعالمي، لا يمكن أن تكون إلا بثقافة الحوار، كيف يمكن تحقيق السلام بين الشعوب وهي لا تلتقي ولا تتبادل الحوار؟ فالحوار لا يجب أن يفرغ من مضمونه، إنه فعل وممارسة، وليس نظريات أو أطروحات تقال ومحاضرات أو مقالات تكتب، وإن من أساسيات الفعل وجود حسن النية والمبادرة والإرادة على الفعل، مهما كانت الصعوبات والعوائق، وإن غارودي أول من انتبه إلى فكرة الحوار بمعناها العام مشيرا إلى ان الحوار يبدأ مع الطبيعة، لأن المادية والعصرنة دفعت الإنسان لتدمير الطبيعة، من أجل السلطة والمال والقوة والسيطرة ونسي الإنسان أن الطبيعة ملك للجميع ولجميع الأجيال القادمة، ولهذا فيجب أن يقيم الإنسان حوارا معها، ثم مع بني جنسه، إنه ابن الطبيعة، ويجب ألاّ ينسى ذلك، وعليه فثقافة السلام هي ثقافة عامة تنطلق من التخلص من أنانية الإنسان، وحب التملك والغريزة التدميرية، وتحويل كل ذلك من أجل البناء لا الهدم، ومنه "فإن تنمية ثقافة السلام تتطلب قبولا بدور الشعوب البنّاء، والتخلص من اللهاث وراء السلطة، والنظرة الأحادية وعمليات الإلغاء والمواجهة والصراع، إن السلام الكامل يشمل إحلال السلام بين الإنسان والطبيعة مضافا إلى السلام بين بني البشر"[2].

1- روجيه غارودي وآخرون، الحضارات، صدام أم حوار، مرجع سابق، ص 37.

2- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق، ص 56.

إن ما يمكن أن يجهض الحوار، هو النظرة الأحادية التي تسيطر على الفكر والعمل، وتجعل منه يؤمن بالقوة والتسلط والشمولية والعالمية، وبالتالي يمارس الإقصاء ضد أي فكرة لا تندرج تحت منظومته الفكرية والقيمية، وهذا يصدق على الغرب تحديدا، ومن منطلقات الحوار الحضاري البنّاء، أن يشمل كل المجالات ولا يقتصر على الثقافة، لأن الصدام بين الثقافات كثيرا ما يكون بسبب الاختلافات الاقتصادية والسياسية، والهيمنة وشعور الشعوب بالظلم العالمي، ولا بد كذلك من أن يستوعب الحوار منتجات العلم والمجتمع، متجاوزا النظرة الضيقة، كما أن الحوار يجب أن يكون مع الأخر المختلف، وهذا الآخر هو ما يخلق فضاءً للنقاش والعلاقات الحضارية، وبالتالي الحوار معه ليس من أجل هزيمته أو إفحامه، ولكن من أجل التثاقف معه، فالحوار في أصوله العامة أخذ وعطاء حيث يستفيد الجميع من الجميع، إننا بحاجة إلى الآخر والآخر بحاجة إلينا، والإنسانية بحاجة إلى كليهما، وعليه فإن هناك جدلية حوارية متبادلة، ورغم أن الحوار غاية تنشدها البشرية وتأمل في تحقيقها، إلا أنه تعترضه عقبات وعوائق، تنبع من النظرة الأحادية للحضارة، كما أن هناك حضارات ترفض تلك المنطلقات التي يؤسس عليها الحوار، فالمساواة بين الحضارات والشعوب وجعلها متكافئة إنسانيا، دون النظر إلى انتماءاتها واختلافاتها، ومهما تمايزت في قدراتها المادية والاقتصادية والعسكرية، هي إحدى المنطلقات الفعّالة لحوار بنّاء، بالإضافة إلى كل ذلك، فإنه "يتأسس حوار الحضارات على أن يتقبل كل من الطرفين حقيقة الطرف الآخر، ويكّن له الاحترام، وأن يتحرك الحوار في ضوء تفاعل متبادل"[1].

إن الحوار الحضاري ينطلق من الاعتراف، أي اعتراف كل طرف بكينونة الآخر، واحترام وجوده ومبادئه وأسسه وقيمه وثقافته وحضاراته، واستبعاد النظرة التحقيرية والاستعلائية، ثم الإيمان بالتفاعل المتبادل، بمعنى أن تستفيد كل حضارة من الأخرى التي تتحاور معها، ولا بد لكل حضارة أن تحاور ذاتها أولا، لتقوم بفعل النقد لذاتها وتبيان جوانبها الإيجابية من السلبية، ثم يتحول الحوار بعد ذلك إلى الآخر، كما أنه لابد على الحضارة الأخرى ألاّ تعتبر ذاتها مركزا، وباقي الحضارات هامشا، وبالتالي فإن قبلت الحوار الحضاري، فإنها تسيره من طرف واحد، وهنا تسيطر عليها النزعة التفوقية والأحادية والاقصائية، وهذا قد يولد مشاعر الكراهية وفلسفة الفرض والهيمنة والإكراه، وهي كلها دوافع ضد الحوار.

"فحوار الحضارات يقوم على نسق هذا المبدأ، ذلك أن الشعوب ما تزال حية رغم ما قد أصاب حضارتها من تراجع، لقد امتلكت حضارة لا تزال آثارها ومنجزاتها خالدة تعتز بها، ونحن نطرح مشروع

---

[1]- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق، ص 56.

حوار الحضارات استنادا إلى ذلك الماضي، وندعو الآخرين إلى خوض الحوار مع أولئك الذين يمتلكون هوية أيضا"[1].

فالشعوب تؤمن بأن لها حضارات قدمت للإنسانية عصارة فكرها، وإبداعاتها ومن المؤسف أن تهمش، كما أنها ما زالت تؤمن بعودة حضاراتها وانبعاثها، فتلك الحضارات في ماضيها كانت تقيم علاقات بعضها مع بعض، وتؤمن بأن كل حضارة قد شاركت في الرقي الإنساني، وشاركت في ظهور الحضارة المعاصرة، كما أن تلك الحضارات ما زالت تملك هوية وخصوصية، وأن لها مكانتها العالمية وتستطيع أن تشارك في بناء العالم الجديد، ولكنها تؤمن بأن المنطلقات يجب أن تكون إنسانية، وأن ما يحقق ذلك الأمل هو الحوار الحضاري، وكما قلنا سابقا، على الحضارات أن تسعى لإزالة النزاعات والتوترات كأرضية للحوار، ومن بين التصورات التي تقف عقبة في وجه الحوار بين الحضارات خاصة بين الحضارة الغربية والإسلامية، نجد تصور الحضارة الغربية عن وجود عدو ألا وهو الإسلام، فالغرب وقياداته ازداد قلقهم وتخوفهم من الإسلام، بعد أن أصبح المنافس وبعد زوال الشيوعية، وعليه لا يأمل الغرب في حوار مع الإسلام، وقد أدت هجمات 11 سبتمبر 2001، كما ذكرنا سابقا إلى زيادة التوتر بين الغرب والإسلام، بل إن الغرب قد شن بعدها مباشرة هجمته الصليبية على العالم الإسلامي، وتم احتلال العراق، فكانت بالتالي الحرب الحضارية كما يسميها المهدي المنجرة، ومن الصدف أن يتم اعلان عام 2001 عاما للحوار بين الحضارات، لتأتي الهجمات وتنسف كل مبادرة للحوار بين الغرب والإسلام، "ثمة هدف آخر نتوخى تحقيقه عبر حوار الحضارات وسياسة نزع التوتر، هو أن نتولى تبديد تصور بشع جدا يسود في مجال العلاقات الدولية...(هو) وجود عدو كبير...لا أريد أن أقول بأن هنتنجتون قد تناول موضوع الحضارات في ضوء تخطيط مسبق، غير أن في وسعي القول، بأنه نجح من خلال ذلك في التعبير عن العقلية التي تهيمن على مراكز السلطة في الغرب"[2].

فهنتنجتون بأطروحته استفسر التاريخ، ليجيب بأنه لا يمكن الحوار مع حضارة يدعو دينها إلى الدم والعنف والإرهاب، فمن مقدمات الحوار التخلي عن هذه السلوكيات، وبما أنها سلوكيات ترتبط بطبيعة الإسلام كدين وبالمسلم كشخص، فإنه يصعب التخلص منها، وبالتالي الحوار مع حضارة تطالب بالحوار، لكنها ترفض الحوار، يعد مفارقة بالنسبة إلى الفكر الغربي.

---

[1]- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق، ص 60.

[2]- المرجع نفسه، ص 62.

"فلابد أن نعي الآخر، وإلا فهل يسعنا أن نخوض الحوار مع الآخر ونعترف بوجوده دون أن نكون قد عرفناه، إن حضارة الغرب اليوم هي حضارة مهيمنة ومعروفة... ونحن نتعامل معها بنحن وآخر فالوعي بالحضارة التي نعتزم خوض الحوار معها، هو الشرط الآخر لحوار الحضارات"[1].

إن وعي الذات ووعي الآخر، أحد شروط الحوار الحضاري الفعّال والبنّاء، ولا بد من أن ننطلق من واقع مفروض، وهذا الواقع يقر بأن الحضارة الغربية هي الحضارة المهيمنة، وهي التي تصنع التاريخ، وهي الحضارة الأقوى حضاريا واقتصادياً وعسكرياً، ومن ثمة لا يمكن أن تملى عليها الشروط، يمكن أن نتفاعل مع هذه الحضارة، ولا يعني ذلك أن الحوار سيتم من طرف واحد، ويرى بعض المفكرين أن وعي الحضارة التي ننوي الحوار معها ضروري للحوار، فالغرب استطاع في فترة من الزمن أن يقوم بوعي الحضارة الإسلامية، وأن يقوم بدراستها واكتشافها من الداخل، وما الدراسات الاستشراقية إلا أكبر دليل على ذلك، بل إن هناك جامعات أنشئت في أوروبا، كانت تدرس فيها الحضارة الإسلامية، ولا يعني السعي من أجل الحوار بين الحضارات، أن النزاعات والصدامات الحضارية ستتوقف وتنتهي، ولكن الحوار يهدف إلى تقليل التوتر، وفتح المجال للبناء والتشييد فالحضارات عبر التاريخ عرفت الحوار والصدام، ومرّت بنوع من الهدنة، وتتغير تلك الأشكال حسب معطيات كل عصر، إذن "هناك جدلية قائمة ومستمرة أبدا بين الصدام والحوار، ولا تنتهي ولا تزول خلال مراحل الحياة الإنسانية، ولكل منهما في جدليته توافقا حسب المراحل الزمنية التاريخية والمعطيات الإنسانية المتغيرة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا"[2].

ويرى البعض أن من شروط الحوار البنّاء، أن يكون هناك نقد للذات ونقد للآخر، ومن الخطأ الانطلاق من نقد الآخر، والاعتقاد بأنه منحرف ومخطئ، والتهجم على حضارته وثقافته، ووصفها بكل الأوصاف دون أن ننقد الذات، كما أن الحوار يجب أن يبنى على ثنائية متجهة من العربي الإسلامي إلى الغربي، ومن الغربي إلى العربي الإسلامي، فهي تتجه في اتجاهين، أو اكثر ويجب على الذات المحاورة أن تثق في ذاتها، ولا تعتقد أن قوة الآخر ستحسم الحوار لصالحه، وبالتالي سيقود ذلك إلى الهزيمة الثقافية والذوبان في الآخر، "فحوار الحضارات المقصود منه في الغرب أن يخف التوتر بين الشعوب في حوار على مستوى الثقافة بعيدا عن السياسة...فبدلا من كل أشكال الصراع...يمكن عقد حوار بين الطرفين"[3].

إن التوجه نحو لغة الحوار، الهدف منه التقليل من حالات التشنج والتوتر والكراهية والحقد بين الحضارات، خاصة بين الغرب والإسلام، إن لهذه العلاقة تاريخاً طويلاً، ولقد مرت بفترات صدامية

1- فائز هشام البرازي وآخرون، الحضارات صدام أم حوار، مرجع سابق، ص 63.

2- المرجع نفسه، ص ص 68 _ 69.

3- حسن حنفي وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، مرجع سابق، ص57.

وفترات حوار وفترات من الهدنة والعودة إلى الذات، وكذلك في العصر الحاضر، ظهر منطق الصدام وكاد أن يختفي منطق الحوار، لولا نداءات أممية وعالمية تدعو إلى تغليب لغة الحوار والتقليل من الصراع والتوتر، والسبب هو حالة الاحتقان التي وصلت إليها العلاقة بين الغرب والإسلام، والتي بدأت باعتبار الإسلام العدو الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وبداية الحملة على العالم الإسلامي والذي اعتبر الهجوم الغربي حرباً صليبيةً جديدةً، مما أدى إلى ظهور فكرة حرب الأديان، خاصة وأن الغرب كان مدعوما من اليهود ضد المسلمين، فمخططات اليهود هي ضرب الإسلام ودوله، لأنه كذلك يعتبر العدو القديم الجديد، ورفض أي شكل من أشكال الحوار، بدليل الحوار بين اليهود والفلسطينيين، الذي لم يؤد إلا إلى مزيد من العنف والقتل والتهجير واغتصاب الأرض والعرض، هناك من له استعداد للحوار، وهناك من يجعل منه شعارا من أجل أن يفرض منطقه وسياسته وهيمنته وهناك من يعتبر الحوار دليل ضعف وتنازل عن الحقوق، ولهذا فإن النظر إلى الحوار في حد ذاته يجب أن يراجع، ويجب أن يوضع مفهوم حضاري عالمي لفلسفة الحوار الحضاري.

وكأننا نعيش نموذجين مختلفين، نموذج الحوار الذي تبنّاه الشرق، ونموذج الصدام الذي تبنّاه الغرب، وإن نظرة الغرب إلى الحوار تعكس موقفه الحضاري، من أنه معتقد بأن حضارات الشرق بما فيها الإسلام لجأت إلى طلب الحوار مع الغرب، لأنها تعيش فترة التراجع الحضاري والضعف، ولو كانت في أوج قوتها ما لجأت إلى هذا المطلب، أما الغرب فيتبنى أطروحة الصدام في مقابل الحوار لأنه يعتقد بأن الصدام هو ما يحافظ على قوته وسيطرته وهيمنته، فالأخلاق من صنع الضعفاء، والقوة لا تعرف الأخلاق، وفقا لمقولات الفيلسوف الألماني نيتشه، إن الهيمنة تعني البقاء في صدارة الحضارات، والحوار يعني التقهقر والتراجع، ومن ثمة الانحلال والزوال، والأطروحتان تنتميان لبراديغيم مختلف عن الآخر، فلكل منطلقاته وتصوراته وأهدافه، ولهذا "حين نقارن بين غارودي، وهو غربي طهّره الإسلام وهنتنجتون، نجد أن غارودي قد تأثر بالمنظور العمراني الإسلامي، فلم يتوقع صراعا بين الحضارات، بل حوارا بينها يمهد للعالمية ويهيئ لها"(1).

لقد كانت مبادرة حوار الحضارات من الفكر الإسلامي، الذي أراد أن يبين أن الإسلام ليس دين عنف ولا إرهاب ولا قتل ولادمار، بل إنه دين يدعو وفق مبادئه وقيمه إلى ثقافة السلام والتسامح، وهذه من أصوله، وليس ضعفا في بنائه، ولا سببا في تراجعه الحضاري، وليست عارضا في تاريخه، لقد مارس المسلمون الحوار مع جميع الحضارات منذ بداياته الأولى إلى فترة ازدهاره إلى تراجع حضارته وبقي الإسلام يؤمن بالحوار وما زال، فالقرآن الكريم يدعو إلى الحوار وكذلك السنة النبوية، كما يؤمن الإسلام بفلسفة التدافع والتعارف الحضاري، وكلها في الحقيقة ضد الصدام، الذي يقود إلى فرض

1- طه جابر العلواني وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 252.

فلسفة القوة والمصلحة والأحادية، ورفض التعدد والتنوع الثقافي، لقد احتضن الإسلام جميع الثقافات واعترف بخصوصياتها، كما احترم الأديان الأخرى، بل ودخل علماؤه في حوار مع المشركين والملحدين وعبّاد البقر والنجوم وغيرها، وأرادوا أن يقيموا عليهم الحجة، فمن دخل الدين فقد دخل ومن أراد أن يبقى على دينه فقد بقي على دينه، وهو ما لم تمارسه الديانة النصرانية، التي تدّعي أنها دين التسامح، حيث ارتكبت أبشع المجازر في التاريخ باسم الدين المسيحي، وباسم المسيح، وانطلاقا مما سبق يمكن أن نقول بأن "حوار الحضارات، هو البديل الإسلامي لصراع الحضارات، الذي تنبأ به بعض مفكري الغرب، الذين جعلوا من الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية حتمية مؤكدة إثر زوال الصراع بين الحضارة الغربية والشيوعية، لدى انهيار الاتحاد السوفيتي"[1].

إن صناعة التاريخ لا تعني الانغماس في العدوانية والصراع، وتسلق سلم التاريخ يجب ألاّ يكون على حساب الآخر، إن الارتقاء في سلم الحضارات لن يكون إلا بالاعتراف بما قدمه الآخر والإيمان بأن كل الحضارات قد شاركت في بناء حضارة الإنسان، وإن الحضارة التي تبدع هي الحضارة التي لها القدرة على الإنصات والتفاعل والتثاقف، و"لا يمكن أن يكون هناك تعارف وتفاهم وتآلف بلا حوار، إذ هو الطريق الأمثل لمعرفة الآخر والتفاهم معه...وهذا يعني بالضرورة الاعتراف بالتنوع الثقافي"[2].

إن الاختلاف والتنوع حقيقة لا يمكن نفيها أو رفضها أو حتى القضاء عليها، فمهما حاولت العولمة السلبية تأحيد العالم وتنميطه، إلا أنها لم تستطع أن تخلق عالماً واحداً وحضارة واحدة وانساناً واحد له نفس القيم ونفس الثقافة، فهذا فعل ضد الطبيعة وتدمير لها، ولهذا فيجب أن يعقد حوار مع الطبيعة، ثم مع الذات وبعدها مع الثقافات والأديان، وكنتيجة للحوار مع الحضارات، أو بالأحرى بين الحضارات، ولهذا هناك من يسمي الصراع صراع ثقافات، والحوار حوار ثقافات على أساس أن الحضارات كيانات لا تتصارع ولا تتحاور، بل من يقوم بذلك هو الثقافات، يقول في ذلك الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي في ندوة عقدت في الرياض: "إن موضوعنا يدور حول حوار الثقافات، لا حوار الحضارات...فالحوار الحضاري، يعني بطريقة ما نفي الحوار مع الثقافات التي لم تصل إلى مستوى حضاري سائر، ولم تسهم في مسيرة الإنسانية، وهذا مخالف لمفهوم الحوار، كما أن الحوار الحضاري يعني الحوار بين أمة تسلمت الريادة الحضارية في مجالات التقنية والعلوم والتنظيم، وأمة تخلفت في الميادين رغم صلاحية ثقافتها وسمو معتقداتها...في حين أن حوار الحضارات تتكاشف فيه الأنساق الثقافية، لوضع مشروع مستقبلي"[3].

---

[1]- عبد الواحد بلقزيز وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص (ص).

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 11 _ 12.

فالحوار الحضاري، يجب أن يشمل جميع الحضارات، ولا ينظر إلى حضارة ما أنها لم ترتق إلى سلم الحضارات، وبالتالي لا يجب عقد حوار معها، أو أنها لم تقدم للإنسانية شيئا، على الحوار الحضاري أن يهدف إلى بناء حضارات إنسانية، تتلاقح فيما بينها خدمة للإنسان، وتتهيأ للمستقبل ولأجل ذلك هناك من يريد من خلال الحوار بين الحضارات أن يبني نظاماً عالمياً جديداً، تقوم فيه العلاقات بين الحضارات على الاحترام، وتسود فيه مبادئ الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان نظام يعبّر فيه الإنسان عن إنسانيته الضائعة في وسط ركام من الصراعات والنزاعات، وأن الحوار في منطلقاته وأهدافه هو في الواقع أداة أو وسيلة، لتحقيق التقارب والتفاعل والتحالف بين الحضارات لتنظر إلى الخطر الحقيقي المحدق بها، فليس الخطر يكمن في الحضارات، وإنما في كل ما يهدد البشرية وسوء استخدام منتجات الحضارات، سواء ضد الإنسان أو ضد البيئة التي تحتضن الإنسان والتي تعاني اليوم ما ألحقه الإنسان بها، فنهاية البيئة والطبيعة يعني نهاية الإنسان، أما الحوار بين الحضارات فهو في طبيعته حوار بين الثقافات، ومحاولة كل ثقافة أن تتمركز وتجعل من ثقافات الآخرين هامشا فالغرب لا يعترف بحوار يتساوى فيه مع باقي الحضارات خاصة الإسلام، أما الإسلام فإنه يسعى إلى أن يقيم حوارا عادلا مع الغرب، وعليه فقد حُصر الحوار الحضاري في الغالب بين الإسلام والغرب ومنه "فإن الحوار الحضاري مع الغرب يجب أن يحقق الأهداف التالية:

1- الاعتراف بخصوصيات كل حضارة، وهي خصوصيات دينية وثقافية وهي جزء من الحقوق الطبيعية لكل الشعوب.

2- الاعتراف بحق الشعوب في البحث عن هويتها كاملة غير منقوصة.

3- الالتزام باحترام كل مظاهر السيادة السياسية والاقتصادية والثقافية...

4- التوقف عن اعتبار النموذج الغربي هو النموذج الحضاري الوحيد الذي يجب أن يقتدى به.

5- الاقرار بحق العالم الإسلامي في المشاركة الجادة في صياغة معالم النظام العالمي الجديد"[1].

هذه هي الأهداف التي يجب أن تتحقق في الحوار بين الغرب والإسلام، أو باقي الحضارات إنها أهداف تبحث عن العدالة في التعامل، ونبذ الإقصاء والتهميش، واحترام الخصوصيات، سواء أكانت ثقافية أو دينية أو هوياتية، وعدم المساس بالسيادة والحرية، وعلى الغرب أن يتراجع عن مشروعه الحضاري المبني على سيادة براديغيم واحد على العالم وجعله كونيا، وبالتالي الاعتقاد المطلق في صلاحية قيمه وثقافته، كما لا ننسى حقوق الشعوب بالمطالبة بنظام دولي جديد، يقوم على أنقاض

[1]- محمد فاروق النبهان وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، م1، مرجع سابق، ص 330 _ 331.

النظام القديم الذي أقرته مرحلة الحرب العالمية والحرب الباردة، ولم تشرك فيه الشعوب، وبالتالي عبّر عن الظلم لا العدالة العالمية، ومن هنا يمكن أخيرا البحث عن المشترك الإنساني، لأجل الإنسان والإنسانية، أما التصور الذي يريد أن يفرضه طرف على آخر، فلا يمكنه أن يحقق الأهداف المرجوة والآمال التي يطمح إليها، إنه تصور يقوم على فرض الشروط من طرف الحضارة القوية، والتي ترى في ثقافتها وقيمها على أنها وصلت إلى مرحلة العالمية والكونية، و"في ظل هذا التصور يصبح الحوار الحضاري أمرا متجاوزا على المدى البعيد، وقد يحقق بعض غاياته على المدى القريب لمنع التصادم في المرحلة الأولى، ثم يقع التدافع والتغالب في المرحلة الثانية، ثم يستقر الأمر للنموذج الحضاري الذي فرضته العولمة وهيأت أسبابه بكل إمكانياتها المتفوقة في ساحة الصراع الحضاري"(1).

إنه حوار ناتج عن الصراع، وفي خدمة الصراع، وهذا النوع من الحوار لا يمكنه أن يتحقق، إنه يفتقر إلى المنطلقات الأخلاقية ما دام يؤمن بفلسفة القوة والتعالي والأفضلية، فعلى جميع الحضارات أن تتواضع أمام الحوار، وأن تتكافأ من أجل ألاّ يشعر الضعيف بأنه مغلوب مسبقا، وأنه يجب عليه أن يتراجع عن قيمه وثقافته وأخلاقه وهويته وحضارته، ولذلك "يرى خاتمي أن تحقيق مشروع الحوار بين الحضارات يستلزم إجراء تحول أساسي في الأخلاق والسياسة، ذلك أن هذا الحوار يستلزم التواضع والوفاء بالعهد والمشاركة"(2).

ويعتقد البعض، كما ذكرنا سابقاً، أن الحوار بين الحضارات في أصله حوار بين الثقافات، بل إنه حوار بين الأديان، لأن معظم الاختلافات والتي تسببت في صدامات حضارية كانت بسبب الاختلافات الدينية والإثنية، ولهذا فحوار الأديان يمثّل الضمير الذي يجب أن يوقظ في الثقافات والحضارات، ما دامت الأديان تدعو إلى السلام والتسامح والتعايش، وتؤمن بالاختلافات العقدية، فإن ذلك قد يشكل أرضية صلبة للحوار، وما على رجال الدين إلا الدعوة إلى هذا الحوار، بل وفرضه على الساسة، من منطلق أنه لا يمكن فصل الإشكاليات الدينية عن السياسية والاقتصادية وغيرها، وبذلك يكون "الحوار بين الحضارات، أو بين الثقافات في الحقيقة هو حوار بين الأديان، لأن الصلة بين الدين والحضارة أو الثقافات المختلفة هي عنصر أساسي لابد من وجوده لتحقيق السلام في العالم بأكمله"(3).

وكما يرى **عبد المجيد عمراني** في ندوة: "الإسلام وحوار الحضارات" أن العلاقة بين الحضارات التي تتراوح بين الصدام والحوار، لا تنصّب فقط على الدراسات المستقبلية، بل إنها تنطلق من الرجوع إلى فكرة الحوار في التاريخ، حيث نجده يقول: "لم تكن دراسة مستقبل الحضارات بين الصراع والحوار هي

1- محمد فاروق النبهان وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، مرجع سابق، م1، ص 331.

2- السيد يسين وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، المرجع نفسه، م1، ص ص 366 _ 367.

3- محمد أركال وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، المرجع نفسه م 2، ص 442.

السبب الرئيسي في إلقاء الضوء على التصورات والتنبؤات المستقبلية للحضارات العالمية فحسب بل هي دراسة مفهوم فكرة حوار الحضارات قديما وحديثا"[1].

إننا نعيش في عالم جديد، رسمت معالمه الصراعات الإيديولوجية والحضارية، بدأ في تشكيل نظام دولي جديد يقوم على فكرة تعدد الحضارات، وأصبحت فيه الثقافة اللاعب الأساسي في العلاقات الدولية، وأراد الغرب أن يصنع تاريخاً جديداً، معلنا فيه تفوقه وتفوق حضارته وقيمها، بانتصار الليبرالية ونهاية الثنائية القطبية، ومن هنا زادت الهيمنة والسيطرة الغربية، وأراد الغرب أن يعمم البراديغيم المنتصر على باقي الحضارات باسم العولمة والعالمية والكونية، فكانت أن اصطدمت بالهويات والثقافات المختلفة، والتي ترفض تلك العولمة بذلك الشكل، ونشأ ما يعرف بحوار الثقافات الذي يعد" أحد الأساليب المضادة لعولمة الليبرالية الجديدة...ويشير هذا (الحوار) إلى منطق الحضارة المختزلة في حضارة واحدة، تحكم التنظيمات المعاصرة، وتلقي بظلالها على أي حوار ما بين الثقافات"[2].

لقد هيمن الغرب على النظام الدولي والسياسة العالمية، وتحكم في جميع المنظمات والهيئات العالمية، ما جعل أي حوار ينطلق من الغرب وإلى الغرب وفي مصلحة الغرب، هذا إن قبل الغرب أصلا فكرة الحوار، إن العالمية تعني الانخراط في العالم المعاصر بكل منتجاته، وتعني التفاعل بين الحضارات وأن تستفيد كل حضارة من الأخرى، كما تعني السعي لإيجاد المشتركات الإنسانية والانطلاق منها في بناء العلاقات والحوار بين الحضارات، من منطلق التعدد والتنوع الثقافي، ورفض التنميط والتأحيد، فالحوار إذن بهذه الصيغة يريد أن يشارك في صياغة عالم جديد، وبديل لما تريده العولمة، حيث "يرى البعض أن الحوار ما بين الحضارات، هو مشروع لإعادة هيكلة العلاقات بين الأفراد وثقافاتهم من أجل عولمة مبادئ الاستقلالية المشتركة بين الثقافات كأنماط مختلفة للحياة وتجسيداً لحرية الجميع مما يجعل هذا الحوار مضادا ومعارضا لإستراتيجية العولمة الليبرالية الجديدة من خلال تقديم بديل للعالمية التي تأتي من كل أنحاء العالم"[3].

فحوار الثقافات حوار يقوم على الاعتراف بالتبادل والتفاعل بعيدا عن المطلقية، كما يفرض الحوار الانطلاق من فكرة الاختلاف، لأنه لا حوار إلا بين مختلفين، ولا بد من السعي من خلال كل حوار الوصول إلى الحقيقة النسبية، من أجل تقارب وجهات النظر والتعارف أكثر بين الثقافات والتفاهم، لأن لغة الحوار أعلى وأرقى من لغة الصدام والنزاع، وهي تعبّر عن الطبيعة الخيرة في الإنسان، وما النزاعات والتوترات والحروب والصدامات بين بني البشر إلا لطغيان الميول الأنانية في

[1]- محمد أركال وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، المرجع نفسه م 2، ص 329.

[2]- منى أبو الفضل وآخرون، الحوار مع الغرب، آلياته، أهدافه، دوافعه، مرجع سابق، ص 88.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 88 _ 89.

حب التملك والسيطرة وممارسة القوة، إن الأنا لا يمكن أن يعي ذاته إلا من خلال الآخر، إن الآخر بالنسبة إلى الأنا هو ما يخرجها من الانطواء إلى التفتح، فهو ضروري لمعرفة الذات وتفجير الطاقات وكما يقول علماء النفس، إننا ندرك ذاتنا من خلال الآخرين، وإن الوعي بالذات متوقف على الوعي بالآخر، فليس الآخر هو الجحيم كما تصوره الفلسفة الوجودية، بل إنه ضروري للوعي وللذات، حتى تدرك ذاتها وتدرك الاختلافات عن الآخر، ليس من أجل إقصائه أو محاربته، بل لتقيم معه حوارا متعاليا عن الحسابات الضيقة والمصالح الخاصة، فالحوار لغة عقلية مسموعة، تنطلق من الذات وإلى الذات توظف فيها الملكات العليا للإنسان، من أجل الوصول إلى اتفاق أو حل أو تفاهم، أو تجاوز الخلاف مع الآخر، إن الله قد حاور من هو أشد كفرا إبليس لعنة الله عليه، كما حاور من هم مرسلون من عنده لبني البشر ألا وهم الأنبياء، كما أن الأنبياء قد حاوروا أقوامهم، وحاوروا من هم أشد كفرا ونفاقا، فقد حاور إبراهيم عليه السلام قومه في قصة رائعة استخدم فيها المنطق العقلي، والعقل البرهاني، كما حاور الرسول صلى الله عليه وسلم قومه، وحاور صحابته كل من خالفهم في الدين، بل لقد حاور المسلمون بعضهم بعضا.

إن فعل الحوار في التاريخ لا يمكن إلغاؤه، كما لا يمكن تجاوزه، إنه الفعل المعبّر عن إنسانية الإنسان، وعن أخلاقه وأبعاده القيمية، ويرتفع الحوار من المستوى الفردي إلى الجماعي، من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي، من مستوى الثقافات إلى مستوى الحضارات، وهنا يقول غارودي: "إن فكرة حوار الحضارات تحارب التقوقع حول الأنا الضيقة، وتركز اهتمامها على الحقيقة الفعلية للأنا باعتبارها قبل كل شيء علاقة مع الآخر، وعلاقة مع الكل"[1].

إن المسلمين اليوم مدعوون إلى الحوار أكثر من السابق، ليس لأنهم لم يقوموا بفعل الحوار في الماضي الحضاري لأمتهم، بل لتزايد الهجمة الحضارية عليهم، واتهامهم بالعنف والدموية والرجعية كما أن المسلمين يؤمنون بأن الحوار أمر ديني حثهم عليه الإسلام، وليس كما يعتقد الكثير بأن المسلمين اليوم لجأوا إلى الحوار لضعفهم، وعدم قدرتهم على مسايرة معطيات الحضارة، التي أدخلتهم في شك من أنفسهم وثقافتهم وحضارتهم، بل وحتى في دينهم، مما أدى إلى ظهور تيارات علمانية وتغريبية وحداثية تنادي بضرورة الأخذ بمعطيات الحضارة الغربية، من أجل اللحاق بالركب الحضاري كنقيض للتيار التراثي أو التيار الذي يدعو إلى العكس، وإن السر في التقدم ليس الأخذ بمعطيات الحضارة الغربية، بل العودة إلى التراث والتمسك به والانطلاقة منه، فالأمة ضعفت وتكالبت عليها الأمم يوم أن تخلت عن صفاء عقيدتها، وبالرجوع إلى التاريخ الإسلامي، نجد أن الحضارة الإسلامية كانت عالمية وكونية، ووصلت إلى القمة عندما تمسك المسلمون بدينهم وعقيدتهم، كما مارس

[1]- روجيه غارودي، نقلا عن محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات و مقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون مرجع سابق، ص 10.

المسلمون الحوار مع من يخالفهم في العقيدة والثقافة والحضارة، ولم يمارسوا الإضطهاد ولا القهر ولا القوة على الآخر المختلف، فالحوار مطلب إنساني، ولهذا "فنحن العرب والمسلمين نؤمن بالحوار مع أبناء الإنسانية كلهم من منطلق تعلمناه من قيمنا العقدية، أولا والحضارية ثانيا...لقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾" [1][2].

إن التعارف والتعايش منطلقان لتحقيق الحوار بين الحضارات، وبما أن وسائل التعارف والتثاقف اليوم متوافرة، فيمكن أن نقارب بين الشعوب، وأن نجعل تلك الشعوب تعيش في عالم من الإنسانية والقيم أساسه التسامح والسلام، كما أنه يمكن أن نحقق التحالف بين الحضارات، ضد كل ما هو غير إنساني، أو كل ما من شأنه أن يدمر الإنسانية، ويقف عائقا في سبيل تطورها ورقيها من الأمراض والفقر والحروب والدمار، بل وعلى البشرية أن تقف في وجه استخدام الطبيعة والعلم ضد الإنسان لتدميره والقضاء عليه، بل المهم في تسخير تلك الوسائل لصالح الإنسان وحضارته، بل ويمكن أن نجعل من الصدام دافعا أساسيا للدعوة إلى الحوار، من خلال تبيان مخاطر الصدام بين الحضارات حيث "يرى بعض الباحثين عدم إمكانية الاكتفاء بنظرية هنتنجتون في صدام الحضارات للقيام بمناقشة فكرة الغرب والحوار معه ككل، ذلك لأن هنتنجتون يمثل رؤية ناقصة...ويرون بناء الوعي الحواري مع الغرب بالاستناد إلى أطروحة صدام الحضارات"[3].

وجاءت بالتالي النداءات وكثرة المؤتمرات للدعوة إلى الحوار الحضاري، وتفادي الصدام بين الحضارات، فبعد روجيه غارودي جاء النداء من الرئيس الإيراني محمد خاتمي، وأمام الأمم المتحدة وفي هيئتها ألقى خطابا ونداءً، حث فيه على الحوار وتفادي الصراع، وتكون أول خطوة بإعلان سنة 2001 سنة حوار الحضارات، لتنطلق الإنسانية والشعوب والأمم في حوار عام وشامل للوصول إلى أرضية تنطلق منها، في حل جملة المشاكل العالقة كالعدالة والعولمة والقيم والدين والأخلاق والنظام العالمي الجديد، والأسس التي يجب أن يبنى عليها، وإحترام التنوع والتعدد الثقافي يقول محمد خاتمي في كتابه: "حوار الحضارات" "أقترح باسم الجمهورية الإسلامية أن تبادر الأمم المتحدة بخطوة أولى إلى تسمية عام 2001 عام حوار الحضارات على أمل أن يحقق الحوار هذا الخطوات الضرورية الأولى في سبيل العدل والحرية والعالمية"[4].

وللوصول إلى هذه العالمية التي يزول فيها الظلم والقهر والتسلط والهيمنة، لابد أن تلجأ الحضارات إلى الحوار المنسّق، من أجل العمل على تحقيق استقرار حضاري بإزالة كل المؤثرات التي

---

1 _ سورة الحجرات، الآية 13.

2 – حسن الباشا، صدام الحضارات، حتمية قديرة أم لوثة بشرية، مرجع سابق، ص23.

3 – غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 246.

4 – محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 28.

قد تتطور لتصبح صراعا بين الحضارات، والانطلاق من إزالة تلك المؤثرات، هو بداية إبداء حسن النية والاستعداد والإرادة لقبول الحوار الفعّال والمثمر، بعيدا عن الحسابات المصلحية الضيقة، وفي هذا يقول محمد خاتمي: "إن استقرار الحضارة وتناميها، سواء في نطاق الدول أو المستوى العالمي هو أمر منوط بالحوار بين مختلف الحضارات والشعوب...الحوار والتنسيق المشترك بديلا عن النزاع والصراع"[1].

وإن قراءة التاريخ الحضاري للشعوب والأمم سيفيد كثيرا للاستفادة من تجارب الماضي، فالتاريخ يعلّمنا أن الأزمات العالمية والدولية التي كانت بين الحضارات، والتي لجأت فيها إلى الحوار انتهت دون دمار أو خراب، بينما المشاكل التي تم حلها عن طريق الصراع والصدام، أدت إلى تراجع الحضارة وخراب الطبيعة ودمار للإنسانية، حيث أظهر فيها الإنسان ميوله الغريزية للدمار والتهديم وإذا عدنا إلى العالم الحديث والمعاصر، فإننا نجد حرباً انتهت بالسلام دون القتل والدمار، ألا وهي الحرب الباردة، ولو أن الحرب الباردة جنبت البشرية حربا كانت نتائجها أكثر دمارا من سابقاتها، إلا أنها بالمقابل مهدت لظهور نظام دولي جديد، بني في حقيقته على فلسفة القوة والانتصار ونهاية التاريخ، وسيادة براديغيم وحيد، مما أدى إلى رفض الحوار من قبل الحضارة المنتصرة مع باقي الحضارات والثقافات، وما نتج عنه من النظرة الأحادية للعالم، ومحاولة عولمة العالم وإقصاء باقي الثقافات من المشهد العالمي، وإقصاء باقي الدول من تشكيل العالم سياسيا، ومنه "لا يمكن تحقيق السلام والثقة المتبادلة، دون إعادة النظر بنحو جاد في الأسس الفكرية للحرب الباردة، إذ أن تنمية ثقافة السلام تتطلب قبولا بدور الشعوب البنّاء والتخلص من اللهاث وراء السلطة والنظرة الأحادية وعمليات الإلغاء والمواجهة"[2].

ومن أجل قيادة رشيدة للحوار، يؤمن محمد خاتمي على غرار كثير من المفكرين، أن الحوار يجب أن يتبناه العلماء والمفكرون والفلاسفة، وهؤلاء هم المؤهّلون، لأنهم يحملون أمال الشعوب ولديهم القدرة على تصور المشكلات وحلولها، كما أنهم لا ينظرون إلى الحاضر فقط، بل إن أفكارهم تنصّب على المستقبل، وينطلقون في الحوار من الإنسانية في كل أبعادها، وإلى الإنسانية بعيدا عن الحسابات والمصالح الضيقة، والخلفيات الإيديولوجية، من هنا يمكن "أن نفتتح طريق الحوار من أجل سلام حقيقي في عالم المستقبل...ومن الجدير بالذكر أن أبطال ميدان الحوار هذا هم المفكرون والعقلاء من مختلف القوميات والشعوب...لابد أن يكون الحوار الأول شاملا يستوعب مجالات السياسة والاقتصاد

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 32.

والعلوم والشأن الاجتماعي، وأن يحذّر بشدة من النظرة الأحادية...(وفق) التعددية على طريق تفاهم أكثر وسلام وعدالة حقيقيين شاملين، من خلال حوار الحضارات والثقافات"[1].

ويدعو بالتالي خاتمي إلى أن فلسفة الحوار حتى تثمر لا بد أن تشمل كل الميادين السياسية والإجتماعية والثقافية والعلمية والحضارية، مع ضرورة التخلص من جميع الأفكار المسبقة والنظرة الأحادية، بل الإيمان بالتنوع والتعدد، وبهذه المنطلقات يمكن تحقيق السلام والتسامح والحوار البنّاء والمؤسس، ومن بين ما يجب في مثل هذا الحوار، أن ننصت للآخر، وأن ينصت إلينا، فالحوار عملية متبادلة، ولا تتم من طرف واحد فقط، وإلا انحرف عن مساره وحقيقته، وستكشف عملية الحوار عن التباينات والاختلافات والتمايزات، بين الأطراف المتحاورة، لأنه ليس وليد الراهن، إنه يمتد بجذوره إلى عمق الثقافات والحضارات، ويعبّر عن التكوينات المعرفية والانتماءات العقدية والدينية، وفي نفس الوقت هو فعل آني، يتم بين كينونات من أجل الوصول إلى حلول أو تجاوز الإشكاليات التي إن بقيت تفاقمت وأدت إلى سوء الفهم، وبالتالي ظهور الصراع بين الحضارات.

إنه فعل منتج ومبدع للحلول، ومبدع للسلام والتسامح والعدالة والاحترام وغيرها، فهو ليس فعلاً جامداً أو متجاوزاً، كما يرى البعض، كما أن الحوار بالمعنى الحضاري والفلسفي لا ينتمي إلى منظومة مفاهيم أخرى، كالهيمنة الثقافية والتبادل بين الثقافات، إن له معنى الكلام والإنصات وفق محددات ثقافية وأخلاقية وحتى نفسية، "إن الحوار لا يتحقق سوى في ظل ظروف تتدخل في تكوينها عناصر نفسية وفلسفية وأخلاقية خاصة، ومن ثمة لا يمكننا الدفاع عن مشروع الحوار على أساس جمع الرؤى الكونية، ونظم الأخلاق والسياسة والدين والفلسفة، بل يتطلب ذلك لوناً خاصاً من هذه التصورات والمنظومات"[2].

ومن المقدمات الضرورية لأي حوار، لا بد من الاستعداد للحوار، والقبول بالآخر المتحاور وتحديد نقاط الاختلاف والتفاهم، ومحاولة الإلتقاء على المشتركات، لجعلها أرضية صلبة لممارسة الحوار، والتخلي عن الوثوقية بل جعل كل الأحكام نسبية، والاقتناع بالبرهان والعقل، والتحكم في الاندفاعية والعاطفة، من هنا يمكن تأسيس حوار حقيقي بين الذات وذاتها، أو بين الذات والآخر، ومنه فإننا "نحتاج في الحوار إلى أحكام، وقناعات عامة مسبقة، لا يمكن تحقيق الحوار في مضمونه الدقيق دونها أبدا...إن ذلك اللون من القناعات، والتصورات إلى جانب مبدأ حوار الحضارات ذاته يتقاطع مع أحكام الاتجاه الوصفي الجزمية ومسلمات الحداثة"[3].

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق ص 36.

2- المرجع نفسه، ص 45.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن منطلقات الحوار بين الحضارات، أن يهتم للقضايا والإشكاليات العاجلة، والتي ترتبط بمصير الإنسانية، ومنها على الخصوص الحوار بين الإنسان والإنسان على حماية الطبيعة، والحوار بين الإنسان والطبيعة، كما ذكرنا في السابق، فالإنسان بعنجهيته ومقاومته للطبيعة، جعل منها العدو الأول، وذهب في مقاومتها حدا بعيدا، إلى درجة أنه يريد أن يسيطر عليها ويسخرها لصالحه، وهذا في الحقيقة عمل مقبول، ولكن المرفوض هو تخريب وتهديم الطبيعة، فالإنسان بهمجيته وحبه للسيطرة والقوة استنزف خيرات الطبيعة، مما جعل الطبيعة تعاني وبدأت تزداد كوارث الطبيعة، كالزلازل البرية والبحرية واتساع طبقة الأوزون، وحدوث خلل وعدم توازن بيئي، بالإضافة إلى الأخطار الإيكولوجية المختلفة، لقد نسي الإنسان أن الطبيعة هي بمثابة الأم التي تحنو على ابنها، وراح يعاملها معاملة العدو لعدوه، وهو اليوم يجني نتائج ذلك، إن الحوار مع الطبيعة يعني السعي لتحقيق بيئة متوازنة والتفكير في الأجيال المقبلة، وما على الإنسان إلا أن يحدّ من أنانيته، والمسؤولية ستقع عليه في حال حدثت الكوارث الطبيعية التي يتسبب فيها الإنسان، فالطبيعة في خدمة الإنسان، ويجب ألاّ نحولها ضد الإنسان.

كما يجب على الحوار أن يكون موجه لخدمة أهداف سامية، حيث "لا يتعلق الحوار هنا باستخدام نمط جديد من لغة الدبلوماسية لتحقيق مصالح تتعلق بالاقتصاد والسياسة والتفوق على الأعداء، ومواصلة الحرب والصراع، بل إن حوار الحضارات والثقافات، لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن التوافق والمحبة والسعي الصادق من أجل فهم الآخر، واستيعابه لا خوض صراع معه لهزيمته"[1].

إن للحوار الحضاري أصوله وقواعده وأهدافه، فهو يختلف عن اللغة التي تستخدمها أطراف تنطلق في فعلها من العلاقات الدبلوماسية، من أجل الاتفاق على خطط عمل معينة، وبالتالي فهو يخدم محوراً معيناً من المحادثات ويتعلق الأمر بالسياسة، أو بالاقتصاد، كما لا يعد الحوار حوارا إذا كان الهدف منه تبيان القوة أمام الآخر حتى يخافه ويخشاه، مما يمهد الطريق للقوي للهيمنة والسيطرة وبالتالي يتجاوز لغة الحوار إلى لغة أخرى، بينما الحوار الحضاري هو حوار يهدف إلى الفهم والتفاهم مع الآخر وإزالة سوء الفهم، والاقتناع بأن كل طرف لا يمثل عدوا بالنسبة إلى الآخر، وعلى هذا الأساس لا بد من البحث الفكري عن أسس ظهور النزاعات والصدامات والحروب، حتى يتفادها أي حوار في المستقبل، وهنا تصل فلسفة الحوار إلى المستوى العالمي والأعمق، وستبقى مشروعا ناقصا إذا لم تنطلق من تلك الرؤية الجدلية مع الآخر، وفهم سبب بروز النزاعات والصراعات.

كما أن وعي الذات وإدراك ذاتها، من أهم المنطلقات التي يقوم عليها الحوار الحضاري، وكل ثقافة وحضارة هي بحاجة إلى فلسفة النقد الذاتي قبل أن تؤسس لنقد الآخر، فهذا النقد يوقظ الوعي

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق ص 50.

الصادق، ويبني الفكر المستنير، ويقضي على التعصبات والتمركزات حول الذات، التي تعدّ نافذة نحو التعالي وتضخم الأنا، حيث تصور الذات لذاتها على أنها المحور والباقي هم الهامش، مما يدفعها إلى السلطوية والحقد والكراهية، وممارسة فعل الاقصاء، وإن سمعت أو دعيت إلى الحوار رأته على أنه ضعف وتراجع حضاري، مما يزيدها غطرسة وانغلاقاً واقصاءاً، "بينما نمارس نحن الحديث مع الآخر وننصت إلى حديثه أيضا، تنطلق المشاهدة من مركز (الأنا)...لكن الحديث والاستماع إلى الآخر يعبّر عن فعل يقوم بين طرفين أو أكثر، ويستهدف الاقتراب من الحقيقة والتوصل إلى لون من التفاهم...يتجلى الحوار بمظهره الرائع والخفي في الوقت ذاته لدى أولئك الذين يضعون أيديهم في أيدي بني الإنسان كافة ويواكبون الآخر الإنساني"[1].

إن الحقيقة التي تسعى إليها كل الأطراف في فعل الحوار، ليس من اليسير الوصول إليها، إنها محكومة بمنظومة من الأفكار والتصورات والأحكام المسبقة والاعتقادات والإيديولوجيات، ومن الصعب على الإنسان أن يتحرر من ذاتيته وأنانيته ومصلحته، على المتحاورين أن ينظروا بالعقل لا بالعاطفة أو القلب، وأول ما ينظرون إليه هو الإنسان بعيدا عن انتمائه أو اعتقاده، فالمطلوب الإنصات والاستماع إلى جميع الأطراف دون إقصاء، فبقدر ما نتعلم فعل الكلام نتعلم فعل الإنصات، إن الحوار ضرورة حضارية، وربما كما يعتقد البعض، إنه ضرورة إستراتيجية، تكمن في التعايش مع واقع فرض نفسه، وأعلى من شأن حضارة تعتقد أنها وصلت إلى الكونية والعالمية، وبالتالي فإن قيمها قيم عالمية وهذا ربما ما يجعل الغرب يتعالى عن الحوار، ويعتبره ضعفاً في الحضارة، لكن من الغربيين من يرونه كذلك ضرورة، شريطة أن يتم مع من يحترم الإسلام وثقافته التي تدعو إلى الحوار والسلام والمحبة والتسامح "إذا كان الحوار لا يعبّر عن مجرد خيار بالنسبة إلينا، بل ضرورة لثقافتنا وللغرب، فإن على الغرب أن يحاول خوض الحوار مع أولئك الذين يمثلون بجدارة الفكر والثقافة الإسلاميين...إن الحوار العميق الفكري الذي تتوافر فيه الدقة بين الغرب والحضارة الإسلامية، يمكنه أن يؤدي إلى تقديم حلول عادلة إنسانية وعلمية في الوقت نفسه"[2].

والحوار الحضاري الإيجابي هو الحوار القائم على الانصات والاحترام ما دام يقوم على الحرية والإرادة، ويستبعد القسر والفرض، ومن هنا يرى الكثير من العلماء والمفكرين ضرورة التكافؤ في الحوار بين الحضارات دون أن ترى حضارة في ذاتها التفوق والتطور، وألاّ تنظر لباقي الحضارات نظرة استصغار، "إنما بات الحوار أمرا إيجابيا، فلأنه يقوم على الحرية والإرادة، إذ لا يمكن أبدا أن يجري في الحوار فرض رأي معين على الآخرين، كما لابد خلال الحوار من احترام ما تعتنقه أطراف

---

[1]- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق ، ص 52.

[2]- المرجع نفسه، ص 61,

الحوار من أفكار ومعتقدات وما تمتلك من كيان وثقافة مستقلين، وفي هذه الحالة وحسب يصبح الحوار أرضية تمهد للسلام والأمن والعدالة"[1].

إن التكافؤ والاحترام من مرتكزات الحوار، لأنه يساوي بين جميع الأطراف التي تطرح المشاكل وتسعى إلى حلها، ويمكن أن نعتمد على الحوار الحضاري، ونجعل منه عاملا لتنظيم العلاقات الدولية سواء سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو اقتصاديا، إن من متطلبات الحوار أن يفتح العالم بابا جديدا وصفحة جديدة، وأن يتجاوز تلك المرحلة التي كانت فيها الأطراف المتحاورة موضوعا للمعرفة، وأن البحث عن مواطن الاتفاق والاختلاف يعني السعي للبحث عن المشتركات الإنسانية، مع ضرورة تجاوز جميع الحواجز والعوائق التي تقف في طريق تحقيق مطالب الحوار الحضاري، والتركيز على تنمية البعد الروحي للإنسان، والحد من طغيان الجانب المادي، مع احترام التنوع والتعدد الثقافي فالاختلاف لا يعني الصراع والصدام بالضرورة، بل الحوار والتفاهم، إن الفعل التواصلي بين الشعوب هو فعل يتجاوز العلاقات المادية الاقتصادية والتجارية، هو فعل يتجاوز القطيعة بكل امتداداتها، كما أن العلم يجب ألاّ يقوم مقام التبعية، بل إن من شأنه أن يوطد أركان الحوار، على الحضارات أن ينفتح بعضها على بعضا، وأن تقاوم الاغتراب، كما يشارك الحوار في فعل التعايش والتفاعل بين الحضارات مما يقودها إلى فلسفة التجدد والتجديد، ويمنحها قدرة على الإبداع والتطور ومواصلة الفعل الحضاري في التقدم والرقي لصالح الإنسانية، "إن عالم اليوم يبحث عن الحوار والتفاهم والتعددية والمساواة والحرية، وهو قد ضاق ذرعا بالصراع والهيمنة...والحوار لا يعبّر في وجهة نظرنا عن مجرد آلية لحل النزاعات"[2].

لقد عانت البشرية ويلات الحروب والصدام والنزاع، وهي تسعى اليوم نحو التحرر من القوة والهيمنة والعيش بسلام، وتسخير كل المنتجات الحضارية لصالح الإنسان، إن الحوار بين الحضارات ليس فلسفة أو آلية مؤقتة تنتهي بانتهاء مسبباته، بل هو فاعلية وديمومة تفعل فعلها في الإنسان والثقافات والحضارات، لأنه مرتبط بها، ومن هنا "يتطلب حوار الحضارات اهتماماً بإستراتيجيتين أساسيتين، وأعني بذلك الابتعاد عن المسائل التي تثير الخلاف وتدفع الحضارات نحو التصادم من جهة والاهتمام بالتنمية السياسية، وتطوير المؤسسات المدنية في المستوى الدولي والإقليمي والعالمي من جهة أخرى"[3].

إن السعي لأجل الرقي بالإنسان، وتنمية حسه الحضاري ووعيه الثقافي، دفعه إلى بناء علاقات إنسانية مع ذاته ومع الآخرين، من بين أجل أهداف الحوار، وتجاوز النظرة التعصبية للحضارات في دينها أو

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق ، ص 61

2- المرجع نفسه، ص 78.

3- المرجع نفسه، ص 79.

عقيدتها، ولقد كان الحوار الحضاري فعلا ممارسا في الحضارة الإسلامية، واليوم يعد مطلبا إسلاميا مادام الإسلام يدعو إلى التسامح والسلام والتدافع الحضاري، كما يدعو إلى التعارف بين الشعوب والأمم، وفائدة التعارف هي التواصل وتبادل القيم والمنتجات الحضارية لصالح الإنسانية التي ترافض منطق القوة، سواء في السياسة العالمية أو الحوار بين الحضارات، وبهذا يرى محمد خاتمي "أن مقترح الحوار هذا انطلق من المسلمين والبلدان الإسلامية، كما لاقى تأييدا عالميا...فالأمة التي تقدم مقترح حوار الحضارات تمتلك حضارة وثقافة غنيتين، فتعرض المنطق بوصفه أساسا للتواصل بين بني البشر بديلا عن القوة وأسلوب الفرض والقهر "[1].

إن الإسلام في جوهره دين حواري فقد انطلق بالحوار، والقرآن والسنة يحثان على الحوار في كل شيء، ولا يلجأ الإسلام إلى القوة، إلا بعد أن يستنفد جميع طرق الحوار، ولا توجد حضارة لم تستخدم القوة، إلا أن الإسلام اعتبر الحوار هو القاعدة والمنطلق وليس القوة، وبفضل إيمانه بالحوار بنى الإسلام حضارة من أعظم الحضارات في التاريخ، كما سجل لنا التاريخ حوار المسلمين فيما بينهم وبينهم وبين الآخرين، ولو لا الإسلام لما عرف الغرب تراثه وماضيه، إن المسلمين "أهل منطق وحوار وهذا مما تتضمنه تعاليمنا الدينية، ونجد أن ذلك ما يؤيده تاريخنا، يمتلك العالم الإسلامي حضارة عظيمة يدين لها الغرب بشدة، فنحن الذين عملنا على تعريف الغرب بماضيه، وتراثه الفلسفي والحضاري والتاريخي"[2].

وكما طرح هنتنجتون سؤال الهوية في من نحن؟ طرح الفكر الإسلامي نفس السؤال، لكن الإجابة كانت مختلفة، إن المسلمين كانوا أصحاب حضارة ، كان لها الدور الكبير في البناء الحضاري الذي عرفته جميع الحضارات، ومن بين ما قدمه الإسلام كنموذج حضاري دعوته إلى الحوار، وبعد أن غاب الحوار عن عالم اليوم الذي انتهج منهج الصدام عادت الحروب والصراعات، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، إن القبول بالحوار يعني القبول بعالم جديد ونظام دولي جديد ورغم أن الداعين إلى حوار فعال بين الحضارات يسعون إلى تحقيقه، إلا أنهم في الوقت نفسه يرون أن هناك صعوبات وعوائق تعترض الطريق، إلا أن مشروع الأمل سيتحقق، يقول في ذلك محمد خاتمي: "يظل حوار الحضارات بالطبع بحاجة إلى متطلبات ليس من السهل توفيرها، ولكن لابد من ذلك ويقوم هذا الحوار على الإيمان بتكافؤ مختلف الشعوب في إنسانيتها، مهما تباينت مستويات تقدمها وما تمتلكه من إمكانيات مادية، ويتأسس حوار الحضارات على أن يتقبل كل من الطرفين حقيقة الطرف الآخر، ويكنّ له الاحترام، وأن يتحرك الحوار في ضوء تفاعل متبادل"[3].

---

[1]- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 81.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص 113.

ولا بد أن يحمل مشعل الحوار من هم أهل لذلك، ولهم القدرة على التفكير المبدع، والبحث عن الحلول لمشاكل الإنسانية، دون أن تعترضهم محددات مسبقة، وهم بالطبع العلماء والمفكرون والفلاسفة، إنهم مصابيح تستضيء بها الإنسانية في ظلمة الشرور التي تحيط بها، إن بناء الفرد أو المجتمع لا تتم إلا بعد أن نبني الإنسانية والقيم في دواخلنا، ثم يكون الوعي بالذات وبالآخر، ووعي الحضارات، ومن هنا تتحدد أطراف الحوار، "ويكون حوار الحضارات بالنسبة إلى القرن الحادي والعشرين نموذج العلاقة المقترحة، بديلا من الصراع الحضاري، ولكن بين أية أطراف يجري هذا الحوار؟ إن حضارة الغرب هي النموذج المهيمن والموجود على الأرض، أما الحضارات الأخرى ومنها الحضارة الإسلامية فقد كانت موجودة في الماضي قبل عدة قرون"(1).

ولا بد من التمييز بين الحضارة والمنتمي، فعندما نقول الحضارة الغربية نقصد شيئاً يختلف عن قولنا الحضارة، لأن الحضارة إنتاج إنساني، بنيت على أسس ومبادئ، فهي من وضع الإنسان جاءت كاستجابة لأسئلة الإنسان، وجهده العقلي لتلبي احتياجاته، أما وصفها بالغربية والإسلامية والشرقية فهي للتمييز فقط والإقرار بالتنوع والتعدد، وعلى اعتبار أن الحضارة الغربية اليوم هي الحضارة المهيمنة، فإن الحوار سيكون بين الغرب والآخرين خاصة المسلمين، و"في وسعنا الجلوس مع الغرب على طاولة الحوار حول أسس حضارتنا، وأسسه الحضارية، شريطة أن نكون جاهزين لحوار كهذا وأن يكون الغرب على استعداد لذلك أيضا، من اللازم أن نعود إلى هويتنا، وما لها من جذور في الماضي شريطة ألا تقبع هذه الهوية في الماضي، بل تتطلع نحو المستقبل، وعلى الغرب أن يلتزم بتجنب الحديث بأسلوب متعال"(2).

فحوار الإسلام والغرب ممكن، إذا كانت هناك إرادة وتجاوز لبعض العوائق، فإن آمن الغرب بالجاهزية فإن الحضارة الإسلامية جاهزة للحوار، وما على الإسلام إلا أن ينطلق من الهوية الحضارية، دون تقوقع، بل أن يؤمن بالتفتح، من هنا يمكن أن نحقق حوارا عادلا وفعّالا، بل ونجعل منه حقيقة وفعلاً إنسانياً، يرتكز على العقل والتنوير، وما على كل حضارة إلا أن تمارس الحوار على المستوى الداخلي، ثم تسعى لتحقيقه على المستوى الخارجي، وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم في أن يسمع بعضنا بعضاً، ويتقبل بعضنا بعضاً، وأن ننبذ العنف والصراع والتطرف في الفكر والعمل، ثم نسعى لحوار عام وشامل، وعلى مستوى أعلى وأرقى لنصل إلى حوار عالمي بين الشعوب والثقافات والحضارات.

"يحتاج العالم إلى الحوار اليوم أكثر من أي وقت مضى، وفي سبيل ذلك يلزمه أن يولي اهتمام للعقل بوصفه أساس الحوار وجوهره...آمل أن ننجح أولا في ممارسة الحوار بعضنا مع بعض، وأن

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 137.

2- المرجع نفسه، ص 138.

نجعل من ذلك أساسا للعلاقة في المستوى الداخلي، كي نتمكن فيما بعد من تطبيق ذلك على الساحة الدولية"[1].

فحوار الحضارات، هو ما يمكّن من أيجاد عالمية إنسانية، تنطلق في هذا المشروع من الأسس الحضارية والثقافية لبناء المستقبل، والبداية تكون بالتجديد الحضاري للقيم والسياسة والأخلاق والتي تتسق ونظرة الإنسان إلى ماضيه ومستقبله، وتحافظ على هويته وثقافته وأخلاقه، وتسمو به في عالم من الفكر والعمل، وتدفعه لتجاوز نزعاته العنيفة والهدامة رافضا الصدام ومؤمنا بالحوار، إنه مشروع يمكن لكل الأمم أن تحمل شعاراته، وأن تشارك في وضع لبناته، دون تمييز ولا تفريق، ومنه يمكن أن نقول بأن "الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروعاً كونياً يتسق مع اختراع المستقبل...ذلك أن مشروع الأمل يستلزم كيما يخلق نسيجاً اجتماعياً جديداً، وكيما يخترع مفهوما سياسيا جديدا، أن نمنحه بعدا جديدا"[2].

فالحوار الفعّال يجب ألاّ يبقى أسير الماضي، إنه يملك القدرة على إبداع المستقبل، كما تتصوره الإنسانية، وبما أن الإنسانية لا زالت في نزاعات وفرقة، فإن حوار الحضارات مازال في بداياته الأولى وسيصل إلى مرحلة النضج حينما تتخلى الأمم عن العلاقات الفوقية وتسعى للتقارب والتعايش وتدرك الخطر المشترك، وينطلق من فلسفة التبادل الحضاري، وتنازل بعض الحضارات عن كبريائها وإيمانها بأنها يمكن أن تستفيد وتتعلم من حضارات أخرى، ومن منطلقات محمد خاتمي في حوار الحضارات وكذلك غارودي، نستطيع أن نؤكد أن الحوار اليوم ضرورة أكثر من السابق، نظراً إلى هذا السيل الجارف من العولمة التي تسعى إلى تنميط العالم، وفق نظرة وحدوية متجاوزة تلك الاختلافات الجوهرية بين الحضارات، وبالتالي فهي لم تع حقيقة الثقافات والحضارات، مما يجرها في الأخير أن تعلي من قيم الصراع على حساب قيم الحوار، وكرد على ذلك:

"ينادي غارودي بقيام ثورة ثقافية عارمة، لتيسير الحوار بين الحضارات، ويذكر من شروطها:

1- أن تحتل الحضارات غير الغربية في الدراسات مكانة متساوية في الأهمية، على الأقل مكانة الثقافة الغربية.

2- أن ينظر إلى الفلسفة نظرة جديدة...

3- أن يحتل علم الجمال مكانة على الأقل في مثل أهمية تلقين العلوم والتقنيات.

4- أن يكون للمستقبلية، وهي فن تصور المستقبل والتفكير الغايات ما للتاريخ من أهمية على الأقل"[3].

1- محمد خاتمي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 147.

2- المرجع نفسه، ص09.

3- محمد مزالي، نقلا عن روجيه غارودي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 293 _ 294.

إنها شروط تنمّ من نظرة شاملة وأفق واسع إلى فلسفة الحوار وفلسفة الحضارة، تجعل من الحضارات كلها مشاركة في البناء الحضاري، متجاوزا الطرح الغربي الذي يرجع كل ما أنتج في هذا العصر لحضارة واحدة، ألا وهي حضارة الغرب، وهنا يأتي دور الفلسفة حيث يدعو غارودي إلى أن ينظر إليها نظرة جديدة، على أساس أنها تمثل العقل والحوار والمنطق، فهي التي ترفع من مستوى الحوار ليصل إلى درجة العقل والمعقولية دون نزعات إيديولوجية، كما أن الفلسفة تمتلك الوسيلة الأساسية في الحوار ألا وهي النقد، والنقد بنوعيه الذاتي والخارجي مساعد على الوعي واكتشاف الذات بل واكتشاف الأخطاء وتصحيحها، ويضيف غارودي إلى كل ذلك أن يهتم الإنسان بالعلوم الروحية والجمالية والإنسانية، وألاّ يعلي من قيمة العلوم التقنية والمادية على حساب الأولى.

إن العمل على بلورة فلسفة الحوار الحضاري، والسعي لبناء أسسه الحضارية تتطلب جهودا وتضحيات، سواء من الأفراد أو من الأمم والشعوب، كما يجب على الشعوب أن تعبّر بلغة الحوار عن رفض الصراع والصدام، ليكون ذلك بمثابة رد الفعل والرفض القاطع لكل دعوة إلى الصدام بين الحضارات، وعليه فإن "صياغة ثقافة حوار الحضارات، واحترام التنوع الثقافي والنهوض به، وإيجاد أدوات مفاهيمية للربط بين الكونية والتنوع الثقافي...والأشكال الصراعية التي يصفها هنتنجتون بالصدامات الحضارية، هي نوع من المقاومات الثقافية، ومن حركات الرفض والاحتجاج ضد الثقافة الرأسمالية العالمية"[1].

إن عولمة الثقافة الغربية، وما قابله من رد فعل الثقافات التي ترفض التنميط والتأحيد، جعل من العالم يعيش صداما حضاريا، ولهذا تعالت الأصوات ودعت إلى ضرورة الحوار بين الحضارات، وإن رفض الحوار يعني المضي نحو فلسفة القوة والهيمنة، وحالة من الفوضى العالمية التي تؤدي بالضرورة إلى الدمار والخراب، وعليه يجب على المجتمع الدولي أن يحسن قراءة المستقبل، وتوازن القوى والمضي نحو عالم متعدد، يقوم على الاحترام والاعتراف والتعاون، ومن ثمة يمكن أن "يعبّر الحوار بين الحضارات عن حاجة إنسانية تقتضيها المتغيرات والتحولات المتسارعة، التي يعرفها العالم في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البشرية...مما يجعل الحوار بين الحضارات اختياراً إستراتيجياً تفرضه التحديات الكبرى التي تواجه المجتمع الدولي على اعتبار أن الحوار هو الوسيلة الفضلى للتعايش بين الأمم والشعوب، ولإزالة أسباب التوتر والصراع"[2].

1- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولي من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مرجع سابق ص 35.

2- عبد العزيز بن عثمان التويجري وعبد الواحد بلقزيز، الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أيسيسكو، المغرب، مطبعة بني أزناسن، ط3، 2004، ص 07.

لا بد للبشرية حتى تخرج من أزماتها التي تكاد أن تعصف بها، أن تحتكم إلى قيمها ومشتركاتها العالمية، وأن تعلي من المصالح العليا على حساب المصالح الدنيا، وأن تسمع لصوت الضمير الإنساني، فالحوار يتم داخل الحضارة الواحدة وبين الحضارات، وله رؤية واضحة وأهداف محددة يشارك فيه الكل دون تمييز أو إقصاء، تكون الإرادة فيه حاضرة، وأن يشمل جميع المجالات، وتقوم به النخب لأجل الإنسانية، بهذا يكون الحوار فعّالا ومنتجا وهادفا، وعليه فقد جاء في بيان الأمم المتحدة التي تبنّت الحوار بين الحضارات كمطلب رسمي، في دورتها السادسة والخمسين ما يلي:

"الحوار بين الحضارات عملية تجري بين الحضارات، وداخل الحضارة الواحدة..يشكل الحوار بين الحضارات عملية لتحقيق في جملة أمور الأهداف التالية:

- تشجيع الإدماج والإنصاف والمساواة والعدالة والتسامح في التعامل بين البشر.
- النهوض بالتفاهم والاحترام المتبادلين من خلال التفاعل بين الحضارات.
- الإثراء والتقدم المتبادلين للمعرفة...
- التعرف على القواسم المشتركة بين الحضارات والترويج لها، من أجل مواجهة التحديات المشتركة التي تهدد القيم المشتركة وحقوق الإنسان العالمية"[1].

إن هذه الدعوة تعتبر الأرضية التي تنطلق منها الإنسانية في تصورها لفلسفة الحوار الحضاري إنها مقدمات وأهداف عالمية، تحمل قيماً كونية كالعدالة والتسامح، كما أنها دعوة صريحة للتفاعل بين الحضارات، حتى تستفيد كل حضارة من الأخرى، بتبادل القيم والعلوم، وكل وسائل التطور والرقي بالإنسانية، كما تدعو الأمم المتحدة إلى تثمين المشتركات الإنسانية، وتعميمها باسم الإنسانية، وليس لصالح حضارة دون أخرى، ولا بدمن ممارسة التثاقف الإيجابي، وهنا يقول **محمد الكتاني:** "نعتقد أن الحوار بين الحضارات لابد أن يعني الحوار بين الثقافات، بالنسبة إلى من يعتقدون أن الثقافة ترادف الحضارة، أما بالنسبة إلى الذين يميزون بينهما، فيعتقدون أن الحضارة ليست سوى وسائل تستخدمها الثقافة لإظهار قيمها، وبأن الحوار المقصود لا يتعلق بالحضارة لأنها لا تتعدى الوسائل والأدوات المستعملة...وإنما يتعلق أساسا بما هو فكري أخلاقي، ومؤثر في السلوك الإنساني، كالعقيدة والنظم الإيديولوجية"[2].

فالمستقبل بين الحضارات مرتبط بمدى قدرتها على إيجاد سبل الحوار فيما بينها، والتخلص من عقلية الإقصاء، وإن رسم خارطة جديدة للعالم، متوقفة على مدى تقدم هذا الحوار إلى الأمام، فيجب

1- الجمعية العامة للأمم المتحدة، الدورة السادسة والخمسون، نقلا عن الكتاب الأبيض، حول الحوار بين الحضارات 24 سبتمبر، 2001، ص 26.

2- محمد الكتاني، من تساؤلات عصرنا عن الهوية والعولمة وحوار الثقافات ومستقبل العلوم الإنسانية، مرجع سابق ص 122.

أن تسعى البشرية لتضييق دائرة العنف وتوسيع دائرة السلام، ونشر المحبة والتواصل، فمصير الحضارات والعالم بيد الإنسان، ومدى قدرة البشرية على إيجاد سبل الحوار والتفاهم، والتثاقف الإيجابي، ولا بد على الأمم أن تستشعر روح المسؤولية إزاء حضارتها وإزاء الأجيال المقبلة، وبالتالي السعي لإزالة عناصر التوتر والصدام، ونشر ثقافة الحوار وتدعيمها بكل الوسائل والطرق، لأن "مصير العالم في حاضره ومستقبله، مرهون بتعميق مفاهيم الحوار بين حضارات الأمم وثقافات الشعوب وبتضافر جهود الأسرة الدولية في الاضطلاع بالمسؤولية المشتركة إزاء إشاعة ثقافة الحوار لإنقاذ العالم ممّا يتهدده من أخطار وتحدق به، ويتحمل وزرها أولئك الذين يؤججون فكرة صراع الحضارات ويقفون في وجه حوار الحضارات"[1].

ومن هذا المنطلق، يمكن التوفيق بين فكرة الحوار والتسامح والمصالح، لأن الحوار لا يقف في وجه التنوع ولا يدعو إلى القضاء على التعدد أو الاختلاف، بل التقارب والتفاعل بين الحضارات، كما لا يسعى الحوار الى أن يقلل من شأن أي حضارة، بل بالعكس إنه يعيد الكرامة للإنسان، ويعترف لكل حضارة بما قدمته للإنسانية، ولا بد أن تقتنع بعض الحضارات بأن الحوار لا يعني أبدا التنازل عن القيم والمصالح لصالح حضارات أخرى، إن "الحوار ينسجم مع خطاب السلام، ولا ينسجم مع خطاب الحرب، وخطاب السلام لا يتناقض مع خطاب المصالح"[2].

فحضارة القوة تريد أن تصنع المستقبل مغيبة الآخر، وغير معترفة بدوره الحضاري، وغير معترفة بقوة الحضارة، إنها تنطلق من خطاب الهيمنة والتعالي، معتقدة أنها لا تأخذ من الآخر غير ما يعيقها، وترى في نفسها بأنها المنتج والمحور، وبالتالي تتعالى عن كل شكل من أشكال الحوار والتفاهم، كما أنها ترى في باقي الحضارات على أنها مستهلكة لما تنتجه، فيزيد ذلك من رفضها لأي شكل من أشكال التفاعل، بل تسعى لفرض نموذج حضاري أحادي تعتقد فيه أنه يزيدها قوة واستمرارية.

"إن حوار الثقافات كبديل عن صراع الحضارات، ليس فقط حوارا نظريا حول القيم والمبادئ والعلوم والفنون، بل هو حوار يتضمن هذا المستوى النظري، كنوع من التقارب بين طرفي الحوار واكتشاف العناصر الإنسانية المشتركة بينهما عبر تاريخ طويل من التفاعل المشترك"[3].

فحوار الثقافات كما يسميه البعض، هو عبارة عن اكتشاف الثقافات بعضها لبعض، من أجل الاستفادة من المشتركات بينها، ويجب على هذا الحوار أن يرتفع من المجال النظري إلى العملي أي إلى التطبيق، وأن يكون هناك تفاعل بين القيم والمبادئ الحضارية، إضافة إلى كل ما تنتجه كل

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 130.

2- حسن إبراهيم أحمد، صدام المصالح وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص 116.

3- حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مرجع سابق، ص ص 42 _ 43.

حضارة، فهو تفاعل مستمر من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، إن المشاركة الحضارية لجميع الحضارات، هو إقرار بالتنوع والتعدد، وهو في الوقت نفسه رد على تنميط وتأحيد العالم وفق رؤية واحدة لا تنظر إلى العالم إلا من خلال مصلحتها، إنها تريد أن تكمم الأفواه، وتقضي على التواصل بين الحضارات، وبالتالي تلغي أي حوار حضاري، ما دام ذلك ضد وجودها وتواجدها، إن الحوار يعني وضع كل القيم والمؤسسات والمبادئ والأسس التي تؤمن بها الشعوب، وبنيت عليها الثقافات والحضارات موضع نقد، ولهذا يؤكد الكثير ضرورة الاستعداد لذلك، وإن من بين القضايا التي يجب إعادة النظر فيها عن طريق الحوار، قضية النظام العالمي، فالأمم تطمح إلى نظام عالمي جديد يحقق العدالة ومن ثمة السلام، إن العولمة تجمع لتفرق، إنها إيديولوجيا جديدة جاءت لتفرض نظاماً موروثاً عن الحروب، وبالتالي فإنها أكبر من يشجع على الصدام لا الحوار، ولهذا رفضتها الشعوب والأمم فهناك فرق بين توحيد العالم وإيجاد حضارة عالمية واحدة هدفها الرقي بحياة الإنسان، وبين فرض قيم حضارية وثقافية واحدة على باقي الحضارات، وعدم الاعتراف بالآخر، فالحوار الحضاري هو أكبر دافع لرفض الصدام، والمطالبة بنظام دولي جديد، "بهذا المعنى الحضاري الراقي يكون الحوار بين الحضارات والثقافات، هو الرد الإيجابي على النظام العالمي الجديد، والوسيلة الأنجع والأنفع للخروج من دائرة نفوذ العولمة المكتسحة للحضارات والمخترقة للثقافات، والمهددة لاستقرار المجتمعات"[1].

بمثل هذا الحوار الذي يدعو الى التكافؤ، تنفتح الحضارات بعضها على بعض، ويحدث التفاعل الإيجابي فتستفيد كل حضارة من الآخر، وهو بالضبط ما فعلته الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، لأن الدين الإسلامي حثّ المسلمين على الحوار، والقبول بالآخر المختلف، وحدث تثاقف بين الثقافات وأخذ الإسلام كثيراً من الأمور الحضارية عن غيره، كما أثّر في باقي الحضارات، وبمثل هذا الحوار"تنفتح الحضارة على ثقافة الآخر، وتطلع على مبانيه الفكرية ومبادئه العقدية، فيتم التفاعل بين الثقافتين ليكتسب كل منهما من الآخر، بقدر قوة تأثير الدول وتقبل الثاني، وهذا ما مارسته الحضارة الإسلامية حينما انفتحت على ثقافات وحضارات"[2].

ومن خلال كل ما تقدم نصل الى ان الحوار بين الحضارات فعل متجدد، تشارك فيه كل الشعوب والأمم وتحمل همه كل الحضارات، من أجل الوصول الى الرقي بالقيم الانسانية المشتركة، ومن ثمة تكريس فلسفة التسامح والسلام والتفاهم والتعايش، مرورا بالتعارف، ومن هذا المنطلق يمكن للحوار ان يحقق الهداف التالية:

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2003، ص 129.

2- ماجد الغرباوي، حوار الحضارات، الواقع والأهداف، مؤسسة الفكر الإسلامي ومؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، إيران مجلة التوحيد، عدد 86، سنة 15، شباط 1997، ص 05.

"1_الاسهام الفاعل في ترشيد مسيرة الحضارة الانسانية.

2_ الاسهام في مواجهة التحديات وحل المشكلات التي تواجه البشرية...

3_ مساندة القضايا العادلة المتعلقة بحقوق الانسان المشروعة...

4_كشف دعاوى المروجين لصراع الحضارات ونهاية التاريخ...

5_ التعرف على (الآخر) وثقافته، وارساء المبادئ المشتركة معهم مما يحقق التعايش السلمي والأمن الاجتماعي للمجتمع الانساني، والتعاون في بث القيم الأخلاقية الفاضلة، ومناصرة الحق والخير والسلام، ومكافحة الخيمنو والاستغلال والظلم، والفساد الخلقي.....

6_ حل الاشكالات والخصومات التي قد تقع بين المسلمين وغيرهم...

7_ تحقيق التفاهم مع الحضارات والثقافات الانسانية، وتأكيد انخراط المسلمين ضمن التعددية الحضارية لبني الانسان، وتوظيف هذا التفاهم لتحقيق السلام العالمي وحمايته.

8_ دعم التواصل بين (الشعوب والحضارات) وبين المذاهب."[1].

وهذه الأهداف هي التي تمخضت عن المؤتمرات والملتقيات التي عقدت حول حوار الحضارات انها اهداف ترمي الى التقليل من الصراعات والصدامات في عالم اليوم، ومحاولة نشر الوعي بضرورة الحوار والسلام والتعايش في ظل عولمة تسعى في كثير من ابعادها الى تاحيد الثقافات والحضارات والقضاء على الخصوصيات والتنوع والتعدد، ومن بين المؤتمرات العالمية التي كان لها صدى عالمي كبير مؤتمر جنيف في سنة 2009، والذي شاركت فيه كثير من الدول والأمم، وركز على اهم القضايا العالمية في ظرف عالمي، تشهد فيه الانسانية تغيرات وتحولات تاريخية حاسمة، منطلقها ظهور الانتماءات الثقافية والحضارية بدل الايديولوجية، وغزو العولمة للعالم بما تحمله من منطلقات وغيرها ولقد خرج المؤتمرون من هذا المؤتمر بمجموعة مهمة من التوصيات أهمها:

"1_ وحدة البشرية، وأن أصلها واحد، والمساواة بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وثقافاتهم.

2_ تعزيز احترام الأديان ورموزها...

3_ احترام كرامة البشر والاهتمام بحقوق الانسان وحفظ السلام، والوفاء بالعهود، واحترام خصوصيات الشعوب وحقها في الأمن والحرية، وتقرير المصير...

4_ الحوار من ضروريات الحياة ومن أهم وسائل التعارف والتعاون، وتبادل المنافع والوصول الى الحق الذي يسهم في سعادة الانسان.

5_ الحفاظ على البيئة وعلى طبيعة الأرض وحمايتها من التلوث والأخطار البيئية التي تحيط بها هدف أساسي تشترك فيه الديان والثقافات.

---

[1]_ الادارة العامة للدراسات والمؤتمرات، رابطة العالم الاسلامي مكة، بين يدي مؤتمر جنيف لحوار الحضارات، (د ط) 2009، ص ص 61_62.

6_ رفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات والثقافات، والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى الى تعميق الخلاف وتقويض السلم والتعايش.

7_ تعزيز القيم الانسانية المشتركة، والتعاون على اشاعتها في المجتمعات ومعالجة المشكلات التي تحول دون ذلك.

8_ نشر ثقافة التسامح والتفاهم عبر الحوار لتكون إطارا للعلاقات الدولية....

9_ الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الديانات والثقافات، تكرس من خلالها القيم العليا..."[1].

فهذه هي التوصيات التي تمخضت عن مؤتمر من أهم المؤتمرات لحوار الحضارات، وهي توصيات ومبادئ عامة قرر المؤتمرون من خلالها وضع ميثاق شرف للعمل على تجسيدها فتحقيقها، وكان لها الدور الكبير في تحقيق التفاهم والتعارف بين الحضارات، ومن ثمة التقليل من فرص النزاع والحروب والصدام.

المبحث الثاني: في نقد أطروحة حوار الحضارات.

لقد بدأت الدعوات إلى حوار الحضارات، فبعد أن خرج العالم من حربين عالميتين مدمرتين وخرج من حرب باردة كادت تكون أخطر لو اندلعت، وبدأت معالم نظام دولي جديد تتضح، بدأ بعودة الثقافة كلاعب أساسي في العلاقات بين الدول، وبدأت تظهر بؤر جديدة للنزاعات والصراعات، مما زاد الشعوب إصرارا على الحوار بين الحضارات، تجنبا لما سمي في ذلك الوقت بالصدام بين الحضارات والذي جاء به صموئيل هنتنجتون، معتقدا أن العلاقات في هذا القرن والقرون المقبلة بين الحضارات ستشهد صدامات وصراعات حضارية، خاصة بين الإسلام والغرب، وكرد على هذه الأطروحة، عادت فكرة الحوار الحضاري الذي أطلقها في السبعينيات من القرن الماضي، روجيه غارودي، وأعاد إحياءها الرئيس الإيراني محمد خاتمي، وتوج ذلك بإعلان الأمم المتحدة سنة 2001 سنة للحوار بين الحضارات، وكان ذلك قبل الهجمات التي تمت على برجي التجارة العالمية بثلاث سنوات، ففي "عام 1998 تقريبا في اليوم الذي حصلت فيه أحداث 11 أيلول سبتمبر 2001 قبل ثلاث سنوات أعلنت الأمم المتحدة في دورتها الكاملة في قرارها، عزمها التام على تشجيع وتسهيل الحوار بين الحضارات وقررت إعلان العام 2001 عاما للحوار بين الحضارات، ضد كل دعوة لصدام الحضارات"[2].

وقد كان إعلان الحوار الحضاري، كرد ضد كل دعوة للصدام الحضاري، والذي نادى بها هنتنجتون في مقاله الذي نشره في مجلة (فورين أفيرز) سنة 1996 وحوّله فيما بعد إلى كتاب

---

[1] _ الادارة العامة للدراسات والمؤتمرات، رابطة العالم الاسلامي مكة، بين يدي مؤتمر جنيف لحوار الحضارات مرجع سابق، ص ص 88_89.

[2] - هانز كينغ ومحمد سعيد رمضان البوطي، دور الأديان في السلام لعالمي، مرجع سابق، ص151

بعنوان:"صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" ورغم أن الوضع الذي نتج بعد الهجمات زاد من أمر الحوار تعقيدا، حيث أصبح الجو أكثر تشنجا، وتوعد أمريكا بالرد السريع، ودخلت السياسة العالمية مرحلة من أصعب مراحلها، عادت فيها أطروحة الصدام الحضاري بقوة لتثبت وجودها، وإن حدثت بعض الحوارات، فهي من أجل إخضاع الطرف الأضعف وفرض القيم عليه، لأن السياسة الغربية أدركت أن هذه المرحلة من التاريخ العالمي، هي مرحلة حاسمة في فرض هيمنها المطلقة في ظل غياب منافس حضاري حقيقي، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وخروج معظم الدول الإسلامية من الاستعمار ضعيفة، وباقي الدول من مازالت في حروب داخلية، مما يرشح الغرب لقيادة العالم وفرض نظام دولي يحدد السياسة العالمية التي لا تخدم إلا مصالحه.

ووفقا لهذين المعطيين فإن "الحوار بين الحضارات في الوضع الراهن، لن يكون بين أنداد متكافئين تجمعهما رغبة حقيقية في الوصول إلى الحقيقة، وإنما هو تقدمه لإجبار الجانب الأضعف لقبول قيم الجانب الأقوى سواء كانت تناسبه ثقافيا أو لا تناسبه"[1].

إن غياب الندّية في الحوار، يجعل منه حوارا من طرف واحد، هو الطرف القوي والذي يتحكم في النظام والسياسة العالمية، مما يفرغ الحوار من مضمونه الحقيقي، إن الغرب يريد أن يفرض قيمه سواء بالقوة أو بالحوار بمفهومه الخاص، ولو أنه لا يشجع الحوار مع باقي الحضارات، ولقد كانت فكرة الحوار طرحاً إسلامياً لمواجهة العدوان الغربي على الأمة الإسلامية، واتهامها بالدموية والإرهاب خاصة بعدما تعرضت إحدى قلاع الغرب للهجوم، وبدأت حرب أشبه ما تكون بالحرب الباردة بين الغرب والإسلام انتهت بالعدوان على الأمة الإسلامية وغزو العراق، أو كما سمي بالحرب الحضارية واعتبر الغرب دعوة الإسلام إلى الحوار الحضاري اقراراً بالصدام بينه وبين الغرب، مما زاد من هجوم الغرب على الإسلام ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وحضاريا، وعليه فإن "فكرة حوار الحضارات نبعت من مجلس الرئيس الإيراني محمد خاتمي بطهران، عندما أراد العالم الإسلامي مواجهة أطروحة (صدام الحضارات) بمفهوم إسلامي، ثم تولّى الغرب نشرها بصفتها ردّ فعل غربياً، على نظرة الأشياء التي ظهرت في العالم الإسلامي، إزاء أطروحة الغرب (صدام الحضارات) بصفته صداما حضاريا حتميا بين الغرب بقيادة الولايات المتحدة، والعالم الإسلامي، وهي النظرة التي ألفت بها الثقافة الغربية"[2].

وبالعودة إلى الماضي القريب، فإن الحوار قد كان، لكنه ارتبط بالإيدولوجيا، وكان بين المعسكرين المختلفين أو المتنازعين عن مناطق النفوذ في العالم، وانتهى الحوار بينهما إلى زوال التوتر والاتفاق على تفكيك المعسكر الشيوعي، وتم إعلان انتصار الليبرالية وانتهاء التاريخ، واعتقد الغرب أن الصراع مع الشيوعية هو ما حقق الانتصار للغرب وليس الحوار، فانتهجت السياسة الغربية

1- السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ مرجع سابق، ص 24.

2- المرجع نفسه، ص 64.

بعد ذلك نفس النهج مع باقي الحضارات والدول المناوئة للغرب، إما بالتدخل المباشر في شؤونها أو إذكاء النعرات القبلية والصراعات المحلية بداخلها، ونادرا ما تدعو الأطراف المتنازعة إلى الحوار، بل كانت تدّعم الطرف الذي يميل إلى الغرب بالسلاح والمال، حتى تضمن تواجدها وتبقي على الدول ممزقة وهذا في صالح الغرب وأمريكا، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، إنها السياسة العالمية المبنية على نظام عالمي لا يعترف إلا بالقوة ولا يؤمن بالحوار، وواقع السياسة العالمية يؤكد أن الحوار "قد تأثر في الفترة الممتدة بين عامي 1949 و1989 بالمناخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الذي كان سائدا في الخمسين عاما الماضية، وقد كان حوارا في نظام دولي ثنائي القطبية، بكل ما يتضمنه ذلك من معان"[1].

فالحوار بين الأمم والدول والثقافات يحكمه ماض وواقع ومستقبل، يقوم في أغلبه على المصالح والهيمنة والقوة، إن المخيال الغربي يؤمن بهذه القواعد ويجعلها مرتكزات حضارته، ولهذا يعتقد غارودي أن الحوار لا يمكن أن يكون، مادام كل طرف معتقداً بأنه يملك الحقيقة، وقد ذكرنا سابقاً أنه على الثقافات والحضارات أن تمارس النقد، وأن تكون مستعدة للنقد الداخلي والخارجي، وأن تكون مستعدة لوضع كل أسسها ومقوماتها موضع النقد، أما النظر بعين واحدة إلى حقيقة فإنه سيجعل من الحوار الحضاري حوار الطرشان، يقول في ذلك روجيه غارودي "وليس بالإمكان إقامة أدنى حوار، إذا ما كان كل منا منذ خط البداية على يقين من امتلاك الحقيقة الكلية المطلقة، ولا يمكننا على العكس من هذا الشروع بحوار إلا انطلاقا مما تفتقر إليه كل ديانة من دياناتنا، ومما يعينها عن الإسهام في الإيمان الأوحد"[2].

فلا وجود للمطلق في عالم الثقافات والحضارات، وعلى الأديان أن تحقق التقارب والتفاهم، وأن تدفع إلى الحوار بدل الصراع، مع ضرورة تحقيق التوازن بين الشرق والغرب، لقد خلّف الاستعمار هوة اقتصادية بين الغرب والباقي، مما جعله يدير العالم سياسيا واقتصاديا، وينظر إلى الآخر على أنه تابع ومحتاج وضعيف، وهذا يقوده بالضرورة إلى رفض الحوار معه، متناسيا أن سبب ما تعانيه باقي الحضارات هو الغرب، فالحقب التاريخية التي مرت بها الحضارات، خاصة في ظل تعاظم الهيمنة الغربية خلق بينها وبينه هوة سحيقة، فلا بد على الغرب أن يعترف بظلمه للآخر، ويسعى في تحقيق العدالة معه بإنصافه والقضاء على الاختلال الاقتصادي العالمي بين حضارة تملك، وأخرى لا تملك حضارة تنتج وأخرى تستهلك، وهنا يمكن القول أنه "دونما تحليل للآليات التاريخية التي افتقرت معايير المقارنة، وخلفت شروط اختلال اقتصادي متعاظم بين الغرب وباقي العالم، بكلمة مختصرة دون

---

[1]- السيد يسين، حوار الحضارات في عالم متغير، المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات"، القاهرة مطبوعات التضامن، (د ط)، 1997، ص 37.

[2]- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، مرجع سابق، ص 46.

الشروط التي عطلت أو ضللت حتى الآن حوار الحضارات، المتيح للإثراء المتبادل بين الثقافات سوف يظل من المستحيل الشروع حقا، وصدقا بمثل ذلك الحوار "[1].

ومن خلال التحليل السابق، يبدو أن العالم يسير نحو التوتر أكثر، ومن هنا تزداد ضرورة الحوار، فهناك أطراف تريد أن تمرر مشروعاً كونياً ضد الحوار، يقوم على تأجيج بؤر الصراع بين الأمم والشعوب، ومن بينها النزعة الانحصارية للحضارة، والتي ترى في الحضارة الغربية النموذج لكل الحضارات، بالإضافة إلى أنها تؤمن بأن بقاء الحضارة الغربية في أوج قوتها واستمرارها، وعالميتها يكمن في هذه النزعة، وفي رفض أي حوار مع باقي الحضارات، بل إنها تريد من الصدام أن يعم العالم "وإن حوار الحضارات سيواجه الكثير من العقبات، إن تقدمت النزعة الانحصارية للحضارة (Exclusivisme civilisation) التي تستوجب امتناع الحوار بين الحضارات، وتذهب بها إلى النزاع والتخاصم، وربما التصادم كما طرحها هنتنجتون"[2].

لكن الدعوات إلى الحوار ما تزال قائمة، واعتبار الصدام بين الحضارات، ما هو إلا حالة غاب فيها التفاهم والتواصل وطغت الأنانية والمصلحة، وعليه لا بد من إيجاد جو ثقافي وفكري عالمي للمضي في الحوار الفعّال، الذي يمهد الطريق للتفاعل والتعايش الحضاري، وتكون الانطلاقة من تهيئة المناخ العام في السياسة العالمية للحوار، ومد جسور التواصل بين الشعوب، وإحداث قطيعة مع الصدام والتوتر، مع الإيمان بدور الحوار في حل المشاكل، والوصول إلى تفاهم مرضٍ بين جميع الأطراف.

"ولابد من إيجاد حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري، يقوم على الفهم المتبادل لتهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار، ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والغايات المرجوة"[3].

ومن بين أنواع الحوار الأساسية، والتي يجب أن تقام حوار الأديان، فالدين يمثل السلطة الروحية في ضمير الأمة، كما أنه يحمل القيم ويدعو إلى التسامح والمحبة والأخوة، ونبذ الصراع والعنف والقتل، والدمار، وحوار الأديان هو وجه من وجوه الحوار الحضاري، لأن الدين يعد أحد الأسس الرئيسة لأي حضارة، بما يحمله من عقيدة وتوجيهات تمس الحياة الدنيوية والآخروية، وإن الناس يستمعون لصوت الدين أكثر من صوت السياسة، بل على الساسة احترام القيم التي جاءت بها

1- روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، مرجع سابق، ص 138.

2- عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، مرجع سابق، ص 212.

3- عبد العزيز بن عثمان التويجري، في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية، ج2، (د ط)، 1997، ص 105.

الأديان، وبالتالي دعم الحوار الحضاري، وإن وصف حضارة ما ببعدها الديني، إنما ينمّ على دوره في البناء والتكوين، وعلى المفكرين والعلماء والفلاسفة استغلال هذا البعد الجوهري في حوار الحضارات من نبذ الفرقة والعصبية والانتماءات الضيقة، وغيرها من العناصر التي تؤجج الصراع، ولا تحد منه "والحوار الديني أيضا يدخل ضمن الحوار بين الحضارات والثقافات...فالدين أحد المكونات الرئيسية لأي حضارة، بالإضافة إلى اللغة والتاريخ والثقافة، ومن هنا يصف الغرب حضارته الراهنة بأنها حضارة مسيحية، كما نصف نحن المسلمين حضارتنا بأنها حضارة إسلامية"[1].

يجب أن يحمل الحوار شعار الحوار من أجل الحوار، لا من أجل شيء آخر، حتى لا يحيد عن سبيله الذي وضع له، وما هو مشهود فإن الإسلام دين بادر وما يزال يبادر إلى الحوار، وربما على عكس الغرب، الذي يشكك الكثير في مبادرته، ويرى بأنها غير بريئة، ومن ورائها خلفيات ومصالح بل إن الكثير يسخر من هذه الدعوة، لدرجة أنه يرى بأن إقرار الحوار يعني إلغاء التاريخ، الذي يتطور ويسير وفق حتمية صدامية، ووصف الحوار بأنه نكتة أو أكذوبة العصر على النفس والغير،"بل إن البعض من الباحثين اعتبر مقولة حوار الحضارات مجرد نكتة، قد لا تدفع أحدا للضحك...فالحوار يصلح مادة للبرامج السياسية، ولكن بين الحضارات هو ليس أكثر من نكتة، وما يحدث في الواقع العملي هو تفاعل حضاري يتم طوعا أو كرها"[2].

ومهما قيل عن الحوار من طرف خصومه، والداعين للصدام، لأنهم يبحثون عن الفوضى العالمية أين يمكنهم أن يحققوا مصالحهم وينتقموا بالتالي من الأعداء، وإنها في الحقيقة دعوة صهيونية، والتي لا تعشش إلا في جو من الدمار والفوضى العالمية، ولهذا فإن التصدي لهذه الدعوة يكون بجعل الحوار مطلباً عالمياً كونياً، والسعي بكل الطرق لتحقيق ذلك، إن بناء علاقات وفق أسس الحوار من شأنه أن يذيب سوء الفهم، والتفاهم بين الحضارات، ويجعل الكل منفتحاً على الآخر وأن تتم تلك العملية في جو التسامح والسلام، وبما أن الحوار فكرة وأطروحة، وحتى تحقق أهدافها لا بد أن تسير وفق منهج واضح وطريقة عمل صحيحة، ويذكر عبد الله العليان في كتابه: "حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين" هذا المنهج بقوله:

"إن الحوار بين الحضارات (يقوم على منهج) هو أولا: الاتفاق على أن الغرض من وراء الحوار ليس في إقناع الآخرين بالتخلي عن انتمائهم الحضاري وخصوصيتهم الثقافية والدخول في حضارة أخرى مهما كان لها في لحظة تاريخية معينة من تفوق وانتشار.

1- حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، نقلا عن عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين مرجع سابق، ص 214.

2- صلاح قنصوة، فكرة الحوار بين الحضارات مجرد نكتة، الشارقة، جريدة الخليج، العدد (8189)، 2001، ص14.

ثانيا: التسليم بأن التعددية الثقافية جزء من نظام الكون...وإن السعي للقفز عليها والابتعاد عنها عن طريق استعباد الآخرين أو تهميش دورهم، إنما هو حركة ضد التاريخ، وضد السنن الثابتة في الكون.

ثالثا: التوجه إلى البحث عن المشترك الجامع بين الحضارات المعاصرة...والدفاع عن الخصوصيات الثقافية"[1].

فهذه المنهجية في الحقيقة توضح الرؤى بالنسبة إلى كل الحضارات، حتى متى اندمجت في الحوار كانت على علم بأن الغرض من هذا الحوار ليس التخلي عن القيم الحضارية والثقافية والهويتية، وكل ما يشكل الحضارة، ولا دفع الآخرين للتخلي عن ذلك، والاندماج في حضارة غير حضارتهم، وبالتالي لا يجب الشعور لا بالتفوق ولا بالدونية الحضارية، بل الإيمان بالتعددية والتنوع والاختلاف، وإن السعي إلى تأحيد العالم، هو ضد الطبيعة الإنسانية مهما كانت المبررات فالحضارات كيانات ثقافية تمتاز بالهوية والاختلاف، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود مشتركات بينها، وإن البحث عن تلك المشتركات من أهم ما ينبني عليه الحوار الحضاري، والابتعاد عن الكيل بمكيالين من قبل الشرعية الدولية المطالبة بأن تكون عادلة في تعاملها مع الشعوب والحضارات، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الكبرى، إن الانطلاق من الإنسانية ومشتركاتها أساس كل حوار ثقافي أو حضاري أو ديني فالإنسان صانع لكل الأسس الثقافية التي بنيت عليها الحضارات، ولم يسجل لنا التاريخ أن حضارة ما في زمن ما سيطرت على باقي الحضارات، أو قامت بدمجها وقضت على خصوصياتها، ومنه يجب أن يتعالى الحوار عن المصالح سواء السياسية أو الاقتصادية، كما يجب أن يرتقي ليشمل كل المجالات التي تعبّر فعلا عن حضارة الإنسان في كل أبعادها، يقول في ذلك **محمد محفوظ** في كتابه "الإسلام الغرب وحوار المستقبل "والحوار الذي نقصده بين الدوائر الحضارية، ليس حوارا أساسيا خاضعا لمعايير المصلحة السياسية، أو ضرورات المرحلة ومتطلبات التنافس الدولي، بل هو إستراتيجية عليا ينبغي أن تتحكم في كل الأنشطة والعمليات الثقافية والفلسفية والسياسية والحضارية بحيث تكون معبّرة عن منظور الحوار بين الحضارات"[2].

ومن خلال ذلك لابد من تحقيق بدايات الحوار من منظور التعارف بين الحضارات، بحيث تتعرف كل حضارة إلى قيم ومبادئ الحضارات الأخرى، ثم تأتي مرحلة التساكن ثم التعايش والحوار ليأتي التحالف بين الحضارات، وهذا الأخير يجب أن تقوم به الحضارات، ليس في شكل كتل حضارية بعضها ضد بعض كما يتصور البعض، بل مرورا بالمراحل المذكورة تصل البشرية الى التحالف الحضاري، ضد كل ما يمكن أن يحمل لها تهديدا في حاضرها ومستقبلها، "فالحوار بين الحضارات هو

1- عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، مرجع سابق، ص 217.

2- محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، مرجع سابق، ص 139.

الذي يمنع عمليات التكلس والجمود والوقوف عند حدود معينة من البناء والتطور، لأنه سيعطي الجميع فرصة التعرف على إمكانات وقدرات الآخر الحضاري"[1].

وهي الدعوة التي ظهرت في الفكر الغربي مع المفكر الفرنسي غارودي، ومن خلال كتابه "حوار الحضارات" نظّر غارودي لأطروحة الحوار الحضاري، واضعا لها أُسساً ومبادئ ومقدمات وأهدافاً حيث قام بالتركيز على دور الثقافة والدين والحضارة في الحوار، كما نظّر لفلسفة الحوار من خلال دعوته للمتحاورين بممارسة النقد الذاتي أولا، ثم الخارجي ثانيا، ومؤكدا أن جميع القيم الحضارية يجب أن تخضع لهذا النقد، وبالتالي على الثقافات أن تؤمن بالنسبية، وأن تكون على استعداد كامل لوضع قيمها موضع الشك، وبما أن غارودي فيلسوف ينتمي إلى المنظومة الفكرية الغربية، إلا أنه مسلم، فقد قام بنقد الحضارة الغربية والإسلامية، على اعتبار أن الحوار اليوم سيكون بينهما، وبيّن غارودي أن من بين نقاط ضعف الحضارة الغربية، نظرتها للإنسان واختزاله في الماديات، فمن شأن هذه النظرة أن تدمر الحضارة الغربية، كما أن رفضها للحوار من شأنه أن يؤدي به إلى إيمانها بالكونية والمطلقية ويخلق لديها ما يسميه توينبي بسراب الخلود، فقد كان من دعاة الحوار بين الحضارات روجيه غارودي "الذي شغل منذ فترة بعيدة بمعالجة أزمة الحضارة الغربية، وبتصحيح موقفها من الحضارات...فلقد شعر غارودي منذ كتابه الشهير "حوار الحضارات" بأن نمط التطور الذي تمارسه الحضارة الغربية وخاصة في مجال التقدم التكنولوجي والصناعي، إنما من شأنه القضاء عليها عندما قال: "إن حضارة تقوم على هذه الموضوعات الثلاثة، تحليل الإنسان إلى العمل والاستهلاك، تحليل الفكر إلى ذكاء، تحليل اللانهائي إلى الكم، إنما هي حضارة مؤهلة للانتحار"[2].

وقد سجل له التاريخ موقفه من الحضارة الغربية التي يرى فيها حضارة تريد الهيمنة والتسلط وترفض الآخر والحوار معه، ودعا في نفس الوقت باقي الحضارات إلى أن تسعى لإيجاد مشروع كوني يقوم على التعدد واحترام التنوع والاختلاف، والابتعاد عن المطلقية، والإيمان بالنسبية من منطلق أن كل حضارة تستطيع أن تشارك في بناء الإنسان، وأنها تقدم منتجاتها وإبداعاتها لتستفيد منها الإنسانية، فكانت دعوته العالمية الشهيرة إلى الحوار الحضاري معلنة وداعية إلى "رفض هيمنة الغرب الثقافية المفروضة...وإلى إقامة مشروع كوني يتسق في القرن الحادي والعشرين مع اختراع المستقبل"[3].

فعملية الحوار والصراع أو الثنائية المتناقضة، هي ما حكم التاريخ الإنساني، فلم يكن هناك صراع دائم ولا حوار دائم، ووفقا للجدل الهيجلي فهناك القضية (الصراع) ونقيضها (الحوار) والمركب

---

[1]- محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، مرجع سابق، ص 141.

[2]- مصطفى النشار، ما بعد العولمة، القاهرة، دار قباء، ط1، 2003، ص ص108_109.

[3]- عادل العوا، التسامح من العنف إلى الحوار، دمشق، دار الفاضل، ط1، 2002، ص 180.

أي التفاعل بين الصراع والحوار، وكما يقول عبد المجيد عمراني في كتابه: "محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، أنه "بالرغم من أن معظم الباحثين والمهتمين يعتقدون بمقولة صراع أو صدام الحضارات التي صورها لنا هنتنجتون، والتي يتوقع من خلالها حدوث أو نشوء صراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، إلا أن واقع الأمر يؤكد أنه يوجد تاريخيا وفلسفيا صراع وحوار بين الحضارتين عبر العصور"[1].

ويبدو أن بعض دوائر صنع القرار في الفكر الغربي، قد أدركت أن التحولات التي يشهدها العالم اليوم وتغير السياسة الكونية، والانتقال من عالم الثنائية، ثم الأحادية القطبية، إلى التعدد الحضاري قد جعلهم يدعون إلى الحوار بين الحضارات، ويعدّ هذا تغيرا في الموقف الغربي، الذي كانت تحكمه وتسيطر عليه أطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما، وصدام الحضارات لهنتنجتون، لقد بدأ عصر الاستيقاظ بالنسبة إلى باقي الحضارات، وأخذت في العودة إلى جذورها، وتوكيد هويتها الثقافية والحضارية للتمسك بها أكثر في خضم طغيان وهيمنة من الحضارة الغربية، حتى إن باقي الحضارات قامت بمد جسور الحوار فيما بينها، لتبين للغرب دورها ومكانتها العالمية، وبالتالي تشارك في السياسة الكونية إلا أن تزمت الغرب جعله يضع نفسه في مقابل الباقي، بل وبدأ يبحث عن حلفاء لحضارته، كاليابان ودول أوروبا الشرقية، التي كانت منطوية تحت لواء الاتحاد السوفياتي، "ولقد أدرك المفكرون الغربيون أهمية المتغيرات على الساحة الدولية، بعد انهيار الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة، فدعا بعضهم إلى حوار الحضارات، وركز بعضهم على صدام الحضارات، وبذلك أصبح اسما فوكوياما وهنتنجتون من الأسماء اللامعة، فالأول بشّر بنهاية التاريخ والانتصار النهائي للنسق الغربي، والثاني حذّر من خطر الإسلام وأوصى الغرب بأن يوثق الأواصر داخل دائرته الحضارية، ويدخل في عصبته أوروبا الشرقية واليابان"[2].

أما موقف صاحب أطروحة صدام الحضارات صموئيل هنتنجتون، فإنه يرى في الحوار بين الحضارات على أنه حوار طرشان، بمعنى أن الغرب ليس له الاستعداد لسماع باقي الحضارات باعتبار أنه يمثل الحضارة الأقوى والعالمية، والتي تحمل القيم الكونية، وأن نموذجها هو النموذج الذي ينبغي لباقي الحضارات اتباعه، وبالتالي فهو يحمل براديغيم منتصر، بعد أن هزم العدو الشيوعي وأن ذلك الانتصار جعل من الحضارة الغربية تفرض منطقها على الثقافات والسياسة العالمية، مما فوّض الغرب أن يبني نظاما عالميا جديدا وفق الرؤية الحضارية الخاصة بحضارته، دون العودة إلى باقي الحضارات، "إن هنتنجتون ينظر إلى الحضارات كنماذج مغلقة، وأن أي حوار بينها هو حوار

---

[1]- عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، الجزائر، منشورات الحبر، ط1، 2008 ص 143.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، الكويت، مجلة العربي، مرجع سابق، ص ص 30-31.

طرشان....وأن حوارا للثقافات لا يغدو في النهاية إلا حوار طرشان، أي بتعبير آخر صداما بينها وبأن الكونية عبث وسخف"[1].

فالحوار بين الثقافات هو مجرد وهم وعبث، بل إنه يؤول إلى الصدام، وعليه فإن الكونية التي تنادي بها الثقافات والحضارات وفقا لنموذجها في الحوار هو مجرد وهم، لأن النموذج الحضاري قد تحدد وفقا لنظام عالمي وعولمة غربية، صاغت أسسها الحضارة الغربية دون أن تعود إلى باقي الحضارات، إن هذه المعطيات الواقعية تبين صعوبة الحوار مع الآخر المعتقد بهذه الأفكار، والساعي إلى تطبيقها في أرض الواقع، ويؤكد الكثير من المفكرين أن ما يجب أن ندعو إليه هو الحوار بين الثقافات، ولا وجود لما يسمى حوار الحضارات، من منطلق أن كل عصر شهد وجود حضارة مركزية واحدة فقط، وأن باقي الحضارات كانت على الهامش، بينما يبيّن لنا التاريخ هذه الحقيقة، يبيّن أن الحضارات عرفت ما يسمى بالتناوب، وهو في الأصل قانون الحضارات.

إن ما يتحاور فيه المختلفون هو الثقافة، أما الإبداعات والاختراعات فلا حوار فيها، لأنها تسمى باسم الحضارة التي أنتجتها، فكيف نحاور الغرب مثلا حول مبتكراته، التي أصبحت عالمية وننسى أننا لم نعد نبدع بل نستهلك فقط، لأن من معترضي فكرة الحوار من هذا المنطلق يقرون بأننا نحاور الغرب في الثقافة فقط لا شيء آخر، ولأنه ليس من المنطقي أن ننازع الغرب في شيء لا نملكه، وكل ما يوجد اليوم هو نوع من التفاعل بين الحضارات، "إن الحضارات تحوّلت من صراع إلى حوار في العصر الحديث، لكونها أصبحت تتكامل وتتفاعل فيما بينها...ويمكن أن يكون أيضا الصراع الذي حدث في تاريخ البشرية عاملا مؤثرا في نشأة الحضارات"[2].

إذا كانت ولادة الحضارات قد تنتج عن ولادة الصراع، فإنها بعد ذلك تزدهر وتنمو في ظل الحوار والتعايش والتفاعل، ليصبح الصراع أمرا عارضا، ويمكن أن يزول الصراع بين الحضارات ليس بشكل مطلق ولكن مرحليا، وذلك بعد أن تزول أسبابه، أو على الأقل تخف حدته، خاصة في ظل الدعوة إلى الحوار بين الحضارات، ومن بين دوافع التراجع عن الصراع محاولة التقريب بين الأديان ودعوتها إلى المشاركة في حوار إيجابي فعّال، والتخلص من العصبية والتقوقع حول الذات، "ونحن نعتقد بأن هذا الصراع سيزول تدريجيا، وهذا بترقية مفهوم الحوار الحقيقي بين الأديان من جهة والثقافات المختلفة من جهة أخرى، والحوار منهج أساسي يدعو إلى تحقيق الاتصال والتواصل الثقافي والحضاري والعالم لم يقتصر في هذا الجانب، بل دعا إلى عالمية حوار الحضارات أو تعارف الحضارات"[3].

1- هاني إدريس، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 115.

2- عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة، ص ص 67 _68.

3- المرجع نفسه، ص ص 87 _ 88.

والدعوة إلى تعارف الحضارات، هي دعوة تريد أن تقرب بين وجهات النظر والبحث عن المشترك الإنساني، وجعله الأساس في التعايش والحوار، كما يجب وضع منهجية للحوار بين الأنا والآخر، تقوم بالدرجة الأولى على الاعتراف والاحترام، وبواسطته ننتقل من المحلية إلى العالمية، بل سيتم نقل جميع الحضارات إلى العالمية، وهنا تنتقل من البحث عن وجودها، إلى المشاركة في العملية التقدمية للحضارات، وتدخل بالتالي العالمية من أبوابها الواسعة، متجاوزة الانغلاق والتقوقع على ذاتها وبذلك فإن بعث المستقبل متوقف على بعث التقاطعات المشتركة بين الحضارات، ويعتقد البعض أن مشكلة الحوار بين الحضارات، ثنائية تكمن في الذات المحاورة والذات المتحاور معها، ونحن نضيف موضوع الحوار وأساليب الحوار، كما يجب احترام المنطلقات الفكرية والعقلية والثقافية التي ترتبط بالبيئة التي تنتج المواقف، سواء من الحوار أو الصدام، وكما يقول **عمر احمد بوقرورة:** "إن مشكلة الحوار إنما تكمن في أصل وفي طبيعة المسوّغات المكونة للذات المحاورة، فالمسوّغ هو الذي يحدد نوازع الحوار أو الصدام، ولذلك فنحن نتعجب حين نقرأ الصدام أو الصراع عند هنتنجتون وغيره أولئك الذين ينطلقون من درس حضاري واقعي تتشقق لنا عناصره من بيئة غربية (أمريكية) متعالية"[1].

فالصدام ناتج عن بيئة غربية، نبتت فيها حضارة لا تؤمن بالحوار، وكانت وفق أسس براغماتية كانت تنظر لذاتها على أنها تمثل المطلق والمحور والباقي الهامش، مما أوقعها في نزعة تأحيدية والأكثر من ذلك محاولة تنميط الثقافات، والقضاء على خصوصياتها مرة باسم الكونية، ومرة باسم العولمة، إن الأرضية التي انبنى عليها الحوار أرضية هشة مهددة بالانهيار في أي لحظة، أما الأرضية الصلبة فهي كما يرى **حميد حمد السعدون** في كتابه: "الغرب والإسلام والصراع الحضاري" أن "أهم قاعدة في إعطاء الحوار الحضاري مزيدا من الرصانة والموضوعية والاهتمام، تتلخص بإرادة الاعتراف بالآخر وعلى الإيمان بوحدة الإنسانية...والحوار الحضاري مطلوب لإدامة الحياة، لكن أنموذج ذلك الحوار الذي ترغب فيه لا يحدث إلا بالاعتراف المتبادل، والمحترم لكل الثقافات سواء أكانت ثقافات عظمى أم صغرى"[2].

وعالمية الحوار بين الحضارات، بدأت منذ السبعينيات من القرن الماضي مع روجيه غارودي إلا انها عرفت انبعاثا كبيرا بعد أن تبنت الأمم المتحدة سنة 2001 كسنة للحوار بين الحضارات، والرد على أنصار أطروحة الصدام، وبدأ أنصار السلام في العالم يروجون للفكرة، كما وظّفوا دعوات الأديان للتسامح والمحبة، وتفنيد أطروحات الصدام ونهاية التاريخ، وهيمنة نموذج الحضارة الغربية، وعليه "منذ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 22 في دورتها رقم 53 في 4 نوفمبر 1998 بإعلان عام 2001 عاما للحوار بين الحضارات اعتبرت القوى المحبة للسلام والتعايش والحوار عبر العالم

1- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، الجزائر، دار قانة، (د ط)، 2009، ص 14.

2- حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 61، 63.

أن هذا الإعلان بمثابة الرد العملي من جانب المجتمع الدولي، على كل دعاة الصراع والصدام بين الحضارات، والادعاء بتفوق حضارة على أخرى، أو القول بنهاية التاريخ وبانتصار حضارة على الأخريات، وما إلى ذلك"[1].

وكما بدأت عملية الحوار مع الآخر، بدأ المسلمون في حوار مع الذات، وهذا ما جعلهم يكتشفون ذاتهم والآخر، فقد أدرك المسلمون الهوة الحضارية التي تفصلهم عن باقي الحضارات خاصة الغربية، وبدأت بالنسبة إليهم النهضة والصحوة بالعودة إلى التراث بغية إحيائه، وظهرت تيارات منها ما يدعو إلى الحوار مع التراث، ومنها ما يدعو إلى الحوار مع الغرب، ومنها ما يدعو إلى المزج بين المنهجين، كما أصبح العالم الإسلامي ينادي بحوار عادل وفق أسس ومرجعيات إنسانية، وتجاوز النظرة الشمولية التي تريد فرض الحوار لا اختيار الحوار، لأن الاختيار يعني بالنسبة إليها التنازل الحضاري عن الدور الريادي الذي احتلته في ظروف عالمية معينة، أما بالنسبة لنا فإن "حوار العرب والمسلمين مع الذات، لابد أن يسبق الحوار مع الآخر، أو أن يسيرا جنبا إلى جنب، كما لابد أن يرتكزا على قاعدة الإيمان الراسخ بالتعددية الثقافية ومعرفة الذات، ومساءلتها وبلورة أطر مرجعية للحوار البنّاء مع الآخر، ورفض الاستبداد وكافة أشكال التمييز العرقي، وتبني الدولة المدنية القادرة على تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية البشرية المستدامة، ويهدف الحوار مع الذات أيضا إلى الحفاظ على التنوع الثقافي في الوطن العربي، في إطار الوحدة وضمان الانفتاح على الثقافة الكونية، ورفض كل أشكال التعصب والانغلاق والاستعلاء والعنصرية مع قبول الآخر، وتعزيز روح التسامح واحترام التراث الروحي والثقافي لكافة الشعوب"[2] فالمسلمون يحملون مشروعا حضاريا عالميا، ولتحقيق ذلك المشروع عليهم أن يعودوا إلى الذات للقيام بفعل النقد على جميع الأصعدة، وتبيان الجوانب الإيجابية للحضارة الإسلامية، وتجنب الجوانب السلبية، كما أن النقد يفيد الأمة اليوم للتعرف إلى ذاتها، أين وصلت في المجال الثقافي والاقتصادي والسياسي والحضاري، وما أصابها من وهن وضعف، بغية إعادة البناء من أجل الانطلاق والمنافسة العالمية، "والحوار مع الذات يتطلب أولا: ممارسة النقد الذاتي للواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، الذي يعيشه العرب اليوم، فلا يمكن للعربي أو المسلم والحال هذه أن يقدم نفسه في حواره مع الآخر في صورة الذات المكتملة الخالية من العيوب والسلبيات، فلابد من القيام بنقد إيجابي عميق للثقافة العربية الإسلامية السائدة اليوم، والعودة إلى التراث العربي والإسلامي، وإعادة قراءته قراءة نقدية واعية للبحث فيه عن الذرى المشرفة المتمثلة في العقلانية والانفتاح والتسامح، وتوظيفها لبناء مشروع حضاري جديد ولإقامة حوار متكافئ وبنّاء مع الآخر "[3].

1- وليد محمود عبد الناصر، حوار الحضارات، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007، ص 05.

2- موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة اسيسكو 2007: **www.isesco.org** .

3- الموقع نفسه.

وكما ذكرنا في السابق، فإن هناك من الباحثين من يرى أن الحوار الحضاري عملية تتم بعد أن يحدث ما يسمى بالتعارف بين الحضارات، ولعل أبرز من كتب في فلسفة التعارف بين الحضارات نجد المفكر السعودي زكي الميلاد، الذي له نظرية وأطروحة عرضها كبديل عن صدام الحضارات كما عرض غارودي أطروحة حوار الحضارات كبديل للصدام، حيث يقول زكي الميلاد في ذلك "تعارف الحضارات يعبّر عن رؤية إسلامية نستوحيها من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1]"[2].

وتنطلق نظرية زكي الميلاد من نقد الذات، وصولا إلى الآخر، ثم جاء عبد العزيز بن عثمان التويجري ليؤكد أطروحة تحالف الحضارات، التي نادى بها الرئيس التركي رجب طيب اردوغان ورئيس الوزراء الاسباني ثباتيرو، وكل هذه الأطروحات بما تحمله من منطلقات، وضعت كنقيض لأطروحة هنتنجتون حول الصدام بين الحضارات، وفيما يخص التعارف يقول علي عبود المحمداوي: "إن نظرية حوار الحضارات...تفتقر إلى مرحلة سابقة لها وهي مرحلة (التعارف والاعتراف) فلا حوار حقيقي ومنتج بلا اعتراف بين المتحاورين، في حين يمثل التعارف تلك الحلقة الوسيطة التي يجب أن تتوافر لتتم عملية الحوار"[3] فالحوار بين الحضارات فعل تم في التاريخ، وهو فعل متجدد، رغم أنه في بعض الأحيان تعترضه صعوبات وعراقيل، بفعل تراجع الفعل الحضاري، وغياب الوعي الثقافي، فاينما يطغى الفكر الاقصائي والاستعلائي، وتعتقد حضارة ما أنها من يصنع التاريخ، وأنها من يحمل القيم العليا والمثلى وما على الباقي إلا أن يبقى على هامش التاريخ، وأنها يجب أن تقتدي بالحضارة الأقوى والأفضل في هذه الحالة يفقد الحوار الحضاري مغزاه، ويسيطر التعصب والتشنج، وتتربص الحضارات بعضها ببعض، مما يفتح المجال للصراعات والصدامات، وحتى الحروب الحضارية، التي تعيد الانسانية الى بداياتها الهمجية، وتقضي على تحضرها ورقيها.

1- سورة الحجرات، الآية 13.

2- زكي الميلاد، تعارف الحضارات: **www.taghrib.org** .

3- علي عبود المحمداوي، تعارف الحضارات، الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر: www.kalimat.net .

المبحث الثالث: تحالف الحضارات المفهوم والبديل.

بعد أن عرف العالم المعاصر صراعات وصدامات بين الأمم والشعوب والحضارات، وبعد أن تشكل عالم جديد تقوم فيه العلاقات على أساس ثقافي، أعيد رسم معالم نظام عالمي جديد، ورغم أن النداءات توالت حول ضرورة التقليل من الصراعات والنزعات، عن طريق الدعوة الى حوار بين الحضارات تكون منطلقاتها الاتفاق على أرضية مشتركة من أجل تحقيق حوار حضاري بنّاء والتقليل من فرص الصدام وبؤر النزاع، إلا أن الحوار بين الحضارات لم يحقق الأهداف المرجوة، لأن هناك عوائق وقفت دون الوصول إلى تلك الأهداف، وبهذا بدأت أطروحات جديدة تظهر على الساحة الفكرية العالمية، منها ما يعتبر كبديل لفكرة الحوار، ومنها ما يعتبر كبديل لفكرة الصدام، ومنها ما يريد إعادة بناء العلاقات الثقافية بين الحضارات على أسس جديدة، فكانت أطروحة تحالف الحضارات التي نادى بها بعض زعماء الغرب وبعض السياسيين، كما نادى بها بعض المفكرين في العالم الإسلامي أمثال عبد العزيز بن عثمان التويجري، الذي ألّف في ذلك كتابا بعنوان: "على طريق تحالف الحضارات" مع العلم أنه "الأمين العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة إسيسكو".

وقد تبلورت أكثر فكرة أو أطروحة التحالف بين الحضارات، بعد أن زادت المشاكل العالمية وبعد أن عرف العالم مشاكل جديدة ستواجهها الحضارات، تعتبر تحديّا حقيقيا لكل الحضارات، مما دفع بالكثير الى الدعوة إلى التخلي عن الصراعات الجانبية والالتفات إلى ما يهدد الإنسانية في وجودها وبقائها، ومن هنا جاء مفهوم التحالف الحضاري بين الحضارات، فالتحالف معناه عقد حلف ضد كل ما يقف أمام الإنسانية، بغية النهوض بها وتطويرها، ومن منطلقاته الإيمان بعالم متعدد الحضارات، والانتقال من فلسفة الحوار الى فلسفة التحالف، شريطة أن يبنى على المشتركات الإنسانية، وأن يعاد النظر إلى الإنسان والطبيعة والمادة والسعي الى تحقيق التوازن والعدالة، والتحرر من طغيان الأحادية، وتجاوز التحالف الظرفي القائم على المصلحة.

وإن أطروحة التحالف الحضاري التي تريد أن تحقق التقارب بين الحضارات المختلفة لا بد أن تنطلق من فلسفة السلم، ولا يكون ذلك إلا بشروط ومنطلقات سنستعرضها من خلال تحليلاتنا لهذه الأطروحة.

وإن أي فشل للحوار أو التحالف فإن المجال سيفتح لا محالة للحرب الحضارية التي إن حدثت ستقود الى كوارث حقيقية على الطبيعة والإنسان، ولهذا لا بد من تغليب لغة الحوار والتحالف والعقل على لغة الصراع والصدام، كما أنه لا بد من الدعوة إلى التعارف بين الحضارات، قبل أن نصل الى التحالف، وإن امتنع التحالف على الأقل نحقق التعايش بين الحضارات، ومن هنا يكون السؤال: ما المقصود بالتحالف الحضاري؟ ما هي منطلقاته وأسسه؟ ما هي أهدافه؟ وهل يعد الأطروحة البديل

للصدام والحوار؟ وهل يمكن أن نتوقع حربا حضارية إن لم تتحقق فلسفة الانتقال من الحوار إلى التحالف؟

1_ في مفهوم تحالف الحضارات:

تحالف الحضارات أطروحة جاءت في خضم ظهور أطروحات كثيرة، تدعو كل واحدة منها إلى فكرة ربما تناقض الأخرى، فبعد أن سادت أطروحة صدام الحضارات، التي جاء بها المفكر الأمريكي هنتنجتون، والتي انطلقت من تصور العالم على أنه مكون من مجموعة من الحضارات، التي يختلف بعضها عن بعض، وأن العلاقات فيما بينها ستكون علاقات صدامية، خاصة بين الحضارات التي تمتد على طول خطوط التقسيم الحضاري، والتي تعرف اختلافات إثنية ودينية وثقافية وحضارية وكنقيض لأطروحة صدام الحضارات، نجد أطروحة حوار الحضارات التي نادى بها في السابق المفكر الفرنسي روجيه غارودي، وأعاد طرحها الرئيس الإيراني محمد خاتمي، ولكن نظراً إلى ما شهدته الساحة العالمية من تغيرات وعودة الصراعات من جديد، وحدوث هجمات على أمريكا، تراجعت فكرة حوار الحضارات، وكذلك نظرا إلى عدم توافر آليات فعلية لممارسة الحوار الحقيقي والفعّال بين الحضارات والثقافات والأديان، ونتيجة لما شهدته الساحة العالمية من عودة النزاعات والصراعات جاءت أطروحة أخرى تقوم على فكرة التحالف بين الحضارات، والتي نادى بها الكثير في الفكر الغربي، وفي الفكر الإسلامي، حيث نجد من دعاتها، عبد العزيز بن عثمان التويجري، رئيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، فماذا يعني التحالف بين الحضارات؟ وهل يمكن اعتباره الأطروحة البديل؟ وهل يمكن أن يتحقق؟ وهل هو بديل للحوار بين الحضارات أم امتداد له؟

للتحالف عدة مفاهيم ومعانٍ، وما يهمنا هنا هو التحالف بين الحضارات، وعند هنتنجتون بالتحديد حيث "يعني بصفة عامة اشتراك طرفين أو أكثر في حلف أو عهد يساند ويناصر بموجبه كل طرف من الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى...موجه ضد عدو أو خصم أو منافس أو إزاء خطر معين"[(1)].

فالتحالف بهذا المعنى هو إقامة حلف أو عهد أو اتفاق بين أطراف، من أجل المناصرة أو التعاون أو الدفاع، فقد حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض القبائل، كما جاء في كتب السيرة ودخل المسلمون في تحالفات ضد أعدائهم، كما تحالف غير المسلمين ضد الإسلام، وكما تحالفت الدول في الحرب العالمية الأولى والثانية ضد عدو معين، وهذا المعنى السياسي والعسكري للتحالف ومنه نجد الأحلاف، وهي مجموعة الدول التي بينها اتفاق الحماية والدفاع العسكري، كحلف وارسو والحلف الأطلسي وغيرها، وقد كثرت الأحلاف في الحروب، والمهم فيها هو أنه إذا تعرض طرف ما

[1]– موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مقال للمنجي بوسنينة تونس: **www.isesco.org.ma** .

في الحلف فإن باقي الدول تشارك في الدفاع عنه، أو إذا قامت دولة ما بعمل عسكري ضد عدو، فإنه يتوجب على باقي الدول المتحالفة أن تشارك، كما نجد التحالفات الاقتصادية والثقافية والحضارية ومن هنا يصبح للتحالف أكثر من معنى ومن هدف ومن غاية.

يعرّف عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التحالف بقوله: "إنه إصلاح العالم وإعادة بناء العلاقات الدولية على أسس التفاهم والتعايش والاحترام المتبادل"[1].

ومن خلال هذا المفهوم الذي ينقله لنا أحمد بوقرورة على لسان التويجري، يمكن أن نقول بأن التحالف من منطلقاته السعي إلى رؤية إصلاحية للعالم، بعد أن أفسدته الصراعات والحروب والنزاعات، وأهمل فيه الإنسان ومشاكله، واستبعدت الثقافة والقيم الحضارية، فمورست الهمجية بكل ألوانها وأشكالها، والتي أعادت الإنسان إلى ما قبل البربرية والحيوانية، فاستبعد العقل والوعي والحوار والتعايش، وفقدت القيم المشتركة، وظهر البعد التدميري للإنسان، الذي صنع حضارة لتدمره لا لترتقي به وتعلي من شأنه وقيمته، كما يضاف لهذا المفهوم مفهوم أممي جاء على لسان المتحدث الرسمي باسم الأمين العالم للأمم المتحدة في14 يوليو 2005 الذي يعرّفه بأنه: "مبادرة تحالف بين كافة الأديان والثقافات، وتوجه من أجل تعزيز الاحترام المتبادل والتعايش السلمي بين هذه الأديان والحضارات"[2].

إن إقرار مبدأ التعايش السلمي بين الحضارات والشعوب، من بين المنطلقات الفعّالة في تحريك فلسفة التحالف الحضاري بين الأمم، وانهاء فترات الصراعات والتوترات، والقبول بالتعايش ليس إنحطاطا ولا تراجعا حضاريا، كما تصور الغرب الحوار، ولهذا هناك من عدّ التعايش والتحالف بديلا حضارياً لفلسفة الحوار بين الحضارات، كما دعوا إلى التعايش بين الأديان والثقافات، وليس الحضارات فقط.

"وإذا كان المنطلق في التحالف الاشتراك بين المتحالفين في العدو نفسه، فإنه يستوجب كذلك اتفاقاً بين الأطراف المتحالفة على حد أدنى من المبادئ، والأهداف المشتركة، وهي المبادئ والأهداف والمصالح التي تسهم أغلب الأحيان في تحديد العدو المشترك"[3].

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، نقلا عن عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 107.

2- المرجع نفسه، ص 107.

3- موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مقال للمنجي بوسنينة تونس: **www.isesco.org.ma** .

2_ تحالف الحضارات _البديل_:

وإذا كان التحالف هو إقامة علاقات مناصرة وعهد، فإنه حتى يكون فعّالا وحيويا لا بد أن يقوم على مبادئ واضحة وأهداف معلنة، وهناك من يضيف أن يكون العدو مشتركا، ومن هذا فإن التحالفات ستركز على التعاون والتكتل لغاية أو غايات مشتركة، إلا أن التحالف لا يشترط الاتفاق والتفاهم أو الانتماء إلى حضارة واحدة، بل قد يجمع تحالف ما دولا من حضارات مختلفة لها أديان ولغات وهويات مختلفة، جمعها عدو واحد وإستراتيجية دفاعية أو حماية واحدة، وإن ما يسمى اليوم بالتحالف بين الحضارات، هدفه الوصول إلى حضارة عالمية واحدة لعالم واحد، تتحالف فيه الحضارات ليس بعضها ضد بعض، كما تصور هنتنجتون في أطروحته حول الصدام، بل تتحالف فيه الحضارات لتبني حضارة إنسانية واحدة، وتقف ضد عدو واحد، هو كل ما يهدد الإنسانية من أمراض وجوع وفقر وأن تتحالف الإنسانية ضد كل ما يهدد الطبيعة، لأنها أساس الوجود الإنساني، وأساس إستمراره واستمرار حضارته، وقد شهدت الإنسانية حروبا مدمرة، غاب فيها الضمير الإنساني حيث "كانت الحرب العالمية الأولى "حرب نهاية الحروب"، ولكي تجعل العالم آمنا من أجل الديمقراطية، الحرب العالمية الثانية كما يقول: "**فرانك روزفلت (Franklin Roosevelt)***": قد تضع نهاية لأسلوب العمل من جانب واحد وللتحالفات المعينة (المقصورة على جماعات بعينها)" [(1)].

فالحروب تعرف تحالفات، فالحربان العالميتان شهدتا تحالفات، لكنها كانت أكبر في الحرب العالمية الثانية، لأن الدول أدركت أن العمل الحربي من طرف واحد قد يفشل، وتكون الهزيمة والخسائر أكبر، ولهذا حاولت أمريكا أن تعقد تحالفات في الحرب العالمية الثانية، من أجل أن تتفادى الحرب على أراضيها، وأن تتجنب الهزيمة والخسائر العسكرية والاقتصادية، ورغم أنها قامت بإلقاء القنابل الذرية على اليابان، إلا أن اليابان أصبحت حليفا إستراتيجيا للغرب، وقد امتدت التحالفات إلى عالم ما بعد الحرب الباردة، وفي أثناء الحرب الباردة انقسم العالم إلى معسكرين والطرف الثالث حيادي، وأقام كل معسكر تحالفات مع الدول التي تسير في فلكه ونهجه، حيث تحالفت الدول الشيوعية مع الاتحاد السوفياتي، وتحالفت الدول الليبرالية مع أمريكا، ورغم انتصار الليبرالية وسقوط المعسكر الشيوعي، إلا أن التحالفات في العالم المعاصر، عالم ما بعد الحرب الباردة قد استمرت، ولكن وفق إيديولوجيات وإستراتيجيات جديدة، فرضها النظام الدولي الجديد، وظهور عالم متعدد الحضارات متعدد الأقطاب.

إن "وهم التوافق أو الانسجام في نهاية تلك الحرب الباردة، سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية والتطهير العرقي، انهيار النظام والقانون، بروز أشكال جديدة في التحالفات

* فرنك روزفلت (1882 _ 1945) الرئيس الأمريكي الثاني والثلاثون.

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 52.

والصراعات بين الدول، انبعاث حركات شيوعية وفاشية جديدة، اتساع الأصولية الدينية، انتهاء دبلوماسية الابتسامات وسياسة العيون في علاقة روسيا بالغرب، عجز الأمم المتحدة والولايات المتحدة عن كبح الصراعات المحلية الدموية، والتوكيد المتزايد لصين ناهضة"[1].

إن نهاية الحرب الباردة، وزوال الصراعات الإيديولوجية، قد خلق عالما جديدا وأعلن بداية تاريخ جديد، ستتشكل من خلاله خارطة سياسية وعالمية جديدة، بل ونظام كوني جديد، وسيعرف العالم انقسامات وتكتلات وعودة التحالفات من جديد، ولكن بمنطلقات ومبادئ مخالفة عن السابقة وفي عالم ما بعد الحرب الباردة، سيعاد تشكيل العالم والعلاقات الدولية وفق لاعب جديد، ألا وهو الثقافة، حيث ستقوم دول القربى الثقافية ببناء تحالفات جديدة، تقوم على الانتماءات الثقافية والحضارية وستشهد الساحة العالمية عودة الصراعات والنزاعات الإثنية والدينية، وعودة التكتلات من جديد وستكون هناك نزاعات عرقية دموية، كما سيعرف العالم عودة الأصوليات وظهور التحالفات الحضارية، وهذا ما جعل هنتنجتون يستبعد فرضية عالم واحد منسجم تتفاعل فيه الحضارات، بل إن الواقع يؤكد عودة الصراعات من جديد، وظهور تحالفات مبنية على فلسفة الانتماء الحضاري.

"في الوقت الذي تظهر فيه توقعات بعالم واحد في نهاية الصراعات الرئيسية، إلا أن الميل للتفكير بعالمين كان يتردد دائما عبر التاريخ الإنساني، فالناس لديهم دائما ما يغريهم بتقسيم بعضهم إلى "نحن" و"هم" الجماعة التفضيلية والجماعة الأخرى، حضارتنا وأولئك البرابرة، الباحثون يحللون العالم على أساس الشرق والغرب، الشمال والجنوب، المركز والمحيط الخارجي، المسلمون يقسمون العالم على نحو تقليدي إلى دار الإسلام ودار الحرب، هذا التمييز انعكس بمعنى ما في نهاية الحرب الباردة بواسطة الباحثين الأمريكيين، الذين قسّموا العالم إلى مناطق سلام ومناطق اضطراب، الأولى تضم الغرب واليابان وحوالي 15% من تعداد العالم والأخرى هي كل ماعدا ذلك...ويرتبط هذا التقسيم تاريخيا بذلك التقسيم الثقافي بين الغرب والشرق، حيث يكون التأكيد أقل على الفروق الاقتصادية وأكبر على الفروق في الفلسفة والقيم وأسلوب المعيشة"[2].

لقد كان من نتائج الحروب والصراعات، أن تم تقسيم العالم إلى عالمين، وبين هذين العالمين اختلافات ثقافية وهوياتية، حيث سيطرت فكرة التقسيم على أساس"نحن" و"هم"، وهذا محدد ثقافي هوياتي، ثم قسّم العالم إلى عالمين شرقي وغربي، وكان المحدد لهذا التقسيم إيديولوجياً، وبعدها جاء تقسيم العالم إلى الشمال والجنوب ببعده الاقتصادي، وقسّم المسلمون العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، وكلها من أجل تحديد الانتماءات الحضارية، وبناء التحالفات الجيوسياسية لمواجهة الأعداء المحتملين، وقد سعت جميع الأطراف المتحالفة إلى التمركز وامتلاك وسائل القوة، من أجل حماية

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق ، ص 53.

2- المصدر نفسه، ص 54.

مصالحها، وكانت البدايات بمحاولة الدول امتلاك أسلحة الدمار الشامل، من أجل سياسة الردع، ولكن ذلك قاد إلى هجومات ضد تلك الدول من طرف الغرب وحلفائه كإسرائيل، الذين لم يستسيغوا امتلاك دول من عالم وحضارات أخرى لمثل هذا السلاح، فكانت التحالفات ضدها باسم حماية العالم الحر وباسم الأمم المتحدة، "واعتبارا من سنة 1995 ظلت الولايات المتحدة والغرب ملتزمين بسياسة التعويق المقضي بفشلها في النهاية، هذا الانتشار للأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، مظهر أساسي من مظاهر انتشار القوة البطيء، والذي لا مفر منه مع ذلك في عالم متعدد الحضارات"[1].

إن الإيمان بعالم متعدد الحضارات، هو الإيمان بنهاية القوة العظمى الوحيدة، والتي كانت تنظر إلى حضارتها على أنها الحضارة الأقوى، ولقيمها على أنها القيم العالمية، إلا أن رد الفعل من باقي الحضارات، ورفض السياسة الدولية القائمة على سياسة القطب الواحد، جعلها تتمركز وتشكل تحالفات فيما بينها، سواء أكانت تحالفات سياسية أو اقتصادية، كما حدث مع الدول الآسيوية، ومن هنا فإن التحالف بين الحضارات سيشكل العالم بمنظور جديد، وسيقسمه إلى تكتلات وستكون فيه العلاقات مبنية على المصالح المشتركة، ولذا فإن مفهوم التحالف الحضاري هو مفهوم يختلف بحسب التوجه والتوظيف لهذا المعنى، والغاية من التحالف والهدف هو ما يحدد معناه، وعليه فهناك تحالف حضاري بين حضارة وأخرى ضد حضارة أو أخرى، وهو ما يعرف بالتحالف الإستراتيجي للحضارات، وهناك ما يعرف بتحالف الحضارات العالمية، من أجل الإنسان والإنسانية، وهو في حقيقته لم يتحقق بعد، مثله مثل الحوار الحضاري، ومن ثمة يمكن أن نقول إن "التحالف والحوار سمتان أساسيتان من سمات الإنسانية التي يحال بها العاقلون في العالم المعاصر أن يتجاوزوا أسباب الصدام، التي يفتعلها الأقوياء والتي يدفع نتائجها الضعفاء"[2].

فالتحالف باسم الإنسانية والدعوة إلى الحوار من منطلقات رفض الصدام الحضاري، فهناك من يرى في الصدام طريقا حضاريا للبقاء في العالمية والسيطرة، وأن الإيمان بالحوار والتحالف يعني التخلي عن الهيمنة والتراجع الحضاري، وعليه كانت النظرة كما يعتقد هنتنجتون إلى هذه الأطروحات نظرة براغماتية مصلحية، تعلي من المصلحة الخاصة على حساب العامة أو مصلحة الإنسانية، وهذا في حقيقته تراجع حضاري للغرب وقيمه، بل وتراجع للانسانية في سلم رقيها وتطورها.

"فالحضارات هي القبائل الإنسانية النهائية، وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق كوني في العالم الناشئ، قد تقيم الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارتين مختلفتين علاقات

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص ص 308 _ 309.

2- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 111.

وتحالفات تكتيكية محدودة، وخاصة بغرض تنمية مصالحها ضد كيانات تنتمي إلى حضارة ثالثة، أو من أجل أهداف مشتركة أخرى"[1].

وما الحضارات إلا تجمعات إنسانية كبرى، تتكون من مجموعات بشرية تحكمها منظومة ثقافية وحضارية، وإن الاختلاف داخل هذه المجموعات ومنظوماتها الفكرية، سيقود إلى الصراع فيما بينها لكن إذا كان هناك خطر خارجي أو عدو يهدد وجود تلكم المجموعات، فإنها تتجاوز اختلافاتها وتعقد فيما بينها تحالفات من أجل صد أي خطر محتمل، إن التحالفات الحضارية سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين حضارات مختلفة يخضع لمنطق المصلحة والإستراتيجية المشتركة، وعليه فإن أي تحالف في الواقع هو تحالف ظرفي محكوم بمجموعة من المصالح والأهداف والغايات، وبنهايتها يزول التحالف، كما أن التحالفات بين الدول والحضارات متغيرة ومتنقلة، فحليف اليوم قد يكون عدو الغد وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأنه تحالف غير حضاري، لأن التحالف الحضاري الذي تطمح إليه الأمم والشعوب، هو الذي يقود إلى إنهاء التوترات والنزاعات في العالم، ويقود بالتالي إلى إقامة نظام دولي تتساوى أمامه كل الحضارات، ويهدف بالتالي إلى إيجاد حضارة عالمية واحدة هي الحضارة الإنسانية، ولتجاوز جميع أنواع الصراعات والوصول إلى التحالفات المرجوة، لا بد أن تتغير اللغة العالمية لتصبح لغة الحوار والتفاهم، وبالتالي فإنه لإيجاد الحلول لجميع مشاكل الإنسانية، لا بد من صدق النيات والتنازل عن فلسفة التعالي، ومنه فإن "الحل في موضوع الحوار والتحالف والتجاوز إنما يتعلق بالإنسان، الذي يجب أن نبحث عنه في عوالم القيمة بعيدا عن الماديات المعاصرة...والحل يكمن في تحالف الإنسان مع نفسه، أي العودة إلى عالم الداخل، في إطار سؤال الكوننة الذي يؤول إلى أن يعلن الإنسان الصلح مع ذاته، في إطار التوازن الذي يجب أن يقيمه الإنسان بين عالمي الروح والمادة"[2].

وإن العودة إلى الذات وتأملها وإصلاحها عن طريق النقد، هي إحدى المنطلقات الرئيسة للوصول إلى حضارة إنسانية، كما يجب على الإنسان أن يعيد النظر في توازنه الروحي والمادي، وأن يعيد بناء علاقاته الحيوية مع البيئة، وأن يقوم بفعل الحوار مع الطبيعة أولا، وأن يراجع مجموع المنظومة القيمية التي تتحكم في فكره وسلوكه، وأن يعيد بناء علاقاته بالتالي بالآخر المختلف، والتي يكون منطلقها الاحترام والاعتراف من أجل التفاهم، وإيجاد أرضية صلبة لإقامة تحالف ضد كل ما هو غير إنساني، أما التحالفات القائمة على المصلحة والآنية، فإنها آيلة للزوال لأنها ظرفية لم تؤسس على المشترك الإنساني.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 335.

2- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 113 ، 115.

"على أن العلاقات بين الدول التي تنتمي إلى حضارات مختلفة والموروثة عن الماضي مثل تحالفات الحرب الباردة العسكرية، من المرجح أن تضعف أو تتبخر الآمال في مشاركات وثيقة ومتداخلة بين الحضارات، كتلك التي كانت مفصلة بواسطة القيادات في روسيا وأمريكا، لن تتحقق العلاقات المتداخلة الحضارات، والتي تنشأ سوف تتنوع بين التباعد والعنف، مع تحلل كبير فيما بينها وفي حالات كثيرة من المرجح أن تقترب من "السلام البارد""[1].

إن بناء علاقات دولية تحتكم إلى الضمير الإنساني أمر صعب، وما على الأمم إلا أن توجه جهودها للوصول إلى غاياتها الأسمى، وأن تتحالف ضد كل ما يقف في طريق رقيها وانتصارها على همجيتها وبربريتها، فلا يمكن عقد تحالفات ضد الإنسانية، لأن ذلك تدمير للإنسان باسم الإنسان، وإن التحالفات الإيديولوجية لم تنتج إلا الحرب والخراب، وأضعفت بالتالي المضي نحو أفق من التحالفات تعلو فيه الإنسانية على المصالح الضيقة، وإن الوصول إلى تداخل بين الحضارات أمر بعيد المنال بل إن ما يحكم العلاقات هو الصراعات، وعليه فإن عقد تحالفات وإن تمّ سيشكل مرحلة فقط للتحضير للمرحلة التي تتبع ذلك مباشرة من عودة النزاعات والصدامات، إنه بلغة هنتنجتون "سلام بارد" بين الدول المتحالفة، ومن هذا نرى أنه "من العجيب في السلوك العالمي الذي يحكم الحوار، ومن بعده التحالف أنه سلوك هش، خاضع للواقع العالمي الذي يؤكد أن في السلوك الفعلي المعاين سلطتين إحداهما تحكم، أما الأخرى فهي سلطة التشريف"[2].

فهناك هوة حضارية، تجعل من الحوار والتحالف لا يحققان أهدافهما الحضارية والإنسانية، وهذه الهوة تكمن في وجود عالمين أو سلطتين، فالأولى ترى في ذاتها المهيمنة، والتي تمتلك القوة والقيم الحضارية العليا، والثانية مفروض عليها أن تقيم حوارا وتحالفا، وفق المعطيات التي تفرضها السلطة العليا أو الحضارة المهيمنة، وهنا تكمن مفارقة الحوار والتحالف، وبما أن الحضارات تدرك أن الصراع يعود عليها بالدمار والخراب، فإنها تريد أن تقيم علاقات أساسها الحوار والتحالف الحضاري، إلا أن ذلك السعي تقف أمامه عوائق كثيرة، ومن منطلق التعايش بين الحضارات ينطلق الحوار والتحالف فالتعايش يجعل من كل حضارة تستفيد مما تقدمه الحضارات الأخرى، كما أنها تشارك في عملية النمو الحضاري، وبالتالي نشهد تفاعلا حضاريا لا يوجد فيه مركز ولا هامش.

"إن تعايش الحضارات المتعددة أكثر فائدة للإنسانية من عالم وحيد الحضارة، لأن التنوع والتعدد هما ثروة في صالح كل الحضارات، لأنه في صدام اليوم مع التقدم التقني الهائل، ليس هناك منتصر ولا مهزوم، كل نصر يعني هزيمة إنسانية"[3].

---

[1]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 335.

[2]- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 109 _110.

[3]- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، مرجع سابق، ص 159.

وعليه، فأيّما حضارة مهما أوتيت من قوة وسيطرة، يجب ألاّ تعتبر الصراع طريقاً للانتصار، فكل انتصار هو في الحقيقة هزيمة حضارية إنسانية، ولم نجد في التاريخ حضارة إنتصرت بإفناء باقي الحضارات، وإن التنوع والتعدد الحضاري، من شأنه أن يؤدي إلى التعايش، ومن ثمة التحالف لقهر الهمجية والبربرية، وكل السلوكات التي لم تهذبها الحضارة بعد، إن الأبعاد الحضارية للإنسانية، إنما تكمن في قدرتها على إدراك مشاكلها الحضارية، والسعي إلى حلها والتخلص من كل ما يهددها بعقل واعٍ ومستنير، ولا يمكن أن يكون ذلك الفعل الحضاري إلا حيث يمكن أن تعبّر الحضارات عن ذواتها في عالم يجب أن يقيم علاقاته على الحوار والتحالف، من أجل السلام والمحبة والإنسانية، وإن الحضارات اليوم يمكن أن تلجأ إلى تحالفات حضارية للتعبير عن رفضها الظلم العالمي الذي فرضه نظام أحادي القطبية، وهذه التحالفات الإستراتيجية تمت في التاريخ، وقد يشهد التاريخ عودتها من جديد، حيث يرى مفكرو الغرب أن انتصار الغرب على الشيوعية، وزوال العدو التقليدي له، دفعه إلى البحث عن عدو جديد، إيمانا منه بأن وجوده قائم على الصراع لا الحوار والتحالف.

وتصور الفكر الغربي العدو الجديد ممثلا في الإسلام والكونفوشيوسية، حيث يرى فيهما تحالفا جديدا ضد الغرب وقيمه ومصالحه، وها هو هنتنجتون يستشهد بأحد مفكريهم ألا وهو "**جراهم فوللر** "ليقول على لسانه "إن تحالفا كونفوشيا إسلاميا غير رسمي قد يتحقق، لا لأن محمد وكونفوشيوس معاديان للغرب، وإنما لأن هذه الثقافات تقدم أداة للتعبير عن الظلم الذي يعتبر الغرب مسؤولا عنه إلى حد ما، الغرب الذي يعمل لسيطرته السياسية والعسكرية والاقتصادية بشكل متزايد في عالم تشعر فيه الدول بأنها لم تعد تقبل ذلك"[1].

إن فلسفة الرفض للهيمنة الغربية، التي تريد تسيير العالم وفق منظور أحادي لا يحتكم إلى الشرعية الدولية، والتي تقتضي احترام الآخر والتعامل معه، والإقرار بحقه في المشاركة، وصلت الى مدى بعيد، مما دفع الدول الرافضة لهذه الهيمنة أن تقوم بربط علاقات وتحالفات فيما بينها، لتعبّر عن الرفض المطلق للغرب وسياسته وقيمه، ولو أن هنتنجتون يرى بأن التحالف بين بعض الدول والبلدان وحتى الحضارات لا يشكل خطرا، ما عدا التحالف الإسلامي الكونفوشيوسي، ومنه يستبعد هنتنجتون تحالفا كونيا ضد الغرب وحضارته، وحتى الإسلام والصين إن تحالفا فمن أجل إستراتيجية فقط، لأن تحالفهما لن يؤسس على معطيات حضارية وثقافية، نظرا إلى الاختلاف الكبير بين الحضارتين دينيا واجتماعيا وثقافيا، ولكن هناك قاعدة سياسية تسير وفقها الدول والشعوب، ألا وهي أن العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة، ويجعل البعض يتحالف مع البعض الآخر، من منطلقات المصلحة المشتركة لا الانتماءات أو المشتركات الثقافية والحضارية، وهذا ما قام به الغرب في كثير من فتراته التاريخية

---

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 388.

لأن ما يمكن أن يجمع الإسلام والصين في تحالف حضاري ضد الغرب، هما الحضارتان اللتان عبّرتا عن رفضهما للسياسة العالمية الغربية، ورفضهما للحضارة والقيم الغربية التي تريد طمس باقي الحضارات، بالإضافة إلى أن الإسلام والصين لم تكن بينهما عداوة تاريخية، بل على العكس فقد حدث تفاعل إيجابي بين الحضارتين في الماضي، واليوم تربط الحضارتين قضايا مشتركة تخالف فيها الغرب كقضية حقوق الإنسان، والقضايا الاقتصادية، ومن هنا يرى هنتنجتون أن "تحالفاً عاماً ضد الغرب يبدو أنه من غير المحتمل في المستقبل القريب، الحضارة الإسلامية والصينية تختلفان أساسا في إطار الدين والثقافة والبناء الاجتماعي...في السياسة العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة المجتمعات الإسلامية والصينية ترى الغرب عدوا لها، وبهذا لديها سبب للتعاون مع بعضها البعض ضد الغرب...هذا التعاون متنوع حول قضايا متعددة تتضمن حقوق الإنسان، والقضايا الاقتصادية وأكثر وضوحا جهود المجتمعات في كلتا الحضارتين في تطوير قدراتها العسكرية"[1].

وانطلاقا من تسارع الأحداث العالمية، وموازاة مع إعلان هنتنجتون لأطروحة الصدام بين الحضارات، وحتى تستبعد الصين أي مواجهة مع الغرب، أعلنت الجهات الرسمية في دولتها الحضارية، أن الصين لن تقيم أي تحالفات، وقد جاء ذلك على لسان الرئيس الصيني، وكما يقول هنتنجتون نافيا إمكانية قيام تحالف صيني إسلامي ضد الغرب: "إلا أن الحماس لتحالف وثيق بين الدول الكونفوشية والإسلامية ومعادٍ للغرب، قد خمد على الجانب الصيني بإعلان الرئيس "**جيانغ زيمن (Jiāng Zémín)***"في 1995 أن الصين لن تقيم أي تحالفات مع أي دولة أخرى"[2].

ولو أن هنتنجتون يعيد فلسفة التحالف الحضاري إلى الأمر الطبيعي، حينما يرى أن الدول التي تشترك في المكّون الثقافي والحضاري، تطلب المساندة من دول القربى، فحينما يصبح العدو مشتركا تتحالف بعض الشعوب والأمم، وكثيرا ما تطلب الدول المتحالفة المساعدة من دول أخرى لا تنتمي إلى حضارتها، ولا تقف ضدها كعدو، ويظهر ذلك خاصة في الحروب الحضارية بين دول الحضارات حيث "يؤكد هنتنجتون في معرض استشرافه لآفاق التحالفات بين الحضارات، على أنه من الطبيعي أن تحاول المجموعات أو البلدان المنتمية إلى حضارة واحدة، عندما تدخل في حرب مع شعب من حضارة أخرى، الحصول على مساندة الشعوب الأخرى التي تشترك معها في الانتماء إلى الحضارة

---

[1]- مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر، منطلقات وآليات صدام الحضارات، الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق، ص 120.

* جيانغ زيمن (1926_) رئيس جمهورية الصين الشعبية سابقا.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 388.

نفسها، ويبدو بنظرة أن عالم ما بعد الحرب الباردة قد بدأ يرسو على التشارك في الحضارة الواحدة "البلدان ذات القرابة محل الإيديولوجيا (أي التحالف في إطار الحضارة الواحدة)"" [1].

فبعد أن أعيد صنع النظام العالمي، واختفاء الصراعات الإيديولوجية بدأ التحالف بين الحضارات يقوم وفق اللاعب الجديد، ألا وهو التشارك في الثقافة، ومن منظور حضاري جديد، ورغم أن التحالف يقوم في أساسه على وجود دولة مركز في الحضارات تستطيع أن تضم إليها الدول الأخرى وتربط فيما بينها علاقات القرابة، وتكّون مصيرا مشتركا، والتحالف من هذا النوع هو التحالف الثقافي الحضاري الذي لا يقوم على المصلحة، وإن كان يتضمنها، بل يقوم على تحالف المصير المشترك والثقافة المشتركة ولكن هنتنجتون لا يجعل ذلك قاعدة مشتركة، بدليل أن دولة من حضارة قد تتحالف مع دولة من حضارة أخرى، إذا اشتركت المصالح والعدو، وبالتالي فإن العلاقات الدولية عموما تقوم على التعقيد وكما يذكر هنتنجتون "إن العلاقات بين الحضارات، ودول المركز فيها علاقات معقدة، وغالبا غامضة ومتغيرة، معظم الدول في نفس الحضارة سوف تتبع قيادة دولة المركز في تحديد علاقتها بدول من حضارات أخرى، ولكن ذلك لن يكون الحال دائما، وواضح أن جميع الدول في حضارة واحدة ليس لها علاقات متطابقة مع جميع الدول في حضارة أخرى، المصالح المشتركة وعدو مشترك في حضارة ثالثة، يمكن عادة أن يؤدي إلى تعاون بين دول من حضارتين مختلفتين" [2].

وبالتالي فلا عدو دائم ولا صديق دائم، إن العداوة والصداقة تحددهما طبيعة العلاقة بين الدول والحضارات، والوضع العالمي العام الذي تشوبه النزاعات والصدامات بين الدول والحضارات، وعليه فإن القاعدة العامة للتحالفات تقول: "إن التحالفات تصمد فقط ما دامت حالة التهديد قائمة، وحليف اليوم هو عدو الغد" [3].

وبما أننا نعيش زمن الصراعات بين الدول والحضارات، فإن التحالفات أمر مفروض، سواء أكان التحالف سياسياً عسكرياً أو اقتصادياً، وإن التحالف بين الحضارات هو الوحيد الذي يمكنه اليوم من أن يقف ضد ما يعرف بالصدام الحضاري، على أساس أن الحوار قد نقضت أصوله، وأصبح من المطالب الصعبة التحقق، وللوصول إلى حوار حضاري فعّال، لا بد من إقرار التعايش أولا بين الحضارات، ثم إقامة تحالفات بينها تقوم على المشتركات الإنسانية، وبعدها أن توضع الأسس الثقافية للحوار الحضاري، "إن العملية الوحيدة التي يمكن أن تجد لنفسها تصفيفا سياسيا، هي تشكيل تحالفات لثقافات سائدة حول دولة محورية مهيمنة، ونتيجة لذلك سوف يضعف العامل الاقتصادي نفسه في

1- غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 64.

2- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 396.

3- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 37.

السياسة الدولية، لأن المتوقع جدا هو تشكيل أحلاف تتجاوز حدود الثقافة، إن ديناميكية قانونية عالم الدول الخاص تنقض "صراع الثقافات""[1].

ولقد كان هنتنجتون يدعو في سياسة التحالف بين الحضارات، إلى ضرورة التعايش بين الحضارات والتفاهم، للخروج من سياسة التوتر والصدام، والانطلاق في بحث المكانيزمات التي تبنى عليها العلاقات الدولية، والنظام الدولي الجديد الذي يقوم على التعاون بين الحضارات، أما فلسفة الحوار الحضاري، فيرى فيها فعلا فاشلا في الظروف الحالية، فبعد أن أدرك الغرب حقيقة القوة الحضارية للتحالفات المقبلة، بدأ ينادي بسياسة التعايش السلمي بين الدول والشعوب، والتعاون لبناء علاقات دولية، يسود فيها السلام والأمن والتسامح، ومن هنا "يدعو هنتنجتون في النهاية إلى التفاهم والتعاون بين كبار السياسيين والمثقفين في جميع الحضارات...والتعايش في مواقف مركبة وتعددية خاصة في مجال العلاقات الخارجية"[2].

وإن الوصول غلى السلام العالمي والقضاء على التوترات والصدامات، والسعي في سياسة التعايش والتسامح، هو البحث عن المشتركات الإنسانية وتثمينها، وجعلها قيماً عالمية وأساس العلاقات بين الحضارات، من أجل حضارة واحدة لعالم واحد، تزول فيه الحروب والظلم والقهر، ويسترجع فيه الإنسان إنسانيته وكرامته، فتصبح الحضارة المعبّر الوحيد عن الإنسان، وعن قيمه السامية، وهنا يعود هنتنجتون في هذه الأفكار إلى قوانين الأمم المتحدة في السلام العالمي، ونبذ العنف والصراعات بين الأفراد والدول والأمم، ومن ثمة الحضارات، حيث يقول: "إن القانون الثالث للسلام في عالم متعدد الحضارات هو"قانون العوامل المشتركة" لابد أن تبحث شعوب جميع الحضارات عن تلك القيم والمؤسسات والممارسات المشتركة بينهم وبين شعوب الحضارات الأخرى، وأن يقوموا بتوسيعها، هذا الجهد يمكن أن يسهم ليس فقط في وضع حد لصدام الحضارات، وإنما أيضا في تقوية الحضارة بمفهومها المفرد"[3].

وهي الأفكار التي أكدها هنتنجتون، مؤمنا بأن التحالف هو من المنطلقات الضرورية التي تبنى عليها المشتركات الحضارية، ويكون بالتالي ممهدا للتعايش والتعاون والتفاهم، ومنطلقا من الحوار بين الحضارات "إن التحالف جيد، وإنه فعل حضاري تراتبي يأتي مباشرة بعد الحوار، فالحوار الإيجابي يقود بطبعه إلى تحالف واتحاد وتشارك"[4].

---

[1]- هارالد موللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنغتون، مرجع سابق، ص 71.

[2]- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، مرجع سابق، ص 144.

[3]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 518.

[4]- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، ص 107.

ويمكن للتحالف الحضاري أن يحدّ من التشنجات بين الدول والأمم، وأن يقوم بفعل التعالي ويوصل الإنسانية إلى مستوى معين من تحقيق التواصل والتفاعل الإيجابي محدثا نوعاً من التوازن في السياسة العالمية، وبالتالي يقيم نظاماً دولياً جديداً مبنياً على التعاون والتكامل، والاعتراف والتفاعل بين الحضارات، وأن تستفيد الحضارات بعضها من بعض، فهو في الأصل معطى تاريخي كان في حضارات سابقة، وفرضته اليوم الأوضاع الحضارية الدولية، ويجب ألاّ يأخذ التحالف بمعناه الضيق الذي يعني إقامة علاقات بين دول من حضارات مختلفة، من أجل المنفعة والمصلحة، بل يجب أن ينظر إلى التحالف نظرة شمولية عامة، أساسها الحضارة والإنسان، والتي تعني الرقي بالحضارات لأن تقبل التعايش بعضها إلى جنب بعض، وفق المبادئ العامة للإنسانية، وأن تتخلص شعوبها وقادتها من الأنانية والنظرة الاستعلائية للحضارات والتخلص من الدونية، وهي منطلقات إن تحققت خطت بالإنسان وحضارته خطوة كبيرة نحو الأمام، و"في الخمسينيات كان "**ليستر بيرسون (Lester Pearson)***" ينبه إلى أن البشر يتحركون نحو عصر"سيكون على الحضارات المختلفة أن تتعلم فيه كيف تعيش جنباً إلى جنب في علاقات سلمية متبادلة، ويتعلمون من بعضهم ويدرسون تاريخاً ومثلاً وفنوناً وثقافات بعضهم وتثري حياة كل منهم حياة الآخر، البديل في عالم شديد الازدحام كهذا، هو سوء الفهم والتوتر والصدام والكارثة"[1].

فالعالم مقبل على مرحلة مخير فيها بين أمرين: الأول إما أن تتعلم فيه الحضارات كيف تقبل وتتعايش بعضها مع بعض، وأن تثري القيم المشتركة بينها، وأن تعلي من قيم التعايش والتشارك والتعاون والتفاهم والتحالف، والثاني أن تتجه نحو الصدامية والتوتر، وبالتالي احتمال حصول كارثة إنسانية سببها الحروب الحضارية المتوقعة.

وبالعودة إلى أنصار التحالف الحضاري، فإنهم مع الطرح الذي يدعو إلى محاولة إيجاد سبل التقارب بين الحضارات، كما حدث في التاريخ، وكنموذج عليه ما قامت به الحضارة العربية الإسلامية حين قبلت بالآخر المختلف وتعايشت مع جميع الثقافات والأديان، ونقلت قيمها وحضارتها إلى خارج أرض الإسلام دون أن تنطلق من فرضية الصدام والتعصب، ومحاولة القضاء على كل من خالف العقيدة الإسلامية، بل إن التاريخ الإسلامي المشرق يقدم لنا صوراً عالمية عن فلسفة التسامح والتعايش والحوار الحضاري، بل وتقدم للعالم الآخر زبدة ما وصلت إليه من العلم والمعرفة، وأن تحقق فعلا جميع المنطلقات الحضارية من تعايش وتعاون وتحالف وتعارف وحوار، ومن هذه المنطلقات التاريخية "يتعلل الذين يتحدثون عن التحالف بشواهد حدثت في تاريخ البشرية، ومنها تلك الشواهد المتعلقة باللقاء الحاصل بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية، فقد استطاعت الشواهد

* ليستر بيرسون (1897_1972) سياسي كندي، شغل منصب رئيس وزراء كندا.

1- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 520.

الفكرية والفلسفية والأدبية والاجتماعية...العربية والإسلامية بصفة خاصة، أن تعبر المحيطات وأن تتجاوز المحليات لتبلغ العالم الآخر، وتمده بزاد معرفي غدا الأساس الفاعل في الشراكة والتجاور والحوار...وفي المقابل وجدنا الشواهد المعرفية الأوروبية، وهي تعبر نحو العالم العربي مؤثرة ومتأثرة"[1].

إن مستقبل الحضارة متوقف على مدى ما يقوم بين الحضارات من تعاون وتشارك وتحالف ضد كل ما هو غير إنساني، ويقف عائقا أمام استمرار الإنسانية في نهجها الحضاري، كما يتوقف السلام والأمن العالمي على نفس المنطلقات من تفاهم وتعايش بين الشعوب والحضارات، وكل تراجع حضاري يعني فتح المجال أمام البربرية للعودة من جديد، والتي إن وجدت منفذا للحضارة الإنسانية أعادتها إلى البدائية إن لم تقض عليها، وللتفادي من مثل هذه الكوارث الحضارية، لابد من أن تلتقي الحضارات وأن تتواصل وتتعاون وتتشارك، وأن يقود هذه المبادرات المفكرون وعلماء الدين والقادة السياسيون، حتى تتكامل الجهود وتتفاعل، بغية تحقيق الهدف من التحالف بين الحضارات.

إن "مستقبل كل من السلام والحضارة يعتمد على الفهم والتعاون بين القادة السياسيين والروحانيين والمفكرين في حضارات العالم الرئيسية، في صدام الحضارات سوف تتساند أوروبا وأمريكا معا، أو تتساند كل منهما على حدة، في الصدام الأكبر الصدام الكوني "الحقيقي" بين الحضارة والبربرية حضارات العالم الكبرى، بكل إنجازاتها في الدين والأدب والفن والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والأخلاق والتراجم...سوف تتساند أيضا معا، أو تتساند فرادى"[2].

ومن هنا يرى هنتنجتون أن للتحالف منطلقين، المنطلق الأول تحالف حضاري يقع بين الحضارات ضد حضارة معادية، والمنطلق الثاني هو تحالف بين جميع الحضارات، ضد كل ما يهدد الإنسانية، وهو المستوى الأعم والأشمل للتحالف، وهو بالتالي المعنى الإنساني الحقيقي، الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات بين الحضارات، وإن هنتنجتون يعترف بأن أكبر ما سيقود إلى نهاية السلام والأمن في العالم هو الصدام بين الحضارات، ولتفادي البشرية حربا عالمية، لا بد من إيجاد نظام عالمي يقوم على التحالف بين الحضارات "وفي المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم ذو حضارات مختلفة سيتعين على كل منها، أن تتعلم كيف تتعايش مع الحضارات الأخرى"[3].

وما على الإنسانية إلا أن تسعى إلى إعمار الأرض لا تدميرها، ولن يكون ذلك بأفكار الصراع بين الحضارات، بل على العكس، يؤسس البناء والإعمار على الحوار والتعايش والتحالف، ضد كل ما هو غير إنساني، وما على الحضارة إلا أن تحارب ربوبية الإنسان، وأن تعيد إليه إنسانيته ووعيه وعقله

[1]- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص 110 _ 111.

[2]- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 520 _ 521.

[3]- صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، مصدر سابق، ص 63.

التي فقدها في زمن صار فيه الإنسان سيدا على الطبيعة، وازداد بالتالي جبروته وتسلطه وزرع في داخله قوى الربوبية ومن ثمة الهمجية والبربرية، وإن ذلك ليدل على أن الفعل الحضاري في تراجع خطير، رغم التقدم الذي تشهده البشرية، وهذا التقدم الزائف لا يعبّر عن الإنسان في كل أبعاده، بل إنه يعلي من بُعد دون بُعد، مما جعل الإنسان يعيش الاغتراب على ذاته وفي حضارته، وإن إحياء ثقافة الحوار والتعايش، لا بد أن يكون بالرجوع إلى القيم الإنسانية المتعالية، واليوم "نحن نشهد "نهاية الحقبة التقدمية" التي كانت تسودها الإيديولوجيات الغربية، ونتحرك نحو حقبة تتفاعل فيها حضارات متعددة ومتنوعة وتتنافس وتتعايش وتتكيف مع بعضها البعض"[1].

ومن منطلقات التعايش والتفاهم الحضاري، فإنه يمكن تصور عالم حضاري يسود فيه السلام والأمن الدولي، وتنحسر فيه النزعات العدوانية والدموية، وتتراجع فيه النزاعات بين البشر، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، وللوصول إلى ذلك "يضع هنتنجتون ثلاثة قوانين للسلم في عالم متعدد الحضارات ومتعدد الأقطاب:

1_ قانون الامتناع، أي أن تمتنع دول المركز (الدول القيادية في كل حضارة) عن التدخل في صراعات داخل الحضارات الأخرى.

2_ قانون الوساطة المشتركة، أي أن تتفاوض دول المركز مع بعضها لاحتواء أو إيقاف حروب خطوط التقسيم الحضاري بين دول أو جماعات داخل حضاراتها.

3_ قانون العوامل المشتركة، أي أن تبحث شعوب جميع الحضارات عن تلك القيم والممارسات المشتركة بينها وبين شعوب الحضارات الأخرى، وأن يقوموا بتوسيعها"[2].

إنها قوانين إن طبقت أنهت مشاكل الإنسانية وهيّأتها لحضارة عالمية، ولكن الملاحظ على هذه القوانين أنها لا تنظر إلى الواقع السياسي للدول والأمم، فالعالم اليوم رغم أنه متعدد الحضارات، إلا أنه لا يمكن تصور امتناع الحضارة الأقوى عن التدخل في صراعات الحضارات الأخرى، ما دام ذلك شرطا لبقاء الغرب، وبقاء قوته وديمومة قيمه، كما أن توسط الدول الكبرى لإنهاء الصراعات سيكون بمعايير مزدوجة، حيث نجدها تميل مع المجموعات التي تشترك معها في نفس الثقافة، أما البحث عن المشتركات الإنسانية، وجعلها منطلقا للتعايش والتفاهم فهو أمر بعيد المنال، كما أن التاريخ يذكّرنا بأن العلاقات على مر الزمان بين الحضارات قد تراوحت بين التقارب والانسجام، وبين الحوار والصراع والانفصال، ومرة بين التفاعل والتنافر، ومن هنا يمكن القول أن "الفروقات الثقافية لا يمكن الغاؤها لا

[1]– صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مصدر سابق، ص 156.

[2]– حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ص 126 _ 127.

بالإكراه والقسر، ولا بالترحيب والتشويق، لأن الله هكذا خلق الناس أطوارا، فبدلا من محاولة إلغاء الفروقات وتذويب الحضارات من الأفضل احترامها والتعلم منها"[1].

وإن كانت فلسفة التعايش تهدف إلى إيجاد نوع من التقارب الحضاري، وإذابة العوائق التي تقف في وجه البشرية من أجل الرقي بالحضارة، إلا أن هناك من يعتقد _كما ذكرنا سابقا_ أن الصدام بين الحضارات حقيقة واقعية وحتمية حضارية، لا يمكن إلغاؤها أو تجاوزها، وإن حركية التاريخ وسيرورته تعتمد في كثير من الأحيان على ما ينتج من الصدام، لتجعل منه منطلقا في التغير وظهور تاريخ جديد، وهو ما يؤكده برنارد لويس بقوله: "أظن أن غالبية منا تتفق على القول أن صدام الحضارات هو مظهر هام من مظاهر العلاقات الدولية المعاصرة، على الرغم من أن قلة فقط منا تذهب إلى حد القول أن الحضارات لديها سياسات خارجية، ويمكنها أن تشكل تحالفات"[2].

لقد إنتقل العالم اليوم من مرحلة إلى أخرى، وتغيرت السياسة العالمية، وظهرت معالم نظام عالمي جديد، وعرفت الحضارات عودة الهويات الثقافية، كمحدد أساسي في العلاقات بين الدول، وبعد أن مر العالم بمراحل التوتر والصدام، وصلت إلى حد الحرب الباردة، ثم الحرب الحضارية، بدأ التساؤل حول حوار الحضارات هل انتهى؟ وقبل ذلك، ما ذا حقق الحوار بين الحضارات؟ وهل كان هناك حوار فعلاً؟

ونتيجة لما عرفته الحضارات من تفاعلات وتوترات وصدامات جديدة، وتوجه الحضارات توجهات جديدة في العلاقات بينها، جاء السؤال الحاسم ألا وهو: "هل صحيح أن العالم انتقل من الحوار بين الحضارات إلى التحالف فيما بينها؟ إن طرح هذا السؤال يأتي في ظل تصاعد التوتر في العلاقات الدولية...واستفحال الأزمة السياسية والفكرية والثقافية والروحية...تحول دون استتباب الأمن والسلم، وإقامة القواعد الثابتة لنظام عالمي إنساني الروح، حضاري المنزع، قانوني المبدأ"[3].

بهذه الإجابة عن السؤال الذي طرحه أحد مفكري العالم الإسلامي المهتمين بفكرة تحالف الحضارات، يرى التويجري أن العالم انتقل من فلسفة الحوار الحضاري، إلى فلسفة التحالف بين الحضارات، والسبب يعود إلى التغيرات التي شهدتها الساحة العالمية، وانتقال العالم من عالم أحادي القطبية إلى متعدد الأقطاب، وإعادة كل الدول تعريف نفسها وفق محددات ثقافية وحضارية، ونتيجة لتلك التوترات التي تعرفها الساحة العالمية، وظهور أزمات عالمية جديدة، سواء أكانت فكرية أم

1- هادي المدرسي، لئلا يكون صدام حضارات، الطريق الثالث بين الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص 156.

2- برنارد لويس، نقلا عن محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، مرجع سابق ص16.

3- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 07.

سياسية أم ثقافية أم روحية، ومحاولة إقامة نظام عالمي يقوم على المشتركات الإنسانية، كل هذا دفع الحضارات إلى أن تغير من فلسفتها من الحوار إلى التحالف.

"إن الحوار مرحلة أولى على الطريق إلى التحالف، كما أن التفاهم سبيل إلى التعايش، وهما معا الأساس الراسخ الذي يقوم عليه التحالف بين الحضارات والثقافات...لأن من الخصائص الذاتية لأي حضارة القابلية للتناغم والتفاعل والتقارب مع الحضارات الأخرى، فالحضارة أيّاً كانت عناصرها ومكوناتها تنطوي على المقومات التي تساعد على التقارب مع حضارات أخرى مهما تكن طبيعتها"[1].

ومن خلال هذا، يعتقد التويجري أن العالم الإسلامي وبعض الحضارات التي نادت بالحوار الحضاري، أدركت أن الحوار مع الآخر غير ممكن في ظل الظروف الحضارية والعالمية السائدة، ولو أن الحوار في الحقيقة يعد منطلقا لإقامة التحالف بين الحضارات، رغم اختلاف الآليات والأهداف والغايات، كما يجب أن يشمل التحالف جميع الثقافات، والتي تنطلق من التفاهم والتعايش والحوار كمرحلة أولى للوصول إلى التحالف الحضاري، والسعي إلى التقارب بين الثقافات والحضارات من دون خلفيات ولا إيديولوجيات، بل إن التحالف مطلب إنساني، ومنه "فالتحالف بين الحضارات ضرورة من ضرورات انتظام الحياة الإنسانية، وتناغم عناصرها، بل التحالف بين الحضارات هو طوق النجاة_ إن صح التعبير_ لإنقاذ العالم من مخاطر جمة تتهدده، ولبناء جسور التفاهم والتعاون والتعايش بين الأمم والشعوب في عالم يموج بالأفكار...التي تتضارب وتتناقض، وأحيانا تتصارع"[2].

وللتقليل من فرص الصراع بين الحضارات، لا بد من تقارب الأفكار والتقائها على مائدة التفاهم والتواصل، ومن ثمة الحوار والتحالف، ويعود التويجري إلى بدايات أطروحة تحالف الحضارات، حيث يرى بأن هذه الأطروحة في الحقيقة هي امتداد لفكرة حوار الحضارات، التي نادى بها غارودي وخاتمي، إلا أن الحوار الحضاري لم يحقق المأمول، ومما زاد الابتعاد عن أطروحة الحوار هو عدم الاتفاق على منطلقاته ومبادئه وآلياته وأهدافه، بالإضافة إلى الظروف التي طرح فيها، وهي في الحقيقة ظروف لا تشجع على الحوار، ومن خلال ذلك جاءت أطروحة تحالف الحضارات، التي نادى بها في الغرب رئيس وزراء اسبانيا آنذاك، وتبنتها الأمم المتحدة، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة برئاسة عبد العزيز بن عثمان التويجري، وبدت وكأنها الأطروحة البديلة لحوار وصدام الحضارات، "وتحالف الحضارات، هو في العمق والجوهر خلاصة نظرية الحوار بين الحضارات...وإذا كانت الأمم المتحدة قد تبنّت أخيرا الفكرة التي طرحها رئيس الحكومة الإسبانية من فوق منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة، حول التحالف بين الحضارات، فإن هذه الفكرة لم تكن جديدة علينا...إن الحوار

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 07.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 07 _ 08.

ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة إلى صيغة للتعايش والتفاهم والتعاون الإنساني، وهذه الصيغة هي (التحالف الحضاري) الذي يبث الحياة في الحوار، ويجعله ذا فعالية ومردودية"[1].

والتحالف بين الحضارات، ليس بالأطروحة الجديدة، بل إنه فعل قديم تمّ في الماضي بين حضارات وأمم، ولكنه بالمنظور المعاصر يختلف، فهو ينطلق من الحوار الذي أصبح بالنسبة إلى التحالف وسيلة للوصول إليه، من حيث إن الحوار هو دعوة للتعايش والتفاهم والتواصل بين الحضارات، من أجل خلق جو للتحالف فيما بينها، ضد كل ما يهدد الإنسانية، فإذن الحوار هو المحرك الأساسي لفلسفة التحالف، وكما جاء في كتاب التويجري: "على طريق تحالف الحضارات" فإن "تحالف الحضارات هو النتيجة الطبيعية للحوار بين الحضارات وثمرة له...لقد انتقل المجتمع الدولي...من مرحلة الحوار التي كانت تقتضي البدء من نشر ثقافة الحوار في مختلف الأوساط، وزرع الثقة بالحوار في شتى المنتديات والمحافل...وتحقيق التقارب بين المجموعات الحضارية والثقافية المتحدة التي تشكل الأسرة الإنسانية إلى مرحلة التحالف بين الحضارات، الذي يتطلب إقامة تعايش حضاري على أسس من الاحترام المتبادل والحرص على المصالح المشتركة"[2].

ومن هذا، فقد انتقلنا فعلا من حوار الحضارات إلى تحالف الحضارات، من خلال الانتقال الفعلي من التمهيد للتفاهم والتعاون والتشارك بين الحضارات، إلى الدخول في هذا العمل واقعيا، وبدأ التقارب والتفاعل بين الحضارات، والتصدي بالتالي لكل ما يعترض طريق التحالف، وأولها الصراع والنزاع بينها، وينطلق التحالف من ميكانيزمات أكثر فعالية وواقعية، كما أنه كفعل حضاري استفاد من النمو الحضاري لكثير من الدول، مما يحقق توازناً حضارياً كونياً، ومنطلقا للتعامل فيما بين الحضارات بعقلية المساواة والندية، لا عقلية التعالي والدونية، كما كان الحال في حوار الحضارات وعليه، فإن "التحالف يقوم على قاعدة المساواة، والاعتماد المتبادل، كما هو الشأن في العلاقات بين الدول ومن منطلق الإرادة المشتركة، ولا يشترط في التحالف التكافؤ بين الأطراف المتحالفة، لأن الاعتراف بالتكافؤ يتناقض مع التحالف، من حيث هو حلف يجمع بين فرقاء متعددي الثقافات متنوعي المشارب متفاوتي القدرات...لتجاوز الخلافات وتخطي العقبات التي تقف دون التفاهم الذي يحقق المنافع لهم جميعا"[3].

وللوصول إلى المعنى الصحيح للتحالف، يورد التويجري مفهوم التحالف من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية، مؤكدا على أن التحالف يكون بين طرفين من أجل التعاون والتشارك، بغض النظر عن انتمائهم وهويتهم، يكون ذلك التحالف دافعا لهم للعمل والتعاون، وحل المشاكل المشتركة

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 08.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهذا في الحقيقة مستوى من التحالف، وليس هو التحالف بمعناه العام، وكما يرى التويجري بأنه "إذا كان التحالف هو الاتفاق بين طرفين على أن يتحالف كل طرف منهما مع قرينه، فمعنى ذلك أن يكون كل طرف حليفا للآخر، ويترتب على ذلك أن ينشأ بينهما حلف ناتج عن هذا التحالف، ولذلك فإن اتفاق مجموعة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة، على أن يتحالفوا حضاريا ويتفاهموا ثقافيا ويقيموا فيما بين حضاراتهم الأصلية تحالفا يستتبع بطبيعة الحال إنشاء حلف حضاري يجمع بينهم، ولا نقول يوحد، لأن الاختلاف طبيعة الحياة، والتنوع الحضاري والثقافي سنة الكون...ويوفر لهم إطارا للعمل الجماعي...صياغة حضارة إنسانية جديدة تنبعث من صلب التحالف بين الحضارات والثقافات كافة"[1].

وكما ذكرنا سابقا، فإن هذا المفهوم الذي يورده التويجري، هو مفهوم خاص وليس عاما، بمعنى أن التحالف في منظوره يتم بين طرفين لأجل التعاون والتفاهم والدفاع عن المصالح المشتركة، بينما المفهوم العام هو المفهوم الذي يركز على التحالف بين الحضارات، من أجل إيجاد أرضية مشتركة للتفاهم بينها والذهاب إلى فلسفة التعايش والأحلاف في مواجهة الأخطار الكبرى التي تحدق بالإنسانية، وكان هدف التحالف بهذا المعنى، هو الوصول إلى حضارة عالمية إنسانية، ومن هنا يرى التويجري أن التحالف بين الحضارات مثل الحوار بينها، قد تعترضه صعوبات وعراقيل تقود إلى فشل مسعاه في الوصول إلى التقليل من الصدامات، ومواجهة كل ما هو ضد البشرية، "ولربما كان تحالف الحضارات في هذه المرحلة من تاريخ العالم نظريا أبعد ما تكون عن التطبيق...ولئن كانت المؤشرات العامة (تدل) على تجديد البناء الحضاري الإنساني"[2].

هناك فاعلية حضارية إنسانية متوجهة لإحياء العلاقات الإنسانية العامة بين الشعوب، إلا أن توقع تحالف حضاري عام وقريب مازال بعيدا، نظرا لما تشهده البشرية من تغيرات في السياسة العالمية، وإن كان تحالف الحضارات تعبيرا عن الحوار بينها، لكن بصيغة أخرى، فهو يمكن أن يتحقق وفق المبادئ والأسس التي بني عليها، ومن بينها وضع الحضارات والإنسانية كهدف، بغض النظر عن الانتماءات التي طبعا تُحترم من طرف جميع الحضارات المشاركة في وضع إستراتيجية حضارية والتمهيد بالتالي لوضع نظام عالمي جديد، وعليه فإن "تحالف الحضارات ربما يكون هو الصيغة الملائمة والقابلة للتنفيذ...خرجت من رحم الحوار بين الثقافات...فالتحالف بين الحضارات من وجهة النظر العملية، هو من أقوى الوسائل المتاحة لإصلاح شؤون العالم"[3].

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 14.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إذن على الحضارات أن تقوم بتجديد نفسها، من أجل المشاركة الفعّالة في البناء الحضاري للإنسانية وأن تستعد للمرحلة المقبلة وأن تنطلق في كل ذلك من الإبتعاد عن بؤر التوتر والصراع بينها، وأن تتعلم أولا التعايش بعضها مع بعض، بغية ربط قنوات التواصل الإيجابي من أجل التثاقف والتفاعل وأن تستفيد كل حضارة مما أنتجته الحضارة الأخرى، وأن تقيم الحضارات تحالفات فيما بينها وفيما بينها وبين الإنسانية والطبيعة، وأن تستثمر الحضارات المنطلقات الدينية التي تدعو إلى الحوار والسلام والمحبة وفق ما تتصوره الأمم المتحدة التي تشارك فيها جميع الأمم دون استثناء ولا تهميش وما أكثر ما يجب أن تتحالف الحضارات بشأنه من قضايا الفساد الكوني في الأرض والطبيعة والإنسان، كالإرهاب واستغلال نتائج العلم بغرض تدمير البشرية، وأسلحة الدمار الشامل، ناهيك عن الفقر والجوع والاستغلال وغيرها، ويكون المنطلق من "تجديد البناء الحضاري للعالم أجمع بالتحالف بين الحضارات، لا بالحوار فقط، وبالتعاون المثمر بين الأمم والشعوب على هدي تعاليم الديانات السماوية والمبادئ الإنسانية، وفي إطار ميثاق الأمم المتحدة هو المهمة الرئيسية لأولي العزم...إن لتحالف الحضارات غايات نبيلة...تشمل استتباب الأمن والسلام ومحاربة الفقر والأمراض الفتاكة والجريمة المنظمة، والإرهاب بكل أشكاله، واستغلال الإنسان وحرمانه من حقوقه، وقهر إرادة الشعوب ومنعها من التمتع بحريتها واستقلالها، وتجارة المخدرات والاتجار في الجنس، وإشاعة الكراهية والعنصرية والتفوق العرقي، وصنع أسلحة الدمار الشامل، وسوء استغلال الهندسة الوراثية باستخدامها في الأغراض المنافية للفطرة الإنسانية وللقيم الأخلاقية"[1].

فلا توجد حضارة خالصة وثقافة مطلقة، وإن التاريخ ليشهد بأن أي حضارة إلا وتفاعلت مع نظيراتها واستفادت منها، وما الحضارات في الحقيقة إلا تراكمات لمنتجات شاركت فيها كل البشرية ولم يقتصر البناء الحضاري للإنسانية على قوم أو جنس دون آخرين، وما الفوارق التي وجدت إلا من وضع الإنسان المحب للسيطرة والسلطة والهيمنة، واستعباد الآخرين والانتقاص من ذواتهم وقيمهم، إن الثقافة مكّون أساسي للحضارة، ولقد امتزجت الثقافات والحضارات عبر التاريخ الطويل إلى أن وصلت لما هي عليه اليوم، ففي الحضارات تيار وديمومة متدفقة لا تعرف النضوب، كما أن الشعوب داخل الحضارات تجمعها روابط مهما كانت طبيعتها، ورغم أن هناك ما يميزها ويفرقها هوياتيا بعضها عن بعض، إلا أنها تنتمي إلى ذلك المنتدى الحضاري الإنساني العام، وكثيرا ما تحالفت البشرية وفقا للمبادئ العامة التي تجمعها ضد كثير من الأخطار، حتى صار التحالف قانونا بين الدول والشعوب والأمم، ومنه "فإن تحالف الحضارات مبدأ من مبادئ القانون الدولي، وأساس من الأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية...وإن التحالف بين الحضارات يساهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 15.

والأمم...ويمثل أحد الخيارات المثلى لمعالجة الانعكاسات السلبية لظاهرة العولمة...ونبذ كل أشكال المفاضلة والثنائيات والتمييز التي تؤدي إلى صدام الحضارات"[1].

لقد فرضت فلسفة العولمة نمطا من التفكير، ونمطا من العيش، وهي تسعى إلى تنميط العالم ثقافيا وحضاريا، بالقضاء على الخصوصيات الثقافية، كما أنها لا تهتم بالتقارب بين الشعوب، ما دامت مفروضة من الغرب، الذي يرى في حضارته وقيمها على أنها كونية وعالمية، وعندما جاءت أطروحة الحوار الحضاري زاد ذلك من الغرب ابتعادا عن العالم، وتمركزا حول ذاته، وتهميشا لباقي الحضارات، وبعد أن بدأت الحضارات في العودة والمشاركة في البناء الحضاري، وجاءت أطروحة تحالف الحضارات، بدأت التوترات العالمية تخف وتتجه نحو إعادة صنع النظام العالمي بما يتلاءم والتعدد الحضاري الكوني، وإنهاء مرحلة الأحادية القطبية، فكانت النداءات للمشاركة في التحالف الحضاري في المنتديات واللقاءات والمؤتمرات التي يعقدها زعماء الدول، وقامت الأمم المتحدة بتبني المبادرة لأنه في الحقيقة "التحالف بين الحضارات هو اختيار العقلاء وسبيل يسلكه الحكماء، ومسؤولية إنسانية يتحملها بصورة خاصة صانعو القرار بمختلف درجات المسؤولية، والنخب الفكرية والثقافية والإعلامية في العالم كله من أجل المشاركة الجماعية في بناء السلام في الحاضر والمستقبل"[2].

وللوصول إلى السلام والأمن في العالم، لا بد من القضاء على كل ما من شأنه أن يخلق التوتر والنزاعات في العالم، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات، ويمكن ذلك عن طريق التقارب بين الحضارات بتثمين نشر المشتركات الإنسانية، وتوحيد الرؤى حول القيم التي يجب أن تسود في ظل نظام دولي عالمي عادل، ولتحقيق ذلك في ظل التحالف بين الحضارات، لابد من صدق الإرادة والمضي في إيجاد طرق للتواصل والتفاعل بين شعوب الحضارات، وإذا انعدمت هذه المقدمات فإن الساحة العالمية ستخلو للاضطرابات والفوضى العالمية، التي تقود لا محالة إلى الحروب والدمار ولهذا فإن "التحالف بين الحضارات كلما قام على أساس الرصيد المشترك بين الثقافات والحضارات واستند إلى القيم والمبادئ المشتركة بين الأمم والشعوب، وانبثق من الإرادة الجماعية والرغبة المتبادلة والإحساس المشترك بالحاجة إليه، كان أقرب إلى نيل المراد وتحقيق الهدف، وبقدر ما يبتعد التحالف عن هذه المنطلقات يفقد مقوماته"[3].

ومن بين المقومات أيضا التي يجب على تحالف الحضارات أن يقوم عليها، احترام حقوق الإنسان وفق قوانين الأمم المتحدة، واحترام التنوع الثقافي والتعدد الحضاري، وهو ما يجعل من نتائجه فعّالة وذات قيمة ولها مردودية، مع ضرورة نبذ كل ما يقف عائقا ضد تحقيق الأهداف المرجوة من

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 26.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص 27.

التحالف، ورفض كل أشكال التمييز والهيمنة والإقصاء، والسعي الجاد لخلق جو للتعايش الحضاري يكون بمثابة الأرضية الفعلية للانطلاق في تحالف عام، وفق المبادئ التي تشترك فيها الإنسانية، "وإن الممارسات التي تتعارض مع القوانين الدولية تشكل عائقا أمام التحالف بين الحضارات، بل أمام أي مسعى للتقارب بين الحضارات...وإننا نؤكد على الاستثمار الجيد والمدروس بروح إنسانية للرصيد الثقافي المشترك...(لأجل) الإعلان عن الرغبة المشتركة في التعايش، لأن التعايش السلمي ذا المنزع الثقافي والحضاري هو المدخل إلى الحوار، ثم إلى التحالف بين الحضارات"[1].

ومن بين ما يجب إزالته من طريق تحالف الحضارات، كل القوانين التي تقف عقبة أمامه وتعرقل بالتالي تقارب الحضارات واتحاد الشعوب، فالشعوب لها ثقافات تتمايز في مكوناتها وقدراتها وإبداعاتها، وهذا لا يعدّ مشكلا، بل المهم كيفية استثمار تلك المنتجات الإنسانية لتحقيق التقارب، ومن ثمة التعايش والحوار فالتحالف.

من هنا "تستجيب المبادرة التي أعلنها الأمين العام للأمم المتحدة بإطلاق النداء لتحالف الحضارات لإجماع واسع بين الأمم والثقافات والأديان حول أن جميع المجتمعات تتكافل وتترابط فيما يتعلق بتطورها وأمنها وفي الدفاع البيئي والاقتصادي والمالي"[2].

إن التحالف مطلب أممي يجب أن يبنى على القوانين الدولية في السياسة العالمية، ولكن على هذه السياسة أولا أن تقوم على نظام عالمي عادل، وأن يحتوي هذا القانون كل دعوة للأمن والسلام والتحالف، وينبذ التنازع والتصادم والحروب، وعلى الثقافات والحضارات أن تتبنى مطلب التحالف بجدية وأن تضع مخططات لتحقيق التقارب مع باقي الحضارات، وأن يقوم الدين مقام الداعي لهذا المطلب الذي يجب أن توظف فيه كل الطاقات والمبادرات للوصول إلى الأهداف المرجوة منه.

"ويسعى هذا التحالف لتحقيق إرادة سياسية جماعية، وتعبئة عمل متناغم على المستوى المؤسسي والمجتمع المدني، للتغلب على التعصب والمفاهيم الخاطئة...وهو يأمل في المساهمة في حركة ائتلافية عالمية ترفض التطرف في أي مجتمع، وتعكس إرادة الغالبية العظمى من الشعوب...ويسعى هذا التحالف لمجابهة هذا الاتجاه من خلال إقامة نموذج للاحترام المتبادل بين الحضارات والثقافات"[3].

ومن أهداف التحالف بين الحضارات، هو الوصول إلى اتفاقات أمنية وأخرى ترتبط بالبيئة والاقتصاد والمال، وأخرى بالقيم والقضايا التي تمس جميع الثقافات والحضارات، وتهدد وجود الدول والشعوب، كالإرهاب والجريمة المنظمة والمخدرات، ومن الجانب الديني نبذ التعصب والتطرف

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 28.

[2]- المرجع نفسه، ص 31.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والرجعية والبربرية والهمجية، ومن المنطلقات والأهداف تحقيق الاحترام المتبادل بين الثقافات، ولقد رحب بالفكرة سواء في الفكر الإسلامي أو الغربي، فالفكر الإسلامي كان ولا يزال مع جميع الأطروحات التي تقف ضد الصدام والصراع بين الحضارات، حيث رحّب العالم الإسلامي بفكرة التحالف الحضاري، واعتبرها الكثير امتدادا للحوار الذي نادى به من قبل الإسلام، إلا أن "مسؤولية العالم الإسلامي إزاء تحالف الحضارات، لا سبيل إلى النهوض بها على الوجه المطلوب، إلا باكتساب القوة والمناعة والقدرة على العطاء، والإسهام في تجديد الحضارة الإسلامية، حتى تكون رافدا ترّاً للحضارة الإنسانية في الحاضر والمستقبل"[1].

وما على العالم الاسلامي، إلا أن يستفيد من مراحل الحوار الحضاري، وأن يقوم بتصحيح الأخطاء في التآلف بين الحضارات، وبداية لا بد على العالم الاسلامي أن يعيد البناء الحضاري، وأن ينتقل من فلسفة الاستهلاك الى فلسفة الإنتاج، مما يمنحه قوة ومناعة ضد الغزو الثقافي الخارجي دون أن يعني ذلك الانطواء على الذات، وعدم التفاعل مع باقي الحضارات، التي يمكن أن يقيم معها الإسلام تحالفات اقتصادية وحضارية، تمكّنه من اكتساب هذه القوة، حتى يستطيع أن يمتلك الندية وأن يقول كلمته في وسط عالم حضاري، لا يعترف بالضعف والتخلف، وعلى العالم الإسلامي أن يقوم بتحسين صورته وصورة الإسلام في المحافل الدولية، وأن يسترجع عالميته ودعوته إلى السلام والتسامح، وغيرها من القيم التي امتاز بها الإسلام واستطاع بواسطتها أن يفتح الشرق والغرب، وعلى الغرب أن يتوقف عن فلسفة العداء وتصور وتصوير الإسلام كعدو له ولقيمه وحضارته، وأن يتخلى عن عرقلة الدول الإسلامية في اكتساب وسائل التقدم من العلوم والمعرفة وغيرها، مع احترام الإختلافات الثقافية والدينية والهوياتية والإقرار بوجودها، من هنا يمكن أن يتم تفعيل فلسفة التحالف الحضاري عن طريق "تركيز الجهود على تعزيز التفاعل بين الحضارات، في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البشرية، نرى أن ضرورات استقرار العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب تقتضي رفع الحيف عن الشعوب الإسلامية، والكف عن عرقلة جهودها التي تبذلها لاكتساب المعرفة العلمية والثقافية ولممارسة حقها في امتلاك شروط القوة العلمية والقدرات الثقافية"[2].

لقد كان للإسلام تواجده الحضاري في العالم، وهو اليوم رغم ضعفه إلا أنه يسعى إلى إعادة الانطلاقة الحضارية وبعث الصحوة والنهضة من جديد، وهو دين يعلي من قيمة الإنسان ويحترمه في كل أبعاده، كما أنه يحترم الآخرين المختلفين عنه ثقافيا ودينيا، وهي مقدمات للتعايش والتثاقف، ولقد كانت الحضارة الغربية كالحضارة الإسلامية، إلا أنها انحرفت عن مسار البناء الحضاري للإنسانية بسبب دعوات الصدام والصراع، واعتبار الإسلام العدو الجديد بعد انهيار الشيوعية، وأن هؤلاء

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 36.

2- المرجع نفسه، ص ص 62-63.

يعتقدون أن وجود الغرب متوقف على هذا العدو القديم الجديد _الإسلام_ هي في الحقيقة أغلوطة تاريخية حضارية، "ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي يمثل كتلة حضارية تتطلع إلى المستقبل وتستند إلى قيم إسلامية بانية للإنسان وللحضارة، وهي بذلك قوة لبناء السلام وللتعايش مع الحضارات والثقافات والغرب...فالحضارة الغربية حضارة إنسانية هادفة وبانية، والذين يسعون إلى أن تكون هذه الحضارة في مواجهة صدامية مع الحضارة الإسلامية يحرّفون التاريخ"[1].

وإن العالم الغربي اليوم لهو بحاجة إلى التراجع عن عقدة التفوق والعداء للحضارات، وهو بحاجة إلى ربط جسور التعاون والتعايش ومدها بين الحضارات، خاصة بين الإسلام والغرب، وإن العالم اليوم يترقب تلك اللحظة التاريخية التي يقوم فيها الطرفان بالبحث عن المشتركات الحضارية الإنسانية وتبنيها كقيم عالمية، كالسلام والأمن والتعايش وتثمين الحوار ومنطلقاته، دون أن يعيق كل ذلك التبادل الحضاري القائم على المصالح، وكل ذلك هو من أهداف تحقيق التحالف بين الحضارتين وبين جميع الحضارات، ومن هذا فإن "العالم الإسلامي والغرب محكوم عليهما بالتعايش وبالتحاور وبتبادل المصالح، وبالسعي المشترك لإقرار الأمن والسلم في العالم، وبإقامة الجسور لا بهدمها، وبنشر قيم العدل والحق والوئام وبمحاربة التطرف لدى الطرفين بالبناء المشترك للسلام العالمي، وتلك هي الطريق إلى المستقبل، الذي تتحالف فيه الحضارات ولا تتصارع"[2].

إن الرسالة العالمية للإسلام، ترفض الصدام والصراع وتؤمن بالسلام والتدافع لقوله تعالى﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[3].

فالتدافع من سنن الله تعالى في الكون، وهو يفيد أن القيم العليا تدفع الدنيا، فالخير يدفع الشر والعدل يدفع الظلم وهكذا، كما أن التدافع يعني الوصول إلى القيم العالمية المشتركة بين الشعوب والاستفادة منها، ولا يعني التدافع أن تلغي حضارة حضارة أخرى، أو تسعى لإفنائها ومحوها بحجة أنها خطر على وجودها، وأن وجود الحضارة الأقوى متوقف على إلغاء الأخرى، بل واكتساح ثقافاتها وهويتها، وهذا ما يزيد في التعريف بالفكر الغربي الإمبريالي، وما على الحضارة الغربية إلا أن تعيد بناء قيمها ومفاهيمها في هذا الطرح، لكي يتحقق فعلا عالم حضاري واحد، مبني على التحالف بين الحضارات، وللوصول إلى ذلك، لا بد من قبول الحضارات بعضها لبعض، وقبول الاختلاف والتعدد من أجل التعايش أولا، قبل التحالف وبناء الثقة، ومن ثمة الوقوف ضد كل ما هو غير إنساني "وإشاعة روح التعايش والعمل على نشر ثقافة التعايش بين الأفراد والجماعات، وعلى جميع المستويات يؤديان إلى إضعاف حدة الصراع...لذلك كان السعي المشترك من أجل نشر ثقافة العدل والسلام

---

1 - عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 63.

2 - المرجع نفسه، ص 64.

3 - سورة البقرة الآية 251.

وتعزيز قيم الحوار والتفاهم...ضرورة من ضرورات إنقاذ العالم من الأضرار والتي يسببها الصراع سواء أكان ثقافيا وحضاريا، أم سياسيا واقتصاديا"[1].

فالصراع مهما كان نوعه تعبير عن أزمة في الفكر الإنساني، وفي الحضارة التي وصلت إلى أعلى مستوياتها، وتريد الحضارة الأقوى أن تفرض منطقها وسياستها، وفق وجهة نظر أحادية تستبعد من خلالها مشاركة باقي الحضارات، إلا أن عالما متعدد الحضارات قد بدأ يفرض وجوده، وبدأت الحضارات تنادي بضرورة الاعتراف والحوار والتعايش، ومن ثمة التحالف بين الحضارات، فالحضارة هي المحور الرئيس الذي تدور حوله هذه الأطروحات الثلاث، حيث "يبدو أن تعاقب دخول مفهوم الحضارة كعنصر في التركيبات الثلاث، التي ظهرت لحد الآن وهي صراع الحضارات، وحوار الحضارات، ثم تحالف الحضارات له مغزى حضاري، لاسيما إذا أخذت في الاعتبار الجهات والسياقات السياسية التي اقترحت الصيغ المذكورة، فبينما صدر التعبير الأول عن جهة أمريكية عن (هنتنجتون) روجت لفكرة الصراع بين الحضارات الست الأساسية، وبخاصة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وصدر الثاني عن الرئيس الإيراني خاتمي، الذي يدعو إلى الحوار بدل الصراع فإن التعبير الثالث تحالف الحضارات جاء من إسبانيا الأندلس (سابا تيرو سنة 2005) ومن تركيا (أردوغان) تحدد أكثر، ليدل على ضرورة تجاوز التقابل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية نحو التحالف، ولا يخفى أن التقاطب بين الغرب والحضارة الإسلامية هو القاسم المشترك في التعابير الثلاثة، لا لأن العالم الإسلامي يوجد على الحدود المباشرة مع الغرب، أو لأن له أهمية اقتصادية وإستراتيجية وتعبوية هائلة، ولكن أيضا لأن هناك قواسم مشتركة كثيرة مع الغرب نفسه"[2].

ومن خلال هذا التحليل الذي يقدمه التويجري للأطروحات الثلاث، والتي يجمعها عنصر مفهوم الحضارة، فإن منطلقات الأطروحات تختلف وفق إستراتيجية وإيديولوجية وأبعاد حضارية، كانت تركز على حضارات العالم، وبخاصة الحضارة الإسلامية، فالصدام كان الهدف منه وضع العالم الإسلامي في موضع المراقبة، مخافة النهوض الحضاري، وبالتالي المنافسة الحضارية للغرب، إلا أن الإسلام دعا إلى الحوار الحضاري، ومن بعدها التحالف حتى يبين للغرب أنه دين يدعو إلى السلام والتعايش لا الحرب والصراع، ولقد نادى بالتحالف من داخل الغرب شخصيات سياسية تمثل العقل والحكمة وحاولت أن تكون حلقة وصل بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، وقد رافعت الأمم المتحدة في ندوات وملتقيات وجلسات لصالح التحالف ونبذ العنف والصراع، كما أسس التحالف لمفاهيم جديدة

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 107.

2- محمد المصباحي، التحالف الحضاري، تحالف في القيم، جمعية أصدقاء الفلسفة، ملتقى ربيع الفلسفة الدولي الخامس، الفلسفة وتحالف الحضارات، فاس، منشورات ما بعد الحداثة أعمال الندوة الدولية، 10_11 مارس، 2006 ط1، 2007، ص 17.

وتصحيح القديمة، و"إن ابتكار مفهوم التحالف الحضاري اقتضاه الوقوف على ظاهرة التلاعب بالقيم وعلى رأسها قيم الحقيقة والأخلاق واحترام حقوق الإنسان، فضمن جو صراع الحضارات صار الإرهاب يقابل بالحرب بدلا من ردم الهوة الحضارية بين الشعوب، صارت مظاهر الإذلال والغطرسة تزيد من الاحتقان المتبادل، ومن الحقد الدفين...إن تفعيل التحالف الحضاري لن يكون ممكنا إلا إذا عدنا إلى قيم الحقيقة والعدالة والمساواة بين الشعوب والحضارات، مهما صغرت قيمتها...إن الغطرسة الحضارية أمر غير معقول...وإن العمل على محاربة انعدام التفاهم بين الحضارات ومناهضة الأحكام المسبقة والإهانات المتبادلة بين الثقافات لاسيما بين الثقافتين الإسلامية والغربية أمر ضروري، لأن تفشيها يهدد الجميع ويرهن السلم العالمي"[1].

لقد أرادت فلسفة التحالف الحضاري أن تصحح مسار الحضارات، وأن تصحح كذلك المفاهيم التي كانت بداية للاختلاف وسوء الفهم، ومن ثمة الصراع والحروب، فلا بد من توحيد المعايير حتى لا يكون هناك تلاعب بالقيم، حيث يرى طرف قيمة ما على أنها قيمة عالمية، ويراها الآخر غير ذلك كما أن القيم متغيرة ومتأثرة بالبيئة الثقافية لكل حضارة، ولا بد من السعي للقضاء على مظاهر الغطرسة والقوة واعتبارها شرعية دولية، كما يجب النظر بنفس المنطق إلى مفهوم الإرهاب والجريمة والحرب، ومن هذا المنطلق يحدث التفاهم والتعايش بين الحضارات، إضافة إلى كل ذلك لا بد من تحقيق شعار التحالف واقعيا، "ولتحقيق شعار التحالف الحضاري (لابد) من تطوير الاحترام المتبادل بين المعتقدات الدينية والتصورات الثقافية بين الشعوب...إن مصطلح تحالف الحضارات هو مصطلح سياسي ناتج عن ظرف سياسي شديد الاحتقان، عن توتر يهدد بالدمار الشامل، إلا أن معالجته يجب أن تكون حضارية، أي أن تخلق مكاناً محايداً تتصارع فيه الأفكار دون ادعاء من أي طرف بأنه يستولي على الحق والحقيقة وقادر على تزويرها"[2].

وبهذا، يعدّ التحالف الحضاري مرحلة تمر بها الحضارات، كما مرت من قبل بالصدام ثم الحوار، فهو دعوة إلى الحد من ظاهرة الاحتقان بين الدول، ومحاولة التقريب بين الشعوب عن طريق المشتركات الإنسانية بينها دون أن تدّعي أي حضارة أنها أرقى أو أعلى، أو تمتلك الحقيقة والعالمية والكونية، ويصبح بالتالي "مفهوم تحالف الحضارات نوعاً من الإجابة غير المباشرة على هيمنة العولمة على الثقافات وتسطيحها لكي تصبح شيئا واحدا، إن هذا التحالف معناه الاحتفاظ بأحياز مستقلة على الكل المشترك، معناه عدم الإذعان لفكرة جعل الثقافة البشرية، الأخلاق البشرية، أخلاقاً متشابهة ومتناغمة لا اختلاف فيها"[3].

---

[1]- محمد المصباحي، التحالف الحضاري، تحالف في القيم، مرجع سابق، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 19.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالمفهوم الحقيقي لتحالف حقيقي يقوم على فكرة التشارك بين الحضارات في المبادئ والقيم العامة والتثاقف، وأن يكون الهدف هو الإنسان، دون أن يكون لخدمة مصلحة طرف دون آخر، ودون الميل لإيديولوجية معينة، وبما أن أطروحة الحوار الحضاري لم تستطع أن تحد من ازدياد النزاعات في العالم التي تتبأ بصدام حضاري محتمل، كان لا بد من المضي إلى فلسفة التحالف بين الحضارات وقد كان "يبدو أن منطق الحوار بين الحضارات لم يعد يكفي في مواجهة التطرف المتزايد في العالم لذلك كان لابد من منطق جديد، منطق للتحالف الحضاري لتفنيد نبوءة هنتنجتون التي تتكهن بمواجهة دموية آنية بين الحضارات"(1).

وكما نادى محمد خاتمي أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، بحوار الحضارات واعتمدته الأمم المتحدة سنة 2001، فإنه "في 2004/09/22 وأمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، نادى رئيس الوزراء الإسباني **خوسيه لويس رودريغ ثباتيرو(José Luis Rodríguez Zapatero)*** بما أسماه تحالف الحضارات، ووصف المناداة بأنها مشروع أممي طويل الأمد، وأنه مشروع جاد وشامل لأنه يتعلق بالأنساق الثقافية والسياسية والتربوية..."(2).

إنها دعوة من أجل السلام والوئام والاحترام العالمي بين الحضارات، وكما سمى غارودي مشروع حوار الحضارات بمشروع الأمل، فإن رئيسي الوزراء الإسباني والتركي قد سميا مشروع التحالف بمشروع الأمل كذلك، من حيث إنه مشروع يهدف إلى البناء الحضاري، الذي يشمل العلوم والمعرفة والتربية والثقافة، ويسعى إلى التقارب الثقافي بين الشعوب، ونبذ العصبية والتزمت، ومن هذه الدعوة وضعت الأسس النهائية التي يجب أن يبنى عليها التحالف الفعّال، والذي يستهدف الحاضر والمستقبل، والمبادئ التي يبنى عليها التحالف بين الحضارات هي:

"_ الاتفاق على القيم الإنسانية المشتركة.
- الالتزام بقواعد القانون الدولي وحقوق الإنسان والديمقراطية.
- الالتزام بمبادئ الحق والعدل والاحترام المتبادل.
- تساوي جميع الثقافات العالمية وقدرتها على إثراء بعضها بعضاً.
- الاعتراف بالتنوع الثقافي وتنوع اللغات والتقاليد.
- احترام الآخر _مبدأ التضامن_ الندية والاحترام المتبادل"(3).

1- محمد المصباحي، التحالف الحضاري، تحالف في القيم، مرجع سابق، ص 19.

* خوسيه لويس رودريغ ثباتيرو (1960 _) سياسي إسباني ورئيس الوزراء.

2- عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 104.

3- المرجع نفسه، ص 106.

إنها مبادئ وأسس منطقية، تجعل من التحالف فلسفة واقعية ترفض الصدام والنزاع، وتدعو إلى البناء والتفاهم والتعاون والتعايش، كما أنها دعوة عالمية من خلال إيمانها واحترامها لأكبر القيم العالمية كحقوق الإنسان والديمقراطية، ومن ثمة السير إلى التبادل والاحترام ورفض الهيمنة والوصاية الثقافية والحضارية واحترام الخصوصية والهوية، كما أنها دعوة إلى التفاعل بين الحضارات، من أجل أن يستفيد بعضها من بعض، والخروج من القوقعة والمركزية والتفتح على الآخرين، وبالتالي استبعاد فكرة التحالف بين الحضارات بالمعنى الضيق، وكما تصوره هنتنجتون "هناك مبالغات في تصوير هنتنجتون للتحالفات على أساس الفروقات والخصائص والتأثيرات الثقافية التي لاشك فيها في تشكيل الوعي الإنساني"[1].

إن المفهوم الحضاري للتحالف ينطلق من مشاركة الجميع، وأن يكون هناك تجانس وندية وعدالة، كما يجب أن تحترم فيه آلياته وطرق العمل، فهو حركة عالمية هدفها التغيير الإيجابي وتصحيح مسار الحضارات نحو الفاعلية والإنسانية، من أجل البناء ومقاومة قوى الشر والهدم والصدام ولا بد من أن يكون العدو المتحالف ضده كل ما يهدد البشرية، من فقر وأمية وبطالة وجريمة ومخدرات وغيرها، والقضاء على التفاوت في جميع مستوياته بين المتحالفين وبين الحضارات، فهو تحالف بين البشرية جمعاء من أجل مستقبل أفضل.

المبحث الرابع: تحالف الحضارات بين المنتديات والنقد.

1_ منتديات تحالف الحضارات:

بعد أن أطلق الرئيس الإيراني محمد خاتمي سنة 2001 مبادرة الحوار بين الحضارات، وحمل فيها الفلاسفة والجامعيون والمثقفون مسؤولية حمل الموضوع على محمل الجد، وبعد أن طرحت أسئلة عن نتائج الحوار وأهدافه، وصل المفكرون إلى أن المبادرة لم تكتمل، بل ولم تحقق الكثير من النتائج المرجوة، وبعد ما عرفه العالم من تغيرات وظهور صراعات جديدة، أطلق كل من رئيس وزراء الجمهورية التركية رجب طيب اردوغان، ورئيس الوزراء الإسباني خوسيه لويس رودريغيس ثاباتيرو مبادرة تحالف الحضارات عام 2005، نتيجة للأجواء العالمية التي ساد فيها الشك حول العلاقة بين الحضارات، خاصة العالم الاسلامي وعلاقته بالغرب، فكان لابد من تشكيل ائتلاف يمنع من الوصول إلى حالة تتدهور فيها الأوضاع والاستقرار الدولي، يقوم هذا الائتلاف على فكرة الاحترام المتبادل فيما بين الثقافات والحضارات، والتركيز على القضايا المشتركة كالبيئة والأمن وغيرها، ولقد تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالاجماع سنة 2009 مشروع القرار المتعلق بمبادرة تحالف الحضارات، ولقد وصف أصحاب المبادرة "تحالف الحضارات بأنها مشروع أممي طويل المدى، وأنه مشروع جاد

---

[1]– عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص 22.

وشامل، لأنه يتعلق بالأنساق الثقافية والسياسية والتربوية، والمناداة جادة ومفيدة، والدليل على جدية المناداة ما تبعها من جهود تجلت باجتماع نوفمبر2005 في بالما دي مايوركا، حيث ترأس رئيسا وزراء إسبانيا وتركيا إجتماع مشروع تحالف الحضارات"[1].

ولقد سمي هذا المشروع بعد أن تبنته الأمم المتحدة بمشروع الأمل، أنه المشروع المكمل لأطروحة حوار الحضارات، وقد أراد من خلاله أصحابه أن يبينوا أن التحالف ببعده الثقافي والحضاري ينطلق من أين انتهى الحوار، فبدل الدعوة الى حوار تنقصه كثير من الشروط والمنطلقات، لابد من التفكير في أطروحة تكون امتدادا للحوار لكنها تبنى على فكرة تحالف الانسانية بكل منتجاتها الحضارية من أجل محاربة كل ما يتهددها في وجودها ومستقبلها، إن التحالف بهذا المعنى هو فلسفة عالمية تجعل من الحضارات في علاقات دائمة من أجل الاستفادة من بعضها البعض، ومقاومة ورفض كل أشكال التراجع الحضاري بما فيها الصدام والصراع، إنه مشروع جاء ليضيق من دائرة الحرب والصراع ليوسع من دائرة السلام والتسامح والتعايش، ومن هنا فقد عقدت الندوات والمؤتمرات بل وأسست مؤسسات تبنت المشروع، وأصبح له ميزانيات ودعم من كثير من الدول والأمم التي تبنته والتي رأت فيه مشروع المستقبل، بما فيها الأمم المتحدة، على أساس أنه يمثل مشروع الأمل، أمل الانسانية في غد افضل، فكانت فكرة المنتديات هي البداية لتجسيد هذا المشروع، وهذه المنتديات نذكرها باختصار مع التركيز على توصيات كل منتدى.

حيث كان أول منتدى لتحالف الحضارات سنة 2008 بمدريد بإسبانيا، وفيه انتقلت فكرة التحالف بين الحضارات إلى المستوى العالمي، ومن أهم توصياته وأهدافه، الدخول في حوار حول تخفيف الاستقطاب بين الأمم وإطلاق مبادرات مشتركة تهدف إلى التفاهم بين مختلف الثقافات على المستوى العالمي، ومناصرة السلام والتعدد الثقافي في العالم.

بعدها جاء منتدى تركيا باسطنبول، وهو المنتدى الثاني الذي عقد سنة 2009 والذي أكد فيه المؤتمرون المبادرة التي جاءت في الأصل كامتداد للحوار بين الثقافات، ومن توصياته وأهدافه: دعم وتعزيز التفاهم بين الثقافات، وبناء الثقة والتعاون بين المجتمعات المختلفة.

أما في المنتدى الثالث بالقارة الآسيوية، وفي بلد عربي عقد المنتدى الثالث بقطر سنة 2011 بحضور شخصيات عالمية، بما فيهم الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، وقد ركز المؤتمرون على عدة قضايا إنسانية منها الصحة والتعليم والعمل، بالاضافة إلى العدالة والكرامة والفهم المشترك وجميع القيم التي تعد جوهر تحالف الحضارات، وأكد المشاركون على حرية الرأي ومحاولة التقريب بين الديانات والثقافات، دون المساس بقيم كل منها، والدعوة إلى ضرورة الاعتراف بالآخر المختلف

1_ عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 104.

لتفادي الصراعات والصدامات، وايجاد سبل وطرق لفلسفة التواصل والتفاهم بين الشعوب، كما دعا المؤتمرون إلى عدم نسيان ما تعاني منه البشرية من فقر وجوع وأمية وغيرها.

وفي المنتدى الرابع بريو دي جانيرو بالبرازيل سنة 2012 كان منتدى تحالف الحضارات قد دخل القارة الأمريكية، وقد عرف نقلة نوعية لنشاطات التحالف، لأنه تعزز أكثر بدخول دول من أمريكا اللاتينية في المشروع، وكان من بين أهدافه: تحسين العلاقات بين الثقافات، ومحاربة التعصب والتحيز، والسعي لتهيئة الظروف والأوضاع التي تؤدي إلى سلام دائم.

أما المنتدى الخامس فقد عقد سنة 2013 بفيينا عاصمة النمسا، ولقد سعى المنتدى لتحقيق جملة من الأهداف والتوصيات منها: إيجاد أرضية مشتركة بين الأمم والشعوب للمساهمة في بناء أسس التواصل والتعاون، ومن ثمة تحقيق السلام والاستقرار، كما أنه أقر احترام التنوع الثقافي لكافة المجتمعات والحضارات، ودعا إلى تفعيل حوار الأديان للتقليل من التعصب وتحقيق التسامح والسلام.

وأخيرا منتدى بالي بأندونيسيا سنة 2014، والذي كان شعاره الوحدة والاحتفال بالتنوع من أجل قيم مشتركة، ومن أهم توصياته: تعزيز ثقافة الحوار والتسامح والاعتدال بين الثقافت والأديان، على اختلاف مشاربها، وان الصدام لايصلح لأن يكون أساسا مصيريا ذا بعد دلالي إنساني عالمي، رغم وجود اختلافات بين ثقافات الشعوب، فلا بد أن تحل الثقة بين الأمم والشعوب والحضارات، ومما جاء فيه قول الأمين العام الأممي بان كي مون: "إن الاختلافات التي بيننا يجب ألا تفرق بيننا بل توحدنا وتكون نقطة قوة فهناك وحدة في التنوع".

هذه هي المنتديات التي حملت مشروع وأطروحة تحالف الحضارات، أرد منها أصحابها التغلب بداية عن سوء الفهم بين الثقافات المختلفة، والتحضير لأرضية مشتركة تتعاون فيها الشعوب والأمم من أجل الانتباه الى الأخطار الحقيقية التي تتهددها، ورفض بالتالي كل أشكال العنف والصراع والصدام، ومحاولة نشر قيم التسامح والسلام وغيرها.

وعبّر المشروع فعلا بداية باعلان تونس أن الانسانية قد انتقلت فعلا من حوار الحضارات إلى تحالفها، حتى نتجاوز أي طرح ايديولوجي، أو استخدام فكرة الحوار بمفهوم متحيز لحضارة ما، لذا فقد لقي مشروع تحالف الحضارات قبولا وترحيبا حتى من قبل الدوائر الغربية وزعماء الغرب، حيث راح "الكل يتحدث عن التحالف، حتى رئيس الوزراء البريطاني (بلير) المؤمن بنظرية الحرب، وقد ابرق للرئيس الاسباني موافقته على مناقشة موضوع التحالف...إذ التحالف عندهما مشروط بمكافحة الارهاب"[1].

1_ عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 105.

ومن هنا فقد لقي مشروع تحالف الحضارات ترحيبا من كثير من الزعماء والرؤساء، والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وقد باركته الأمم المتحدة، "فراح الجامعيون والسياسيون، واولوا الهيئات يؤسسون لمؤتمرات وندوات التحالف، والتأسيس مصحوب بالمبادئ العامة التي منها الآتي:

_ الاتفاق على القيم الانسانية المشتركة.

_ الالتزام بقواعد القانون الدولي وحقوق الانسان والديمقراطية.

_ الالتزام بمبادئ الحق والعدل والاحترام المتبادل.

_ تساوي جميع الثقافات العالمية وقدرتها على إثراء بعضها بعضا.

_ الاعتراف بالتنوع الثقافي وتنوع اللغات والتقاليد.

_ إحترام الآخر.

مبدأ التضامن.

_ مبدأ الندية والاحترام المتبادل"[1].

وهي المبادئ العالمية التي شكلت ميثاق الأمم المتحدة، والتي وضعت من أجل الانسان والانسانية، وتفادي الحروب والنزاعات التي تهدد البشرية، إنها المبادئ التي يجب أن تحكم العلاقات بين الحضارات، والتي يجب أن تحتكم إليها الأمم والشعوب.

2_ نقد أطروحة تحالف الحضارات:

وبالرغم من أن مشروع تحالف الحضارات قد جاء بعد أن فشل مشروع حوار الحضارات ومثلما تلقت أطروحة حوار الحضارات نقدا من طرف المهتمين، فإن أطروحة تحالف الحضارات لم تسلم هي الآخرى من هذا النقد، ومنه يمكن أن نضع هذه الأطروحة التي جاءت كبديل لأطروحة حوار الحضارات موضع السؤال والنقد، فنبدأ أولا بالسؤال الذي طرحه التويجري، والذي جاء فيه:"هل صحيح أن العالم إنتقل من الحوار بين الحضارات إلى التحالف فيما بينها؟

إن طرح هذا السؤال يأتي في ظل تصاعد التوتر في العلاقات الدولية، ومن القلق الذي تشعر به الانسانية في هذه المرحلة من جراء انفلات حبل الأمن والسلم والاستقرار في مناطق كثيرة في العالم، ومن استفحال الأزمة السياسية والفكرية والثقافية والروحية....والتي تحول دون استتباب...نظام عالمي الروح، حضاري المنزع قانوني المبدأ"[2].

من هنا يتبين للذين رفضوا الحوار واعتبروه أطروحة قاصرة وغير فعالة، يتبين لهم بأن الحوار مرحلة أولى لتحالف الحضارات، كما لا يمكن أن يتحقق الحوار والتحالف إلا بالتفاهم والتعايش، ومنه فطبيعة الحضارات مهما كانت القابلية للتفاعل والتقارب، وبهذا يعد التحالف كاستمرارية للحوار وليس

---

[1] _ عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 106.

[2] _ عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 07.

بديلا عنه أساس التعايش والتواصل بين الحضارات، وعليه فإن "تحالف الحضارات هو في العمق والجوهر خلاصة نظرية الحوار بين الحضارات...وإن الحوار ليس غاية في حد ذاته وإنما هو وسيلة إلى صيغة للتعايش والتفاهم والتعاون الانساني، وهذه الصيغة هي (التحالف بين الحضارات) الذي يبث الحياة في الحوار ويجعله ذا فعالية ومردودية"[1].

ومنه فالتحالف الحضاري هو نتيجة طبيعية للحوار بين الحضارات، بل وثمرة له، وتتويجا لما يبذله حكماء العالم من أجل أن تشيع قيم السلام والتسامح والخير، هدفهم في ذلك الانسان والانسانية في كل أبعادها غير ناظرين الى جنس أو عرق أو لون، ورغم أن المشككين في مبادئ ومنطلقات التحالف يعتقدون بفشله كما فشل الحوار بين الحضارات كما يعتقدون، إلا أن فلسفة التحالف قد أبانت عن منطلقات انسانية رغم ما يعترضها من صعوبات وعوائق، ومن المعروف أن أي نظرية أو أطروحة في بداياتها الأولى تواجه صعوبات وانتقادات، وهو ما يراه عبد العزيز بن عثمان التويجري الذي يؤمن بدور وقيمة التحالف بين الحضارات في خلق سبل للتواصل والتفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب، كما يؤكد على امتدادات نظرية التحالف الحضاري لنظرية حوار الحضارات، وفيما يخص النقد الموجه لأطروحة التحالف يقول التويجري: "ولربما كان التحالف الحضاري في هذه المرحلة من تاريخ العالم نظرية أبعد ما تكون عن التطبيق"[2].

ومن هنا فإن معضم الانتقادات التي وجهت لأطروحة حوار الحضارات، وجهت لأطروحة تحالف الحضارات، لأن التحالف في الحقيقة قد ولد من رحم الحوار، فالجانب النظري قد طغى على الأطروحتين، حيث كثر التنظير، وكثرت المنتديات والمؤتمرات والملتقيات، وحتى الدراسات، لكن من الناحية التطبيقية والعملية لا تزال أطروحة التحالف بين الحضارات بعيدة عن الواقع، نظرا لما تعترضها من صعوبات على المستوى العالمي، ونظرا لما يشهده العالم من تغيرات وتطورات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وما تعرفه العلاقات بين الدول والأمم والحضارات من تغيرات وتطورات، وعليه يمكن القول بأن التحالف بين الحضارات نظريا وعمليا هو من أقوى الوسائل التي يمكنها أن تساهم في إنقاذ البشرية من الأخطار التي تهددها وتهدد وجودها وكينونتها، رغم أن هناك من يرى أن المبادئ التي جاءت بها الأطروحة "هي مبادئ إنشائية ذات طابع جمالي واصف لكنها لا تدل أبدا على جديد معرفي أو سلوكي يمكنه أن يسود العالم، وأن يغيره"[3].

معنى ذلك أن هذه الأطروحة لا تعبر فعلا عن اهتمامات الشعوب ومشاكلها الحضارية مادامت قد حصرت في المنظمات الرسمية، والتي تريد تحقيق أبعاد غير الأبعاد الحقيقية لفكرة

---

[1] _ عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، مرجع سابق، ص 08.

[2] _ المرجع نفسه، ص 14.

[3] _ عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 116.

التحالف، من هنا يرى عمر أحمد بوقرورة في كتابه: "تهافت حوار الحضارات" أن فعل التحالف الحضاري وفلسفته من حيث هو فعل عمل جيد، بل وياتي تدعيما لمساعي حوار الحضارات، لكن المشكلة الأساسية حسب رأيه تكمن في العناصر الآتية:

"يكمن العنصر الأول في الفعل الحضاري التراتبي الذي يجعلنا نسأل الآتي:

أ_هل أدرك الداعون للتحالف أن الحوار قد أثمر الايجابي المرجو الذي يستدعي بالضرورة الانتقال نحو الصيغة الثانية للشراكة والتجاوز الماثلة في التحالف؟.....

ب_ هل يمكن لحال العالم أن ينصلح بهذه السهولة؟.....

ج_ التحالف بين من ومن؟ وتحالف من ضد من؟"[1].

إنها أسئلة محورية وأساسية تمس بأهم مبادئ وأسس ومنطلقات التحالف الحضاري، وهي أسئلة نقدية تخضع أطروحة التحالف للمساءلة، مثل ما أخضعت أطروحة حوار الحضارات للنقد والمساءلة، ومنطلقات الاعتراض والنقد هي هل حقق الحوار أهدافه حتى ننادي بالتحالف؟ وهل التحالف بين الحضارات معبّر عن الجهات الرسمية أم على ارادات الشعوب؟ وربما الاجابة عن مثل هذه الأسئلة تقودنا إلى إجابات واضحة، من حيث أن التحالف قد انطلق من نفس منطلقات الحوار بين الحضارات، وإنما تم تغيير المصطلح حتى لا يحمل منطلقات ايديولوجية، تحصر الحوار في الغرب والاسلام أو الغرب وبقية العالم كما يسميه هنتنجتون، ومن هنا فالتحالف بين الحضارات جاء ليعبر عن مصالح بعض الجهات، وليس الهدف منه هو الحضارة والانسانية، والتقارب والتواصل بين الثقافات والحضارات، كما أن الداعين للتحالف نجدهم على هامش التاريخ، وهامش الحداث العالمية مما يهدد نجاح مبادراتهم ومنتدياتهم، بالاضافة إلى أن أطروحة التحالف تابعة للمعطيات السياسية العالمية وهي لم تتحرر بعد من السياسي والاقتصادي، مما يفقدها المعنى الذي وضعت من أجله.

إن العلاقات الحوارية بين الحضارات، وحتى التحالفات في الماضي والحاضر القريب لم تنطلق مما انطلق منه تحالف الحضارات اليوم، ولذا لا يمكن ان نستشهد بحوادث التاريخ ونسقطها على واقعنا وعصرنا اليوم، فاليوم نشهد وجود حضارة تعتبر نفسها مركز وباقي الحضارات هامشا، مما يلغي دورها في صناعة التاريخ، فالغرب اليوم بحضارته مسيطر على أهم مراكز القوة وفارض سيطرته وقيمه الحضارية، وعليه فإن أي مبادرة للتحالف بين الحضارات إن تمت بموافقة الغرب فهي من أجل المصالح، وإن لم تزكى من طرف الغرب، فإنها تبقى أفكار نظرية لايمكن أن تطبق في أرض الواقع إننا نشهد عصر الانتماءات الثقافية والحضارية بين الأمم والشعوب، وبالتالي فالثقافة هي من سيلعب الدور الحاسم في تشكيل جل التحالفات بين الحضارات.

---

[1]_ عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 108.

كما أن العولمة اليوم تسعى إلى تنميط العالم وتاحيده وفق معطيات الكوننة والعالمية، وبالتالي فهي تحمل قيم الثقافة والحضارة الأقوى غير معترفة بالحدود والخصوصيات، فرغم أن الحوار والتحالف سمتان انسانيتان تعبران عن الانسان وعقله، إلا أن الكثير يعتبرهما دوافع للضعف والتراجع عن القوة وبالتالي يرفض كل دعوة للحوار والتحالف.

ومنه لابد للحوار أو التحالف أن ينطلق من الانسان وإلى الانسان معبرا عن الانسان في كل أبعاده، والبداية تكون كما ذكرنا في السابق أن يعلن الحوار مع ذاته في إطار سؤال الكوننة والذاتية لينتقل إلى الحوار مع أفراد مجتمعه، وبعدها مع الطبيعة ثم الآخر المختلف، ومن هذا المنطلف يبني تحالفات من أجل الانسانية وللتصدي لكل ما يهدد وجودها وبقائها، ولا بد على الانسان أن يوظف كل ما يمكنه من أن يرتقي بانسانيته وأخلاقه في سلم الحضارة مستشعرا القيم الدينية في دواخله، متجاوزا كل ما يحمل الكراهية والحقد والتعصب لبني جنسه.

كما أن المنطلق يكون من فلسفة التعرف ليكون بعدها التفاهم والتعايش والايمان بالاختلاف والخصوصية لكل شعب وأمة، يقول الله عز وجل: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[1].

[1] _ سورة الحجرات، الآية 13.

خاتمة

ومنه فإن أطروحتا حوار وتحالف الحضارات قد جاءتا كبديل لأطروحة صدام الحضاري، وكاستمرارية لفلسفة الحوار بين الحضارات، التي عاقت تحققه مجموعة من العوائق، ولما شهده العالم من تغير في السياسة الكونية الثقافية والحضارية، جاءت فكرة التحالف، حيث شهدنا خارطة سياسية جديدة وعلاقات حضارية تقوم على بعد إستراتيجي هو البعد الثقافي، كما أن عالم اليوم عرف عودة النزاعات داخل الحضارات والصدامات بين الحضارات، ومن منطلق مسايرة التغيرات العالمية، فإن كثيراً من المفكرين في الغرب والشرق قد دعوا إلى الانتقال بالإستراتيجية الحضارية من الحوار الى التحالف، مرورا بالتعارف بين الحضارات وللوصول الى تحالف حقيقي بين الحضارات، ضد كل ما يقف أمام الإنسانية من مخاطر حقيقية لا بد من توجيه النظر من تلك النزاعات الهامشية إلى كل ما يهدد البشرية، تقوم هذه الإستراتيجية على مجموعة من المنطلقات منها:

الاعتراف بالتعدد الحضاري، واحترام باقي الحضارات، وأن لكل حضارة قيمها الثقافية، ومن هنا ضرورة البحث عن المشتركات فيما بينها، من أجل الرقي بالإنسانية والحضارة والابتعاد عن المختلفات التي قد تؤدي الى حروب حضارية مدمرة، ولا بد من صياغة قانون دولي جديد يتماشى مع المتغيرات الحضارية التي حدثت في العالم والتاريخ الجديد، مع ضرورة الالتزام بقواعد هذا القانون واحترام حقوق الإنسان ومبادئ الديمقراطية، كما يتصورها القانون الدولي لا كما تتصورها حضارة دون أخرى، وتثمين قيم الحق والعدل والحرية والتسامح والسلم العالمي وتجسيدها في السلوك والممارسة والعلاقات الدولية بين الدول/الأمم، والشعوب والحضارات، مع الإيمان بدور جميع الثقافات والحضارات في إثراء الحضارة العالمية، ومن هنا الاعتراف بالتعدد والتنوع الثقافي دون ممارسة المركزية والإقصاء والتهميش، بل الاعتراف بالآخر واحترامه والإيمان بقانون التدافع والندية وبالتالي الاحترام المتبادل.

بهذا يمكن أن نسعى الى الرقي بفلسفة الحوار ثم التحالف الحضاري ضد أعداء الإنسان والإنسانية ممثلين في كل ما يعيق تقدم الحضارة والإنسانية، وبالتالي نبذ جميع أشكال الحروب، بما فيها الحروب الحضارية، التي إن كانت فإنها ستدمر الإنسانية والبيئة والثقافة وتعود بالإنسان إلى العصور الغابرة وتعبّر عن تقهقره وتخلفه وهمجيته، ومن بين دوافع الامتناع عن هذه الحرب الحضارية، تفنيد أطروحات الصراع والصدام الحتمي بين الحضارات والدعوة الى الحوار والتحالف فنكون فعلا قد انتقلنا من حوار الحضارات إلى تحالفها متجاوزين فلسفة الصدام بين الحضارات.

فبعد أن عرف العالم مرحلة حاسمة في تاريخه، وخرج من حربين عالميتين مدمرتين، وتشكل عالم جديد يقوم على الثنائية القطبية، وحددت الأمم انتمائاتها وفق الأديولوجيتين اللتين رسمتا معالم عالم جديد يقوم على نهجين مختلفين هما النهج الرأسمالي والنهج الشيوعي، رغم أن بعض الدول لم

تحدد إنتماءها لا مع هذا ولا مع ذاك، ونتج عن انقسام العالم الى معسكرين حرب وصفت بأنها باردة إلا أن مقدماتها وأسبابها ووسائلها، كانت توحي بأنها ستتحول في أي لحظة إلى حرب فعلية، وبعد انهيار المعسكر الشيوعي، عادت فكرة تحديد الانتماءات من جديد، ولكن هذه المرة وفق لاعب جديد سيكون أساس العلاقات بين الدول، بل أساس رسم معالم نظام وعالم جديد ألا وهو الثقافة.

وبما أن الغرب قد خرج منتصرا من الحرب الباردة، فإنه قد رأى في نموذج حضارته على أنه الذي ينبغي أن يسود العالم، وبما أن الغرب رائد للتحديث، فإن محاولة فرضه الهيمنة الثقافية والحضارية ونشر قيمه في العالم لتصبح عالمية وكونية، خلق لدى باقي الثقافات والحضارات رد فعل رافضاً لهذه الإمبريالية الجديدة، وظهرت فكرة العدو بالنسبة إلى الغرب وإلى باقي الحضارات، ونتج عن ذلك أن حدثت صراعات ونزاعات اعتبرها بعض المفكرين الغربيين ومنهم صموئيل هنتنجتون على أنها مقدمات للصدام الحضاري، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، هذا الصدام سيكون خاصة بين الغرب والباقي، أو بين الغرب وحضارات التحدي، وهما على وجه التحديد الإسلام والصين.

وبالمقابل ظهرت أطروحة حوار الحضارات كرد فعل على أطروحة صدام الحضارات، ونادى أصحابها بضرورة التقليل من التوتر وتغليب لغة التفاهم والتشاور والاحترام المتبادل، والانطلاقة تكون بالاعتراف بأن العالم لم يعد لا ثنائياً ولا أحادي القطبية، بل إنه عالم متعدد الثقافات والحضارات، وأن العلاقات التي يجب أن تحكمه هي علاقات التفاعل والتثاقف بدل الصراع والصدام، لأن الحوار صفة إنسانية تنبع من طبيعة الإنسان العاقلة والمفكرة، والتي لديها القدرة على تبليغ تلك الأفكار للآخر المختلف، وإيجاد سبل التفاهم معه، ولا بد للحوار حتى يكون فعّالا أن ينطلق من منطلقات إنسانية وأن تكون النية حاضرة والإرادة متوافرة، مع ضرورة المساواة بين الأطراف المتحاورة، والتخلي عن التعالي والنرجسية، بعدها لا بد أن يعترف الجميع بالخصوصيات الثقافية والهويات المتمايزة، وعدم التدخل في شؤون الآخرين، والتخلص من عقدة التفوق، ومحاولة جعل براديغيم معين هو المتحكم في العالم، ومن ثمة إشراك كل الأطراف في صياغة نظام عالمي جديد، منطلقه الحضارة الإنسانية ومنتهاه الإنسان، والتخلي عن فكرة المركزية والهامش، مع إشراك الدين في تفعيل لغة الحوار، لما له من قوة مؤثرة في الأفراد، وبعدها البحث عن المشتركات الحضارية الانسانية، والسعي في الوصول الى حضارة واحدة لعالم واحد، منطلقها وأساسها الحوار بين الحضارات، وأن تتحالف الحضارات ليس ضد الإنسان وحضارته، بل ضد كل ما يعيق تحقق كينونة الإنسان في التاريخ، ولابد بالتالي استبعاد كل ما من شأنه أن يقود الى حرب بين الحضارات، ومنها إبطال صدق نظرية أو أطروحة صدام الحضارات فهل يمكن أن نصل الى مستوى أرقى من التفاهم والتشارك والتحالف بين الحضارات؟

خاتمة

الخـاتمـة

ومن كل ما سبق يمكن القول بأن فلسفة الانتقال من صدام الحضارات كأطروحة إلى الحوار ومن ثمة إلى التحالف، هي فلسفة عرفها التاريخ كمراحل وكتطور، ونلحظها عند صموئيل هنتنجتون كنموذج للفكر الغربي، وبداية فإن هذه الأطروحات تدور حول فكرة مركزية ألا وهي الحضارة، ومن منطلق أن الكثير لا يميز بين الحضارة والثقافة، على غرار فيلسوفنا صموئيل هنتنجتون، فقد وقع خلط مفاهيمي بينهما، بالإضافة إلى احتكام كثير من المفكرين إلى منظومات فكرية دون أخرى لتحديد العلاقة بين الثقافة والحضارة، وربما هذا ما جعل الكثير يرى أنه بدل أن نقول صدام أو حوار أو تحالف الحضارات، نقول الثقافات.

ومن هنا فإن الأطروحات الثلاث قد عبّرت عن قلق في الفكر العالمي وسيرورته التاريخية وأنه يتعامل مع معطى ينمو ويزدهر ويموت في التاريخ إنه الحضارة، رغم أن الثقافة تبقى شاهدة عن هذه الحضارة أو تلك، فإذا كانت الحضارة هي كل ما أبدعه الإنسان من أجل أن يقاوم الطبيعة، وأن يشكل وجوده وكينونته، فإن الثقافة هي التعبير الفكري المعنوي عن الحضارة، ولقد مر الإنسان في تاريخه بعدة مراحل إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم من رقي وتطور حضاري، إلا أنه يمكن أن نؤكد أن ما تعيشه البشرية اليوم من تطور حضاري لم يسبق له مثيل قد نتج عن فعل التراكمية الحضارية في التاريخ، بمعنى أن كل الشعوب والأمم والحضارات قد شاركت في بناء حضارة الإنسان وتطورها، كما يجب أن نؤكد أن الحضارات في التاريخ قد شهدت عدة علاقات، من تفاعل وتواصل إلى حوار وصدام وتحالف، وان الصدام في حقيقته حدث عارض ومن كل ما تقدم يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

1_ إن المفكرين والعلماء اختلفوا في التمييز بين الحضارة والثقافة، حيث لا يوجد معيار نستعمله لنوحد بينهما أو نميز بينهما، وما يمكن قوله هنا أن التمييز أو عدمه بين الثقافة والحضارة يخضع في الحقيقة للخلفيات والمنظومات الفكرية لكل حضارة وأمة وفكر، أما هنتنجتون فإنه لا يميز بين الثقافة والحضارة ويستخدمهما بمعنى واحد، إلا أننا نجده مرات يميز فقط بين الحضارة بمعناها المفرد والحضارات بمعناها الجمعي، وربما نلاحظ هنا أنه اعتمد على الفكر الألماني، لأن هذا الأخير أقام تمييزا وحدا فاصلا بين الثقافة والحضارة، معتبرا الثقافة هي المعبّر عن القدرات العقلية وبالتالي هي كل ما أنتجه العقل من قيم وأخلاق وسلوكات، فهي تمس الجانب المعنوي الروحي، بينما الحضارة هي كل ما أبدع الإنسان من ماديات، معبّرة عن الجانب المادي للإنسان.

ولو أنه يمكن أن نقول بأن الحضارة هي مرحلة متقدمة من تطور الإنسان الذي انتقل من البداوة إلى الحضارة بعدما أصبح كائناً مفكراً ومنتجاً في نفس الوقت، ومتحديا بالتالي الطبيعة التي كان خاضعا لها، إلا أنه استطاع أن يسيطر عليها ويسخرها لصالحه، وبدأ التعبير الفعلي عن ثقافة الإنسان

وحضارته يتجسد، وهنا نستنتج أنه لايمكن سلخ الثقافة عن الحضارة، ولا العكس، ما دامتا من إنتاج وإبداع الإنسان، تعبران عن أبعاد الإنسان الروحية والمادية.

2_ ولقد عرفت الحضارات تطورا وتغيرا عبر مسارها في التاريخ، كما أن للحضارات مراحل تشهدها وهو ما يذكره علماء التاريخ وفلاسفة الحضارات بأعمار الحضارة، فالحضارات في التاريخ تولد وتنمو وتتطور، إلى أن تصل إلى مرحلة الشيخوخة، ومن ثمة الأفول والإندثار، وما يؤكده العلماء أن هذه المراحل تخضع لها جميع الحضارات، أو بلغة العلم انها حتمية تاريخية، رغم أننا وجدنا في تحليلنا للحضارة الغربية أن كثيراً من مفكري الغرب يعتقدون بأن الحضارات كلها إنتهت في التاريخ إلى أن وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من التاريخ بظهور الحضارة الغربية، وهو ما سمي بنهاية التاريخ ومن هنا فقد أصاب هذه الحضارة ما سماه أرنولد توينبي "بسراب الخلود" حيث اعتقد مفكرو الغرب أن الحضارة الغربية هي أرقى أشكال الحضارات، وأنه لن تعقبها حضارة أخرى، ومن هنا تصوروا عالميتها وكليتها وخلودها ومطلقيتها.

3_ والسبب في الوصول إلى هذه النتيجة التي ستكون منطلقا للإيمان بصدام الحضارات هو أن الحضارة الغربية في اعتقادهم، ومنهم صموئيل هنتنجتون قد بنيت عبر مراحل طويلة في التاريخ وأنها وصلت إلى ما وصلت إليه، بعد أن تخلصت من الصراعات والصدامات التي شهدتها بداخلها وبعد أن اعتمدت على عناصر فريدة ومتميزة عن باقي الحضارات، جعلتها تؤمن بتفردها وكونيتها ولو أننا نجد تلك العناصر في باقي الحضارات، وبالتالي فهي ليست إبداعاً غربياً خالصاً، فالغرب بنى حضارته على القانون الروماني والعقلانية اليونانية وحقوق الإنسان والديمقراطية والعلمانية، وغيرها من الأسس التي يعتقد فيها الغرب أنها فريدة وكونية، إلا أن ما يفتقر إليه الغرب هو المكون الديني الحقيقي، وبعض الأسس التي بنيت عليها باقي الحضارات ولا نجدها في حضارته.

4_ وبما أن الغرب اليوم في أوج قوته، فإنه في الحقيقة يعرف تراجعا حضاريا، حيث يعيش على المستوى الداخلي تصدعا وتآكلا حضاريا خطيرا يبشر بقرب زواله وأفوله، وعلى المستوى الخارجي فإنه يجد منافسة حضارية جديدة من حضارات ترفض التبعية والهيمنة، وتريد أن تحافظ على قيمها وثقافتها وخصوصياتها، بل وتريد أن تصبح هي بدورها عالمية، ومن هنا نجد الغرب يرفض التعدد والتنوع الثقافي والحضاري داخل حضارته، لأن ذلك في رأي مفكريه سيخلق صراعات وصدامات إثنية قد تعصف به وحضارته، حيث يدرك الغرب خطر الهجرة والنمو الإقتصادي لبعض الحضارات، كما يرفض التعدد والتنوع الثقافي والحضاري خارج حضارته، وهذا ما دفعه إلى أن يتصدى لهذه الحضارات والثقافات، بأن يزرع في داخلها الصراعات والنزاعات العرقية والدينية، فتبقى إما ضعيفة وتابعة أو ينخرها الفيروس الغربي فتموت، ومن هنا نقول بأن الفكر الغربي فكر صدامي

يؤمن بأن الصدام من بين المعطيات التي تحافظ على بقاء الغرب وقوته، ولهذا نجده يرفض كل دعوات الحوار الحضاري، باعتباره القوة العظمى الوحيدة اليوم.

5_ ومن ادعاء التفرد في تلك الأسس والمبادئ الحضارية التي بني عليها الغرب، يدّعي الغرب أنه رائد التحديث، وأن باقي الحضارات تريد أن تأخذ بالتحديث الغربي، لكنها لا تستطيع أن تأخذ بالتحديث دون التغريب، مما خلق لها أزمات في الهوية، وظهرت بداخلها صراعات وصدامات ونزاعات، أدت بالكثير من دولها إلى التفكك والانحلال، ولو أن هنتنجتون يعتقد بأن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، إلا أنه يؤمن بأن القيم الغربية في الديمقراطية وحقوق الإنسان يجب أن تعولم وتصبح كونية، وأن الحضارة الغربية هي النموذج أو البراديغيم الذي يجب أن يسود العالم.

6_ فبعد أن عرف الغرب صراعا إيديولوجيا مع الشرق، فيما سمي بالحرب الباردة، وخروج الغرب منتصرا، تم إعلان نهاية الثنائية القطبية ونهاية التاريخ، وأن الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت وبالتالي فإنه لا بد أن تسود العالم، هذا ما جعل الغرب يؤمن بقوة حضارته وصلاحية قيمه، ومن هنا سعى إلى عولمتها وكوننتها، رافضا التعدد والتنوع الثقافي والحضاري، معتبرا نفسه مركزا والباقي هامشا وهذا خلق لدى بعض الحضارات رد فعل، حيث قاومت الغزو الغربي الثقافي والحضاري، معتبرة هذا الغزو استعماراً وإمبريالية كولونيالية من نوع جديد، وطرحت فكرة الخصوصية الثقافية، والعودة إلى الذات والأصول الثقافية والحضارية للتمسك بها والدفاع عن خصوصياتها ضد الشبح الغربي، وما كان من الغرب إلا أن تصور هذه الحضارات على غرار الحضارة الإسلامية والصينية على أنهما تمثلان تحديا حضاريا للغرب، وأصبح الغرب يبحث عن عدو في مخياله فلم يجد إلا الخطر الأخضر ممثلا في الإسلام، والخطر الاقتصادي الكونفوشيوسي ممثلا في الصين، ومن هنا بدأت ما يشبه الحرب الحضارية الباردة بين هذه الحضارات، والتي زادت حدتها بعد تعرض الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر قلب الغرب إلى ما يعرف بهجمات 11 سبتمبر 2001، واعتبرت تلك الهجمات إعلانا رسميا لصدام الحضارات، وبدأ الغرب بالتحضير للهجوم على الأمة الاسلامية، وكانت البداية بالهجمة الاعلامية، بوصف الإسلام والمسلمين بالإرهاب ومحور الشر، وأن حدود الاسلام تقطر دما، وغيرها من الأوصاف، وعمليا تم غزو العراق، وضرب أفغانستان، والسكوت عن تقتيل المسلمين في البوسنة فيما سمي بالتصفية العرقية، وقتل الفلسطينيين وغيرها.

7_ إن الغرب يستخدم في السياسة الدولية منطق المعايير المزدوجة، خاصة بعد أن أدرك الغرب أن اللاعب الجديد في العلاقات الدولية هو الثقافة، والقربى الثقافية والحضارية بين الأمم والشعوب، كما أدرك أن عالم ما بعد الحرب الباردة قد أفضى إلى تكّون عالم متعدد الحضارات متعدد الأقطاب، وبالتالي نهاية الأحادية القطبية، والهيمنة والسيطرة على باقي الحضارات، إن الحضارة هي أرقى شكل معبّر عن الهوية، وإن التمايزات بين الشعوب والأفراد ستحمل طابعا ثقافيا حضاريا هوياتيا

كما أن الشعوب مستعدة للموت دفاعا عن هوياتها وقيمها ودينها، وأنه لا تهمها قضايا السياسة والاقتصاد بقدر ما تهمهم الثقافة والهوية.

8_ ولقد تشكل نظام عالمي جديد وفق البعد الثقافي والحضاري، حيث انتهى دور الدولة القومية لتكون العلاقات بين الدول/الأمم مبنية على الثقافة، وبالتالي فقد رسمت معالم خارطة سياسية وثقافية جديدة مبنية على خطوط التقسيم الحضاري الثقافي، ومن خلال هذا التقسيم فإن الحضارات تريد أن تشارك في بناء ووضع نظام عالمي جديد، ينهي الهيمنة والسيطرة الغربية، ويقوم على أسس الحوار الحضاري وفلسفة التسامح والعدل والتواصل والتفاعل، لا سياسة المركزية الغربية والإقصاء والتهميش، والإيمان بالحوار الحضاري كمنطلق لكل تقارب أو تكامل أو تعايش أو تعارف بين الحضارات، ومن ثمة الوصول الى فلسفة التحالف بين الحضارات.

9_ إن السياسة العالمية لا بد أن تقوم على الإيمان بالمشاركة الفعلية لجميع الحضارات، من خلال البحث عن المشتركات الإنسانية داخل كل حضارة، والانطلاق منها نحو حضارة إنسانية واحدة لعالم واحد، وأن تسعى العولمة الإيجابية، لا السلبية لتجسيد فلسفة الحوار والتحالف بدل الصراع والصدام ولا يكون ذلك إلا بتقريب المشترك الإنساني، ورفض تأحيد وتنميط العالم، وفق براديغيم لا يعبّر إلا عن حضارة الأقوى وهيمنته، وهذا بدوره لا يفتح إلا مجالاً واحداً فقط هو مجال الصراع والصدام بين الحضارات.

10_ وإن الإيمان بالصدام بين الحضارات، هو التمهيد الفعلي لما يعرف بحرب الحضارات التي لو قامت لكانت نتائجها كارثية على البشرية جمعاء، خاصة وأن معطيات الحروب تغيرت بفعل وسائل العلم والتكنولوجيا، حيث انتشرت بشكل رهيب أسلحة الدمار الشامل، والأسلحة البيولوجية وغيرها، ومن هذا لابد من الدعوة إلى الحوار بين الإنسانية، أي بين الإنسان والإنسان، ولا ننسى الحوار بين الإنسان والبيئة، وإن كان الحوار بين الحضارات لم يحقق الآمال المعقودة عليه، نتيجة لعدم توافر المنطلقات الصحيحة لإقامة حوار فعّال بين الحضارات، ووجود نوع من التنافر بين الحضارات واعتقاد كل طرف بأنه يملك الحقيقة، فقد طرح كثير من المفكرين أطروحة بديلة، فكانت الدعوة إلى تحالف الحضارات.

11_ إن التحالف كفعل وممارسة هو دعوة إلى أن تتوحد جميع الحضارات لتقف ضد كل ما يهدد الإنسانية، وأن تلتفت عن نزاعاتها وصراعاتها لصالح الإنسان والإنسانية، ولن يكون ذلك إلا بالانتباه إلى كل ما يهددها من فقر وبطالة، ونقص الغذاء واستنزاف خيرات الطبيعة، ولعقد تحالف فعّال لابد أولا من الاعتراف بالتعدد والتنوع الثقافي والحضاراي، واحترام الخصوصيات الثقافية والإيمان بدور المشتركات الحضارية الإنسانية وتفعيلها، لتكون في مصلحة الإنسان والإنسانية، وأن تكف الدول الكبرى عن التدخل في الشؤون الداخلية لباقي الدول والحضارات، وأن يعاد النظر في

الهيئات الدولية ودورها، من أجل إقامة نظام عالمي ودولي جديد يقوم على مبادئ العدالة الدولية والكونية، وتحترم فيه الإنسانية في كل أبعادها، حيث تحترم فيه حقوق الإنسان والديمقراطية، والإيمان بدور كل الشعوب والأمم والحضارات في الرقي بالحضارة الإنسانية وتطورها ورقيها، والانتقال الفعلي من مستوى التنظير إلى مستوى الفعل والممارسة.

من هذا فقط يمكن أن نتكلم عن حضارة واحدة لعالم واحد، ونستطيع فعلا أن ننتقل من فلسفة الصدام بين الحضارات إلى التحالف بينها مرورا بالحوار كمقدمة ضرورية، وأن نخفف من شدة النزاعات بين البشرية من أجل مستقبل أفضل للإنسانية وللأجيال الصاعدة، فهل فعلا يمكن أن نصل الى حضارة عالمية واحدة؟ وهل يمكن ان تزول النزاعات بين الأمم ومن ثمة نصل الى مجتمع انساني متحضر؟

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

العلم **الصفحة**

(أ)

ابن منظور (630_711هـ/1232_1311م)..457_07

أحمد محمود صبحي...340

آدام سميث Adam Smith (1723_1790)..214

إدوارد سعيد (1935_2003)..430_414_295

آرثر م شليزنجر Arthur M. Schlesinger (1917_2007)........................333_122

أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889_1975).. 336_329_321_320_229_182_179_171_163_135_86_84_38_35_17_11_05 _553_509_449_447_445_417_372_361_360_3408356_339.

إريك إركسون Eric Gustaf Ericson (1918_2013)....................................206

أزفالد شبنغلر Oswald Spengler (1880_1936).. _360_356_336_171_164_142_138_135_130_108_102_35_16_14_11_10 445_361.

أسامة بن لادن (1957_2011)..347_346_76

أفلاطون Platon (427 ق م)..214_40

ألبرت اشفيتسر Albert Schweitzer (1875_1965).......................................17

ألفين توفلر Alvin Toffler (1928_)..321_48

ألكسندر كوجيف (1902_1968)...333

أم جي أكبر...260

إمانويل كانط Immanuel Kant (1724_1804)....................................426_430

إميل دوركايم Émile Durkheim (1858_1917)..................................14_339

أوليفي سيرافوزا..134

أوغستو بينوشيه (1915_2006)...04

آية الله علي خامنئي (1939_)...270

(ب)

باجباي...86

باري بوزان Barry Gordon Buzan (1946_)...290

بان كي مون..545

بلير طوني...544

برتراند راسل Bertrand Russell (1872_1970)..311

برنارد لويس Bernard Lewis (1916_)..
42_58_78_96_134_155_161_249_263_264_265_267_268_280_281_282_
291_296_304_396_405_429_530.

برهان غليون (1945_)...328

بروس بالورناس...196

بطرس الأكبر Pierre Ier de Russie (1672_1725).....................................29

بندر بن سلطان (1949_)..29

بندكيت أندرسون Benedict Anderson (1936_).......................................209

بوذا (563 ق م_480 ق م)..317

بول فاليري Paul Valéry (1871_ 1945)..166

بول كينيدي Paul Michael Kennedy (1945_)..321

بيتر إل بيرغر Peter Ludwig Berger (1929_)..229

بيتريم سوروكين Pitirim A Sorokin (1889_1968)....................................339

بيل كلينتون Bill Clinton (1946_)..298_279

(ت)

ت. س. اليوت Thomas Stearns Eliot (1888_1965)................................380

تافلر Alvin Toffler (1928_)...352

تاكيشي أومي هارا Hara Takashi (1856_1921)...330

تشن تشياو..124

تشيديدس..425

توفيق محمد سبع...18

تي يونغ دا..29

(ج)

جاك دبلو...239

جاك ديلور Jacques Delors (1925_)...99_62

جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712_1778)............................451

جرهم فوللر...523

جميل صليبا(1902_1976)...40

جورج فايجل...54

جورج ولكر بوش George Walker Bush (1946_).........................435_434_298

جورج ويلهلم فريدريش هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (1770_1831)...........
16_40_326_333_360_396.

جوزيف سايفرت..478

جون اسبوسيتو John Louis Esposito (1940_)...................................280_181

جون جراي John Gray (1951_)..19

جون راولز John Rawls (1921_2002)...................................478_326_192

جيانغ زيمن Jiāng Zémín (1926_)..524

جيرار ليكليرك (1951_)..119

جيل كيبل Gilles Kepel (1955_)..70_54

جيمس وولسي Robert James Woolsey (1941_)....................................04

جيمي كارتر Jimmy Carter (1924_)..04

(ح)

حسن الترابي (1932_)..307

حسن حنفي (1935_)..474_41

حسين علي (1964_)...164

حميد حمد السعدون..512_368

حنة أرندت Hannah Arendt (1906_1975)..131

(خ)

الخميني (1989–1979)..300

خوسيه لويس رودريغ ثباتيرو José Luis Rodríguez Zapatero (1960_)........541_514

(د)

د. س. غرنواي...423

دانييل باتريك موينيهان Daniel Patrick Moyniha (1927_2003)......................238

دييتر سنغاس..218

(ر)

رابجيه ديراي..196

راشد الغنوشي (1941_)...296

رافائيل فيديلا Jorge Rafael Videla (1925_2013).....................................04

رالف لنتون Ralph Linton (1893_1953)...08

رجب بودبوس...228_56

روبرت كابلان Robert Kablan (1952_)...451

روجيه غارودي Roger Garaudy (1913_2012)...
43_166_257_336_345_396_456_461_471_474_476_478_479_483_488_
489_497_498_503_505_509_512_514_516_531_541.

ريمون آرون Raymond Aron (1905_1983)...41

(ز)

زكي الميلاد (1965_)..514_477

زياد نجم...476

(س)

ستانلي هوفمان Stanley Hoffman (1928_)......................................278

سفر الحوالي..269

سيجموند فرويد Sigmund Freud (1856_1939).....................................265

السيد أحمد فرج (1938_)..305

(ش)

شاه إيران (1919 _1980)...180_29

(ص)

صدام حسين (1937_2006)...441_269_188

صموئيل فلبس هنتنجتون Samuel Phillips Huntington (1927_2008) ....
04_16_42_43_45_72_73_96_145_157_160_173_242_267_282_296_300_
311_321_323_352_380_381_395_399_400_406_415_417_420_421_458_
461_476_503_510_550_552_553.

(ط)

طيب تيزيني (1934_)..191

طيب رجب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan (1954_)....................514_539_542

(ع)

عبد الرحمن بن خلدون (784 هـ/1332 م_808 هـ/1406م)..................................
07_11_12_35_323_360_366_416_445.

عبد العزيز بن عثمان التويجري.................... 477_514_516_517_531_546

عبد الكريم الكريمي..41

عبد الله إبراهيم (1918_2005)..148

عبد الله علي العليان..318

عبد المجيد عمراني.......................................380_486_510

علي المرزوقي...92

علي حرب...318

علي هلال دسوقي...306

عمار جيدل (1960_)...18

عمر أحمد بوقرورة....................................512_517_547

عيسى عليه السلام..317

(غ)

غالب كجك...142_190

غورباتشوف Mikhaïl Gorbatchev (1931_)..347

(ف)

ف. س. نايبول Vidiadhar Surajprasad Naipaul (1932_)..........................106

فاطمة المرنيسي (1940_)..435

فاكلاف هافيل Václav Havel (1936_2011)......................................30_99

فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama (1952_)..
03_15_16_26_44_48_63_67_100_123_145_160_164_171_173_183_214_
258_305_311_312_313_314_320_321_324_325_326_329_331_332_334_
335_337_338_339_340_342_343_344_365_369_400_401_420_447_467_
469_473_474_510.

فرانك روزفلت Franklin Delano Roosevelt (1882_1945)...........................518

فرناند بروديل Fernand Braudel (1902_1985)..13

فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844_1900).........................45_326_483

الفيروز آبادي (790هـ_817هـ)..08

(ك)

كارل دوتش Karl Deutsch (1912_1992)..26

كارل ماركس Karl Marx (1881_1883)...............................40_198_326_333

كارل ياسبرز Karl Jaspers (1883_1969)..120

كارول كويجلي..91_150_154_328_450

كرستوفر داوسن Christopher Henry Dawson (1889_1970)....................13_87

كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss (1908_2009)................................09

كوفي عنان Kofi Annan (1938_)..470_116

كيرك بارتريك..65

كيشوري محبوباني (1948_)................................411_410_373_336_198_88

كيفن جيه أوتول..291

(ل)

لورانس فريدمان Lawrence. Friedman (1948_)..152

لوسيان باي...35

ليستر بيرسون Lester Bowles Pearson (1897_1972)................................527

ليون ويسنلتييه..206

ليندون بينيس جونسون (1908_1973)...04

(م)

ماكس ويبر Maximilian Carl Emil Weber (1864_1920)......................339_87

مالك بن نبي (1323/1905_1393/1973م)..................................445_135_17

مالك عبيد أبو شهيوة...169_70

ماهاتير محمد Mahathir ibn Mohammad (1925_)..................................178

ماوس...14

مايكل هاوورد Michael Howard (1941_)..114

محمد أركون (1928_2010)..413

محمد السماك..412

محمد الكتاني (1952_)..499

محمد سعدي (1951_)......................21_28_90_105_140_211_214_227_426

محمد سيد أحمد..292

محمد سعيد رمضان البوطي (1929_2013)..............................301_302

محمد عابد الجابري (1936_2010)......................................180_205_339_407

محمد عمارة (1931_)..17_79

محمد محفوظ..508

محمد (صلى الله عليه وسلم)(571_632م)..............................316_317_388_523

مراد وهبة (1926_)..07

مصطفى كمال أتاتورك (1881_1938)..29_217_305

معمر القذافي (1942_2011)..374

المهدي المنجرة (1933_)..................................42_50_71_189_421_423_431

موسى عليه السلام..317

ميغيل دي أونامونو (1864_1936)..247

ميلكو..84_322

(ن)

نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky (1928_)..............................431_342
نيكسون Richard Nixon (1994_1913)..298_297

(هـ)

هارالد موللر Harald Muller..122_10_09
هاري ترومان Harry S. Truman (1972_1884)..353
هانز كينغ...302_301
هاني إدريس (1967_)...19
هنري شانك Henry Chang...415
هنري كسينجر Henry Kissinger (1923_)..................................350_04
هيدلي بول Hedley Bull (1985_1939)..141
هيرتزوج...460

(و)

وجيه كوثراني (1941_)..12_11
وولر بنيامين شتاين Benjamin Stein (1970_)..13

(ي)

يوهاي كونو...462
يورغن هابرماس jurgen Hbermas (1929_)...................................415_135

فهرس المصادر و المراجع

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في الأطروحة:

- **القرآن الكريم**

I. مؤلفات صموئيل هنتنجتون

1_المترجمة إلى اللغة العربية:

1. صموئيل هنتنجتون، الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، ترجمة عبد الوهاب علوب الكويت، دار سعاد الصباح، ط1، 1993.

2. صموئيل هنتنجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت دار الساقي، (د ط)، 1993.

3. صموئيل هنتنجتون وآخرون، صدام الحضارات_ إن لم تكن الحضارة فماذا تكون؟_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1 1995.

4. صموئيل هنتنجتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مصر، مكتبة مدبولي ط1، 1995.

5. صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات وردود نقدية، بيروت، مركز البحوث والدراسات العربية (د ط) 1995.

6. صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ط1 1995.

7. صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة دار سطور، ط2، 1999.

8. صموئيل هنتنجتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها (إن لم تكن حضارة فماذا تكون؟ نماذج من عالم ما بعد الحرب الباردة) بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 2000.

9. صموئيل هنتنجتون وبيتر إل بيرغر، عولمات كثيرة، تعريب فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان ط1 2004 .

10. صموئيل هنتنجتون ولورانس إي هاريزون، الثقافات وقيم التقدم، ترجمة شوقي جلال القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.

11. صموئيل هنتنجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور دمشق، دار الرأي، ط1، 2005.

12. صموئيل هنتنجتون، الغرب متفردا وليس عالميا، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق(د ط)(د ت).

13. صموئيل هنتنجتون وآخرون، الحضارات صدام أم حوار؟ إعداد هشام البرازي، دمشق دار حوران، ط2، 2004.

2_باللغة الإنجليزية:

1. *Samuel P. Huntington, American politics, The promise of disharmony the Belknap press of Harvard, university press, 1981.*

II- مراجع حول صموئيل هنتنجتون :

1. جودت سعيد وعبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية، قراءات وتعليقات على مقالين صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، دمشق، دار الفكر ط1، 1996.

2. غالب كجك، قلق الغرب، قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، بيروت، دار الهادي، ط1 2005.

3. محمد العربي بن عزوز، زمن هنتنغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، بيروت، دار النهضة العربية ط1، 2009.

4. محمد جربوعة، مهلا هنتنغتون...مهلا فوكوياما_نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة_ الجزائر، القلمان والنخلتان للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

5. محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنجتون، الدر البيضاء، إفريقيا الشرق (د ط) 2006.

6. مصطفى شريف، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، _تحليل نقدي لكتاب صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون_ الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،ج1،(د ط) 2003.

7. هارالد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1 2005.

III- مراجع عامــة باللغة العربية:

1. أحمد صدقي الدجاني، حوار الحضارات بين الواقع والطموح، مراجعة وتحقيق، خالد الكركي بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د ط)، 2004.
2. أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة اليونانية، الإسلامية الغربية، مصر، دار المعرفة الجامعية، (د ط) 2000.
3. أرنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ترجمة أمين محمود الشريف، القاهرة، دار أحياء الكتب العربية، (د ط)،(د ت).
4. أزمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، ط1 2008.
5. ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الأندلس، ط3 1983.
6. ألفن توفلر، بناء حضارة جديدة، ترجمة سعد زهران، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ط1، 1996.
7. أمارتيا صن، الهوية والعنف، ترجمة سحر توفيق، كتاب سلسلة عالم المعرفة الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو، (د ط)، 2008.
8. أيمن نور الدين عمر، العولمة ومستقبل البشرية (رؤية إسلامية)، لبنان، دار لبنان، ط1 2000.
9. الادارة العامة للدراسات والمؤتمرات، رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة، بين يدي مؤتمر جنيف لحوار الحضارات، (د ط)، 2009.
10. برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة لطيفة عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط) 1994.

11. برنارد لويس وإدوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية، بيروت، دار الجيل (د ط)، 1992.

12. برنارد لويس، العرب في التاريخ، ترجمة بنيه فارس ومحمود يوسف زايد، بيروت، دار العلم للملايين، (د ط)، 1994.

13. برنارد لويس، أين يكمن الخطأ؟ صدام الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط، ترجمة عماد شيخة دمشق، دار الرأي للنشر، ط1، 2006.

14. بشير عبد الفتاح، الخصوصية الثقافية، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007.

15. توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم ما قبل القرآن، القاهرة، دار المنار ج1، (د ط)،(د ت) .

16. جان بودريار وإدغار موران، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، تقديم إبراهيم محمود، سوريا دار الحوار، ط1، 2005.

17. جان بيير قارنيي، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003.

18. جلبير الأشقر، صدام الهمجيات، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل 11 أيلول وبعده نقله إلى العربية كميل داغر، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2002.

19. الجمعية العامة للأمم المتحدة، الدورة السادسة والخمسون، نقلا عن الكتاب الأبيض، حول الحوار بين الحضارات 24 سبتمبر 2001.

20. جوزيف سايفرت، تفاعل الحضارات، ترجمة حميد الأشهب، نداكوم للصحافة والطباعة الرباط، (د ط)، 2004.

21. جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الثقافات على المحك، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

22. جين كيركباتريك وآخرون، صدام الحضارات_حتمية التحديث التقاليد والتغيير_بيروت مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.

23. حسن إبراهيم أحمد، صدام المصالح وحوار الحضارات، دمشق، مؤسسة علاء الدين، ط1 2004.

24. حسن الباش، صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية، دمشق، بيروت، دار قتيبة، ط2 2005.

25. حسن حنفي وآخرون، حوار الحضارات، أعده وقدم له، عطية مسوح، دمشق، دار الينابيع ط1، 2009.

26. حسن حنفي، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، القاهرة، دار السلام، ط1 2004.

27. حسن عزوزي، الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة وهم الصدام وحتمية الحوار سلسلة تصحيح صورة الإسلام، ط1، 2003.

28. حسين علي، نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، بيروت، دار النفائس، ط1، 2002.

29. حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، عمان، دار وائل، (د ط) 2002.

30. حنة أرندت، في الثورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ط1، 2008

31. ديتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال، الإمارات، دار العين، ط1، 2008.

32. رجب بودبوس،الحضارات والضد حضارة، ليبيا، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط1، 2006.

33. رسول محمد رسول، الغرب والإسلام، قراءات في رؤى ما بعد الإستشراق، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001.

34. رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دمشق، دار الفكر (د ط)، 2010.

35. روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، ترجمة سلمان حرفوش، دمشق، دار كنعان، (د ط) 2007.

36. روجيه غارودي، حوار الحضارات ترجمة عادل العوا، بيروت، باريس، منشورات عويدات ط2، 1982.

37. ريمون آرون، صراع الطبقات، ترجمة عبد الحميد الكاتب، بيروت، منشورات عويدات (د ط)، 1965.

38. زكي الميلاد وآخرون، تعارف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ط1، 2006.

39. زكي الميلاد وتركي علي الربيعو، الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل، دمشق، دار الفكر ط2، 2001.

40. سعيد محمد السقا، فلسفة الحضارة وحوار الحضارات، مصر، دار المعرفة الجامعية، (د ط) 2010.

41. سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986.

42. السيد أحمد فرج، حوار الحضارات في ظل الهيمنة الأمريكية هل هو ممكن؟ المنصورة، دار الوفاء ط1، 2004.

43. سيد صادق حقيقيت، حوار الحضارات وصدامها، ترجمة السيد علي الموسوي، بيروت، دار الهادي ط1، 2001.

44. السيد يسين، الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، مصر، نهضة مصر (د ط) 2004.

45. السيد يسين، حوار الحضارات في عالم متغير، المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات"، القاهرة، مطبوعات التضامن، (د ط)، 1997.

46. صبري سعيد وأسامة نبيل، العنصرية وصدام الحضارات، مصر، نهضة مصر، ط1 2007.

47. عادل العوا، التسامح من العنف إلى الحوار، دمشق، دار الفاضل، ط1، 2002.

48. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

49. عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات، محاولة للفهم، أبعاد وأسباب ومآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية مصر المنصورة، دار الكلمة، ط1، 2004.

50. عبد العزيز بن عثمان التويجري وعبد الواحد بلقزيز، الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أيسيسكو، المغرب، مطبعة بني أزناسن، ط3، 2004.

51. عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق (د ط)، 2004.

52. عبد العزيز بن عثمان التويجري، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، الجزائر منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، (د ط)، 2003.

53. عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، الرباط منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو)، (د ط)، 2002.

54. عبد العزيز بن عثمان التويجري، على طريق تحالف الحضارات، القاهرة، دار الشروق، ط1 2008.

55. عبد العزيز بن عثمان التويجري، في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية، ج2، (د ط)، 1997.

56. عبد الكريم غريب وآخرون، التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، مكتبة النجاح الجديدة، ط1، 2010.

57. عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003.

58. عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، الدار البيضاء، مركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

59. عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.

60. عبد الله فهد النفيسي، هل يشكل الإسلام خطرا على الغرب؟ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003.

61. عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، الجزائر، منشورات الحبر، ط1 2008.

62. عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة، الإمارات، ندوة الثقافة والعلوم، (د ط)، 2004.

63. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دمشق، دار الفكر، ط2، 2003.

64. عطية فتحي الويش، واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 2003.

65. علال بن العزمية وآخرون، التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط1، 2001.

66. علي حرب، العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007.

67. علي شريعتي، العودة إلى الذات، القاهرة، الزهراء للنشر، (د ط)، 1986.

68. عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني عمان، دار الحامد ط1، 2003.

69. عمر أحمد بوقرورة، تهافت حوار الحضارات، الجزائر، دار قانة، (د ط)، 2009.

70. غازي عبد الرحمن القصيبي، العولمة والهوية الوطنية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1 2002.

71. فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، جميل قاسم رضا الشابي إشراف مطاع صفدي، بيروت، مركز الإنماء القومي، (د ط)، 1993.

72. فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر_تباشير فلسفة للمستقبل_ترجمة، جيزيلا فالفور حجار لبنان، دار الفارابي، ط1، 2003.

73. فؤاد السعيد وفوزي خليل، الثقافة والحضارة، مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي، دمشق دار الفكر، ط1، 2008.

74. فؤاد عجمي وآخرون، صدام الحضارات _الإستدعاء_ بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.

75. كيشوري محبوباني وآخرون، صدام الحضارات _أخطار التفسخ _بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ط1، 1995.

76. كيفن جيه أوتول،الإسلام والغرب، ترجمة هبة الباشا، دمشق، دار الفكر، ط1، 2010.

77. ليو بينيان وآخرون، صدام الحضارات_الحضارات ليست جزرا_بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.

78. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دمشق دار الفكر، (د ط)، 1988.

79. مالك عبيد أبو شهيوة، نقد الفكر الغربي المعاصر_ منطلقات وآليات صدام الحضارات الغرب والإسلام، صموئيل هنتنجتون_ بيروت، دار أكاكوس، طرابلس، دار الرواد، (د ط) 2001.

80. مجموعة من المؤلفين، الغرب والعالم الإسلامي، تقرير معهد العلاقات الخارجية، ألمانيا 2002.

81. مجيد محمدي، حوار الحضارات_تعديل نموذج العلاقات بين الحكومات والشعوب_ القاهرة مختارات إيرانية، عدد 21، نيسان، 2002.

82. المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف دمشق، دار الفكر، ط1، 2010.

83. محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة وتعليق، هاشم صالح بيروت، دار الساقي، ط1، 2001.

84. محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، بيروت، دار النفائس، ط2، 1999.

85. محمد الشبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، بيروت، دار العلم للملايين ط1، 2002.

86. محمد الكتاني، من تساؤلات عصرنا عن الهوية والعولمة وحوار الثقافات ومستقبل العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط1، 2001.

87. محمد المصباحي، التحالف الحضاري، تحالف في القيم، جمعية أصدقاء الفلسفة ملتقى ربيع الفلسفة الدولي الخامس، الفلسفة وتحالف الحضارات، فاس، منشورات ما بعد الحداثة أعمال الندوة الدولية، 10_11 مارس 2006، ط1، 2007.

88. محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2 2002.

89. محمود حمدي زقزوق، الاسلام والغرب، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005.

90. محمد خاتمي، الإسلام والعالم، القاهرة، مكتبة الشروق، ط3، 2002.

91. محمد خاتمي، حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي، المطبعة العلمية، دمشق، دار الفكر ط1، 2002.

92. محمد سبيلا، زمن العولمة فيما وراء الوهم، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.

93. محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006.

94. محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3 2007.

95. محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 2006.

96. محمد عمارة، الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

97. محمد عمارة، التراث والمستقبل، القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1997.

98. محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع...أم صراع؟ مصر، نهضة مصر، ط1، 1998.

99. محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، الأسس الفكرية والنفسية والإجتماعية لدراسة الإرهاب، عمان، دار الحامد، ط1، 2006.

100. محمد محفوظ الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ط1، 1998.

101. محمد نعمان جلال، الإسلام والمسلمون، التحديات والإستجابات في القرن الحادي والعشرين القاهرة الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007.

102. محمود أمين العالم وآخرون، الإسلام وحوار الحضارات، الرياض، مكتبة الملك فهد، م1 (د ط) 2004.

103. مصطفى النشار، ما بعد العولمة، القاهرة، دار قباء، ط1، 2003.

104. المصطفى شادلي وآخرون، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، ترجمة محمد معتصم إشراف مصطفى شادلي وليزا غارون، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2005.

105. مفتاح محمد عبد العزيز، صدام الثقافات وتفاعل الحضارات، ليبيا، مجلس الثقافة العام (د ط)، 2008.

106. منى أبو الفضل وآخرون، الحوار مع الغرب آلياته_أهدافه_ دوافعه، دمشق، دار الفكر ط1 2008.

107. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى_مستقبل الماضي وماضي المستقبل_الجزائر شركة الشهاب، ط1، 1991.

108. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مصر، مكتبة الشروق، ط1، 1995.

109. هادي المدرسي، لئلا يكون صدام حضارات_الطريق الثالث بين الإسلام والغرب_بيروت دار الجديد، ط1، 1996.

110. هانز كينغ ومحمد سعيد رمضان البوطي، دور الأديان في السلام العالمي، دمشق، دار الفكر، ط1، 2011.

111. هاني إدريس، حوار الحضارات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2002.

112. هشام جعيط، أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة، بيروت، دار الطليعة، ط2، 2001.

113. وجيه كوثراني وآخرون، صدام الحضارات أم إدارة الأزمات، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.

114. وليد محمود عبد الناصر، حوار الحضارات، مصر، نهضة مصر، ط1، 2007.

115. وولف فيغر هاوس ومصطفى عمر التير، دور الدين في المجتمع، دمشق، دار الفكر، ط1 .2011

IV- مراجع عامــة باللغة الأجنبية:

1. *Arnold Toynbee, L'histoire, Edition Bordas, Belgique, 1985.*
2. *Bernard Lewis, Le retour de l'Islam, Ed Gallimard, Paris, 1985.*
3. *John L. Esposito, The Islamic threat, myth or reality, New York Oxford university, Press 1992.*

V _ مقالات باللغة الأجنبية:

4. *Bernard Lewis, The roots of Muslim rage , Athantic Monthly, N° 266 September, 1995.*
5. *F. Fukuyama, Nous sommes toujours à la fin de l'histoire in le monde, 18 Octobre. 2001.*
6. *Richarde Rubenstein and Carle Coper, Challenging Huntington foreign policy, N° 96 Fall, 1994.*

VI- مقالات صموئيل هنتنجتون:

1. *Samuel Huntington, The Clach of Civilizations, Foreign affairs, Summer, 1993*
2. *Samuel Huntington, The erosion of American, national interests Foreign affairs, V 76, September/ October 1997.*
3. *Samuel Huntington, the west unique, foreign affairs, N° 02, Vol 78 March/ April 1999.*

4. *Samuel P. Huntington, How countries democratize political, science quarterly, Vol 106, N° 04, 1991/1992.*

VII _ المّجلات والدوريات، المقابلات والحوارات ومواقع الإنترنت:

1. صموئيل هنتنجتون، القوة العظمى الوحيدة، ترجمة هشام الدجاني، مجلة الثقافة العالمية الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 96، سنة 1999.
2. صموئيل هنتنجتون، حروب المسلمين بدلا من الحرب الباردة، بغداد، مجلة الحكمة، عدد 26 أيار 2002.
3. صموئيل هنتنجتون، صراع الحضارات، ترجمة أحمد سيد النجار، مجلة السياسة الدولية عدد 116، القاهرة، أفريل، 1994.
4. صموئيل هنتنجتون، من التغيير إلى التغيير، ترجمة سمر الشيشكلي، مراجعة محمود ماجد عمر مجلة عالم المعرفة، عدد 309، ج1، نوفمبر، 2004.
5. إبراهيم الناصر، الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، الرياض، مجلة البيان، 1429هـ.
6. إبراهيم الناصر، حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة، التقرير الإستراتيجي الثاني، مجلة البيان.
7. أحمد زويل، حوار الحضارات، كيف نصنع التاريخ بفضل رؤية جديدة للعالم، مجلة عالم التربية، عدد 17، 2007.
8. أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، الكويت، مجلة العربي، عدد 477، أغسطس 1998.
9. أحمد عمران الزاوي، تكامل الحضارات، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، عدد 568 سنة 49، كانون الثاني، 2011.
10. أحمد عياش، صدام الحضارات وسيناريو الحرب المقبلة جريدة، النهار، بيروت 2001/10/22.
11. إدوارد سعيد، صدام المفاهيم، ترجمة منى أنيس، مجلة الكرمل، عدد 53، خريف، 2000.

12. ألبرت ويكس، هل تثبت الحضارات؟ مجلة الحرس الوطني، عددا 164 و 165، أبريل 1996.

13. السيد يسين صراع حضارات أم تعدد ثقافات؟ مجلة المستقبل العربي، العدد:238 1998/12.

14. الطيب بوعزة، من نحن؟ قراءة في إجابة هنتنجتون عن سؤال الهوية الأمريكية، مجلة المعرفة 2008/01/12.

15. المهدي المنجرة، حوار التواصل، قراءة عبد الكريم غريب،مجلة عالم التربية، العولمة وحوار الحضارات والثقافات، عدد 2007/17.

16. برهان غليون، في نقد صراع الحضارات وحوار الحضارات، في أصل التفاهم بين الأجناس مجلة الآداب، العدد 2/1 ، 03 أفريل 2000

17. تشن نشيماو، تعديل علاقات القوى الكبرى والاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب، مجلة السياسة الدولية، ترجمة سالي جمعة، العدد 145، تموز 2001.

18. حسن حنفي، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت مركز الإنماء القومي ربيع/ صيف 2000، عدد 114_115.

19. خلدون الشمعة، صدام الحضارات أم نقاء ديكة عمياء، مجلة الشرق الأوسط 1995/01/21.

20. زياد نجم، نظرية تعارف الحضارات: نحو رؤية جديدة للخروج من إشكالية ثنائية (الصدام والحوار)، مجلة المعرفة دمشق، وزارة الثقافة السورية، عدد 568، سنة 49، كانون الثاني 2011.

21. سليمان العسكري، ماذا بقي من نظرية صراع الحضارات، مجلة العربي، العدد 518، يناير 2002.

22. صلاح قنصوة، فكرة الحوار بين الحضارات مجرد نكتة، الشارقة، جريدة الخليج، العدد (8189)، 2001.

23. طيب تيزيني، صراع الحضارات والثقافات الجديد في الإيديولوجيا العولمية المراوغة، مجلة الآداب عدد ½ يناير فبراير، بيروت، المجموعة الطباعية، السنة 48، 2000.

24. عبد الكريم الكريمي، صراع أم حوار بين الحضارات، مجلة النهج، /33/ سنة 19، شتاء 2003.

25. عبد النبي أصطيف، نحن والغرب، من صدام الحضارات إلى الشراكة المعرفية، مجلة الآداب بيروت، المجموعة الطباعية، عدد ½ يناير/ فبراير، السنة 48، 2000.

26. فرنسيس فوكوياما، هدفهم العالم المعاصر، بغداد، مجلة الحكمة، عدد: 26 أيار، 2002.

27. ماجد الغرباوي، حوار الحضارات، الواقع والأهداف، مؤسسة الفكر الإسلامي ومؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، إيران مجلة التوحيد، عدد 86، سنة 15، شباط، 1997.

28. محمد علي صالح، هل ظلم العرب صموئيل هنتنجتون؟، جريدة الشرق الأوسط، عدد 10999 08 يناير، 2009.

29. محمد مختار، جبهات الصدام وأسباب الصدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية القاهرة مجلة قضايا دولية، عدد202، تشرين الثاني، 1993.

30. محمود أمين العالم، صراع حضارات أم تعدد ثقافات؟، مجلة المستقبل العربي، عدد 23 1998/12.

31. منذر الشوقي، صدام الحضارات أم صدام المصالح، جريدة الزمان، عدد 17، كانون الأول 2006.

32. مؤيد عزيز، الإسلام والغرب، مجلة الموقف الثقافي، عدد 23، بغداد، دار الشؤون الثقافية،أيلول/ تشرين الثاني، 1999.

33. وجيه قانصوة، حوار الحضارات والتأسيس للمختلف، جريدة السفير، 2002/02/27.

VIII_ المواقع الالكترونية:

34. صموئيل هنتنجتون، الغرب وصدام الحضارات، ترجمة محمد سعدي، جريدة أنوال 1996/07/10. www.anoual.com

35.حوار هنتنجتون مع صحيفة (دي فيلت) الألمانية، نقلها وائل الأجهوري www.medad.com

36. صموئيل هنتنجتون، هل أساء الفهم؟ ترجمة: عبد الوهاب حميد رشيد، تاريخ النشر 2009/04/30، موقع: www.orook.com

37.خلف علي المفتاح، حوار الحضارات بين غارودي وهنتنجتون، مجلة الوحدة www.alhawra.alwihda.gov.sy

38.زكي الميلاد، تعارف الحضارات: www.taghrib.org .

39.علي عبود المحمداوي، تعارف الحضارات، الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر www.kalimat.net.

40.فخري صالح، صموئيل هنتنجتون، هل من المحتم أن تتصادم الحضارات؟ مجلة العربي الكويتية، أول يوليو 2009: www.arabphilosophers.com.

41.محمد خليفة حسن، نقد رؤية هنتنجتون للصدام الحضاري، مقال نشر بجريدة الأهرام في 30 رمضان 1422 موقع: www.almualem.net.

42.محمد عابد الجابري، بدلا من صراع الحضارات توازن المصالح www.aljabriabad.net.

43.محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام، موقع طريق الإسلام www.islamway.com

44.موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة اسيسكو 2007: www.isesco.org.

45. ويكبيديا، الموسوعة الحرة: ar.wikipedia.org/wiki

IX- قائمة المعاجم والقواميس والموسوعات:

1_المعاجم والقواميس:

أ) باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، (د ط)، (د ت)، ج 6.

2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، سوريا، ج1، (د ت)، (د ط).

3. المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، (د ط)، 2000

4. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، نقلا عن إبراهيم محمد تركي، في فلسفة الحضارة قضايا ومناقشات، القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006.

5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج1، (د ط)، 1979.

6. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، (د ط)، 2007.

ب) باللغة الفرنسية:

1. *Robert (P) Dictionnaire le Robert, alphabétique analogique de la langue française, Paris, société de nouveau livre, (SNL), 1978.*

2_الموسوعات:

1. لحميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، (عربي إنجليزي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2000.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتوى **الصفحة**

المقدمة... أ_ ح

الفصل الأول: في الحضارة وبنية الحضارات.................... 01_94

مقدمة.. 02_03

المبحث الأول: هنتنجتون والحضارة............................ 03_20

1_ نبذة موجزة عن حياة صموئيل هنتنجتون..................... 03_06

2_ في مفهوم الحضارة.. 06_20

أ_ من الناحية اللغوية.. 06_08

ب_ من الناحية الإصطلاحية.................................. 08_19

المبحث الثاني: بنية الحضارات................................. 19_39

المبحث الثالث: في مفهوم الصدام ومقوماته..................... 40_93

أ_في مفهوم الصدام.. 40_81

ب_ مقومات الصدام الحضاري................................... 81_93

خاتمة.. 94

الفصل الثاني: أطروحة صدام الحضارات......................... 96_255

مقدمة.. 96_97

المبحث الأول: إعادة التشكيل الثقافي للسياسة الكونية............. 97_129

المبحث الثاني: صدام الحضارات بين بقاء الغرب واضمحلاله......... 129_165

المبحث الثالث: الغرب وحضارات التحدي.......................... 166_199

المبحث الرابع: صدام الثقافات والهويات الثقافية.................... 200_254

خاتمة.. 255

الفصل الثالث: الحضارات ومآلات الصدام......................... 257_454

مقدمة.. 258_259

المبحث الأول: الإسلام والغرب آفاق الصدام........................ 258_319

المبحث الثاني: صدام الحضارات بين العولمة ونهاية التاريخ......... 320_348

المبحث الثالث: صدام الحضارات والنظام العالمي الجديد............. 349_394

المبحث الرابع: في نقد أطروحة صدام الحضارات.................... 395_ 453

خاتمة.. 454

الفصل الرابع: أطروحتا حوار وتحالف الحضارات.. 456_550
مقدمة.. 456_457
المبحث الأول: حوار الحضارات المفهوم والمنطلقات.................................. 457_503
1_ في مفهوم الحوار.. 457_458
أ_ من الناحية اللغوية.. 457_458
ب_ من الناحية الإصطلاحية... 458_459
2_مبادئ واسس الحوار الحضاري ومنطلقاته...................................... 459_466
3_ حوار الحضارات الحقيقة والواقع.. 467_503
المبحث الثاني: في نقد أطروحة حوار الحضارات.................................... 503_514
المبحث الثالث: تحالف الحضارات المفهوم والبديل.................................. 515_542
1_في مفهوم تحالف الحضارات.. 516_517
2_ تحالف الحضارات_البديل_... 518_542
المبحث الرابع: تحالف الحضارات بين المنتديات والنقد............................ 542_553
1_ منتديات تحالف الحضارات.. 542_545
2_ نقد أطروحة تحالف الحضارات... 545_548
خاتمة.. 549_550
الخاتمة.. 552_556
الفهارس.. 557_590
فهرس الأعلام.. 558_569
قائمة المصادر والمراجع.. 570_787
فهرس الموضوعات.. 588_590